بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب المسمى ام القرآن لاحتوائها على مجامع المعاني التي في القرآن وسورة الكنز
والوافية وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل صلاة او لانها نزلت مرتين مرة بمكة
وبالمدينة اخرى وسورة الشافية وهي سبع آيات بالاتفاق وان وقع الاختلاف في ان انعمت
عليهم آية دون البسملة او بالعكس استعيذ بالله القيوم الذي باسمه تقوم وبقوته
التي قامت بها السماء فوق الارض وصلت بركته وجعلت تصلي وتقوم ولا تفصل وتدوم
واليه تحرك وتسكن وتبقى وتدوم وبحبيبه والصلوة عليه السلام تقتدي وتقتفي في الاعمال والعلوم
واخواني في الله حثكم من فهم غرائب القرآن واثمار عجائبه هذا اوان الشروع في الولوج
الى مشاهد آيات القرآن بعد تمهيد مفاتيح ابواب الجنان وتبيان مصابيح انوار الهداية والعرفان
وتشييد قواعد الحكمة والايمان فاعلموا ان الانسان وهو اشرف الاكوان لما كان في اول تكونه
في حدود السفالة والنقصان لكونه حاصلا من طبايع العناصر والاركان كسائر انواع الحيوان
وهي في مراتب التسفل بالنسبة الى معادن الجواهر والايمان الا ان في ذاته قوة الترقي الى الحكمة
والارتقاء الى انوار المبدأ المتعال والمهيمن الفعال تخلصا من الشرور والوبال طايرا الى
عالم النور متنعما بنعيم الاخرة والسرور فلم يجز في العناية الالهية اهماله في مراتع الشهوات
كالحيوان والحشرات من غير هدى وتعطيله عما خلق لاجله وان يترك سدى وقد علم
ان لكل شيء كمالا يخصه لاجله خلق وفعلا يخصه اذا له خلق وكمال الانسان بادراك
المقامات الالهية ونيل المعارف الكلية العقلية في التجرد عن المحسوسات المادية والزهد
عن الدنيات الدنيوية والخلاص عن اسر الدواعي النفسانية والانطلاق عن القيود الشهوانية

والعقلية وهذه لما لا يتيسر الا بالهداية والتعليم والتهذيب والتقويم فبعث الله عز وجل
رسولا هاديا ومعلما وانزل الينا كتابا الهيا محكما فيه جوامع العلوم الالهية والاسرار الربانية
والسنن والآداب العملية والاحكام السياسية ونوطها بما على حسب المصالح والاوقات فجعلها
سورا وآيات كل سورة منها بحر مملو من جواهر المعاني والبيان بل فلك مشحون من كواكب الحقائق والعرفان
وكل آية من آياتها صدفة مكنونة فيها درة غالية قيمة كل منها روح الانسان بل درة ثمينة لا يدركها الا ارباب
النبوة والولاية والعرفان فيقتبس من لمعان نور الهداية صحيح الايمان سيما هذه السورة
المشتملة مع وجازتها على مجامع آيات القرآن وحل اسرار المبدأ والمعاد واحوال الخلائق يوم [illegible]
عند الرحمن واسمعوا باسماع قلوبكم قراءة آيات الله وليتحقق في بواطنكم معجزة رسول الله فاتقوا الله
واطيعوا كلمته بقلوب صافية وبصائر مجلوة ومرآئي نقية عن الريب والغشاوة واسمعوا الحكمة
واقبلوا قولي بنفوس سليمة عن الامراض النفسانية واسماع واعية خالية عن اقاويل المبتدعة
الضالة المضلة الحايلة كالحجاب بين صفحة الباطن وبين شمس الحقيقة فمن يتصل انوار كلام
الحق بطباعه او لو تحركت بحوله من خوض نفسه او فطرته الاصلية او لغشاوة الظلمة وتراكم حجب
الجهالة بينه وبين نور الحق الحاصلة له من قبول التقاويل المبتدعة المضلة او تقليد اهل
التعطيل والبطالة كان له وحيل بينهم وبين ما يشتهون ونحا له وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فلا يقبلون ارادة يسلك سبيل اهل الحق و
اليقين بعد ان يطهر نفسه عن رذائل الاخلاق اولا وان يجتنب عن صحبة المعطلين الغشاوة
المختوم على قلوبهم وسمعهم وابصارهم غشاوة لا يفقهون وكذا عن صحبة المبتدعين المضلين
لانهم الذين اذا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن وقانا الله واياكم شرها انهم الطاغين ولا جمع الله بيننا وبينهم طرفة عين
لانه كلهم من اولياء الشياطين وابناء الظلمات واهل الطاغوت فنستعيذ منهم بالله
كما نستعيذ من الشيطان الرجيم وننظر آثارهم بنور الفطرة من القلب السليم متى نخوض في معاني
الكتاب الكريم والذكر الحكيم فاتلوا حسبما امر به الله العلي العظيم اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم قال من في النفايح تحقق مهية الشيطان وجنوده واثاره ومهية الملك واتباعه
وانواره واما الذي نذكره الآن فهو تفسير هذا القول وحل الفاظه وشرح معانيه العقلية
فالكلام فيه اما متعلق بترجمة الفاظ هذا القول او متعلق بمعانيها العقلية اما الاول
فاعلم ان قولنا اعوذ مشتق من العوذ وله معنيان احدهما الالتجاء والاستجارة وثانيهما
الالتصاق يقال اطيب اللحم اعوذه وهو الملتصق بالعظم فعلى الاول معنى اعوذ بالله التجئ

الى رحمته وعصمته وعلى الثاني معناه الصق نفسي بفضل الله ورحمته واما الشيطان
ففيه قولان احدهما انه ماخوذ من الشطن يقال شطن داره اي بعد فلبعده سمي كل متمرد
من جن او انس او دابة شيطانا لبعده عن الرشاد والسداد ذكر وان بعض الخلفاء ركب برذونا
فطفق يتبختر فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان الثاني
انه مشتق من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لكونه مبطلا لمصالح
نفسه سمي شيطانا واما الرجيم فمعناه المرجوم فهو فعيل بمعنى مفعول حكى الله عن والد ابرهيم
انه قال لئن لم تنته لارجمنك قيل عنى به الرجم بالقول وحكى تعالى عن قوم نوح انهم قالوا
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وفي سورة يس لئن لم تنتهوا لنرجمنكم الوجه
الثاني ان الشيطان انما وصف بكونه مرجوما لانه تعالى امر الملائكة برمي الشياطين بالشهب
الثواقب طردا لهم من السموات ثم وصف بذلك كل شرير متمرد واما ما يتعلق
بالمقاصد العقلية فهذا المقام من الكلام فالبحث عنه يقع على خمسة اركان الاستعاذة
والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما يستعاذ لاجله فالركن الاول في البحث
عن ماهية الاستعاذة وما يتعلق بها وفيه اشارات احدها ان الاستعاذة لا تتم الا
بعلم وحال وعمل اما العلم فهو علم العبد بنفسه بكونه عاجزا عن جلب المنافع ودفع المضار
الدنيوية والاخروية وبكون الله قادرا عليهما لا يقدر احد سواه على ذلك واذا
حصل هذا الاعتقاد في القلب فلابد فيه حالة وهي الانكسار والتواضع ويعبر عن تلك الحالة
بالتضرع الى الله والخضوع له واذا حصل ذلك حصل صفة ازيد في القلب وصفة في اللسان
والتي في القلب ان يصير العبد ملتجئا الى الله مريدا لان يصونه عن الافات ويخصه
بافاضة الخيرات والحسنات واما التي في اللسان فهي ان يصير طالبا لذلك بلسانه معبرا
بدعائه وجنانه وذلك هو الاستعاذة وهي قوله اعوذ بالله اذا عرفت هذا فظهر ان العماد
في الاستعاذة بالله هو علم العبد بنفسه وبربه فما لم يعرف احد عزة الربوبية وذلة العبودية
لا يصح منه الاستعاذة بالله والذي يوضح ذلك ان الصادر عن العبد اما الجهل واما العلم فهو
في كلا البابين في غاية الخطر اما العلم فما اشد حاجة العبد الى الاستعاذة بالله في ازالة الشبهات
ودفع الاغاليط والوساوس والشكوك ولا يكفي في ذلك اصل الفطرة واستعمال القوانين المنطقية
فكم من الاكياس المحققين والعلماء المشهورين بالفضل والبراعة امثالهم قد تعوقوا في شبهة
طول عمرهم ولم يعرفوا الجواب عنها وظنوا علما يقينيا ودينا قاطعا ثم لم يثبت بنور الكشف
وشواهد الربوبية خلاف ما زعموه وضد ما تصوروه واذا جاز ذلك على البعض جاز على الكل

كيف

كيف ولولا هذا السبب لما وقع بين اهل الاديان اختلاف في الملل والمذاهب ولهذا افترقت امة رسول الله
صلعم على ثلث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة ولما زعم كل واحدة منهم انهم هم الناجية
وان غيرهم في النار ودل ذلك على ان كل احد انما يقصد لنفسه ان يحصل له الدين الحق والاعتقاد الصحيح
وان احدا لا يرضى لنفسه بالجهل والكفر فلو كان الامر بحسب سعيه وارادته لوجب كون الكل محقين
صادقين بما انهم مطبقون على استعمال الفكر والروية انما ردوا عن الضلال والتعصب دل على الشرود
والذود وحيث لم يكن كذلك وجعل المحقين على حسب المبطلين كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود
علمنا انه لا خلاص من هذه الظلمات الا باعانة اله الارض والسموات فما اشد احتياج الانسان
الى واهب الحكمة والعرفان وخالق الانس والجان ولهذا امر نبيه صلعم بالاستعاذة وقيد في قوله وقل
رب اعوذ بك من همزات الشياطين فهذه الاستعاذة مطلقة غير مقيدة بحالة مخصوصة واما
قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فهي استعاذة مخصوصة وتحقيق هذا المقام
يحتاج الى بسط في كلام ليتكشف ان لكل احد في كل حالة ومقام شيطانا مخصوصا يجب الاستعاذة
منه وكلما كان الرجل افضل واجل ومقامه اعلى واكمل كان شيطانه اقوى واضل وله في لطائف الحيل
وجوه ادق واخفى واعوج وعن طريق الاستقامة وعن سنن الاهتداء ابعد وعن رؤية الحق احجب
ولما كان مقام قراءة القران وسماع الايات اجل المقامات وقع الامر بالاستعاذة بالله
فيه عن شيطان موصوف بالبعد والطرد عن جناب الاحدية فلهذا اوصفوا بصيغة المبالغة
في المرجومية اشارة كشفية قال المكاشف لارباب البصائر النورية ان هذا البدن بحسب مشاعره
ركاز يشبه الجحيم وابوابه والمكشف انه خلق على ابواب هذا الجحيم تسعة عشر نوعا من الزبانية وهي
الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وقوتا الشهوة والغضب والقوى السبع الطبيعية وكل واحد
من هذه التسعة عشر وان كان واحدا بالجنس الا انه يدخل تحت كل واحد منها افراد لا نهاية لها
بحسب الشخص والعدد واعتبر ذلك في القوة الباصرة فان الاشياء التي تقوى الباصرة على ادراكها
امور غير متناهية ويحصل من ابصار كل واحد منها اثر خاص في القلب وذلك يمنع عن اوج عالم الروحانيات
الى حضيض عالم الجسمانيات واذا عرفت ذلك ظهر ان مع كثرة هذه العلائق والعوائق كيف يتيسر
للقلب خلاص عن هذه الظلمات الشاغلة له عن عالم الانوار والالهيات الا باعانة الله واعانته
وجذبه ولهذا قيل جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ولما ثبت انه لا نهاية لجهات
نقصانات العبد وصورة درجات قصوره وقصوره كما لا نهاية لكمال رحمة الله وقدرته ومبالغ
عنايته وحكمته ثبت ان الاستعاذة بالله واجبة في كل الاوقات عقلا كما يجب سمعا فيجب علينا في
كل قول وعمل ومبدأ كل لفظة ولحظة ان يقول ضميرا ولسانا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اشارة اخرى

حكمية قد ثبت في العلوم العقلية انه ما من موجود في الممكنات الا وله كمال وفقر من جهة او جهات
ولكل منها عشق لما حصل فيه من الكمال وشوق الى ما هو فاقد له ولهذا حكموا بسريان العشق والشوق
في كل الموجودات ثم الانسان مختص من بين الموجودات بخاصية هي تطوره في الاطوار وتبدله في
الاحوال الغير متناهية ومقام يصل اليه سواء كان بحسب الجبلة والطبع او بحسب الطلب والارادة
الا ويشتاق الى ما وراءه ولا ما يقنع به سواء كان من اللذات الدنياوية كالجاه والمال او من اللذات
الاخروية كالعلم والكمال وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم العلم
ومنهوم المال والحاصل ان الانسان كلما كان اكثر فوزا بالمقاصد التي يشتاقها ويطلبها كان اعظم حرصا
واشد رغبة في تحصيل الزايد عليه ولما لم يكن لمراتب الكمالات نهاية فكذلك لا نهاية لدرجات الحرص
والشوق وهما لا يخلوان من الم وضجر وكل ما هو في عالم الامكان فقد علمت انه لا يخلو من نقص وقصور
وانما يتحقق الكمال الاتم والغاية القصوى والجلال الارفع والنور التام ما دام الانسان بعيدا من جانب
القدس غير راجع الى ربه فهو يعلل في الحرمان محترقا بنار الفرقة والفقدان مبتلى بمرض الحرص والفاقة
والهجران فثبت ان هذا داء عظيم لا قدرة للعبد على علاجه الا بالرجوع الى الخالق كل شيء ومبدع
كل حي ومفيض كل وجود وكمال كل موجود بل هو مطلوب كل طالب واليه ورد كل آيب فمن اراد التخلص من
هذا الاضطراب والتخلص عن الم الشوق الى عالم الحقيقة فهذا المرض الذي يتمثل في السر
الداء دواء والشح اصلاح والفرقة وصال يجب عليه ان يرجع نحو الرب الرحيم ويطمئن قلبه بذكره
ويسكن اليه ويعوذ به ويلوذ الى جنابه فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لان الشيطان مبدأ
كل بعد ونقصان ومنشأ كل شر وحرمان وخسران وفي بعض الكتب الالهية ان الله تعالى يقول وعزتي
وجلالي لاقطعن امل كل مؤمل من غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من
قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي
القيوم ويرجو غيري ويطرق بالفكر ابواب غيري ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب
وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني الركن الثالث في المستعاذ به هذا اما ورد في الكتاب والحديث
على وجهين احدهما ان يقال اعوذ بالله والثاني ان يقول اعوذ بكلمات الله واعلم ان المراد بكلمة
الله هي مفاد قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقوله كن كلمة ليس من جنس الاصوات
والحروف كما ان ذاته وصفاته ليست من جنس الاجسام والكيفيات بل وليست من جنس الجواهر و
الاعراض بل قوله وكلامه وامره كامره في المفارقة وجود صرف وفعل عقلي وكلماته هي موجودات مقدسة
روحانية امرية هي وسائط بين الله وبين الاكوان الخليقية وبها انفاذ علمه وقدرته وسريان مشيته
وارادته في الكائنات بحيث يستحيل ان يعرض له مانع او عائق وقد مر في المفاتيح ان كلامه الامري
ولجلالة امره التكويني حتمي القبول لعزة الامر والطاعة ولا شك انه لا يصح الاستعاذة بالله الا

يكون

المعراة عن النقص

يكون حكمها متفقا في الاثمار والمشية ظاهرا في الاقوال وانما وضع الاستعاذة بكلمات الله التي هي
من عالم الامر والنور والبرزخ الانفاذية من كل شر وقصور وآفة ودثور بخلاف ما في عالم الخلق فان
الاجسام وما يتعلق بها مشوبة بالآفات والشرور فوجب الاستعاذة من شر ما خلق بما في عالم الامر فقوله
اعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق استعاذة من الارواح البشرية بالارواح العالية
المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة الظلمانية الكدرة والدليل على ان المراد بكلمات الله هي الجواهر
العقلية المحضة الالهية انها قد وصفت بالتامات فان الموجود اما ناقص او مستكف او تام
او فوق التمام فالاول هو كالاجسام وما يحلها والمكتفي كالنفوس الفلكية ونفوس الانبياء عليهم السلام
ما دامت في هذا العالم حيث انها لم يستقر في كمالها الى سبب خارج عن مقوم ذاتها والتام هو كالعقول
المفارقة حيث لم يكن لها كمال مرتقب وتام بالفطرة وانما تمام كل منها معه وغايته لا تفارقه وهو مبدأ غايتها
ومنتهاها والمتكلم بها فالله جلت وعظمت كلمته فوق التمام وغاية الغايات اذ به تمام كل شيء وحق كل حقيقة
وفي كل ذي ضوء وفي كل دواء كل مرض وعين هاهنا دقيقة وهي ان الجسمانيات جواهرها واعراضها الفانية
وغيرها فطبائعها وآثارها الطبيعية لا يكون حدوثها الا تدريجا شيئا فشيئا كالحركة التي هي خروج
من القوة الى الفعل يسيرا يسيرا فاما الابداعيات فانما يحصل كونها وخروجها الى الفعل دفعة كما قال
وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ومتى كان الامر كذلك كان حدوثها عن الله شبيها بحدوث الحروف التي
لا يوجد الا دفعة اي الآن الذي لا ينقسم فلهذه المشابهة كانت تسميتها عين بيدها اقيمت
تعبيرا لمناسبتها بالكلمة ووصفت بالتامة ثم هاهنا سر آخر وهو ان الكلام ليس امرا خارجا عن
ذات المتكلم بما هو متكلم وان امكن اعتبار غيره فكذا كلمات الله وهي جملة عالم الامر فليست هي من حيث
هي كلمات الله الاشراق ونور عظمته وكبريائه وحجب جلاليته فليست هي من جملة العالم وما سوى الله بهذا
الاعتبار ولا يعتريها الدثور والحدثان ولا التعدد والامكان ولا تقبل الا القدوسية العلية
فيحسن الاستعاذة بها واما باعتبار ما ينوب عنها ويظهر منها من الآثار المختلفة والاجرام والنفوس
المتكثرة والصفات الموصوفة لانواع الجسمانية فهي امور متكثرة بحسب تكثر الانواع الطبيعية التي للفلكيات
والعنصريات وهي بهذا الاعتبار من جملة عالم الجسمانيات الحادثة المتغيرة ويكون حادثة متغيرة
حسب حدوثها وتغيرها وتحقيق هذا المطلب مما يفتقر الى علوم جمة عقلية ومقدمات
حالتها كثيرة برهانية وكشفية قد ذكرنا طرفا منها في الشواهد الربوبية وفي رسالة علمها في حدوث ما سوى
ما سوى الله حدوثا متجددا زمانيا فاذا تقرر هذا فقد انكشف ان الاستعاذة بكلمات الله على حسب
ويليق لان الاستعاذة بها من حيث هي كلمات الله وامره استعاذة بربهم لا بغيره بما سواه واما الاستعاذة
بها من حيث هي موجودات ممكنة بذواتها موجودة بوجود جوهري امكاني افتقاري فلا يحسن ولا يليق

في يكون الاستعاذة لانها استعانة بغير الحق ومن استعان بغير الله ذل تنبيه ثم لا يخفى عليك
فطانتك ان قول العبد اعوذ بكلمات الله انما هو من حيث هي موجودات متغايرات مغايرات لما
يلاومه ويليق به اذا كان بعد غير واصل الى حقيقة المعبود بل في مقام الرجوع التام ويكون متوقفا في نظره
الى التفات الى وجوده بنفسه وقاصد حظه واما اذا تغلغل في بحر التوحيد وتوغل في بحر الحقائق وصار بحيث
لا يرى في الوجود الا الله الواحد لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا اليه ولم يعول الا عليه فلا جرم يقول اعوذ
بالله واعوذ من الله كما قال النبي صلعم اعوذ بك منك ثم اعلم ان في هذا المقام ايضا يكون العبد باقيا
في قلبه اشتغال بغير الله ومقام الانبياء والاولياء صلوات الله عليهم وعليهم السلام اعلى واجل من
هذا المقام ولذا نرى بعضهم الاستعاذة والدعاء والمناجاة وما نرى عنهم انما فعلوا للائمة واما عند
نزولهم احيانا الى مقام البشرية ومباشرة الخلق بما دام الولي في هذه الحقوق الدنيا وورود البلاء من الرتبة
اعلى من ان تشتغلوا بالمناجاة او ان يستعيذوا بالله من الشدايد لان من كان في هذه المرتبة كانت
قبلته في دعائه واستعاذته طلب رحمة لنفسه او دفع اذى عنه فهو بعد اسير الهوى معتكف على طلب ما هو
الاولى لنفسه انه … يخوف وتارة يسلبه الرجاء وهذه كلها اشتغال بغيره فاذا ترقى العبد عن هذا
المقام وفني عن نفسه وفني الفنا عن فنائه عن نفسه فحينئذ يترقى عن مقام الاستعاذة ويصير … فانه نور
السموات والارض … رسول الله صلعم لما قال في سجوده اعوذ بك منك ترقى عن هذا المقام قال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك الركن الثاني في المستعيذ واعلم ان القران والاخبار يدل على ان كل انسان يجب عليه ان
يستعيذ بالله بقوله اعوذ بالله امر لعباده ان يقولوا ذلك فيدل على انه يجب عليهم ذلك ولان نبينا
امر نبينا صلعم بالاستعاذة … فقال قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون وقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وقال في سورة الاعراف واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال في سورة حم السجدة مثل ذلك فهذه الايات دالة على انه صلعم مامور
بالاستعاذة بالله سبحانه والامر بها الدائم بها للامة اذ لا خصوصية بالاستعاذة به دون الامة ولانه حكى عن
نوح … انه قال اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم وحكى عن يوسف انه قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي وقوله
لما قيل له خذ احدنا مكانه معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وحكى عن موسى انه لما امر قومه
بذبح البقرة وقالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وانه لما خوف فرعون القوم
قال اني عذت بربي وربكم ان ترجمون وفي اية اخرى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن
بيوم الحساب وحكى ان ام مريم … امرأة عمران قالت واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم وان مريم لما رأت جبريل في صورة بشر يقصدها في الخلوة قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا جميع ذلك على وجه المدح والامتنان فهذه الايات دالة على ان الانبياء عليهم السلام ومن

يحل

يحلو حله وهو من الاولياء كانوا ابدا في الاستعاذة بالله من شر شياطين الانس والجن
واما الاخبار في ذلك فاكثر من ان يحصى واظهر من ان يخفى واعلم ان المستعيذ هو النفس الجزئية
للانسان الخائفة من الشرور لانها مضطربة من هذا العالم من جهة تعلقها بالاشياء الجسمانية
ذوات التغيير والواقعة في صقع الفلك واما عالم القضاء الالهي وعالم الامر الرباني وكلمات الله
التامات فهي بريئة من كل الوجوه عن الشرور والافات واما النفس الناطقة العاقلة المطمئنة
الراجعة الى ذاتها المرتبطة الى ربها فهي متبرئة الذات عن خوف الشرور لها فارغة
الى العود والاعادة فان كل راجع الى … فهو خالي … وكل امر عقلي فهو موجود في عالم الامر
والقضاء مجرد عن عالم الخلق والمساحة والتقدير وكل ما هو كذلك فلا يوجد له شيء مزاحم ولا ضار
على مصادم فيكون … الا … لذاته من غير عائق ودافع ومن هنا علم ان الشيطان
ليس من المجردات والا لم يكن شر الاحد ولا مصادما لشيء ولم يكن شر الشيء وهو بنفسه ايضا ذو شر
وآفة … الركن الرابع في المستعاذ منه لما علمت ان المستعاذ منه من الامور …
يجب القضاء في عالم الخلق والتقدير من الشرور اللازمة او العارضة سواء كانت من الاشياء القارة ذوات م
الداخلة في باطن الانسان واما كقواه المدركة والمحركة التي رئيسها القوة الوهمية المطيعة
لاغواء الشيطان ووساوسها الباطلة المنبعثة له في قضايا … الكاذبة الاعتقادية وغيرها
المشتملة بما يورده عليها من باب الوصل بالشر والابعاد بالخير والامر بالمنكرات والنهي عن
المعروفات وغير ذلك من الامال والامال او كانت من الاشياء الضارة الخارجية عنه سواء
كانت انسانية كالاعداء والخصوم الدينية والدنيوية او حيوانية كالوحوش السباع و
الموذيات مثل العقارب والحيات ونباتية كالسموم المهلكة والادوية الضارة او جمادية
كالسيف والسهم والسكين وغيرها او كانت من الاجسام البسيطة فلكية كانت كالشمس والقمر
في تاثيراتها الضارة من التسخين المفرط والترطيب المفرط وكالكواكب في نحوسها ووبالها واظلامها
وانقضاضها والمخصبة في اوقاتها الخاصة التي يحدث منها الاثار المضرة بالانسان او عنصرية كحرق النار
وطوفان البحار وسقوط الجبال وعصف الرياح الشديدة وكثرة الامطار المخربة للبلاد وخسف الارض
بالزلازل والصواعق وما يجري مجراها فهذه الموجودات كلها انما يتضمن خيرات كثيرة ويتضمن
شرورا في بعض الاوقات فلهذا يجب للانسان ان يستعيذ منها جميعا دل عليه ما روي عن رسول الله
صلعم كان يقول هذه الكلمات التي علمه جبرئيل لما اسري به ليلة المعراج وهي قوله اعوذ بوجه الله الكريم
وبكلمات الله التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض
وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير

وروي ان كعب الاحبار كان يقول اعوذ بوجه الله العظيم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر
ولا فاجر وباسمائه كلها ما قد علمت وما لم اعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ انما يدل على انه يجب على
ان يستعيذ بالله من جميع هذه الشرور الواقعة في عالم الخلق المنتفية عن عالم الامر انه قد امر الله
نبيه صلعم في سورتي المعوذتين بالاستعاذة من كلها واشار الى مجامع اقسام هذه الشرور مجملة
ومبينا فقال قل اعوذ برب الفلق الى آخر المعوذتين اي قل الوذ بجنابه الصبح وهو نور الوجود وهو
الله كما ستعرف بعد ذلك من نوائب خير نحو الطلعة الصادرة منه بالقصد الاول وما قال الموجودات
الصادرة منه وهو عالم الامر وقعنا انه ليس فيه شر اصلا كما ترى اللهم الا ما كان مختفيا تحت سطوع
النور الاول وهي الكدورة اللازمة لمهيات الممكنات الناشية من نقص هوياتها الوجودية عن
هوية الالهية ثم بعد ذلك تنادي الاسباب بعضها ومنها الى سود لازمة عنها بحسب نقصانه
الاولية فلذلك الاجمعي فقال تعالى من شر ما خلق فجعل الشر في ناحية الخلق والتقدير جملة
لان عالم الامر خير كله كما مر فامر نبيه بالاستعاذة من موجودات عالم الاجسام على الجملة ثم عمد
الى ما هو اخص منها في الشرية وامر نبيه بالاستعاذة منه وكان من شر غاسق اذا وقب والمراد
بها مبادي الشرور الداخلة في بدن الانسان من القوى الجسمانية والقوى الظلمانية فان النفس
الانسانية الناطقة خلقت في جواهرها نقية صافية قابلة لانوار الحقايق وصورها
الحقة مفرهة الماده كما علمت وتلك اللطافة والانوار لا يزول عنها الا بهيئات ترتسم
في جوهرها من معاشرة هذه القوى الداخلة مادة بدنها فتكون تلك الظلمة متصورة عليها
من هذه الغواسق الظلمانية ثم لما ذكر ذلك اولا عقب ذكرها بما هو اخص منها في الشرية
وهي القوى النباتية بخصوصها فقال ومن شر النفاثات في العقد فان هذه القوى هي سبب
ميل كل شيء وكل ذلك يزيد البدن وتنوع وتموج واردات وافعال الاشر والبدن عقد حصلت من
انعقاد تلك العناصر المختلفة المتنافرة الى الانفكاك والنفاثات فيها الموجبة لازدياد مقدارها
هي القوى النباتية لان النفث سبب لازدياد جوهر الشيء زائدا في المقدار في جميع جهاته ثم اشار
الى القوى الحيوانية بقوله ومن شر حاسد اذا حسد فان اصل الحسد انما ينبعث من النزاع الحاصل
بين القوى الحيوانية البدنية الموجبة للغلبة والرياسة والشهوة وبين النفس الناطقة المدركة
لعواقب الامور وهذا النزاع منشأ اولا بين آدم وابليس فهو الداء العضال الذي لله بالاستعاذة
منه من شر الوسواس الخناس اراد بالوسواس ما يوقع الوسوسة كالقوة المتخيلة في الادراك والتحضر
الموسوسة للمنافع فانها مستعملة في النفس الحيوانية بحركاتها مركبة على خلاف ما تقتضيها توجه
النفس الناطقة المفارقة المتوجهة الى المبادي العالية والموسوس الخناس انما ياتي بوسوسته

الى النفس

الى النفس بواسطة الموسوس الداخل اي المتخيلة والمراد من الصدر هو مسكن النفس الحيوانية
وكرسيها كما ان القلب عرش النفس الناطقة وتاثير الوسوسة لا يصل الى القلب بل الى الصدر
ولذا قال الذي يوسوس في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس فان اصحاب القلوب لا يوثر فيهم
الوسوسة ثم قال من الجنة والناس تنبيها على القسمين اشارة الى القبيلين تنبيه
اعلم ايها المستعيذ بمعوذ حضرة الله من شرور عالم الاكوان ان هذه الشرور مختلفة ومراتب الشرية
وكلما كانت شريته اعظم يجب الاستعاذة منه اكثر ومعلوم ان شرور الاخرة اشد من شرور الدنيا
بل لا نسبة بينهما كما لا نسبة بين خيرات الاخرة وخيرات الدنيا لان البقاء الاخروي غير متناه في
خيراتها ولذاتها عقلية او مثالية باطنية وعالم العقل عظيم الفسحة وكذا الطبقات العلية
ولذاتها ولذات المقربين والابرار ولا نسبة لها الى اهل الجبروت والملكوت من الملائكة المقربين
والانبياء المرسلين والاولياء الكاملين سلام الله عليهم اجمعين ومن يتلوهم من السعداء
الصالحين من ملاحظة جمال الله وجلاله وحضرة رب العالمين الى ما ينال اهل الحواس الخمس من
البهايم والسباع والدواب والانعام ومن يحذو حذوها من لذات البطن والفرج والرياسة
في هذه الحيوة الفانية المشوبة بالكدورات الممزوجة بالآفات فالاستعاذة بالله من ما يضر في
الاخرة ويضاد للسعادة الآجلة يجب ان يكون اشد من الاستعاذة من ما يضر في الدنيا ويضاد
للسعادة العاجلة على النسبة التي بين خيرات النشأتين وشرورها ثم ان اعظم تلك الامور تاثيرا
في الاضرار بجوهر النفس الانسانية بحسب النشأة الاخروية هي الاشياء الداخلة في اهليها الجارية
مجرى الدم في عروقها وهي القوى الحيوانية المدركة والمحركة المسماة النباتية لم يتخيلها رجال لانه
جميعها ان لم ترتض بالرياضات الدينية ولم تتادب بالآداب العقلية كانت من اعداء الله واولياء الطاغوت
وجنود الشيطان لانها واقعة في عالم البعد ومهوى الشياطين وهي مفطورة مطبوعة على افعال
داعية مهوية مبعدة للانسان عن دار الكرامة ومحل القرب من الله ومنبع الخير والنور فلا جرم
تحت دعوة الشيطان الذي هو رئيس الظلمة وولي اهل الظلمات فيجب على الانسان ان يستعيذ الله
الاستعاذة من شرور هذه الامور الداخلة في هيكل الانسان وهي التي تكون آلة له ومعينة اياه
في سفره الى الحق وشيئا عليه من وجه فمن وجه كانها له ومن وجه كانها عليه ولكن الحكم الشيطاني
ولاجل ان سبيل اثر هذه القوى النفسانية والحيوانية واصلها هو الشيطان وهي من توابعه وجنوده
عند تعصيها عن طاعة العقل المنور بنور الشرع فيكون شرورة منه او انه امر منه فوقع الاستعاذة
تارة منه كما في قولنا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتارة من هذه القوى كما في قوله قل اعوذ برب
الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب الى قوله ومن شر حاسد اذا حسد ويقرب من هذا

قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون الركن الخامس مما يستفاد له
وهي العلة الغائية للاستعاذة اي المطالب التي لاجلها يستعيذ الانسان بالله وكلما
من ما هو شر وبال الروح اعلم ان الانسان مما فطره الله بحيث يكون فيه استعداد كل صفة وحالة هي
كل فضيلة وكمال من شرف وفضيلة الا وفي الانسان قوة ذلك واصله وفيه بذره واستعداده
من اول الامر وسبب انه كون نسخة ذلك سر الهي وفطرة ربانية مودعة في جبلته في فطرته الاصلية ولما
اذا مرت عليه احوال الدهور ومضت عليه سنون وشهور فاما ان يخرج بعض هذه الكمالات او كلها
من القوة الى الفعل او يخرج معها بالانها واضدادها كلا او بعضا من القوة الى الفعل اذ القوة
على كل شيء هي قوة ان ينفعل مقابله وعند هذا اما دام في هذا الكون الدنياوي واما اذا خرج من الدنيا
فقد بطلت قوته وزال استعداده فهو اما سعيد بالفعل او شقي بالفعل فاذا تقرر هذا فاعلم ان
مطالب الانسان غير متناهية ومقابلاتها غير متناهية يجب عليه ان يستعيذ لاجل كل مطلوب منها العوذ
عنه ويمنعه سواء كان وجوديا او عدميا فلا خير من الخيرات الا وهو يحتاج الى تحصيله ولا شر من الشرور
الا وهو يحتاج الى دفعه عنه وابطاله وذلك في اوايل النشوء ومبادي تكونه واما عند رسوخ بعض الصفات
والاخلاق وتاكد بعض من الملكات فلذلك لا ينفع التعويذ والتحذير لبعض الناس كما لا ينجع فيهم
الدعوة والتاديب والارشاد والتهذيب لبطلان قوتهم وزوال استعدادهم لجانب الفضيلة و (التهذيب)
الكمال بتكرار اعمال قبيحة صدرت منهم بعينها لنفوسهم هيئة مضادة لها من باب الرذيلة والوبال
كما قال مخاطبا لمن هو مبعوث لهداية الخلق وتقريبهم وارشادهم عليه وآله الصلاة والسلام
انك لا تهدي من احببت وانك لا تهدي العمي عن ضلالتهم وقوله ان الذين كفروا سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وغير ذلك من الايات الدالة على بطلان الاستعدادات ومسخ البواطن فعلم ان الانسان
بحسب مبادي خلقته مختص من بين ساير الموجودات في احتياجه الى تحصيل جميع الخيرات و
الاستعاذة من جميع الشرور فليس كذلك المفارقات العقلية والكمل المقربون من اهل الاخرة (اما غيره لعلها)
فكلا انهم كمالها حاصلة لها بالفعل ولا حاجة لهم الى الاستعاذة من شر وآفة اذ لا يتصور فيها
امكان لحوق شيء منها واما النفوس الفلكية ونفوس السعداء في الاخرة فهي وان كان لهم نوع من
القوة والنقصان لان فيها نقصانا لانها منجرة على التدريج بما يرد عليها من مبادي كما لاتها الذاتية
لانها مستكفية بذاتها ومباديها الذاتية لا يعتريها آفة وشر من خارج واما النفوس الشقية
الاخروية فهي اما شريرة بالفعل كالكفرة والشياطين واما منحطة عن ان يكون لها قوة
الارتقاء الى درجة الكاملين في الخيرات واما النفوس الحيوانية والنباتية وما هو اسفل منها.

من الصور

من الصور الطبيعية للاجرام البسيطة والمركبة فيلحق ان ليس ولا يكون في شيء منها قوة الارتقاء
الى الخيرات العالية الاعلى اصلا وبالجملة كل من كان عالم الخلق والامر معلوم وليس
لاحد منها خاصية استعداد الترقي الى كل الكمالات والتطور بكل الاطوار الا لبعض افراد البشر فقوله
اعوذ بالله ينبغي ان يكون متناولا لدفع جميع الشرور كلا مات الروحانية والجسمانية وكلها
امور متناهية غير متناهية وتفاصيله وذلك لان الشرور المقابلة للخيرات اما ان يكون من الاعتقادات
في النفوس او من باب الاعمال الصادرة من قوى النفوس والابدان او الانفعالات الواردة على الانسان
من خارج اما القسم الاول فيدخل فيه جميع العقايد الباطلة وهي غير متناهية لان المعلومات غير متناهية
كل منها يمكن ان يعتقد اعتقادا صحيحا ويمكن ان يعتقد اعتقادا باطلا او خطا ويدخل فيها جميع
الآراء والمذاهب الباطلة لفرق الضلال كلها فان الفرق منها اثنان وسبعون في هذه الامة وما
سواها خارج عنها فقوله اعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واما القسم الثاني
المتعلق بالاعمال النفسية والبدنية فمنها ما يضر في الاخرة ومنها ما يضر في الدنيا والاخرة اما
الاول فكل ما نهى الله عنه بحسب نص الكتاب والسنة والاجماع وفرعه من القياس وبحسب ما يستنبط
من هذه الاصول بالاجتهاد وهي خارجة عن الحصر والضبط واما الثاني فهو جميع الالام والاسقام
والافات والمتاعب والمشاق وهي خارجة عن الحصر كما يدل عليه الاحاطة بمسائل الطب وغيرها
ويظهر ههنا ان في كل واحد من الاعضاء بل في كل جزء صغير منها انواعا من الامراض والاسقام والاوجاع
واما القسم الثالث فيجمع لذلك جهات الواصلة اليه من حرق وغرق والقتل والنهب والشتم
وآثار الجور والظلم والبهتان والافتراء عليه وشهادة الزور في حقه والسرقة والاملاق
والايلام والهلاك والبغضاء وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى فقوله اعوذ بالله يجب ان يتناول
كلها ويجب ان يتناول على كل عاقل ان يستحضر منها واذا اراد ان يقول اعوذ بالله يستحضر هذه
من الاجناس الثلاثة وانواعها والانواع انواعها واعدادها التي لا حد لها ولا عد ثم يعرف ان
قدرة جميع الخلايق عن دفع شيء من هذه الاقسام فيلتجي الى العليم القدير الذي شملت قدرته
لجميع المقدورات وعلمه محيط بها فيقول اعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر ما علمت وما لم اعلم
فصل في ان الاستعاذة كيف يصح على مذهب الجبر ومذهب القدر اما على مذهب الجبر فلان الملحدين
ان يقول اعوذ بالله يبطل القول بالجبر من وجوه الاول انه اعتراف بكون العبد فاعلا لتلك الاستعاذة
ولو كان خالق الافعال هو الله دون العبد فيكون قوله كذبا وايضا اذا خلق الله ضلالا في العبد
لا احد ضده واذا لم يخلقه امتنع تحصيله فلا فايدة في الاستعاذة الثاني ان قوله اعوذ اعتراف بكون
العبد موجدا لفعلها اذ الاستعاذة بالله انما يحسن اذ لم يكن خالقا للامور التي يستعاذ منها

وانما اذا كان هو فاعلها فيمتنع الاستعاذة منها والا لكانت الاستعاذة بالله من الله
الاستعاذة بالله من المعاصي وهي من قضاء الله يستلزم ان لا يرضى العبد بالقضاء والرضا بالقضاء
واجب الرابع ان الاستعاذة بالله من الشيطان انما يحسن لو كانت الوسوسة فعله واما اذا كانت فعل
الله ولم يكن فعل الشيطان ولا اثر له فيها فكيف يستعاذ من شره بل يجب ان يستعاذ من شر الله لا من غيره
اذ لا اثر الا منه الخامس ان الشيطان يقول يا الهي ان كنت ما فعلت شيئا الا الوسوسة بالاضلال
فقبلت بدل الوسوسة مني ولا قدرة لي على مخالفة قضائك وحكمك فتوقعك كيف يمكن قضاءك
وسعيها وقلت يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقلت وما جعل عليكم في الدين من حرج فمع هذه الاعذار
الظاهرة والاسباب القوية كيف يجوز في عنايتك ورحمتك ان تذمني وتلعنني السادس يحصل لي
يا الهي مرجوما ملعونا بسبب جرم صدر مني او لا بسبب جرم صدر مني فان كان الاول فقد بطل الجبر وان
كان الثاني فهو محض الظلم وقد قلت وما الله يريد ظلما للعباد فكيف يليق هذا بك وانا على موالي
القضية فالجبريات يقولون انا لا نسلم الاحكام التي ذكرتموها فانها الزامات عليكم من وجهين الاول ان قدرة
العبد اما ان تكون صالحة لاحد الطرفين فالجبر لازم واما ان يكون صالحا لهما فرجحان احد الطرفين
على الاخر ان كان لا لمرجح فقد احال ذلك كان هو عين التفضيل والتقييم وان كان هو لله فقد انقطع فعل الله يوجب
يعني الفعل واجب الوقوع وعند الايجاب يصير ممتنع الوقوع فحينئذ يلزمكم كل ما ذكرتموه وان كان الرجحان
لا لمرجح فهو باطل من وجهين الاول انه يسد باب اثبات الصانع للعالم اذ من دخل على ان رجحان احد
طرفي الممكن على الاخر يحصل من غير مرجح والثاني ان على هذا التقدير يكون وجود ذلك الرجحان واقعا
على سبيل الاتفاق ولم يكن صادرا عن العبد واذا كان الامر كما ذكرنا فقد عاد الجبر المحض الوجه الثاني
في السؤال انكم سلمتم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات ووقوع الشيء على خلاف علمه يقتضي انقلاب علمه جهلا
وذلك ممتنع والمؤدي الى الممتنع ممتنع فكل ما ذكرتموه لازم عليكم ايضا ثم قال الامام رحمه الله عليه
لا محيص عنه واعلم يا ولي اعانك الله واعاذك ان ههنا سرا وهو ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية
لو كانت بالعبد يلزم الاستغناء عن الصانع والقول بالجبر يلجئ الى القول بالقدر لعدم وجوب
تنبيه من العقول اصحاب الفكر وارباب البحث والنظر لا يمكن لاحد منهم التخلص من هذا المقام الا من عصمه الله تعالى من الهلاك وعلمه طريق السلامة والنجاة
وذلك لان ابتلاء بهذه المعرفة الى معرفة توحيد الافعال ثم الى الصفات ثم الى الذات فيقول عند ذلك
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه واستعاذته اللهم اني اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك نكتة ومن اللطائف المستنبطة
في هذا المقام ان الله جل اسمه لما ابتدأ خلق السموات سبع طباق جعل ايام الاسبوع والاوقات
الانساني الذي هو عالم صغير سبع مراتب شغلها بوظائف الطاعة والاذكار فمن تأمل في تلك ذلك

اليه

السبعة مع ما فيها من الامواه والمتحركة باعصاب وعروق معنوية واوتاد وربطات غيبية متى
يقبض انقبضت ومتى بسطت انبسطت ومتى ارسلت استرسلت يتنزل الامر بينهم كما يتنزل
هنا الملائكة اذ قيل في الاخبار المستفيضة ان الملعون لعنه الله كان له فيما مضى الولوج في طباق
السموات كلها فلما ولد المسيح روح الله على نبينا عليه السلام والصلاة حجب عن اربع سموات وبقي له
ثلث طبقات يلج فيها ويتصعد منها مقاعد للسمع ونظائر هذه الثلثة في العالم الانساني المرتبة التي
دون الروح اعني القلب ومحل النفس ومحل الطبيعة وانما حجب عنها فالروح وفوقها السر وفوقه
الخفي وفوقها الاخفى فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحقيقة المحمدية حجب ابليس وجنوده من السموات كلها
فلم يبق له ولوج وعروج في شيء منها وبقي الارض الجسمانية يسيح فيها متحيرا لمجاريها يجري من الانسان
مجرى الدم وقال صلى الله عليه وسلم ان يضيقوا عليه تلك المجاري بالجوع والعطش وفي قول فضيقوا
مجاري الشيطان بالجوع فقد اوصد له كل مرصد واخذه كل ما اخذ حتى كاد ان يجليه من الارض
وذلك لما اشار النبي صلى الله عليه وآله في بعض دعواته ونورا في شعري ونورا في دمي ونورا في لحمي
فلما كان الشيطان فيما مضى الولوج في طبقات السموات كان يهتف من الداخل ومن داخل الداخل كما
يهتف من الخارج فكان الاستعاذة من هواتفه وهو اجسم مما بطن وما ظهر
جدا واما اليوم فحيث النبي صلى الله عليه وسلم والاثار التي المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فلا ياتيك الا من جانب الغيب
وهو الجسم الامر خارج ابواب القلب والنفس والطبع فليس عليك الا سد مجاريه بترك الشهوة
وحب الجاه والرياسة وهذه منبعثة من اهل خارجة من بواطن الانسان لانها حاصلة من الارض
في الاكل والشرب وطلب الهوى فينقطع مواد هذه الامور والجوع بالصوم كما مر في الحديث المذكور
وكما يعلم من قوله الصوم جنة من النار وكذلك سهل على الشيطان اليوم التمييز بين الهواتف والالمات
والفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فليس عليك الا تمييز واحد وذلك ان تميز وتفرق ان الهاتف
الهاتف هل اتاك من داخل او من الخارج او داخل فان تبينت انه قد اتاك من داخل فثق به واعتمد
عليه فان كل هاتف ياتيك اليوم من داخلك فهو من ملك مكرم من العالم العلوي وهذا القدر من الفصيح
يسير على من يسره الله له فهذا ما دل على ان الاستعاذة من شر الشيطان مختصة بهذه الامة المرحومة
دون سائر الامم لان مطاردة مرجوم عن سماء باطنهم وهذا يجب عليهم ان يقولوا اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم نكتة روي ان الله تعالى يقول يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل على بستانك
بل انزلت معرفتي فيه فكيف ابخل ببستاني عليك وكيف امنعك منها وقد خلق الله تعالى كيفية نزول العبد في
بستانه في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولم يقل عند الملك كما ذكره الشافي في ذلك
اليوم اكونه مليكا مقتدرا وحبيبا ما يكون من هو كالا القلب حتى قال في الجنة اعرف هذه الكلمة يقول

المشاهدة ومن الواصلين الى العين دون الشاهدين للاثر انتهى كلامه وفيه ايضا قال آثرنا
الاختصار في مقام حرست فيه السن الفصحاء وانتهينا الى تبيان ما يحتاج اليه والله الموفق
والادعاء اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا بصيرتكم اعلم ان الانسان مركب من جسد كالمركب
وروح كالراكب وهو منذ خلقه الله في سفر الاخرة وغاية سفره لقاء الله هذا خلق وعليه فطر جسد
وهو المقصود من الروح والمقصود من الجسد اكتساب المنافع واقتناء الخيرات والتخلص عن الرذائل
والآفات وهو المعني بالعبادة والطاعة فلاجرم كان افضل احوال الجسد ان يكون مباشرا للاعمال
المقربة للروح الى الله تعظيما للمعبود وخدمة له وهو اول درجات السعادة للانسان وهو المراد
بقوله تعالى اياك نعبد وافضل احوال الروح ان يكون مرتبطا بالحق متعلقا به منقطعا عن غيره متجردا
عن الدنيا وما فيها فاذا واظب على تحصيل هذه المرتبة وداوم على تجريد ذاته وتخليصها عن العلائق
المادية والغواشي الدنيوية فعند ذلك يظهر له شيء من انوار القدس ولوامع الغيب فاذا تنورت ذاته
بنور المعرفة والعبادة يعلم ان صعود الشوق الى عالم الملكوت وحركات ذاته لطلب التقرب اليه تعالى
ولا يكون الا بالله مقلب القلوب ومحرك النفوس وانه بنفسه لا يستقل الاتيان بشيء من العبادات والتوقيع
على هذه الدرجات ولا يمكنه الاتيان بتحصيل شيء من الكمالات العلمية الا بتوفيق الله وعنايته
وعصمته وهو المراد من قوله تعالى واياك نستعين وفيه ايضا جعل لاهل التوحيد الافعالي كما قال
بعض العرفاء الموحدين ولولا ان الصلاة في الاستطاعة والافعال والاشتغال لما
انزل الله علينا تكليفا قط ولا شريعة وهذا اجل حظ المؤمن من هذه الدعوى انه يقول اياك نستعين
بحظ العرفاء المكاشفين ممن وقع عنهم التبري من الافعال الظاهرة وجودها منهم ان يقولوا
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذا القول لا يصدر على وجه الصدق الا عن اولئك الكاملين
العارفين بهذا التوحيد الافعالي فهو لهم خاصة دون غيرهم فكم بين الحالين بين التبري والدعوى
فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه والمتبري غير مطالب بذلك ولا تقل ان التبري ايضا دعوى فان
التبري لا يستدعي شيئا وعلى ذلك لا يطلق اسم التبري انتهى كلامه وبالجملة فالمراد من قوله اياك نستعين
طلب المعونة من لا عوض للمناهج واقوم الطرق الى الله وفيه كما وقع الالتفات عند بعض فيما يتلو
بصيغة التكلم في هذين الفصلين اما الاول ففيه واسمه اولا الامام وما هو
صلى الله عليه وآله ما عن مسعه للقاري وهو معه من الحفظة اوله ولسائر الموحدين الى حيث علم في عباداته
في تضاعيف عباداتهم وخلطها حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببركاتها وتجاب اليها كادراج البائع غير الرائج
في جملة الرائج في بيع الصفقة ومن هنا يعلم سر شرعية الجماعات ولتقديم ضمير المعبود والمستعان
به وجوه اخرى غير ما ذكر كالتعظيم وتقديم ما هو مقدم في الوجود والاشارة الى ان نظر العابد

والتفاتة

والتفاتة ينبغي ان يكون مقصورا على ذات المعبود اولا وبالذات ثم الى العبادة لانها وسيلة
تقع صلة بينه وبين الحق فمن كان غرضه من المعرفة والعبادة نفسه او نفس شيء منهما فهو ليس
من الموحدين ولا من العابدين لانه يعبد غير الله وهذا حال المبتهج بزينة ذاته وان
كان بمعرفة الحق واما من عبد الله وغاب عن ذاته وعن عبادته فهو مستغرق في المعبود بتوسله بما هي
عبودية له وانتساب اليه بنسبة الفقر والحاجة التي هي من اشرف النسب فان قصارى مجهود
العابدين تصحيح هذه النسبة ومن كان بهذه الحالة في العبادة فهو من الواصلين لا بحاله اذ ملاحظة
النسبة بما هي نسبة عين ما لاحظ المنسوب اليه فهو بالحقيقة مستغرق في ملاحظة جناب القدس
وغائب عن ما سواه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوال نفسه الا من حيث انها ملاحظة
له ومفتقرة اليه ولهذا رجح قول حبيب الله لا تحزن ان الله معنا على قول كليمه ان معي ربي سيهدين
وبالجملة اشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية والسبب العقلي فيه ان جميع الموجودات
قابلة للرحمة الالهية والكمال الوجودي بحسب فطرتها الامكانية وانما المانع منها عن قبول الفيض
الاتم والجود الاشمل هو تقيده بقيد خاص وتصوره بصورة وجودية مخصوصة تضاد قيدا
آخر وصورة وجودية اخرى فبقدر تخلصه من قيد الجزئية وانخلاعه عن صورته المخصوصة
يستحق الكمال الاتم واعم وصورة وجودية اشمل واكمل فاذا تجرد عن كل ما سوى الله وغاب
عن كل اسم ورسم وحلية وصفة وحول وقوة كان الله له بدلا عن جميع ذلك فصار الحق حوله
وقوته وسمعه وبصره ويده ورجله وجميع قواه وجوارحه كما ورد في الحديث القدسي من غير تغير
وتكثر في ذاته وصفاته تعالى من ذلك علوا كبيرا ولهذا امثلة كثيرة منها ان الهيولى الاولى
للاجسام لما كانت في ذاتها عارية عن كل صورة حسية وصفة جسمانية قبلتها كلها
بخلاف المواد الثانوية لها من حيث استعدادها الخاص لا يقبل الا صورة واحدة فكذلك النفس
الانسانية التي هي هيولى العقليات من شأنها ان يقبل جميع الصور العقلية والكمالات الملكوتية
والاخلاق الحسنة كلها الا ان تقيدها ببعض الصفات واحتجابها بحجب بعض الملكات يمنعها
عن الاتصال بما فوقها ومنها ان العناصر اذا امتزجت وتفاعلت وانفعل كل منها عن صاحبه
انكسرت كيفياتها وكادت تخلع عنها صورها المتضادة الجزئية فعند انكسارها وشدة افتقارها
الى ما يحفظها عن الفساد افاض عليها المبدأ الجواد صورة كمالية جامعة لكمالات تلك العناصر
المتعددة بوحدتها الجمعية وقس عليها حال النفوس المتعددة اجتماعها في بيوت العبادة
ومجالس العلم والذكر وتركها اشواغلها الدنيوية كيف يفاض عليها ببركة الهيئة الجمعية
وينكشف عليها صورة المسألة العلمية التي هي اشرف من تلك الشواغل ومنها ان الجسم الملون

من تهم يستهزؤن والناس فيما يعشقون مذاهب الا ان مذاهب اهل الله شتى آخرة ودينهم دين خاص
بل لا مذهب لهم الا الله ولا دين لهم سواه الا لله الدين الخالص مذاهب شتى للمحبين في الهوى
ولي مذهب فرد اعيش به وحدي وهم عباد الرحمن بالحقيقة وغيرهم عبدة المذاهب والآراء
وطالب النفس والهوى لان عبادة الرب وطاعته فرع معرفته وطلب غيره ان طلب الحصول عما
فمن لم يكن عارفا بالله ولا عارفا بالملكوت فكيف يحبه ويطلبه ويعصل الشرع اليه وتولاه ولكن
الحق لكمال رافته ورحمته لعباده وشمول عطفه وانبساط نور وجوده على الممكنات وتجلي وجه
ذاته لسائر الموجودات جعل لكل منهم مثالا يحتذونه ومثابة يقصدونها ومنهاجا لسلكونه وجهة
يولونها وقبلة يرضونها وشريعة يعملون بها فقال ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اين
ما تكونوا يأت بكم الله جميعا وقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الآية وقال كل حزب بما لديهم
فرحون وهكذا الحكم في اختلاف المشتغلين بعلم القرآن وتفاوت مراتبهم في بطونه وظهوره ولبابه
وقشوره لان كلام الله المعتبر بلغات ذاته فكما وقع الاختلاف والتفاوت في مذاهب الخلق واعتقاداتهم في
الله بين مجسم ومنزه ومتفلسف ومعطل ومشرك وموحد فكذا وقع الاختلاف والتفاوت بينهم
في الفهوم فهذا انما دل على كمال القرآن لانه بحر عميق متغرق في تيار الاكثرون وما يجاوزه الا الاقلون
ولا يعلم تاويله الا الله والراسخون سواء وقع الوقف على الله او لا اذ الراسخون اذا علموا تاويله لم يعلموا
الا بالله ولم يحيطوا بعلمه الا بعلم الله ذواتهم وانه كان يجل عن ذواتهم ولا يحيطون بعلمه الا بما شاء
والغرض من الكلام ان علم القرآن مختلف والاذواق فيه متفاوتة فتحت اختلاف اهل الاسلام في
المذاهب والاديان وكل حزب بما لديهم فرحون الا ان سائر المشتغلين به مشتغلون والا اهل القرآن
وهم اهل الله وحزبه في الاولى لانهم من اهل القول والعبارة وهؤلاء من اهل الكشف والاشارة
ومن اراد ان يتقحم لجة هذا البحر العميق ويخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور كان
عليه اولا ان يطلع على سائر التفاسير وتفحص عن عقائد كل فرقة من فرق ثلث وسبعين ويكشف
اسرار مذهب كل طائفة من طوائف المسلمين ليميز بين محق ومبطل ومقتصد ومبتدع ويكون
كما حكى الشيخ ابو حامد عن نفسه لا ينادي باطنيا الا ويريد ان يطلع على بطانته ولا ظاهريا الا ويقصد
ان يعلم حاصل ظهارته ولا فيلسوفا الا ويحرى الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا ويجتهد في
الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا ويحرص على العثور على سر صفوته ولا زنديقا
او معطلا الا ويتجسس للتنبه لاسباب جرأته في زندقته او تعطيله وكان لم يزل التعطش الى
درك حقايق الامور دابه وديدنه وغريزة له فطرة من الله وجبلة لا باختياره وحيلته تحلت
عن قبله رابطة التقليد وانكسرت عليه سفينة العقايد الموروثة على قرب الصبي من الآباء والاستاذ

هذا م

اذ قد راى صبيان النصارى لا يكون لهم نشو الا على التنصر وصبيان اليهود ولا نشو لهم الا على التهود
وصبيان المسلمين لا نشو لهم الا على الاسلام كما دل عليه الحديث المروي عن رسول الله صلعم كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاذا بلغ الى هذا المقام من التجرد والانفجار عن التلبس
في التمذهب باوهنه الكامنة فيه لغاية الاضطرار واشتعل بحيث تقلبه نار ابن رجل غضب على نفسه
لما راها بعين النقص والاحتقار وكان نبت نور الايمان في قلبه بعد ويضيء ولو لم تمسسه نار
فوقع عليه نور من نور الانوار وانكشف له سر من عالم الاسرار راى بذلك النور الجلي اصل كل
نظر دقيق وشاهد بذلك السر الخفي غاية كل شك وتحقيق ونهاية كل بحث عميق ولم يحصل له
الاقدام على معرفة اسرار القرآن العظيم واستيضاح لطايف كتاب الله العليم ومعجزة رسوله الكريم
عليه وآله الصلوة والسلام فضلا ان يخوض فيه ويغوص في بحار عجائبه ويستخرج درر
ومواقف يمكن لمحها على اعين الناظرين في سواحله واسماع الواقفين على جوانبه ومما ينكشف
منها الذي ذكرته هو قدر يسير بالاضافة الى ما لم ينكشف لانه تم انما اثره العجيبة فربما يجوز لها
الناظر بعين المروة والاشفاق من هذا الخفي في هذه الاوراق اوح كنت من اهله والا فضع
بصرك عن ملاحظة اسرار معرفة الله ولا ينظر اليها ولا تمرح في ميدان معرفة معاني القرآن
والقرآن واشتغل باشعار شعراء العرب وغرائب النحو وعلوم الادب والفروع ونوادر
الخلاف والشقاق وحيل الجادلة في البحث والمراوغة في الكلام وسائر الحكايات في
المواعظ التي فيها مصيدة العوام ومجلبة الجاه والحطام والغليث في الحطام فقد قيل
ان كان قيمتك مقدار همتك وقصدك على سمت قلبك ولا ينفعك نصحي ان اردت
ان انصح لكم كان الله يريد ان يغويكم من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
فصل الاسم الاسم موضوع في اللغة للفظ دال على معنى مستقل لانه مشتق من السمة
وهو العلامة فكانه كان منقولا لغويا نقل من مطلق العلامة للشيء الى علامة
خاصة وهو للفظ الدال عليه بالاستقلال ولما كان نظر العرفاء الى اصل كل شيء وملاك
امره من غير احتجاجهم بالخصوصيات وموادّ الاوضاع كان الاسم عندهم اعم من ان يكون
من ان يكون لفظا مسموعا او صورة معلومة او عينا موجودا ويشبه ان يكون مع فهم
يطابق عرف القرآن والحديث فان الاسم في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقوله
تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام يستبعد ان يكون المراد به الحرف والصوت
فما يلتئم منهما لانها من عوارض الاجسام وما هو كذلك يكون اخس الاشياء فكيف
مسبحا مقدسا والقول بكونه من قبيل مجاز الحذف او المجاورة النسبة بعيد من غير ضرورة

من غير ضرورة داعية مع وجود معنى حقيقي فاسم الله عندهم بمعنى متقدس من وصمة الحدوث
والتجدد متنزه عن نقيصة التكون والتغير فلهذا وقعت الاستعانة والتبرك باسمه تعالى في مثل
باسم الله اقرأ وبسم الله الرحمن الرحيم اقرأ وبسم الله اكتب وجرت العادة بالتوسل الى اسم الله لطلب الحوائج وكفاية
المهمات في مثل بسم الله الشافي بسم الله الكافي وفي الادعية النبوية باسم الله الذي لا يضر مع
اسمه شيء في الارض ولا في السماء وقد ثبت عند محققي العلماء ان المؤثر في جواهر الاكوان
ليس الا الباري جل اسمه والملك مقرب من ملائكته باذنه فلا تأثير للعوارض الجسمانية في الاشياء
الجوهرية ايجادا واعداما نعم الاذكار والادعية انما تؤثر من جهة معانيها وانفعال النفس عند
التذكر بمباديها الفعالة فعالم الذكر الحكيم منبع نجاح المهمات ومبدأ استجابة الدعوات لا
مقارعة الحروف والاصوات وتحريك الشفتين بالالفاظ والعبارات مع عدم ترقية المعاني مما يكشف عن
عن بعض الاسرار المتعلقة باسماء الله. فصل فاسم الله عند اكابر العرفاء عبارة عن مرتبة
الالوهية الجامعة لجميع الشئون والاعتبارات والنعوت والكمالات المندرجة فيها جميع الاسماء و
الصفات التي ليست الا لمعات نوره وشئونات ذاته وهي اول كثرة وقعت في الوجود وبرزخ بين الحضرة
الاحدية وبين المظاهر الامرية والخلقية وهذا الاسم بعينه جامع بين كل صفتين متقابلتين
او اسمين لما علمت سابقا ان الذات مع كل صفة اسم وهذه الاسماء الملفوظة اسماء الاسماء والتكثر
فيها بحسب كثرة النعوت والصفات وذلك التكثر انما يكون باعتبار مراتبه الغيبية وشئونه الالهية
التي هي مفاتيح الغيب ويقع عكوسها واظلالها على الاشياء الكونية فكل ما في عالم الامكان صورة اسم
من اسماء الله ومظهر شأن من شئونه فاسماء الله تعالى معان معقولة في عين الوجود الحق بمعنى ان الذات
الاحدية التي لا سبيل للعقل الى ادراكها بحيث لو وجدت في العقل وامكن له ان يلحظها لكان بحيث
ينتزع منها هذه المعاني فيصفها بها فالذات الاحدية مع وحدتها وبساطتها مصداق لحمل هذه المعاني
عليها من غير وجود صفة زائدة كما مر وهذه كسائر المفهومات الكلية ليست من حيث هي هي موجودة
ولا معدومة ولا عامة ولا خاصة ولا كلية ولا جزئية وليست هي كالهويات الوجودية التي هي حقائق ثابتة
بنفسها متشخصات بهوياتها لانها بمنزلة الاشعة والروابط لوجود الحق تعالى فعلى هذا مرتبطة
بل انها موجودة بوجوده واجبة بوجوبه بخلاف المعاني الكلية لانها قد يصير كلية وجزئية
في الخارج وقد تكون موجودة في العقل معدومة في العين ولها الحكم والاثر فانها الوجود والعين بل
ينسحب عليها احكام الوجود بالعرض ويتبع بنوره وينصبغ بصبغه من الوجوب والوحدة
والازلية قال بعض اهل الله الوجود الحق هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا من حيث اسمائه
لان الاسماء لها مدلولان احدهما عينه وهو عين المسمى والاخر ما يدل عليه مما ينفصل الاسم عن الاسم

آخر

آخر ويتميز في العقل فقد بان لك بما هو كل اسم عين الآخر وبما هو غيره فبما هو عينه هو الحق وبما هو
غيره هو الحق المتخيل الذي كنا بصدده فسبحان من لم يكن عليه دليل سوى نفسه ولا يثبت كونه
الا بعينه انتهى كلامه فنقول مراده من الحق المتخيل ما لوحنا اليك من ان كلا من مفهومات
الاسماء الالهية وان كان بحسب نفس معناه امرا مغايرا لصفة الوجود الحقيقي من الوجوب والقدم
والازلية الا انه تجري عليه في نفس الامر تلك الاحكام وينصبغ بنور الوجود الاحدي بالعرض لانه
صفاته عين ذاته وهذا النحو من العينية والاتحاد بالعرض غير ما اتفق الجمهور وجرى عليه اصطلاحهم
في الكتب العقلية فيما حملوا عليه بالاتحاد بالعرض لان ذلك عندهم جار في اتحاد العرضيات
والمشتقات المحمولة على موضوعاتها كاتحاد مثل الابيض والاعمى مع زيد مما يشترط فيه قيام
معنى المشتق بغيره وجوده حقيقة وانتزاعا ومعنى هذا الاتحاد ان الوجود المنسوب اولا وبالذات
الى زيد مثلا هو بعينه منسوب الى العرضي المشتق ثانيا وبالعرض اي على سبيل المجاز مع تجويز
ان يكون لهذا العرضي نحو آخر من الوجود موجود بالذات غير هذا الوجود الذي قد وجد به
بالعرض فان مفهوم الابيض وان كان متحدا مع زيد موجودا بوجوده الا ان له نحوا آخر من الوجود
الخاص في نفسه فان جوهر موجود بالعرض وعرض موجود بالذات لما قد حقق في مقامه ان
العرضي عين العرض الذي هو مبدأ اشتقاقه بالذات فيكون موجودا بوجوده بالذات هو
بما هو عرضي محمول على جوهر محله يكون موجودا بوجود الجوهر بالعرض وليس من هذا القبيل
اتحاد المعاني والاعيان الكلية بحقيقة الوجود اذ لا يمكن لها ضرب آخر من الوجود سوى عين الوجود
او مجاز عنه لا في نفس الامر ولا عند العقل فالعينية بين ذات الله واسمائه الحسنى ليست كالعينية بين
العرضي والذاتي فضلا عما هو بين العرض والجوهر ولا كعينية الذاتيات في الماهيات الامكانية
لان الحق ليس ذا ماهية كلية بل حقيقته ليست الا الوجود المقدس البسيط الصرف فلا اسم له
ولا رسم ولا اشارة اليه الا بصريح العرفان ولا حد له ولا برهان عليه الا نوره العيان وهو البرهان
على كل شيء والشاهد على كل عين فمعنى كون اسمائه وصفاته عين ذاته كما مر ان الذات الاحدية
بحسب هويته العينية ومرتبة الحقيقة الوجودية مع قطع النظر عن انضمام اي معنى او
اعتبار اي امر كان بحيث يصدق في حقه هذه الاوصاف الكمالية والنعوت الجمالية وينطوي
ذاته في حد ذاته هذه المحامد القدسية ويترائى في شمس وجهه هذه الجلوات النورية والآلاء
الكريمة العلية وهي في حد انفسها مع قطع النظر عن نور وجهه وشعاع ذاته لا ثبوت لها
ولا شيئية اصلا فهي بمنزلة ظلال وعكوس يتمثل في الاوهام والحواس من شيء وكذلك يحكم الاعيان
الثابتة وحكم المعاني الذاتية لكل موجود فجميع الاعيان المعقولة والطبائع الكلية ما هي عند التحقيق

لا نقوش وعلامات دالة على انحاء الوجودات الامكانية فهي من رشحات بحر الحقيقة الوجوبية واشعة
شمس الوجود المطلق ومظاهر اسمائه وصفاته ومجالي لله جل جلاله واما نفس تلك الاشياء والمهيات
مجازية عن الوجودات الخاصة فلا وجود لها اصلا لا عينا ولا عقلا بل اسماء فقط كما في قوله ان هي
الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ولعل بحرا الى ما لا يطيق سماعه
اسماع الانام ويضيق عن فهمه نطاق الافهام **فصل** فان قلت هل لمعنى اسم الجلالة له
حد ام لا قلت الحد عند الحكماء قول دال على تصور اجزاء الشيء ومقوماته والجزء له لا مقوم
لذاته فلا حد وما لا حد له لا برهان عليه لان الحد والبرهان متشاركان في الحدود كما بين في
علم الميزان واذا تقرر هذا فلا شبهة في ان ذات الباري لتقدسه عن شوائب التركيب اصلا
سواء كان من الاجزاء الوجودية والتحليلية او غير ذلك على ما اقتضاه برهان التوحيد لا حد له فلا
له كما لا برهان عليه واما ان مفهوم لفظ الله هل له حد ام لا فالحق هو الاول لان معناه الموضوع
له معنى مجمل متضمن لجميع الصفات الكمالية فكل معنى من معاني اسمائه يكون جزء المعنى هذا الاسم
عند التفصيل وقد تقرر ان الفرق بين الحد والمحدود ليس الا بالاجمال والتفصيل وان التفاوت
بين المعنى الاجمالي والمعنى التفصيلي ليس الا بحسب الادراك ومن جهة الملاحظة دون المدرك
والملحوظ فان الالفاظ المذكورة في حد الشيء بل على ما ادرك [illegible] تفصيلية
وليس من شرط الحد ان يكون مؤلفا من جنس وفصل بل من اجزاء الشيء سواء كان بعضها اعم من بعض
مطلقا او من وجه او كانت متساوية وسواء كانت اجزاء محمولة او مباينة فالاول المشهور من ان
الحد لا يكون الا من جنس وفصل لما راوا ان الطبائع النوعية الواقعة تحت احدى المقولات العشر
المشهورة حدودها لا يكون الا كذلك والحق ان كل اسم وضع لمعنى واحد جملي ما الف من معان متعددة
عند التفصيل بالفعل او بحسب التحليل بل عليها الفاظ متعددة يكون الاول محدودا والثاني حدا
وهكذا معنى اسم الله بالقياس الى معاني جميع الاسماء الحسنى فان نسبتها اليه نسبة الحد الى المحدود
اذ التفاوت ليس الا بنحو الملاحظة مرة اجمالا ومرة تفصيلا وهو انما يتخيل بين الطرفين الذات
المقدسة واحدية الوجود القيومي تعالى عن النقص والتبدل والتحول والانفعال بغيره فلكل ما ادركه
العقل من معاني الاسماء بحسب مفهوماتها اللغوية او الاصطلاحية فهي خارجة عن ساحة جناب العز
والكبرياء انما يصعد الذهن سبيلا الى [illegible] مظاهرها ومجاليها ومن مشاهدة ربوبياتها [illegible]
ثم ان في النفس الرحمانية ان للحق في كل مخلوق ظهورا خاصا فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم
الا عن فهم من قال ان العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الاسم الباطن
فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبرة للصورة وفي حد الانسان باطنه وظاهره

وكذلك

وكذلك كل محدود فالحق تعالى بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا يعلم كل صورة منها
الا على قدر ما حصل لكل عالم من صورة فلذلك يجهل حد الحق فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد كل صورة
وهذا مخفي الحق محال الحصول فحد الحق محال [illegible] الالوهية بالحقيقة لا بالمجاز انتهت الفاظه ويتلخص من
كلامه ان مسمى لفظ الله هو المشتمل لجميع الاوصاف الكمالية والنعوت الالهية لما تقرر عندهم انه
ما من نعت الا وله ظل ومظهر في العالم وغايته انه لا اشتراك بين معنى كل اسم ومظهره وليس بمجرد اللفظ
فقط حتى يكون الفاظ العلم والقدرة وغيرهما موضوعة في الخالق لمعنى وفي المخلوق لمعنى اخر ولا
يكون هذه المعاني فيما لا يزال شواهد على تحقيقها في الباري على وجه اعلى واشرف والمحققون [illegible]
كون الاشتراك لفظيا فقط بل يكون معنويا الا ان هذه المعاني يكون ههنا في غاية القصور والنقص
وهناك في غاية العظمة والجلالة فيكون الاسماء الالهية مع مظاهرها ومجاليها الكونية متحدة المعنى
سواء كانت المظاهر من الصور الحسية الموجودة في عالم الشهادة الواقعة اسماؤها تحت حيطة الاسم الظاهر
كالسميع والبصير والمتكلم ومظاهرها المختلفة المدركة بادراك الحواس الظاهرة او كانت من الصور العقلية
الموجودة في عالم الغيب العقلي الواقعة اسماؤها تحت حيطة الاسم الباطن كالسبوح والقدوس
ومظاهرها المتنوعة المندرجة في عالم الامر المدركة بالمدارك الباطنية العقلية وقد عرفت ان
حد الشيء عبارة عن صورة عقلية تفصيلية يدل عليها بالفاظ متعددة دالة على ما يدل عليه لفظ
واحد بان يكون لحقيقة واحدة كالانسان مثلا صورتان ادراكيتان احديهما موجودة بوجود واحد
اجمالي والاخرى موجودة بوجودات متعددة تفصيلية فيقال للمفصلة انها حد وللمجمل انه محدود
فعلى هذا يلزم ان يكون مفهومات جميع الاسماء الالهية ومظاهرها الكونية هي اجزاء العالم ظاهرا
وباطنا على كثرتها حدا حقيقيا لمفهوم اسم الله فلا بد ان يكون معاني حقائق العالم حد الاسم
الله كما ان جميع معاني الاسماء الالهية حد له الا ان سائر الحدود للاشياء المحدودة يمكن للعقل
البشري الاحاطة بها بخلاف معاني اجزاء هذا الحد لانها غير محصورة والمراد من لفظ الحق في قوله فالحق
محدود بكل حد هو معنى لفظ الله باعتبار معناه الكلي ومفهومه العقلي لا باعتبار حقيقته ومعناه
التي هي الذات الاحدية وغيب الغيوب اذ لا نعت له ولا حد ولا اسم ولا رسم ولا سبيل اليه للادراك العقلي
ولا ينال اهل الكشف والشهود لحقيقته من نور الابصار [illegible] وانه كان حجبا لهم [illegible]
هذا ما ذكره في الفص الاسمعيلي اعلم ان مسمى لفظ الله احدي بالذات كل بالاسماء وكل موجود
فما له من الله الا ربه خاصة يستحيل ان يكون له الكل واما الاحدية الالهية فما لواحد فيها قدم لانه
لا ينال الواحد منها شيئا والاخر منها شيئا لانها لا تقبل التبعيض فاحديته مجموع كله بالقوة انتهى **فصل**
اعلم يا ولي نور الله قلبك بالايمان ان اكثر الناس لا يعبدون الله من حيث هو الله وانما يعبدون

معتقد لهم في ما يتصورونه معبودهم فآلهتهم في الحقيقة اصنام ذهنية يتصورونها وينحتونها
بقوة اعتقاداتهم العقلية او الوهمية وهذا هو الذي اشار اليه عالم من اهل البيت عليهم السلام وهو
محمد بن علي الباقر عليه السلام كلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود
اليكم الحديث اي فلا يعبد معتقد من المحجوبين الذين جعلوا الاله في صورة معتقدهم فقط
الها الا ما جعل في نفسه وتصوره بوهمه فاله بالحقيقة مجعول لنفسه منحوت بل قوة المتصرفة
فلا فرق بين الاصنام التي اتخذت الها وبينه في انه مصنوع لنفوسهم سواء كانت في الخارج او
في داخلها بل الاصنام الخارجية ايضا انما عبدت من جهة اعتقاد الالوهية من عابديها في حقها فالاصنام
الذهنية معبودة لهم بالذات والصورة الخارجية معبودة لهم بالعرض فمعبود عبدة الاصنام
كلهم ليست الا صور معتقداتهم واهواء انفسهم كما اشار اليه في قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
فكما ان الخطاب لعبدة الاصنام الجسمية تعبدون ما تنحتونها بايديكم فكذلك الخطاب لاصحاب الاعتقادات الجزئية
في حق الحق تعبدون ما كسبتها ايدي عقولكم والحق عليهم وعلى معبودهم قوله اف لكم
ولما تعبدون من دون الله وكذا في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وابن
الزبعرى لقصور فهمه عن ادراك هذا المعنى اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يلزم منه ان الملائكة
والمسيح ولم يعلم هو ومن في مرتبته ان معبود عبدة الملائكة والمسيح هو من عمل الشيطان
واما الكمل من اهل المعرفة الذين يعبدون الحق المطلق المسمى باسم الله من غير تقييد باسم
خاص وصفة مخصوصة فيتجلى لهم الحق المنعوت بجميع الاسماء وهم يشكرونه في جميع التجليات
الاسمائية والافعالية والاثارية بخلاف المحجوب المعتقد الذي يعبد الله على حرف فانه
ان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وذلك لغلبة احكام بعض
المواطن واحتجاب بعض المجالي عن بعض في نظره ومن هذا الاحتجاب نشا الاختلاف بين
الناس في العقايد فينكر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا وكل احد يثبت للحق ما ينفيه
الاخر ويظن ما يراه ويعتقد غاية الاجلال والتعظيم لربه وينكر غيره ذلك وقد اخطا
واساء الادب في حق الحق وهو عند نفسه انه قد بلغ الغاية في المعرفة والادب وكذلك
كثير من اهل التنزيه لغلبة احكام التجرد عليهم فهم محتجبون كبعض الملائكة بنور
التقديس وهم في مقابلة المشبهة المحتجبة بظلمة التجسيم كالحنابلة ثالث واما الانسان
الكامل فهو الذي يعرف الحق بجميع المشاهد والمشاعر ويعبده في جميع المواطن والمظاهر
فهو عبد الله يعبده بجميع اسمائه وصفاته ولهذا سمي بهذا الاسم اكمل افراد الانسان
محمد صلى الله عليه وسلم فان الاسم الالهي كما هو جامع لجميع الاسماء وهي تتحد باحديته الجمعية كذلك الطريق

جامع

جامع طرق الاسماء كلها وان كان كل واحد من تلك الطرق مختصا باسم يرب مظهره ويعبد
ذلك المظهر من ذلك الوجه ويسلك سبيله المستقيم الخاص به وليس الطريق الجامع لطرق
ساير المظاهر الا ما سلكه المظهر الجامع النبوي الختمي على الشارع فيه وآله افضل
صلوات الله وتسليماته وسلكه خواص امته الذين هم خير الامم وهو طريق التوحيد الذي
عليه جميع الانبياء والاولياء سلام الله عليهم اجمعين ويؤيد ذلك ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد ان يبين ذلك للناس خط خطا مستقيما ثم خط من جانبيه خطوطا
خارجة من ذلك الخط وجعل الاصل الصراط المستقيم الجامع وجعل الخطوط الخارجة
منها سبل الشيطان كما قال تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يعني السبيل
التي لكم السعادة والنجاة والا فالسبل كلها اليه لان الى الله ينتهي كل قصد وغاية كل
مقصود ولكن ما كل من رجع اليه وآب سعد ونجى عن الفرقة والعذاب فسبيل السعادة
واحد قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني واما سائر السبل فغايتها
كلها الى الله اولا ثم يتولاه الرحمن اخرا ويبقى حكم الرحمن فيها الى الابد الذي لا انقطاع له
لعالم وهذه مسئلة عجيبة لم اجد في وجه الارض من عرفها حق المعرفة فصل
اعلم ان نسبة اسم هو الى اسم الله كنسبة الوجود الى الماهية في الممكن الا ان الواجب تعالى
لا ماهية له سوى الانية وقد مر ان مفهوم اسم الله ما لا تحيط حقيقته العقول قاصرة
عن الاحاطة بجميع المعاني الداخلة في حده لانه انما عرف بصورة تحده اذا عرف بصور
حدود جميع الموجودات واذ ليس فليس واما اسم هو فلا حد له ولا اشارة اليه فيكون اجل
مقاما واعلى مرتبة وهذا يختص بعلما ومن هذا الذكر الشريف الكمل الواصلون و
النكتة فيه ان العبد متى ذكر الله بشيء من صفاته لم يكن مستغرقا في معرفة الله لانه اذا
اذا قال يا رحمن فهو يتذكر رحمته فيميل طبعه الى طلبها فيكون طالبا لحظه وكذا
اذا قال يا كريم يا محسن يا غفار يا وهاب يا منتقم واذا قال يا مالك فهو يتذكر
ملكه وملكوته وما فيه من اقسام النعم ولطايف القسم فيميل طبعه اليها ويطلب شيئا
منها وقس عليه ساير الاسماء واما اذا قال يا هو وانه يعرف انه تعالى هوية صرفة لا يشوبه
عموم ولا خصوص ولا كثرة ولا شهادة ولا اشارة وحده فهذا الذكر لا يدل على شيء البتة الا
محض الانية التامة التي لا يشوبها معنى يغايره فحينئذ يحصل في قلبه نور ذكره ولا يتكدر
ذلك النور بالظلمة المتولدة عن ذكر غير الله وهنالك النور التام والكشف الكامل
نكتة اخرى ان جميع صفات الله المعلومة عند الخلق اما صفات الجلال واما صفات

الاكرام اما الاولى فلقولنا انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا في مكان وهذا فيه قبح
كمن خاطب السلطان بانك لست اعمى ولا اصم ولا كذا وكذا وعدّ فيه انواع المعايب
والنقايص فانه ينسب الى اساءة الادب ويستوجب الزجر والتاديب واما صفات الاكرام
فلكونه خالقا للخلق ورازقا للعباد وهذا ايضا قبيحة من وجهين الاول ان كمال الصانع
اجل واعلى من ان يوصف بصنعه وخصوصا الفياض الذي ليس فيضه الا على سبيل الجود
والفيض والثاني ان الرجل اذا اخذ يمدح سلطانا قاهرا ملك وجه الارض بتمامها
بانه اعطى الفقير الفلاني كسرة خبز وقطرة ماء فانه يستوجب المقت والزجر والحجر ومعلوم
ان نسبة جميع المخلوقات من العرش الى الفرش الى خزاين الله لكونها متناهية الى غير
متناه اقل من نسبة كسرة الخبز وقطرة الماء الى جميع خزاين الدنيا فاذا كان ذلك سوء
ادب فهذا بالطريق الاولى الا ان ههنا سببا رخص في ذكر هذه المدايح وهو ان النفس
صارت مستغرقة في عالم الحس والخيال واذا اريد جذبها الى عتبة عالم القدس احتيج الى
ان تنبه على كمال الحضرة المقدسة ولا سبيل الى معرفة كمال الله وجلاله الا بهذين
الطريقين اعني ذكر صفات الجلال وصفات الاكرام ثم اذا واظب الانسان على هذين
النوعين من الاذكار حتى يعرض عن عالم الحس ويستأنس بالوقوف على عتبة القدس فيحصل له
تنبيه لما في هذين النوعين من الاعتراضات المذكورة وللحجب الظلمانية فعند ذلك
يترك الاذكار ويقول يا هو يا من لا هو الا هو كانه يقول حضرتك اجل من ان امدحك بشيء غير انك
فلا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ولا اخاطبك بلفظات الا بهذا اللفظ المجرد
الكبير حيث يقول الروح اني قد بلغت مبلغا صرت كالحاضر في حضرة واجب الوجود ولكني
لا ازيد على قولي هو فيكون اقرارا بانه هو الممدوح لذاته في ذاته واقرارا بان حضرته اعلى
واجل من ان يناسبه حضور المخلوقات ولو فرض عند حضرته حضور عبد ملك مقرب او نبي
مرسل فحيث يمتنع له الاحاطة والاكتناه لانه بقدر قوة وجوده يشاهد ذاته وذاته
في شدة النورية فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى فما غاب عنه من ذاته اكثر بما لا يتناهى مما هو مشهود
له فهو سبحانه غايب بحقيقته التامة البسيطة عن الكل وعن شهودها فلهذا يكون
هذا الذكر اشرف الاذكار لاحتوائه على هذه الاسرار لكن بشرط التنبه لها نكتة اخرى
ان المواظبة على هذا الذكر يفيد العبد شوقا الى الله والشوق اليه من اجل الاحوال واعظمها
سببا للبهجة والسعادة لان الشوق كثير الانجذاب والوصول فالاشد شوقا اشد
انجذابا وذلك لان كلمة هو ضمير الغايبين فالعقل اذا ذكر هذه الكلمة علم انه غايب عن الحس

سبحانه

سبحانه ثم يعلم ان هذه الغيبة ليست من قبل الله تعالى بسبب المكان والزمان وانما
كانت بسبب انه موصوف بصفات النقصان وسمات الحدثان فاذا تنبه لهذه الدقيقة
علم ان هذه الصفة حاصلة في جميع الممكنات والمحدثات على حسب تفاوت امكاناتها
وترادف نقايصها واعدامها الحاصلة لها حجب مراتب بعدها عن عالم الوحدة الخالصة وتنزهها
عن ساحة الحق المحض وعلم ان ما هو اقرب الى الحضرة الواجبة كانت النقايص والاعدام فيه
اقل فاخذ في طلب القرب اليه ثم كلما وصل العبد الى مقام اعلى كانت النقايص
والاعدام فيه اقل فاخذ في طلب القرب شوقه الى الترقي من تلك الدرجة اقوى كما يحكم
به كل فطرة سليمة واذ لا نهاية لتلك المراتب والدرجات فلا جرم فكذا لا نهاية لمراتب
هذا الشوق فثبت ان المواظبة على ذكر كلمة هو يورث شوقا الى الله وان الشوق اليه تعالى
اجل الاحوال والمقامات بهجة وسعادة لانه ملزوم الوصول اليه تعالى ومما يدل على ان الشوق
يستلزم الوصول ان الشوق عبارة عن الحركة الى تتميم الكمال وما من موجود الا وله نوع
من الخيرية والكمال او له حظ من الوجود والوجود قد ثبت انه خير ومؤثر ففي كل موجود
عشق الى ذاته وما من موجود في عالم الامكان الا ولوجوده غاية كمالية وشوق الى تحصيل
تلك الغاية كما بين في مباحث الغايات في العلم الالهي وقد ثبت ايضا هناك ان الله لا يودع
في غريزة موجود من الموجودات وجبلته شيئا يكون عبثا ومعطلا فكل موجود وجد
له شوق الى كمال ما ثابتا بالنسبة اليه فلا بد من ان يكون ممكن الحصول له وكل ممكن الحصول لشيء بالامكان
العام يجب حصوله له ووصوله اليه عند عدم الموانع ودفع العوايق والقواسر وثبت ايضا
في مقامه ان وجود الموانع والقواسر للاشياء الجبلية غير دائم ولا اكثري في هذا العالم الذي
يوجد فيه بعض الشرور واما في العالم الاعلى وما فوقه فالاشياء كلها على مقتضى دواعيها
واشواقها الاصلية فكل مشتاق الى شيء شوقا غريزيا سواء كان في فطرته الاولى او في فطرته
الثانية التي تقتضيها جوهره ومتصورة بصورة جوهرية كالنبات اذا صار حيوانا والحيوان
اذا صار انسانا فهو واصل او سيصل اليه وقتاما فثبت ان من احب الله واشتاق اليه فهو لا محالة
يصل الى حضرته يوما كما دل عليه قوله عم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه نكتة اخرى ان الذكر اشرف المقامات لقوله تعالى ان عبدي اذا ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه فاذا ثبت هذا فافضل الاذكار ذكر الله
الخالي عن ملاحظة الاغيار ثم ان العبد فقير كثير الحاجة والمحتاج اذا نادى محسنه ومنعمه
بنداء يناسب الطلب والسؤال كان ذلك محمولا على الطلب شعرا بالسؤال فاذا قال يا كريم كان

معناه لا اكرم واذا قال يا رحيم كان معناه لا ارحم واذا قال يا عفو يا عفو كان معناه
اعفو واعف فكانت هذه الاذكار جارية مجرى السؤال فيحصل في خاطره غير الله ويتمثل له
صورة حاجته فيكون مشغول السر بغير الله ولم يكن في خلاء بل في ملاء وانما الشاغل له عن ذكر الله
عند المشاهدة مع الخلق ايضا الصور والحاضر في نفسه وهي الحاضرة بالذات دون الصور
الخارجية الا بالعرض فمن حضرت عنده صور الاشياء والتفت اليها فهو في صحبة الاغيار سواء
كان في بيته الخالي او في محتشد من الخلق وقد تبين ان الذكر انما يعظم شرفه اذا كان خاليا
من السؤال ومن تصور الصور والامثال وذلك يتحقق حيث ما قاله بعض من فوائد الاذكار
المملوحة في كتب مجاميعنا يا هو يا من لا اله الا هو يا ازلي يا ابدي يا دهري يا ديهار يا ديهور
يا من هو الحي الذي لا يموت قال النيسابوري في تفسيره لقد لقنني بعض المشايخ من الذكر
يا هو يا من هو يا من لا هو الا هو يا من لا هو بلا هو الا هو وقال لا اول فناء عما سوى
الله والثاني فناء في الله والثالث عما سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات وهي لفظة
التفسير الكبير ومن لطائف هذا ان الشيخ الغزالي رحمه الله كان يقول لا اله الا الله توحيد العوام
ولا هو الا هو توحيد اخص الخواص ولقد استحسنت هذا الكلام وقررته بالقرآن والبرهان
اما القرآن فانه قال ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ثم قال بعده كل شيء هالك الا وجهه
معناه لا هو وقوله الا وجهه الا هو فذكر لا هو الا هو بعد قوله لا اله الا هو ليدل على ان
غاية التوحيد هذه الكلمة واما البرهان فهو ان من الناس من قال تاثير الفاعل ليس
في تحقيق الماهية وتكوينها بل لا تاثير له الا في اعطاء صفة الوجود لها فقلت الوجود
ايضا ماهية فوجب ان لا يكون الوجود واقعا بتاثيره فان التزموا ذلك وقالوا الواقع بتاثير
الفاعل هو موصوفية الماهية بالوجود فنقول تلك الموصوفية ان لم يكن مفهوما مغايرا
للماهية والوجود امتنع اسنادها الى الفاعل وان كان مفهوما مغايرا فتلك المفهوم لا بد
وان يكون له ماهية وح يعود الكلام فثبت ان المؤثر مؤثر في الماهيات وكل ما بالغير
فانه يقتضي بارتفاع الغير فلولا المؤثر لم يكن لتلك الماهية ماهية ولا حقيقة فبقدرته
صارت الماهيات ماهيات وصارت الحقائق حقائق وقبل تاثيره وقدرته فلا ماهية ولا
وجود ولا حقيقة ولا ثبوت وعند هذا ظهر صدق قولنا لا هو الا هو اي لا تقرر لشيء
من الحقايق الا بتقريره وتحقيقه فثبت انه لا هو الا هو انتهى كلامه وبالله التوفيق اعلم
ان مقام التوحيد الخاصي الذي عليه الاولياء الكاملون والعرفاء المحققون اعلى درجة
واشمخ شهوقا من ان يناله ارباب الانظار الجزئية بعقولهم الضعيفة واصحاب المباحث

الكلامية

الكلامية بل قد اكاد اقول ومن زعم انه بقوة مهارته في تحرير المقالات ونقض [illegible]
والاجوبة عن بعض الايرادات وبيان بعض المسائل والشبهات يمكنه الوصول الى فهم مسائل
هذا التوحيد ومكاشفات اخوان التجريد فقد استسمن ذا ورم ومثله كان من اراد ان يطير
في الجو ومثل من اراد ان يبشر هذا المقصد العالي ويصل الى هذا المقصد العالي بمثل هذا
القياس المرتب فقد اومى قلبه من هذه المقدمات الواهية الواهنة الاساس كبيت العنكبوت
اذا اراد ان يصيد العنقاء بشبكة منسوجة في زوايا البيوت ولولا مخافة التطويل و
الاطناب لاستقصينا الكلام في هذا الباب فاخذنا [illegible] ولاقمنا البراهين القطعية
على ان شيئا من الماهيات لا يمكن ان يكون اثر الجاعل ومجعوله ثم على اثبات ان اثر الجاعل وما
يترتب عليه هو نحو من انحاء الوجودات الخاصة ثم على ان ما ذكره هذا القائل مما قضى بخلافه
عقله ولفظه ما هو بصدده من اثبات هذا التوحيد وان كلمة لا هو الا هو ليدل عليه ثم
بعد ذلك نشير الى المعتبر من لوامع مسألة التوحيد الخاصي الى كيفية استنباطها من هذه الكلمة
تليق بذكر هذه المقاصد ههنا على طريقة الاختصار ولكن جاء في المثل ما لا يدرك كله لا يترك كله
وطي بعض مبادئها ومقدماتها البعيدة ليكون للناظر في هذا المقام على بصيرة في طلبه عيانا او
مع غير تعب وكلال ويكون الاستقصاء البالغ مرجوعا الى مواضع اخرى من مسفوراتنا المطولة
وهي مشتملة على فصول خمسة فصل في ان الوجود هو المجعول بالذات اعلم ان للوجود
صورة في الخارج وليس مجرد معنى مصدري انتزاعي كما يقوله الظاهريون اذ لا شك ان
للاشياء حقائق وحقيقة كل شيء هي خصوص وجوده الذي يترتب عليه احكامه المخصوصة وآثاره
المطلوبة منه وكون الشيء ذا حقيقة معناه انه ذو وجود في لا بد ان يكون في الاعيان ما يصدق
عليه هذا المعنى اي معنى الحقيقة وليس مصداقه نفس الماهية من حيث هي سواء بعد الصدور او قبل
الصدور بل مصداقها اما نفس وجود الشيء او الماهية الموجودة بما هي موجودة لا بما هي ماهية
فالوجود اولى بان يكون حقيقة او ذا حقيقة من غيره اذ غيره به يكون ذا حقيقة [illegible]
من هذا ان مفهوم الحقيقة يجب ان يصدق عليه هذا العنوان بل ان يعينا شيئا يصدق عليه يجب
للخارج مفهوم الحقيقة وليس هو نفس الماهية الموجودة بل وجودها فالوجود يجب ان يكون بنفسه
موجودا في الواقع لانه يصدق عليه هذا المفهوم فله لا محالة صورة عينية مع قطع النظر عن
اعتبار العقل وهو المعنى بكون الوجود موجودا لا ان له وجودا زائدا كما يوهمه العبارة
حتى يلزم منه المحذورات المشهورة فاذا كان الوجود موجودا فهو اما واجب ان كان غير متعلق
بغيره او ممكن ان كان متعلقا بغيره وهو المعنى بكون الوجود مجعولا او صادرا وهذا هو الحكم

حجة اخرى لو لم يكن الوجود للاشياء موجودا اي واصلة الاعيان لم يوجد شيء من الاشياء
والتالي باطل فكذا المقدم بيان الشرطية ان المهية قبل انضمام الوجود اليها او اعتباره معها
او ما شئت فسمه غير موجودة وهو ظ وكذلك ايضا اذا اعتبرت المهية من حيث هي لا مع اعتبار
الوجود فهي غير موجودة ولا معدومة فاذن لو لم يكن الوجود موجودا لم يمكن ثبوت مفهوم
احدهما للاخر فان ثبوت شيء لشيء او انضمامه اليه او اعتباره معه او انتزاعه منه فرع لثبوت
المثبت له او مستلزم له فلا بد للمغايرة بينهما في الثبوت وليس للمهية من حيث هي هي مع قطع النظر
عن الوجود وجود وثبوت اصلا فكيف يتحقق هناك اتصاف بالوجود وليست المهية وحدها
موجودة ولا الوجود في نفسه موجودا فلا يكون المهية معروضة للوجود كما اشتهر وذهب اليه جمهور
الحكماء ولا عارضة له كما ذهب اليه طائفة من الصوفية اذ كل من راجع وجدانه وانصف من نفسه ادرك
ان انضمام معدوم لمعدوم في الخارج او انضمام مفهوم لمفهوم من غير وجود احدهما للاخر او قيامه
به او قيامهما بموجود اخر غير صحيح ولا مما يجوزه العقل بل يقضي بامتناعه ولهذا قال بعض العلماء
ان الفطرة شاهدة بان المهية اذا كانت موجودة بنفس وجودها لا قبله كان الموجود بالذات
ههنا هو نفس الوجود لا المهية كما ان المضاف بالحقيقة نفس الاضافة لا ما هو المضاف المشهوري
فعلم ان المجعول الصادر من الفاعل هو الوجود وما قيل ان المهية موجودة بها باعتبار انتسابها
الى الجاعل التام فهو هوس محض فان غير المنتسب اذا انتسب فهو امر بشيء لحقيقة الذي كان ولو ما
بنفسه عما كان ويستحيل الحالة وصفة لم يكن حاصلا له من قبل فهو بذلك الشيء صار منتسبا
فيكون المنتسب بالحقيقة ذلك الشيء دونه فالحق ان يكون المنتسب الى الجاعل التام
هو وجود المهية دونها. برهان اخر ان موجودية الاشياء اما بانضمام الوجود الى المهية
او بصيرورتها موجودة او باتصافها به او ما يجري هذا المجرى كما هو المشهور من الحكماء المشائين
واما المجعولية نفس الماهيات جعلا بسيطا كما عليه اتباع الرواقيين وتبعهم هذا القائل والشيخ
المقتول وجماعة من المتاخرين واما بنفس الوجودات الخاصة الفائضة عن الباري جل اسمه
كما ذهب اليه هؤلاء الفقراء والاول مع فساده مردود بوجوه مذكورة في موضعها والثاني ايضا والا لزم
ان لا يتحقق موجود ما في الخارج واللازم ظاهر البطلان فكذا الملزوم فبقي المذهب الثالث
حقا واما بيان الملازمة في هذه الشرطية فبان الوجود على هذا الراي ان كان نفس الماهية من
غير اعتبار قيد زائد او شرط فيكون كل من تصور الانسان مثلا تصور انه موجود ولم يكن فرق
بين كون الانسان انسانا وبين كونه موجودا ولكان قولنا الانسان معدوم متناقضا والتالي
بط فالمقدم مثله وان كان الوجود عبارة عن انتساب المهية الى الجاعل فالنسبة لا يتحقق الا بعد

تحقق

تحقق الطرفين فينقل الكلام في وجود معروضه فيعود المحذور جذعا فان قيل موجودية
المهية ليست انتسابها الى الجاعل بل كونها بحيث ينتسب اليه ويرتبط به قلنا فيكون المجعول
وما هو اثر الجاعل هو كونها على هذه الحيثية لا نفس الماهية بما هي هي وهو خلاف المفروض
على ان المجعول ههنا هو كونه المذكور ونحن لا نعني بالوجود الا هذا الكون فثبت المطلوب
بالخلف والاستقامة معا

الفصل الثاني في ان المهية يستحيل ان يكون اثرا
للجاعل ومجعولة له وعليه براهين الاول ان اثر الفاعل لو كان مهية الشيء كمهية الانسان
من حيث هي دون وجودها لما امكن لاحد ان يتصور تلك المهية قبل صدورها عن الفاعل لما
تقرر ان العلم بذي السبب لا يحصل الا من جهة العلم بسببه واللازم باطل فانا كثيرا ما
نتصور الماهيات ولا يخطر ببالنا جاعلها اصلا بل للعقل ان يتصور مهية كل شيء من حيث هي هي
ومجردة عن ما عداها حتى عن هذه الملاحظة فليست هي من هذه الحيثية اي بما هي هي موجودة
ولا مجعولة ولا لا موجودة ولا لا مجعولة وايضا فلو كانت هي بما هي هي مجعولة لكانت مفهوم
المجعولية ذاتيا لها ولكانت الماهيات كلها من مقولة المضاف والتالي باسرها ظاهر
البطلان فالمقدم مثله والملازمة تظهر بادنى التامل الصادق فان قلت هذه يلزمك على القول
بمجعولية الوجود قلنا ان وجود كل شيء نفس هويته العينية وحقيقته الخارجية
فلا يمكن العلم بها الا بالمشاهدة الحضورية والانكشاف النوري اذ كل ما حصلت صورته
في الذهن فهو امر كلي وان تخصصت بمخصصات كثيرة والوجود هوية عينية متشخصة
بذاته صادرة عن هوية جاعله اياه جعلا بسيطا فلا يمكن انكشافه وحضوره الا من
جهة حضور هوية جاعله وهذا المفهوم العام المشترك الانتزاعي الاثباتي وجه من
وجوهه وهو بمعزل عن الهوية الخارجية وهذه الهويات الوجودية مجعولات بانفسها
ومنتسبات بذواتها الى مفيضها التام ومع ذلك ليست واقعة تحت مقولة المضاف لان مقولة
المضاف قسم من اقسام الماهيات التي هي زائدة على الوجود او لا ترى ان الهوية الالهية
مع كونه مبدا جميع الاشياء ليست واقعة تحت مقولة المضاف فكذا سائر الهويات الوجودية
برهان اخر لو كانت الجاعلية والمجعولية متحققتين بين المهيات لا بين الوجودات
يلزم التشكيك بالاقدمية وعدمها بين افراد مقولة الجوهر عند سببية جوهر لجوهر اخر وهذا
باطل عند محصلي الحكماء حيث بينوا ان لا اولوية ولا تقدم لمهية جوهر على مهية جوهر اخر لا
في جوهره ولا في جوهريته اي في كونه محمولا عليه معنى الجوهر الجنسي فلا يتقدم الانسان الذي
هو الاب على الانسان الابن في حده ومعناه ولا في صدق الانسانية عليه بل تقدم عليه

اما بالوجود او بالزمان. برهان آخر عرشي ان الصادر الاول لو كان ماهية نوعية
محتملة الصدق على كثيرين وليس الصادر من البارى عندهم الا شخصا واحدا من اعداد تلك النوع
المشتركة فكون الصادر هذا الشخص الواحد دون غيره لو كان بمجرد صدور ماهيته النوعية يوجب
الترجيح من غير مرجح اذ الجاعل واحد والماهية واحدة والنسبة بينها واشخاصها متماثلة
فكونها هذا الفرد دون غيره مما يتساوى نسبته غير صحيح وكذا موجودية هذا الشخص دون
ساير الاشخاص بمجرد ابداع البارى نفس الماهية النوعية المطلقة مع اشتراكها بين
الجميع غير صحيح فالحق الحرى بالتحقيق والتصديق ان اول الصوادر هو هوية الصادر الاول
المتشخصة بذاته المتميزة بنفسه عن ما عداها دون ماهيته فهذه الهوية الوجودية
هي المجعولية بالذات والماهية تابعة لها اتباع الظل للشخص وههنا استبصارات
كثيرة ذكرناها في كتبنا وجمعناها في رسالة مفردة منها كون الوجود هو الخير بالذات والعدم
هو الشر والصادر عن الخير الاول هو الخيرات وهي وجودات الاشياء دون ماهياتها الكلية
اذ لا خيرية ولا كمال في مفهوم العلم والقدرة والصحة والجمال واللذايذ والشهوات الدنيوية
والاخروية بل في حقايقها الوجودية وليس كل من تصور ماهية السعادة سعيدا ولا كل من
تصور ماهية البهجة مبتهجا بل من نال وجود السعادة ووجود البهجة ومنها ان
الجاعلية والمجعولية لو كانتا بين الماهيات لكان جميع الموجودات ما سوى المعلول الاول من لوازم
الماهيات وهي امور اعتبارية كما حقق في مقامه والتالي باطل بالبديهة واتفاقا فان احدا لم يقل
بان السماء والارض وما بينهما امور اعتبارية ونسبة هذا الامر الشنيع الى العرفاء افتراء محض
يحاشى عنه اسرارهم ومنها انه قد تقرر في علم الميزان ان مطلب ما الشارحة غير مطلب ما
الحقيقية وليست المغايرة بينهما في مفهوم الجواب لان الحد التام عند المحققين بل باعتبار
الوجود في احدهما والعدم في الاخر فلو لم يكن للوجود صورة في الخارج لم يكن بين المطلبين
والجوابين فرق يعتد به كما لا يخفى اوهام وتنبيهات ثم ان للقائلين
باعتبارية الوجود ومجعولية الماهيات شبها قوية فلنكشف عنها على النهج ويطرح منا
ظلمات هذه الاوهام بنور الهداية والالهام فلنشر الى الاجوبة بعض منها ومنها هذه الاولى
ان الوجود لو كان موجودا لكان له وجود ولوجوده وجود وهكذا الى غير نهاية والجواب
ان الماهية لما لم يكن في نفسها موجودة فموجوديتها لا بد وان يكون بامر زايد عليها واما
الوجود فهو بنفسه موجود لا بامر زايد عليها الا بحسب الاعتبار العقلي رعاية لمفهوم الاشتقاق
والتسلسل في الاعتباريات ينقطع بانقطاع الاعتبار منها ولهذا المعنى نظاير كثيرة كالاضافة فانها

منها

فلنشر

بعضها مضافة وغيرها بها مضاف وكالوحدة فانه متميز بذاته وكاجزاء الزمان فانها من ذاتها
متقدمة ومتأخرة والثاني ان الوجود لو كان موجودا بذاته لكان واجب الوجود بذاته
فكان واجب الوجود بالذات اذ لا معنى للواجب بالذات الا ما يكون موجودا ضروريا لذاته وأي
ضرورة اشد من كون الشيء عين نفسه والجواب ان الوجود الامكاني بحسب هويته متقوم
بغيره واجب به واذا قطع النظر عن موجده يكون باطلا محضا ومعنى كونه ضروري
الوجود انه بعدما صدر ذاته عن العلة لا يفتقر الى وجود زايد عليه في كونه موجودا
بخلاف الماهية فانها في حد ذاتها غير موجودة ولو في وقت صدورها عن الفاعل
ومعنى الامكان في الوجودات انها بانفسها متعلقة الذوات بغيرها وليست الماهيات
متعلقة الذوات بغيرها فامكانها عبارة عن تساوي نسبتها الى الوجود والعدم
وبالجملة هذه الشبهة انما نشأت من الخلط بين معنى الضرورة الازلية والضرورة
الذاتية الثالثة انه ان كان الوجود في الاعيان صفة للماهية وهي قابلة فهي اما ان
يكون موجودة بعد الوجود فحصل الوجود مستقلا دونها فلا قابلية ولا صفتية او قبله
فهي قبل الوجود موجودة او معه فالماهية موجودة مع الوجود لا بالوجود ولها وجود
آخر واقسام التالي باطلة كلها فالمقدم كذلك والجواب انا نختار ان الماهية
موجودة معه في الاعيان ومعيتها المعينة نفس الوجود الذي هي به موجودة فلا يلزم
الاحتياج الى وجود آخر كما ان المعية الزمانية حاصلة بين الحركة والزمان الذي حصلت
فيه بنفس ذلك الزمان بلا زمان آخر حتى يكون للزمان زمان آخر على ان الحق ان اتصاف
الماهية بالوجود امر عقلي ليس كاتصاف الموضوع بما يتقوم به فلا قابلية في الحقيقة
ولا اتصاف لها في الواقع امر واحد بلا تقدم بينهما ولا معية بالمعنى المذكور وتفصيل هذا
الكلام مما يطلب في مقامه الرابع ان الوجود لو كان في الاعيان لكان قائما بالماهية فقيامه
اما بالماهية الموجودة فيلزم وجودها قبل وجودها او بالمعدومة فيلزم اجتماع
النقيضين او بالماهية المجردة عن الوجود والعدم فيلزم ارتفاع النقيضين والجواب
انه ان اريد بالماهية الموجودة ما هي موجودة بحسب نفس الامر وبالمعدومة ما يقابلها
فنختار ان الوجود قائم بالماهية الموجودة بهذا الوجود لا بوجود سابق عليه كما ان
البياض قائم بالجسم الابيض بهذا البياض القائم به لا ببياض آخر وان اريد بالموجودة
ما يكون الوجود ماخوذا في مرتبة الماهية من حيث هي فنختار انه قائم بالماهية من حيث
هي هي بلا اعتبار شيء من الوجود والعدم وهذا ليس بارتفاع النقيضين عن الواقع بل عن تلك المرتبة

اذ الواقع اوسع من تلك المرتبة وهذا الكلام مزيادة تحقيق مذكور في حواشي التجريد اذا لا كمال
مشرك الورود وسواء كان الوجود حقيقيا او انتزاعيا فهذا احكموا بان لا اتصاف للماهية
بالوجود ولا قيام له بها لا في الخارج كلا في العقل اذ لا بد في الاتصاف لشي من المغايرة بينهما
في ظرف الاتصاف وان لم يكن لثبوت الثابت فرع ثبوت المثبت له وليس بين الماهية
والوجود مغايرة الا ان للعقل ان ياخذ الماهية وتعتبرها وحدها مجردة عن جميع انحاء الوجود
حتى عن هذا التجريد الذي هو ايضا نحو من انحاء الوجود فيصفها بالوجود ففي هذا الظرف
العقلي هي موصوفة بالوجود ومخلوطة به ايضا رعاية لجانبي الخلط والتعرية على ما
تحريه في موضع من هذا البحث اذ الموجود عندنا في الاعيان هو الوجود دون الماهية الا
بالعرض وهي امر انتزاعي متحدة بالوجود وليست متصفة به والخامس ان الوجود لو كان
حاصلا في الاعيان وليس بجوهر فيكون هيئة قائمة بجوهر فيكون كيفا لانه هيئة قارة
لا يوجب قسمة ولا نسبة الى الخارج وقد حكموا ان المحل متقدم على العرض فيتقدم الموجود على
الوجود فيلزم تقدم الوجود على الوجود وايضا يلزم ان لا يكون الوجود اعم الاشياء مطلقا
بل الكيفية والعرضية اعم منه من وجه وايضا اذا كان عرضا فهو قائم بالمحل ومعنى انه قائم بالمحل
انه موجود فيه مستغن في تحققه اليه ولا شك ان المحل موجود بالوجود فلزم الدور وهو
مح والجواب انهم حيث لحقوا ان عنوا ان المقولات كونها مهيات كلية حق وجودها
العيني كذا وكذا يسقط كون الوجود في ذاته جوهرا او كيفا او غيرهما لعدم كونه كليا بل الوجودات
كما سبق هويات عينية متشخصة بانفسها غير مندرجة تحت مفهوم ذاتي فليس الوجود
جوهرا في ذاته ولا عرضا بمعنى كونه قائما بالماهية وعلى تقدير كونه عرضا لا يلزم كونه كيفية
لعدم كليته وعمومه وما هو من الاعراض العامة والمفهومات الشاملة للموجودات انما هو
الوجود الانتزاعي العقلي وبمخالفته ايضا سائر الاعراض بان وجودها في نفسها عين وجودها
لموضوعها وجود الوجود عين وجود الماهية الموضوعة له لا وجود غيرها لظهور عدم افتقاره
في تحققه الى الموضوع فلا يلزم الدور المذكور على ان المختار عندنا ان وجود الجوهر جوهر
بجوهرية ذلك الجوهر لا بجوهرية اخرى وكذا وجود العرض عرض بعرضيته اي الفصل
الثالث في ان ما ذكره هذا القائل بيان في مذهب ان هذا فريق القائلين بهذا التوحيد عقلا
ولفظا اما الاول فلان من ذهب الى ان المهيات مجعولة وحاصلة بالجعل ولا شبهة في ان
الماهيات امور متخالفة المعاني فيكون الموجودات عنده امورا متكثرة متخالفة بالحقائق
متمايزة بالذوات اذ موجودية الماهية على هذا المذهب عبارة عن صدورها عن الفاعل

عرضية ذلك العرض لا

اوانتسابها

او انتسابها اليه فيكون الوجود بمعنى مصدر بان الموجود امر حقيقيا متعدد احب تعدد افراد
الماهيات الصادرة عن الفاعل فاين هذا المذهب عن مذهب التوحيد الذي عليه العرفاء وقريب
من هذا ما ذهب اليه بعض المغترين بلامع السراب لو همهم عن شرب التوحيد الاتمي ان الوجود
الحقيقي شخص واحد وهو ذات الباري والموجود كلي له افراد متعددة هي الموجودات ونسب
هذا المذهب الى ذوق المتألهين وزعموا ان هذا هو مقصودهم من وحدة الوجود
وهو فاسد من وجوه الاول ان افراد الموجودات قد يكون متكثرة متقدمة بعضها على بعض في
الوجود مع اتحادها في الماهية النوعية فاذا كانت الماهية واحدة والوجود واحدا شخصيا
فكيف يتعدد الموجود ويتقدم بعضه عن بعض والثاني انه يلزم على هذا التقدير ان يكون قولنا
وجود زيد ووجود عمرو بمنزلة قولنا اله زيد واله عمرو وهذا لا يتفوه به عاقل والثالث
ان نسبة الماهيات الى الباري جل ذكره ان كانت اتحادية يلزم كون الواجب تعالى ذاتا
غير الوجود بل ذا مهيات متعددة وذلك كفر صراح وان كانت نسبتها اليه تعلقية
ارتباطية وتعلق الشيء بالشيء فرع على وجودها وتحققها فيلزم ان يكون لكل من المهيات وجود
خاص متقدم على انتسابها اليه وتعلقها به اذ لا شبهة في ان معانيها غير معنى التعلق بغيرها
فانا كثيرا ما نتصور المهيات ونغفل عن ارتباطها الى الحق وهذا الكلام لا يجري في الوجودات
اذ يمكن ان يدعى ان هوياتها تعلقية كما سينكشف على من هو اهله الرابع قوله الوجود
واحد والموجود كثير هوس محض لانه اذا كان معنى الوجود امرا نسبيا عنده فلا فرق بين مذهب هذه
وبين مذهب من يرى الوجود امرا عاما مصدريا انتزاعيا الا بان يسمى المعنى الانتزاعي بالانتساب
الى الجاعل فالقول بان الوجود على هذه الطريقة واحد شخصي والموجود كلي متعدد دون
الطريقة الاخرى تحكم محض واما ان كلمة لا هو الا هو على ما قرره في مسئلة التوحيد فذلك
بوجهين احدهما ان غاية ما ذكره ان شيئا من المهيات لم يكن مهية قبل الجعل والتاثير
فبقي ان نقول صارت المهيات مهيات ولا تقرر لشيء منها الا متقررة كما ذكره واين هذا المعنى
من معنى لا هو الا هو الا ان يرتكب حذف واضمار وقيل معناه لا هو جاعل وفاعل ومؤثر الا هو
وهذا امر لا يحتاج الى مزيد تقرير اذ لا شبهة فيه لاحد من العقلاء المعتبرين الا المعتزلة القائلة
بثبوت المهيات بلا جعل فان الحكماء سواء ذهبوا الى ان اثر الفاعل هو الماهية او ذهبوا
الى انه الموجودية متفقون على ان الماهية قبل الجعل غير حاصلة الا ان احدى الطائفتين
قالت ان الماهية مجعولة اولا والوجود تابع لها في الجعل والاخرى قالت ان صيرورة الماهية في
الجاعل والماهية تابعة له كما هو المشهور من توابع المشائين وما اورده هذا القائل عليهم من ان الوجود

ايضا مهية فيجب ان لا يكون مجعولا واقعا بتأثير الفاعل لما علمت حال المهية بنفسها عن الوجود
وكذا قولهم فان التأثير من ذلك قالوا الواقع بتأثير الفاعل هو موصوفية المهية بالوجود فهي ايضا
مفهوم ما مغاير لهما امتنع استنادها الى الفاعل وان كان مغايرا لزم بقاء ان يكون له مهية
فيعود الكلام انتهى وذلك لان مذهب هؤلاء هو ان مفاد الجعل والتأثير هو صيرورة المهية
موجودة اى هذه الهيئة التركيبية لا ان شيئا من المهيات ولا الوجود لان هذه
الصيرورة ايضا منهم لانها مستغنية عن الجعل وهذا مثل ان يقال ان التصديق عبارة عن
الاذعان ان زيدا مثلا قائم فكان التصديق ليس بتصور المحكوم عليه ولا تصور المحكوم به
ولا تصور النسبة بل الهيئة الاذعانية على الوجه الذي يكون الموضوع متلبسا بالمحمول فمفاد
التصديق اعتقاد ان زيدا قائم لا تصور هذا الاذعان ولا تصور قيام زيد لانها من باب التصور
ولا تصور زيد قائم لما ذكرنا بل ادراك النسبة على انها نسبة وعلى انها ممنوع فى لاحظ انها معنى اى
منسوب اليه فهكذا قولهم وكون اثر الجاعل اتصاف المهية بالوجود تمعا والجعل والخارج عندهم
كمفاد التصديق فى الذهن فاندفع النقض الذي اورد عليهم عنهم سواء كان مذهبهم صحيحا او فاسدا
الوجه الثالث ان ضمير هو وسائر الضمائر كانا وانت وغيرها ليس معانيها الا انحاء
الوجودات والدليل عليه ان كلمة هو مثلا الذي كان معناه قد كانت موضوعة بغير الوجود الخاص
فهى اما موضوعة لمهية مخصوصة فيجب ان لا يطلق على غيرها ويغيب درهم الى الفهم عند الاطلاق
بعد العلم بوضعها اياها والواقع بخلافه واما موضوعة لجميع المهيات بوضع واحد وهو ظاهر
البطلان والا فينبغي ان يتبادر الى الذهن عند الاطلاق وليس كذلك واما موضوعة لمهيات
متعددة غير متناهية باوضاع متعددة غير متناهية وهو ظاهر البطلان ايضا ولا انها موضوعة
لمهية ما من حيث هي والا لم يفهم منها مهية مخصوصة اذ العام لا دلالة له على الخاص والثاني كذلك
ولا ايضا يصح ان يقال انها موضوعة لمهية ما بشرط كونها غايبة والا لزم ان لا يفهم من كلمة
هو الا هذا المفهوم بل الحق ان الضماير كلها كهو وانت وغيرها وكذا اسماء الاشارات كلها
كهذا وذلك وغيرها موضوعة لانحاء الهويات الوجودية بمعنى ان الوجود حقيقة واحدة وله افراد
واعداد متمايزة لا تتشخص يصح ان يتصورها الواضع من جهة وحدة حقيقتها المشتركة ويضع
الاسم لافرادها الخاصة بحسب اوضاعها الوجودية التي حكمها حكم اصل الوجود في وحدتها وتعددها
وهذا المعنى قولهم في اسماء الاشارة ان الوضع فيها عام والموضوع له هي خصوصيات فعلى الخصوصيات
فعلى هذا لا هو لا يطلق على المهية بل على الهوية لان المهية مشتقة من الهوية لانها مأخوذة
من ما هو وهو السؤال عما به الشيء هو هو فيكون كلاهما يشير الى شيء واحد فالفرق بينهما بحسب جوهر اللفظ

ومادة الهوية قلنا الفرق بان هو عبارة عن الوجود الشخصي وما هو سؤال عن حالة ذاتياته
وهي المعاني الكلية المتحدة معه فى مرتبة وجوده الذاتي الصادقة عليه بحسب تلك المرتبة فما له مهية
غير الهوية فمدلول هو غير ما وقع فى جواب ما هو لانه من المطالب الكلية فهما متغايران معنى
ولهذا افترقت الهوية عن المهية في الواجب تعالى وكذا في الهويات الوجودية التي هي هويات
فى العالم الحضوري الشهودي فافهم واغتنم
الفصل الرابع فى الاشارات الى لمعة
من لوامع التوحيد الخاصي ان لنا باعلام الله والهامه بها تشريفا على هذا المطلب الشريف
الذي هو الوجه الكلي لاهل السلوك العلمي محكما في بناء وثاقته التي ملئت حرسا شديدا وشهبا
لا تصل اليه مس شياطين الاوهام ولا يحتسبه القاعدون منه مقاعد للسمع الا المطرودون من ارجاء
الجاهلية المتكثرة من ظلمات الاجسام بيانه ان الواجب تعالى لما كان منتهى سلسلة الحاجات
والتعلقات فليس وجوده متعلقا بشيء متوقفا على شيء فيكون بسيط الحقيقة لا ينقسم في وجود
ولا في عقل ولا في فهم فذاته واجب الوجود من جميع الجهات كما انه واجب الوجود بحسب الذات فليس فيه
جهة امكانية ولا امتناعية والا لزم التركيب بوجه من الوجوه المستدعي للامكان فاذا تقررت
هذه المقدمة التي مفادها ان كل وجود وكل كمال وجود يجب ان يكون حاصلا لذاته فايضا عنه
مترشحا على غيره كما قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وتماما عين ذاته فلو كان في الوجود اله
غيره فيكون لا محالة منفصل الذات عنه لاستحالة ان يكون بين الواجبين علاقة وجودية
والا لزم معلولية احدهما وهو خلاف الفرض فلكل منهما على الفرض المذكور مرتبة من الكمال
الوجودي ليس للاخر ولا منبعثا منه فايضا من لدنه فيكون كل منهما عادما لكمال وجودي فاذن
لا يكون محض حيثية الفعلية والوجوب بل يكون ذاته بذاته مصداقا لحصول شيء و
فقد شيء اخر فلا يكون بسيط الحقيقة خالصا بل مزدوجا والازدواج ينافي الوجوب الذاتي
كما مر وقد ظهر ان كل بسيط الحقيقة يجب ان يكون كل الوجود وكله الوجود كما يعلمه الراسخون
في العرفان وبالجملة فواجب الوجود يجب ان يكون من فرط التحصل وكمال الفعلية
جامعا لجميع النشآت الوجودية فلا مكافي له في الوجود ولا ثاني له في الكون ولا شبيه ولا نديد
ذاته من تمام الفضيلة يجب ان يكون مستند جميع الكمالات ومنبع كل الخيرات فيكون بهذا المعنى
تاما وفوق التمام فهذا هو بيان التوحيد الخاصي اي نفي المشاركة في الوجوب وقد انجر الى
التوحيد الاخصي وهو نفي المشاركة في الوجود
الفصل الخامس في ان الباري هو الحق
وكل ما سواه باطل دون وجهه الكريم بيانه ان العلية والمعلولية كما ثبت وتقرر لا يكونان
الا في نفس الوجود لما علمت ان الماهيات لا تأصل لها في الكون ولا في الجعل وعلمت ايضا ان هوية

الشيء وذاته هي عين نحو وجوده الخاص به فالجاعل جاعل بنفس وجوده والمجعول مجعول بنفس
وجوده بجعل بسيط لا بصفة زائدة على نفس هويته الوجودية فاذا تقرر هذا فنقول الحاصل ان
كل موجود معلول فهو في حد ذاته متعلق بغيره ومرتبط به فيجب ان يكون ذاته الوجودية
ذاتا تعلقية ووجوده وجودا تعلقيا لا بمعنى انه شيء وذلك الشيء موصوف بالتعلق بل هو في
هو عين معنى التعلق بشيء والانتساب اليه والا فلو كانت له هوية غير التعلق والافتقار الى الجاعل
ويكون التعلق والافتقار ايضا عارضا لذاته فلم يكن ذاته متعلقا بفاعله مجعولا له فيكون المجعول
بالذات شيئا آخر وهو خلاف المقدر ويكون هذا المفروض مجعولا مستقل الحقيقة غير متعلق
الهوية بفاعله فاذا ثبت ان كل علة علة بذاتها وكل معلول معلول بذاته وثبت ان ذات
الشيء هي وجوده وان المهيات امور كلية اعتبارية منتزعة من انحاء الوجودات يجب هوياتها
فينكشف ان المسمى بالمعلول ليست هويته مغايرة مباينة لهوية علته المفيضة ولا يمكن للعقل
ان يشير الى المعلول على هوية منفصلة عن هوية موجده حتى يكون هناك هويتان مستقلتان
في الاشارة العقلية احديهما مفيضة والاخرى مفاضة والا لم يكن ذاته بذاته مفاضة فيعلم
للعقل ان يشير الى المهيات والاعيان الثابتة فهم مع تعلقها بزوالها الى علة خارجة عن ذاتها
المجعول بالجعل البسيط لا ذات له مباينة لذات جاعله فاذا ثبت تناهي سلسلة الموجودات
الى الحقيقة والحق بسيط ظهر ان لجميع الموجودات حقيقة واحدة هي ذاته وجوده وموجود — ذاته
وموجد وهو بحقيقته محقق الحقائق ومطوع نوع منوره مهيات السموات والارض فهو
الحقيقة والباقي شئونه وهو الذات وغيره اسماؤه وهو الاصل وما سواه اطواره وفروعه
وحيثياته قد ظهر هذا التبيين وينكشف معنى ما ورد في الاذكار الشريفة الالهية يا هو يا من
هو يا من لا هو الا هو اذ قد ثبت ان الهويات الوجودية التي بعد مرتبة الهوية الالهية كما لا
يمكن حصولها في الخارج منحازة عن الذات الاحدية بل هي متقومة قوامها ومقرون حوانيتها
كذلك لا يمكن للعقل ان يشير اليها اشارة عقلية او حسية بحيث يباينها الاشارة منحازة عن
الاشارة الى مقومها الاحدي بل هو المشار اليه في كل اشارة ولا يشار اليه فيكون محدودا
وهو المشهود في كل شهود ولا شهادة وهو المنظور بكل عين ولا نظر اليه فيكون محاطا به
وهو المسموع بكل سمع ولا جهة له وهو المعقول بكل عقل ولا اكتناه فاينما تولوا فثم وجه
الله فهو في كل مكان بلا مكان فهو في كل زمان بلا زمان فلا كيف لذاته ولا علم بصفاته ولا
حين لزمانه ولا كنه لشانه ولا حيث حيث هو ولا اين اين هو ولا متى حين هو فهو هو ولا هو
الا هو ولا هو بلا هو الا هو ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو وصلى الله على سيد الورى

محمد

محمد المصطفى والائمة مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى **فصل** الرحمن فعلان من رحم كغضبان
وسكران من غضب وسكر والرحيم فعيل كمريض وسقيم من مرض وسقم فهما اسمان بنيا
على صيغتين من صيغ المبالغة وفي الفعلان من المبالغة ما ليس في الفعيل ولهذا عليه زيادة
في البنا كما في كبار وكبار وكما في شقدف وشقنداف ولذلك يقال تارة رحمن الدنيا والاخرة
ورحيم الدنيا هذا بحسب الكمية ويقال تارة يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة هذا بحسب الكيفية
لان رحمة الدنيا تعم المؤمن والكافر ورحمة الآخرة تخص المؤمن والاظهر من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق ولهذا لم يستعمل في غير الله كان الله من الاسماء الغالبة واطلاق
بني حنيفة رحمان اليمامة على مسيلمة وقع من باب التعنت في كفرهم والسبب في ذلك ان معناه
الحقيقي الاصلي البالغ في الرحمة غايتها وهذا المعنى لا يكون صادقا في غيره لان ما سواه
في كونه راحما فليست رحمته بالغة حد الغاية وهو ظاهر لان من عداه ناقص الرحمة منته — استنادها
او لا ثم اعطي شيئا مما استفاضه والحق الحقيقي بالاذعان ان اطلاق الرحمة على غيره مجاز لانا
بوجوه الاول ان الجود افادة ما ينبغي لا لعوض وكل احد غير الله لا يعطي شيئا الا لياخذ عوضا
لان الاعواض والاغراض بعضها جسمانية وبعضها خيالية وبعضها عقلية فالاول كمن
اعطى دينارا ليأخذ ثوبا والثاني كمن يعطي المال لطلب الخدمة او الاعانة والثالث كمن
يعطيه لطلب الثناء الجميل والرابع كمن يعطيه لطلب الثواب الجزيل او لازالة حب الدنيا او رقة
الجنسية عن قلبه وهذه الاقسام كلها اعواض فيكون ذلك الاعطاء بالحقيقة معاملة ومعاوضة
ولا يكون جودا ولا هبة ولا عطاء واما الحق سبحانه فهو لما كان كاملا في ذاته وصفاته فيستحيل ان
يعطي شيئا ليستفيد به كمالا فهو الجواد المطلق والراحم الحق واعلم ان هذا انما يتم على مذهب اهل
الحق القائلين بان حكمة تامة لفاعليته بحسب ذاته وصفاته لا بحسب قصد زائد ولا لفعله
غاية سوى ذاته وكان صدور الاشياء منه على سبيل العناية والفيض دون القصد والروية كما ذ
الاكثرون تعالى عنه علوا كبيرا الثاني ان كل ما سواه ممكن الوجود بحسب هويته والممكن مفتقر في وجوده
الى ايجاد الواجب اياه ابتداء والامكان التي عليه يحتاج الى المؤثر الواجب كما برهن عليه فما
وكل رحمة تحصل من غير الله فهي انما دخلت في الوجود بايجاد الله لا بايجاد غير الله اذ ليس لغيره صنع
الايجاد بل انما شان غيره الاعداد والتخصيص في الاسناد فيكون الراحم في الحقيقة هو الله الثالث
ان من اطعم المضطر مثلا ولكن لا يصح الانتفاع بها ما لم يحصل المعدة الهاضمة للطعام
والشهوة الداعية الى اكله والقوى الهاضمة لذلك والآلات المعدة لنقله وتحصيله ومجيئه
والمحيج وغير ذلك مما يتوقف عليها من الخبث والحديد والجماد والحداد فالارض التي تقوم عليه

والهواء الذي تتغوث به والافلاك بجملة جهات امكنتهم وازمنتهم والكواكب التي تتنور
في اليوم والنهار البحر كلها ويتحرك الماء فيه وتنضج حبوبهم واثمارهم التي يتغذون بها والملائكة
الذين يدبرون السماوات ويحركون الكواكب كالشمس والقمر وغيرها على سبيل المباشرة والملائكة
العلوية الذين يدبرون هذه الملائكة على سبيل التشويق بالوحي والاعلام فما لم يخلق الله
هذه الاشياء لم يحصل الانتفاع بتلك الحنطة فخالق تلك الحنطة والممكن لنا من الانتفاع
بحفظ هذه الاسباب حتى يحصل الانتفاع هو الرحيم فصل قيل في تقديم الرحمن على الرحيم
والقياس يقتضي في ذكر النعوت الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وجواد
شجاع باسل انه لما صار كالعلم كما مر فيكون اولى بالتقديم او لان الرحمن لما دل على عظائم
النعم وجلائلها واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف ولهذا
وقع التسمية بهذه الاسماء دون غيرها ليدل على ان الحري بالاستعانة به في مجامع المهمات هو المعبود
الحقيقي الذي هو مولى النعم ومبدئ الخيرات كلها عاجلها وآجلها وجليلها ودقيقها ليتوجه
العارف بجميع قواه ومشاعره الى جناب القدس وينقطع نظره عن ما سواه ويشتغل سره بذكره وبه
ولا يستمد ادبر في مقاصد اولاه واخراه واعلم ان الاشياء اربعة اقسام الضروري النافع
والنافع الغير الضروري وعكسه والذي لا ضرورة فيه ولا نفع اما الاول فهو اما في الدنيا
فكالنفس فانه لو انقطع منك لحظة واحدة مات القلب واما ان يكون في الاخرة فهو
معرفة الله فانها ان زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب واستوجب العذاب الاليم
واما الثاني فهو كالمال في الدنيا وسائر العلوم في الاخرة واما الثالث فهو كالمضار التي
لا بد منها كالموت والمرض والهرم والفقر ولا نظير لهذا القسم في الاخرة فان منافع
الاخرة لا يلزمها شيء من المضار واما الرابع فهو كالفقر في الدنيا والجهل والعذاب في الاخرة اذا
عرفت هذا فنقول قد ذكرنا ان النفس في الدنيا ضروري نافع وبانقطاعه يحصل الموت وكذا
المعرفة في الاخرة فلو زالت عن القلب لحظة لهلك لكن الموت الاول اسهل من الثاني
لانه لا يتالم الا ساعة واحدة واما الموت الثاني فانه يبقى عذابه ابد الاباد وكما ان
للتنفس اثران ادخال النسيم الطيب على القلب وابقاء اعتداله وسلامته واخراج
الهواء الفاسد المحترق عن القلب كذلك الفكر له اثران احدهما ايصال النسيم البرهاني
الى القلب الحقيقي وابقاء اعتدال الايمان والمعرفة عليه والثاني اخراج الاهوية
الفاسدة المتولدة من الشبهات عنه وما ذاك الا بان يعرف ان هذه المحسوسات
متناهية في مقاديرها ينتهي بالاخرة الى الفناء بعد وجودها وان وراء هذا العالم

عالم

عالم البيه من جميع نفوسنا المطهرة عن شوائب الادناس والارجاس ليبرغ في ذلك العالم النوراني وفناء
بالكلية حيوة وبقاء ومن وقف على هذه الاحوال بقي امنا من الافات وواصلا الى الخيرات في المراتب
وبكمال معرفة هذا الامر ينكشف لعقلك ان كل ما وجدته ووصلت اليه وهو قطرة من بحار
رحمة الله وذرة من انواره احسانه فعند ذلك ينفتح على قلبك معرفة كون الله تعالى رحمانا رحيما
وانه مبدأ الخيرات كلها ومعطي جلائل النعم ودقائقها وسوابق المنافع ولواحقها
فصل في ذكره توحيد وصفه نفسه بالرحمة ومعناها التعطف والحنو ومنها الرحم
لانعطافها على ما فيها انه مجاز عن انعامه على عباده وقيل ان اسماء الله انما تؤخذ باعتبار
الغايات التي هي الافعال والاثار لا باعتبار مباديها التي تكون انفعالات هذا غاية ما حصل
لاصحاب الانظار ومن لهم بمثل هذه الاسماء والصفات واعلم ان هذا العلم ايضا مما خصه الله
اهل الاشارة دون العبادة وان ما ذكروه يؤدي الى فتح باب التاويل اكثر ما ورد في احوال المبدء
وفيه مزيد المفاتح الغيبية شيء مما يتعلق بهذه المسألة واعلم ان جمهور اهل اللسان لما لم
يالفوا الا المحسوسات ولم يتجاوزوا عنها فيما يطلق عليه اسم النار في هذه الدار حكموا بان كل نار حارة ولكن من
من انفتح عليه باب الملكوت فربما شاهد نيرانا كامنة في بواطن الامور ليس للاشياء تسخينا
اشد من تسخين هذه النار المحسوسة ومع ذلك ليست مسخنة ولا حارة وهي كقوة الغضب
وما فوقها كالنفس وما فوقها كغضب الله فالحكم بان كل نار حارة على عمومه غير صحيح عندهم وكذلك
لما شاهدوا في هذا العالم كل متحرك متحركا وكل فاعل لشيء متغيرا في فاعليته حكموا بان كل محرك
متحرك وكل فاعل لشيء فاعل بعد ما لم يكن وعند التحقيق والعرفان ظهر ان ما زعموه مخالف
للبرهان وكذلك اشياء كثيرة من هذا القبيل والسر فيه ان موجودات هذا العالم كلها ناقصة
في درجة الموجودية ومن ولها في اقصى مرتبة النزول والخسة يصحبها اعدام وقوى وانفعالات
من جهة المادة الجسمية فما بين فاعليتها لانفكاك عن انفعالات وليس هنا فاعل غير منفعل
ولا موثر غير متاثر ولا مستعير آخذ ولا رحيم غير مرحوم وهذا انما هو بحسب الاتفاق لا ان هذه
الا فاعل داخلة في مفهومها لان مالك الانفعالات نعوذ باهل الحجاب واصحاب الارتياب كل كاتب متحرك
الا صابع وكل ذلك تحرك ليس عند اهل المشاهدة صحيحا بل كلية هذه القضايا عندهم ممنوعة بل
ممتنعة اذ مفهوم الكاتب هو المصور للمعاني والنقش للحقائق وليست حركة الاصابع داخلة
في مفهومه ولا من شرط تحريك الانامل فرب كاتب عندهم كالكرام الكاتبين لم يحرك اصابعه
عند الكتابة بل رب كاتب لم يتغير ذاته ولا صفاته ولا كتابته وهو الذي كتب على نفسه الرحمة فتعالى

ايضا مهية فيجب ان لا يكون مجعولا واقعا بتأثير الفاعل لما علمت حاله من نفسه يستغنى عن الجاعل
وكذا قولهم فان الذي يوجد ذلك قالوا الواقع بتأثير الفاعل هو موصوفية الماهية بالوجود فهي ايضا
مفهوم ما مغاير لهما امتنع استنادها الى الفاعل وان كان مغايرا فلا بد ان يكون له مهية
فيعود الكلام انتهى وذلك لان مذهب هؤلاء هو ان مفاد الجعل والتأثير اولا هو صيرورة الماهية
موجودة اى هذه الهيئة التركيبية لا ان شيئا من الماهيات ولا الوجود ان هذه
الصيرورة ايضا مثلها لانها مستغنية عن الجعل وهذا مثل ان يقال ان التصديق عبارة عن
اذعان ان زيدا مثلا قائم فكما ان التصديق ليس تصور المحكوم عليه ولا تصور المحكوم به
ولا تصور النسبة بل الهيئة الاذعانية على الوجه الذي يكون الموضوع متلبسا بالمحمول فمفاد
التصديق اعتقاد ان زيدا قائم لا تصور هذا الاذعان ولا تصور قيام زيد لانهما من باب التصور
ولا تصور زيد فان نسبة ما ذكرنا بل ادراك النسبة على انها نسبة او على انها معنى حرفي لا على انها معنى اسمي
منسوب اليه فهكذا قولهم في كون اثر الجاعل اتصاف الماهية بالوجود لمفاد الجعل والتأثير عندهم
كمفاد التصديق في الذهن فاندفع النقض الذي اورد عليهم عنهم سواء كان مذهبهم صحيحا او فاسدا
الوجه الثالث ان ضمير هو وساير الضماير كانا وانت وغيرها ليس معانيها الا انحاء
الوجودات والدليل عليه ان كلمة هو مثلا الذي كان معناه لو كانت موضوعة لغير الوجود الخاص
فهي اما موضوعة لمهية مخصوصة فيجب ان لا يطلق على غيرها ويتبادر الى الفهم عند الاطلاق
بعد العلم بوضعها اياها والواقع بخلافه واما موضوعة لجميع المهيات بوضع واحد وهو ظاهر
البطلان والا فينبغي ان يتبادر الى الذهن عند الاطلاق وليس كذلك واما موضوعة لمهيات
متعددة غير متناهية باوضاع متعددة غير متناهية وهو ظاهر البطلان ايضا ولا انها موضوعة
لمهية ما من حيث هي هي والا لم يفهم منها مهية مخصوصة اذ العام لا دلالة له على الخاص والوجه كذلك
ولا ايضا يصح ان يقال انها موضوعة لمهية ما بشرط كونها غايبة والا لزم ان لا يفهم من كلمة
هو الا هذا المفهوم بل الحق ان الضماير كلها كهو وانت وغيرها وكذا اسماء الاشارات كلها
كهذا وذلك وغيرهما موضوعة لانحاء الهويات الوجودية بشرائط الوجود حقيقة ولها افراد
واعداد متمايزة بالاشخاص يصح ان يتصورها الواضع من جهة وحدة حقيقتها المشتركة ويضع
الاسم لافرادها الخاصة بحسب اوضاعها الوجودية التي حكمها حكم اصل الوجود في وحدتها وتعددها
وهذا المعنى قولهم في اسماء الاشارة ان الوضع فيها عام والموضوع له هي خصوصيات فعلى الخصوصيات
فعلى هذا لا هو الا هو لا يدل الا على نفى المهية بل على نفى الهوية لان المهية مشتقة من الهوية لانها ما خوذة
من ما هو وهو السؤال عما به الشيء هو هو فيكون كلاهما يشير الى شيء واحد فالفرق بينهما بحسب جوهر اللفظ

ومادة

ومادته اللغوية قلنا الفرق بان هو عبارة عن الوجود الشخصي وما هو سؤال عن طلب ذاتياته
وهي المعاني الكلية المتحدة في مرتبة وجوده الذاتية الصادقة بحسب تلك المرتبة فما له مهية
غير الهوية فمدلوله هو غير ما وقع في جواب ما هو لانه من المطالب الكلية فهما متغايران معنى
وبهذا افترقت الهوية عن المهية في الواجب وكذا في الهويات الوجودية مما هي هويات
في العالم الحضوري الشهودي ذاتهم واغتنم **الفصل الرابع في الاشارة الى لمعة
من لوامع التوحيد الخاصي** ان لنا باعلام الله والهامه برهانا شريفا على هذا المطلب الشريف
الذي هو الوجهة الكبرى لاهل السلوك الالهي محكما في بنائه وثاقته التي ملئت حرسا شديدا وشهبا
لا يصل اليه مس شياطين الاوهام ولا يمسه القاعدون منه مقاعد للسمع الا المطرودون من احجار
الجاهلية المكتسبة من ظلمات الاجسام بيانه ان الواجب تعالى لما كان منتهى سلسلة الحاجات
والتعلقات فليس وجوده متعلقا بشيء متوقفا على شيء فيكون بسيط الحقيقة لا ينقسم في وجود
ولا في عقل ولا في فهم فذاته واجب الوجود من جميع الجهات كما انه واجب الوجود بحسب الذات فليس فيه
جهة امكانية ولا امتناعية والا لزم التركيب بوجه من الوجوه المستدعي للامكان فاذا تقررت
هذه المقدمة التي مفادها ان كل وجود وكل كمال وجود يجب ان يكون حاصلا لذاته فايضا منه
مترشحا على غيره كما قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وتماما على ذاته فلو كان في الوجود اله
غيره فيكون لا محالة منفصل الذات عنه لاستحالة ان يكون بين الواجبين علاقة وجودية
والا لزم معلولية احدهما وهو خلاف الفرض فيحكم كل منهما على الفرض المذكور مرتبة من الكمال
الوجودي ليس للآخر ولا منبعثا منه فايضا من لدنه فيكون كل منهما عادما لكمال وجودي فذاته
ح لا يكون محض حيثية الفعلية والوجوب بل يكون ذاته بذاته مصداقا لحصول شيء و
فقد شيء اخر فلا يكون بسيط الحقيقة خالصا بل مزدوجا والازدواج ينافي الوجوب الذاتي
كما مر ومن هيهنا ظهر ان كل بسيط الحقيقة يجب ان يكون كل الوجود كله الوجود كما يعلمه الراسخون
في العرفان وبالجملة فواجب الوجود يجب ان يكون من فرط التحصيل وكمال الفعلية
جامعا لجميع النشآت الوجودية فلا مكافي له في الوجود ولا ثاني له في الكون ولا شبيه ولا نديد
ذاته من تمام الفضيلة يجب ان يكون مستند جميع الكمالات ومنبع كل الخيرات فيكون بهذا المعنى
تاما وفوق التمام فهذا هو بيان التوحيد الخاصي اي نفي المشارك في الوجوب وقد انجر الى
التوحيد الاخصي وهو نفي المشارك في الوجود **الفصل الخامس في ان البارى هو الحق
وكل ما سواه باطل دون وجهه الكريم** بيان ان العلية والمعلولية كما ثبت وتقرر لا يكونان
الا في نفس الوجود لما علمت ان الماهيات لا تأصل لها في الكون ولا في الجعل وعلمت ايضا ان هوية

المشاهدة ومن الواصلين الى العين دون اتصافهم بالعيان للاثر انتهى كلامه وتضمن ايضا تلك آثرنا
الاختصار في مقام خرست فيه السن الفصحاء واتبعنا قول سيدنا ونبينا المختار عليه وآله الصلوات
والاثنية اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا تبصرة اعلم ان الانسان مركب من جسد كالمركب
وروح كالراكب وهو مما خلقه الله من سفر الآخرة وغاية سفره لقاء الله تعالى لذلك خلق وعليه فطر وجبل
وهو المقصود من الروح والمقصود من الجسد اكتساب المنافع واقتناء الخيرات والتخلص عن الرذائل
والآفات وهو المعني بالعبادة والخلوص فاذ وجه كان افضل احوال الجسد ان يكون آتيا بالاعمال
المتقربة للروح الى الله تعظيما للمعبود وخضوعا لديه وهو اول درجات السعادة للانسان وهو المراد
بقوله تعالى اياك نعبد وافضل احوال الروح ان يكون مرتبطا بالحق متعلقا به منقطعا عن غيره متجردا
عن الدنيا وما فيها فاذا واظب على تحصيل هذه المرتبة وداوم على تجريد ذاته وتخليصها عن العلائق
المادية والغواشي الدنيوية حصل ذلك فظهر له شيء من انوار القدس ولوامع الغيب فاذا امتزجت ذاته
بنور المعرفة والعبادة لا يعلم ان يصل اشوقه الى عالم الملكوت وصارت ذاته محل التقرب الحقيقي وذلك
ولا يكون الا بامداد مقلب القلوب ومحرك النفوس وانه بنفسه لا يستقل بالاتيان بهذه العبادات والتدرج
على هذه الدرجات ولا يمكنه الاتيان بتحصيل شيء من الكمالات العلية الا بتوفيق الله وعنايته
وعصمته وهو المراد من قوله تعالى واياك نستعين وفيه نحو من التوحيد الافعالي وقال
بعض العرفاء الموحدين ولولا ان المصلي ادعى الاستطاعة في الافعال والاستقلال لما
انزل الله عليه تكليفا قط ولا شريعة ولهذا اجل حظ المؤمن من هذه الدعوى ان يقول اياك نستعين
بحظ العرفاء المكاشفين ممن وقع عنهم التبري من الافعال الظاهرة وجودها منهم ان يقولوا
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذا القول لا يصدر على وجه الصدق الا عن اولئك الكمل
العارفين بهذا التوحيد الافعالي فهو لهم خاصة دون غيرهم فكم بين الحالين من التبري والدعوى
فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه والمتبري غير مطالب بذلك ولا تقل ان التبري ايضا دعوى فانه
التبري لا يستدعي شيئا والنافي لا دليل عليه اسم المتبري انتهى كلامه وبالجملة فالمراد من قوله اياك نستعين
طلب الهداية لاقرب المناهج واقوم الطرق الى الله وفيه كما وقع الافصاح عنه بعد هذا بما يتلوه
بحسبه اخرى الضميران المستكنان في هذين الفعلين اما للتنبيه وانه او للامام ومن حضر
صلوة الجماعة معه للقاري ومن معه من الحفظة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته في عبادته
في تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببركاتها ويجاب اليها كما روج البائع غير الرائج
في جملة الرائج في صفقة ومن هاهنا يعلم سر شرعية الجماعات ولتقديم ضمير المعبود والمستعان
به وجوه اخرى غير ما ذكر كالتعظيم وتقديم ما هو مقدم في الوجود والاشارة الى ان نظر العابد

والتفاته

والتفاته ينبغي ان يكون مقصورا على ذات المعبود اولا وبالذات ثم الى العبادة لانها وسيلة
وتوصله بينه وبين الحق فمن كان غرضه من المعرفة والعبادة نفسه او نفس شيء منهما فهو ليس
من الموحدين ولا من العابدين لانه يعبد غير الله وهذه حال المبتهج بزينة ذاته وان
كان بمعرفة الحق واما من عبد الله وغاب عن ذاته وعن عبادته فهو مستغرق في العبودية لله بما هي
عبودية له وانتساب اليه نسبة الفقر والحاجة التي هي من اشرف النسب فان قصارى مجهود
العابدين تصحيح هذه النسبة ومن كان هذه حالته في العبادة فهو من الواصلين لا محالة اذ ملاحظة
النسبة بما هي نسبة عين ما لاحظ المنسوب اليه فهو بالحقيقة مستغرق في ملاحظة جناب القدس
وغائب عن ما سواه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوال نفسه الا من حيث انها ملاحظة
له ومفتقرة اليه ولهذا رجح قول حبيب الله لا تحزن ان الله معنا على قول كليمه ان معي ربي سيهدين
وبالجملة اشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية والسبب العقلي فيه ان جميع الموجودات
قابلة للرحمة الالهية والكمال الوجودي بحسب فطرتها الامكانية وانما المانع منها عن قبول الفيض
الاتم والجود الاشمل هو تقيدها بقيد خاص وتصورها بصورة وجودية مخصوصة تضاد قيدا
آخر وصورة وجودية اخرى فبقدر تخلصه من قيد الجزئية وتجرده عن صورته المخصوصة
يستحق الكمال الاتم واعم وصورة وجودية اشمل واكمل فاذا تجرد عن كل ما سوى الله وغاب
عن كل اسم ورسم وحلية وصفة وحول وقوة كان الله له بل لا عين جميع ذلك فصار الحق حوله
وقوته وسمعه وبصره ويده ورجله وجميع قواه وجوارحه كما ورد في الحديث القدسي من غير تغير
وتكثر في ذاته وصفاته تعالى من ذلك علوا كبيرا ولهذا امثلة كثيرة منها ان الهيولى الاولى
للاجسام لما كانت في ذاتها عارية عن كل صورة حسية وصفة جسمانية قبلتها كلها
بخلاف المواد الثانوية لها من حيث استعدادها الخاص لا تقبل الا صورة واحدة فكذلك النفس
الانسانية التي هي هيولى المعقولات من شأنها ان تقبل جميع الصور العقلية والكمالات الملكوتية
والاخلاق الحسنة كلها الا ان تقيدها ببعض الصفات واحتجابها بحجب بعض الملكات يمنعها
عن الاتصاف بما فوقها ومنها ان العناصر اذا امتزجت وتفاعلت وانفعل كل منها عن صاحبه
انكسرت كيفياتها وكادت تخلع عنها صورها المتضادة الجزئية فبقدر انكسارها وشدة افتقارها
الى ما يحفظها عن الفساد افاض عليها المبدأ الجواد صورة كمالية جامعة لكمالات تلك الصور
المتعددة بوحدتها الجمعية وقس عليها حال النفوس المتعددة اجتماعها في بيوت العبادات
ومجالس العلم والذكر وتركها شواغلها الدنيوية كيف يفاض عليها بركة الهيئة الجمعية
وينكشف عليها صورة المسألة العلمية التي هي اشرف من تلك الشواغل ومنها ان الجسم الملون

الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون انتهى اقول لكون كل واحد
من افراد الناس او اكثرهم مشتملا على نظاير ما في العالم الكبير كلا او جلا محل نظر رب انسان
لم يتجاوز عن حدود البهيمية الى درجة العقل واشتماله على بعض نظاير غير مختص بالانسان
ويمكن ان يراد بالعالمين هنا العلماء من الانسان اما على عرف اصل اللغة فظاهر واما على المتعارف
بين الناس فلان كل عالم بالفتح اما باعتبار ذاته فيه من كل ما في العالم الكبير شي لان انشاته
مظهر جميع الاسماء والصفات الالهية ويجمع كل الحقايق الكونية سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي الانفس فيكون انموذجا لجميع ما في العالم فهو بهذا الاعتبار عالم صغير ولذلك سمي بالعالم
الصغير فكانه كتاب مختصر منتخب من جميع العالم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها كما ان
القران مع وجازته مشتمل على جميع ما في الكتب السماوية واما باعتبار انه اذا نور باطنه الى عالم
الاخرة وحشر الى ربه بصيرا علمه عينا وغيبه شهادة فكلما اخطر بباله من الافلاك والعناصر
والجنات والانهار والحور والقصور وغير ذلك يكون موجودا في الخارج من غير مضايقة
وتزاحم فله من كل عالم نظيره وشبيهه ولو كان اعظم من هذا العالم بكثير فهو بهذا
الاعتبار عالم كبير بل انه ليس جزءا من اجزاء هذا العالم ولهذا سمي بالعالم الكبير بل بالعالم
الاكبر ايضا نظرا الى هذا وتسميته بالعالم الصغير انما هي نظرا الى الاعتبار الاول فعلى ما بيناه
زال الاشكال الذي يورد هاهنا من ان الانسان جزء من العالم فكيف يزيد على الكل وقد يتكلف بعض
اهل النظر ممن يريد ان يطير مع الطيور السماوية باجنحة علمية صنعها بيديه والصقها
بجنبيه في دفع هذا الاشكال بهذا المقال وهو ان اهل الذوق يجعلون من حيث الوجود الخارجي
وما يشتمل عليه من الاجزاء والاحوال جزءا من العالم حتى يكون العالم الصغير الذي هو الانسان
كبيرا بالنسبة اليه هو الموجودات الخارجية والعالم الكبير هو الانسان بجميع ما يشتمل عليه من الموجودات
الخارجية والذهنية فيزيد على العالم بالموجودات الذهنية ثم اعترض على نفسه اعتراضا واردا
لا مدفع له بقوله فان قلت العالم الكبير ايضا يشتمل على الموجودات الذهنية اذ العقول و
النفوس الفلكية ناطقة مدركة للاشياء كما هو المشهور بين الفلاسفة فاجاب عنه
بقوله قلت اما العقول فلا احساس لها مطلقا واما النفوس الفلكية فلا احساس لها بالحواس
الظاهرة انتهى اقول ولا يخفى ما فيه من الركاكة فانه على تقدير صحته لا يثبت الا كونه كبيرا بالنسبة
الى العقول والنفوس لا بالنسبة الى مجموع العالم المشتمل على العقول والنفوس الكلية المدركة
للكليات وعلى النفوس الجزئية الحيوانية المدركة للجزئيات فالحق ما ذكرناه من ان الانسان الكامل
عند خروج روحه عن مشيمة هذا العالم وتزحزحه ذاته يكون كما اشار اليه ابو يزيد البسطامي

بقوله

بقوله لو ان العرش وما حواه الف مرة وقع في زاوية قلب العارف لما احس به وقد اشار
بعض اكابر العارفين في نظمه الى هذا المعنى حيث قال يا خالق الاشياء في نفسه انت
لما تخلقه جامع تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فانت الضيق الواسع من وسع الحق فما ضاق
عن خلق فكيف الامر يا سامع فقوله من وسع الحق اشارة الى الحديث القدسي المشهور اعني قوله سبحانه
ما وسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن تنبيه ذكر البيضاوي
ان فيه دليلا على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها مفتقرة الى المبقي حال بقائها
بناء على ما ذكر سابقا ان معنى التربية تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا واقول ليس فيه دليل على ذلك
اذ الشيء الذي يحتاج الى حصوله على هذا الوجه في جميع زمان وجوده هو بعينه زمان حدوثه
فان النامي مثلا زمان يمتد من اول نشوه الى منتهى كماله المقداري هو زمان حدوث مقداره
الحاصل له شيئا فشيئا كفعل الصلوة فان زمانه من ابتداء اول تكبيرة الافتتاح الى اخر تسليمة الختام
كله وقت الحدوث لا وقت البقاء نعم فيه دليل على ان العالم لم يتم بل يجيء الحصول متدرج في التكوين
ويحقق ما بيناه في العلوم البرهانية حدوث العالم باقامة البراهين القطعية على ان جواهر
هذا العالم والصور الطبيعية للاجرام السماوية والاسطقسية كلها متدرجة الكون
سيالة الحصول غير قارة الوجود كالحركة المتصلة ومقدارها من الزمان وهذا التحقيق من
المطالب الشريفة اختص بادراكها القلوب المنورة بنور الايمان والتابعة دون النفوس
المقتصرة على الانظار الكلامية والاراء الفلسفية وبه يظهر السر وينكشف الامر في ان
خلق السموات والارض وما بينهما انما كان في ستة ايام كما سيجيء بيانه في موضعه
قوله جل اسمه الرحمن الرحيم اي قد مضى تفسيرهما وانما وقع ذكرهما ثانيا للمبالغة
والتاكيد اولان في الاول ذكر الالهية فوصل بذكر النعم التي بها يستحق العبادة وهاهنا ذكر
الحمد فوصله بذكر ما يستحق به الحمد والشكر على النعم فليس فيه تكرار قوله عز وجل
مالك يوم الدين قرا عاصم والكسائي وخلف ويعقوب بالالف والباقون بغيره و
قري بتسكين اللام وقري بلفظ الفعل ونصب اليوم وقري مالك بالنصب وملك كذلك
على المدح او الحالية ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك كذلك
قيل المختار بغير الالف لانه امدح ولانه قراءة الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك
الناس ولان الملك عظيم والملك تحت ولانه لا يكون الا مع العدد الكثيرة والاحتواء على الجمع
الكثير بالسياسة والتدبير ومن قرا بالالف يقول ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون
مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه وقد يدخل في الملك ما لا يصح

دخوله في الملك يقال فلان مالك البهائم ولا يقال ملك البهائم ومن هذا ظهر ان الوصف بالملك
اعظم من الوصف بالمالك ولانه ما من شيء وصف نفسه بانه مالك الملك وهو ان يكمل
من الوصفين بشيء من الفضيلة يجب الحمل على الاول والله سبحانه يتصف بكمال كل من الملك و
الملك ويوم الدين بمعنى يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان واضافة مالك الى الزمان كما يقال ملوك
الزمان وملوك الدهر ومالك زمانه وسيد عصره فهو في المعنى الملح ومعناه مالك الامور يوم الدين
اجراء للظرف مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومن هذا القبيل
ونادى اصحاب الجنة اعلم ان اضافة اسم الفاعل اذا اريد به معنى الحال والاستقبال لا يكون حقيقية
معطية للتعريف فلم يجز وقوعه صفة للمعرفة فكان في تقدير الانفصال واما اذا اريد به
معنى المضي او الاستمرار كانت حقيقية فالاول كقولك مالك الساعة او غدا والاخير
كقولك زيد مالك الامس وهو مالك العبيد وهذا هو المراد في مالك يوم الدين مكاشفة
ايجاد الاشياء اما على سبيل التكوين كخلق الاجرام وما في حكمها بحسب النشاة الاولى واما
على سبيل الابداع كانشاء الارواح وما في حكمها بحسب النشاة الثانية والله تعالى خالق الخلق
والامر جميعا ومالك الملك والملكوت مالك الدنيا والاخرة فلما اشار اليهما بذكر صفتي الرحمانية
والرحيمية بعد الدلالة على اختصاص الحمد به حيثما لاستجماعه جميع الصفات الكمالية
كيفية الخلق في الدنيا بقوله رب العالمين لما عرفت لاشارته اليه من ان هذا العالم الدنيوي
وجوده انما يكون على سبيل التدريج والحدوث شيئا فشيئا وبين كيفية انشاء النشاة الاخروية
بقوله مالك يوم الدين اذ الملك الحق من له ذات كل شيء لا يغيب عنه شيء اصلا فيكون
وجود الاشياء عنه ولديه دفعة من غير تراخ وهذا معنى الابداع والاول معنى التكوين وانما
سمي يوم الاخرة بيوم الدين لان فيه وصول الاشياء الى غاياتها الذاتية وثمراتها
التي هي بمنزلة الجزاء والاجرة على الاعمال لقوله تعالى يوم تجزى كل نفس بما كسبت ولهذا قيل
الدنيا دار العمل والاخرة دار الجزاء وكما في قوله يوم تجد كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله
مولاهم الحق لان الاولى عالم الحركات والانقلابات والاحوال والاخرى هي الموطن والماوى
وهي دار القرار ومنزل الابرار والاشرار ولهذا ابو علي الجبائي اراد بيوم الدين يوم الجزاء
على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين نكتة اخرى فيه اشارة
اختصاص يوم القيمة بذكر الملك فيه يستدعي بيان تمهيد مقدمة هي ان بعض الموجودات
ما لا يتوقف وجوده الا على فاعله وغايته لكون امكانه الذاتي كافيا في فيضانه عن فاعله
الاول جل ذكره ومنها ما يتوقف الوجود على قابل مستعد واستعداد خاص قريب او بعيد

مرهونة

مرهونة باوقاتها المعينة ولها علل معدة مقربة لموادها الى فاعلها الحقيقي المتساوي
نسبة جوده الى الجميع في قبول الوجود منه وكثير من الناس حتى طوايف من المترسمين بالعلم
والدراية يزعمون ان الاسباب المعدة للافاعيل المباشرة للتحريكات والتسكينات اياها
هي الفاعلة الموجدة لها ويظنون لقصور النظر وكثرة الحجب واغاليط الحواس ان الفعل ثابتة
لغير الله لما يتراءى لهم من جريان الافاعيل على ايدي الاسباب وظهور الامور من الغضب والحنان
والجود والامتنان والايلام والانعام والقتل والجبر والرق والعتق وغيرها على ايدي ذوي
الشوكة من الملوك والسلاطين والظلمة ولم يعلم احدهم الا العرفاء بالله خاصة ان هذه
الاسباب بمنزلة اعيان منصوبة مغروزة ما يجري عليها من صلاح وهذه الالات بلا ذوات بنفسها
قبلها وان زمام هذه الامور كلها بيد مالك الملوك واذا تقررت هذه المقدمة فنقول لما كان
هذا الاشتباه والاغترار بظواهر الالات انما اختص بدار الدنيا ونشاة الناس من جهة غشاوة
هذا الادراك فاذا الاخرة بكشف الغطاء ويرتفع الغشاوة عن وجوه البصاير والامتراء ويظهر
ان الكل لله ومن الله والى الله قال مالك يوم الدين على طبق قوله يوم لا يغني مولى عن مولى
شيئا لا بمعنى انه يصير كذلك في ذلك اليوم بعد ما لم يكن بل الامر كذلك ابدا لكنه في الامر
لكن لما لم يصر منكشفا على الخلايق لا يصل بروزهم عن سجن هذه الظلمات والغشاوات
ووصولهم الى عالم الاخرة فاذا برزوا من الدنيا وحشروا الى الاخرة شاهدوا بعين العيان
ما سمعه بعضهم بسمع الايمان فالتفاوت انما هو في الشهود لا في الامر نفسه كما توهمه العبارة
ولذلك قال قائلهم توهمت قدما ان ليلى برقعت وان لها في البين ما يمنع اللثما فلاح
ولا والله ثم حاجب سوى ان عيني كان عن حسنها اعمى ولان الاسباب هناك منحصرة
في السبب الفاعلي والغائي كما مر ولا وجود للقوى والاستعدادات في الاخرة اذ كل ما بالقوة
يصير هناك بالفعل فالفعل لازم للفاعل بلا قابل والله مسبب كل سبب موجود موجد كل
فاعل الوجود فهو ثم يقهر القوى كلها وعند نوره ينكشف كل نور وضياء فهو مالك جميع الاشياء
يوم يطوى فيه بساط الارض والسماء وههنا يكون الامور مرهونة باوقاتها متعلقة
الوجود بالقوابل واستعداداتها كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قوله جل اسمه
اياك نعبد واياك نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي بعده من
الحروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم وليس لها محل من الاعراب اذ ليست هي باسماء مضمرة
عند المحققين واما قول بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب فشاذ
وتقديم المفعول للدلالة على الاختصاص فقولك للرجل اياك اعني معناه لا اعني غيرك ولا اشك

فی اثناء الجمل من الغیبة الی الخطاب كما فی قوله تعالی قل اغیر الله ابغی ربا والمعنی نخصك بالعبادة ونخصك
بالاستعانة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة
ياء وقرئ نعبد بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارع غير الياء اذا لم
ينضم ما بعدها والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع والتذلل ولا تليق الا على اعلى مراتب
التعظيم ولا يستحقها احد الا باعطاء اصول النعم الذي هو خلق الحيوة والقدرة والحس والشهوة
ولا يقدر عليه احد الا الله فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يجوز العبادة لغيره بخلاف الطاعة
فانها قد تحسن لغيره كطاعة الاب والمولى والسلطان والزوج فمن قال ان العبادة هي الطاعة
فقد اخطأ لانها غاية التذلل دون الطاعة فانها مجرد موافقة الامر الا ترى ان العبد
يطيع مولاه ولا يكون عابدا له والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور
من جهتهم الامر فايدة ان فی تقديم اياك على نعبد وجوها منها ان فی هذا التقديم تنبيها
منه للعابد على ان المنظور اليه فی العبادة هو المعبود نفسه لا شیء آخر من طلب ثواب ودفع عقاب
ومنها انه قدم نفسه ليتنبه العابدون اولا لامر على ان المعبود هو الله الحق فلا يلتفت يمينا
وشمالا ولا يتكاسل فی الطاعات ولا يثقل عليه تحمل العبادات من الركوع والسجود فانه اذا ذكر قوله
اياك يحضر فی قلبه معرفة الرب تعالى فحصل سهلت عليه تلك الطاعات وهانت عليه مشقة العبادات
ومثاله من اراد حمل جسم ثقيل يتناول قبل ذلك ما يزيد قوة وشدة فالعبد لما اراد حمل
التكاليف الشاقة يتناول اولا معجون معرفة الربوبية من قوله اياك حتى يتقوى على حمل ثقل
العبودية ومنها انك اذا قلت نعبدك يتقدم ذكر العبادة منك فيحتمل ان يذكر الها
فجعل ان الشيطان يقول الها للاصنام او للاجسام كالشمس والقمر اما اذا عرف هذا الترتيب
وقلت اولا اياك ثم قلت ثانيا نعبد فلم يبق مجال لهذا الاحتمال فكان ابلغ فی التوحيد
وابعد عن احتمال الاشراك ومنها ان المعبود متقدم فی الوجود وشرف على الممكن وكان ينبغي ان يكون
ذكره متقدما على ذكر غيره فايدة اخرى اعلم ان الدنيا لما كانت دار التعب والكلال
والسامة والملال فمن عادة فصحاء العرب التفنن فی الكلام والعدول من طرز الى طرز
تنشيطا للسامع ومنها الالتفات عند العدول من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى التكلم وبالعكس
فهذا احسن من الجري على اسلوب واحد واللزوم لمسلك متكرر ومع ذلك قد يختص مواضع
الالتفات بزوايد فوايد من النكات لا يحصل بدونه وههنا من هذا القبيل اذ قدم ذكر العلوم
الالهيات تشوق الادراك وتأكد الصورة العلمية فی الوضوح والانارة وقوة الشوق الى
المدرك وهو سبب يوجب حضور المعلوم فلهذا قيل المعرفة بذر المشاهدة والعلم [illegible]

اليقين

اليقين فلما ذكر الله تعالى واجرى عليه صفات كاملة وتعرف الحقيقة بكونه حقيقا بالحمد ربا للعالمين
موجدا للكل منعما عليهم بالنعم كلها جليلها ودقيقها دنيويها واخرويها محسنها ومعظمها
مالكا لامورهم يوم الجزاء واللقاء تنبيها ذا ترقى من مراتب الاوقات وتنور القلب بانوار معرفة
هذه الصفات وتفتحت البصيرة بكشف هذه الايات وتعلق العلم بمعلوم معين حاضر حقيق
اشراق الخطاب بالكلام لامر مع الحمد حقيق وهذه الصفات الجامعة بليق تخصك
بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب ادل على هذا الاختصاص ولا يحجب عن يد قرب بعد
وريب فی هذا التدرج والانكار وطلب معرفة من قربه لانه دائر على مساواة شك الوجود وفوق
الهباء والعظمة لا يمكن الاكتناه بنور وجوده فكلما كوشف للسالك كان المستور من اسرار
الجلال وسرادق الكبرياء اعظم مما لا نسبة بينهما اذ المنال المشهود هناك بقدر قوة
نظر الطالب ونور البصيرة لا بحسب المطلوب نفسه وكلما ازداد فی القرب ازداد فی الاشتياق
ويكون الحجوج الى طلب المعرفة زيادة المشاهدة وكيف لا شراق فكان اول الكلام جبنيا
على ما هو بداية امر السالك من الاذكار والافكار والتامل فی الاسماء والنظر فی الالاء والنعماء
طلبا للاستبصار وتقربا الى مشاهدة نور الانوار واستدلالا من صنايعه على اسمائه وصفاته
ومن اسمائه وصفاته على انوار جماله واثر جلاله ثم صار صعودا الى منتهى سيره وغاية سفره
الى الحق وهو كونه ممن يخوض لجة الوصول فيصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويشاهده كفاحا
ويناجيه شفاها كما اشار اليه صاحب الاشارات المرتقي بصفاء ضميره عن درجة اهل العبارات
الواصل الى مقامات العارفين ودرجات المكاشفين كما يفصح عنه قوله وهناك اي عند الخوض
فی لجة الوصول والتفرق فی بحر الحقيقة بعد العبور على منازل المعقول درجات ليست اقل مما
قبلها بكثرة العجايب وفنون الغرايب وتمادى الاسفار وتباعد المراحل وتفاوت
المنازل لان كل حقيقة من الحقايق الكونية وكل صورة من الصور الكمالية الوجودية التي هي
ثابتة للموجود بما هو موجود فی شیء من العوالم فهي هناك بالفعل على وجه اعلى واشرف واتم
من غير شوب تكثر وتطرق تغير فی الحضرة الاحدية فان الذات الاحدية ارض كل الحقايق وسماء
انوار الهويات يقصر فيه سير المسافرين ويظهر عليه انوار المظاهر من الله مرجعها والى الله
مرجعها الان البيان قاصر عن وصفه واللسان يكل عن بعضه اذ تمام شأنه ان يعاين
بعين اليقين ويشاهد فكيف يمكن ان يدرك بعلم اليقين او دونه ولهذا قال صاحب المقامات
اعتذارا عن بيان هذا المشهد اثرنا فيها الاختصار فانها لا يفهمها الحديث ولا يشرحها العبارة
ولا يكشف عنها المقال غير الخيال ومن احب ان يتعرفها فليتدرج الى ان يصير من اهل المشاهدة دون اهل [illegible]

المشاهدة ومن الواصلين الى العين دون الفانين المعاين للاثر انتهى كلامه وهو ايضا قد اشرنا
الخصاء في مقام حرست فيه السن الفصحاء وانبتنا اقوالا بنيا المختار عليه والله الموفق
ذالدعاء اذا بلغ الكلام الى الله فاسكتوا بصيرتهم اعلم ان الانسان مركب من جسد كالمركب
وروح كالراكب وهو منذ خلقه الله في سفر الاخرة وغاية سفره لقاء الله فهذا الخلق وعليه فوائد جسد
وهو المقصود من الروح والمقصود من الجسد اكتساب المنافع واقتناء الخيرات والتخلص عن الزيود
والافات وهو المعني بالعبادة والخدمة فاذا جرم كان افضل احوال الجسد ان يكون آتيا بالاعمال
المترتبة للروح الى الله تعظيما للمعبود وخدمة له وهو اول درجات السعادة للانسان وهو المراد
بقوله تعالى اياك نعبد وافضل احوال الروح ان يكون مرتبطا بالحق متعلقا به منقطعا عن غيره متجردا
عن الدنيا وما فيها فاذا واظب على تحصيل هذه المرتبة وداوم على تجريد ذاته وتخليصها عن العلائق
المادية والغواشي الدنيوية فعند ذلك يظهر له شيء من انوار القدس ولوامع الغيب فاذا نور ذاته
بنور المعرفة والعبادة يعلم ان تحصيل شيء من عالم الملكوت وحركات ذاته لطلب التقرب اليه تعالى لا يكون
ولا يكون الا انه مقلب القلوب ومحرك النفوس وانه بنفسه لا يستقل الا بيان بهذه العبادات والتدرج
على هذه الدرجات ولا يمكنه الاتيان بتحصيل شيء من الكمالات العلمية الا بتوفيق الله وعنايته
وعصمته وهو المراد من قوله تعالى واياك نستعين وفيه اشتمل اهل التوحيد الا اشار الى كمال
بعض العرفاء الموحدين ولولاه لما امتنع الاستطاعة على الافعال والاشتغال بالاعمال
ازل الله عليه تكليفا قط ولا شريعة وهذا اجل حظ المؤمن من هذه الدعوى انه يقول اياك نستعين
وحظ العرفاء المكاشفين ممن وقع عنهم التبري من الافعال الظاهرة وجودها منهم ان يقولوا
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذا القول لا يحصل على وجه الصدق الا عن اولئك الكاملين
العارفين بهذا التوحيد لا اشارة الى نفوسهم خاصة دون غيرهم فكم بين الحالين بين التبري والدعوى
فالمدعي مطالب بالبرهان على دعواه والمتبري غير مطالب بذلك ولا نقول ان التبري ايضا دعوى فان
التبري لا يقتضي شيئا ودعوى ذلك لا يطلق اسم التبري انتهى كلامه وبالجملة فالمراد من قوله اياك نستعين
طلب العون بالاعانة اوفق المناهج واقوم الطرق الى الله وفيه كما وقع الافصاح عنه بعض هذه الاعمال
بصيرتهم اذ في الضميرين المستكنين في هذين الفعلين اما للنبي صلى الله عليه واله وامته او للامام ومن حضر
صلوة الجماعة معه للقارئ ومن معه من الحفظة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته في عبادتهم
في تقبل عنه عبادته وخلط حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببركاتها وتجاب الياكما ادرج البائع غير الرائج
في جملة الرائج في بيع الصفقة ومن هيهنا يعلم سر شرعية الجماعات ولتقديم ضمير المعبود والمستعان
به وجوه اخرى غير ما ذكر كالتعظيم وتقديم ما هو مقدم في الوجود والاشارة الى ان نظر العابد

الحليمة وم

والنغانة ينبغي ان يكون مقصورا على ذات المعبود اولا وبالذات ثم الى العبادة لانها وسيلة
تفصله بينه وبين الحق فمن كان غرضه من المعرفة والعبادة نفسه او نقص شيء منهما فهو ليس
من الموحدين ولا من العابدين لانه يعبد غير الله وهذه حال المبتهج بزينة ذاته وان
كان بمعرفة الحق واما من عمل لله وغاب عن ذاته وعن عبادته فهو مستغرق في المعبودية لله بما هي
عبودية له وانتسابا اليه نسبة الفقر والحاجة التي هي من اشرف النسب فان قصارى مجهود
العابدين تصحيح هذه النسبة ومن كان هذه حالته في العبادة فهو من الواصلين لا محالة اذ ما لاحظ
النسبة بما هي نسبة عين ما لاحظ المنسوب اليه فهو بالحقيقة مستغرق في ما لاحظ جناب القدس
وغائب عن ما سواه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوال نفسه الا من حيث انها ملاحظة
له ومفتقرة اليه ولهذا رجح قول حبيب الله لا تحزن ان الله معنا على قول كليمه ان معي ربي سيهدين
وبالجملة اشرف منازل السالكين مقام الفقر ومنزل العبودية والسبب العقلي فيه ان جميع الموجودات
قابلة للرحمة الالهية والكمال الوجودي بحسب فطرتها الامكانية وانما المانع منها عن قبول الفيض
الاتم والجود الاشمل هو تقيده بقيد خاص وتصوره بصورة وجودية مخصوصة بضاد قيدا
آخر وصورة وجودية اخرى فبقدر تخلصه من قيد الجزئي وتخلاه عن صورته المخصوصة
يستحق الكمال الاتم واعم وصورة وجودية اشمل واكمل فاذا تجرد عن كل ما سوى الله وغاب
عن كل اسم ورسم وحلية وصفة وحول وقوة كان الله له بدلا عن جميع ذلك فصار الحق حوله
وقوته وسمعه وبصره ويده ورجله وجميع قواه وجوارحه كما ورد في الحديث القدسي من غير تغير
وتكثر في ذاته وصفاته تعالى من ذلك علوا كبيرا ولهذا امثلة كثيرة منها ان الهيولى الاولى
للاجسام لما كانت في ذاتها عارية عن كل صورة حسية وصفة جسمانية قبلتها كلها
بخلاف المواد الثانوية لها من حيث استعدادها الخاص لا يقبل الا صورة واحدة فكذلك النفس
الانسانية التي هي هيولى العقليات من شانها ان يقبل جميع الصور العقلية والكمالات الملكوتية
والاخلاق الحسنة كلها الا ان تقيدها ببعض الصفات واحتجابها بحجب بعض الملكات يمنعها
عن الاتصال بما فوقها ومنها ان العناصر اذا امتزجت وتفاعلت وانفعل كل منها عن صاحبه
انكسرت كيفياتها وكادت تخلع عنها صورها المتضادة الجزئية فعند انكسارها وشدة افتقارها
الى ما يحفظها عن الفساد افاض عليها المبدأ الجواد صورة كمالية جامعة لكمالات تلك العناصر
المتعددة بوحدتها الجمعية وقس عليها حال النفوس المتعددة اجتماعها في بيوت العبادة
ومجالس العلم والذكر وتركها اشواغلها الدنيوية كيف يفاض عليها بركة الهيئة الجمعية
وينكشف عليها صورة المسألة العلمية التي هي اشرف من تلك الشواغل ومنها ان الجسم الملون

الكثيف اذا زال بالتصقيل لون سطحه وضوءه قبل ابطل ذلك لون كل ما يقابله وضوءه وذلك
الا لان الجسم الصقيل لا لون له ولا ضوء له بالفعل مع انه من شانه ان يكون ذا لون وضوء
لكونه كثيفا ومنها ان الجسم المشف من شانه قبول الالوان كلها واذا اتصف بلون خاص يمتنع
عليه قبول غيره بما ثلة او بضاده وانما اللون بغير السواد يقبل لون السواد فلون غير السواد من
الالوان بالقياس الى السواد كلا لون بالقياس الى اللون وههنا موضع تامل ومنها ان كل آلة
من مواضع الشعور والحس خال عن الكيفيات المحسوسة بتلك الآلة فان آلة البصر وهي الجليدية
شفافة والة الطعم وهي الرطوبة اللعابية عديمة الطعم واكثر السمع عديمة الصوت وكذلك
حكم آلة اللمس فانها وان لم يكن خالية عن اوايل الكيفيات الا انها متوسطة بينها وقد تقرر
ان المتوسط بين الاضداد بمنزلة الخلو عنها اولا ترى انك تقول له انه الفاتر لا حار ولا بارد
ولاجل خلو مادة من كل هذه القوى الحساسة من جنس ما ادركه الصور التي هي واقعة تحت جنس
محسوساتها صارت قابلة للجميع من غير تاب وتنقص عن قبول شي منها الا مريض طرافا او عرض
ثم ان مادة كل منها وان لم يكن متقيدة بصورة الكيفية التي يقع الاحساس بها من تلك الحاسة
ولكنها مقيدة بصور وكيفيات اخرى من اجناس سائر المحسوسات ولهذا اقتصر ادراكها على ما يخصها
ولا يتجاوز عنه الى محسوسات الاربع الباقية ولخلوص القوة المتخيلة عن هذه الكيفيات المحسوسة
كلها ادركت جميع وحفظها لان جوهر النفس الخيالية غير مبصرة ولا مسموعة ولا مشمومة ولا
مذوقة ولا ملموسة ولها فوق مواد هذه الاشياء كلها فلا جرم تقبلها كلها ومنها ان
العدالة النفسانية التي هي عبارة عن توسط النفس الانسانية في الشهوة بين الفجور والخمود
وفي الغضب بين الجبن والتهور وفي القوة الادراكية بين الجربزة والبلاهة لما كانت بمنزلة
كون النفس خالية عن الاتصاف بهذه الصفات الستة التي كل منها هيئة نفسانية شاغلة
اياها اذا كانت مانعة عن طلب الحق وسلوك الاخرة صارت سببا لاستعداد الكمال العلمي
لانها عند انكسار هذه القوى وانقهارها عن طلب مشتهياتها ومقتضياتها تخلص عن انقيادها
وطاعتها فيتسع لها بقوة عقلها الهيولاني هيئة استعلائية عليها وتحصل هيئة استعدادية
لطاعة الحق وانقياده وقبول انوار المعارف الالهية واسرار المقاصد الربوبية فيصير عقله المنفعل
علامة بالحق مطيعا لله تعالى فاذا علمت حال هذه الامثلة فقس عليها حال السالك العارف بالله عند
علمه الفنا عما سواه وعند كونه غير مشغول السر بغير الله غير مبتهج بزينة ذاته من حيث هي ذاته
وان كانت مقصودة للمعرفة وهيئة العبودية بل مع غيبته عن ذاته وغيبته ذاته وفناه عن فنائه
وحيكون باقيا بالفنا الله فوق ما كان باقيا بالله لا كما كان قبل الوصول وهذا هو مقام الفنا

الملون م

الطعم والذائقة عديمة

في التوحيد

في التوحيد والمحو واليه الاشارة بقوله اياك نعبد فاذا بقي في هذا المحو ولم يرجع الى الصحو كان مستغرقا
في الحق محجوبا بالحق عن الخلق كما كان قبل ذلك محجوبا بالخلق عن الحق لضيق وعائه الوجودي و
امتناع قبوله التجلي الذاتي الشهودي وكذلك الموجود في مقام هذا التجلي والشهود احتجب التفصيل عن
شهوده لاضمحلال الكثرة في بحور الوحدة بحيث من شاهد سبحات وجه الله لاستغراقه
في بحر التوحيد فلا ينظر الى ما سواه ولا يستعين الا اياه فيقول عند ذلك واياك نستعين اي
مشاهدة الاكوان بمشاهدة ذاتك وصفاتك ثم ان رجع من الحق بالحق الى الخلق وهذا هو السفر الثالث
من الاربعة الواقعة من الكاملين المكملين فاذا رجع بالوجود الحقاني الموهوب الى حالة الصحو بعد
المحو والشرح صدره ووسع الحق والخلق صار منتصبا في مقام الاستقامة كما امر الله به الرسول صلى الله عليه وسلم
في قوله فاستقم كما امرت متوسطا في جميع الطرق بين التشبيه والتعطيل ناظرا بعينين الجمع الى التفصيل
واليه الاشارة بقوله اهدنا الصراط المستقيم ودونك بون الفوز العظيم والبون الجسيم فقوله اياك
نعبد اشارة الى مقام السلوك الى الله والتوسل اليه بالعبودية التامة وهي مرتبة الولاية
المشار اليها في قوله لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته وقوله واياك نستعين اشارة
الى مقام الصحو بعد المحو وهي مرتبة النبوة المشار اليها في قوله تعالى فاذا احببته كنت سمعه
وبصره ويده ورجله الحديث بصيغة قيل قدمت العبادة على الاستعانة ليوافق
رؤس الاي وقيل ان العبادة وسيلة الى طلب الحاجة وتقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى
الى الاجابة واسرع للقبول واقول الحاصل ان ارفع مراتب الانسان بما هو انسان واجل مقامات
تحصيل الكمالات الاكتفاء اليسير بالعبادة في العبودية ولهذا قدم ذكر العبودية
على ذكر الرسالة في قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله فالاولى عبارة عن نسبة العبد الى
والثانية عبارة عن نسبته الى الخالق فالاولى يكون اعلا من الثانية بالشرف وان كان الرسول
افضل من الولي لكونه جامعا للمرتبتين جميعا فكذلك الكلام ههنا كانت العبادة لكونها وسيلة الى
الحق اشرف من الاستعانة لكونها وسيلة الى الخلق واعلم ان في تقديم العبودية على الرسالة
في التشهد وجها آخر وهو ان لكل من الولاية والنبوة حدوثا وبقاء والولاية اقدم حدوثا
وادوم بقاء من الرسالة فناسب التقديم الوضعي للتقديم الزماني وجه آخر قيل لما نسب
المتكلم العبادة الى نفسه كان اوهم ذلك تبجحا بمرتبة ذاته من جهة نسبة العبادة واعتدادا
منه بما صدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب
الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال في الحال جل اسمه اهدنا الصراط المستقيم
الهداية لغة الارشاد بلطف وهي استعمال الخير الا في الشر وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم

الشهكر ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها والفصل منه هدى وقيل معناه الدلالة على ما يوصل
الى المطلوب ونقض بقوله انك لا تهدي من احببت وقيل بل الدلالة الموصلة الى المطلوب وهو ايضا
منقوض بقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وبمحافظة المجاز في كل منهما والحقيقة
في الاخرى منقوض وقيل انه تارة يتعدى بنفسها وتارة باللام او بالى كما في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم وقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم ومعناه على الاول الايصال وعلى الاخير … الدلالة
الطريق … الكشاف ان اصله ان يتعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه والصراط الطريق الواضح المتسع واصله السين لانه من سرط الطعام اذا ابتلعه كأنها
يسترط السابلة ولهذا سمي لقما لانه يلتقمهم فمن قرأ بالسين كابن كثير برواية قنبل وروي عن يعقوب
راعى الاصل ومن قرأ بالصاد فلما بين الصاد والطاء من التوافق في الاطباق والاستعلاء …
مسيطر في مصيطر … باشمام الصاد الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه اذ … يشم
الصاد صوت الزاي وفصحاها اخلاص الصاد وهي لغة قريش ويجمع على صرط ككتاب على كتب ويذكر ويؤنث
فهو المذكر والمؤنث كالطريق والسبيل واعلم ان الامر والدعاء يتشاركان صيغة ومعنى لان كلا منهما
طلب وانما يتفاوتان بالاستعلاء والتسفل او بالرتبة واما معنى هذا الدعاء فينبغي … ان
معناه ثبتنا على الدين بالحق لان الحق قد هدى الخلق كلهم الى الصراط اي طريق الحق … الاسلام
الا ان الانسان قد نزل قدمه عن جادته ويرد عليه الخواطر الردية فيحسن منه ان يسأل الله
التثبيت على دينه والزيادة على هداه كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كقولك
لمن يأكل اطعمني … ومنها ان المراد … على الدين الحق في مستقبل العمر كما
دللتنا عليه في الماضي ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وطلب
تحصيل الحاصل ومنها ان نفس الدعاء عبادة غير … من جملة العبادات … للانقطاع
اليه تعالى ويجوز ان يكون لنا فيه مصلحة من الخضوع والخشوع والتذلل وسائر ما يوجب تليين
القلوب والتبتل اليه فيحسن المسألة وقيل معنى الصراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله وهو المروي
عن جابر وابن عباس وثانيها انه دين الله الذي لا يقبل غيره من محمد بن الحنفية والرابع انه النبي ص
والائمة القائمون مقامه وهو المروي في اخبار اصحابنا والمأثور من ائمتنا … صلوات الله عليهم
والاولى حمل الاية على العموم ليكون جمع … الجمعية قال بعض المحققين
هداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها … ولكنها في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي
بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة
كما في قوله هو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل

الاعتقادات

الاعتقادات والصلاح والفساد في الاعمال حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم
السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فالمطلوب هنا اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات
عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قال العارف الواصل اهدنا عنى ارشدنا طريق السير فيك
لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك …
اعلم ان معرفة حقيقة الصراط والاستقامة منها والمرور عليه … المعارف القرآنية التي تقتبس
بل … اهل المكاشفة والمشاهدة وليس لغيرهم من سائر المسلمين الا مجرد التصديق والاذعان به
تسليما وايمانا بالغيب لا بصيرة من نور اليقين ونعم ما قيل من لا كشف له لا علم له … واللمعة اليسيرة من
هذا العلم هي ان الموجودات الممكنة منقسمة الى قائمة ومتحركة والعبادة من الاولى عالم الامر و
القضاء والارادة وما امرنا الا واحدة ومنه نشأ الملائكة المقربون القائمون بامر ربهم في مقام …
ومراتبهم … الاصلي لا يتعدونه كل له مقام معلوم فمنهم سجود لا يركعون ومنهم
ركوع لا يسجدون والعبارة من الثانية عالم الخلق والفعل والتقدير … اول الخلق
… وعالم الخلق … الحركة والاشتغال والحدوث والزوال …
قد اقيم البرهان على تجدد الطبايع الجسمية وسيلان الجواهر المادية … وبينا ان الغاية
جميع هذه الحركات والانقلابات … والطبيعية هو الله تعالى وان جميع الموجودات …
والسافلة يتوجهون نحوه ويطلبون … بما … اليهم من فيض عشقه وفيض رحمته وهذا
المعنى مما يمكن ادراكه بالحدس والتجربة لما نشاهد من كل موجود … شوقا الى ما هو اعلى منه …
الى ما يشاكله … وكل موجود الى ما هو مبدأه … الى ما هو منشأه وكل ما هو
اعلى مبدأ الكون … فيرجع … كما ان المطر انفصل من البحر او
وانفصل … بخار … قطرات امطار … عيونا وانهارا
ثم اتصل بالبحر … وكذا مرجع النبات الى النبات … زاده
منزله … كمال … في تقاليب الاحوال الى ان يبلغ مرتبة الثمار … وهو
يدفن في الارض وكان يفسد ويغيب عن ذاته في الاماكن الترابية ثم افادها الله قوة … يستحيل
من حال الى حال حتى ينتهي الى كمالها الاصلي فيبلغ الى درجة اللب الذي كانت عليها في بدو … اعداد

كثرة من افراد نوعه وفوايل اثمره من الغصون والا فادت الازهار وكذلك حال الحيوان فهو اعظم
نموقات في العروج الى الله وابعد نزولا وصعودا من النبات وصورة الاركان مما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم واما الانسان اي الحقيقي لا الصوري فهو الغاية
المقصودة الاصلية من جميع الخلايق والاكوان لاجله خلقت المكونات وترتبت الموجودات ونشات
المواليد والاباء والامهات فنازل سيره الصعودي الى الله واقعة على النصف الصعودي لدايرة
الامكان على عكس مراتب نزوله من عند الله الواقعة على النصف الاخر والحيز الدايرة وذلك لان الله
مبدا لا ومعاد له وهو المستوي المنعم عليه المنتهى ثم من اول الامر الى آخر العهد فلم يزل الانسان الذي
سبقت له الحسنى الازلية ان يتم له النعمة في حكمته الى غاياتها منتظرا للتربية سايرا في مراتب الاستيداع
من حيث افراد الارادة المنبعثة عن العلم الازلي في مقام العلم الاعلى العقلي ثم في مقام اللوح النفسي
ثم في مرتبة الطبيعة باعتبار ظهور حكمها في الاجسام ثم في العرش المحدد للزمان والمكان مستوى
الاسم الرحمن ثم في الكرسي الكريم مستوى الاسم الرحيم ثم في السموات السبع ثم في العناصر ثم في المواليد
الى حين استقراره بصفة صورة الجمع بعد الاستيفاء مراتب الاستيداع محفوظا بمزيد
الاعتناء موصوفا بصفة التوفيق والهداية متمما بها اهتماما تاما من الحق في كل حال وحضرة برعايتها
بحسن الرعاية محفوظا لتحصيل اهل ذلك العالم والمرتبة ليتم بره ويحفظه وامداده في حسن
الهيئة اولا ومنا بعده ثانيا بذواتهم وصورهم بحسب ما يليق به فيه من سعة العناية والاختصاص
وما في عالم من العوالم العلوية متعلقا به الا وهل يصل التعويق في الانحراف المعنوي لم يتدارك
العناية الالهية لغلبة احكام بعض العناصر او صفة بعض الارواح التي يتصل به حكمها عليه وكذلك
بعض الافلاك بالنسبة الى المواليد فيتعوق او ينحرف بما يقتضيه حكم الاعتدال الجمعي وصورة الصراط
الوسطي الرباني الذي هو شان من سبقت له العناية في الازل ان يتمم لهم نبيا في حكمة المكون
لا بما يناسب الامثل فالامثل واذا دخل عالم المواليد يتمم من حين تعدى عن رتبة المعدن الى مرتبة
النبات وعالمه ثم منه الى عالم الحيوان لم يصحبه العناية الازلية ولم يصحبه الحق بحسن المعونة
والحراسة والرعاية والاخذ عليه فانه يصل الى آفات كثيرة لا يزعمها دخول عالم النبات لم
يكن مجرد ساعفته به ولا يضطرب بعض المناسبات التي يشتمل عليها الجمعية المزاج بهدى ينحرف
عن صراط الحق فيخرج منه تارة الى الخارج بالعناصر ويبقى فيه حايرا عاجزا حتى يهلك ويذوب او يرد الى
الاخلاط مقامي فيما عرضت له آفة من العناصر كرد شديد او مفرط او حرارة بالغة او يبس
غالب فيتلف فيخرج لنا نفخ حكم الامر وهكذا امر الناشي حسب ما شاء الله وقضاه ثم على تقدير
سلامته وانتفاضه على ما ذكرناه بمعونة الحراسة والرعاية وساير النعم التي يستدعيها فقه فانه قد يخرج على غير

الذي

الذي يقتضي تكون النشأة الحيوانية منه فاذا دخل في باب الحيوانية تضاعفت حاجته الى الحفظ
والرعاية والصيانة والحراسة من الآفات والمفاسد لو احد واحد من اعضائه وقواه الحيوانية
بعد قواه النباتية فهو مفتقر الى الهداية والتوفيق ونعمة السلامة والحراسة والرعاية في
كل مرتبة مرتبة وصورة صورة ونشأة نشأة الى حال سقط النطفة وحال الولادة فهو مفتقر
الى ان يخرجه الله مخرجا صدقا ويدخله مدخلا كريما من حيث ظاهره وباطنه فالمحصور سقط النطفة
حال التوليد من احكام الزمان والمكان شاهدان على كثير من احواله الباطنة والمحصنات سقط
الراس حال الولادة شاهدان على معظم احواله الظاهرة وسر الابتداء في السلوك الى جانب الحق لعادة
الالهية جارية بان من اختص بمزيد العناية ونعمة الحراسة واثر الاختصاص من بدايتها الى
ذلك من منبع الالهية لهذا المقام هو مقام العقل والتكليف في الدعوة ان يهديه الى صراطه
ويسوقه الى تمام النعمة وغاية الحكمة وغاية الايجاد ورتبة المعاد وصورة الكمال الوجودي فان
من يكون لحال السير من حين صدوره من غيب الحق الى عرصة الوجود العيني والنزول الكوني الى
يتعوق من حيث حقيقته وروحانيته في عالم من العوالم ونشأة من النشآت وحضرة من
الحضرات ممن يتعوق في تردد تصادم الموانع والآفات ويتكرر ولو جهه وخروجه المقتضيات
تكثر فيه حجبه وكثرة تسلط المحن والعوائق نعوذ بالله منها فقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
بيان الحقيقة المطلوبة في الآية السابقة بحال نرى كيف اعينكم فقالوا اهدنا الى الآية
وما يتلوها كالاجوبة لسؤال ربانية كانه بعض الهمة حكاية لسان الربوبية يقول عبدي قل
الحمد اهدنا الصراط اي صراط تعني فالصراطات كثيرة وكلها الى الحق تفرق والشهرات الطرق الى
الله بعدد انفاس الخلايق فيقول لسان العبودية صراطا منها المستقيم فيقول لسان الربوبية
كلها مستقيمة من حيث اتجاهها الى غاياتها كلها والى مصير من يمشي عليها جميعا فاي استقامة
تقصد في سؤالك يا عبدي فيقول لسان العبودية يا رب من بين الجميع صراط الذين انعمت عليهم فيقول
لسان الربوبية ومن الذي لم انعم عليه وهل في الوجود شيء لم يسعه رحمتي ولم يشمله نعمتي
فيقول لسان العبودية ان رحمتك واسعة ونعمتك سابغة شاملة للكل ابتغي صراط الذين
انعمت عليهم النعم الظاهرة والباطنة العامة فيتم من كدر الغضب ومحنته وشايبة الضلال ونكبته
فان السلامة من قوارع الغضب تقتضي اذ لم يكن النعم لتسلم الى حد تمام الهداية
المخلصة من محنة الحيرة والضلالة وسبل التلبيس ووحشة الشبهة والشك والتمويه
والآفة فانه ظاهر بانواع النعم الظاهرة والباطنة بجملتها تلبيسات المانعة من الطمأنينة
والسكون ومزالج الريب والظنون هذا في الوقت الحاضر فدفع ما يتوقعه من اليوم الآخر فذكر

عند هذا القول صح حكاية عن رب العزة في قسمة الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد
بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله
حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول
الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله
هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي
ما سأل فانظر كيف تنال من فضل الله ما تؤمل فصل واعلم ان الانسان
المهتدي بنور الله اشرف من الخلائق كلها وابدع ما في الامكان لان الله اصطفاه لقربه
واضافه الى نفسه من بين سائر خلقه ولذلك مقتها لما باشر الحق ايجاده بنفخه فيه من روحه
وتخمير جسده بيديه واختاره بتعليم الاسماء كلها لنفسه واتاه الخيرة له من لدنه وله من عنده
الى حين صعوده اليه في كل صورة يتلبس بها او مقام يترقى اليه ومثالا يظهر بها نفسه في موطن
يتعين فيه المشاهدة ربانيه من حيث يتصل به ويعرفه معه بمكان يستقر فيه من حيث
هو متحيز به ويتأمل في دائرته واقل كل ذلك فهو مثال لانه من حال التعلق بالارادة الالهية
بر عمل همته الثابت في علم الازل من حكم القدرة بل لا يزال في اطوار الوجود ويمرون على
المراتب الالهية والكونية وله في كل عالم وحضرة يمر عليها صورة تناسبه من حيث ذلك العالم
او الحضرة وودعية يأخذها من جملة التسيم من التمثيل والتسوية وتمامية الخلقة وحسن
الصورة والاعتدال وحسن الخلق والعدالة فكم بين من باشر الحق تسويته وتعديله فتم له
بين يديه المقدستين ونفخ بنفسه فيه من روحه ثم اسكنه معرفة الاسماء كلها وسجود
الملائكة له اجمعين واجلاسه مرتبة الخلافة في التكوين وبين من خلقه بملك الواحد
او بواسطة ما شاء من خلقه ولم يتعلق من حكم التسوية والتعديل الا ما قبل بهذا النائب الرباني
وكون الملك ينفخ فيه الروح بالاذن كما ورد في الشريعة عن ص ان احدكم في بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما مضغة ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح فيقول يا رب اذكر
ام انثى اشقي ام سعيد ما رزقه ما اجله ما عمله فالحق على والملك يكتب فاين هذا
من قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين شتان بينهما ههنا اضاف المباشرة
الى نفسه بضمير الافراد الرافع للاحتمال فهذا افزع من ذلك المنكر اللعين المتأبي عن السجود
له ولهذا واخز الامام منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقد وقع التاكيد بهذا المعنى عنه
صلى الله عليه واله باحوال كثيرة منها قوله ان الله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن
ولقوله في التاكيد الرافع للاحتمال الذي يركن اليه ارباب العقول الضعيفة الجاهلون باسرار الشريعة

والحقيقة

ل
القبلة

والحقيقة في وصيته لبعض اصحابه في الغزو واذا ذبحت فاحسن الذبحة واذا قتلت فاحسن
القتلة واجتنب الوجه فان الله خلق ادم على صورته وقال ابو الفضل صلوات الله عليه واله هذا
المعنى اذا خلق خلقا للخلافة مسح بيمينه على ناصيته فيقع على من يليه الالهام والخصوصية
واشار ايضا في حديث اخر ان الذي باشر الحق سبحانه ايجاده اربعة اشياء ثم ذكرها
فقال خلق جنة الخلد بيده وكتب التورية بيده وغرس شجرة طوبى بيده وخلق ادم بيده
وكذا ليس ما للانسان اعجب من جوده خلق وكما ان هذه الخصائص والكرامات من كونه
مخلوقا على صورة الرحمن مسقوفا فيه من روحه تم مكرما بكرامة تعليم الاسماء محصلا لبحر
الاجساد وبحر الارواح مختبر الحقيقة العقلية والنفسية بالبين محضوصا بالخلافة من الله
تعالى في العالمين الكبير والصغير مسجود الملائكة اللتين الشاملين الجسمانية والروحانية انما
للانسان المعنوي الحقيقي لا لهذه الاشباح والامثال من الافراد الصورية فكذلك الوصول اليه
بالعروج الروحي والسير المعنوي على الصراط المستقيم يختص به دون غيره والا فكل ما نشر من الحيوانات
وغيرها مار على صراطه الذي يخصه متوجها شطر الحق وكما ان كل جسم كان مخصوصا
وفيه معنى طبيعي يحركه الى حيزه ويجره الى مطلوبه ولا يتخطى به دونه فكذلك كل نفس
من معدن علوي مخصوص من بين سائر الارواح فيها معنى يجذبها الى معدنها الاصلي ولا يقف
بها دونه واختلاف احوال هذه النفوس البشرية من اختلاف مباديها المعبر عنها في قوله الناس
معادن كمعادن الذهب والفضة والى هذا المعنى وقعت الاشارة في هذا الكتاب المجيد
بقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم وحركات الجوارح اثار ذلك الطف في التي اودعها الفطرة الالهية
في النفوس الادمية اتماما للحكمة وتوسيعا للرحمة في سائر الانحاء واهمها ما يعلق الطف بالمحبوب
المحبوب فالنفوس التي لا يكون بينها وبين الحق واسطة تجذب الحق بطبعها كما يجذب المغناطيس
الحديد الى معدنها الذي لا يتناهى قوته وهذه النفوس هي العرفاء بالله حقا وفيها حبهم ويحبونه
كما يدعي اهل الله العارفون به وانما هم هؤلاء معرفة حقيقته وانما كشفنا لهم
لانهم الذين وقع لهم التجلي في الازل الدائم وامدهم بالروح فاشرقوا بكليتهم في معرفته عند قوله
الست بربكم واجابوا بقولهم بلى ايمانا واذعانا لا تكلفا وتقليدا او تجاوزا ونفاقا
وهذا افصح عن هذا المعنى شيخ الطائفة حيث قال قبل الانظار حيث قال الهي بالطف لا في
فهم قولك ولولا تلطفك لا عدلنا الى ما يجحدونه لكن حكم النفوس التي لم يكن بينها وبين الحق
واسطة في البداية فلا جرم هم المجذوبون اليه الواصلون اليه في النهاية وغيرهم
اما هالكون او واقفون بالعوائق البدنية او مرادون الى سفلها ظلمة بالعقايد

ي

الهلكة الشيطانية فقد فاز وفاز الحق سبحانه بين السالك والمحبوب في الطرائق والتقريب
فقال عز من قائل الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقد وقع التنبيه منه صلى الله عليه وآله على
هذا المعنى فقال الخضجان ولحد من اصحابه اهتز عرش الرحمن لموت سعد لتفرح طائفة اخرى لما
ذكرانة الموت مستهجا والناس الامثل فالامثل حتى لا يبقى الا حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالي
الله بهم فاين من يهتز لموته عرش الرحمن ممن لا يبالي الله به اصلا وكما هو الآخر آخر كذا هو الاول
اول الخاتم تعين الرجوع الى السابقة فافهم واغتنم فلنرجع متممين موحدا وقد تم الشروع فيه مستعينين
بالله وهدايته انتهت ان بعد استبصار وقد يعني بقينا اصلا او في كما اوردنا من الحركة الجوهرية
والتحولات الباطنية المستمرة للانسان وغيره من الاكوان قول الشيخ الالهي والعارف الرباني في الفتوحات المكية
في باب تقلب باطن الانسان ان تجويز كون الدنيا محلا للقلوب واذا فبتنوع الخواطر فيها
لتقلبه وان تنوع الخواطر في الانسان عين التجلي الالهي من حيث لا يشعر بذلك الا اهل الله كما انهم
يعلمون ان الصور الظاهرة في الدنيا والاخرة في جميع الموجودات كلها ليس غير تنوع التجلي في
الظاهر اذ هو عين كل شيء وفي الاخرة يكون باطن الانسان ثابتا كما هو عين ظاهره سوى في الدنيا
والتبدل فيه خفي وهو خلق جديد في كل زمان الذي هو فيه لبس منه وفي الاخرة يكون ظاهر الانسان مثل
باطنه في الدنيا ويكون التجلي الالهي له دائما بالفعل فيتنوع ظاهره في الاخرة كما يتنوع باطنه
في الدنيا في الصورة التي يكون فيها التجلي الالهي يصطبغ بها انصباغا فذلك هو التقاهي الالهي بجانب
غير انه في الاخرة ظاهر وفي الدنيا باطن فحكم الخيال مستصحب للانسان في الاخرة والخيال وذلك هو المعبر
بالشان الالهي فهو في حق كل يوم هو في شان فشان ظهر فيه وقال ايضا وكما ظاهر في العالم صورة
ممثلة كتابية مضاهية لصورة الالهية الا انه لا يتجلى للعالم الا بها ليست العالم في عين جوهر ثابت
كما ان الانسان من حيث ما جوهره ثابت ايضا فيرى الثابت بالثابت منك وهو الباطن منك وعينه
ويرى الظاهر بالظاهر فهو الشاهد والمشهود والشهادة منك وعينه وكل امره كما فكذا [illegible]
غير الصور وفقه كل صورة [illegible] كما [illegible] متنوع كيف ما شئت [illegible]
[illegible]
فصل في تحقيق الصراط واستقامته ان الصراط لا يكون صراطا الا بمرور المادة
عليه [illegible] الاشارة الى الله [illegible] جهة شطر الحق [illegible]
الاجسام [illegible]
اخذ بناصيتها [illegible] ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وما من موجود
في عالم الخلق الا وهو حيوان [illegible] وكل دابة فربه آخذ بناصيتها وعليه رزقها ويعلم مستقرها

ومستودعها

ومستودعها كما قال تعالى وما من دابة الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين فيكون مفطورا
على المشي على نهج الاستقامة من غير ضلال ولما المسمى انسانا فلوجود الاختيار المخالف للطبع فيه ومن جهة
قوة الوهم الذي يصير به [illegible] الضلالة والغواية والهلاك والفناء من جهة حركاته
الاختيارية الموجبة لقرار او بعد امر الله [illegible] في الدار الآخرة فيحتاج الى
من يهديه ويذكره العهد القديم وينبهه على الصراط المستقيم فالهادي هو الله بالحقيقة بواسطة
الكتاب والرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده ومقام الائمة الهداة عليهم السلام فيختص الانسان من بين سائر
المخلوقات بان هداه الله بالهدايتين الكونية والوصفية من جهة حركته الاضطرارية والاختيارية
جميعا لاجله بين الدعوتين العامة والخاصة وشرع له الشريعتين وساسه بالسياستين المطبوعة
والمجعولة واوجب عليه طاعة الحكمين التكويني والتدويني وذلك لاشتماله على سبب الحركتين الاولى
والارادية اما الحركة الذاتية له فهي حركة جوهرية كسائر الحركات فاعل وقابل ومسافة وبداية
ونهاية الا ان الحركة في الجوهر يخالف غيرها في امر وهو ان مسافة هذه الحركة هي عين المتحرك
حقيقة ووجودا وغيره كمالا ونقصا بخلاف الحركة في سائر المقولات فان المسافة منها تباين
ذات المتحرك كما هو المقرر عند العقلاء ونحن قد بينا صحة الحركة في مقولة الجوهرية افادنا
ببيانات برهانية يضطر اهل النظر على الاعتراف بها والآيات القرآنية الدالة على هذه الحركة
وخصوصا للانسان كثيرة منها في باب حركة الجواهر الارضية في ذاتها كقوله تعالى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومنها في باب حركة جواهر
السماويات في ذاتها كقوله والسموات مطويات بيمينه وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب
ومنها في تقلب الانسان في اطوار الوجود قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
قوله وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله انا الى ربنا لمنقلبون ومنها في انقلاب الكل اليه كقوله الله
يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون وقوله كل الينا راجعون وقوله بل هم في لبس من خلق جديد
فاعل هذه الحركة الذاتية الانسانية اي محركها هو الله وقابلها اي موضوعها هو النفس الانسانية
باعتبار قوتها الاستعدادية النفسانية وعقلها المنفعل الهيولاني وابتداؤها من حين كونها
ساذجة عن جميع الصور الادراكية الجزئية والكلية واليه الاشارة في قوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وانتهاؤها الغاية التي يكون عليها في القيامة ومسافتها منازل
الانسان بحسب اكوانه الجوهرية الذاتية ودرجاته الوجودية بحسب قربه وبعده من الله فانه
يكون على نعت الاتصال التدريجي من الاكثف فالاكثف الى الالطف فالالطف فيتنقل من كل ظاهر
الى باطنه ومن كل صورة الى معناها فيدخل من الجمادية الى النباتية ومن الحيوانية الى البشرية

ومن التجسم الى الروح وينقلب من الدنيا الى الآخرة وبالجملة من نشأة الى نشأة الى ان ينتهي الى
موطنه الذي تعين له عند الله وبهذا المعنى يكون الموت طبيعيا للانسان لا كما زعمه الاطبا
وغيرهم من انه بواسطة نفاد الحرارة الغريزية او غلبة الرطوبة عليها او لعجز تناهي القوى الجسمانية
لكونها جسمانية الى غير ذلك من آرائهم القاصرة وذلك لان النفس الانسانية كما علمت متقلبة
في اكوانها الجوهرية وكلما انطوت له نشأة دخلت في نشأة اخرى تتلوها ففي هذه النشأة الدنيا وفيها
تطورت بجميع الاطوار الداخلة في عالم الشهادة من الجسمية والجمادية والنباتية على مراتبها و
الحيوانية على مراتبها فاذا تم لها آخر هذه المراتب الواقعة في هذه النشأة اخذت
في الانقطاع والولوج في النشأة الاخرة واطوارها الداخلة في عالم الغيب بحسب الطباع الاصلي لها
من غير قسر قاسر وسياق سائق خارجي بل بسوق سائق داخلي جبلي من جانب الله تعالى لاجل ذكره
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها ومما يؤيد هذا ما ذكره
شيخ المحققين في الباب الرابع والثمانين ومائتين من الفتوحات حيث قال اعلم ان الروح الانساني
او جان الله ممكنا او جان عمل بالصورة طبيعية حسية له سواء كان في الدنيا او في البرزخ
او في الدار الآخرة او حيث كان فاول صورة لبسها الصورة التي اخذ عليه فيها الميثاق بالاقرار
بربوبية الحق عليه ثم انه حشر من تلك الصورة الى الصورة الجسمية الدنياوية وحبس بها في رابع شهر من
تكوين صورة جسده في بطن امه الى ساعة موته فاذا مات حشر الى صورة اخرى من حين موته
الى وقت سؤاله فاذا جاء وقت سؤاله حشر من تلك الصورة الى صورة جسده الموصوف بالموت
فيحيى به ويؤخذ باسماع الناس وابصارهم عن حيوته بذلك الروح الا من خصه الله بالكشف على ذلك
من نبي او ولي من الثقلين واما سائر الحيوان فانهم يشاهدون حيوته وما هو فيه فاذا فرغ يحشر
بعد السؤال الى صورة اخرى في البرزخ يمسك فيها بل تلك الصورة عين البرزخ والنوم والموت
في ذلك على السواء الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التي فارقها في الدنيا
ان كان بقي عليه سؤال القابر (?) لم يكن من اهل ذلك … فيحشر في الصورة التي يدخل بها الجنة والمسؤل
يوم القيمة ايضا اذا فرغ من سؤال الحشر الى الصورة التي يدخل بها الجنة او النار واهل النار كلهم
مسؤلون فاذا دخلوا الجنة واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية وبودروا حشروا في صورة لا تصلح
الا للرؤية فاذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة وفي كل صورة يحشر ينسى الصورة السابقة التي
كان عليها ويرجع حكمه الى حكم الصورة التي انتقل اليها وحشر فيها فاذا دخل سوق الجنة ورأى فيه
من الصور فان صورة رآها واستحسنها حشر فيها فلا يزال في الجنة دائما يحشر من صورة الى صورة
الى ما لا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الالهي فكما لا يتكرر عليه الصورة للتجلي كذلك يحتاج هذا التجلي له

الى الصورة

ان يقابل

ان يقابل كل صورة يتجلى له بصورة اخرى ينظر اليه فلا تقبله فلا يزال يحشر في الصور دائما يأخذها
من سوق الجنة ولا يقبل من تلك الصور التي في السوق فلا يحصل الا ما يناسب صورة التجلي
الذي يكون في المستقبل لان تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي فاعلم هذا فانه من
لباب المعرفة الالهية ولو تفطنت لعلمت ان الآن انما انت ايضا … كل نفس في صورة الحال التي
استعملها ولكن يحجبك عن ذلك … في تلك المعهودة وان كنت تحس باستحالتك في احوالك
التي عنها يتصرف في ظاهرك وباطنك ولكن لا تعلم انها صور روحك تدخل فيها في كل آن ويحشر
فيها ويبصرها اهل الكشف صورا محسوسة ظاهرة للعيون انتهى كلامه الشريف النوري وفيه من
الفوائد الكشفية ما يمكن … فضلا وشرفا ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين واعلم ان الحركة
الارادية للانسان الى الله فهي حركة ذاتية لنفسانية … في عرض الحق لها الى الله من جهة
استحالة كل جزئيه العملي والعلمي بواسطة الافكار والادراكات المتلطفة والاعمال الالهية
المقربة اياه الى الله وجنس هذه الحركة ما يتطرق فيه الصواب والخطاء والاستقامة والعوج
والضلال بخلاف الحركة الاولى لكونها جوهرية ذاتية من جهة تسخير الحق … لا يتصور
فيها الخطاء والانحراف والانتكاس فلا جرم يكون الا على وجه الصواب والاستقامة كما في قوله ولكل
وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات فقوله ولكل وجهة هو موليها اشارة الى الحركة الغريزية الشوقية
المفطورة عليها جميع المكونات وقوله فاستبقوا الخيرات اشارة الى هذه الحركة الارادية للانسان
التي بها يقع الاستباق بالخير … الاخرة والالحاق بالملكوت
وتمام الكلام ان يقول لما كان الكل متوجها الى الله تعالى توجها غريزيا في الفطرة الاخروية ولكن
الوجودي والعملية كان اشقاوة للكفار واهل المعاصي … من لطف الله المفطورة
على طاعة الحق والتقرب منه فلزم … كلهم … هذا التوجه الغريزي
للاشياء كانها … لا ينافي شقاوة الاشقياء … الكفار …
فان السعادة شيء … التقرب من الله برفع الوسائط شيء آخر وكذا يجب ان يعلم ان الفعلية
وقوة التجوهر الحاصلة للنفوس الانسانية من جهة اشتغالها بهذا البدن وخروجها
من القوة الى الفعل وتحققها بصورها بسببه غير المعاني المادية لا تنافي شقاوة الاخرة
بل يؤكدها فان غمور النفس بهذا البدن الكثيف يوجب لها حالة كالخدر والسكر لها
لاجل تلك الحالة لا يمكنها ادراك الامور الاخروية … الآلام التي يكون …
والعقوبات والالام تكون للاشقياء فاذا خرجت من نشأة الدنيا وزال عنها سكر الطبيعة
وتخديرها وحان وقت ان يقع نظرها الى ذاتها فان كانت من جملة الاشقياء المردودين و

على ما اكتسبت من انقيادها ولا ثباتها لم ينال الشقاء الا لامر وجودي وهما من الشوق الى الفضل ويجب ويمنع العوق
الدنيا اكثر فيها من وبال لمانع لا لامر الاخر لانهما يوجبان ان يطلع على صحيفة ذاتها وما كسبتها من سعادة
او الشقاوة فيلقى نتيجة السعادة اذا وبيانه لم يخل عن الشاكر فحصل الجهل فعلية الوجود وتأكدها بالجملة
لا ينافيها الشقاوة باذيات الالام الحاصلة من الكفر والمعاصي وكذا الرجوع الاضطراري الى الالهية
لا ينافي الشقاوة والعذاب ثانيها انوار النفوس لا مناسبة لها اهبطت كالكواكب الى هذا القالب
الفاسد من هذا الكون الجسماني وتوارت فيه وستطلع عند خراب القالب وانقطاع عمره وبوار
نشاته من مغربها الى مشرقها الاصلي ومطلعها وباريها اما مظلمة منكسفة واما طاهرة مشرقة
والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الالهية والمظلمة ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير
للكل اليه كما امر الا انها ناكسة الرؤس من جهة علو عليين الى جهة سفل سافلين منقلبة الوجوه
الى الدنيا ولذاتها وطبايعها التي هي بعينها شبه الاكل الاخروي وحسناتها اولا ترى ان النبات
في نموه ونشوه يتقارب الى العالم السماء والفضاء لا انها منكوسة الراس متوجهة نحو السفل ولذلك قال
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم فبان ان نفوس الاشقياء ايضا عند ربهم الا انهم منكوسون
محبوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست رؤسهم من جهة فوق الجهة فوق الى جهة
تحت وذلك بحكم الله وقضائه فمن جوهر نوع متقد ولم يهتد لسلوك الصراط المستقيم نعوذ بالله
من الضلال والعمى بعد الهدى ومن منهج اهل الكمال مشاهد اشراقية اعلم ان الصراط
الذي اذا سلكت عليه وثبت الله عليك اقدامك حتى اوصلك الى الجنة صورة الهدى الذي انشاه
لنفسك والاعمال القلبية على منظر اصحاب البصيرة المكاشفين كما ان مشاهدتهم تعرف ابن صفتك
ويبارك ويعلم انه كما وصف الرسول ادق من الشعر واحد من السيف وهو جحيمك وثار لهبها التي فيها ظل يحيطك
ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب الذي يقودها الى حب الشهوات ويجره فيها اذا
النفس الحيوانية فالانسان الكامل السالك الى الله المهتدي بحبل الله باطفاء نار
جحيمه بنور ايمانه وما يتوب به في الموطن الذي ينفعه لقيامته ويقبل منه توبته وهو موطن
الدنيا فاذا بعد فعلية الدار الاخرى لا ينفع فيها عمل اذ لا تكليف فيها بعمل لانها موطن الجزاء وفي
كل علمت انه صراطات صراط الوجود وصراط الايمان والتوحيد فالمشرك لا قدم له على صراط التوحيد
ولا قدم على صراط الوجود والمعطل لا قدم له على صراط الوجود ايضا ومن اشرك بالله فهو من الموقف
الى النار مع المعطلة ومن هو من اهل النار الذين هم اهلها الا المنافقون فلا بد لهم ان ينظروا الى
الجنة وما فيها من النعيم فيطمعون بحسب جبلتهم وشوقهم الى الكمال فيرون نعيم اهل الجنان
ثم يصرفون الى النار وهذا من عدل الله فيهم فهو يلوح لعمالهم واما الموحد فلا يخلد في النار انما يسئل

ويسال

ويسال ويعذب على الصراط والصراط على متن جهنم كما مر غايب فيها والكلاليب التي فيها تمسكهم الله عليه
ولما كان الصراط في النار وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومن عرف معنى هذا القول عرف ان
مكان النار انما هو بعينها كما في قوله وورد في صفة الصراط انه ادق من الشعر واحد من السيف كذا
علم حقيقة الايمان والتوحيد والعمل بالاركان والتوسل ولا تزال في كل ركعة من الصلوة
تقول اهدنا الصراط المستقيم فلولا ما اوجب الله عليك ذلك فاعظم الامور عليك واجلها
معرفة ذلك تحقيق هذا الصراط ودقائقه فانه ادق من الشعر واحد من السيف فظهوره في الدنيا
ظهور عقلي وفي الاخرة ظهور حسي ابين واوضح من ظهوره في الدنيا الا لمن دعى الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني وقد جاء في الخبر ايضا ان الصراط يظهر يوم القيمة متسلا بعضا على قدر نور المارين
عليه فيكون دقيقا في حق بعض وعريضا في حق اخرين يصدق هذا الخبر قوله تعالى يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم والسعي مشي وما ثم طريق الى الله الا الصراط وانما قال وبايمانهم لان المومن في
الاخرة لا شمال له كما ان الكافر لا يمين له وهذا بعض احوالك قلت اذا كان الكمال مفطورا بحسب الطبع
وطلبه والشوق اليه فما سبب تفاوت هذه النفوس الانسانية في الهداية والضلال والطاعة
والمعصية قلنا لتفاوتها في الصفاء والكدورة والقوة والضعف والنزاهة والخسة وبحسب
ما يتفق لها من الاسباب البدنية والاحوال الدنيوية من الاستعدادات المادية والعوارض الاتفاقية
المتسلسلة المنتهية الى الامور العلوية والقضاء السابق الازلي فالارواح الانسية متفاوتة
بحسب اصل الفطرة الاولى مختلفة في الصفاء والكدورة والضعف والقوة مرتبة في درجات القرب
والبعد من الله تعالى والمواد السفلية الواقعة بازائها متباينة في اللطافة والكثافة ومزاجاتها
متفاوتة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فقابليتها لما يتعلق بها من الارواح متفاوتة وقد قدر
الله تعالى في القضاء السابق بازاء كل ما يناسبه من المواد وبازاء كل ما يحاذيه من الصور فالطف
المواد والصور لاشرف الارواح واقوى النفوس وقد علمت سابقا ان تفاوت النفوس البشرية في تحصيل
الحقايق بتفاوت اصولها ومعادنها العقلية ومفاتيح ابوابها الالهية ومن اجل تفاوتها فيها
في الادراكات والارادات والاشواق وقع الاختلاف بينها في الهداية والضلال والطاعة والعصيان
والتوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة وحسن العاقبة وسوئها والثواب والعقاب والجنة والنار
فان قلت ما الفايدة في التكليف بالطاعات والدعوة بالايات والامر والنهي والترهيب اذا كان الجميع
منتهيا الى قضاء الله وتقديره وما تاثير السعي والجهد والطاعة والعبادة قلنا هذه الامور من جملة
الاشياء الواقعة بقضاء الله وقدره والاسباب المقدرة التي جعلها الله تعالى مهيجات للاشواق

والارادات ومحركات ودواعي الى طلب الخيرات واكتساب الدرجات ومحرضات على الاعمال الحسنة مورثة
لعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة مزكية للنفوس منورة للقلوب مقربة اياها
الى الله ناهضة في معاشنا ومعادنا بحيث حالنا في دنيانا ويحصل بها سعادة عقبانا او محذرات
من الشرور والقبائح والذنوب والرذايل المكدرة للنفوس المسودة للقلوب بما يضرنا في الاجل وتشقينا
في الاجل وكذلك السعي والجد والتدبير وغيرها بحيث نطالبها موصلة ايانا الى مقاصد نافعة كما لا نها
من القوى الى الفعل كما ان رسول الله صلعم سئل هل يغني الدواء والرقية من قدر الله فقال الدواء والرقية ايضا
من قدر الله وكما ان اصحاب الفضل العلم بما هو كاين قيل ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكما سئل
انحن في امر فرغ منه او امر مستانف فقال الخاير مفروغ منه وفي امر مستانف فان قلت لماذا وقع هذا التفاوت
والتخالف في اصل الفطرة والغرايز ولم يستوفي الشرف والخسة فما بالنا كنا مختلفين في الجواهر بحسب الصفا
والكدورة ولم نتشاكل في السعادة ولم تتحد لفضل السعيد مسرورا والشقي محروما وما سبب التفاوت
في هذه القسمة من قرائنه الهيئة في الزيادة والنقصان في النصيب من الكرامة الالهية وما هذا
الجفاء والجود وابن عدل الله فينا وكلنا عبيده والمحتاجون الى قسمته ورزقه وقدرة الله ونحن انما
بظلام للعبيد فنجيبك يا اخا الطريقة بعد ما زال عنك الدهشة وآب اليك القرار ووجدت
السكينة والوقار قلنا اول من زل في هذا المقام واستفزه هذا الكلام ثم رجع وتاب وآمن وتاب
بمثل ما قال الشاعر هون على بصري ما شق منظره فانما يقظات العين كالحلم انا كون الشريف شريفا
والخسيس خسيسا فليس بجعل جاعل وتاثير موثر واما السؤال بانه لم خلق الله الشيء الخسيس في العالم ولم
ولم يجعل الايجاد مقصورا على الاشرف في الايجاد لبعثة كل الموجودات طبقة واحدة بل انحصرت
في الاول وبقيت المراتب الباقية في كتم العدم مع امكان وجودها فكان حيفا عليها وجودا
وقطعا فان العناية الالهية تقتضي نظام الوجود على احسن ما يمكن فلو امكن احسن مما هو عليه الآن لوجد
من وجود الواهب لذاته ولو تساوت الموجودات في الشرف والكمال في النقص والتمام لما حسن
في ترتيب النظام وارتفع الصلاح ولو لم يوجد النفوس الشقية والطبايع السليطة لكان لا
امورهم ولا تهيا معالجهم وبقي الاحتياج اليها في العالم مع فقدها كما لو كان البصل زعفرانا والذي
الحوانا لو لم يوجد البصل والنقي الاصلاح حرمت الناس من منافعها وتضرروا في فقدها مع امكان
وجودها وكما لا يختلج في صدرك ان البصل لم يكن زعفرانا والعقعق قمريا او الكلب اسدا
والوهم عقلا فيجب ان لا يختلج في بالك ان الجاهل لم يكن عالما والفقير سلطانا والشقي سعيدا
والجاهل الشريد عالما خيرا اذ لو كان كذلك لاضطر السلطان الى صنعة الكنس والحكيم الى
مباشرة الوحش فما بقي التناسل بطل التعليم والتماثل وبطل النظام ووقع الهرج والمرج فلم يكن ذلك

علا

علا بل كان ظلما وجورا ثم ان التكلم يسلم من ذلك انه ولخسيس لا يتقرب في خسته ويتجاهل جهلا
بسيطا لا يتعذب بجهله والعامي الاعمى لا يشتغل بما لا لاصلح بكونه كل منهم لو غيرها هو عليه لينا
لم ينتقل بحاله ويتعذب بفصل حاله بل احد كل يعشق ذاته ويحب نفسه وان كان خسيسا دنيا
وفي المثل السائر يحسبك خير من سمين غيرك فمن اساء عمله واخطاء في اعتقاده فانما ظلم نفسه
بظلمة جوهره وسوء استعداده وكان اهلا للشقاوة ينادي على لسان الملائكة مهلا وبذلك
اوكتا دفوك نفخ وانما قصر استعداده ظلم جوهره لا عدم امكان كونه احسن مما وجد كما لا يمكن ان
يحصل من وان يلد الفرد انسانا في احسن صورة وكمال سيرة ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وبالجملة تفاوت
الخلق في الكمال والنقص والسعادة والشقاوة اما بامور ذاتية جوهرية واما بامور
عارضة كسبية بواسطة الاعمال والافعال فالاختلاف بحسب الامور الذاتية بمحض العناية
الالهية المقتضية لحسن الترتيب وفضيلة النظام وليس منشأ الاشكال اصلا كما علمت واما
بحسب العوارض اللاحقة فهي من اللوازم والتوابع الحاصلة بمصادمات الاسباب فكل آفة تلحق
الشيء بسبب امر خارج اتفاقي فليس مما يدوم عليه بل يزول بزوال سببه ويعود الشيء الى ما كان
عليه اولا من طبيعته الاصلية اذ الاسباب الاتفاقية غير دائمة ولا اكثرية الوجود الا لاجل ان
ينقلب طبيعة الشيء الى طبيعة اخرى فيكون هذه الثانية طبيعة اصلية والكلام فيها عائد
من ان ما يكون عارضا غريبا لها تزول عنها بسرعة فعلم من هذا ان اكثر احوال الشيء الطبيعي والاشرار
والآفة والشر من النوادر الاتفاقية واما حديث الانتقام الالهي بالغضب والعقوبات فذلك
للكفار وفساق الكلام فيه في تحقيق قوله تعالى المغضوب عليهم ولنرجع الى ما كنا بصدده ان شاء الله
قوله جل اسمه صراط الذين انعمت عليهم صفة للاول او بدل الكل والفرق — ان البدل
بين الصفة والبدلية حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة كتكرير الجار في قوله تعالى
ان الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم بخلاف الصفة وفائدة الاهدنا
صراط الذين انعمت عليهم وفائدة التاكيد المفهوم من التثنية والتنصيص على ان طريق — المؤكد
المؤمنين هو المشهود عليه بالاستقامة المفضي سالكه الى المطلوب على ابلغ وجه واكده فانك
اذا قلت مثلا هل ادلك على اعلم الناس وافضلهم فلان كان ذلك فلتثبت ذكره اولا اجمالا
وثانيا تفصيلا وجعلت اسمه كالتفسير والبيان لنعته المذكور اولا اشعارا بانه من البين
الذي لا خفاء فيه يجعله علما في العلم والفضيلة فيكون ذلك ابلغ من قولك هل ادلك
على فلان الاعلم الافضل فههنا قد وقع الاشعار بان الطريق المنعوت بالاستقامة هو طريق

المنعم عليهم على ابلغ الوجوه واكده والذين موصول انعمت عليهم صلته وقيل تقديرها انما مفردا
يكون في موضع الجر بالاضافة صراط اليه ولا يقال في موضع الرفع الذين لانه اسم غير متمكن وقيل
ذلك شاذا كما حكى اللذون في حال الرفع وقرا عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير صراط من انعمت عليهم وهو
المروي عن اهل بيت النبي صلعم وعليهم السلام وقيل المراد بالمنعم عليهم هم الانبيا وقيل النبي صلعم واهل
بيته عليهم السلام وعن ابن عباس هم اصحاب موسى وقيل اصحاب عيسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ
وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم واصل النعمة هي الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من النعمة وهي اللين وفي مجمع البيان اصلها المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء
فانعمت دقه وانما اراد في العرف من النعمة ويسمى به كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر
يسمى نعمة عند الناس وهي تختلف بالاضافة فرب نعيم لاحد يكون الما لاخر واما النعمة
الحقيقية فهي السعادة الاخروية واصلها المعرفة بالله وملكوته وما شاكله وروح وسر في
الاسلام والاذعان وروحها الايمان والاحسان وسرها التوحيد والاتقان فحكم الاسلام
متعلق بظاهر الدنيا والايمان بباطنها او بباطن النشاة الظاهرة والاحسان بحكم البرزخ
ونشاته واليه الاشارة بقوله صلعم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه الا هذا هو الشهود
الا حقيقنا والبرزخ وسر التوحيد وعيان البقاء يختص بالاخرة فافهم فاندرجت لك مراتب
الدينية في طي هذه الكلمات الوجيزة تعلم ان كل شي والله المرشد وقد يكون اسم النعمة لغيرها
مطلقا ولكن من حيث يفضي الى النعمة الحقيقية من الاسباب المعينة واللذات المسميات نعمة
مما يوضحها ويشرحها بهذه التقاسيم القسمة الاولى ان الاشيا كلها بالاضافة الينا
على اربعة اقسام الضروري النافع والنافع الغير الضروري وعكسه والذي لا ضرورة فيه ولا نفع اما
الاول فهو اما في الدنيا فهو كالنفس فانه لو انقطع منك لحظة واحدة مات القلب واما في الاخرة
فهو معرفة الله فانها ان زالت عن القلب لحظة مات القلب واستوجب العذاب الابدي
واما الثاني فهو كالمال في الدنيا وساير العلوم والمعارف في الاخرة واما الثالث فهو كالمضار
التي لا بد منها كالموت والهموم والمرض ولا نظير هذا القسم في الاخرة فان ما هو نافع فيها لا يلزمها
شي منها من المضار واما الرابع فهو كالفقر في الدنيا والجهل والعذاب في الاخرة اذا عرفت هذا
التقسيم فنقول اعظم نعم الله علينا الهداية بالمعرفة فانا قد ذكرنا انه كما ان النفس في الدنيا ضروري
نافع وبانقطاعه فكذا المعرفة في الاخرة فلو زالت عن القلب لحظة هلك لكن الموت الاول
من الثاني لان الموت الاول لا تبقى فيه الا ساعة واحدة واما الموت الثاني فانه يبقى ابد الاباد فاي
نعمة اعظم واشرف من نعمة الايمان ثم هاهنا دقيقة لا يخفى عليك انه كما ان النفس له اثر

بموت القلب
[illegible]

ادخال

ادخال النسيم الطيب على القلب وابقاء اعتداله وسلامته واخراج الهواء الفاسد الذي يحترق
عن القلب كذلك الفكر له اثران احدهما ايصال النسيم الحجة وروح البرهان وبرد اليقين الى القلب
الحقيقي وابقاء اعتداله الايمان والمعرفة عليه والثاني اخراج الاهوية الفاسدة والاعتقادات
المظلمة المتولدة من نيران الشبهات عنه وما ذلك الا بان يعرف ان هذه المحسوسات الدنيوية فانية
منتهية الى الفناء بعد وجودها فمن وقف على هذا علم ان التحلية انعم الله على عبده بتخليته
عن المحسوسات وتنوير قلبه بالمعارف الالهيات الثانية ان الامور كلها بالنسبة الينا تنقسم
الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى هو مضار فيهما كالجهل وسوء الخلق
والى ما ينفع في الحال ويضر في المال كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما هو عكس ذلك كقمع الشهوات
ومجاهدة النفس الثالثة اعلم ان النعم والخيرات باعتبار اخر ينقسم الى ما هي مؤثرة لذاتها والى ما
مؤثرة لغيرها والى ما هي مؤثرة لذاتها ولغيرها فالاول كلذة النظر الى وجه الله وسعادة
لقائه وبالجملة سعادة الاخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة
وراءها بل تطلب لذاتها والثاني كالدراهم والدنانير فلولا فايدة فايدتها الا كونها وسيلة
لامور اخر والثالث كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقتدر بسببها على التفكر والتذكر الموصلين
الى لقاء الله او يتوسل الى لذات الدنيا وان استغنى عن المشي الذي يراد سلامة الرجل
لاجله فربما يطلب سلامة الرجل من حيث انها سلامة لانها امر وجودي بلا ضرر فيكون مطلوبا
اذ الوجود الذي لا ضرر فيه خير محض مؤثر لذاته فاذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة حقيقة
وما يؤثر لذاته ولغيره ايضا فهو نعمة ولكن دون الاول اذ المؤثر لاجل امر اخر لا يخ من نقص لان ما
نقص له اصلا لو لم يصل الشي اخر ولو بوجه لكان ذلك الشي خيرا منه من ذلك الوجه فلم يكن بريا
من كل نقص بكل وجه وقد فرضنا كونه هذا واما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان
في انفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان وربما لا يكون وسيلة في حق
بعض بل يكون بلاء وافة فلا يكون نعمة فكذا الامر وهذا الرابع ان الخيرات باعتبار
اخر ينقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد
في المال والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشر ايضا قد ينقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل
واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمعت الاوصاف الثلاثة فيه
كالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر كالجهل
المركب فانه ضار وقبيح ومولم واما الا يحس الجاهل بالم جهله لشغل الدنيا وغطاء الطبيعة
والمقيد هو الذي فيه بعضها كالرضا دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتاكلة ورب

نافع قبيح كالحمق فانه يوجب استحقار الاحمق في الحال الا ان يصح وتسهيله له في المآل وفيه ذلك
قيل استراح من لا عقل له الرابعة وهي الحاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم الى ما هي غاية مطلوبة
لذاتها والى ما هي مطلوبة لغاية اما الغاية فهي السعادة الاخروية ويرجع حاصلها الى اربعة
امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم له وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعم الحقيقية
وغيرها ايرادها ولذلك قال النبي صلعم لا عيش الا عيش الآخرة واما الوسايل فتنقسم الى
الاقرب الاخص كفضايل النفس والى ما يليها في القرب كفضايل البدن والى ما يليه في القرب ويجاوز
الى غير ذلك كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب
الخارجة عن النفس وبين الحاصلة لها كالتوفيق والهداية فهي اذن من اربعة انواع اما النوع
الاول فيرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق اما الايمان فهو العلم بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واما حسن الخلق فهو حسن صورة الباطن عبارة عن تهذيب
الاخلاق وتصفية القلب عن الرذايل وصرف القوى الشهوية والغضبية والوهمية فيما
لاجله خلقت حتى يكون لا متهورا ولا جبانا ويكون عفيفا لا فاجرا ولا خاملا ويكون حكيما لا مشككا ولا
ابله فالفضايل المختصة بالنفس المقربة الى الله علم مكاشفة وعلم معاملة وحسن خلق وحسن
سياسة ولا يتم هذه النعمة في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي الفضايل البدنية وهي اربعة
الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا يتهيأ هذه الامور البدنية الا بالنوع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء
من هذه الاسباب الخارجة البدنية الا بالنوع الرابع من النعم وهي اربعة هداية الله
ورشده وتسديده فمجموع هذه مجامع النعم ستة عشر وهذه بجملتها يحتاج البعض منها الى الآخر
اما حاجة ضرورية او نافعة ولو اخذنا في بيان حاجة طريق البعض الى الواحد الواحد
من الاقسام التي ذكرناها من النعم النفسية والبدنية والخارجية منها كالمال والجاه
والاهل والنسب لطال الكلام لكن اخفى النعم البدنية في كونها محتاجا اليها هو الجمال واخفى النعم
الخارجة في ذلك هو النسب فلنبين وجه الحاجة اليهما اما الجمال فلا يخفى نفعه في الدنيا
فان الطبايع من القبيح نفرة وحاجات الجميل الى الاجابة وجاهه اوسع في الصدور فكل
معين في الدنيا والآخرة ولان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا اتم
اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة
في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن وقيل الروح اذا اشرق
على الظاهر فصباحة وان اشرق على الباطن ففصاحة وكان اهل الخبر حسان الوجوه وقال

اذا تساويت

اذا تساويت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقد امتن سبحانه ممتنا
بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ونبل الحظ مما يحرك الشهوة فان ذلك انوثية بل تناسب
الاعضاء واعتدال الخلقة واما النسب فكرم العشيرة نعمة جليلة ولذلك قال رسول الله صلعم
الايمة من قريش ولذلك كان صلعم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال تخيروا لنطفكم وقال اياكم
وخضراء الدمن فقيل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء فان قلت فما معنى النعم
التوفيقية الراجعة الى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فنقول التوفيق عبارة
عن التأليف بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره ويستعمل في الخير والسعادة ولا خفاء
في الحاجة اليه ولذلك قيل اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجني عليه اجتهاده واما الهداية
فلا سبيل لاحد الى السعادة الاخروية الا بها لان داعية الانسان قد يكون مايلة الى ما صلاح
آخرته ولكن اذا جهلها لم ينفعه مجرد الارادة فلا فايدة في الارادة والقدرة وساير
الاسباب الا بعد الهداية ولهذا قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ولكن الله يزكي من يشاء وللهداية ثلث مراتب الاولى معرفة
طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله به على كافة الخلق بعضه
بالعقل وبعضه على لسان الكتب والرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصاير العقول وهي مبذولة للجميع ... كالحسد والكبر ...
و... اسباب السلوك ... الهداية العامة المرتبة الثانية
هي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والمرتبة الثالثة وراء الثانية
وهي النور الذي يشرق في عالم الولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل
الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات
وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل من جهته فقال قل ان هدى الله
هو الهدى وهو مسمى حيوة في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ووجه انحصار مراتب الهداية في الثلث
ان كل مقام من مقامات الايمان ومنزل من منازل السالكين ينتظم من امور ثلثة احوال واعمال
ومعارف ولا بد لكل منها من هداية تخصه واما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين
الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك
من جانب الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية

باعثة الى جهة السعادة محركة لها فهو بعد الاختيار اكمل من مجرد الهداية
الى وجوه الاعمال فكم من مهتد غير رشيد فهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه حركاته
الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت فان اصل الهداية
لا يكفي بل لابد من هداية محركة للداعية وهي الرشد فكذا الرشد لا يكفي بل لابد من تيسير الحركات
بمساعدة الاسباب من خارج وهو المعنى بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة
وهو عبارة عن جود الهي يسنح في الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير
كمانع من باطنه غير محسوس واياها عنى بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
فهذه هي مجامع النعم ولن تستتب الا بما يخوله الله من الفهم الثاقب والذهن النقاد
والسمع الواعي والقلب البصير والطبع المتواضع والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات
بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وتسلط
الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه النعم الستة عشر اسبابا ويستدعي تلك الاسباب اسبابا
وهكذا الى ان ينتهي بالاخرة الى مسبب الاسباب ورب الارباب ودليل المتحيرين وملجا المضطرين
واذا كانت تلك الاسباب متسلسلة طويلة لا يمكن الاستقصاء فيها فلنعرض عنها ونقلع عن ذكرها
لخروجها عن الحصر والاحصاء فان صحة البدن من جملتها نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتاخرة
ولو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها لان الاكل مثلا احد اسباب الصحة
وهو متوقف على اسباب غير محصورة فهاتيك نعمة الاكل اذ لا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا
النوع حركة والحركة لا بد لها من جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة
على الحركة ولا بد لها من ارادة والارادة متوقفة على العلم بالمراد والعلم صورة نفسانية
ونقش باطني لا بد لها من قابل ومنقوش به وهو لوح النفس ومن فاعل ناقش وهو ملك
روحاني مستفيد من ملك فوقه وهكذا الى عالم الملكوت ثم لا بد للآكل من مأكول وهو جسم
مركب من اصول متخالفة الطبايع والامكنة والاحوال لا بد لها من اسباب تجمعها وتجبرها
على الالتيام ويحفظها على مزاج يتهيأ لصورة التمام ولا بد لتلك الاصول من امكنة تكون
فيها وجهات تتوجه اليها عند خروجها وازمنة تتحرك فيها ولا بد للامكنة والازمنة من الحدود
للاجسام المنتهية المحكمة من محدد ومطيف بها يتميز به جهات امكنتها وحدود ازمنتها
فيكون المحدد من جنس جملة الاجرام الكرية الدائمة الحركة الى ان يشاء الله ولا بد لها من اسباب
محركة على سبيل المباشرة والمزاولة ولاسبابها اسباب اخرى محركة على سبيل التشويق والامداد و
العناية اذ ليس تحركاتها شهوية او غضبية فيكون حيوانية محضة ولا مجازفة او عبثية

عضة

محضا انشاء او حب ذكر او صيت او نفعا للسافل بل حركة شوقية علوية وخدمة الهية وطاعة
ربانية فلها مادة ملكية تدبرها وفوقها ملائكة اخرى تدبرها وتشوقها طلبا لبارئها والتكمل
وتشوقا اليه وطاعة له على وجه يلزمها رشح الخير الدائم على الاداني والاسافل ثم لا بد للمأكول
من طعام يصلحه ولا بد من اسباب لاصلاحها من ارض ينبت فيها وهواء يصلح لها وحرارة
ينضجها وماء يسقيها والماء لا يتحرك بنفسه من مكانه كالبحر فلا بد لحركته من اسباب بعضها طبيعية
عنصرية وبعضها نفسانية فلكية وبعضها قدرية الهية كما يعلمه العلماء الالهيون ولذلك
قال فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم لا يكفي وجود الماء والتراب والهواء
اذ لو تركت الحبة في ارض صلبة متلاصقة لم ينبت لفقد نفوذ الهواء في باطنها فلا بد من ان يكون
متخلخلا مشقوقة لدخول الماء فيها وخروج النبت منها ولا يتم شيء منها الا باسباب علوية وراء اسباب
علوية وراءها اسباب سفلية منتهية الى الله كما قال شققنا الارض شقا فانبتنا فيها الاية ولا بد
من تحريك الهواء في باطن الارض ومن محرك يشق ويحركه ويضربه بعنف على الارض حتى ينفذ
فيها فيحتاج مثل ما ذكرنا الى اسباب منتهية الى الله تعالى كما اشار اليه بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح
فانظر في نعم الله في خلق السحاب والامطار وتحريك السحاب الى ارض الزراعة ثم الارض ربما
كانت مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله الغيوم فسلط الرياح عليها لتسوقها
باذنه الى اقطار العالم وهي سحب ثقال بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض ثم انظر كيف
خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون والانهار تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت
البلاد وهلكت الزروع والمواشي واما الحرارة فانها لا تحصل من الاثير بطبيعتها ولا تحصل
من الماء والارض وهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف اسكنها الله في موضع لا يقرب
اهل الارض بقربها المفرط للتحليل والتسخين ولا يبعدها المفرط للتجميد والتبريد وجعلها دائرة
على حول الارض شمالا في فصل وجنوبا في فصل ومتوسطا فيما بينهما في فصلين آخرين من الفصول
الاربعة لينتفع بها جميع النواحي وتنتفي بها في وقت دون وقت فيحصل البرد عند الحاجة اليه والحرارة
عند الحاجة اليها فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان يحصى وكذا القمر الذي هو كالخليفة
لها وكذا سائر الكواكب مع انها في نفسها موجودات شريفة مطيعة لله تعالى خلقت للخضوع والطاعة
لله والتقرب اليه في صلواتها الدائمة وسجودها وركوعها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا
وباطلا ولم يصح قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقوله ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ولهذا لما نظر رسول الله صلعم الى السماء وقرا هذه الاية
ثم قال ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته معناه ان يقرأها ويترك التأمل في احوال الملكوت

والارادات ومحركات ودواعي الى طلب الخيرات واكتساب الدرجات ومجمعات على اعمال الحسنة مورثة
لعادات محمودة واخلاق جميلة وملكات فاضلة مزكية للنفوس منورة للقلوب مقربة اياها
الى الله ناهضة في معاشنا ومعادنا بحيث بها حالتنا في دنيانا ويحصل بها سعادة عقبانا او محذرة
من الشرور والقبائح والذنوب والرذائل المكدرة للنفوس المسودة للقلوب بما يضرنا في الآجل وتشقينا
في الآجل وكذلك السعي والجد والتدبير ونحوها مهيئة لطالبها موصلة ايانا الى المقاصد منجية لنا الآهات
من الفوت الى الفضل كما قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يغني الدواء والرقية من قدر الله فقال الدواء والرقية ايضا
من قدر الله وكما قال لمن جف القلم بما هو كائن قيل ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكما سئل
انحن في امر فرغ منه او امر مستانف فقال في امر مفروغ منه وفي امر مستانف فان قلت لماذا وقع هذا التفاوت
والتخالف في اصل الفطرة والغرائز ولم يستووا في الشرف والخسة فما بالنا كنا مختلفين في الجواهر بحسب الصفا
والكدورة ولم نتشاكل في السعادة ولم تتساو افضال السعيد مبرورا والشقي محروما وما سبب التفاوت
في هذه القسمة من قرائنه الغيب في الزيادة والنقصان وفي التصبب من الكرمة الالهية وما هذا
الحيف والجور اذ ولين عدل الله فينا وكلنا عبيده والمحتاجون الى قسمته ورزقه وقد كان الله وليا اتانا
فظلام للعبيد فيجيبك يا اخا الطريقة بعدما زالت عنك الدهشة وآب اليك القرار ورجعت
السكينة والوقار فلست اول من زل في هذا المقام واستوحش هذا الكلام ثم رجع وتاب وآمن وتاب
بمثل ما قال الشاعر هون عليك بمرئي ما شئت منظرهم فانما يقظات العين كالحلم اما كون الشريف شريفا
والخسيس خسيسا فليس بجعل جاعل وتاثير مؤثر واما السؤال بانه لم خلق الله الشئ الخسيس في العالم
ولم يجعل الايجاد مقصورا على الاشرف في الايجاد ليبقى كل الموجودات طبقة واحدة بل انحصرت
في الاول وبقيت المراتب الباقية في كتم العدم مع امكان وجودها فكان حيفا عليها وجوده
وقطعا للعناية الالهية تقتضي نظام الوجود على احسن ما يمكن فلو امكن احسن ما هو عليه الآن
من وجود الواهب لكان وقوع التفاوت بين الموجودات في الشرف والكمال والنقص والتمام لغاية يحسن
في ترتيب النظام وانتفع الصلاح ولو لم يوجد النفوس الشقية والطبائع الغليظة لكان لا
امورهم ولا تهيئا مصالحهم وبقي الاحتياج اليها في العالم مع فقدها كما لو كان البصل زعفرانا والكرفس
الخوان لم يوجد البصل والدفلي اصلا واحرمت الناس عن منافعها ونفروا في فقدها مع امكان
وجودها كما لا يختلج في صدرك ان البصل لم يكن زعفرانا والفيصوم ضيمرانا والكلب اسدا
والوهم عقلا فيجب ان يختلج في بالك ان الباطل لم كان حقا والفقير سلطانا والشقي سعيدا
ولم ما هل الترشيد عالما خبيرا لو كان كذلك لاضطر السلطان الى صنعة الكنس والحكيم المتالة الى
مباشرة الوحس فما بقي التناسل ولا تعذر التماثل وبطل النظام ووقع الهرج والمرج فلم يكن ذلك

العاجل

فلانه لو كان كذلك

لم يكن

علا

علا بل كان ظلما وجورا ثمرات الذي لم يسلم من دلالة وخسيس لا يتقرب في خسته وجاهل جهلا
بسيطا لا يتعلق بجهله والغامي الاعمى لا يشتهي بها لا الاصل لكون كل منهم لو غير عما هو عليه لبينا
لم ينتقل كالدوشة في بعض حاله بل احدكل يعشق ذاته ويحب نفسه وان كان خسيسا دنيا
وفي المثل السائر تحسبك خير من سمين غيرك فمن اساء عمله واخطاء في اعتقاده فانما ظلم نفسه
بظلمة جوهره وسوء استعداده وكان اهلا للشقاوة ينادي على لسان المالك مهلا فذلك
اوكتا دفوك تنفخ وانما قدر استعداده وظلم جوهره هدم امكان كونه احسن مما وجد كالابكار ان
يحصل من وان بلد القرد انسانا في احسن صورة واكمل سيرة ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وبالجملة تفاوت
الخلق في الكمال والنقص والسعادة والشقاوة اما بامور ذاتية جوهرية واما بامور
عارضة كسبية بواسطة الاعمال والافعال فالاختلاف بحسب الامور الذاتية بمحض العناية
الالهية المقتضية لحسن الترتيب وفضيلة النظام وليس منشأ الاشكال اصلا كما علمت واما
بحسب العوارض اللاحقة فهي من اللوازم والتوابع الحاصلة بمصادمات الاسباب في كل آفة تنشأ
يلحق الشئ بسبب امر خارج اتفاقي فليس مما يدوم عليه بل يزول بزوال سببه ويعود الشئ الى ما كان
عليه لاقرطبيعة الاصلية اذ الاسباب الاتفاقية غير دائمة ولا اكثرية الوجود الا نادرا
ينقلب طبيعة الشئ الى طبيعة اخرى فيكون هذه الثانية طبيعة اصلية والكلام فيها عائد
من ان ما يكون عارضا غريبا لها تزول عنها بسرعة فعلم من هذا ان اكثر احوال الشئ الخير والسلامة
والآفة والشر من النوادر الاتفاقية واما حديث الانتقام الالهي بالغضب والعقوبات فلذلك
للكفار وسائر الكلام فيه في تحقيق قوله تعالى المغضوب عليهم ولنرجع الى ما كنا بصدده انشاء الله
قوله جل اسمه صراط الذين انعمت عليهم صفة للاول او بدل عنه بدل الكل والفرق
بين الصفة والبدلية حكم نكرة العامل من حيث ان المقصود بالنسبة كتكرير الجار في قوله تعالى
في الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم بخلاف الصفة فكانه قيل اهدنا
صراط الذين انعمت عليهم وفائدة التاكيد المنفهم من التثنية والتنصيص على ان طريق
المؤمنين هو المشهود عليه بالاستقامة المفضي بسالكه الى المطلوب على ابلغ وجه واكد فانك
اذا قلت مثلا هل ادلك على اعلم الناس وافضلهم فلان كان ذلك ابلغ في تثبيت ذكره اولا اجمالا
وثانيا تفصيلا وجعلت اسمه كالتفسير والبيان لنعته المذكور اولا اشعارا بانه من البين
الذي لا خفاء فيه فجعلته علما في العلم والفضيلة فيكون ذلك ابلغ من قولك هل ادلك
على فلان الاعلم الافضل فيهما قد وقع الاشعار بان الطريق المنعوت بالاستقامة هو طريق

او قد تا

ان البدل

المؤكد

احكام من الصحة والمرض والسلامة والآفة لا يعلمها الا الله ولو اختلت طبقة واحدة
بل شيء من اسبابها لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون وقد صنف في تشريح العين
مجلدات كثيرة مع ان حجمها لا يزيد على جوزة صغيرة واعجب من هذا دخول الافلاك العظيمة
وما يحويه من جملة العناصر في هذه الجوزة الصغيرة من الحدقة بتضايق ولا يتطابق ذلك
الكبير ويتعاظم هذا الصغير وقس على ذلك حاسة السمع وسائر الحواس الظاهرة ولا نسبة لها في الصنع
والحكمة الى الحواس الباطنة كما لا نسبة للباطنة الى العقل الذي هو وراء كلها فهذه نعم الله
في اسباب الادراك فقس عليها حال نعم الله في خلق اسباب التحريك الذي هو قرين الادراك في
كل نفس كالمقصود وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالشاهد هو جند مبادي الادراك و
السائق هو جند مبادي التحريك فانك بعد خلق الادراكات فيك لا يكفيك مشاهدة الطعام
بل تفتقر الى شهوة الاكل والميل اليه يبعثك على الحركة والطلب فخلق الله فيك شهوة الطعام
وسلطها عليك كالمتقاضي ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة منه لاهلكت
نفسك فخلق فيك الكراهة عند الشبع ثم خلق فيك شهوة الجماع ابقاء لنوعك ودوام نسلك
وفي خلق اسباب التوليد من الانثيين والرحم ودم الحيض والمني والمجاري والعروق والاوعية
وكيفية توليد النطفة وتشكلها وكيفية دورانها في اطوار الخلقة الى تمام الاعضاء من العجائب
ما لا يحصى ثم الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما ينفع ويضر في الحال وهما لا يكفيك فيترك
بقوة اخرى هي الارادة المعقلية اكرامالك واذا داعي اليها حركها الادوات بموجب العمل ثم
هذه القوى لا يكفيك فكم من زمن مدرك مشتاق الى شيء بعيد عنه لا يقدر على المشي اليه فخلق
لك قدرة على المشي والطلب لتستعملها بالات والالات معينة عليها وعلى الدفع والهرب لما يستعملك
وعما يضادك وتلك الالات بعضها طبيعية كالاعضاء وبعضها خارجية كالاسلحة والمراكب
والدواب والسفن والالات الزرع ومبادئها واسبابها وفاعلها من الصناع والمصلحين وغير
ذلك من نعم الله وحكمته ما لا يعد ولا يحصى فليعتبر رغيفا واحدا ولينظر ما يحتاج اليه حتى يصلح
للاكل من وقت القاء البذر الى الارض فانظر الى اعمال الصناع في اصلاح الات الحراثة والطحن و
الخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف
خلق الله الجبال والاحجار والمعادن فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير ما لم يعمل عليه
اكثر من الف صانع ابتداؤها من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من جهة الملائكة
حتى ينتهي النوبة الى الانسان فاذا استدار وطلبه قريب من سبعة الاف صانع كل صانع اصل من اصول
الصنائع التي يتم بها مصالح الخلق ثم تامل في كثرة اعمال الانسان في تلك الالات حتى ان الابرة

الصغيرة

الصغيرة التي هي آلة خياطة اللباس الذي يدفع عنك البرد لا يكمل صورتها الا بعد ان يمر على
الابرة خمسة وعشرين مرة ثم اعلم ان هؤلاء الصناع لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم حتى
وتباعدها بحيث لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض فانظر كيف الف الله بين قلوبهم حتى
الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا البلدان والمدن ورتبوا المساكن والدور
والاسواق والخانات وما اشبهها مما يطول شرحه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون
عليها ويتنافسون فيها حتى يجر الى الحسد والغيظ وذلك يؤدي الى التقاتل والتقاتل فانظر
كيف سلط الله عليهم السلاطين وايدهم بالقوة والشوكة والعدة والاسباب والقى رعبهم
في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لها طوعا وكرها وكيف هدى الله السلاطين الى طريق اصلاح البلاد
حتى رتبوا اجزاء المدينة كانها اجزاء شخص واحد يتعاون تلك الاجزاء على غرض واحد ينتفع
البعض منها بالبعض ورتبوا الرؤساء والقضاة والحكام وزعماء الاسواق واضطروا الخلق
الى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون بذلك القانون فانظر كيف بعث الانبياء
حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق
وقوانين السياسة وضبطهم وكشفوا من احكام الامامة والامارة واحكام الفقه ما
اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما ارشدهم اليه من اصلاح الدين فانظر كيف
اصلح الله الانبياء بالملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهي الى المقرب الذي
لا واسطة بينه وبين الله فينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن
وجمال ومنشأ كل كمال واعتدال فكل ذلك الذي عددنا قطرة من بحار كرمه ونعمه ولولا
فضله ومزيد ذكره لما هدينا لنبيهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة
اليسيرة ولولا عرفه ايانا كمال رافته ... تبعين الطبع الى الاخاطر بكنه نعمه
لنشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء لكنه عرفنا عن ذلك الاية اذ قال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فها انا نبسط لسان عجزنا بين يديه المنقبضة الا الى القابض والباسط لو زمنا افكارنا وهو الممسك
والمرسل لا يعد ... ما اردناه من بيان حقيقة النعمة وتقسيمها
وذكر اقسامها ودرجاتها ... بانها متسلسلة وان الاحاطة
بها ليس ... البشر وانما هو شان من خلق العقول والقدر وليعلم ان اخوان الحقيقة في
اطناب الكلام في هذا المقام ... من صحف الكلام تكثير الفوائد
هذا الباب وقيستها بالجزيرة الكتاب ومنه المبادئ واليه المآب قوله جل اسمه
غير المغضوب عليهم ولا الضالين قرئ بغير بالنصب في الشواذ ومنهم ابن كثير وقرئ

رسول الله صلعم وروي غير الضالين وروي ذلك عن علي ايضا ان الغضب فعل الغاية من الاضرار بالمغضوب والعقاب
فسر المغضوب عليهم باهل الاعتراض او بالاستحقاق او ... فسر المنعم عليهم بالمسلمين الصالحين وفيهم ... وجوه لا
كونه بدلا من ضمير عليهم وكونه بدلا من الموصول وكونه صفة له موضحا او مخصصة على معنى كونهم جامعين
بين اسباب النعمة والكمال وبين اسباب السلامة عن مظاهر الغضب والضلال وفي الاخير انما كان لا الاهل
في غير ان يكون صفة للنكرة فلذلك انما يصح باحد وجهين بجعل الموصول مجرى النكرة بان لا يقصد
بهذا الموصول معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني او بجعل الصفة مجرى المعرفة
لكونه غير مضاف الى ما له ضد واحد فان المغضوب عليهم والضالين احد اهل المنعم عليهم فيكون متعينا
معرفة كما عند ارادة تعريف الحكم بغير السكون فاذا قلت عليك بالحركة غير السكون فهو صفة المعرفة
بالمعرفة بل وصف الشيء بنفسه لانها عينه كما تذكر في الحركة تاكيدا وعليهم الاولى في محل النصب
على المفعولية والثانية في محل الرفع على الفاعلية بالنيابة ولا مزيدة تاكيدا لما في غير من معنى النفي
ولهذا تقول انا زيدا غير ضارب كما تقول انا زيدا لا ضارب ولا تقول انا زيدا مثل ضارب
والغضب هنا بمعنى الارادة او ان المغضوب عليهم من الاصل بمحصها وصورة الانتقام وحكمة من الله لا
بمعنى كيفية نفسانية يوجب ثوران الدم لارادة الانتقام تشفيا من حالة الغضب كما في المخلوق
فاطلاق الغضب ونحوه على الله تعالى باعتبار غاياتها الفعلية لا باعتبار مبادئها الانفعالية
كما مر في معنى الرحمة هذا ما ادى اليه النظر العقلي والتحقيق في ذلك ونحوه مما يحوج الى التوفيق
لا وجه له ... والضلال هو الهلاك والذهاب عن طريق التوحيد ومنهج الحق واصله
الهلاك ومنه قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله تعالى واضل اعمالهم اي اهلكها وللضلالة
جهات وشعب كثيرة ونحوه منها ان ... كل ... من الضلال ... من الغضب وعند
المفسرين المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
والضالون النصارى لقوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
عن سواء السبيل وقال الحسن البصري ان الله لم يبرئ اليهود من الضلالة باضافتها الى النصارى
ولم يبرئ اليهود من الضلالة باضافتها الى النصارى ولم يبرئ النصارى عن الغضب باضافته
الى اليهود بل كل من الطائفتين مغضوب عليهم ضالون لان الاخص كل فريق بسمة تعرف
بها مع كونهم مشتركين في صفات كثيرة وقال عبد القاهر حق اللفظ فيه ان يخرج مخرج الجنس وان لا
يقصد به قوم باعيانهم كما تقول اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فان الكلام
ان ههنا قوما باعيانهم هذه صفتهم وغير موضع تامل لا يصح ... من ... صفة لاحد
ان يقول ان المغضوب عليهم هم العصاة والفسقة والضالين هم الجهال والكفرة لان ...

بنور الحق الى الصراط المستقيم والفائز بكرامة الوصول الى النعيم من جمع الله له بين تكميل عقله
النظري بنور الايمان وتكميل عقله العملي في بحماية العمل بالاركان فكان المقابل له بنوع
من اخل باحدى كريمتيه وقوتيه العاقلة والعاملة فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم والادراك للحق كافر لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
وانما لم يقل غير الذين غضبت عليهم على وفاق الذين انعمت عليهم ترجيحا لجانب النعمة على النقمة
بنسبة الفضل اليه تعالى الاول صريحا دون الثانية بخلاف ذلك كما هو دابه كرما وجرى عادته
في سوق كلامه المجيد مثل قوله لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد حيث لم يقل لاعذبنكم مراعاة للادب في الخطاب واختيار الحسن اللفظ المستطاب ه
مكاشفة ان تمام التحقيق في هذه الاية يحتاج الى الاستمداد من بحر عظيم من
بحار علوم المكاشفة فيقال على طريق تحقيقه صاحب بصيرة الحكمة بنور العقل ان ذات الله في
جلاله وكبريائه صفة بها يفيض على الخلق نور حكمته وجوده تكوينا واختراعا يعبر عنها بلفظ
جلت عظمته تلك الصفة ان يكون في عالم الالفاظ عبارة يدل على كنه حقيقتها العلو فالعقل
والخطاطر بينه واصغى اللغات ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقاتها كانخفاض عيون ذرية
ابصارهم انخفاض ابصار الخفافيش عن ذروة الشمس فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة
جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم الظلمات عبارة توهم من مبادئ انوار حقيقتها شيئا
ضعيفا جدا فاستعاروا لها لفظ القدرة فتجاسروا بتوقيف من جانب الشرع ان الله صفة يصدر
عنه الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود تقسيما عقليا الى اقسام متنوعات فصول في مبادئ
انقسامها استعير لمصدر هذه الاقسام ومبدأ هذه التخصيصات بمثل تلك القدرة الواضحة
في عالم الالفاظ والاصوات عبارة المشية ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة المنبعثة
عن المشية الناشية عن الحكمة التي هي علمه بالنظام الاكمل وهو بيان ذاته الى ما ينساق الى المنتهى
الذي هو غاية حكمتها والى ما يوقف به دون الغاية وكان لكل منهما نسبة الى صفة المشية
لرجوعها الى الاختصاصات التي بها يتم الاختلاف والمشية فاستعير لنسبة البالغ عبارة
المحبوب وهو المنعم عليه ولنسبة الواقف دون غايته عبارة المكروه وهو المغضوب عليه
وقيل انهما جميعا داخلان تحت المشية الا ان لكل منهما خاصية اخرى في النسبة توهم لفظ
المحبة والكراهة منهما امرا جما عند طلاب اكتساب العلوم من الجلالات الالفاظ والعبارات
ثم تقول اما كان لكل منهما خاصية لانهما يكونان تقتضي ذاتا من غرضها الجعل مناسبا بينه وبينها
وهي سنة بعثت الى من يتوكل اليه من سلطانات الازل اطيابا مناسبة وبحظيه من المشية السابقة

كسوة ملابسة فانقسم عباده الذين هم بعض من خلقه واختراعه الى من سبقت لهم في المشية
الازلية ان يستعملهم لاستيفاق حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي
والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم بتمام حكمته الى غايتها في
بعض الامور ويكون ذلك لطفا في حقهم وكان لكل من الفريقين نسبة خاصة الى المشية فاستعير
لاحدهما عبارة الرضا وللاخرى عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت
الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعن زيادة في النكال وظهر
على من ارتضاه في الازل فعل انساقت به الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر واردف بخلعة
الثناء زيادة في الرضا والقبول فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى عليه واعطى النكال ثم
قبح واردى فيكون بالحقيقة هو الجمال والمثني على الجمال والمثني عليه بكل حال وكانه لم يثن الا
على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر فهكذا كانت الامور في الازل وهكذا
تسلسلت الاسباب بتقدير رب الارباب فلم يكن شيء من ذلك عن اتفاق وبخت كما زعمه
اصحاب ذلك الجليس ولا عن ارادة محضة دون غاية وحكمة كما عليه اصحاب الاشعري بل عن ارادة
وحكمة جزم وامر حتم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر فافاضت بحار المقادير بحكم ذلك
القضاء المجزوم بما سبق به التقدير فاستعير لترتيب احاد المقدورات بعضها على بعض لفظ
القدر فكان لفظ القلم وكان لفظ القضاء بازاء ذلك الامر العقلي الكلي ولفظ القدر بازاء
التفصيل الهندسي المتمادي الى غير النهاية ولم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء
والقدر فخطر لبعض العباد ان القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا
التفاوت في الايجاد والتكميل وكان بعضهم لقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه الامر والاحتواء
على مجامعه فالجموا عنه ان يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسال
عما يفعل وهم يسالون عليكم بدين العجائز والزموا عن سلوك عالم السماء وقضاء ايمانكم بيقين في
بالغيب ايمان الاكمه بالالوان اسكتوا وانفكم عن العميان والسؤال عن حقائق الالوان وانما
من استوقدت مشكوة عقلهم المنفصل من نور الله النافذ في السموات والارض وكان زيتهم اولا
صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار العقل فاشتعل نورا على نور فاشرقت اقطار
الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تادبوا بآداب الله واسكتوا
واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا
تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا
الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليانس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا انواركم المشرقة من وراء

حجابكم

حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيى به حياة يحتملها شخصه
وحاله لا حياة المترددين في كمال نور الشمس وكونوا كما قيل شربنا واهرقنا على الارض فضله
وللارض من كاس الكرام نصيب

تمثيل نوري

وتعرف بالله تمثيلا
لهذا المراد تقريبا الى افهام الانام وقد عرفت انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدون وكانت عبادتهم
ومعرفتهم غاية الحكمة في حقهم فاخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل وروح القدس
والامين وهو عنده محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر
الى يوم الدين ثم احال الارشاد والتعليم الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق
وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وقال علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ثم احال الاغواء
والاغواء الى ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والهداية تبليغ العباد وسوقهم الى غاية الحكمة فانظر
كيف نسبها الى العبد الذي احبه والاغواء استيقافهم دون بلوغ غاية الحكمة فانظر
كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه مع انه لا فاعل ولا حاكم الا هو كما قال ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها وهذا محض العدل وحسن الترتيب في النظام ولهذا الامر يوجد
له في الشاهد مثال في الملك اذا كان له عبدان ويريد ان يسقيه احدهما ويكنس الآخر فناء
منزله عن القاذورات فانه لا يفوض سقي الشراب الطيب الا الى احسنهما واطيبهما منظرا واحبهما
اليه ولا يفوض الكنس الا الى اقبحهما صورة واخسهما ولا ينبغي لك ان تقول هذا فعل فلم يكن
فصله على مذاق فعلي فانك اخطأت اذا اضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرفك وداعيتك
لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل الحسن بالشخص المحبوب اتماما للعدل فانه
عدل تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك او بما لك فيه مدخل فانك ايضا من افعاله
فداعيتك وعلمك وقدرتك وسائر اسباب حركتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل
بالعدل والحكمة ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان
ما ظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك
وانما انت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص و
تزعق وتقوم وتقعد فيتعجب لظنه ان هذه الافعال انما تصدر من تلك الصور ولم يعلم
انها لا تتحرك بانفسها وانما يحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد
المشعبذ وهو محتجب عن الصبيان فيفرحون ويتعجبون لانها تتحرك وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان
ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلم كما
يعلم المشعبذ الذي الامر اليه والجاذب بيده فكذلك صبيان الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء

الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا الراسخون في العلم فانهم ادركوا بحدة ابصارهم
خيوطا وربطات دقيقة معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص اهل الارض لا يرون
تلك الخيوط لدقتها بهذه الانظار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي
معلقة منها ولها ايضا مناطات بعضها فوق بعض وهي في ايدي الملائكة المحركين للسماوات شاهدوا ابصار
ملائكة السماوات مصروفة الى حملة العرش ينظرون منهم ما ينزل اليهم من الامر من حضرة الربوبية
كي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون وعبر عن هذه المكاشفات في القران وفي السماء رزقكم ما يؤمرون
وما توعدون وعبر عن انتظار الملائكة لما ينزل اليهم من الامر والقدر بقوله الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما ثم مكاشفة اخرى ان للقيوم نفسه ذاته وتنزه لصفاته عن الاجزاء
والاعضاء يدين مقدستين كلتاهما يمين الله وهما الاتصال العالية بازاء الصفتين
المتقابلتين كالرحمة والغضب والرضا والسخط في الصفات ولها قبضتان كما يدل عليه
قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وورد في الحديث
عن رسول الله صلعم يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله وفي رواية ياخذهن بيده الاخرى
ثم يقول اين الجبارون اين المتكبرون ولهذا بعد استوائه على العرش قدمان متدليتان
الى الكرسي احديهما ما يعبر عنه بقدم الصدق ويعطي ثبوت اهل الجنات في جناتهم والاخرى
ما يعبر عنه بقدم الجبروت ويعطي ثبوت اهل جهنم في جهنم فهذه الامور من المراتب الالهية
ولوازمها من الامور انما هي التي تعرض للموجودات الامكانية لقصور درجتها عن درجة
المراتب الالهية فاعلم ان حكم الغضب الالهي تكميل مرتبة مقتضى الشمال وان كانت كلتا
يديه المقدستين يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة منهما يخالف الاخرى في الشمالية واليمينية
باعتبار اصحابهما فلهذا كان والارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فجعل الارض
مقبوضة والسماء مطوية فافهم فلليد الواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان
وللاخرى العذاب والنيران ولكل منهما دولة وسلطنة يظهر حكمهما في السعداء القائمين بشرائط
العبودية وحقوق الربوبية حسب الطاقة وفي الاشقياء المعتدين الخارجين المنحرفين
عن سنن الاستقامة ومسالك الاعتدال المفرطين في الحقوق الالهية والمضيعين لها ثم انهم
ما لا يستحقونه وغاية حظهم من تلك الاحكام ما حصل لهم بشفاعة مظاهر القيومية الاسمائية
الحاكمة لصورة الانسان الحقيقي وشفاعة نسب الجمعية والقول المشترك الظاهر بعموم

الرحمة

الرحمة الظاهرة الحكم في هذه الدار فلما تجلى لهم كنه الامر فاعترفوا وادعوا فاتركوا واخطاوا والتي
نالهم جرم استعدادهم بذلك لاحكام الغضب والانتقام فالحق يطالبهم بحقه في القيمة ولولا سبق
الرحمة الغضب ما تأخرت عقوبة من شانه ما ذكرنا ولا مع الله ما شيء من سائر الحجوب الكلية
ولو لم يكن لاجوبة في ضمن ابينا آدم حين مخالفته لكل ما نصيب من ذلك يعيش نحو
عاجلا بالمحن واجلا بحكم وان منكم الا واردها الى العموم المحيط وفيه الاشارة في قوله ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن الرحمة العامة اخرت سلطنة الحكم العدل
الى يوم القيمة الذي هو يوم الكشف ويوم الفصل والقضاء فهنالك يظهر الامر تماما ولهذا
كان مالك يوم الدين لان فيه المجازاة بالعدل الحقيقي والرحمة الربانية ولو ظهر الحكم العدل ههنا
ما جار احد على احد ولا تجاسر على ظالمه ولا افترى على الله وعلى عباده فكان الناس امة واحدة
ولم يكن مرتبة القبضتين وحكم الفريقين ولا مظاهر الاسماء المتقابلة كاين اذا كلا هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا او ممنوعا فالرحمة العامة يستلزم العطاء
التام لكل شيء لا جرم ولم الامر بحكم الحقيقة الكلية وعمت النعمة وظهر حكم الغضب ثم غلبت الرحمة
فلا يخرج منها شيء من الممكنات كل منها على حسب حاله وقدر منزلته فكما ان رحمته شاملة واسعة
لكل شيء فكذلك غضبه الا ان جانب الرحمة ارجح لكونها ذاتية والغضب عارض لقصور الممكن
لاسيما ترجح لقول الاسود الانسان والميل الاشارة في قول امير المؤمنين ع سبحان من اتسعت رحمته
لاوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته وكل الوعيد لايصال ما
الكمال اذ وصلوا في الحقيقة عبارة عن ايصال كل واحد منا الى غايته وكمال المعنى لذا لا يمكنا
ان الجنة من يعود بها كذلك النار وعيك هو الغضب الذي يتعلق باسم المنتقم فاهل الجنة
الغالب حظوظها بالابعاد والابتلاء بانواع المصائب والمحن كما ورد في الخبر عنهم اشد الناس
بلاء في الدنيا الانبياء ثم الاولياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل وقال ايضا ما اوذي نبي مثل ما اوذيت
ثم فوق هذا ما صرح به قوله لا يوجد لذ وهو ان الكمل من اهل الله كالانبياء والاولياء
ومن شاركهم في بعض صفات الكمال انما امتازوا عمن سواهم ولا بسعة الدائرة الوجودية
وصفا جوهر الروح والاستيعاب الذي هو من لوازم الجمعية كما نبهت عليه في حقيقة الانسان الكامل
الذي هو برزخ بين حضرتين ومرآتها حضرة الحق متحملة جميع الاسماء والصفات بل هي منبع لسائر
النسب الاضافات والغضب من امهاتها والمجازاة الشرعية الغضبية انما قامت بيد الغضب
والرحمة فمن ظهر بصورة الحضرة الجمعية بجامعها وكانت مرآة كاملة لا بد وان يظهر فيها كل ما اشتملت عليه
الحضرة وما اشتمل عليه الامكان على الوجه الاتم الاشرف فلا جرم وقع الامر كما ورد من قوله او ذي

بني مثل ما اوذيت وما اوذي نبي مثل ما اوذيت ولولا سبقت الرحمة الغضب كان الامر اشد فكما ان حظهم
من النعيم اشد فكذا في الطرف الاخر لكن في الدنيا لان هذه النشأة هي الظاهرة باحكام
حضرة الامكان المقتضية للتقابض والآلام ولذلك نحن معاشر الانبياء اشد الناس
بلاء في الدنيا ومن حيث رحمة العالمين فداء نفسه في الاوقات الشديدة كالغزوات المقتضية
عموم العفو من سلطنة الغضب ضعفاء الخلق وكذا انبه على هذا الرحمة اهل الذوق لا الا لما رأى
جهنم وهو يدخل في الكسوف يتقي ومن جهنمه ... ويتاوه من مكانه ويتضرع ويقول الم
تعدني يا رب ان لا تعذبهم وانا فيهم الرحمن حتى خجلت عندها فهم واغتنم واهل النار اذا تمايزوا خلو بينها
بالجاذب والسايق والجاذب الى النار المناسبة الواقعة بينها وبين اهلها والسايق لهم هو
الشيطان كما ان الجاذب لاهل الجنة الى الجنة المناسبة بينهما والسايق لهم الملك فالوعد
والوعيد كلاهما شاملين لكل العبيد فيه سر قوله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات بل الجنة نفس المكاره عند من كره لقاء الله وكره الله لقاءهم والنار سبيل الشهوات
مقصورها الاخر وبرزخ لمن يستحقها وهي نعيم كما ان الجنة نعيم اهلها فيما ... الله يتجهم بمقتضيه
المشوب وقضائه ومما الجنة برحمة المشوبة وبقائه فيهم رحمة الوجود وبسط النعمة
فيكون خالق كل من في الدنيا كل حزب بما لديهم فرحون انهم انما هم الصادرة عنه وقد ورد
في الخبر ان الله جميل يحب الجمال وهو صانع العالم واوجده على شاكلته كما كل يعمل على شاكلته
فربكم الغفور ذو الرحمة فالعالم كله غاية الجمال لا نقص فيه لا يحق فيه الاهام فيما العارفين يحقق
بحقيقته المتحقق ان الامر المطلوب اليه في كل حين والمحبوب بكل محبة والمعبود بكل عبادة
المقصود في الغيب والشهود وجميع العالم مصلي وخادم وسبح فيتحولون لتحولهم في الاحكام
ولا ثار ... صورة يتحول الجماعة الحكمة عباده صورة الرضا فيتحول الحق في صورة النعيم في
الرحم والمعالجة اوله نعم ويعفو ويتنعم على نفسه بان الذي كان فيه من الحرج والكرب
والغضب على من اغضبه ثم يرى في ذلك الله المغفرة وجب عليه فرحهم بهذا افضل امن من غضبه ولم
يأمن مكر الله ولم يرفعهم فضله وفيهم ذات الماء الذي هذا نظر الى الغافلين من الرجال منور
الرياضة والمجاهدة الى مقام الولاية والمحبة والاحوال واما الذين ورثة الانبياء وكملة
الايمان والعلم الذي هو احوال الفطرة ومقامات تتمحض ومعان تخص بعلم الله عباده بمعنى الاسم
الالهي الظاهر وهو ما يرى من هذا كله والاسم الالهي وهو هو بنسبة وقد تحقق لنا بها واما قوله
وان منكم الا واردها فان الطريق الى الجنة عليها فلا بد من الورود ولما تقرر هذه المقامات
فنقول لما اذا خلق الله العرش محلا لاستواء الرحمة الوجودية واحدية الكلمة الايجادية

التي

التي هي قول كن وخلق الكرسي وانقسمت فيه الكلمة الى امر وخلق ليخلق من كل شيء زوجين وظهرت
الشفعية من الكرسي بالفعل وكانت قبله بالقوة وبحسب الوهم اذ كل ممكن زوج تركيبي كما قالت الحكماء
وهما جهتا الامكان والوجوب او الماهية والوجود او القهر والمحبة باختلاف العبارة ليعلم ان
الحق متأثر بالاحدية وان الموجود الاول وان كان واحد العين عليه فان حكم النسبة الى ما ظهر عنه
فهذا اصل شفعية العالم فتدلت الى الكرسي القدمان حتى انقسمت فيه الكلمة الروحانية
الشأن بعد العرش في الصورة والشكل فيحصل شكلان في جسم العالم الطبيعي وتدلت اليه القدمان
فاستقرت كل قدم في مكان فسمي المكان الواحد جنة والاخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل الله
هاتان القدمان وهما لا تسمان الا من الاصل الذي ظهر بأسره وهو الرحمن فلا يعطيان الا
الرحمة فان النهاية يرجع الى البداية بالحكمة غير ان بين البداية والنهاية طريقا والا لم يكن بداية
ولا نهاية والسفر مظنة التعب والشقاء واللغوب فهذا السبب ظهر بما ظهر في العالم
دنيا وآخرة وبرزخا من الشقاء وعند انتهاء الاستغراق يلقى عصى التسيار ويقع الراحة
في دار القرار والبوار ولا حلاء يقول فكان ينبغي عند الحلول في الدار الولوج المسماة
نارا ان يوجد الراحة وليس الامر كذلك فقال لم يصل قصد لكن فان النظام التمام وذلك
ان المسافرين على نوعين مسافر يكون سفره تماما هو فيه مترفها مع كونه محمولا محمودا
حاصلا له جميع اغراضه في محفة محمولة على اعناق الرجال محفوظا عن تغير الاهواء فهذا مثله
في الوصول الى المنزل مثل اهل الجنة في الجنة ومسافر يقطع الطريق على قدميه قليل الزاد ضعيف
المؤنة اذا وصل الى المنزل بقيت معه بقية التعب والمشقة زمانا حتى يذهب عنه ثم يجد انواع
الراحة فهذا مثل من يتعذب ويشقى في النار التي هي منزله ثم تعم الراحة التي وسعت كل شيء
وما قربهما هيئت له فاهية صاحب الجنة ولا عذاب صاحب النار التي هي منزله فهو بين راحة
وتعب في الطايفة التي يخرج من النار بشفاعة الشافعين وبا خراج ارحم الراحمين وهم على
طبقات بقدر ما يبقى عنهم من التعب فيزول في النار شيئا فشيئا فاذا انتهت مدته خرجت
الى الجنة وهو محل الراحة وآخر من بقي هم الذين ما عملوا خيرا قط لا من جهة الايمان ولا
باتيان مكارم الاخلاق غير ان العناية سبقت لهم ان يكونوا من اهل تلك الدار وهم من اهل
تلك الدار وهم من اهل الدار الذين هم اهلها فغلقت الابواب واطبقت لما انه وقع اليأس
من الخروج في محل الراحة لاهلها لانهم قد يئسوا من الخروج منها كما يئس الكفار من اصحاب القبور
وقد جعلهم على مزاج يصلح لساكن تلك الدار فلما يئسوا فرحوا فنعيمهم هذا القدر وهو اول نعيم
يجدونه وحظهم فيها كما قدمنا بعد فراغ مدة الشقاء انهم يستعذبون العذاب فيزول الآلام

فهو بصير العذاب عذبا كما يستحلي صاحب جرب من يحكه هذا ما ادى اليه نظر صاحب الحزب الجمعي والمقام
الجمعي حيث ذكر هيهنا نقلناه من مكاشفاته فانه نعيم كل دار وتسعة ان شاء الله الا ترى
ما قلنا ان النار لا تزال متسلطة فيها من النقص وعدم الامتلاء حتى يضع الجبار قدمه فيها كما ورد
في الحديث وهي احدى تينك القدمين المذكورتين في الكرسي والاخرى التي مستقرها الجنة قوله
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم والرجع هولاء والجبار مع هولاء الاخرين لانها دار جلال الاسم
وجبروت وهيبة والجنة دار جمال وانس ومنزل الهي لطيف وهما بازاء القبضتين المذكورتين في
الحديث القدسي والحديث لاهل النار ولا ابالي والجنة ما لهما الى الرحمة الواسعة ولو كان الامر كما هو
من كلام له من عدم المبالاة لما وقع الامر بالجرائم ولا وصف نفسه بالبطش الشديد بل قضيته كله
من المبالاة والهم بالماخوذة المحدود او لو لم يكن قدر ما عذب ولا استعذب وقد قيل في اهل
التقوى ان الجنة اعدت للمتقين وقال في اهل الشقاء واعد لهم عذابا اليما فلولا المبالاة
ما ظهر هذا الحكم فالامور والاحكام مواطن يعرفها اهلها ولم يتصف بكل حكم من الجنة والنار الا
يتادب مع الله ويعاملهم في كل موطن بما يريد الحق ومن لا يعلم ليس كذلك فهذا القدمان اعني
وهما امات واحيى وهما انات خلق الزوجين الذكر والانثى وهما اعز واذل واعطى ومنع و…
ونفع ولولاهما ما وقع في العالم شرك فانهما اشتركا في الحكم والعالم فلكل منهما دار يحكم …
فلكل منهما دار يحكم فيها واهل يحكم فيهم بما شاء من الحكم كما كشفه … النعيم
والعذاب غرس الرضا والغضب ولكل منهما ثلث مراتب كما في باقي الصفات فاول درجات الغضب
يقضي بالحرمان وقطع الامداد الهي التي لو تسلط الجهل والهوى والنفس والشيطان لكن كل ذلك
موقت الى اجل معلوم عند الله في الدنيا الى النفس التي قبل انقضاء الانفاس فحق من يختم له بالسعادة
الاخروية كما ثبت في الحديث سواء كانت سلطنته ما ذكر ظاهرا او باطنا او هما معا ولاشتمال صفات
كل من الامور المذكورة مبادي كمالات دنيوية ولذات عاجلة تلمس فيهما والرتبة الثانية
تقضي بانسحاب الحكم المذكور بالمظاهر هنا وظاهرا في الاخرة برهة من الزمان الاخروي او يتصل
الحكم الى حين دخول جهنم وفتح باب الشفاعة واخر مدة الحكم ظهور حكم ارحم الراحمين بعد انتهاء
شفاعة الشافعين والرتبة الثالثة تقتضي التابيد ودوام حكم الغضب كما في قوله ان الله
لم ينظر الى الاجسام منذ خلقها وكمال الحكم هذا الغضب يظهر يوم القيمة كما اخبر الرسل عن ذلك
قاطبة بقولهم الذي حكاه نبينا صلى الله عليه وسلم عنهم ان الله غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده
مثله فشهدوا بكماله شهادة يستلزم بشارة لو عرفت لم ييأس احد من رحمة الله ولو جاز ان …
فتأ ذلك وكذا سر تردد الناس الى الانبياء عليهم السلام واتيانهم الى نبينا عليه وعليهم السلام

وسر قدم

فتح باب الشفاعة وسره

وسر وضع الجبار قدمه فيها يعني في جهنم فتزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط …
وسر التجليات الاربعة وما يخرج من النار كل دفعة وما تلك المعاودة وسر قول مالك الخازن
جهنم لنبينا صلى الله عليه وسلم في اخر مرة ياتيه لاخراج اخر من يخرج بشفاعته يا محمد ما تركت لغضب ربك
شيئا وسر قوله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين
وسر قوله سبحانه لنبيه عند شفاعته في اهل لا اله الا الله ليس ذلك لك الذي يعود الى خازن
شفعت الملائكة الحديث وغير ذلك من الاسرار التي رمزت واجمل ذكرها تماما يعرف اولو …
الالباب كما قيل وما كل معلوم يباح مصونه وما كل ما امل … يجري كل صفة
الهية واسم رباني كما ان لها مظاهر ولوازم ايجادية فلها ايضا غايات يحكم بترتبها عليها
وثمرات اخروية تنبعث عنها فمفعول حكمة الغضب وباطنه الذي يصحب عليه حكم الرحمة العامة
ويظهر عند الغاية الوجودية في المغضوب عليهم كما ان باطنه فيه الرحمة فظاهره من قبله العذاب
امور ثلاثة وقاية وتطهير وتكميل اما النوع الاول وهو الوقاية فكما يحتاج … اذا ظهرت
في عضو وقد راى يكون الطبيب والذي اوحد فيه فامر … بحسبه يبادر بقطع العضو
المعتل الذي لم يكن فيه قابلية الصلاح والمعالجة فتراه يباشر الايذاء الظاهر وهو لم يزل
المشاري ولا منه … الجمع بين العافية … القطع الذي فيه … استعداد العضو على ذلك
وكذا في بدن الحس والحية والمعاصي بمنزلة الالام والافات الحاصلة لباطن الانسان من …
الهوى فتتقارب الشهوات الكامنة والذي سيظهر بصورها الخاصة في نشأة القبر والبرزخ وغيرها
فافهم ذلك وتذكر ما ترددت في شيء انا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له من ذلك والوالد يظهر الغضب لولده رعاية لمصلحته وهو في ذاته غير غاضب
وانما يظهر الوالد والام غضبا لما يشاهده من الاثار الدالة على الغضب عادة والامر بخلافه في
في نفس الامر وانما ذلك لمقصود فطن الولد قال الله تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله
النار التي اعدت للكافرين واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة الا ترى ان النار
قد يتخذ دواء لبعض الامراض في الدنيا فهي وقاية في هذا الموطن من داء هو اشد منها فحق
المبتلى به فكذلك تجعل في الاخرة النار دواء كالكي من داء واي داء اكبر من الكبائر فلا فتح …
يوم القيمة داء عظيما اعظم من النار وهو ابعد عن حضرته كما في الحدود الدنيوية وقاية من
عذاب الاخرة واما النوع الثاني وهو التطهير فمثاله لو ان ذهبا امتزج بالرصاص … المصلحة لا
يمكن حصولها الا بالمجموع ثم اذا انقضى الوقت الذي لاجله هذا الجمع والتركيب فحصل المطلوب وقصد
تمييز الذهب فلا مناص له من غير جنسه فلا بد وان يجعل في النار الشديدة لينفرد الذهب عن غير جنسه

ويظهر كماله الذاتي ويذهب ما جاوره من الوسخ بنفسه وانما اريد المعنى غير متصل بالذهب وقد
انفصل كما في الورد كان اصله ماء فصار الى اصله لكن بمزيد عطرية وكيفيات مطلوبة وهكذا
الامر في الغذاء يوصله الغاذية ويقسمه الى الانسان فاذا تخلصت الطبيعة منه المراد رمت
بالثفل اذ لا غرض فيه واليه الاشارة بقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون وقال ايضا في هذا المعنى ببيان اوضح
واتم تفصيله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما
يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد
فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا
لربهم الحسنى الآيات فتدبر فيها تنبيهات شريفة على احوال اهل قبضة الغضب واهل الغضب واهل
قبضة الرحمة ليعلم ان الوجه في ذلك ان مبادي النفوس خلقت من منبع واحد كما قال خلقكم من
نفس واحدة وقال بعد ما استوفى خلقة الجسد من دم الطمث ونفخت فيه من روحي فمن روح
واحد سرى السر المنفوخ فيه وهو النفس فلما كان اصل هذه النفوس الجزئية الطهارة من حيث
ذاتها ولم يظهرها عين الا بوجود هذا الجسد الطبيعي وكانت ممتزجة به فلم يظهر منها
اشراق النور الخالص المجرد عن المواد لصحبة هذه الظلمات وعلل وامراض طرأت عليها وهي
امور عرضية فيحتاج الى ازالتها ليستطير ذاتها ويظهر صحتها ويشرق نورها الاصلي واما
النوع الثالث وهو التكميل وهو الاصل في الغاية وما يتوقف التوفيق والتطهير كان لاجله
فيشار اليه في تبديل السيئات حسنات وان ازال تقريبا وقت حال المحجوبات عند
شدايدها والامها وانقلاباتها الطبيعية والذاتية التي بحسب اسباب الباطنة لا يتصل بها
احدا الا وقد ولا يرد الله الى ما هو خير له مما كان اولا ويوجهه الى اصله وكماله هذا ما اقيم
عليه البرهان كما اشرنا من قبل ويحكم به الاستقراء والتجربة والوجدان وغيرهما ان الربوبية
والحقيقة الفعل من حيث الاهل والفاعل والغاية مع انزه عن الكره ولا مغضب ولا مزاحم ولا ارادة
تقهرا من خارج وكان اصل الايجاد للعالم على اكمل اقتضا حكمته ومشيته فليس في الوجود
جهة من الجهات ولا وجه من الوجوه الوجودية الا وهو اصله ومبدأه ومنشاه
فافهم وارق فانك ان علوت من هذا النمط استجليت سر القدر المحكم في العلم والحاكم والمحكوم
ومن رقا فوق ذلك راى غلط الاضافات السابقة في الافعال والاسماء والصفات واحكامها
وان رقا فوق ذلك راى الجمال المطلق الذي لا يقيده عدل ولا شر ولا غلط ولا نقص ولا تعب
حال من رقا فوق ذلك راى الجود ظاهرا في الظلم والحلم والتعظيم والاهانة والكتمان والابانة

والوعد

والوعد والوعيد كلها محترقة بنور السبحات الوجهية مستهلكة في عرصة الحضرة الذاتية
الاحدية فان رقا من ذلك سكت فلم يفصح وعمي فلم ينظر وذهب فلم يظهر وان اعيد ظهر بكل
وصف وكان المعنى المحيط بكل وصف

فصل في بيان نبذ من فضائل

سورة الفاتحة اعلم ان المقصد الاقصى واللباب الاصفى من انزال القرآن في
تنزيله على اشرف خلق الله صلعم اولا وعلى امته الذين هم خير الامم وهو هدايته لخلق و عليه وعلى
ارشادهم وتكميلهم بسياقهم الى الله ودار كرامته على اتم وجه واشرفه وذلك انما يحصل
بتزيين نفوسهم بانوار الحكمة والمعرفة وتجريدها عن رق الطبيعة واسر قواها الشهوية
والغضبية والوهمية التي هي مداخل الشيطان في باطن الانسان وتطهيرها عن ادران
العنصريات وقاذوراتها وتخليصها عن مكايد الشياطين وجنودها الداخلية و
الخارجية فالقرآن مشتمل من الحكمة والمعرفة على عظايمها واصولها التي عجزت عن دركها
افهام السابقين واللاحقين ومن الشريعة والطريقة على لطايفها ولبابها التي خفيت
عن انظار من المتقدمين والمتاخرين ولعمري انه كصورة جمعية العالم المخلوق على صورة الرحمن
الدال بهيئته ونظامه واشتماله على مظاهر الصفات الجمالية من الملائكة وانوارها ومواضعها
والصفات الجلالية من الاجسام وقواها وما شابهها على وجود من له الخلق والامر ونسبة
سورة فاتحة الكتاب الى القرآن كله كنسبة الانسان وهو العالم الصغير الى العالم وهو
الانسان الكبير وكما ان الانسان الكامل كتاب وجيز ونسخة منتخبة يوجد فيه كل ما في
الكتاب الكبير الجامع الذي لا رطب ولا يابس الا ويوجد فيه ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها كما قيل من كل امر لبه وخليفة مستودع في هذه المجموع فكذلك فاتحة الكتاب
مع قصرها ووجازتها يوجد فيها مجامع مقاصد القرآن واسرارها وانوارها وليس لغيرها من
ساير السور القرآنية هذه الجامعية كما ليس لواحد من صور اجزاء العالم ما للانسان
من صورة الجمعية الالهية على ما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد فالعارف
المحقق يفهم من هذه السورة الواحدة جميع المعارف والعلوم الجلية المنتشرة في
آيات القرآن وسوره كما وقع التنبيه عليه ومن لم يفهم هذه السورة على وجه يستنبط منها
عمدة اسرار العلوم الالهية والمعالم الربانية المبدأ والمعاد وعلم النفس وما بعدها واسرار
وما فوقها الذي هو مفتاح ساير العلوم كلها فليس هو بعالم رباني ولا مهتد بتفسيرها على
وجهه ولو لم يكن هذه السورة مشتملة كما قلنا على اسرار المبدأ والمعاد وعلم سلوك الانسان
الى ربه لما ورد في الاخبار على فضلها وانها تعادل كل القرآن اذ لا مرتبة ولا فضيلة لشيء

بالحقيقة الا بسبب اشتماله على الامور الالهية واحوالها كما مر اما ان افضل الاذكار بعلم
ان اى الاشياء هو افضل ما به يتقرب العبد الى الله تعالى واليها اكثر السعادة الاخروية
التى يحصل حين قلب الانسان ذهبا خالصا وابريزا صافيا يليق ان يختم بخاتم الملك ويختم
به خزائنه الشريفة فليتامل وليفحص ان ذلك يجب ان يكون من الامور التى انزلها الله تعالى على
بشر ويجب ان يكون ذلك الشئ من قبيل ما يوجد فى كتب الانبياء سلام الله عليهم وفى خزاين
اسرارهم والذى افاض على قلوبهم من العلوم والمعارف ولا بد ان يكون النبى الذى اوحى
الله اليه بهذا الامر الذى هو اشرف ما يستكمل به جوهر الانسان هو اشرف الانبياء واكملهم
افضلهم وخاتمهم عليه واله افضل التحيات وانور التحميدات ولا بد ان يكون المكان
والزمان الذى وقع فيه الايجاد والتكليم والهداية اشرف الاماكن واسعد الازمنة
فلا بد ان يكون ذلك الانعام عليه عند توجهه اليه تعالى ليلة المعراج والذى نزل
ليلة المعراج على النبى صلى الله عليه واله من السورة والايات كانت هذه السورة وخواتيم هذه السورة اعنى البقرة
سورة البقرة فهذا مما دل على ان افضل السور سورة الفاتحة وافضل الايات خواتيم سورة
وهذه الايات لعلها تكون كل منها مشتملة على غاية الكمال الانسانى وسبب فى نيل سعادة
الدارين انما يتم بدعوة الخالق من قبله تعالى بواسطة متوسطة متوسط شريف مطاع امين
كما قال انه ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وكل مطاع موجود فى الروحانيات
مطاع فى الجسمانيات بل المطاع فى الروحانيات ثمرة المطاع فى الجسمانيات فان الدنيا بحذافيرها
مظاهر وفروع لما فى الروحانيات لان نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل
الى الفرع ونسبة النور الى الظل فكل مشاهد فله فى الغايب اصل والا لكان كسراب زايل وخيال
باطل وكل غايب فله فى الشاهد مثال والا لكان الشاهد كشجرة بلا ثمرة ودليل بلا مدلول
فالمطاع ههنا صورة المطاع هناك والمطاع فى عالم الارواح هو المصدر والمطاع فى عالم الاجسام
هو المظهر وبينهما ملاقات واتصال وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة
وحاصل الدعوة والرسالة امور اربعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة منها اربعة متعلقة
باسرار المبدأ وهى معرفة الربوبية وعلم المفارقات من الحكمة الالهية اعنى معرفة الله و
ملائكته وكتبه ورسله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله ومنها ما يتعلق بالوسط احدها معرفة اثنان
العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثانى كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله تعالى وطلب المغفرة
منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى الملك الجواد واليك المصير فلذلك

يشتمل

يشتمل هذه السورة على هذه الامور البعيدة فقوله بسم الله الرحمن الرحيم يشتمل على توحيد الذات
والصفات وقوله الحمد لله رب العالمين فيه توحيد الافعال وهى قسمان عالم الامر وفيه الملائكة
المقربون وعالم الخلق وافضله وصفوته الانبياء والمرسلون ومن يتلوهم وقوله الحمد لله اشارة
الى عالم التحميد والتقديس والتسبيح وهم الملائكة المسبحون بحمد ربهم وقوله رب العالمين
اشارة الى كمال اهل العلم والعرفان وهم الانبياء والاولياء ومن يتلوهم وقوله الرحمن الرحيم اى
رحمن الدنيا ورحيم الاخرة فيه اشارة الى اهل الرحمة الالهية فى كلا العالمين وهم الملائكة و
الرسل وقوله مالك يوم الدين اشارة الى حقيقة المعاد ورجوع الكل اليه لانه غاية الغايات
وقوله اياك نعبد واياك نستعين اشارة الى الكيفية العبودية بتهذيب الاخلاق و
تصفية الباطن والطلب للالتجاء الى الله وهى حالة الانسان فيما بين البداية والنهاية وقوله
اهدنا الصراط المستقيم اشارة الى العلم بكمالات الله واياته وقوله صراط الذين انعمت عليهم
الى اخر السورة اشارة الى القران المجيد الذى هو اشرف الكتب السماوية وهى الالواح المنتسبة
النازلة على الانبياء التابعين لان بجوهر النفس العقلى من النبى صلى الله عليه واله الذى هو جوهر النبوة
كلمة الحق بوجه وكتاب مبين فيه ايات الحكمة والمعرفة بوجه هو بعينه صراط الله العزيز
الحميد اذ لا يمكن وصول العبد الى الله الا بعد الوصول الى معرفة ذاته وكذا من بلوغ عينه كما
كا ولعل الحروف المقطعات القرانية على اصطلاح تمسكه ومستمعها المراتب سبع مقامات
فى الكمالات الحقيقية تمجيد الله بالدعا وهذا الذكر ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا فضد
النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والمشقة فى تحمل حب
يحصل بالحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال الرحمة
الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا لانك انت المالك للعفو والحكومة يوم الاخرة مالك يوم
الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجانا بكليتنا اليك وتوكلنا فى جميع الامور عليك اياك نعبد
واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه واله فى عالم الارواح حين صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج الى [illegible]
الجسد السماوى فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بالكلمة الصورية فى عالم السماء
الدنيا بعينها بسورة الفاتحة فقراها فى صلوته ويحتمل هذه الامور من المظهر الى المصدر
كما نزلت فى عهد محمد صلى الله عليه واله السلام من المصدر الى المظهر ولهذا السبب كانت الصلوة صلوات الله عليه واله

سراج المؤمنين واما الاخبار الواردة على فضلها فكثيرة منها ما روي عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلعم ايما مسلم قرا فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرا ثلثي القران وفي رواية كانما
قرا القران وروي عنه بسند آخر قال قرات على رسول الله صلعم فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي
بيده ما انزل الله في التورية ولا الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي ام الكتاب وهي السبع
المثاني وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سال وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي
باسناده عن النبي عليه واله السلام قال لجابر بن عبد الله يا جابر الا اعلمك افضل سورة
انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بابي انت وامي يا رسول الله علمنيها فعلمه الحمد ام
الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بابي انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء
الا السام والسام الموت وعن جعفر الصادق ع من لم يبرءه الحمد لم يبرءه شيء وروي عن
امير المؤمنين ع انه قال قال رسول الله صلعم ان الله عز وجل قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من
المثاني والقرآن العظيم فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القران وان فاتحة
الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه
ما خلا سليمان ع فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا ترى يحكي عن بلقيس حين قالت
انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قراها معتقدا لموالاة محمد واله منقادا
لامرها مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله بكل حرف منها حسنة واحدة منها افضل له من الدنيا
بما فيها ومن استمع الى قارئ يقراها كان له قدر ثلث ما للقاري فليستكثر احدكم من هذا الخير
المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة وعن ابي حذيفة بن اليمان رض
ان النبي صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة وعن ابن عباس رض
قال بينا نحن عند رسول الله صلعم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك
فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته ما يتضمنه اقول وفي طي هذه
الاخبار سيما هذا الاخير اشارات علمية وتعريفات سرية ورموز نحوية وتنبيهات عرفانية
على جوامع الكمالات العقلية والمعارج الالهية المندرجة في هذه السورة لا يعرف قدرها ولا
غورها الا الراسخون في العلم والدين والسالكون طرق الكشف واليقين لا المتشبثون بذيل
العبارات والمترددون كالخفافيش في ظلمات هذه الاستعارات تتمة
استبصارية ومن فضايل هذه السورة انها جامعة لكل ما افتقر اليه الانسان في معرفة المبدا
والوسط والمعاد فالحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والتعظيم رب

العالمين

العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وليس في العالم اله سواه
ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بالخلق على الخالق كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي
خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق وهذه الحالة كما انها في نفسها دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم
وذلك لان هذه الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن
الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاجزاء على تلك الصورة والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب
موافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا احق بالحمد والثنا من هذا المنعم المنان
الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه وعم امتنانه قبل الموت وبعد الموت مالك يوم
الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه
تمييز المحسن من المسيء وانتقام المظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم بين
قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لابد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان
الاعمال والاثار المتفرعة على الاعمال كالاحوال ثم الاعمال لها ركنان احدهما الاتيان بالعبادة
وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين
واما الاثار والاحوال المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة
بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط المستقيم الى آخره وفي قوله صراط الذين
انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال واهل الحق خلة محمودة ونسبة
مرضية وهم القوم لا يشقى جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله
غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء
امر واجب شعر الجرب يوضع في الزجاج فيطهره فكل قرين بالمقارن يقتدي فصل
في نظم هذه السورة وترتيبها ان العاقل الفهم المميز لما نظر في وجود هذا العالم وعلم بالحس
والقياس افتقار بعضها الى بعض وانتفاع بعضها عن بعض تحقق وتيقن انها في سلسلة الحاجة
منتهية الى موجود قديم قادر يفعل الخيرات كلها ويرحم على خلقه في الاخرة والاولى فقال
باية التسمية تبركا واستفتاحا باسمه واعترافا بالهيته واسترواحا الى ذكر فضله ورحمته
وكرمه ورافته ولما كان الاعتراف بالحق والعلم بالله الفرد الاحد الذي هو مبدا الخيرات
كلها وفاتح المهمات جلها نعمة جليلة اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولما راى
سراية نور التوحيد ونفوذ رحمة الوجود على غيره وافضة بنور الحجة والبرهان كما شاهده

اثارها على نفسه لامحة تقوية الكشف والعيان عرف انه رب للخلايق اجمعين فقال رب
العالمين ثم لما راى شمول فضله للمربوبين ثابتا بعد ما افاض اصل الوجود عليهم وعموم
رزقه للمرزوقين حاصلا بعد كمال الصورة في اطوار الخلقة قال الرحمن فلما راى تفريطهم
في حقه وواجب شكره وتقصيرهم في عبادته ولا تزجار عند جرمهم واجتناب نهيه وامتثال
امره وانه تعالى يتجاوز بالغفران ولا يواخذهم عاجلا بالعصيان ولا يسلبهم نعمه بالكفران
قال الرحيم ولما راى ما بين العباد من التباغي والتظالم والتكالم وان ليس بعضهم من شر بعضهم
بمامن علم ان وراهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف
ذلك بجملة فقد علم ان له خالقا رازقا رحيما يحيى ويميت ويبدئ ويعيد وهو الحي الذي
لا يموت والاله الذي لا يحق للعبادة سواه والمستعان الذي لا يستعين بغيره من عرفه
من عن فرد والاله وعلم ان الموصوف بهذه الاوصاف كالمدرك بالعيان والبرهان تحول
عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد ولما راى اعتراض الاهواء والشبهات و
تعاور الاراء المختلفات ولم يجد معينا غير الله سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب
لها والوصلات فقال اياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين له ان بلغه معرفة الحق الذي
واستقام على منهج الهدى ولا يامن العثرة لارتفاع العصمة سأل الله تعالى التوفيق للدوام
عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم فهذا اللفظ جامع كلمات
مشتمل على مجامع اسباب التوفيق والتسديد لطلب نعم التشخيص من عجائب الهداية ويريد
واوجب الله طاعتهم بعد ما عصمهم الائمة الهادين والاولياء المرضيين واذا علم ذلك علم
ان لله عبادا اختصهم بنعمته واصطفاهم برحمته وجعلهم حججا على عباده ومنارا على بلاده
فسأله ان يلحقهم ويسلك به سبيلهم فقال صراط الذين انعمت عليهم وسأله ان يعصمه
عن مثل احوال الذين زلت اقدامهم فضلوا وعدلت افهامهم فاضلوا ممن عاند الحق وعمي
عن طريق الرشد فغالى عن سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا اليما خزيا
مقيما اذ وقد شارك في واخر الدليل فضل عن سواء السبيل فقال غير المغضوب عليهم ولا الضالين
منهج اخر في نظم فاتحة الكتاب وهو ان للانسان ايام ثلثة الامس والبحث عنه يسمى بعلم
المبدا واليوم الحاضر والبحث عنه يسمى بالوسيط والغد والبحث عنه يسمى علم المعاد والقران مشتمل على
رعاية هذه المراتب وتحليل هذه المعارف الثلثة التي كمال النفس الانسانية منوط بمعرفتها ونفس
الاعمال البدنية التي لا مرادفا لاجلها لان غايتها تصفية مرآة القلب عن الغواشي البدنية والظلمات
الدنيوية لان يستعد لحصول هذه الانوار العقلية والا فنفس هذه الاعمال الحسنة ليس الا من باب

لحركات

لحركات والمتاعب ونفس التصفية المترتبة عليها ليس الا امرا عدميا لو لم يكن معها استفادة
صفحة القلب انوار الهداية وتصورها بصور المطالب الحقة الالهية والقران متضمن لهاذي
الوثقى فيه لما ذكرنا ولما كانت هذه السورة مع وجازتها متضمنا لما في الكتب الالهية من
المسائل الحقة والمقاصد اليقينية المتعلقة بتكميل الانسان وسياقه الى جوار الرحمن كان لابد
ان يتحقق فيها جميع ما يحتاج اليه الانسان منها فنقول هي هكذا اما اشتمالها على علم المبدا
فقوله تعالى الحمد لله رب العالمين اشارة الى العلم بوجود الحق الاول وانه مبدا سلسلة الحق
وموجد كل العوالم والمخلوقات وقوله الرحمن الرحيم اشارة الى العلم بصفاته الجلالية
والجمالية الحسنى وقوله مالك يوم الدين هو اثبات كونه سببا غائيا للمخلوقات كلها كما انه
سبب فاعلي لها جميعا لدلالة على انه فاعليته على غاية الحكمة والتمام والرعاية لمصلحة الانام
واما اشتمالها على علم الوسط فلان قوله اياك نعبد واياك نستعين اشارة الى الاعمال التي
يجب ان يكون الانسان عاملا لها مواظبا عليها ما دام كونه في هذه الحيوة الدنيا وهي قسمان بدنية
وقلبية فالبدنية تهذيب الظاهر عن النجاسة وتزيينه بالعبادات كالصلوة والصيام وغيرها
والقلبي تهذيب الباطن عن الشواغل وخباثات المكلفات باعانة الله وتوفيقه ليستعد
نفسه بذلك لان يتنور بانوار المعارف الالهية ويتحلى بالحقايق الربانية ليتقرب بذلك
الى الله ويحشر في دار كرامته كما دل عليه قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اي علمنا طريق
الوصول اليك واما اشتمالها على علم المعاد وهو العلم باحوال النفس الانسانية الكاملة
في العلم والعمل المبرأة عن افة الجهل ونقص العصيان فقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخرها
اشارة الى علم النفس وهي صراط الله العزيز الحميد وباب الله المؤتى منه الحق فما لنفس الانسانية
العالمة العاملة المهتدية بنور الله بيانا في الخلق الحق ويدخل الخلايق كلها في طريق
العود من هذا الباب الى الخالق فان الوجود في صورة دائرة انعطف اخرها على اولها
فكما ان الوجود في الابتداء كان اولا العقل ثم النفس الكلية ثم الطبيعة الكلية ثم
الابعاد والاجرام كلها ففي الانتهاء كان اولا اجرادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا ولذا
بالطبيعة كان اولا في مقام الطبيعة والنفس ثم في مقام القلب والعقل ثم في مقام الروح
واذا بلغ الى هذا المقام اتصل بغاية الكمال والتمام ثم ان مثل ثمرات لهذه الكريمة
نكات ووجوها اخرى من التاويل كثيرة مذكور بعضها في التفاسير المعتبرة لاهل العلم والتحصيل
كالكبير والنيسابوري وغيرهما اخترت منها وجوها ثلثة لما رايت ايرادها هنا تكميلا للكتاب
وتكثيرا للفوائد في هذا الباب الوجه الاول ان ايات الفاتحة سبع واعمال الصلوة

المحسوسة الواجبة بالاتفاق بعدد اوانيه فهل القلب والبدن يحصل ويمران خلقة الانسان و اطوارها
سبع كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وكذلك اطوار جوهر باطنه واطواره سبع
وهي الطبع والنفس والقلب والروح والسر والخفي فسور آيات الفاتحة يسري من الفاظها المستجمعة
الى الاعمال السبعة المحسوسة ومنها الى هذه المراتب الخليقة ومن معانيها الى الابيات المتعلقة بتلك
الاعمال ومنها الى هذه المراتب الباطنية ثم يحصل القلب انوارها وخاصيتها ثم ينعكس منه الى اعضاء
المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار الوجه الثاني كان للرسول صلى الله عليه وسلم معراج
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى ملكوت السماء هذا في عالم الحس وايضا في عالم الروح من الشهادة
الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب هذا بمنزلة قوسين متلاصقين منضمامهما فكان
قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فناء الا في نفسه والمراد بعالم الشهادة كلما يتعلق بالجسم و
الجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الى الملائكة
الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ثم عند الله الذين طعامهم وشرابهم محبته تعالى وانسهم
بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهكذا يتقاعد الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن رهقه الا والمقصود
ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج واراد ان يرجع في اعجب عرة المسافر اذا عاد الى وطنه لبعض اصحابه وان
تحفة امته الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار والنيات فليكن
المصلي ذو بر طاهرا وبدن طاهر الا بالماء والمقلب طوى ويصفي النفس عن الكدورات الشيطانية
والهواجس البشرية لانه بين يدي الله والصلوة هي النسبة بالمعبود الاعظم والتعبد هو عرفان
حق الاول بالسر الصافي والقلب النقي ويرفع عنك ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير
وشر وصدق وكذب وحق وباطل وقناعة وحرص وحلم وطيش وسائر الاخلاق المتضادة والصفات
المتنافية فلينظر اليها يختار فانه اذا احكم المرافقة تدريت المخارقة قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا نظر وتجرد فليرفع يديه لكثار فيودع الدنيا والآخرة
وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من الموجودات بل هو اكبر من ان يقاس
غيره وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا فحول وجهت وجهي هو معراج الخليل
على نبينا وعليه الصلوة والسلام كما ان قوله سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة حيث قالوا
نحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين معراج الحبيب

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء المرسلين ثم اذا فرغت
من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم عن مكره واغوائه ودفعا لاعجابك
عن نفسك بعد هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم
يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم
يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك
نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية وبقوله اهدنا الصراط المستقيم
يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقوله صراط الذين انعمت عليهم الى آخره
يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فتفتحت للعارف الربانية الفاتحة
لك ابوابها الثمانية بهذه المفاتيح الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة
واما الجسمانية فاولى مراتب ان يقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والارض او كقيام اهل القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اذا اجبت ان
اللهم صل ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن ولتجتهد في ان تطهر
من الله الى عبادته حتى يحضرها وايا الدوانير الى الله فانك ان فعلت ذلك
حرمت من اهل الكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين كما ذكر واعلم ان نفسك لها
الاشجار تجري خشية عرضها على الرحوف الجلال فاذا جعلتها مخبئة بالركوع ثم اركعها
لتستقيم لانه هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك
فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية التواضع
واذكر ربك بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل ثلثة انواع
من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من
عقبة الغضب الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثاني تنجو من عقبة الهوى الداعي
الى كل المضلات فاذا لقيتها وزنت من هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات
الصالحات وانجيت الى حضرة ذي الجلال والاكرام من عالم النور والظلام فقل اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له ليتم لك بصحة الشهادة معرفة المبدا واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ليتم لك معرفة المعاد وليصعد اليه نور روحك وينزل اليك روح محمد صلى الله عليه وسلم فيلاقي الروحان و يحصل
هناك الروح والريحان فقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فيمده ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم اذا ذكرت الله في صلوتك بهذه الاثنية والمحامد ذكر الله
اياك فيما قال الملائكة كما قال من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه واذا سمع الملائكة ذلك

زيادتك

ذلك اشتاقوا الا هضعف لـ القداد الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤا زائرين ظلا بالسلام
عليهم لتكونن من السابقين فعل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كما اهل الجنة الذين
تحيتهم فيها سلام فالاجر اذا دخلوا المصلين اهل الجنة يدخلون عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار ﴿ الوجه الثالث ﴾ ان ايات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة غير القراءة
والاذكار سبعة القيام والركوع والانتصاب عنه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالتخمير
والفاتحة كالروح وانما يحصل الكمال ويجوز عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم
بازاء القيام الا ترى ان البائر في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية
لبيان الامر كما امر في ان السلوك لا مر ضد باسم الله فهو لبيتي والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد
لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد بعد الشهادة في مقام التوحيد نظرا الى الحق والى الخلق
والمنعم والنعمة لان الثناء على الله لسبب النعماء والاقتدار منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين
كالتواضع لاستقرار فكان الركوع حالة متوسطة بين القيام والسجود وايضا ذكر النعمة الكثيرة مما
يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع
فاللايق بحضرته ان يرده الى الانتصاب فهذا اوان اسم ازاء العبد يرجع نظر اليه
وقوله مالك يوم الدين مناسب للسجدة الاولى لانه كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب
الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين
السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن العبادة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله من ان
يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق بحال
السجدة الثانية فيوافق نهاية الخضوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مناسب للقعود
لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه فرجع يقرأها قراءها
محمد صلعم في معراجه فالصلوة معراج للمؤمن ان المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها ثلثة الشهوة
والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة عظيمة
لكن الغضب اعظم منها والغضب افة عظيمة لكن الهوى اعظم منه قال الله سبحانه وتنهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي الفحشاء الشهوة والمنكر الغضب والبغي الهوى وبتجمع الثلثة وقع المسخ في امة
موسى ع وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا فبالشهوة
يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا انقسام الظلم ثلثة
ظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان

والسجود الاول والانتصاب منه

لا يغفر وظلم

نفسه

نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة
ويحصل من اجتماع هذه الستة في ادم خصلة سابعة هي العدوان المستلزم للبعد عن حضرة
الله اي الاحتجاب عنه وهي نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص
المذمومة فاذا تقرر هذا نقول الاسماء الثلثة في التسمية دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية
والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك ان من عرف الله تباعد
عنه شيطان الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا
نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشا الغضب طلب الولاية و
الولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم
نفسه ويلطخها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى
بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجده وبخله فيما وجد
ومن عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد
واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان
الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين
اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة التي هي مجامع الشرور كلها زال عنه حجابه
وبعد الامر جنات النعيم

سورة البقرة مدنية الا اية منها وهي قوله

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية فانها نزلت بمنى في حجة الوداع
عدد اياتها مائتان وست وثمانون

الحمد لله مبدع الجود وفايض
الخير والجود الذي ابدع العالم الاعلى بالقول والكلام وانشأ كتاب الصنع والايجاد على غاية النظام
وهيئة التمام فافاد الكلمات التامات وبسائط الموجودات وحروف العاليات قبل
كتابة المركبات بمداد المواد على الواح معاني الاستعدادات الذي جعل العرش المحيط اول ما انشأ
من هذا العالم كالقلب الذي هو اول ما يتكون ويتحرك واخر ما يسكن من عالم الانسان فاستوى
عليه باسمه الرحمن استواء الروح على القلب المتكون من الاركان وثانيه كرسيه الذي وسع السموات
والارض فاجرى فيها ما جرى به القلم الاعلى في اللوح الكريم جريا الى يوم القيمة على حسب الامر المشية
وحروف الارادة قول الحق ووعد الحق وكلماته التامات واسمائه العظام فترتب عليها وجود
الكائنات كالانسان والحيوان والنبات وبوجود الانسان غاية الاكوان وهو خليفة الله
في ارضه وعالمه السفلي ثم في العالم العلوي لان الله خلقه بيديه فتلقى ادم من ربه كلمات
فتاب عليه وعلمه الاسماء وفضله على ملائكة الارض والسماء وجعله اعلم اهل الخافقين بحجاب

معارف القرآن ان الانسان اعدل شاهد على آيات الربوبية واسرار الالهية واول دليل على صفات
ربه الجليل فاسأل به خبيرا ان اردت ان تسلك سبيل الحق شاهدا بصيرا اذ هو على بينة من ربه
لانه تعالى خلقه على صورة الهوية كما ثبت في الحديث المتفق عليه ان الله خلق آدم على صورة
الرحمن هذا من حيث الدلالة التسمية اذ كان لا يصل كل احد فيما يدعي فيه الكشف والشهود
بالبصيرة الباطنية والالهام والتعريف الالهي ما لم يدخل فيه احد الاوضاع الحسية كالرؤية
بعيني الآلة او الشهادة او الرواية او الاجماع او القياس المنتهي الى النص وهذه كلها
من اضعف الدلائل في الاعتقادات التي لا تعرف الا بنور الهداية الربانية والعلوم
اللدنية واما من انفتح بصيرته وانكشف له حقيقته يعلم ويتيقن ان الانسان بما
او جده الله شاهد على ذاته وصفاته وافعاله مخبر عن كيفية الهيئة وصنعه وخلقه
وامره للمضاهاة الواقعة بينه وبين الرب تعالى ظاهرا وباطنا والمحاذاة الثابتة
ذاتا وصفة واسماء وافعالا كما فصله العلماء الشامخون والفضلاء المتألهون
فهو عيبة علم الله وخزانة معرفته ومعدن حكمته علما وعينا يؤتي الحكمة من يشاء
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهو النبأ العظيم الذي فيه مختلفون وبالجملة ان
الانسان الكامل هو الكتاب الجامع لجميع آيات الحكمة المشتمل على حقائق الكون كله جليله
وقليله فمن جملة المضاهاة الواقعة بين النفس والرب ان النفس الانساني الخارج
من القلب المار على منازل الحروف والكلمات هي اخص خواص الانسان من بين الحيوانات
هو بازاء النفس الرحماني وانبساط الفيض الوجودي الجاري على مراتب اعيان الممكنات
الذي هو من خواص الالهية وآيات الرحمة ومن هذا المحل يتبين وينكشف على من
اهتدى بآيات ربه الاعلى ان الموجودات في عالم الايجاد والتكوين هي بعينها على صورة
الموجودات الواقعة في عالم التسطير والتدوين سواء كان قبلها في عالم البداية و
القضاء السابق والعلم الاعلى واللوح الاعظم او بعدها في عالم النهاية وفي القدر اللاحق
كما في صورة الفاظ هذا الجوهر الناطق وارقام قلمه ولوحه المكتوب بيده وفي النفس الخارج
من الانسان الخارج من باطنه وجوفه منتهيا بحسب مروره على المخارج الصوتية والمنازل
الحرفية على ثمان وعشرين صورة على حسب مراتب الموجودات الصادرة عن الحق تعالى فكل
حرف بازاء موجود من الموجودات الاصلية لا بلاغية انتسابية ثم لما كان التعين له
اولا بالحرف الهوائي خاصة وهو يحتوي على ثلث مراتب هوية ذاتية او قطعا اما يعبر عنه بالالف
وهو المسمى عند القراء بالحرف الهوائي ذا مرتبة هوية بالارواح العلوية ومثله منها والعلة

واو

وهي

وهو امتداد الهوى من النفس عند ضم توقيف وهو اشباع حركة الضم واذا مر بالاجسام الطبيعية
السفلية فهو ياء حدث له من ذلك الياء الهوائية وهو امتداد الهواء من النفس عند خفض
الصوت وهو اشباع حركة الخفض لانه المنخفض من العالم الاسفل ومما هذا النفس اكثر من هذه
الثلث المراتب فاعلم ذلك فحدث العلة بالواو المضمومة ما قبلها وحدث بينهما الياء
المكسورة ما قبلها وكان الالف على الاصل من الله وهو سبب الاسباب ومن هاهنا ظهر ان اقرب
شبه بالنفس بل هو عين النفس حرف العلة وهي الالف والواو المضموم ما قبلها والياء المكسور
ما قبلها وليست هذه الثلث من الحروف الصحاح المحققة في حرفيته بل هي اجل من ذلك لانها
علة الحروف عليها على طريق المجاز وبما يطلق عليها الا الحروف اذا انفتح فاشبع الفتحة او ضم ويطلق الحروف
فاشبع الضمة او كسر فاشبع الكسرة فذلك الدليل على ان هذه الثلثة كما كان العالم من
اجل حروف الذي هو بمنزلة اشباع حركات الحروف دليل على وجود الحق الاول وملكوته
فافهم ثم ان الحروف التي هي بمنزلة الموجودات الخاصة الصادرة عن المصدر الاول بواسطة
الوجود الانبساطي لها خواص وتعينات نوعية هي بمنزلة المهيات ذوات فصول نوعية
اعطتها لها المخارج والمقاطع الصوتية والمنازل الحرفية التي بازاء المراتب الوجودية
فاعيان الحروف في النفس الانساني مجتمعة مجملة كما ان الاعيان الوجودية في الفيض الوجودي
الرحماني مجتمعة مجملة فاذا جرى النفس من اول الحروف الى غايتها وانفصل كل حرف بتمايز وجود
لتمايز مخرجه عند انقطاع النفس ما يفصل كل حرف في مخرج تقدمه فهو يحوي على قوة كل
حرف في مخرج تقدمه لان النفس مر في خروجه على تلك المخارج الى ان انقطع عند هذا المخرج فعلم
معه مرتبة كل حرف فظهرت في قوة الحرف المتأخر فآخر الحروف الواو فهي الواو قوة جميع الحروف
كما ان الهاء اول في العمل من جميع الحروف فان لها البدء وكلمة هو جمعت جميع قوى الحروف فعلم
الكلمات فلهذا كانت الهوية اعظم الاشياء وكذلك الانسان آخر غاية للنفس في الكلمات
الالهية وهي مفارقات الطبايع والاجناس والانواع ففي الانسان قوة كل موجود في العالم
وله جميع المراتب ولهذا اختص وحلا بالخلافة الالهية وهي الاسماء وبين الاسماء وبين
المراتب الكونية وهي الاجزاء فيظهر به ما لا يظهر بجزء من العالم ولا يكل اسم اسم من حقائق
الالهية فكان الانسان اكمل الموجودات وبه انتهى النفس الرحماني والواو اكمل الحروف
وبه انتهى الانسان وكل ما سوى الانسان خلق الانسان فانه خلق وحق فالانسان الكامل هو
على الحقيقة الحق المخلوق به اي المخلوق بسببه العالم وذلك لانه الغاية المطلوبة بالايجاد
المتقدم عليها ولولاه ما ظهر ما تقدم عليه فهو غاية هو الامر المخلوق بسببه ما تقدم من اسباب

ظهوره هو الانسان الكامل وانما قلنا الكامل لان اسم الانسان قد يطلق على مثال الذي في عالم الشهادة
والصورة الشبيهة كما يقولون في زيد انه انسان وفي عمرو انه انسان وان كان في احدهما قد ظهرت
الحقايق الالهية وما ظهرت في الاخر فالاخر على الحقيقة حيوان في شكل انسان كما اشبهت الكرة
بالفلك في الاستدارة واين كمال الفلك من كمال الكرة واين مرتبة الانسان الكامل المتحقق
بالحقايق الالهية من الشكل بصورته من جملة الحيوان ولهذا كان خطاب النبيه وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى **فتوح استفاضية** اعلم ان مادة صور الممكنات التي تسمى بالنفس
الرحماني عند العرفاء غير مادة صور الكاينات عند الفلاسفة واطلاق المادة على القبيلين
من باب التشبيه او الاشتراك لان المادة عند الفلاسفة شي موجود لا في ذاته بالقوة ابدا
وانما يتجوهر ويتحصل موجودا بالفعل بالصورة الطبيعية او المقدارية الحالة فيها وانما المسمى
بالمادة الممكنات فهو عبارة عن اول فيض وجودي ينبعث من ذاته تعالى ويقال له الحق المخلوق
به وهو وجود خاص منبسط على مهيات الاشيا لا يكون فيه جهة قوة واستعداد الا بمحلية
الموجودات وانيتها وهو بها الا انه ذو شؤونات ومراتب متفاضلة ودرجات متفاوتة بعضها
فوق بعض كما اشير اليه في قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش وهو المعروف عندهم بالنفس الرحماني
الذي ظهر عنه حروف هويات الممكنات وكلمات وجودات المكونات على مراتبها الوجودية ودرجاتها
الكونية التي هي على مثال مخارج الحروف والكلمات المنشات من نفس المتنفس الانساني الذي
هو كمال النشاة كلها وخليفة الله في عالم الملكوت من التسبيح لا والى الفرج حجبه ويجيء على
بيته من بدع مخلوق على صورته وهذا هو مثال الله الاكبر وظهر منه امثاله ما ظهر من الله من المراتب
والصور وهي ثمانية وعشرون منزلا لثمانية وعشرين حرفا فاولها الهاء وآخرها الواو
يحصل منها هو الجامع للاول والاخر فيه سر قوله سبحانه هو الاول والاخر وكما يكون لحرف واحد
القاب متعددة لصفات مختلفة واحوال متنوعة لاجل درجة ومقام له من درجات النفس و
مقاماته عند التكوين مثلا في مقاطع الحروف يمتاز عن الذي يقاربه في المخرج كحرف الصاد في الجهة
فانه من الحروف المهموسة فيشارك الكاف في الهمس وهو من حروف الصفير فيشارك الزاي فيه
وهو من حروف المطبقة فيشارك الطاء في الاطباق ومن الرخوة فيشارك السين فيها ومن
المستعلية فيشارك القاف في الاستعلاء فهذا حرف واحد بسيط اختلفت عليه الالقاب لكثرة
ظهوره في مراتب ومظاهر متعددة قابل بها لكل منها فاختلفت الاعتبارات فاختلفت
الاسماء كذلك يقولون في العقل الاول عقلا باعتبار وروحا باعتبار وقلما باعتبار ونورا
وقوة باعتبار وملكا باعتبار فالعين واحدة والاحكام مختلفة بل كلما كان الوجود اقوى

وجودا

وجودا واعلى مرتبة كانت اوسع شمولا للنعوت والاوصاف فلهذا ذهب كثير من الحكماء
الى ان العقل البسيط كل الموجودات كما ان الالف كل الحروف او لا ترى ان كل ما هو حيوان
فهو نام ومتغذ ومولد دون العكس وكل ما هو انسان فهو حيوان دون العكس فكذلك نفس
الانسان الكامل فيها كل الموجودات على وجه بسيط كما يعرفه العارفون بعلم النفس وكذلك
الحق الاول اصل الوجود الواحد الاحد الذي لا يقبل التعدد فهو وان كان واحد العين فهو المسمى
بالحي القيوم العزيز المتكبر الجبار الى تسعة وتسعين اسما فالعين واحدة والمعاني والاحكام
مختلفة فان المفهوم من الاسم الحي غير المفهوم من الاسم الذي هو المفهوم من الاسم المريد ولا اتحاد لها
هو هنا كما قلنا في حرف الصاد وهو كذلك سائر البسائط كسائر الحروف فجميع الحروف من النفس
الانساني بل من النفس الانسانية التي هي اكمل النشات وبها ظهرت ومنها جميع الحروف لانها
كانت على الصورة الالهية بالنفس الرحماني لظهور حروف الكائنات وكلمات العالم التامات
سواء بسواء والكلمات التامات للنفس الالهي ثمانية وعشرون كلمة وهي اجناس الموجودات
فكان اجناس العالم محصورة وهي لا تبيد ولا تنقضي بل اشخاصها لا يتناهى مدة وعددا لانها
معلومات الله ومعلوماته لا تنقضي ولا تتناهى ولانها تحدث دائما دام السبب موجودا فلا
ينقضي فايجاد اعداد النوع لا ينقضي كما ينقضي عند من دوام الكلمات وحدوث اعدادها
وتجددها قوله تعالى لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا ثم اعلم ان نفس المتنفس ليس غير باطن شخصه وجسمه فظاهره روحه
وغيبه غيبه فصار النفس الانسانية ظاهرة بالنفس المنبعث من الباطن الى الظاهر فيتعين
باعيان الحروف والكلمات فلم يكن الظاهر بامر زايد على الباطن في عينه فاجعل هذا منهاجا و
مقياسا لك في معرفة نسبة اعيان الموجودات والكلمات التامات والحروف العاليات الى
النفس الرحماني والفيض الوجودي المنبعث عن باطن الحق وغيب غيبه الى ظاهر عالم الغيب و
والشهادة واستعداد المخارج لتعيين هذه الحروف النفسانية والكلمات الناطقات في النفس
الانسانية البشري على قياس استعداد الاعيان الثابتة ومهيات الاشياء لتعينات التعينات
الوجودية للحروف العاليات والكلمات التامات في النفس الرحماني فظهر لك من هذا المقياس
ان الانسان الكامل على صورة ربه وبقية الله في ارضه وحجة الله على خلقه فلهذا قال
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال نبيه صلى من اطاعني فقد اطاع الله وقال من رآني
فقد رأى الحق **فصل في نبذ من اسرار الحروف** لما ذكر الله عن نفسه
انه الظاهر وانه الباطن وانه المتكلم وان له كلاما وكلمات وكتابا وذكر نبيه صلى ان لله نفسا من الرحمن

الرحمن الذي استوى على العرش فهو بمنزلة قلب الانسان كما ان قلب المؤمن عرش الله
لنا الايمان بهذه الامور فلما علمنا ان له نفسا لا كانفاسنا ارتباط وجه يليق بذاته وصفاته
وانه الباطن والظاهر لا كبطوننا وظهورنا ودلت له كلمات على حسب عظمته وجلاله
علمنا ان كلماته هي الموجودات الصادرة عنه الناشية من ذاته بلا توسط مادة او محل
او استعداد على مثال الحروف والكلمات الناشية من الانسان التي يتكلم بها الهواء الخارج
بالمثل لا كمثل افعال الانسان التي يتوسط فيها الالات الجسمانية الخارجة عنه ولما علمنا ان
قلب الانسان مكان الروح الحيواني الذي هو سبب حيوة البدن بمنزلة عرش الرحمن ومحل الواسع
الرحمة وان صدره الواسع مكان الكبد والروح الطبيعي الساري في جميع البدن اعلاه واسفله
بمنزلة كرسيه الذي وسع السموات والارض فاعلم ان الذي يحمل الهواء الخارج من الصدر بعد
نزوله اليه من القلب ثمانية وعشرون مقطعا للنفس فظهر في كل مقطع حرف متعين بما هو
عليه لا غير متميز بالمقطع مع كونه ليس غير النفس فالعين واحدة من حيث انها نفس كثيرة
من حيث انها تعرض المقاطع وهي امور عدمية كذلك الموجودات الخاصة ليست بامر زايد على
حقيقة الوجود الانبساطي الفايض من الحق تعالى بل امتياز بعضها عن بعض
ليس الا من جهة مراتب التعينات والتنزلات اللازمة للمعلولية لتلبس التفاوت بينها
الا من جهة الكمالات والنقص والتقدم والتاخر والقرب والبعد من الحضرة الاولى فكذلك
الحروف الصوتية الانسانية المنقسمة الى ثمانية وعشرين حرفا لان الكرسي وهو مثال المنازل
ومثال الصدر فيها منقسم باعتبار المنازل الى الامكنة للسيارات الفلكية من الكواكب وارواحها
ونفوسها المتحركة ونفوسها المتحركة بامر الله المترددة على حسب ما حملها الله من احكام الوحي
والقاها اليه الى خلقه الى ثمانية وعشرين منزلا وكذلك تشكل هذا بما قد ورد في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وآله ان المنزل عليه تسعة وعشرون حرفا وبما انزل على آدم الا تسعة وعشرين حرفا
وان كلام الله حرف واحد انزله الله عز وجل على آدم في صحيفة واحدة ومعه القرآن ومن
كذب ولم يؤمن به فقد كفر بما انزل الله على محمد ومن لم يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون حرفا
فلا يخرج من النار ابدا فاعلم ان هذا اغرب ما فضلنا ذكره من كون الحروف ثمانية وعشرون فان
الالف اللينة ليس كساير الحروف متعينة بتعين خاص وحيز مخصوص ومخرج مشخص بل حقيقتها
الهوائية سارية في جميع التعينات الحرفية وكانها ظل الوحدة الالهية السارية في وحدات
الاكوان الوجودية ولكن اشارة الى انها عين النفس الانساني كالعقل الاول الذي هو مرتبة
علو مرتبة الوجود الانبساطي المنبسط على هياكل الماهيات المتعينة وهو الحق المخلوق به

فللالف

فللالف اعتبارات اعتبار الاتصاف لكونها عين النفس الهوائي واعتبار التعين الذي
هو اول التعينات كالهمزة فانها من اقصى الحلق الا ان مخرج الهمزة كالهاء اول المخارج
ومخرج الالف الساكنة من الجوف وهو الفضاء الواقع في جهة العلو ونحوها من الحروف بتغاير
المخارج ومن الاعتبار يجب عد الالف المتحركة والساكنة حرفين ولما كانت اسماء الحروف
معدودة بتسميتها الا التي هي لم يرد هذه القاعدة غير مطردة بالقياس الى الالف لما فيه من
سر الوحدة الالهية التي لا اسم لها بخصوصية ذاتها لاستحالة الابتداء بالساكن الحقيقي
فلم يكن بد من ان يتوسل اليها بحرف ينوب عن ذاتها ساد احسن التصديق بها وكانت اللام بحسب عددها
الذي هو بمنزلة ... يساوي عدد الحروف كلها مع واحدة وكان فيها سر الجمعية الالهية
وايضا كانت بصورة حرف ... والعرش معقود حرف ل والالف الساكنة ايضا هي التاسعة
والعشرون كادخال الالف الى اللام هيئة لا تتميز بالاعتبار فاعتبرها في منزلة الالف اللينة
فجعل لام الالف اسما لها والالف اسما للهمزة فاوجب ذلك الحروف تسعة وعشرين ومن اعتبر
الحروف ثمانية وعشرين وهي عدد منازل القمر كان نظره الى الحروف الصرفة المتعينة بالمخارج
المتميزة بالامكنة من جهة قبولها الحركة والسكون وهما من صفات الحدثان وسمات النقصان
والالف اللينة ليست متحركة ولا ساكنة الا بالمعنى السلبي التحصيلي لمقابل الحركة تقابل السلب والايجاب
لا تقابل العدم والملكة كلا ومن جعل الامر اخارجا عن سلسلة الاكوان الحرفية لانها في
الحقيقة فاعلها واسمها ومقومها وفيها سر الالهية وظل الربوبية ونسبتها الى ساير الحروف
كنسبة الخالق الى صور الموجودات العالمية ومما يؤيد هذا ما رواه ابو اسحق الثعلبي في
تفسيره مسندا الى علي بن موسى الرضا انه قال سئل جعفر الصادق عليه السلام عن قوله تعالى الم فقال
في الالف ست صفات من صفات الله عز وجل الابتداء فان الله ابتدا جميع الخلق والالف
ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جاير والالف مستو في ذاته والانفراد فالله فرد
والالف فرد واتصال الخلق بالله والله لا يتصل بالخلق وكلهم محتاجون اليه والله عز وجل
غني عنهم فكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله عز وجل
باين بجميع صفاته من خلقه ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك
الالف علة تالف الحروف وهو سبب الفتها بحث وتنبيه ان ما ورد في الكشاف
وغيره من التفاسير سيما الكبير ان هذه الالفاظ لما كانت اسماء لمسمياتها حروفا وجدانا
صدرت بتلك الحروف لتكون تاديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان
الالف لتعذر الابتداء بها ففيه نظر لان المراد من الالف المذكورة هنا ان كان

هي الهمزة فقد وقع التصدير بالمسمى في اسمها فان ورد في لفظ الالف هي الهمزة المفتوحة
وان كان المراد منه الالف اللينة التي هي من حروف العلة ففيه رمز الى ان تصدير الهمزة
بغير سمائها وهو خرق القاعدة المذكورة والترجيح من غير مرجح فان الهمزة اولى من الالف
بان يصدر اسمها بمسمى الهمزة بل الاولى ان يجعل القاعدة مطردة في الحروف الصحيحة
الثمانية عشر كلها ويجعل لفظ الالف اسما لما هو من جنس الحروف الصحيحة اعني الهمزة المحققة
كما هو الرسم في سائر الحروف ويجعل اللام الف اسما للالف اللينة بناء على ما ذكرنا سابقا
ومن تامل في احوال الالف وما اريد بها حق التامل انكشف عليه اسرار شريفة من احوال
المبدأ وخصايص الالهية منها انه لا اسم لها من حيث ذاتها الاحدية ولا رسم ومنها انها
الاولى في تعداد الحروف من حيث نعتها بالهمزة ومنها انها بازاء الواحد في الارقام الحسابية
ومنها انها اللينة في ذاتها لا متحركة ولا ساكنة كما مر بل الحكم لها على وجه آخر اعلى من سكون الهمزة
وسائر الحروف ومنها انها لا مخرج لها على التعيين من جملة المخارج كالاحيز للباري جل
ومنها انها تبتدئ اوائل الكلمات باعتبار نعتها الهمزي وتقع غاية الكلمات لا آخر بعدها
كما ان الباري اول الاشياء لا اول له وغاية الاشياء لا غاية له ومنها انها ابسط من كل
حرف في الوجود الصوتي السمعي وشكلها ابسط اشكال الحروف في الوجود الكتبي البصري
ومنها ما مر ذكره في الوجوه الستة من الصفات المذكورة في الحديث المروي عن جعفر
الصادق ع وعن آبائه التحية والاكرام كشف غطاء ثم اعلم هداك الله طريق المعرفة
والشهودات ان النفس الناطقة هي المدبرة باذن الله تدبيرا طبيعيا او نفسانيا لهذا البدن
الجسماني الذي هو بجميع ما فيه من القوى والحواس والاعضاء والآلات عالم صغير بمنزلة
العالم الكبير بما فيه من الافلاك والعناصر والبسايط والمركبات المتولدة من [illegible]
الهيئات ونحوه فيفيد بجملته وعنايته ان النفس قبل تعلقها بالبدن ولم تتصرف في قواه
واعضائه الا بعد ان نزلت من علو تجردها وسماء قدسها وتنزلت من مكمن ذاتها الروحانية
وباطن كينونيتها العقلانية الى عالم الحس والتجسم فتوسطت بين غيبها وشهادتها
مظهر شهادتها لطائف ما يوجد من جلوة عالم البدن من البخار اللطيف الصافي المتعلق
بالقلب الصنوبري الشكل المستدير الهيكل المحدد لجهات البدن من اعاليه واسافله
فالنفس قبل تعلقها بالبدن وتصرفها فيه وتدبيرها لقواه وحواسه التي هي كالسماويات
واعضائه التي هي كالارضيات نزلت وتجسمت بخارا لطيفا يتكون من جميع لطائف
البدن وبسببه يفعل الافاعيل الانسانية سيما التكلم بالحروف والكلمات التي هي اخص

افاعيل

افاعيل النفس بها المفتقرة في هذا العالم وهذه اللطيفة البخارية التي يترك فيها النفس قبل تفرقها
وفصلها في عالم البدن مثال العماء الذي جاء في الخبر وفسر بقوله انه كان ربنا قبل ان يخلق الخلق
في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فذكرت ان العماء هو كون محقق فيه والتحقيق هو كون العماء
فيه والعماء يحدث عن بخار رطوبات الاركان الاربعة والافلاك ايضا دخان لطيف من هذه
الابخرة الحاصلة من لطايف هذه العناصر بل عناصره كائنة على وجه يناسب عالم السماء وهي
ينقسم بها الافلاك ارباعا مما يطول شرحه فالحاصل ان العماء الذي ورد في الحديث ان الله
قبل ان يخلق الخلق كان فيه مثاله اللطيفة الجسمانية الموجودة بعد خلقه الانسان التي تعلقت
بها اللطيفة القدسية النازلة فيها من نفخ الحق من روحه وهي كلمة من كلمات الله وتنبعث
منها النفس الهوائي المتصور بصور الحروف والكلمات الاجمالية الكائنة في النفس الرحمانية والوجود
الاعيان المفصل ويتنور على البصر الحديد بنور هذه المكاشفة الرحمانية ان من عرف نفسه
فقد عرف ربه **فصل في الاشارة الى سر هذه الحروف من المقاطع الحروفية الواقعة
في اوائل السور** روي عن امير المؤمنين ع ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف
التهجي وعن الشعبي ان لله في كل كتاب سرا وسره في القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة في
اوائل السور اعلم ان الذين اقتصر نظرهم على ما يتعلق بعالم الشهادة وانحصرت عندهم معاني
الموضوعات اللفظية فيما يوجد في عالم المحسوسات قالوا ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء
سميت بها الحروف المبسوطة فانه لما كانت لفظة مفردة دالة بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه
من غير دلالة على الزمان المعين وذلك المعنى هو حرف الا وهو ضرب فثبت انها اسماء ولانها
مما يتعلق عليها حد الاسمية ولانها ايضا يوجد بها خواص الاسم من كونها متصرفا فيها بالتعريف
والتنكير والجمع والتصغير والاسناد والاضافة فكانت لا محالة اسماء وبه صرح الخليل وابو علي
واما ما رواه ابو عيسى الترمذي عن ابن مسعود انه قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف والالف حرف واللام حرف والميم حرف الحديث فقيل ان المراد به غير
المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف جديد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله
واقول يمكن ان يراد بهذه الاسماء الثلاثة المذكورة في الحديث مسمياتها من الحروف فالواحد منها
قالوا ان حكم هذه الالفاظ مع كونها معربة ان يكون ساكنة الاعجاز ما لم تليها العوامل
كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فهي معربة وانما سكنت سكون
الوقف لا سكون البناء اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك لم يجتمع بجمع الكيفية واين وهؤلاء وسند
بل جمع فيها بين ساكنين فقيل صاد قاف بسكونها سكون المعربات حيث لا يمسها اعراب لفقد موجبه

وعاملة مع كونها قابلة للعمل عرضة للاعراب ثم قالوا ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام
وبسائطه التي منها تركبت افتتح الكلام في السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن
وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في
ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر
اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها
اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه
ويجمعها فحثه شخص سكت نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة
نصفها لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك
ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء
نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها و
يجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي
يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة يجمعها خص ضغط قظ نصفها الاقل ومن البواقي
المنخفضة نصفها ومن حروف البدل فهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها
اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم المقاربة وهي خمسة عشر الهمزة
والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين
والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف
والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم
فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف
الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء
والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد
لا يتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشر التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلام وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس ثم انه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة

ومركبة

ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام
الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات نحو يس طس طه لانها تكون في الحرف بلا حذف
كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام
الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن
ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في ثلثة عشر سورة تنبيها
على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين
وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها
فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه ~~والمعنى هذا المتحدى وتكرير التنبيه والمبالغة~~ والمعنى هذا المتحدى
به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا هذا ما ذكره علماء اللسان في هذا الباب
واما الذين [?] عن هؤلاء فاختلفوا في معاني هذه الاسماء على قولين القول
الاول ان هذا علم مستور وسر محجوب وغيب محجوب ودر مكنون استأثر الله بعلمه
وعليه يحمل الخبر المذكور سابقا وقال بعض العارفين العلم بمنزلة بحر فاجرى منه واديا ثم اجرى
من الوادي نهرا ثم اجرى من النهر جدولا ثم اجرى من الجدول ساقية فلو اجرى الى الجدول
ذلك الوادي لغرقه وافسده ولو سال البحر الى الوادي لافسده وهو المراد من قوله تعالى انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله واعطى الرسل منها اودية ثم
اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطت العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم
ثم اجرت العامة سواقي الى اهليهم بقدر طاقتهم وعن هذا روي في الخبر للعلماء سر
وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله تعالى بعد ذلك كله سر ولو اطلع
الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع
الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا خائبين وبادوا بائرين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل
الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش ولما زيدت الانبياء في عقولهم
قدروا على احتمال اسرار النبوة ولما زيدت العلماء في عقولهم قدروا على احتمال ما عجزت عنه
العامة وكذلك علماء الباطن وهم الحكماء زيدت في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت
عنه علماء الظاهر وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله لا تطلبوه وروى ابو ظبيان
عن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقال الحسين بن الفضل هو من المتشابهات تنبيه

واعلم ان هذا القول ليس ببعيد لانه لا يجوز ان يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوما اذ الخلق هم
مما انزله الله لهداية الخلق وارشادهم وتكميلهم واخراج عقولهم عن القوة الى الفعل ونجاة
نفوسهم عن ظلمات الحيرة والجهل والعمى الى نور المعرفة والعلم والبصيرة ليفوزوا وانهم
بانوار معارف القرآن ويستحقوا لقاء الله في دار المثوبة والرضوان ويتخلصوا عن آفات
جهالاتهم الموجبة لكثير من الامراض القلبية والآلام النفسانية المودية الى الهلاك المستلزمة
لعذاب البعد والاحتجاب كالمطرودين عن باب الرحمة الالهية المحترقين بنيران الجهالات
المتراكمة المتالمين بآلام الاعتقادات الردية الفاسدة فلا بد ان يوجد في عباد الله
من كان عنده علم الكتاب والا لكان انزاله عبثا نعم درجات الناس بحسب العقول متفاوتة
كما يشهد له ما ذكر من الخبر فلا جرم حظوظهم من آيات كتاب الله مختلفة كما ان اغذية الناس
والانعام من ما ينبت في الارض من سنابلها وفي طبائعه منها القشور كالتبن وللحما
ولطايفه اللبوب والادهان كالحب من الحنطة والزيت من الزيتون متاعا لكم ولانعامكم
والحجة لنا في هذا المقصد من الآيات والاخبار كثيرة اما الآيات فقوله افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها امرهم بالتدبر في معاني القرآن فيها ولو كان غير مفهوم لما امرهم بالتدبر
فيه ومنها قوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين فلو لم يكن مفهوما بطل كونه منذرا به وايضا فقوله بلسان عربي مبين
يدل على انه نازل بلغة العرب واذا كان كذلك وجب ان يكون مفهوما ومنها قوله تعالى لعلمه الذين
يستنبطونه منهم والاستنباط منه وقوله هدى للناس وهدى للمتقين وغير المعلوم لا يكون
هدى ومنها قوله حكمة بالغة وقوله وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وكل
هذه الصفات لا يحصل في غير المعلوم ومنها قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فكيف يكون برهانا وكتابا مبينا ونورا مبينا مع انه غير مفهوم
ومنها قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم فكيف يكون هاديا مع انه غير معلوم الى غير ذلك
من الآيات المشيرة الى كون الغرض من انزال القرآن تعليم الفهماء واما الاخبار فمنها قوله صلى الله
تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله وعترتي وروى العامة عن امير المؤمنين
انه قال ان رسول الله صلعم قال عليكم كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو
الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله
المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم والذي لا تزيغ به الاهواء ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق
على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن دعا اليه

هدى

هدى الى صراط مستقيم واما ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام ان لكل كتاب صفوة وان صفوة هذا الكتاب
حروف التهجي فليس فيه ما يدل على ان معاني هذه الحروف من اسرار الله المخفية التي لا يعلمها كل
احد ولا يدل على ان الراسخين في العلم لا سبيل لهم الى دركها وكذا ما ذكره بعض المفسرين
ليس فيه دلالة على عدم اطلاع الناس على سر هذه الحروف بل فيه ما يدل على ضده كما
لا يخفى واحتج المخالفون بوجوه من العقل والنقل كلها ضعيفة مدخولة منها انه من المتشابه
من القرآن وانه غير معلوم لقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والوقف ها هنا لازم لانه لو عطف عليه قوله
والراسخون في العلم يبقى قوله يقولون آمنا منقطعا عنه وهو غير جائز وهو مجاز الى ان
يقولون حال لانه لو كان حالا للمعطوف عليه كالمعطوف يلزم ان يكون الله قائلا لا تقول
آمنا به كل من عند ربنا وهو كفر بل انه خبر مبتدأ محذوف بقرينة سابقة ومنها انه
روي عن رسول الله صلعم قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انه ص
نطقوا به انكره اهل الغرة بالله ودلالة هذا الخبر على ثبوت هذا الجانب اكثر من دلالته
على ثبوت طرف المخالف ومنها ان القول بان هذه الفواتح غير معلومة مروي عن اكابر الصحابة
فوجب ان يكون حقا والجواب بعد التسليم ان دلالة ما روي عنهم على كونها غير معلومة لاحد من
الناس مطلقا وان كان من الراسخين غير مسلم وعلى كونها غير معلومة لجمهور الناس لا يضرنا
ونحن نقول به ومنها ان الافعال التي كلفنا قسمان منها ما يعرف وجه الحكمة فيها كالصلاة
والصيام والزكوة ومنها ما لا يعرف وجه الحكمة فيها كافعال الحج ثم يحسن من الله الامر بالنوع
الاول فكذا يحسن منه الامر بالنوع الثاني لان الطاعة فيه يدل على كمال الانقياد ونهاية
التسليم لانه لما لم يعرف فيه وجها من مصلحة لم يكن اتيانه الا لمحض الانقياد والتسليم
واذا كان الامر كذلك في الافعال فلم لا يجوز ايضا ان يكون الامر كذلك في الاقوال وهو ان الله
يامرنا تارة بان نتكلم بما يقف على معناه وتارة بما لا يقف على معناه ويكون المقصود من
ذلك ظهور الانقياد والتسليم من المامور للآمر قولك في هذا ايضا ساقط لان كون الغاية في التكليف
بالاعمال التسليم والانقياد وان كان مسلما لكن كون الغاية في العلوم كذلك غير مسلم في العلوم
كما حقق في مقامه وبالجملة المقصود من العلوم والمعارف تنوير القلب بانوار الحقائق
الالهية ومن الاعمال والافعال تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة لتزول احكام
القوى الشهوية والغضبية وغيرها في السلوك الى الله والعجب من ذلك قولهم ان فيه
فائدة اخرى وهو ان الانسان اذا وقف على المعنى واحاط به سقط وقعه عن القلب واذا
لم يقف على المقصود مع القطع بان المتكلم بذلك احكم الحاكمين فانه يبقى ملتفتا اليه ابدا

وستفكروا فيه دائما ولهذا باب اشتغال الناس بذكر الله والتفكر في كلامه اقول ما اشبه هذا بكلام
العوام ولجهال فان نفس التفكر ليس من الغايات المتاصلة ليكون بقاء الانسان في
التردد والفكر ابد الامر مدا اسعادة له على ان فيه بعد مشقة في الحال انما الفايدة فيه
انتقال الذهن الى ما هو المطلوب الاصلي وهو الابتهاج بادراك الحضرة الالهية والاستعداد
بالانوار الملكوتية القول الثاني قول من زعم ان المراد من هذه الفواتح معلوم لهم واختلفوا
وفسروها على وجوه متخالفة احدها انها اسماء السور وعن الحسن وزيد بن اسلم وهو قول اكثر
المتكلمين الثاني انها اسماء الله وهي عن امير المومنين ع انه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق
الثالث انها اسماء القران الرابع انها ابعاض اسماء الله قال سعيد بن جبير قوله الر حم ن مجموعها
هو اسم الرحمن ولكنا لا نقدر على كيفية التركيب في البواقي الخامس ان يكون اشارة الى كلمات هي
منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف فيكون فيها دلالة على
اسماء الله واسماء صفاته كما قال ابن عباس في الر انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وارى وفي
المص معناه انا الله اعلم وافصل وكما قال الف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وهذه رواية
ابي صالح وسعيد بن جبير عنه السادس ان بعضها يدل على اسماء الله وبعضها يدل على اسماء غيره
فقال الضحاك الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب على لسان جبرئيل
الى محمد صلوات الله عليه واله وهو المروي ايضا عن ابن عباس السابع قول المبرد وقطرب ان الكفار
لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وتواصوا بالاعراض عنه انزل الله تعالى عليهم هذه
الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين استمعوا الى ما يجي به محمد فاذا اصغوا هجم عليهم القران
فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا الى انتفاعهم الثامن قول طائفة ان كل حرف منها مدة
اقوام واجال آخرين بحساب الجمل متمسكا بما روي انه ص اتاه ابو ياسر بن اخطب وهو يتلو سورة
البقرة ثم جاء اخوه حيي وكعب بن الاشرف فسالوه عن الم فقالوا ننشدك الله الذي لا اله
الا هو حق انها اتتك من السماء فقال ص نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم
اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل
انه ينتهي مدته احدى وسبعين سنة فضحك رسول الله ص فقال حيي فهل غير ذلك فقال
المص فقال هذا اكثر من الاولى فهل غير هذا فقال ص نعم الر فقال حيي هذا اكثر من الاولى
والثانية فنحن نشهد لان كنت صادقا ما ملكت امتك الا احدى وسبعين واحدى وثلثين سنة فهل غير
هذا فقال نعم المر قال حيي فنشهد انا من الذين لا يومنون ولا ندري باي قوليك ناخذ
التاسع ما قاله الاخفش ان الله اقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانها مباني كتبه

المنزلة

المنزلة بالالسنة المختلفة ومباني اسمائه الحسنى واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون
الله ويوحدونه واقتصر على هذا البعض كانه قال اقسم بهذه الحروف ان القران كلامي وكلها مما نسبه تعالى
اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ العاشر قول
ابي بكر الزهري ان الله علم ان طائفة من هذه الامة يقولون بقدم القران فذكر هذه
الحروف تنبيها على ان كلامه مؤلف من هذه الالف فيجب ان لا يكون قديما الحادي عشر
من الاقوال المذكورة في معنى هذه الفواتح وهي كثيرة اكتفينا بذكر هذه لا عن غيرها الا انها الاقرب
الى الصواب وبه والاذعان والحنا وعند الاكثر هو كونها اسماء السور وعليه الجماعة وكثير
من المفسرين منهم الامام الرازي واستدل عليه بانها ان لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب
بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي فلم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها الاعلام او المعاني والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد
ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على النبي
لغة العرب بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم فتعين الاول وهو كونها اعلاما للسور
التي هي مستهلها واما تسمية بها اشعار بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله
لم تعجزوا عن معارضتها والاعتراض عليه من وجوه احدها لم لا يجوز ان يكون
من باب التنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او يكون اختصار
الكلام كما هو في القول الرابع والخامس او يكون اشارة الى مدة واجال كما قاله ابو العالية وهذه
الدلالة وان لم تكن عربية لكن لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب كانت كالمعربات كالمشكوة
والسجيل والقسطاس والاستبرق او يكون قسما كما قاله الاخفش وغيره وذلك من الاقوال المذكورة
وثانيها ان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء
فصاعدا مستنكرة عندهم وثالثها انها لو كانت داخلة في السورة جزءا منها والشيء متقدم على نفسه
بالرتبة والاسم الشيء متاخر عنه كذلك فيلزم من تسمية الشيء بجزئه تقدم الشيء على نفسه
والمعارضة بتسمية الحروف باسائها كتسمية الجزء الاول بالجيم ساقطة لان المركب متاخر عن
جزئه والاسم متاخر عن مسماه فلو كان اسم الكل المركب عين جزئه لزم وجهين ولا تناقض فيه
ورابعها انها لو كانت اسماء السور لوجب ان يعلم ذلك بالتواتر لان التسمية على هذا النحو ليس
من عادة العرب فيتوفر الدواعي على نقلها لو وجب نقلها بها لا على ... الاسماء والاسم ودلائل خلافه
وذلك وخامسها ان السورة كثيرة اتفقت في الم وحم لما استبهمت حاصل والمقصود من العلم ازالة
الاشتباه والمعارضة بتسمية كثير من باسم محمد مدفوعة بالفرق بين القبيلتين فان الكم

لا يبعد معنى آخر يحصل من نظم الحروف كما يحصل للمركب فيما يتوقف على فهم الاصل دون المشتركة فان التسمية
بها قد يتضمن فوائد اخرى غير الاشتراك كما لبث ونحوه وسائر اسماها وان كان كذلك الوجه ان لا يخ
سورة من سور القرآن من اسم على هذا الوجه ولبس كذلك وقد يقال في الجواب لعلها من الاوائل فان
هذه الالفاظ لم يتعلم بها التنبيه فالدلالة على الانقطاع كالاوصل والاستئناف للكلام لازم
لها ولغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يسهل
لكونه حقا من كلمات صيغته اما الشرف فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد
كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا
ومعنى ولا بحساب الجمل فالحق بالمعربات والحديث الذي ذكره ابو العالية لا دلالة فيه لجواز انه
تبسم بسول القصة تعجبا من جهلهم وجعلها استهزاء وان كان نوع منع لكنه يحوج الى اضمار اشياء
لا دليل عليها واما انها علم على السور ذكره المفسرون تفسيرا لانهم ذكروا وجوها مختلفة وليت
لا لان هذه الالفاظ على ما ذكره اولا من لا انها علم عليه فاما ان يحمل على الكل وهو متعذر <بعضهم>
بالاجماع المركب او لا يحمل على شيء منها وهو الثاني واما عن الثالثة فان التسمية بثلثة اسماء
انما يمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريق بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء الحروف فذلك
جايز فان سيبويه قد نص على جواز التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف
المعجم واما عن الثالث فان الاسم لفظ دال على امر مستقل بنفسه غير مقترن بشيء من الازمنة
على زمان ولفظ الاسم كلفظ زيد ومثله كذلك فيكون الاسم اسما لنفسه واذا جاز ذلك فلم لا يجوز
ان يكون بعض الشيء اسما له اقول وهذا الجواب مما ذكره صاحب التفسير الكبير وهو كما ترى فان
الكلام في ان الاسم لا يطلق بمعنى الوضع ولا دلالة الاسم على نفسه ليس بالوضع وان كان هو في نفسه
موضوعا وقد يجاب كما ذكره البيضاوي بان الجزء متقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما
فلا دور اقول هذا ايضا فاسد فان الكلام في ان هذه الالفاظ التي في اوائل السور هي من الموضوعات
اللغوية لا سيما لها الا كونها اسماء مسورة ولكان هي لها على السور من حيث ذاتها لا تمنع
حيث كونها اسماء لكانت هذه السور خطرها موضوعة لمعنى مما يكون به مهملة سيما وهذا التقدم
زماني لان السور والآيات بقيت على اقسام الكلام انما هي من جهة الوجود زمانية الحدوث واما
عن الرابع بانه لا يبعد ان يصير اللقب لكثرته موضوعا من اصل الاسم فكلاهما هنا واما عن الخامس فانه
لا يبعد ان يكون في تسمية السورة الكثيرة باسم واحد مع تمييز كل واحد منها لو هذا وجه حكمة
خفية واما عن السادس فان وضع الاسم انما يكون بحسب حكمة لا سيما ان يقتضي لحكمة وقطع

لبعض

لبعض السور دون بعض اقول انما كان الغرض من هذه الالفاظ مجرد التسمية للتمييز في التقابل
ولم يكن لها معنى آخر لزم الترجيح من غير مرجح في تسمية بعض السور ببعض هذه الحروف دون
بعض حتم اقول ويرد على اصل الدليل بحث اذ لم يكن ما ذكروه في التفاسير وهو ان قول المستدل
لو لم يكن هذه الالفاظ اعلاما لكانت موضوعة للمعاني وظاهر انها ليست كذلك ممنوع في السند
مما سنذكره عن قريب ان شاء الله **حكمة قرآنية** اعلم هداك الله الى فهم آياته
ان شيخ فلاسفة الاسلام ذهب في رسالته سماها بالنيروزية الى ان هذه الحروف اسماء الحقايق
الذاتية بعضها لذات الله تعالى مطلقا وبعضها لها مضافة الى ما ابدع وبعضها للمبدعات
مطلقة وبعضها لها مضافة على الوجه الذي سنذكرها واقسم الله سبحانه بالاشياء العظيمة
تكريما وتعظيما ونحن نذكر مذهبه ونحن في كلامه في هذا المرام فنقول لا شبهة في ان الله
قد اوجد الموجودات المتاصلة على ترتيب ونظام الاول فالاول والثاني فالثاني على ترتيب مراتب الاعداد
لانه ليس في قوة الكثرة ان تظهر عنه تعالى لا كما ليس في قوة الزمان ان يوجد عنه في آن دفعة
ولا في استطاعة الجسم ان يكون عنه دفعة فالترتيب يرتقي بالكثير الى الواحد الحقيقي بحيث
لا يشوبه وحدته فكما ان الواحد مبدأ الاعداد والكثرات كلها على ترتيب الابسط فالابسط
وهو فاعل الاثنيات المتاصلة والانواع الكاملة قبل تخصيص افرادها انما يثبت على الترتيب الالهي الاول
والنظم الرباني الاحدي اولا وثانيا وثالثا فكلما كان الوجود فيه اشرف كانت الوحدة فيه
اتم وكان في درجة الاستفادة للوجود اقدم وهكذا الى ان ينتهي الترتيب الى الموجودات
الزمانية والمكانية من الجزئيات المتكثرة في التشخص المتحدة في المعنى والحقيقة وهي بمنزلة
ظلال واشباح لما في العالم الالهي من الحقايق المتاصلة التامة لا ينفك بقاؤها عن وجودها
واذا سئلت عن شيء منها بما هو علم كان الجواب عنهما واحدا لانه تام الوجود لا يعوزه شيء من
وجوده ومن كمال وجوده لا عنه فلكل منها مرتبة خاصة من الوجود لا يمكن ان يتعداها بقاء
او لاحقا او كون كل منها له مرتبة كالمقوم وكما ان الاولية عين ذات المبدع تعالى فكذا الثانية
للموجود الذي بعده بعدية ذاتية والثالثية للموجود الذي بعده بوسط واحد بعدية بالذات
وهكذا الرابع والخامس الى اقصى الوجود ثم ان اشرف الموجودات الواقعة بعده بغير واسطة
النوع الاول هو عالم العقل والملائكة المقربون وهذا العالم جملة مشتملة على موجودات
قائمة بلا مواد خالية عن القوة والاستعداد عقول حادة مستظاهرة وصور مجردة باهرة
ليس في طباعها ان تتغير او تتكثر او تتخيز وكلها كشخص واحد متصلة اتصالا وحدانيا

وكلها عشاق لمحبوب مشتاقون الى الاول والاقتدا به والاظهار لامره والابتهاج به والقرب العقلي منه وهم متبهجون بذات الاول لا بذواتهم الا من جهة الاطلاع الى الامكانات تحت سطوع النور الاحدى فيكون اسجاد ولزم الواضح فيان المراتب العددية الذاتية وجود العالم النفسي من لدن نفس الفلك الاعظم الى نفوس المتعلقة بالابدان البشرية والقوى النباتية فعالمها مشتمل على جملة كثيرة من ذوات معقولة ليست مفارقة للمواد كل المفارقة ولا مواصلة لها كل المواصلة وهي ملابسة لها مباشرة بامر الملابسة ومواد الصنف المتعلق منها بالسماويات مواد دائمة تحرك الاجرام باذن الله وتسخيره للملائكة المودع اياها الحافظة لصورها المحركة لها شوقا الى الله وتقربا منه وطاعة اياه وفيها في طباعها نوع من التغير ونوع التكثر لا مطلقا كالاجرام الاسطقسية ثم الواقع في رابع المراتب عالم الطبيعة ويشتمل على قوى طارئة في الاجرام ملابسة لها دالة على التمام وهي دالة الحدود والزوال سالة الدوام متجردة للصوريات تفعل الحركات الذاتية والسكنات في الحال المتعلق من الاين والوضع والكم اما الحركة فاذا لحقها خروج عن التغير من جهة عارض غريب واما السكون فعندما لم يلحقها عارض غريب وتعدم بتعدمها وجود العالم الجسماني المنقسم الى اثيري وعنصري وخاصية الاثيري استدارة الشكل والحركة واستغراق الصورة المادة وخلو الجوهر عن التضاد وخاصية العنصري التهيؤ للاشكال المختلفة والاحوال المتغايرة وانقسام المادة بين صورتين متضادتين ايهما كانت بالفعل كانت الاخرى بالقوة وليس وجود احديهما دائما بل وجوده زمانيا ويبادره انفعالا من قوى السماوية بتوسط حركات و يبقى كل الاخرى ابدا بالقوة ويكون ما هو اقل وجودا بالطبع ادنى في الشرف والفضل ولكل واحد من القوى المذكورة اعتبار بذاته واعتبار بالاضافة الى ما قبله الكائن عنه ونسبة الثواني كلها الى الاول بحسب الشركة نسبة الابداع واما على التفصيل فيخص العقل بنسبة الابداع ثم اذا قام متوسطا بينه وبين الثوالث صار له نسبة الامر واندرج فيه حصر النفس ثم كان بعده نسبة الخلق والامور العنصرية بما هي كائنة فاسدة نسبة التكوين والابداع يخص بالعقل والامر يفيض منه الى النفس والخلق يختص بالموجودات الطبيعية ويعم جميعها والتكوين يختص بالكائنة الفاسدة منها واذا كانت الموجودات بالقسمة الكلية اما روحانية واما جسمانية فالنسبة الكلية للمبدأ الحق اليهما انه الذي له الخلق والامر فالامر متعلق بكل ذي ادراك والخلق بكل ذي تسخير وهذا هو الموضع هذا الفصل فصل

الاخرة الثلاثة على كيفية دلالة الحروف على هذه المراتب الوجودية بنا من الفرض انه اذا اريد الدلالة على هذه المراتب بالحروف ان يكون الاولى منها في الترتيب القديم وهي ترتيب ابجد هوز الى اخره دالا على الاول وما يتلوه على ما يتلوه وان يكون الدال على ذوات هذه المعاني من الحروف متقدما على الدال عليها من جهة ما هي مضافة وان يكون المعنى المرتسم من اضافة بين اثنين منها مدلولا عليه بالحرف الذي يرتسم من ضرب الحرفين الاولين احدهما في الاخر اعني ما يكون من ضرب الحرفين احدهما في الاخر وان يكون ما يحصل من العدد الحرفي مدلولا عليه بحرف واحد مستعملا في هذه الدلالة مثل ك الذي هو من ضرب ب في ه وما مدلولا بحرفين مثل ميه من ضرب ح في ه ومثل كه الذي هو من ضرب ه في ه مطرحا لانه شكل يوهم دلالة كل واحد منهما خاص دلالته في حد نفسه وان يكون الحرف الدال على مرتبة من جهة انها بواسطة مرتبة قبلها من جميع حروف المرتبتين فاذا تقرر هذا فانه ينبغي ضرورة ان يدل بالالف على الباري وبالباء على العقل وبالجيم على النفس وبالدال على الطبيعة هذا اذا اخذت بما هي ذوات وبالهاء على الباري وبالواو على العقل وبالزاي على النفس وبالحاء على الطبيعة هذا اذا اخذت بما هي مضافة الى ما دونها وبقي الطاء للهيولي وعالمه وليس له وجود بالاضافة الى شيء تحته وينقل رتبة الاحاد ويكون الابداع وهو اضافة الاول الى العقل والعقل ذات لا مضاف الى ما بعده مدلولا عليه بالياء لانه من ضرب ه في ب ولا يحصل من اضافة الباري الى العقل الى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد لانه في ج يه و في ح يح ويكون الامر وهو من اضافة الاول الى العقل مضافا فامدلولا عليه باللام وهو من ضرب ه في و ويكون الخلق وهو من اضافة الاول الى الطبيعة بما هي مضافة مدلولا عليه بالميم مضاعفين وهو من ضرب ه في ح لان الحاء دلالة الطبيعة مضافة ويكون التكوين وهو من اضافة الباري وهو ذات مدلولا عليه بالكاف ويكون جميع نسبتي الامر والخلق اعني ترتيب الخلق بواسطة الامر اعني اللام والميم مدلولا عليه بحرف ع وجميع نسبتي الامر والخلق والتكوين اعني لام وميم مدلولا عليه بطاء ويكون اشتمال الجملة في الابداع اعني ي في نفسه ق وهو ايضا من جمع صاد وي ويكون بردها الى الذي هو مبدأ الكل ومعيدها الاعلى انه اول واخر اعني فاعلا وغاية كما بين في الالهيات مدلولا عليه بالراو منعطف ق و ذلك هو الغرض في هذا الفصل فصل الغرض فاذا تقرر ذلك فلنقول ان المدلول عليه بالكرسي هو القسم بالاول ذي الامر والخلق وبالمبدأ القسم بالاول ذي الامر والخلق وهو الاول والاخر والامر والخلق والمبدأ الفاعل والمبدأ

العقائد جميعا وبالمص القسم بالاول ذي الامر والخلق والمنشئ للكل وبص القسم بالعناية الكلية وبق
القسم بالابداع المشتمل على الكل بواسطة الابداع المساوي للعقل وبكهيعص القسم بالفيض التي
للكاف اعني عالم التكوين الى المبدا الاول وبغيبة الابداع الذي هو شيء يخلق بواسطة الامر
وهو ع ثم التكوين بواسطة الخلق والامر وهو ص فتبين لنا وجه ضرورة عين لنسبة الابداع
ثم نسبة الخلق والامر ثم نسبة التكوين والخلق والامر وبين قسم باول الفيض والابداع وآخر
وهو الخلق والتكوين وحم قسم بالعالم الطبيعي الواقع في الخلق وحمعسق قسم بمبدا وساطة
الخلق الى التكوين وبان يظهر من هذا وجوده الى ذلك وقسم به للابداع الكلي المشتمل على العوالم
كلها فانها اذا اخذت على الاجمال لم يكن لها نسبة الى الاول غير الابداع الكلي الذي يدل عليه بق
وطسم وطس بعالم الهيولى الواقع في الخلق والتكوين ويس قسم بعالم التكوين وعالم الامر اعني
ن بمجموع الكل ولا يمكن ان يكون للحروف دلالة غير هذا البتة ثم بعد هذا اسل يحتاج الى
المشافهة فهذا غاية الكلام الواقع في هذا المرام والله اعلم باسرار كتابه وهو علام الغيوب

فصل في احوال اواخرها من جهة الاعراب فقد علمت ان اسماء الحروف ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية من الاعراب لفقد موجبه لا انها ليست قابلة له بل هي معربة معرضة للاعراب غير
مبنية واما هل لهذه الفواتح محل من الاعراب ام لا فنقول ان جعلت اسماء لذات الله او آياته
كما اخترناه او للسور كان لها حظ من الاعراب المحلي يجري فيه الوجوه الثلاثة اما الرفع
فعلى الابتداء او الخبر واما النصب فبتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن كذا بالنصب او
بتقدير فعل اخر كاذكر ونحوه واما الجر فعلى اضمار حرف القسم وهي في ذلك على ضربين احدهما
ما يتاتى فيه الاعراب لفظا وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او موازنا للمفرد
وان كان اسماء متعددة كحاميم وطاسين وياسين فانها على زنة قابيل وكذلك طسم يتاتى
فيها ان يفتح نونها ويصير مضموما الى الطاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد والثاني ما لا يتاتى
فيه الاعراب نحو كهيعص والمرا اما النوع الاول فيسوغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال الشاعر
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها من الصرف لاجتماع
السببين فيها العلمية والتانيث وهكذا كل ما اعرب من اخواتها واما النوع الثاني فهو محكي
لا غير وان بقيتها على معانيها الحرفية فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في محل الرفع بالابتداء
او الخبر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين المذكورتين في
الله لافعلن كذا ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا
نازلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتداة والمفردات المعدودة وقف

عليها

عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها ولقائل ان يقول لعل وجه قراءة
من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلنا الاولى كون ذلك نصبا لا فتحا وانما لم يصحبها
التنوين لامتناعها عن الصرف على ما مر وانتصابها بتقدير فعل القسم كما هو المختار او بنحو اذكر
وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في نحو طس ويس لو قرئ به وحكى السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين
بالفتح ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرئ ولا الضالين **تنبيهات**
الاول ما وجه ان هذه الاسامي مكتوبة في المصاحف على صور الحروف المسميات مع ان الملفوظ
والمكتوب من حقايق الاشياء اسماؤها لا مسمياتها قلنا لان الهاد قد تجابه في انها متى تهجيت
ان تلفظ بالاسماء ومتى كتبت ان بالحروف انفسها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء
خارجة عن مقاييس علم الخط واهلها ولا ضير في ذلك ولا نقص لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ
وكان اتباع خط المصحف سنة معمولا بها على ان شهرة امرها واقامة السن العالمين لها وان التلفظ
بها لا يطابق التهجي غير مفيد للمعنى وان بعضها مفرد لا يخطر ببال الغير ما هو عليه من مورده امنت وقوع
اللبس فيها الثاني ليس شيء من هذه الفواتح آية عند من عدا الكوفيين واما عندهم فبعضها
آية واحدة كالم في مواقعها وهي ستة والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس وبعضها
وهو حم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه الثالث يجوز
ارادة القسم في المحكية كما جاز في المعربة لضم ولك ان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله حم والكتاب
المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قولهم حم لا ينصرون
فيصلح ان يكون منصوبا او مجرورا جميعا على حذف الجار واضماره **قوله جل اسمه**
ذلك الكتاب لا ريب فيه ذلك اسم مبهم يشار به الى البعيد وان كان اشارة الى ما في اللوح
المحفوظ او الى القرآن باعتبار كونه في اللوح المحفوظ فهو ظاهر وان جعلت الكتاب لو ياسو اء كان
الم اسما للقرآن او السورة او مقسما به كما اخترناه فيكون اشارة الى البعيد كما هو الرسم واما
اذا جعل اشارة الى الم واول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القرآن الموجود بين
اظهرنا ففي الاشارة الى القريب الحاضر بما يشار الى البعيد الغايب لابد من وجه وقد ذكروا
فيه وجوها احدها انه وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق الكلام به وتقضى والمتقضي في حكم
المتباعد وثانيها انه لما وصل من المرسل اليه صار في حد البعد عنه وثالثها ان القرآن كان
حاضرا نظرا الى ظاهره وصورته لكنه غائب نظرا الى اسراره ومعانيه لاشتماله على علوم عظيمة
وحكم كثيرة يتعسر اطلاع القوة البشرية عليها بل يتعذر في هذه النشاة فيجوز ان يشار
اليه كما يشار الى البعيد الغايب ورابعها ان الله تعالى وعد رسوله عند مبعثه ان ينزل عليه كتابا

لا يحوي الماء وهو صلى الله عليه وآله اخبر امته بذلك ويوحيكم قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
في سورة المزمل وهي انما نزلت في ابتداء البعث وخامسها ان قوله اخا لبني اسرائيل الا في سورة
البقرة مدنية واكثرها احتجاج على اليهود وكانت بنو اسرائيل اخبرهم موسى وعيسى عليهما السلام
ان الله يرسل محمدا صلى الله عليه وآله وينزل عليه كتابا لا يغسله الماء ذلك الكتاب اي الذي اخبر به الانبياء
المتقدمون ان الله سينزله على النبي المبعوث منهم ولد اسماعيل وسادسها انما قال لان الاطوار الله
انما انزل الكتاب بعضه بعد بعض فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة فكل ما انزل عليه مما فيه الدلالة
على التوحيد وعلم المعاد وعلم النفس واثبات النبوة واحوال الملائكة والجن وعلم السماء والعالم
وغير ذلك فقوله ذلك اشارة الى تلك السور والآيات التي نزلت قبل هذه السورة وقد يسمى بعض
القرآن قرآنا كما في قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وقال تعالى حاكيا عن الجن
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وهم ما سمعوا الا البعض واعلم ان اصل ذلك ذا هذا او هي كلمة
اشارة زيدت الكاف عليها للخطاب واللام للتوكيد والهاء للتنبيه فاصلهما واحد فاذا اوجب
على اهل الوضع للقرينة التي ذكرناها والكتاب اصله الكتب وهو الجمع ومنه الكتيبة للجند لانضمام
بعضهم الى بعض وهو مصدر بمعنى المكتوب كالحساب وقيل سمي المفعول بالمصدر تسمية كقوله المنظوم
انما واحد بالقرآن مختلف بالاعتبار وهو اسم للقرآن وله اسماء الكتاب والقرآن والفرقان والذكر
انه لذكر لك ولقومك والتذكرة وانه لتذكرة للمتقين والذكرى فان الذكرى تنفع المؤمنين
والتنزيل وانه لتنزيل رب العالمين والحديث الله نزل احسن الحديث والموعظة قد جاءتكم
موعظة من ربكم والشفاء وشفاء لما في الصدور والحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا والحكمة
حكمة بالغة والحكيم يس والقرآن الحكيم والحبل واعتصموا بحبل الله جميعا والروح وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا والبرهان قد جاءكم برهان من ربكم والكريم انه لقرآن كريم في
كتاب مكنون والعظيم آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والفصل انه لقول فصل والهدى
هدى للمتقين والمهيمن وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وغير ذلك مما
يظهر بالمراجعة الى القرآن فصل في اتصال قوله الم بقوله ذلك الكتاب قال صاحب
الكشاف ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب
خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته
ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما يقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال

من

من مرضيات خصاله وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون
الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان يكون الكتاب صفة وان
يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ
خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر
مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر انتهى كلامه على ما اخبرناه من كون الم جملة قسمية اما ان يكون
ذلك مبتدأ والكتاب خبره او عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر
والمعنى اقسم بالله ذي الخلق والامر ان ذلك الكتاب هو الكتاب الذي لا ريب فيه لان علومه وبياناته
لا يعتريها تبديل وتغيير ولا فسخ وتحريف ومقدماتها يقينيات ولا يشوبها شك وشبهة ولا يشوبها
وهم وريب وان جعل لا ريب فيه في موضع الحال وعاملها اسم الاشارة وجعل هدى خبرا عن ذلك
الكتاب فلا يخفى عن بعد فصل الريب الشك وفيه زيادة كانه ظن يشخص فيقول
رابني امر فلان اذا ظننت به ومنه قوله ص دع ما يريبك الى ما لا يريبك واما قولهم ريب
الامر وريب الزمان لحوادثه كقوله تعالى نتربص به ريب المنون وقول الشاعر قضينا من تهامة
كل ريب وخيبر ثم اجممنا السيوفا في معنى ما يختلج في القلب من اسباب الغيظ وقلق النفس وانهما
يرجعان الى معنى الشك لان الحادث ريبة والهلع لما ينبغي وما يخاف من ريب المنون
امر محتمل فهو كالمشكوك فيه وكذلك ما اختلج في القلب فهو غير مستيقن اقول اعلم ان الامكان
والشك يجريان مجرى واحدا كما ان الوجوب والعلم اليقيني يجريان مجرى واحدا لان الاولين
حال الوجود العيني والاخرين حال الوجود العلمي واذا كان الموجود على الدوام فعلا كان
الوجوب على العلم كما في علم الباري بذاته وبالامور الصادرة عن ذاته من جهة علمه بذاته
وكذلك قد يكون الامكان على الشك كما ادركنا الاشياء المحسوسة والمتغيرة فقوله لا ريب
فيه المراد منه نفي كونه مظنة الريب بوجه من الوجوه لكونه من العقليات الدائمة الموجودة
في علم الله وفي اللوح المحفوظ من التغير والفسخ وسائر الكتب ليست كذلك لانها كالكتاب المحو والاثبات
قابلة للفسخ والتبديل وانما قلنا لا ريب فيه يراد منه نفي الريب بالكلية لان لا نفي لماهية الريب
وجنسها ونفي الماهية يقتضي نفي كل فرد من افرادها اذ لو ثبت فرد من افرادها لثبت الماهية
معه وذلك ينافي نفيها ولهذا السر كان قولنا لا اله الا الله نفيا لجميع الالهة سوى الله
واما قراءة لا ريب فيه بالرفع نقيض قولنا ريب فيه كما قرأها ابو الشعثاء فذلك النفي لا يوجب
انتفاء جميع الافراد لانه ليس لنفي الماهية بل لنفي فرد من الافراد وهو لا ينافي ثبوت فرد آخر

واعلم انه اذا جعل ذلك الكتاب اشارة الى القرآن الحاضر عندنا فيكون معنى لا ريب فيه انه
لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد امعان النظر الصحيح والفكر السليم في كونه
وحيا من عند الله بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه فليس المراد نفي الريب وتعلقه
له الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الآية
فانه ما ابعد وجود الريب عنهم بل بين لهم الطريق المزاحة ذلك عن اذهانهم وهو ان يجتهدوا
ويجربوا نفوس امثالهم في معارضته من نجوم فصحاء الكلام وزعماء المحاورة ويبذلوا
غاية جهدهم في مقابلة سورة من سوره وهم فرسان اللسان والمهرة المكرون على الافتنان
في القضايا بلا دافع حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس في كونه بالغا من الجزالة وحسن
النظم البالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
ليعلموا انه قد تجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح عيون البصراء الا انه
ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وقيل معناه لا ريب فيه هدى للمتقين
وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي اولى وهذا كقولك لمن
يا حالك ذو معلم مستطيع ما قلته لك [illegible] بل هو عند من يهتدي به من العقول الصحيحة والقلوب
السليمة واما النكتة في تقديم الريب ههنا على الظرف وتاخير الظرف عنه في قوله لا فيها غول
فهي ان الاهم ههنا نفي الريب بالكلية عن الكتاب ولو قلت لا فيه ريب لاوهم ان هناك كتابا
آخر حصل فيه الريب كما قصده في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال
العقول كما تغتالها خمر الدنيا تنبيه الوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على ريب ولا بد لهما ان ينويا خبرا ونظيره قوله لا ضير ولا باس فالتقدير لا ريب فيه
فيه هدى قيل ان القراءة المشهورة اولى لان كون الكتاب نفسه هدى اولى من ان يكون
فيه هدى واوفق لما تكرر في شأن القرآن من انه نور وهدى قوله جل اسمه
هدى للمتقين اعلم انه من جملة الاوصاف التي امتاز بها القرآن عن سائر الكتب النازلة
على الانبياء السابقين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين ان القرآن نفسه هدى ونور
لان المراد منهما الحاصل بالمصدر وسائر الكتب فيها هدى ونور كما في قوله تعالى انا انزلنا التوراة
فيها هدى ونور وقال في حق القرآن قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء واما قوله وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فليس فيه
نصوصية على كونهما هدى لاحتمال ان يكون هدى حالا من ضمير انزل وكذا قوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس لاحتمال كونه حالا من فاعل انزل او جاء والله اعلم

ان القرآن

ان القرآن هدى للمتقين لم يكاشف باسراره عند تجلي انواره الا الخواص والمقربون من
عباده وهم المحبوبون واهل المشيئة الالهية كما قال تعالى يهدي به من يشاء من عباده واما
سائر الكتب فيشارك في هداها الجمهور من الناس لقوله هدى للناس والقرآن ايضا لاشتماله
على الكتب السالفة [illegible] بانه كلام وكتاب جميعا يشارك في هداه الناس وكذا قال تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات وقد مر في المفاتيح نظير هذا الكلام والهدى في الاصل مصدر
على وزن فعل كالسرى والبكا ومعناه الدلالة وقيل بل الدلالة الموصلة الى المطلوب والكلام
من الجانبين مذكور والانتقاض بالايتين مشهور قال صاحب الكشاف هو الدلالة الموصلة
الى البغية واستدل عليه بوجوه ثلاثة لوقوع الضلالة بازاء الهدى في قوله لعلى هدى او في ضلال
مبين وبانه يقال مهدي في موضع المدح كمهتدي ولو لم يكن من شرطه الايصال لم يكن الوصف
بالمهدي مدحا لاحد لاحتمال انه لم يهتد وبان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع
على خلاف معنى اصله كما يقال كسره فانكسر وغمه فاغتم والجواب عن الاول ان الفرق
بين الهدى والاهتداء معلوم فمقابل الهدى الاضلال لا الضلال وعن الثاني ان المتصف
بالهدى يسمى مهديا لان الوسيلة اذا لم يفض الى المقصود كانت نازلة منزلة المعدوم
وعن الثالث بالنقض فان الايتمار مطاوع للامر يقال امرته فائتمر وليس من شرط الامر
حصول الايتمار وبالمعارضة بقولك هديته فلم يهتد تحقيق فيه اشارة واعلم
ان افاعيل المبادي العالية والقوى الفعالة وان كانت من قبلها تامة تامة لازمة
الاثار والنتائج لسبقها غاية قوة ونفض وفيض الا انها قد يتخلف عنها الاثر والنتيجة
المقصودة لا من جانب الفاعل وعدم تماميته وكماليته بل لضعف القابل او لسوء استعداده
او لحوادث من جهة القبول ومنها الهداية فان القرآن مخصوص من الله والقرآن عين
الهدى بمعنى الحاصل بالمصدر كما مر والقاه الهادي للعباد كالشمس دائما بالذات لا تغير شانه
وجود دائما فاضة للخير والجود والوجود على الجميع من غير فتور من قبله الا ان القول [illegible]
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اذ المراد من الهداية او الهدى ليس مجرد الهادي الا انفاق الفعل
الذي به تحققه وتحقق الطريق بل المراد ما به يتم الاهتداء كالقرآن والنبي ع وكذا
الكلام في نظائره كالنور والعلم والقدرة واشباهها فالهداية بهذا المعنى ذاتية للقرآن [illegible]
الاضلال والعارض هو كالشمس شانها التنوير والافاضة ومع هذا قد يحصل من افاضتها
وتنويرها في بعض المواد ضد ذلك كالظلمة والسواد فمن قال ان الهدى معناه الدلالة الموصلة
الى البغية اراد به فعل ما يوجب الوصول الى المطلوب لمن هو اهله ومستحقه ومن قال الدلالة [illegible]

الالهية بحصول السعادة الاخروية لا نفع لهم بظاهرها انما ينتفع بها اهل لا تهدي من احببت بمنزلة
قوله تعم انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وبمنزلة قولك ان الشمس لا تنور ابصار الخفافيش
وكذا قوله تعم واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى بمنزلة قولك شوقناهم فلم يشتاقوا
وعلمناهم فلم يتعلموا اليس يخاف ان يكون الهداية بمعنى الدلالة بالموصلة على ما حققنا لا فقوله هدى
للمتقين معناه انهم المهتدون بانوار الكتاب والمنتفعون باياته دون غيرهم وان كانت دلالته
عامة لكل ناظر من مسلم وكافر وصالح وفاجر وبهذا الاعتبار كان هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل
فيه والتدبر فيه الا من صفا قلبه وسعى صفحته بالحق ونظر وحدس عن كدورات الاوهام الفاسدة
والا نام المظلمة واستعمل في مطالعة الايات الالهية والانوار الربانية والفوائد المعجزات النبوية
والعلوم الوهبية لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة البدنية فانما اولئك البدن الذي ليس
بالسقم لا يزيده الا شرا ووبالا وسقما وضنا كما قال بعض الاطبا واليه اشار بقوله وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

فصل في التقوى

اصله وقوى قلبت الواو تاء كالتراث اصله وراث فالاصل في التقوى المؤمن ...
من الوقاية والاتقاء في اصل اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بالترس اي جعله حاجزا
بينه وبينه والوقاية فرط الصيانة سواء كان في امر دنيوي او اخروي لكن اذا وقع المتقي في عرف
الشرع فهو مختص بمن يكون متقيا الامر ... عما يضره في الاخرة وله مراتب ثلث احديها التوقي
عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وجحود الحق والدين والانكار العلم والحكمة واليقين
وعليه يحمل قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية الاجتناب عن المآثم والمعاصي من فعل او ترك
حتى الصغائر في عرف القوم فروي عن النبي عم انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به
حذرا مما به باس وهو المعني بقوله تعم ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الاية والثالثة ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتجرد ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله
واتقوا الله حق تقاته واعلم ان التقوى جاءت في القرآن بمعان كثيرة كلها يرجع الى هذه المراتب
فمنها الايمان كقوله تعم والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها اي كلمة التوحيد وقوله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفي الشعراء قوم فرعون الا يتقون اي الا يؤمنون ومنها الخشية
كقوله في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون اي الا تخشون وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت
وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه يعني اخشوه ومنها التوبة كقوله تعم ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا اي تابوا ومنها الطاعة كقوله تعم في النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون

وفيه

وفيه ايضا هو الله فاتقون وفي المؤمنين انا ربكم فاتقون ومنها ترك المعصية كقوله
واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اي لا تعصوه ومنها الاخلاص كقوله في الحج
فانها من تقوى القلوب اي من اخلاص القلوب **تنبيه** اعلم ان التقوى كنز عزيز ان
ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم
وملك عظيم وكان خيرات الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى
وكم في القران من ذكرها وكم علق بها من خير وكم وعد عليها من اجر وثواب ثم اضاف اليها من السعادة
وسنذكر منها من جملتها اولها المدحة والثناء قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور وثانيها الحفظ والحراسة من الاعداء قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وثالثها
التاييد والنصرة قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله والله ولي المتقين
ورابعها النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب وخامسها اصلاح العمل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم وسادسها غفران الذنوب قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم وسابعها المحبة قوله تعالى ان الله
يحب المتقين وثامنها الاكرام والاعزاز قوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم وتاسعها
البشارة عند الموت قوله الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
وعاشرها النجاة من النار قوله ثم ننجي الذين اتقوا وقوله وسيجنبها الاتقى والحادي عشر
الخلود في الجنة قوله اعدت للمتقين فخذوا كل الخير فيها في خصلة التقوى لكونه من اشرف
المقامات القلبية وعن ابن عباس قال النبي عم من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله
ومن احب ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله
اوثق مما في يده وروي عن امير المؤمنين عم انه قال التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك
الاغترار بالطاعة وقال الحسن التقوى ان لا يختار على الله سوى الله ويعلم ان الامور كلها
بيد الله وقال ابراهيم بن ادهم التقوى ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة في افعالك
عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا وقال الواقدي التقوى ان تزين سرك للحق
كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ويقال
من سلك طريق المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف نفسه الاخلاص والوفا
واجتنب الحرام والجفا **نكتة** لو لم يكن للمتقي فضل الا ما في قوله هدى للمتقين
لكفاهم لانه تعالى بين ان القران هدى للمتقين لكنهم لانه تعالى قد بين ان القران
هدى للناس في قوله انزل فيه القران هدى للناس ثم قال ههنا في القران هدى للمتقين

فكيف انتصب الغرض [illegible] ان القران هدى [illegible] في قوله [illegible] القران هدى للناس وبينات — فهذا يدل على انه
من الهدى [illegible] القران هدى للمتقين [illegible] المتقين هم كل الناس [illegible] لا يكون متبعا لما
ليس بينا من هنا سؤال [illegible] كونه الذي هو هدى ذا لا يختلف لشئ دون شئ فلما اجمل
القران هدى للمتقين وقد سبق تحقيق الجواب وثانيها ان المتقي مهتد والمهتدي لا يهتدي
ثانيا فالقران لا يكون هدى للمتقين والجواب ان المتقي مهتد بنفس ذلك الهدى لا بهدى ثان
كما ان الموجود موجود بنفس الوجود القائم به حين كونه موجودا وتحصيل الحاصل بنفس ذلك
التحصيل غير مستحيل انما المستحيل تحصيل الحاصل بتحصيل اخر وايجاد الموجود بوجود آخر وثالثها
كيف وصف القران كله بانه هدى وفيه مجمل ومتشابه كثير ولولا دلالة العقل لما تميز المحكم
عن المتشابه والمبين من المجمل فيكون الهدى في الحقيقة هو العقل لا القران ومن هذا نقل
عن علي عليه السلام انه قال لابن عباس حين بعثه الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقران فانه خصم ذو وجهين
ولو كان هدى لما قال علي ذلك ولانا نرى جميع فرق الاسلام يحتجون به ونرى القران مملوءا
بعضه بما هو صريح في الجبر وبعضه في القدر ولا يمكن التوفيق بينهما الا بالتعسف الشديد وكيف
يكون هدى والجواب ان ذلك المجمل والمتشابه لما لم ينفك عما هو المراد على التعيين وهو
اما دلالة العقل المنور بنور القران واما دلالة المبين والمحكم من الآيات صار كله هدى
واما قوله لا يمكن التوفيق بين آيات الجبر وآيات القدر الا بالتعسف الشديد فليس كذلك
عند من هو من اهل القران وهم المتفوقون الراسخون في العلم والعرفان ورابعها كلما يتوقف
صحة كون القران حجة عليه لم يكن القران هدى فيه فاستحال كون القران هدى في معرفة
الله وصفاته ومعرفة النبوة والمعاد ولا شك ان هذه اصول المطالب وهي اشرف العلوم
فاذا لم يكن القران فيها هدى فكيف جعله الله هدى على الاطلاق والجواب ان كمال المعرفة بالله وصفاته جلاله
وملكوته وبالنشأة الاخرى لا يحصل الا بالقران وكذا العلم بالشرائع الالهية واسرار حقائق
النبوة لا يستفاد الا به والمتوقف عليه صحة كون القران حجة هو اصل الاعتقاد
بالله واليوم الآخر على وجه [illegible] يشترك فيه اكثر الناس ويؤمن به اوائل العقول من غير حاجة
الى ممارسة القران ومطالعة الآيات والايمان بالله واليوم الآخر مرتبة عظيمة ومنزلة
شريفة لا يوجد الا من عرف القران وعلم آياته ومعانيه على وجه تنور به قلوب اهل
الحق وهو غير الاعتقاد الذي قد يحصل بمجرد التقليد والرواية من غير بصيرة واهتداء وشرك
اوائل الفطرة ومبادي العقول واما الايمان الحقيقي فالمؤمن به يحتاج الى فطرة ثانية يفعل
الله في قلب من يشاء من عباده وخامسها ان الهدى هو الذي يبلغ البيان والوضوح الى حيث

غيره

غيره والقران ليس كذلك فان المفسرين لما ذكروا آية الا وذكروا فيها اقوالا كثيرة متعارضة
وما يكون كذلك لا يكون مبينا في نفسه فضلا ان يكون مبينا لغيره فكيف يكون هدى
والجواب من تكلم في التفسير بحسب نقل الاقاويل المتعارضة من غير بصيرة يعتد بها [illegible]
ترجيح واحد منها على الباقي او الاطلاع على فهم حجب لعطاء الله من لحق بهذا السؤال متوجه
عليه لا على اهل القران من ارباب التأويلات والعلوم الربوبيات والنبوات تتمة
في الاعراب حكم صاحب الكشاف بان الاحسن ان يحمل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف
او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه او انه منصوب على الحال
والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف كما مر ثم اضرب عن هذه الاحتمالات صفحا وجعل الم جملة
براسها او طايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة
وهدى للمتقين رابعة فاياما اذا ارتج غرقا في البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها
متناسقة هكذا من غير حرف النسق وذلك لمجيئها متاخية اخذا بعضها بعنق بعض فالثانية
منها السابقة بيانا [illegible] او لا على ان الكلام المحدي فيه اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية
الكمال ثم نفي [illegible] ما ينبغي ان يحتمله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل
والشبهة ثم اكد كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه بانه هدى للمتقين وهلا ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم
السوي حيث تستتبع كل واحدة منها لما يليها استتباع الدليل للمدلول ولم يخل كل واحدة من
الاربع من نكتة جزيلة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وفي الثانية ما في التعريف
من الفخامة وفي الثالثة تقديم الريب على الظرف حذرا عن ايهام خلاف المقصود وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيصه بالمتقين
باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا **قوله جل اسمه**
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
في الكشاف الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين
مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا
غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما انتهى واعلم انه على تقدير كون الذين مع ما يليه متصلا
بالمتقين وصفة له فان كان المراد بالتقوى تزكية الاعتقاد يكون صفة مبينة له
مترتبة عليه ترتب الفعل على القوة وتوقف التحلية على التخلية والتصفية على التطهير فان

الانسانية كاللوح القابل لنقوش العلوم الحقة وهي الايمان بالله واليوم الاخر والاخلاق
الفاضلة التي هي مبادي للافعال الحسنة كالصلوة والزكوة فيجب تطهيرها اولا بالتقوى
عن النقوش الفاسدة حتى يمكن اثبات النقوش الجيدة فيه ويستقر حصول الاوصاف الحسنة
عليه فلهذا السبب قدم ذكر التقوى وهو ترك ما لا ينبغي ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي وهو
الايمان والطاعة وان فسر التقوى بما يعم فعل الطاعات وترك المعاصي يكون صفة
موضحة للمتقين وذلك لاشتماله على ما هو اصل الاعمال الصالحة كالايمان بالله وملكوته
فانه من امهات الاعمال القلبية وعلى ما هو اساس الحسنات كالصلوة والزكوة فانهما من امهات
العبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا
الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الاسلام. تنبيه غاية التقوى الاتصال بحضرة الالهية بترك الالتفات
بعدها وقطع النظر عما سواه وهذا هو غاية الغايات الادمية وغايتها كمال الاخروي
للنوع الانسانية ولا يمكن تحصيله الا بتكميل القوة العاقلة من النفس بالعلوم الحقة وتكميل
القوة العاملة بالاعمال الحسنة لتتحلى بالفضائل وتتخلى عن الرذايل فالمتكفل للتكميل
الاولى هو الايمان بالغيب وهو العلم باحوال المبدأ والملائكة وكتبه ورسله واحوال المعاد وغرايب
والمنعمات نفوس الانسان بحسب درجات الجنان ودركات النيران والمتكفل لتكميل الثانية هو اعمال
الصالح واصل الاعمال الصالحة الصلوة والزكوة اما الاولى فلاشتمالها على الاذكار والنيات الحسنة
وهيئات الخضوع والخشوع واما الثانية فلاستلزامها ترك التعلق بالالات النفسانية والمحبوبات
الدنيوية لان المال وسيلة لاكثرها وقد قال سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاذا
تقرر هذا فقوله الذين يؤمنون بمنزلة تفسير كشف المتقين وحل بيان له ثم الايمان
بحسب اللغة كما ذكره صاحب الكشاف افعال من الامن ثم يقال آمنه اذا صدقه فكان المصدق
آمن من التكذيب والمخالفة ويعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق
كما حكى ابو زيد ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فهو من حيث ان الواثق صار ذا امن
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما بحسب الشرع فقد اختلف اهل القبلة في معنى الايمان
في عرف الشرع الى اربع مذاهب احدها انه اسم لافعال القلوب والجوارح والاقرار باللسان
وهو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث فهو اسم لمجموع امور ثلثة اعتقاد
الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو
كافر على راي ومن اخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر

عند

عند المعتزلة وروى الخاص والعام عن مولانا علي بن موسى الرضا عم ان الايمان هو التصديق
بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان وقد حمل ذلك بعض على كمال الايمان
قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول ثم ان الخوارج اتفقت على
ان الايمان بالله يتناول المعرفة به وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا ويتناول
طاعته في جميع ما امر به من الافعال والتروك حتى الصغاير فالاخلال بشيء من هذه الامور كفر
اما المعتزلة فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان الايمان عبارة عن الاتيان بكل الطاعات
سواء كانت من الافعال او الاعتقادات وسواء كانت واجبة او مندوبة وهو قول واصل بن
عطاء وابي الهذيل والقاضي عبد الجبار وثانيها انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل
وهو قول ابي هاشم وابي علي وثالثها انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد واما اهل الحق
فذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون شيء منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على
الاصل الذي هو المعرفة وكذا العصيان في جانب مقابله اعني الكفر وهو قول عبد الله بن سعيد الكلابي
الثاني زعموا ان الايمان اسم للطاعات كلها وهو ايمان واحد وجعلوا الفرايض و
النوافل كلها من جملة الايمان ومنهم من قال الايمان اسم للفرايض دون النوافل وثانيها
ان الايمان بالقلب واللسان معا وقد اختلف اهل هذا المذهب على اقوال الاول انه اقرار
باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم هؤلاء اختلفوا في
موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم سواء
كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون ان المقلد
مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال والثاني في متعلق هذا العلم فقال بعض
المتكلمين هو العلم بالله وصفاته على سبيل الكمال والتمام ثم لما كثر الاختلاف بينهم
في الصفات واقدم كل طائفة على تكفير من عداه جعل اهل الانصاف المعتبر هو العلم بكل
ما علم بالضرورة من دين محمد ص القول الثاني انه التصديق بالقلب واللسان معا وهو
قول ابي الحسن الاشعري وبشر بن غياث المريسي والمراد بالقلب الكلام القايم بالنفس
القول الثالث قول جماعة من الصوفية انه اقرار باللسان واخلاص بالقلب وثالثها
انه عبارة عن عمل القلب واصحاب هذا المذهب اختلفوا على قولين احدهما انه معرفة الله
بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل التوبة فهو مؤمن كامل
الايمان وهو قول جهم بن صفوان اما معرفة الكتاب والرسل واليوم الاخر فقد زعم انها غير داخلة

في حد الإيمان وحكى الكعبي عنه أن الإيمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة أنه من دين
محمد ﷺ وثانيهما أنه مجرد التصديق بالقلب وهو قول الحسين بن الفضل البجلي و[illegible]
أنه إقرار باللسان فقط وأصحابه فريقان الأول قالوا أن الإقرار باللسان هو الإيمان
فقط لكن شرط كونه إيمانا حصول المعرفة فالمعرفة شرط لكون الإقرار باللسان إيمانا لا أنها داخلة
في مسمى الإيمان وهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي وإن كان الكعبي قد أنكر كونه
قول الغيلان الفرقة الثانية قالوا أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان وهو قول الكرامية وزعموا
أن المنافق مؤمن بالظاهر كافر بالسريرة فثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين
في الآخرة فهذا مجموع أقوال الناس في مسمى الإيمان في الشرع حسبما وجد في كتب الكلام وغيره
أشار فيها أنا أقول اعلم أن الإيمان وما يوهم أن التي هي من شريعة سيد المرسلين
عليه وآله السلام إنما ينتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هي الأصول وهي تورث
الأحوال والأحوال تورث الأعمال أما المعارف فهي العلم بالله وصفاته وأفعاله وكتبه ورسله
واليوم الآخر وأما الأحوال فكالانقطاع عن الأغراض الطبيعية والشوائب النفسانية و
الوساوس العادية كالشهوة والغضب والكبر والعجب ومحبة الجاه والشهرة وغير ذلك وأما الأعمال
فكالصلوة والزكوة والصوم والطواف والجهاد وفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه وهذه المسئلة
إذا قيس بعضها إلى بعض لاح للناظرين إلى الأشياء بالنظر إلى الأشياء بالعقل الظاهر المقتصر
على إدراك المنافع الحسية أن العلوم تراد للأحوال والأحوال تراد للأعمال فالأعمال هي
الأصل عندهم والأفضل في نظرهم وأما أرباب البصائر المقتبسين أنوار المعرفة من مشكوة
النبوة لا من أفواه الرجال المستفيضين أسرار الحكمة الحقة من معدن الوحي والرسالة لا
من مقامرة الأسماع بالقيل والقال فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال
والأحوال للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال فإن لوح النفس كالمرآة والأعمال
تصيقلها وتطهيرها والأحوال صفائها وطهارتها والعلوم صورها المرتسمة فيها فتفضيل الأعمال
لكونها من جنس الحركات ولا نفع لها إلا في تبعها المشقة والتعب فلا خير فيها إذ لا نظر إليها
لذواتها ونفس الأحوال لكونها من قبيل الآلام والقوى فلا وجود لها وما لا وجود له فلا
فضيلة فيه وأما الخير والفضيلة فهما الوجود الأتم والشرف الأنور وهي الموجودات
المقدسة والمعقولات الصورية المجردة عن التغير والانتقال والشرور والوبال كالباري و
ملائكته العلوية والأرواح المطهرة الأنسية والحضرة الإلهية والحظيرة القدسية
فغاية إصلاح العمل إصلاح القلب وغاية إصلاح القلب أن ينكشف له جلال الله في ذاته

وصفاته

وصفاته وأفعاله فأرفع علوم المكاشفة هي المعارف الإيمانية ومعظمها معرفة الله
ثم معرفة صفاته وأسمائه ثم معرفة أفعاله فهي الآخرة التي يراد لأجلها تهذيب النفس
بالأعمال وتهذيب البواطن بالأحوال فإن السعادة بها بل هي عين الخير والسعادة
واللذة القصوى ومقابلها وهو الجهل بها محض الشر والشقاوة والألم الشديد ولكن قد لا يشعر
القلب في الدنيا بأنها عين السعادة ولا قلب من اتصف بالجهل بحقائق الإيمان بأنه محض الشر
والألم وإنما يقع الشعور بتلك السعادة وهذه الشقاوة في الدار الآخرة التي فيها أعلنت
السرائر وأبطنت الظواهر ونشرت الصحائف وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
فالعلم بالإلهيات هي الأصل في الإيمان بالله ورسوله وهي المعرفة الحرة التي لا قيد
عليها ولا تعلق لها بغيرها وكل ما عداها عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنما يراد لأجلها فهي
أيضا معطي أصولها ومثبت موضوع مسائلها والمحقق مبادي براهينها وغاياتها
ولما كانت سائر العلوم مرادة لأجلها كانت تفاوتها في الفضيلة بحسب تفاوت نفعها بالإضافة
إلى معرفة الله فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة حتى يتوسل بها إلى معرفة الله
كما أن الأعمال والأخلاق يفضي بعضها إلى بعض حتى يجر إلى تصفية الباطن والعلوم
كلما كانت الوسائط بينه وبين تصفية القلب كان أزكى وأنجح أعني صفاء القلب وطهارته
من شوائب الدنيا وشواغل الخلق فيصير بها مستحقا لحصول نور المعرفة واستعداد الانكشاف
حقيقة الحق وصورة الحضرة الإلهية حتى إذا تمت طهارته وصقالته صفى وجهه [illegible]
أنوار الكبرياء وحضرت عنده وانكشفت لديه حقائق الأشياء فقد ثبت أن وجوب الأعمال
الصالحة وترك القبائح لأجل إصلاح القلب وحالات الأحوال في تفاوتها في الفضيلة إنما
وقع بقدر تأثيرها في تطهير القلب وتهذيبه وإعداده لأن يحصل له المعرفة الإلهية
والعلوم الكشفية وكان تصقيل المرآة يحتاج إلى أعمال يتقدم على تمام أحوال المرآة في صفائها
وصقالتها وتلك الأعمال بعضها أقرب إلى الصقالة التامة من بعض فكذلك الأعمال المؤثرة
لأحوال القلب ترتيب الفضيلة ترتيب الأحوال فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء
القلب أفضل مما دونها لا محالة بحسب قربها من المقصود الأصلي فكل عمل إما أن يجلب
إلى القلب حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا
وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علاقته عن الدنيا
واسم الأول في عرف الشرع المعصية حركات فعلا كان أو تركا والمعاصي من حيث تأثيرها في
ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات

بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الازمان والاشخاص فربما كان قيام
الليل الواحد افضل من ايتاء الصدقات المتبرعة وربما كان الامر بالعكس من ذلك وربما
كان صوم ستين يوما افضل في باب الكفارة من عتق رقبة كما للسلاطين والامراء واهل
الدنيا فاذا عرفت هذه المقدمات فنقول علمت ان الاصل في الايمان هو المعرفة بالجنان واما
العمل بالاركان فانما يعتبر لتوقف المعرفة على اصلاح القلب وتهذيب الباطن وتلطيف السر وتوقفها
على فعل الحسنات وترك السيئات ومما يدل على ان الايمان مجرد العلم والتصديق
وجوه امور الاول انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال في حق المؤمنين اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وفي حق المنافقين الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان
في قلوبكم وقوله وقلبه مطمئن بالايمان وقال النبي صم الايمان سر واشار الى صدره والاسلام
علانية الثاني انه تعالى كثيرا ما ذكر الايمان وقرن به العمل الصالح ولو كان جزء العمل الصالح لكان
داخلا فيه فكان ذكره تكرارا الثالث انه كثيرا ما ذكره وقرنه بالمعاصي قال الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت
احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي واحتج ابن عباس على هذا المطلب بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى من ثلثة اوجه احدها انه اوجب القصاص على القاتل المتعمد
ثم انه خاطبه بالايمان فدل على انه مؤمن وثانيها انه قال فمن عفي له من اخيه وهذه الاخوة ليست الا
اخوة الايمان لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وثالثها قوله ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
وهذا لا يليق الا بالمؤمن ومن هذا القبيل قوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا فجعلهم مؤمنين
مع عظيم الوعيد في ترك الهجرة بقوله تعالى الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ومنه ايضا قوله يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
وقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الى ذلك من الايات التي تجري هذا
المجرى الرابع انه تعالى قال لا اكراه في الدين يدل على انه من الامور الاعتقادية التي لا يمكن
تحصيلها بالجبر والاكراه وكذلك قوله صم ليس الدين بالتمني يدل على انه ليس امرا ظاهرا ولو كان
من باب الاعمال البدنية كالصلوة والصيام لامكن تحصيله في شخص آخر ونفي بالجبر وفي الشخص
نفسه بالتمني الخامس ان العلم والتصديق اليقيني غير قابل للزوال والتغير فهو المتعين لان
يكون اصلا في الايمان السادس ان الايمان في اصل اللغة بمعنى التصديق والاذعان فلو كان
في عرف الشرع لغير هذا المعنى لزم ان لا يكون عربيا وذلك ينافي وصف القرآن بكونه عربيا ولزم
ايضا النقل عن معناه ومسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على معرفة ذلك المسمى ولاشتهر وبلغ

الحد

الى حد التواتر وليس كذلك فعلم انه باق على اصل الوضع وايضا لا خلاف لاحد في ان لفظ الايمان اذا عدي
بحرف الباء كان معناه التصديق كما هو في اللغة فوجب ان يكون الشرعي كذلك لان
هذا اثبات اللغة بالقياس وهو غير جائز كما تقرر في علم الاصول لانا نقول ليس كذلك بل هذا استنباط
المعنى الاصلي من موارد الاستعمال اذ التعدية بالحرف لا يغير اصل المعنى المصدري بل يزيد عليه كالا في
وقوعه واما المعتزلة فقد اعترفوا بان الايمان اذا عدي بالباء كان المراد به التصديق كما في
اصل اللغة ولذلك اذا قيل فلان آمن بالله ورسوله يكون المراد عندهم ايضا مجرد التصديق
اذ الايمان بمعنى اداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية فلا يقال فلان امن بكذا اذا اطاع
او صلى واما اذا ذكر مطلقا بلا تعدية فقد زعموا انه منقول عن المسمى اللغوي الى معنى آخر
وهكذا تحكم محض كما لا يخفى فصل في المذهب المنصور المعتضد بالبرهان ان الايمان
في عرف الشرع هو التصديق بكل ما علم بالضرورة مجيئ نبينا صم به فلا يسمى الاقرار
ايمانا تاما بل يسمى تصديقا لا سيما مع عدم شك او جهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا ومن
هذا القبيل تقسيم المنطقيين القضية وهي الحكم بثبوت امر لآخر الى قضية معقولة
ملفوظة وقد يسمى اعمال الجوارح ايمانا استعارة وتلويحا كما يسمى تصديقا لذلك
يقال فلان يصدق افعاله مقاله والفعل يبين صدق باتفاق اهل اللغة فالايمان من
الامور المشككة التي يتفاوت معناها في الشدة والضعف والكمال والنقص فهو منقسم الى حقيقي
ومجازي باطني وظاهري بل ينقسم كما اشار اليه بعض العرفاء الى لب ولب اللب وقشر وقشر القشر
وهذا بعينه كانقسام الانسان الى هذه المراتب ثلثة فالايمان من مقامات الانسان في انسانيته
وقد يمثل لهذا تقريبا للافهام الضعيفة بالجوز فان له قشرين الاعلى و
الاسفل وله لب وللب دهن وهو لب اللب فالمرتبة الاولى من الايمان ان يقول
الانسان كلمة الشهادة ويعترف باللسان وقلبه غافل عنه او جاحد له كالمنافقين والثاني
ان يصدق بمعنى هذه الكلمة وبكل ما هو معلوم بالضرورة من الدين كتصديق عامة المسلمين
وهذا اعتقاد ليس بيقين والثالث ان يعرف هذه المعارف الايمانية ويصدق بها عرفانا
كشفيا او تصديقا برهانيا وعلما يقينيا بواسطة نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده
وهو المشار اليه في قوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهذا هو الايمان الحقيقي الذي سئل
رسول الله صم عن حارثة الانصاري بيان حقيقته لما قال اصبحت مؤمنا حقا فقال صم
لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فاجاب بقوله عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي
حجرها وذهبها وكاني انظر الى اهل الجنة في الجنة يتزاورون والى اهل النار في النار يتعاوون وكاني

وسوادهم

اهل الجنة في الجنة عوض عنه بانه افضل فرقة الله وقال اصبت فالزم والرابعة ان يستغرق الانسان في نور الحضرة الاحدية بحيث لا يرى في الوجود الا الواحد القهار فيقول بلسانه وايمانه لمن الملك اليوم ثم يجيب عنه بلهجة توحيده وعرفانه لله الواحد القهار وهذا المقام لا يحصل الا حلها دائم كونه في هذه الحيوة الدنيا الا للكاملين العرفاء والاولياء بواسطة غلبة سلطان الاخرة على بواطنهم فصاحب المقام الاول مؤمن بمجرد اللسان في عالم الاسلام ونشاءة الحكم فانه ايمانه يرجع اليه في هذه النشاءة الا انه يعصم دمه من السيف والسنان ويعصم ماله وذراريه عن النهب والسبي وصاحب المقام الثاني مؤمن بمعنى انه معتقد بقلبه بمفهوم هذا اللفظ وقلبه خال عن التكذيب وهو عقد على القلب وليس فيه انشراح القلب لنور المعرفة ولا انفتاح روزنة عنها الى الملكوت الغيبي المقابل لهذا العالم عالم الملك والشهادة وقابل قدرانه يصير مشاءا بعض الاعمال الصالحة وسببا لبعض الخيرات واداء الاعمال وفعل الحسنات التي بمجردها ادى الى اصلاح القلب وتصفيته استعدادا لحصول المعرفة حتى يكمل حتى ينتهي الى الايمان الحقيقي على هذا يصح القول بان الايمان هو المبتداء والغاية في الايمان والعمل الصالح كل منهما يدور على صاحبه فكل ايمان موجب لصالح من العمل وكل صالح من العمل يجر الى حصول ضرب من الايمان فيدور كل منهما على نفسه ودوام غير تخلل بتقاربه بالعهد ومن الايمان هو قبل الاوائل والحدوث وهو ايضا اخر الاواخر في البقاء ثم هذا العقد الايماني الذي كان امنا فيه شبه وحيل وبقصد بها تحليله وفيه قسمي بعقد ولم ايضا حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتوهين ويقصد بها احكام هذه العقدة وشدها على قلوب المسلمين ويسمي كلاما والعالم بها متكلما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وصاحب المقام الثالث مؤمن بمعنى انه يصير شاهدا حقا يقينا الامور الايمانية ببصيرة قلبية ومشاهدة عقلية لا انه مكلف بعقد قلبه على مفهوم هذه الالفاظ فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لا يفارق المتكلم العامي في اصل الاعتقاد بل في صنعه يلصق الكلام الذي يدفع به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة اذ قد انكشف له اسرار الملكوت مخفيا بعالم الغيب والجبروت وصاحب المقام الرابع مؤمن بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد القهار وسبيل الاشياء بغاياتها واولها واخرها وظاهرها وباطنها الذي اليه يرجع عواقب الامور وعبر منقطع سير السائرين وسفر المسافرين فهذه المرتبة في الايمان هي الغاية القصوى التي لا حد لها ولا منتهى والتمثيل لمراتب الايمان والتوحيد بقشر الجوز ولبه على هذا الوجه ذكر صاحب كتاب احياء العلوم بادنى تغيير ثم قال فالاول كالقشرة العليا من الجوز

والثالث

والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشر العليا لا خير فيه بل ان اكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هي القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما يصيب الجسم وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانه يصون اللب ويحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك ايمان الثالث مقصد عال في السالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة غير الحق والالتفات الى ما سواه بالاضافة الى حال من لا يشاهد سوى الواحد الحق تكميل فيه دفع اذا تحقق حقيقة الايمان على هذا الوجه من كونه ذا مراتب شتى وتدرجه في درجات والحسنات وقع علم فائدة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا فان الاول ايمان صوري دنيوي والاخر معنوي اخروي وما اتبعهما فرق ثالا مراتب الايمان متعلقة بمراتب العمل ومتعاكسة كل منهما على الاخرى فان تنقيحها احوط ما هو المختار عند علماء ان الايمان هو عبارة عن نفس التصديق والمعرفة وان الاعمال خارجة عنه بانا لو فرضنا ان احدا عرف الله بالدليل والبرهان ومات بعد العرفان مات ثم تجاوز الوقت ما يتلفظ فيه بكلمة الشهادة وقد وجد الوقت لكنه لم يتلفظ فيه بها ففي هذين الصورتين ان حكمتم بانه مؤمن فقد حكمتم بان الاقرار اللساني غير معتبر في تحقيق الايمان وهو خرق للاجماع وان حكمتم بانه غير مؤمن فهو باطل لقوله لم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف لا يكون مؤمنا فالجواب عن منع خرق الاجماع والحكم بانه من اهل الجنة كالاسلام الغزالي فانه منع من هذا الاجماع في الصورتين وحكم بكونه مؤمنا وان الامتناع عن النطق

يجري مجرى الحق في جامع الايمان اذ لا يخفى عليك ان ما نعتقده من الكلام من الايمان
تكون الفعلي تكون كلا عقليا وصورة باطنة لا تحصل الا عقيب الاعمال الشرعية والاعمال
الدينية والرياضات الشرعية من الصيام والقيام والعبادات والقربات وهذه الامور
منوطة بالتسليم والانقياد لمن عنده الحج والبينات والاذعان والاعتراف بما اتى به
القادة والرؤساء من اهل الشرائع والايات والصورة المفروضة مما لا يمكن ... فيها
عقلا وعادة فلا يصلح في الاحتجاج بل نعوذ بالله انما انعقد على كفر من كلف بالايمان
فلم يظهر الكلمة وهذا مما لا شبهة فيه فانه ... بصدد الجحود والعناد ... والدين واما ...
الا ... وانما بصدد الاباحة والتعطيل والخروج عن التكاليف الدينية فعلى اي الوجهين
يكون كافرا ظاهرا او باطنا تنويـر عقلي اعلم ان الحقيق من الافعال هو المنصب ...
الانسان انسانا حقيقيا عقليا بعد ما كان انسانا حيوانيا ويخرج من القوة الى الفعل في
الوجود العقلي الاخروي ويتخلص عن الجحيم والتعذيب ... عن النيران ...
فبدل الجلود والقربان ... كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب وهي حقيقة الانسانية يعبر عنها بعبارات مختلفة ويسمى
باسامي متعددة في لسان الشرع والعقل فتارة يعبر عنه بالنور كما ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وقوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وتارة بالحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فكل انسان حكيم مؤمن وكل مؤمن حقيقي فهو حكيم اذ الحكمة بالحقيقة هو معرفة
الموجود كما هي بحسب الطاقة البشرية واصل الموجودات هو الباري وملائكته ورسله وكتبه
وتارة بالفقه كما في قوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ... في الفروع الفقهية
في الفتاوى الاحكامية والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ الاقوال المتعلقة
بها كما هو عرف اهل هذا الزمان ... بزمان النبي ... والائمة عليهم السلام
... صاحب الاحياء اسم الفقه كان في العصر الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ودقائق آفات النفس
ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع على السعادة الاخروية
واستيلاء الخوف على الشقاوة التي بازاء هذا والقرب يوجب الشوق الى الدار الاخرة وسعادتها
ويقتضي الخوف والخشية والهرب عن الحرمان الاخروي والشقاوة الابدية ويوجب انذار
القوم وتخويفهم كما اشير اليه في الاية المذكورة هو هذا العلم وهذا الفقه دون تعريفات
اللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به شيء من الرغبة والرهبة الاخروية ولا الانذار
والتخويف بل التجرد عليه على الدوام ... القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين

له وقال ... لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى والاقضية وقال
لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقران وجوها كثيرة
وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسأل فرقد
السبخي الحسن البصري عن شيء فاجاب فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك
وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم
على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم
يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى وتارة يسمى الايمان بعلم الكتاب والسنة كما
في ... ويعلمهم الكتاب والحكمة ... مما وقع التصرف فيه بما كان باراثه
فانه كان مطلقا على علم العلم بالله وباياته وبافعاله في عباده وخلقه فكان مرادفا
للايمان والحكمة وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى اشتهر في الاكثر بصنعة المناظرة
مع الخصوم في المسائل الفقهية والكلامية فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل
لمن ... هذا الفن ومن لا يشتغل به يعد من الضعفاء ... فلا يعدونه من زمرة العلماء
ولم يعلموا ان ما ورد في فضائل العلم والعالم اكثره في العلماء بالله وصفاته وباحكامه في
افعاله فاطلقوا العالم على من لا يحيط من علوم الدين بشيء سوى رسوم جدلية ومسائل خلافية
فيعد من فحول العلماء مع جهله بحقائق التفسير وغيرها وصار ذلك فتنة عظيمة في الدين
مهلكة للخلق عظيم من الطلبة والمشتغلين ومن اسمائه التوحيد وهو في اصطلاح القوم
اسم لحقيقة الايمان وفي المشهور وعند الجمهور عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة المجادلة
والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على تكثير الاسولة وتقرير الالزامات وايراد
الشبهات وتاليف المناقضات والمواقفات ومن هذا المعنى نقلت طائفة من المتكلمين
اصحاب العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد ولهم الشكوك ... عن
كل ... مع انهم لم يات منهم شيء مما بين يديه على السابق على ان جميعها هو خاصية
هذه الصناعة لم يكن يعرف شيء منها في العصر الاول بل كان يشتد النكير من السلف على من يفتح
ابواب الجدل والمراد الا كما استفاد من احاديث ائمتنا سلام الله عليهم اجمعين حيث منعهم
المنع على الكلام وصنعة المناظرة الا على سبيل القصر ... المبتدعين ولما
... اشتمل عليه القران عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الى الاذهان الى ... في اول
السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان علم التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر مستفاد
من القران بجواهر لا يفهمه اكثر المتكلمين وهذا المقام شرحه اجاد في شرح ما ... يرى الامور

كليهما من الله تعالى ينقطع التفاته عن الاسباب والوسائط ويترتب عليه التوكل والرضا والتسليم
لحكم الله وترك شكاية الخلق والغضب عليهم ومن اسمائه العقل المستفاد وهذا اصطلاح
الفلاسفة الموحدين والحكماء الالهيين دون الطبيعيين والرياضيين والاطباء والمنجمين
فانهم بمعزل عن هذا المقام ومعرفته واسم العقل من الاسماء المشتركة التي يطلق على معان اخرى
كالالة التي استعملها الحكماء في علم النفس ويعدون من مراتب النفس في استكمالها وترقيها من حد الاولى
الى حد الكمال الاخير هو العقل بالمعنى المراد فيه ههنا لفظا لا بما يعرف في شرعنا وذلك
حيث ذكروا ان للنفس درجات في القوة والكمال احدها درجة استعدادها الاول عند
خلوها عن العلوم كلها كحال الطفل بالنسبة الى الكتابة وهو المسمى بالعقل الهيولاني تشبيها لها
بالهيولى الاولى الخالية عن الصور كلها بحسب ذاتها والثانية درجة استعدادها الثاني بجهة
اطلاعها على البديهيات فتتهيأ لادراك النظريات اما بالفكر او الحدس وتسمى عندهم
بالعقل بالملكة ثم تحصل للنفس بعدها قوة وكمال اما القوة فهي ان يكون بحيث ان يطالع
المعقولات المخزونة عندها متى شاءت من غير تجشم وطلب وهذه هي القوة القريبة من الفعل
وتسمى عقلا بالفعل واما الكمال فهو ان يكون المعقولات حاصلة بالفعل مشاهدة وتسمى
العقل المستفاد وهذان العقلان متعاكسان في التقدم والتأخر من جهة الحدوث والازدياد
وبقاء الاخير يكون لان الدار الاخرة اللهم الا لبعض الكاملين من اخوان التجريد واما
اقر كم ينبغي ان يحصل للنفس الانسانية من تصور المعقولات حتى يقع لها به الاستواء
العقل بالفعل المفارق العقل المستفاد من جهة الاستعداد الاخروي في حصول السعادة العقلية
وتخلص من الشقاوة التي بازائها المسماة بالجهل المضاد للعلم اليقيني الايماني فقد قال
صاحب الشفاء اني لست يمكنني ان انص عليه نصا الا بالتقريب واظن ان ذلك ان يتصور نفس
الانسان المبادي المفارقة تصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عليها بالبرهان
ويعرف العلل الغائية للامور الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية التي لا تتناهى
ويتقرر عندها هيئة الكل ونسب اجزائه بعضها الى بعض والنظام الاخذ من المبدأ الاول
الى اقصى الموجودات الواقعة في ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة
للكل اي وجود يخصها واية وحدة تخصها وانها كيف تعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه
من الوجوه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها ثم كلما ازداد الناظر استبصارا ازداد استعدادا
وكانه ليس يتبرأ الانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون اكد العلاقة مع ذلك العالم
فصار له شوق الى ما هناك وعشق لما هناك يصده عن الالتفات الى ما خلفه جملة ونقول انهم

يقدر

ازداد السعادة

ان هذه

ان هذه السعادة لا يتم الا باصلاح
الجزء العملي من النفس انتهى كلامه فهذه التي ذكرها من المعارف التي لابد للانسان الكامل
ان يعرفها هي بعينها من المقاصد التي يستفاد وجود معرفتها عقلا من الايات القرآنية والاخبار
النبوية على تفاريق في الاصطلاح لا في اصول المقاصد وكذا قوله ان هذه السعادة لا يتم الا
باصلاح الجزء العملي يدل على ان الايمان لا يتم الا بان يكون مشفوعا بالاعمال الصالحة
من الطاعات والعبادات كالقيام [illegible] واطعام الطعام وبذل المال للفقراء والمجاهدة
مع اعداء الدين وعمارة بيت الله وحضور مشاهد المسلمين وغير ذلك مما ورد في الشريعة
الحقة فان اصلاح الجزء العملي الذي يصاغ به قطع علائق الدنيا والاغراض النفسانية لا يمكن
الا بالعمل الصالح فالعمل الصالح وان لم يكن داخلا في ما هو المقصود من الايمان كما توهم الا
انه لا بد منه في حصول حقيقة الايمان اي النور العقلي الذي اذا حصل للانسان يصير بصيرا
بالامور الغيبية والحقائق الملكوتية الغائبة عن مشاهدة الحواس فصل
فقوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب اشارة الى ما ذكر اي انهم يصدقون تصديقا بالاشياء
المرتفعة عن هذا العالم الخارجة عن مدارك الحس الظاهر كوجود الباري والملائكة
واللوح والقلم والاخرة من الجنة والنار والصراط والحساب والميزان وتطاير الكتب
ونشر الصحف واحوال القبر والبعث واهوال المحشر وغير ذلك مما لا يستقل باثباته عقول
الخلائق بانفرادهم الفكرية ولا بالحس الفطرية وانما ينكشف بنور متابعة الشريعة
والاقتباس من مشكاة الوحي والنبوة والغيب في اللغة مصدر اقيم مقام اسم الفاعل
كالصوم بمعنى الصائم والمعروف ذكروا في قوله يؤمنون بالغيب وجهين احدهما وهو المختار
الى مسلم الاصفهاني ان يكون صفة للمؤمنين ومعناه انهم يؤمنون بالله حال الغيبة كما
يؤمنون حال الحضور لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن ونظيره قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
ويقول الرجل نعم الصديق لك فلان بظهر الغيب وكل ذلك مدح للمؤمنين
بان ظواهرهم يوافق بواطنهم ومباينتهم حال المنافقين الذين يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم [illegible] هذا القول لا يخلو من ضعف وركاكة فان سوق الكلام في هذا المقام
من التأكيد في بيان عظمة القرآن بكونه كتابا من عند الله وعلما الهيا لا يحوم حوله الشك و
لا ياتيه الباطل ونورا يهتدى به المتقون في طريق الاخرة وسبيل النجاة مما يدل دلالة
واضحة على ان الخطب فيه اعظم من ان يوصف اهله والحاملون لاسراره والمستبصرون
بانواره وعالم الملكوت بانهم ليسوا عن اهل الدنيا والايمان بحجاب منافقين لا مستهزئين

بل هم اجل قدرا واعظم شانا من ان يتوقف في كمال يقينهم على [illegible] والغايبين والقول
وعليه جمهور المفسرين ان الغيب هو ان يكون غايبا عن الحاسة وهذا هو القول المختار ولا يخفى
تمكن اصحاب هذا القول ثم ذكروا ان الغيب ينقسم الى ما عليه دليل والى ما ليس عليه دليل فالمراد من هذه
الاية هو الذي عليه دليل فيدخل فيه العلم بالله وبصفاته والعلم بالاخرة وبالنبوة والشرايع والاحكام
وسبب كون العلم بها مدحا للمومنين ان في تحصيل هذه العلوم بالاستدلال مشقة فيصلح
ان يكون سببا للثناء والتعظيم اقول وفيه ما لا يخفى من التعسف لما علمت من ان اصل الايمان
الحقيقي نور من انوار الله القاه على باطن الانسان وهو كمال حقيقي وسعادة حقيقية
يوجبها لا لانه في تحصيل العلوم المتعلقة بها مشقة بل لانه الغاية التي لاجلها خلق
الانسان في بني العالم والاكوان ولما يترتب عليه من الاجر والثواب ثم لا يستوي الميزان ولا
يجوز الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين بخلاف [illegible] الافعال
حتى [illegible] ذلك [illegible] مظلمات وهمية
تزول بانوار عقلية ثم ان القايلين بالقول الاول احتجوا بوجوه الاول ان قوله الذين
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فيه ايمان بالاشياء الغايبة
فلو كان المراد من قوله يومنون بالغيب هو الايمان بالاشياء الغايبة لكان المعطوف
عين المعطوف عليه وانه غير جايز الثاني انه لو حملناه على الايمان بالغيب يلزم القول بان
الانسان يعلم الغيب وهو خلاف قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وكذا الايات
النافية لكون الانسان عالما بالغيب اما لو فسرنا بما قلنا فلا يلزم هذا المحذور الثالث
ان اطلاق الغيب انما يجوز على ما يجوز عليه الحضور فعلى هذا لا يجوز اطلاق الغيب على ذات
الله وصفاته فلو كان المراد من الاية الايمان بالغيب بهذا المعنى لما دخل فيه الايمان بالله
وبصفاته ولا يبقى فيها الا الايمان باليوم الاخر وذلك باطل لان الركن الاعظم في الايمان
هو الايمان بذات الله وصفاته فحمل اللفظ على هذا المعنى [illegible] والجواب اما عن الاول
فبان قوله يومنون بالغيب يتناول الايمان بالغايبات اجمالا وقوله والذين يومنون بما انزل يتناول
بعضها بتفصيل بعضها وهذا من باب عطف التفصيل على الجملة كما في قوله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال واما عن الثاني فبانه لا نزاع في انا نؤمن بالاشياء الغايبة عنا فكان ذلك
التخصيص لازما في الايات الدالة على نفي العلم بالغيب عن الانسان على اي وجه كان فنقول
الغيب على ضربين منها ما يتطرق اليه الدليل والبرهان ومنها ما لا يكون كذلك فالانسان
ان يعلم من الغيوب ما عليه برهان بان هداه الله اليه باقامة البراهين او بالهامه عليه

الموت الشديد كيف وقد شاع عند العلماء ان الاستدلال بالشاهد على الغايب احد اقسام
الادلة واما عن الثالث فنمنع ان لفظ الغيب لا يستعمل الا فيما يجوز عليه الحضور ولا نرى ان
المتكلمين يقولون هذا من باب الحاق الغايب بالشاهد ويريدون بالغايب ذات
الله وصفاته وعندي جواب اخر لا يسع به الا من تمسك بعنقه قلوب جماعة كما شم رايحة
المذكور من رايحة الورد فان الاستشمام روايح رياحين العالم القدسي لا بد من دماغ
صافية عن ممارسة الاهوية الرديئة خالية عن عفونات اخلاط اهل الدنيا الدنية
توجيهات نقلية قال بعض المفسرين معنى يومنون يصدقون بجميع ما اوجبه الله
او ندب اليه او اباحه وقال الحسن معناه يصدقون بالقيامة والجنة والنار وعن ابن
عباس بما جاء به من عند الله وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة ما غاب عن العباد
علمه وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت
خروجه واكثر كونه منتظرا بالقران والخبر اما القران فقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض الاية واما الخبر فقوله لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله
ذلك اليوم حتى يخرج رجل من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملا الله الارض
عدلا كما ملئت جورا وظلما وقيل الغيب هو القران وهو قول زر بن حبيش وكانه اراد
القران وتاويلات الايات وقيل المراد بالغيب هو القلب والمعنى يومنون بقلوبهم
لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ويمكن حمل ما روي عن ابن مسعود من انه
قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية على هذا
المعنى كما امكن حمله على كل من الوجهين السابقين اعني قول من جعل قوله بالغيب صفة
للمومنين وحالا عن ضمير يومنون كما مر او عن المومن به وقول من جعل صلة الايمان
واوقعه موقع المفعول به فالباء اما للتعدية او للمصاحبة والله اعلم قوله جل اسمه
ويقيمون الصلوة اما معنى الاقامة للصلوة فذكروا فيه وجوها احدها تعديل
اركانها وحفظها من ان يقع في فرايضها خلل وفي ادابها زيغ من اقام العود اذا قومه
وثانيها ادامتها والمواظبة عليها كما قال تعالى الذين هم على صلواتهم دائمون من قامت السوق
اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يرغب فيه
واذا اضيعت كانت كالكاسد الذي لا يرغب فيه [illegible] من غيرها وثالثها
[illegible] من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها بل من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه

وتشمر له وتفصل شكر عن الهم وتقاعد عنه ورايتها فانها عبارة عن ادائها عبر بالاقامة
لاشتمالها على القيام وهو بعض اركانها كما عبر عنها بركعة كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح قال والتسبيح اذا صلى لوجود التسبيح فيها كما قال فلولا انه كان من المسبحين واذا نظرت
في هذه المسائل وجدتها مشتركة في معنى الوجوب والايجاد مع تفاوت في مراتبها الكمال في النصف
فالاول كما لله والثاني في ادامته والثالث تاكيد والرابع تحصيل شيء منه فالاول احمل الكلام وعلى
ما هو الكلام في المشاء واشهر وتوسط الحقيقة وافيد لما هو المقصود بالذات وهو على ادائها
من غير خلل في اركانها وشرائطها وهذا يوصف الباري باقامته ويقيم الا انه يجيد دوام وجوده
وايجاده للاشياء وادامته الا من اقامه في دوام فضلها اوحل وجودها الظاهرة من الخضوع
والتشوق وحقوقها الباطنة من التوجه الى الله والخروج بقلبها الى الحضرة . . الى
والخشوع بين يدي الحكم الذين هم عن صلوتهم ساهون فهو في طرح ذاته العظيم
والاجر الجسيم ولذلك ذكر الله تعالى في سياق المدح والمتقين المصلين
واما معنى الصلوة في اهل اللغة فقيل الفا الدعاء ومنه الحديث اذا دعي احدكم الى طعام
فليجب فان كان صائما فليدع له بالبركة والخير وقيل من الصلي وهي النار من قولهم
صليت العصا اذا قومتها بالصلي والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وباطنه مثل من يحاول تقويم
الخشبة واصلاحها بعرضها على النار اقول وههنا سر لطيف لا يمكنني ضبط عنان
القلم عن كشفه وهو ان الانسان في بداية الامر في غاية الجموح والقساوة كالحجارة او اشد
قسوة منها لعدم المناسبة له الى حضرة نور القدس دائما بلين جلده وقلبه لذكر الله على
التدريج على التدريج بواسطة تلطف سره بالرياضات والتلطيفات وذوبان صلصاله بنتيجه
باذابة التكاليف الدينية والعقلية حتى يبلغ الى مقام يتمحض كبد بحرارة الشوق
والمحبة ثم يشتعل زيت قلبه بنار التوبة والندامة ثم يلتمع مصباح روحه بنور بمعرفة
والمعرفة واصل الكلام فيما ذكره على ان الموجودات متفاوتة في الوجود بحسب الكمال ولا بد
ان يسلك في سبيل الله ويتدرج في الدرجات ويترقى في منازل الوجود الى اعلاها
فيرقى من الحجود الى منازل الموجودات الارضية والمائية الى آخر منازل الموجودات الحقيقية
والنارية كالجن والشياطين ومنها يأخذ في سيره الى منازل الموجودات النورية
وهي مراتب الملكوت الاعلى فلا بد من ورود في سيره الباطني اولا الى نشاة من نشاة
النيران سواء كانت في الدنيا او في العقبى كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا فان وصلها في الدنيا فيقع الخلاص منها والا فسوف يعذب بها في العقبى

او في وجوه على النار في الدنيا الحيا او عن احراق قلبه اولا بنار التوبة والندامة والمجاهدة وذوبان جسمه
بنار الرياضات والتكاليف الشاقة ثم بنور اشتعاله في قلبه بنار الحركات الفكرية والانتقالات
النفسانية وهكذا حتى يجاوز من هذه المقامات بحرقة البرهان ونور الايمان الى عالم الانوار
الملكوتية فيتخلص عن عذاب الابرار ويجل في منازل الجنان حميما ودرجات كما قال تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فاذا تقرر هذا فاعلم ان الصلوة اشد
العبادات تاثيرا في تحصيل الباطن وتليين الجلود والقلوب لذكر الله وذهب الحجاب عن كونه
الامتحان لاشتمالها على نار الايمان والمعرفة ونار الخوف والخشية ونار الشوق ونار التعظيم والندامة
ونار الفكر والرياضة النفسية والبدنية في الحركات كما ان الحلي يعود التمر وفي مدينة ابريز
كان يسير الاجل وقالت الصلوة عبارة عن الملائكة من قوله تطا نصلى نارا حامية سيصلى
نارا ذات لهب وسمي الفرس الثاني من افراس المسابقة مصليا وقال صاحب الكشاف الصلوة
فعلة كالزكاة من زكى فكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلي
يفعل في الشيء في ركوعه وسجوده وقيل الداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد
واعترض عليه صاحب التفسير الكبير بان هذا يفضي الى طعن عظيم في كون القرآن حجة لان لفظ
الصلوة من اشهر الالفاظ شهرة واكثرها دورانا على السنة المسلمين واشتقاقه من تحريك الصلوين
من ابعد الاشياء اشتهارا فيما بين اهل النقل والنحو وان قال في الاصل ما ذكره حتى وان الصريح
حتى صار بحيث لا يعرف الا لاحاد لكان مثله جائزا في سائر الالفاظ ولو جوز ذلك
لما قطعنا بان مراد الله من هذه الالفاظ ما يتبادر الى افهامنا لاحتمال انها كانت موضوعة لمعان
اخر في زمان الرسول صلعم وكان مراد الله تعالى تلك المعاني لكنها خفيت في زماننا كما وقع
مثله في هذه اللفظة ولما كان هذا باطلا بالاجماع علمنا ان هذا الاشتقاق الذي ذكره مردود
باطل انتهى كلامه وفيه لا يخفى من التعسف فان اشتهار اللفظ في المعنى الاصطلاحي المنقول اليه
دون المعنى المنقول عنه لا يقدح في الحكم بكونه منقولا بحسب الرواية والضبط من اهل اللغة ولا
يوجب ذلك عدم الاطلاع على معاني الالفاظ القرآنية في سابق الزمان كزمان نزول القرآن
اذ بواسطة ضم القرائن المعلومة مع تتبع موارد الاستعمالات العرفية وتتبع معاني الالفاظ المفردة
وغيرهم الذين كانت ازمنتهم قريبة من زمان النبي يحصل الاطلاع التام على معاني هذه اللغات
في ذلك الزمان بلا ارتياب ولا شك والصلوة في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجه
وشرائط مخصوصة وهل ابطل ان هذا اللفظ منقول من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس
بنقل بل تخصيص لانه يطلق على الذكر والدعاء في مواضع مخصوصة ان قالوا ان الصلوة المعهودة

من اعظم العبادات البدنية فهو لا يصلح الا من عبد جعله الله تعالى اشتغالا بالملك الباري واذكارها انما هي
بفضل البادي المفيض لله على الوجود لاشتمالها على الاعمال العقلية والبدنية واحتوائها على هيئة
الخضوع والتذلل لله ولهذا كانت واجبة في جميع الشرائع المتقدمة والملل الماضية كما في الاحاديث
الربانية في الملة الا انه قد تركها بعض النواميس ان الصلوة بجميع الاجزاء والهيئة مطاعة للعقل
في توجيه النفس الى [illegible] استعمال الجوارح فيها [illegible] عن مقتضاها طلبا للرضا ايان وتلك
الاشتغال بخطاب النفس والتذلل [illegible] والاقرار بالذنب والمسألة في الخضوع الا ترى الى الرجل
كيف يخضع بين يديه بالتكبير واما ذلك الاستعاذة في شيء يخاف ايقاعه عليه فطالب له استقالة عنه
وكان هلاك اليونانيين اولا وخالفوا الاخرى [illegible] انهم تقدموا اليهود ان يخبطوا ايديهم بسط
التضرع لرب الطامة انهم على الخوف والذي [illegible] في الملعبة واما الركوع فكما يتمكن الرجل
من نفسه من حال الغريب عند [illegible] لا يحمد الا [illegible] امكن من الركوع واما السجود ووضع الوجه في
مراتب الاقدام فمن احتماله ذلك بحق عظيم فلهذا كانت فصول الصلوة افضل الاشياء من العفو [illegible]
كما ان الصوم من افضل الاشياء لدفع آفة الشهوة انتهى كلامه مكاشفات عقلية متعلقة باسرار
الصلوة [illegible] وحكمة وجوب الطاعات وسر التكليف بها [illegible]
ظهور آثارها [illegible] المظاهر الكونية [illegible] الالوهية [illegible] في نوع الانسان
الذي هو اشرف الاكوان وقد اوجد الله للعبادة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وطبائع اكثر الناس مجبولة على الهوى والعدول عن نهج الحق والانحراف عن سنن اهل الحق كما اشار اليه بقوله
وقليل من عبادي الشكور وبقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله واكثرهم للحق كارهون
وبيان هذا البيان في كثير من الاحاديث القدسية والنبوية مثل قوله كلكم ضال الا من هديته
فاسئلوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته فاسئلوني ارزقكم وكلكم مذنب الا من عصمت
فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفروا غفرت له ولا ابالي فلو ترك الناس اهل الاهواء
طبائعهم وتركوا سدى فيما بينهم وبين طبائعهم لتوغلوا في الدنيا وانهمكوا في اللذات الجسمانية
وطلبوا دواعي الهوى الظلمانية لتراكمهم واعتيادهم بها من الطفولية والصبى حتى [illegible]
وانحطوا عن رتبة الانسانية [illegible] والتحقوا بالبهائم والسباع كما قال تعالى وجعل منهم القردة
والخنازير وان تحفظوا ودعوا بالسياسات الشرعية والعقلية والحكم والآداب النبوية
[illegible] وتنورت بواطنهم بنور الملكية كما قال الشاعر هي النفس ان تهمل تلازم خساسة وان تبعث
نحو الفضائل تلهج ولهذا وضعت العبادات وفرض عليهم تكرارها في الاوقات المتعينة لتزول بها
درن الطبائع المتراكمة في اوقات الغفلات وظلمة الشواغل العارضة في ازمنة الاتحاد

محض

اللذات

اللذات وارتكاب الشهوات ويتنور بواطنهم بنور الحضور ويلتفت قلوبهم بالتوجه الى الحق
عن السقوط في هاوية النفس والعنود وينشرح صدورهم [illegible] وينشرح صدرهم ويستريح
بروح الروح [illegible] عن وحشة الهوى وتفرق الكثرة كما قال [illegible] الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما من الصغائر ما اجتنبت الكبائر الا ترى كيف امرهم عند الحدث الاكبر بمباشرة
الشهوة وتطهير الهيكل بالغسل وعند الحدث الاصغر بالوضوء وعند الاشتغال بالدنيوية
في ساعات الليل والنهار بالصلوات الخمس المنزلة لتكون وارداتها بركات الحواس الخمس الحاصلة
للنفس مترتبا كل بما يناسبه وكذلك وضعوا بازاء تفرقة الاسبوع وظلمة انفرادهم بوجوب
الاشتغال بالمكاسب والملابس البدنية والملاذ الجسمانية اجتماع قوم على العبادة والتوجه الى الحق
ليزول وحشة التفرقة بانس الاجتماع والحضور ويحصل بدل ظلمة النفرة نور الحضور الايماني
ويرفع عنهم ظلمة الاشتغال بالامور الجزئية والاعراض عن الحق من جهة الاغراض المختصة الشخصية
وهكذا الحال في اكثر التكاليف اذ مرجع العرضية اكثرها الى تصفية القلب عن ظلمة الدنيا
وتجرد الباطن عن كدورة الطبيعة ودرن اللذات الجسمانية وتخليص العقل عن طاعة
الهوى والشيطان بنور طاعة الحق بالايمان مكاشفة اخرى فطرية وجوب الصلوة خالقا
من بين العبادات على كافة الناس بوجه عقلي ان الشارع ان جميع افراد الانسان لا يتفقون
عن خصيص الغريزة فلا يتفقون في مدارج العقل الى درجة الملكية بحسب الحرفة والاخلاق
فلا جرم سوى لهم رياضة بدنية وهادهم سياسة تكليفية [illegible] الطبيعية وحفظ
لهم القوى الانسانية وراعى فيهم احكام النسك العقلية وهيكل العبادات الملكية فجعل
لهم كاعلاة في الاذكار والاوراد والزمهم ترك النسيان بتكرير الاعداد وهي في الوجوب لعمومهم
وفي الحسن اعظم ليربط بظواهر اشخاص الانسان ويمنعهم عن التشبه بسائر الحيوانات واقتضى
بهذا الهيكل الظاهر على كل بالغ عاقل فقال صلوا كما رأيتموني ولو قال صلوا كصلوتي في الخفي
صلى مثل صلوتي لانه كان يصلي ولصلوته ازيز كازيز المرجل من البكاء وكان في صلوته يرى من
خلفه فقد ظهر ان في صلوة الغائب مصلحة كثيرة لا يخفى على اللبيب العاقل ولا يعترضه لسان
الجاهل المعاند وهذا المعنى من الصلوة قد كانت واجبة على الامم السابقة على اعداد اكثر
من اعداد صلوتنا هيئة وجوبها وكانوا مكلفين باعمال جسمانية كثيرة المشقة لغلبة
القسوة [illegible] والجسمانية عليهم وقلة آثار الملكوتيين منهم وشريعتنا لما كانت
على [illegible] الصلوة [illegible] اقل تكاليفا واكثر منفعة لصفاء القوابل ولطافة
القلوب ورفع الحجاب في امته بجلال الله ولذلك قال بعثت بالشريعة السهلة السمحة

مكاشفة اخرى في كيفية وجوب الصلوتين القلبية والقالبية ان الله تعالى بعث النبيين
معلمين بالكتاب والحكمة واضعين من قبل الله الشريعة والملة متممين للمدارك والمسالك ضمنوا
للناس النواميس الالهية ليزجروهم عن حضيض البرزخ الظلماني ويرفعوهم الى اوج العالم النوراني
ليحشروا في سلك الملائكة المقربين وينغمسوا في جوار القدس مع الانبياء والصديقين
رحمة من الله وفضلا ومنة فشرع كل منهم باذن الله لامته شرعا اعطته العناية الالهية
واقتضته الحكمة الازلية في ذلك الوقت والزمان من الاعمال القلبية والبدنية ما يكمل به قواهم
العلمية والعملية بحسب طاقتهم ولما كانت الحكمة الجلية على معتقيها واله افضل الخلق واعلمهم
حكمة وذلك لانه اكمل موجود في هذا النوع الانساني بل هو اكمل الممكنات علويها وسفليها روحانيها
وجسمانيها وكان خاتم النبوة بنبوته وكمل [illegible] واتم كلا واقوم وحكمته احكم وكتابه
وشريعته ابلغ ودعوته اتم كانت امته خير امة اخرجت
للناس والى ذلك اشار بقوله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وبقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فخص
المحمديون بوجوب حقيقة الصلوة والذكر القلبي والمعرفة الالهية التي هي روح الصلوة كما كتبت
عليهم صورة الصلوات الخمس المكتوبة وامروا بالمواظبة عليها والمحافظة لها وتكريرها في كل يوم
بهيئة مشتملة على امر الهي واوقات معينة له وهي ذكر الله تعالى وقراءة الكتاب بالحق ومناجاته كما
كلام المصلي مناج ربه وروح الصلوة وهي معرفة الحق وتعظيمه وتنزيهه عن نقايص الامكان
اشد وجوبا على بواطن العلماء الكاملين من صورتها وهي القيام والقعود والقراءة والركوع
وساير الهيئات والاوضاع على ظواهر ساير الناس قال سبحانه ومن اعرض عن ذكري فان
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى مكاشفة اخرى في تحقيق القول
من سبيل آخر قد بان لك ان للانسان شيئا من العالم الاسفل وشيئا من العالم الاعلى
واعني بالعالم الاسفل الدنيا وما فيها وبالعالم الاعلى الآخرة وما فيها ولذلك كل عمل من الاعمال الدينية
قشر ظاهر ولب باطن فالقشر متعلق بالدنيا واللب متعلق بالآخرة وكما ان مقصود الشارع من طهارة
الثوب وهو القشر الخارج ومن طهارة البدن وهو القشر القريب انما هو طهارة القلب وهو اللب
وطهارته عن نجاسات الاخلاق كالكفر والحسد والنفاق والجهل والرياء وغيرها فكذلك مقصود
الشارع من صورة كل عبادة هو الاثر الحاصل منه في القلب فلا يبعد ان يكون للاعمال الصورية تاثير في
تنوير القلب واصلاحه كما لا يبعد ان يكون للظاهر ايضا تاثير اشراق نورها على القلب فانك
اذا اسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في القلب انشراحا وصفاء لا تصادفه
قبله كيف وارتباط النشاة الظاهرة يوجب حصول صورها في القلب وهذا امر من الوجود وفضل الطهارة

اوجب حصولها في القلب ولو بوجه ضعيف وذلك لسر العلاقة الواقعة بين عالم الشهادة
وعالم الغيب فان ظاهر البدن من عالم الشهادة والملك والقلب من عالم الغيب والملكوت
باصل فطرته وانما يكون هبوطه الى هذا القالب كالغريب من موطنه الاصلي ونزوله الى ارض
عالم الشهادة من الجنة التي هي موطنه وموطن ابيه المقدس لحنانا يتصل به كما عن ابيه
وكما ينحدر من معارف القلب آثار الى البدن فكذلك يرتفع من احوال الجوارح انوار الى
القلب ولذلك امر بالصلوة مع انها حركات بالجوارح وهي من عالم الشهادة فلهذا الوجه
جعلها رسول الله صلعم من الدنيا حيث قال حبب الي من دنياكم ثلث الحديث وعد الصلوة من
جملتها ومن ههنا قد شممت شيئا يسيرا من اسرار الطهارة والصلوة وساير العبادات واذا
تقرر هذا عندك وعلمت بمثل هذا التقسيم في جميع العبادات اتضح لك وتاكد عندك اجمالا
قد ثبت اليك ان الصلوة منقسمة الى ما هو جسماني والى حقيقي روحاني فاعلم انه من غلب
عليه الروح الطبيعي والحيواني فانه ناظر بحيث نظام امره وتزيينه وتعظيمه واكله وشربه
ولبسه وطالب جذب منفعته ودفع مضرته فهذا الطالب بمراد الحيوانات وزمرة
البهائم فانه مستغرق باهتمام بدنه واوقات عمره مصروفة الى مصالح جثته
وخسيسة هو غافل عن الحق جاهل بامره فلا يجوز له التهاون بهذا الامر الشرعي الالهي
الواجب فان تعهد عنده الساعات والزواجر يكره عليه ويجبر حتى لا يفوت عنه حق التضرع
والاشتياق الى الله تعالى ليفيض عليه جوده ويخلصه من عذاب وجوده ويخلصه من آمال
بدنه ويوصله الى منتهى امله فان انقطع عنه قليل خير تسارع اليه كثير شر ولكان ادنى
درجة من البهائم واضل سبيلا من الانعام ومن غلب عليه قوة الروحانية وتسلط على هواه
قوته الناطقة وتجرد عن محبة الدنيا وعلايق العالم الادنى فهذا الامر الحقيقي والتعبد
الروحاني وذكر الله القلبي ومناجاته وقربه اوجب عليه واشد وجوبا واقوى الزاما كما قال
الحكمة اشد تحكما على باطن العاقل من السيف على ظاهر الاحمق لمن استعد بطهارة نفسه وشرافة
عقله ليفيض عليه ما هو اقبل بشغفه واجتهاده في تعبده لتسارع اليه جميع الخيرات الصلوتية
والسعادات الاخروية حتى اذا انفصل عن جسمه وفارق الدنيا يدخل عليه الملائكة من كل باب ويشاهد
مفيضه وموجده ومكمله ورب الارباب ويجاور حضرته ويلتذ بمشاهدته ومجاورته وهم
سكان مدن الملكوت وقطان عالم الجبروت مكاشفة اخرى في سر الصلوة
وروحها من جهة اشتمالها على ظاهر جسماني وباطن نفساني اعلم ان الصلوة عبارة عن تشبه
ما للنفس الانسانية بالاشخاص الكريمة الالهية في تحريكها للاجرام الفلكية لما اشتد

شأنه بالانسان حين اشتغل بالصلوة الكاملة بتلك الاشخاص الكريمة بارواحها الملكية في تعبدها الدايم وركوعها وسجودها وقيامها وقعودها طلبا للثواب السرمدي وتقربا الى المعبود الاحدي ولذلك قيل الصلوة معراج المؤمنين وقال الصلوة عماد الدين واصل الدين تصفية الروح عن الكدورات الشيطانية والهواجس النفسانية والصلوة الحقيقية هي التعبد للمبدأ الاعلى والمعبود الاعظم والجزء الاشرف والنفس الحقيقية عرفان الحق جل مجده وعظم برهانه بالسر الصافي والقلب النقي والنفس الفارغ عن هذه الصلوة التي هي عماد الدين هو العلم بوحدانية الله ووجوب وجوده وتنزه ذاته وتقدس صفاته واحكام افعاله ونفاذ امره في خلقه وجريان قضائه وقدره فلا لا دقيقه في لوحه وتعلق عنايته ورحمته بعباده وانزاله كتبه على رسله وجمع العباد في معادهم البدوية مثول الارواح والنفوس بين يديه وقيام صفوف الملائكة والروح اليه مع الاخلاص له بالعبودية واعني بالاخلاص ان يعبد الله بان لا يشرك احدا واته يعلم ذاته وصفاته وانها لا يحيط لا يبقى للكثرة فيشرعا ولا للاضافة اليه مترعا ومن فصل هذا فقد اخلص وصلى ومن ضل وغوى ومن لم يفعل هكذا فقد افترى وعصى والله اجل من ذلك واعلى واغنى هكذا اشفت اخرى في جواب جواب هذا السؤال ان هذه الصلوة قد وجبت على سيدنا محمد في ليلة مباركة لما صعد الى العالم العلوي وتجرد من بدنه وتنزه من امياله ولم يبق معه من آثار الحيوانية شهوة ومن لوازم الطبيعة قوة ولا من الدواعي النفسانية بقية فناجى ربه بقلبه وروحه منقطعا عن البدن وبل مفارقا عن منازل الجسمية فقال كما روي عنه اني وجدت لذة عجيبة في ليلتي هذه فاعطني يا رب هذه ويسر علي طريقا موصلا في كل وقت الى ذلك فامر الله بالصلوة فقال المصلي مناج ربه ولا يخفى على العاقل المتأمل ان مناجاة الله لا يكون بالاعضاء البدنية ولا بالالسن الجسمانية لان هذه المكالمة انما يصلح لمن يحويه مكان ويقترن به حركة وزمان اما الواحد المقدس الخارج عن عالم المحسوس والحس الذي لا يحيط به مكان ولا يحويه زمان ولا يعتريه تجدد وتغير ولا يشار اليه من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات فكيف يعاينه الانسان المشكل المحدود بجسمه المعين المحصور بحيث قوله نعم وهل وشئ وجسم وكيف يناجي في هذا العالم المركب الخارج لا يعرف حده وجهاته ولا يرى حجاب صفاته فان الوجود المطلق عن عالم المثل والمحسوسات بل المرتفع عن امكان الارواح والعقليات غائب عن الحواس لا يشار اليه بالاجسام ولا يدرك بالالمام ومن عادة الجسم والجسماني لا يناجي ولا يجالس الا من يراه بالبصر ويحس بالحس ويدركه بالحد واذا لم ينظر اليه ولم يشاهده يعده غائبا ويكون نعقله

عن الزنا

عن المشاهدة لما ان كان خارجا عن هذا الباب مقدسا عن ولي هذا النفي والاثبات جميعا في والمرابطة ونفيا فالجامع بالحق الظواهر والالات تحصل المحالات والخس الجزافات فاذن قول المصلي مناج ربه محمول على عرفان النفوس العارفة المستقرة المجردة عن الجسم والمكان وحوادث الحركة والزمان فهم يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويرونه الا انه بصيرة نورية ويسمعون كلامه سماعا قلبيا روحانيا تفريع على هذا ان الصلوة الحقيقية هي التي يليق ان يمدح بها المؤمنين المتقين المهتدين باثر المعارف هذا القرآن وهي التي تنهى عن الفحشاء القوة الشهوية ومنكر القوة الغضبية وبغي القوة الوهمية ولذلك كانت هذه الثلث التي اولاها كالبهايم واوسطها كالسباع وآخرها كالشياطين وذلك الثلاثة كلها حكاية عقلية مع الله عن مشاهدة قلبية له وهي التقرب بالنفس نحو الله الحق والموجود المطلق وجعلها احترازية بواسطة اليه فظا ولاصحاب العلوم من هذه حظ ناقص واذا لم يتعهدوا من حظ الانعام قليلا ولم يتعقلوا من درجة العوام يسيرا وللمحققين قسم وافر ونصيب كامل من هذا المجاز اذ هم قرة اعين في الصلوة المخفية عن الناس ومن كان حوله كما قيل ابراهيم النبي الحكيم يا اهل سبيل الطريق التعبد والمداومة على الصلوة وبالتذمم مناجاة ربه لا يشخصه وينطقه لا يلفظه ويعبده لا يبصره ويحبه لا يجسه واما الجاهل النيم المغرور المحكوم المشغوف بما عنده من العشق الطالب مناجاة للذات عاجز الذوق المتوجه الى تحصيل المنزلة والجاه عند الفتن ومن اتبع الهوى واتبع الشيطان والخوف عن الحق والهدى وحرم الله عليه ان مناجاته كما ورد في بعض الاخبار على نبينا وعليه السلام يا داود ان ادنى ما يصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرم عليه لذة مناجاتي هذا الخبر جاء ذكره ما الفضيع ويا ما من قيل وارتاب وفي بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج مناجاتي من قلبه ولم يجعل الله له نورا فما له من نور قوله جل وعلا ومما رزقناهم ينفقون في الارزاق في كلام العرب الحظ مطلقا قال الله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي حظكم ونصيبكم والعرف خصصه بما ينتفع به الحيوان ياكله ويستعمله وقيل هو ما يملك وهو باطل لان الانسان قد يقول اللهم ارزقني ولدا صالحا او زوجة صالحة وهما مما لا يملكه وكذا يقول اللهم ارزقني عقلا اعيش به والعقل ليس يملك والبهيمة لها رزق ولا يكون لها ملك وقيل هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء وهذا مذهب الحسين البصري وسائر المعتزلة فانهم ذهبوا الى ان الحرام لا يكون رزقا

وذلك لانهم استحلوا من الله ان يمكن من الحرام ويدل الله من الامتناع بالحرام وامر بالزجر
عنه وبما ذكره قال صاحب الكشاف في هذه الاية من جهة اسناد الرزق الى نفسه للاعلام
بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وبقوله تعالى
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا اذ قد بين ان من حرم رزق الله
فهو مفتر عليه فثبت ان الحرام لا يكون رزقا وبما روي عن رسول الله صلعم انه جاءه عمرو بن مرة
فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء
من غير فاحشة فقال رسول الله صلعم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت يا عدو الله لقد
رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك
لو قلت بعد هذه المقدمة شيئا ضربتك ضربا وجيعا والجواب ان قاعدة الاول افادة المنع الشرعي لكنه
من الحرام [illegible] الارزاق [illegible] لا اختصاص اليه وتحقيق هذا المقام يحتاج الى بسط
اكثر من علم الكلام واما عن الثانية فبان اسناد الرزق الى الله على سبيل التشريف والتحريض
على الانفاق وان كان الحرام رزقا كما في يا خالق العرش والكرسي ويا خالق الكلاب والخنازير ايضا
فكقوله [illegible] بالمتقين [illegible] الثالث
بان قل لهم [illegible] المشركين [illegible] ما احل الله من الرزق واما عن الرابع فبان الخبر حجة عليكم
لا لكم لانه [illegible] حرم الله عليك من رزقه صريح في ان الرزق قد يكون حراما
واستدل بعض الاشاعرة بان الحرام لو لم يكن رزقا [illegible]
وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها [illegible] الاستدلال
ضعيف [illegible] حيوانات [illegible] في بعض
الاوقات [illegible] في هذه المسألة يرجع الى بحث اللغة
وهو ان الحرام [illegible] الالفاظ [illegible] الانفاق اخراج
المال من اليد ومنه نفق المبيع نفاقا [illegible] ونفقت الدابة [illegible]
[illegible]
ان [illegible] وكل ما جاء فاؤه نون وعينه فاء يدل على
معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت تلخيصه في قوله ومما رزقناهم ينفقون [illegible]
لطيفة [illegible] الاسراف [illegible]
المنقول [illegible]
واطلق الانفاق حتى يشمل الزكوة وغيرها ومن فسر الانفاق بالزكوة فهو ذكر افضل انواعه

ومما هو

ومما هو لا اصل فيه وانما وقع التخصيص بما [illegible] شيئيتها ولا يخفى ان الانفاق منه واجب
ومنه مندوب والانفاق الواجب اقسام احدها الزكوة وهي قوله تعالى والذين يكنزون [illegible] ولا ينفقونها
في سبيل الله وثانيها الانفاق على النفس والاهل ومن يجب عليه نفقته وثالثها الانفاق في الجهاد و
اما الانفاق المندوب فهو ما سوى ما ذكرناه لقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم
الموت [illegible] الصدقة [illegible] فاصدق واكن من الصالحين فجميع هذه الانفاق من جميع
المعارف التي [illegible] من النعم الظاهرة والباطنة والمالية والعلمية [illegible] قوله صلعم
ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه ولهذا المعنى ذكر بعض المحققين في تفسيره ومما خصصناهم
من انوار المعارف يفيضون [illegible] ان الرزق [illegible] من قبل الله [illegible]
[illegible] الانسان والحيوان فهو مقدر بتقدير الله [illegible] عليه من طريق العقل
[illegible] ذاته وما يوجبه ذاته على الترتيب الاقدم فالاقدم وهكذا الى [illegible] فهو قد
عقل جميع الموجودات من جهة عقله لذاته لان عقله لذاته علة لعقل ما يقتضيه ذاته وان
كان [illegible] وكل ما يعقله لا بد ان يوجد لان علمه علم فعلي لاجل كون علمه عين ذاته
فقد ترتب وجود جميع الموجودات عن علمه بذاته وبما يوجبه ذاته من المبدعات والكائنات
لان الله تعالى [illegible] وجود الكمال من ذاته فكان [illegible] لذاته لا يجوز ان يتغير فكذلك تعقله
بكل ما يقتضيه ذاته [illegible] لا يجوز ان يتغير فكذلك ما يعقل وجوده
من ذاته [illegible] لا يجوز ان يتغير بل وجود كل ذلك على الوجه الذي عقله ووجود
انواع الحيوانات وبقاؤها [illegible] وخصوصا
وجود النوع الانساني وبقاؤه [illegible] وجود هذا النوع وبقاؤه وكذا ساير انواع الحيوانية
المتوالدة ولما كان وجود النوع انما يبقى محفوظا اذا لم يمكن [illegible]
الشخصية [illegible] اشخاصه [illegible] كل شخص منها الكمال الذي يمكن [illegible]
[illegible] لا يمكن الا ببقاء مدة [illegible] تلك المدة [illegible]
قوام [illegible] الرطوبات [illegible] والنقصان على
استيلاء الحرارات الداخلية والخارجية عليها فيحتاج في [illegible] ونقصانها كل
الى البدل وهو الرزق الصوري [illegible] الحيوة البدنية بالرزق [illegible] يعقل وجود
الكمال [illegible] من ذاته [illegible] ما يعقله من ذاته واجب [illegible] بقاء النوع
الانساني ببقاء الاشخاص وتناسلهم ببقاء كل شخص [illegible] به
قوام حيوته وهو الرزق [illegible] انما يكون من النباتية والحيوانية كالخبز واللحم والفواكه والحلاوة

نوجب ان يكون الرزق مضمونا بفضل الرؤوف الرحيم ولذلك قال وفي السماء رزقكم وما توعدون
فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فقد علم ان الرزق سواء كان حلالا بحسب
الشرع او حراما او غيرهما كرزق سائر الدواب واجب من قبل الله وجوبا عقليا كما اشار اليه وما من دابة
الا على الله رزقها **حكاية في هذا الباب** ذكر في كتاب اخوان الصفاء ان بعض خلفاء
العباسية راى شيخا سقاء في داره فقال له كم سنة من عمرك قال كثير فقال له لم صرتم بالكم
طوال الاعمار ونحن قصار الاعمار قال له انت لان ارزاقكم تجيء مثل افواه القرب وارزاقنا تجيء
مثل قطر الاجفان فاستحسن الخليفة وتعجب منه وامر له بجائزة اغناه بها عن حرفته ثم سأل
عنه بعد حين فقيل مات فقال صدق وانتهى اجله والرزق مثل افواه القرب قصر وهكذا الحكم
والقياس قد جعل الله لكل انسان نصيبا من السعادة وقسطا من النعيم وجعل له قسطا في الدنيا
وقسطا في الاخرة كما قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار وقال وما ننزله الا بقدر معلوم فكلما — هذه التدبير في اول سورة الرعد
ما ياخذ الانسان نصيبا وحظا من النعيم والتلذذ في الدنيا قبل ذلك المقدار ينقص حظه ونصيبه
من نعيم الاخرة وهذا وان كان اقناعيا فهو مما يحكم به صاحب الحدس الصحيح ويشهد به الشواهد
والاثار واليه الاشارة بقوله تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ومن كان يريد — هذه التدبير في سورة الاحقاف
حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال النبي
نفث روح القدس في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاتقوا الله واجملوا الطلب وقال — هذه التدبير في سورة حمعسق
امير المؤمنين اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته واشتدت
طلبته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم **تذكرة فيها تبصرة** اعلم ان الرزق عند اهل
الحق هو ما يتقوى به الشخص وينمو ويزيد في جوهره سواء كان من اجل الجسمانية والروحانية
فللارواح ايضا اغذية كما للابدان وغذاء كل موجود من جنسه ومما يشابهه فكما ان غذاء الابدان
من جنسها وهي المطعومات الحسية فغذاء العقول الانسانية ادراك العلوم العقلية اذ
بها حيوة تلك العقول وبها تكمل وتزيد وبعدمها تموت وهلاك ويجب انقطاعها تزيد و
تضعف ولها الرزق المعنوي اعلى وهنا الاشارة في قوله ورزق ربك خير مما يجمعون وفي — هذه التدبير في سورة الزخرف الا ان الرزق خير الرحمة
اوله رسول الله صلعم اللبن بالعلم لان الحي الموصلي ليس الرجل اذا منع عنه الطعام والشراب يموت
قالوا بلى قال كذلك القلوب اذا منع عنها الحكمة والعلم ثلثة ايام تموت وغذاء الملائكة التسبيح و
التقديس وغذاء الفلكيات بما يرد عليها من الواردات والانوار العلوية المجردة على نفس
بواسطة حركاتها المتصلة المستمرة وكذا غذاء كل قوة من القوى الباطنة والظاهرة بمثل ما يشبهها
وادراك ما يناسبها فغذاء الوهم الموهومات وغذاء الخيال المتخيلات وغذاء القوة الباصرة

ادراك

ادراك الالوان الحسية وغذاء الشم بالنسيم والارواح الطيبة وسماع الاصوات وعلى هذا القياس
فما من قوة الا ولها رزق صوري ومعنوي من جنسها وبه يحصل لها بقاؤها وغاياتها وانما تحقيق
هذه المقامات شمول الرزق لجميع الموجودات العلوية والعقلية والروحية والجسمية
والارضية والدنيوية مما يتوقف على الاصول التي وقع الاثبات لها في كتبنا الحكمية كالشواهد
الربوبية وغيرها فليرجع اليها من اراد الاطلاع على هذا المطلب **قوله جل اسمه**
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون
يحتمل ان يراد بهؤلاء الموصوفين بالايمان بما انزل على جميع الانبياء وباليوم الاخر ايمانا
المذكورين سابقا كلا او بعضا وتوسيط العاطف هنا كتوسيط بين الصفات في قولك
هو الشجاع والجواد وقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم على معنى انهم جامعون
بين الايمان العلمي ولوازمه من التقوى عن محارم الله والعمل بما فرض الله عليهم من العبادات
البدنية والمالية وبين الايمان الكشفي بما لا يستقل العقل باثباته من كيفية انزال الوحي
على الانبياء واحوال البعث والحشر وانهم الجامعون بين المعقول والمسموع من الايمان بالله واليوم
الاخر مع العمل الصالح فكرر الموصوف تنبيها على تباين المسلكين وتفاوت المتقين ويحتمل ان يراد
بهم طائفة اخرى وهم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا بالله
لا عن شرك فاشتمل ايمانهم على كل وحي نزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا
عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات
ومن اختلافهم في نعيم الجنة كالتلذذ بالمطاعم والمناكح اهو على حسب مجاري الدنيا ام غيره
واختلافهم في الدوام والانقطاع فعلى هذا الاول يكون هذه الجملة معطوفة على الذين
دخولهم — يؤمنون بالغيب فيكون هؤلاء داخلين مع المذكورين اولا في جملة المتقين اخصيين
متقابلين تحت اسم وجهة التباين ان المراد باولئك هم الذين امنوا عن غيب شرك وانكار
وبهؤلاء مقابلوهم ممن ليس كذلك فكانت الايات تفصيلا للمتقين واما ان يكون معطوفا
على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك وللذين امنوا من اهل الملل والطوائف هم
اهل التزكية واهل التحلية وربما قيل ان قوله الذين يؤمنون بالغيب وان كان شاملا
لاهل الكتاب وغيرهم الا ان دلالته على بعض ما دخل تحته ليس في القوة كدلالة لفظ مخصوص
بإزاء العام مما يحتمل التخصيص بما سوى هذا البعض والخاص لا يحتمل ذلك ولما كان
مزية وقد شرف الله المسلمين بقوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ذكر بعده ذلك
مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه تشريفا لهم والتعيين بقوله والذين يؤمنون بما انزل

اليك الا انّ فی هذا التخصيص بالذکر مزيد تشريفهم واشارة بذکرهم کما فی ذکر جبرئيل
وميکائيل بعد الملائکة وترغيب لهم الی ثباتهم فی الدين القويم والصراط المستقيم فهذا هو
سبب ذکر هذا الخاص بعد ذلک العام فصل المراد بانزال الله الیک صور
الفاظ القرآن السمعية باسرها تنزلا سمعيا الی عالم الاشخاص والاجسام الفانية
عنا وصور معانيها العقلية عن آخرها تنزلا قلبيا الی عالم الارواح القدسية وانما عبّر
عن انزالها بلفظ الماضی وان کان بعضها مما يترقب انزاله لان الاشياء المتجددة فی موطن
الدنيا المتعاقبة فی ازمنة کثيرة انما هی مجتمعة ثابتة فی المواطن العالية فی زمان
واحد دهری واحد کما اشار اليه قوله تعالی ان يوما عند ربک کالف سنة مما تعدون وقوله
ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائکة والروح فيها باذن ربهم من کل امر وقيل لان
القرآن شیء واحد فی الحکم ولان المؤمن ببعضه مؤمن بکله وقيل هذا من باب التغليب المرجو
علما لم يوجد او التنزيل المنتظر المتوقع وفی عمر منزلة الواقع کما فی قوله تعالی انا سمعنا کتابا
انزل من بعد موسی اذ الجن لم يسمعوا جميع القرآن ولم يکن الکتاب حينئذ کله والمراد
بما انزل من قبلک سائر الکتب السماوية السابقة والايمان بجميعها علی الجملة فرض عين لعدم
تحقق الفلاح بدونه کما يستفاد من قوله اولئک هم المفلحون واما الايمان التفصيلی بالمعارف
الالهية المذکورة فيها التی لا بد لمعادنا منها من علم التوحيد وعلم الملائکة وعلم المعاد
وعلم النفس وعلم النبوة والولاية والايات وغيرها فليس بواجب علی کل احد فرض عين والا لزم
الحرج وبطل النظام وتشوش امر المعاش المتوقف عليه امر المعاد بل هو واجب علی الکفاية بقدر ما
هو يتيسر له وخلق لاجله وکذا العلم والايمان باحکامها الاولی دون الثانية تفصيلا ومن جهة
کوننا متعبدين بتفاصيل احکامها فرض علی الکفاية لا غير لما ذکرنا فصل فی کيفية
انزال الوحی علی الانبياء عليهم السلام کما يجب علينا الايمان بالکتب المنزلة علی الانبياء عليهم
فکذلک يجب علی المؤمن ايمانا تحقيقيا بما انزل اليهم من حيث کونه منزلا اليهم ايمانا تحقيقيا لمن
يعلم کيفية الانزال والايحاء وارسال الانبياء عليهم السلام وهو من ثمرة العالم باويل القرآن ای طالب
هذا العلم ويتعاطاه فی الوابع طائفة جماعة من المفسرين وغيرهم من المتکلمين ان المراد من انزال
الوحی ان جبرئيل سمع فی السماء کلام الله تعالی فنزل به علی الرسول صلعم وهذا کما يقال نزلت رسالة الامير
من القصر والرسالة لا تنزل ولکن المستمع سمع الرسالة من علو فينزلها ويؤديها فی سفل وقول
الامير لا يفارق ذاته ولکن السامع يسمعه ويؤدی بلفظ نفسه وربما استشکل بعضهم هذا
ای سماع جبرئيل کلام الله تعالی بان کلامه ليس من جنس الاصوات والحروف فاجاب اعنی انما المعتزلة

فبان

فبانه يخلق الله اصواتا وحروفا فی لسان جبرئيل وهذا معنی الکلام عندهم واما الاشاعرة
فتارة بانه يحتمل ان يخلق الله له سماعا لکلامه ثم اقدره علی عبارة يعبر بها عن ذلک الکلام
وتارة بانه يجوز ان يخلق الله فی اللوح المحفوظ کتابة بهذا النظم المخصوص فقراه جبرئيل ع
فحفظه وتارة يجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا المخصوص فی جسم مخصوص فتلقفه جبرئيل
ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لمعنی ذلک الکلام القديم هذا خلاصة
ما ذکروه فی هذا المقام وطائفة استدلوا علی کون الملائکة اجساما متحيزة بان وصف القرآن
بالنزول الذی لا يتصف به الا المتحيز بالذات دون الاعراض سيما غير القارة منها کالاصوات
انما هو بتبعية محله سواء اخذ حروفا ملفوظة او معانی محفوظة وهو الملک الذی يلقف
الکلام من جانب الملک الاعلی تلقفا سماعيا او يتلقی القرآن تلقيا قلبيا او يحفظه من اللوح
المحفوظ ثم ينزل به علی الرسول ولا يتمشی ذلک الا القول بتجسم الملائکة وهذا هو مسلک
ارباب الجدال والتخييل دون اصحاب البصيرة والتحصيل واما علی مسلک هؤلاء ومشاهدهم من العقول
بما هو صريح الحق وما عليه کابر الحکماء الالهيين والربانيين من الاسلاميين وهو ان الملائکة
کانهم علی قبائل علويات وسفليات سماويات وارضيات قدسيات وجسمانيات وفی القبائل
شعوب وطبقات کالقوی المنطبعة والطبائع الجوهرية والنفوس المفارقة وارباب الانواع
والصور المفارقة والعقول القادسة بطبقاتها انواعها واتوارها ومنها روح القدس المنبأ
باللوح الذی فيه صور اوامر الله الخاص القاصية باذن الله وغير ذلک مما لا يعلم اعدادها
ولا انواعها الا الله کما قال وما يعلم جنود ربک الا هو وقال صلعم اطت السماء وحق لها ان تئط
ما فيها موضع قدم الا وفيه ملک ساجد او راکع فالامر غير مشتبه علی الناسخ منهجهم والماشی ماشاهم
وقد مر منا القول بان کلام الله ليس مقصورا علی ما هو من قبيل الاصوات والحروف ولا علی ما هو
من قبيل الاعراض مطلقا الفاظا کانت او معانی بل کلامه ومتکلميته يرجع الی ضرب من قدرته
وقادريته ولطف فی کل عالم من العوالم العلوية والسفلية صورة مخصوصة وطائفة اخری
اقتصروا علی القول بالتلاقی الروحانی والظهور الصفاتی بين النبی صلعم والملک الحامل للوحی
فسموا ظهور الصفات فی نفوس الانبياء عليهم السلام تنزيلا وسموا الهبوط العقلی بالنزول
الحسی وللعقلاء والروحانی بالانتقال المکانی فيکون قولنا انزل القرآن مجازا بتبعية ذلک
الاستعارة التبعية وهذا ايضا اسراف فی حول التنزيل کما فی القول الاول افراط التشبيه
وان فی کلا القولين زيغا عن طريق الصواب وحيدا عما هو حد الاعتدال والالباب وشقا
لعصا الامة تفرقها المفترقة والحاديها النبوة المتوارثة وخرقا للقوانين العقلية المنضبطة

وجل نفسه وتنزه عن هذه الشواغل العارضة في اليقظة تخلص بقوتها المتخيلة عن غ
الطبيعة بجهة الى عالمها متصلة بابيها المقدس وهو روح القدس وبمن شاء الله
تعين من الارواح المقدسة ويستفيد من هناك العلم والحكمة بالانتقاش على سبيل الترشح او العكس
كمرآة مجلوة حوذي بها شطر الشمس ولكن حيث ان النفس كونت بعد في دار غربتها بالطبع ولم
ينسلخ ولم يرتفع ادبالها بالكلية من علاقتها المتصرفة بقواها البدنية وجنودها
الحسية اذ انها لم يتجرد عن عالم التمثيل بالكلية وان تجردت عن عالم المادة بالكلية فيكون
مالها فيما شاهده في ذلك الشأن وتلك الدرجة تحول الملك الحامل للوحي على صورة متمثلة
في شبح شخص بشري ناطق بكلمات الهية منظومة مسموعة كما ان الخط فتمثل لها بشرا سويا
يعني بذلك تمام الصورة عنده لا انه روح متطايل كما زعمه الظاهريون من الحكماء ممن
لا تحقيق له في علم النبوات كان من سبيل الظاهر والاخذ عن مادة خارجية بل بالانحدار اليه
من العالم الاعلى والنزول اليه من جانب الباطن وصقع الافاضة فان الشأن في السماع والابصار
المشهورين ان يرتفع صورة المسموع والمبصر من المواد الخارجية الى نوع الانطباع ثم منه
الى عالم الخيال والمتخيلة ثم يصعد الامر الى النفس الناطقة كما هو المعروف عند الجمهور
والمثبت منهم في الكتب وعندنا النفس يرتفع من المحسوس الى المتخيل ومنه الى المعقول والصور
ثابتة في احيازها وعوالمها وفي ابصارها الملك وسماع الوحي وهما الابصار والسماع الحقيقيان
ينعكس الشأن فينزل الفيض من عالم الامر الى النفس فهي يطالع شيئا من الملكوت مجردة غير
متحجبة بقوة حسية او خيالية او وهمية ثم يفيض من النفس الى القوة الخيالية المتخيلة
فيتمثل لها الصورة بما انضم اليها من الكلام في الخيال من معدن الافاضة وصقع الرحمة ثم
يحل الصورة المتمثلة والعبارة المنظومة من الخيالية المتخيلة الى الحس المشاهد بل النفس
ينزل من العالم الاعلى الى الاوسط ثم الادنى فتشاهد في كل عالم ما يتعارف فيها وبما يناسبها
عكس الحالة الاولى لان تلك الحركة عروجية وهذه نزولية فيسمع الكلام ويبصر الصورة في كل
عالم من العوالم الثلاثة وهذا افضل ضروب الوحي والانحاء وله انحاء مختلفة ومراتبها متفاوتة
بحسب درجات النفس وقد يكون في بعض الدرجات فلا يختص المسموع والمبصر بجهة من جهات
العالم بخصوصها بل الامر يعم الجهات باسرها في حالة واحدة وقد يكون بخلاف ذلك وفي
الحديث ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ص كيف يأتيك الوحي فقال احيانا يأتيني مثل صلصلة
الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني
فاعبر بالقول المذكور بما يكون في حالة النفس النبوية تارة ثم تجردها في بعض الاحايين او قوة سلطانها

فالامة منطبقة على ان النبي ص كان يرى جبرئيل وسائر ملائكة الله المقربين عليهم السلام ويريهم
بالعيان ويسمع كلام الله الكريم على لسانهم العذب بسماع الحسيين في الانسان بوجود الصورة
البصرية كالالوان والاشكال وغيرها والصورة السمعية كالاصوات والحروف والكلمات عند النفس
بقوتها الباطنة المدركة للجزئيات الصورية وتمثلها بين يدي الحس الباطن اما الذي هو مجمع
الحواس الظاهرة وانما المبصر بالحقيقة والمسموع بالحقيقة من الشيء المماثل بين يدي الحس الظاهر
هو صورته الحاضرة في ساحة النفس الناطقة وصقع ملكوتها واما وجود تلك الصورة الجسمانية
الخارجية ومادتها الوضعية فهو مورد الابصار بالعرض واقصد الثاني وليس لحصولها خارج المبصر المادي
بنسبة الوضعية لما ذكر بالقياس الى الالة الجسمانية الدراكة وحيلولتها للالات هي اسبابها
المادية وليست لجهل الاطلاع من المرايد القرضية للابصار الذي هو قيام الصورة المبصرة في
حضرة النفس لذا الاطلاع والحد من طرق الحصول الصوري والمثول الانكشافي النوري لها عند
النفس ما دام كونها في هذه النشأة الاولى عظيمة الشأن ويمكن حصولها بطريق اخر للنفس
وعلى هذا القياس تكلمه السمع وغيره بسبب حصول الصورة مطلقا هو واهب الصور والافاضة
من المقادير والنفس في ذاتها سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا وان انحلت عنها هذه الالات
العنصرية الداثرة البائدة وانما الحاجة لها الى هذه الالات ما دام كونها الناقص الذي
وعدم خروج قواها وحواسها الباطنية من القوة الى الفعل فيستضيء بها من ظلماتها هذه الحواس
وغبار هذا العالم الداثر ويروضها الله من في باب هذه المقابر ويشاهد المحسوسات بقوتها
المتخيلة ونحن قد اقمنا البرهان العرشي على جوهرية القوة الخيالية وتجردها عن المادة
البدنية في الشواهد الربوبية عند البحث عن تحقيق المعاد الجسماني فمن كانت نفسه واقلة
الهمة في الجنبة السافلة ضعيفة الانجذاب الى الجنبة العالية قليلة التوجه الى ميادين
الحق وعالم القدس لم يكن لجوهر قلبه سبيل الى مطالعة الصور الغيبية الا من طريق الحواس
الظاهرة والانفعال من الالة البدنية وحضور المادة الخارجية فاما اذا كانت نفسه قوية
العزيمة مجتمعة الهمة قدسية الفطرة نقية الجوهر بحسب جبلتها المفطورة او بحسب ملكتها
المكتسبة وبالجملة شديدة الاستحقار للعالم الحسي قاهرة القوة على تسخير القوى وضبطها
ذات سلطنة على خلع البدن ورفض الحواس الظاهرة والانصراف عنها الى صقع الملكوت باذن
ربها فهي مستقل بقوة نفسها المتخيلة الغير المنغمسة في قوى البدن عن استعمال الحواس الظاهرة
فله ان يتلقى الصورة الجزئية من معادنها الاصلية من غير استعانة بتلك الالات ويقتدر
على تصويرها في صورها المقدارية في عالم التصور لخلاصة عن هيئة المواد متى شاء وحيث شاء فيها

صحل

على انفسهم الصور في الجسم الكثيفة والشواغل الهيولانية اعظم فيكون عند الانصراف عن عالم
الحس والاتصال بروح القدس واستفاضتها منه يجيء هو ذات المجردة اشد مغايرة بالشبح المتمثل
فيشاهد بصره انما العاقلة القابلة عقلا والمتمثل معلمها القدسي ويخرجها من حد
القوة النفسانية الهيولانية الى حد الكمال العلمي والعقل الصوري ولنستفيد منه وهو في صورته
القدسية العلوية والاحوال الكلية ذو التعاليم شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى
ربما وصل النبي صلى الله عليه وآله الى مقام اعلى من ان يتوسط بينه وبين المبدأ الاول المفيض على الكل واسطة
فيسمع كلام الله بلا واسطة كما قال تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
ما اوحى وقد ذكر ان النبي صلى الله عليه وآله رأى جبرئيل عليه السلام بصورته الحقيقية مرتين وكان يرى في غيرهما
والى مثل هذه الرؤية اشار بقوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ودون هذا
القرب ما يرد حالة مما يتفق لمن له من القوة القدسية نصيب اذ يرى صلاة وتحكمه الله وليسمع كلام
الله ويكون في النوم لا في اليقظة وسبيل القول ايضا الآن الامر ههنا ينتهي الى القوة المتخيلة
ويقف عندها نحو كاهله وتفصيلها وترتيبها لما تقطع لعند النفس من عالم الملكوت من
دون ان يتمثل الصورة بالفاظها المعبرة بين يدي الحس وذلك لضعف القوة الخيالية
او لقوة العائق وكثافة المادة فان القوة الخيالية المترعرعة ما يفعل فعل الحواس الظاهرة
كلها افعل ما كانت قوية وكان العائق البدني ضعيفا فلها ان يميز الحواس عن افاعيلها
وبهذا يتحقق الفرق بين مطالعة الانبياء عليهم السلام للصور الباطنة وبين مطالعة
غيرهم اياها كالاولياء والحكماء فان الرؤيا الصادقة لنفوس العرفاء والصالحين انما هي
واقعة في هذا الطريق غير واصلة الى درجة النبوة وبلوغ الغاية ولهذا ورد في الحديث انها جزء من
ستة واربعين جزءا او من خمسة واربعين او من سبعين جزءا على اختلاف الروايات ومضارعة
مرتبة الرؤيا باقصاها كما ان ما وقع المحدثون بفتح الدال المشددة وهم الذين يرفضون
عالم الشهادة ويصعدون الى عالم [illegible] يسمعون الصوت في اليقظة من سبيل الباطن لكنهم
لا يعاينون شخصا متمثلا كما ذكر في المفاتيح الغيبية وفي كتاب الحجة من كتب الكليني رحمه الله باب
في الفرق بين الرسول والنبي والمحدث والائمة عليهم السلام كلهم محدثون مفهمون. فصل
شريف متعلق بقوله وبالآخرة هم يوقنون اعلم ان اليقين هو العلم بالشيء بحيث ان يكون
صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يقول القائل تيقنت ان السماء فوق الارض وان الكل اعظم من
جزئه لعدم الشك في ذلك واهل العلم الحادث او المكتسب فيستعمل ان العلم بالآخرة ومعارفها لا يحصل الا من جهة
العلم بما في الدنيا ثم انه مدحهم بكونهم متيقنين بالآخرة وعلى ان يحصل الايقان بها الا بعد

لا يوجب

لا يوجب استحقاق المدح بل لا يستحق المدح الا من يتيقن وجود الآخرة مع ما فيها من الحشر والنشر والصراط
والميزان والجنة والنار وما فيهما من نعيم السعداء وجحيم الاشقياء وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشأة الاولى
وينكر النشأة الآخرة وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وكل يوم وليلة يموت ويحيى يعني
النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ويسعى لدار الغرور وعجبا للمتكبر الفخور
وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة واعلم انه انما صار عجبا ممن يعرف النشأة
الاولى وينكر النشأة الاخرى لانهما متضايفان والمتضايفان معا في التعقل فمن انكر
الآخرة فكانه لم يعرف الدنيا بحسب التعقل بل بالحس فقط وتحقيق هذا المقام ان الآخرة صفة
للنشأة او الدار وانما وصفت بها لانها متأخرة عن النشأة الاولى والدار الدنيا وانما سميت
الدنيا بالدنيا لانها ادنى من الآخرة بالقياس الينا لا بحسب الترتيب الوجودي فان هذه الدار اخس
العوالم والنشأة وجودا وشرفا لان موجوداتها آخر الموجودات وابعدها في سلسلة الابتداء عن
المبدأ الاول والبدن الكثيف للانسان في مبدأ كونه وحدوثه هو من جملة الموجودات التي
في هذه الدار والمحسوس ولهذا احتاج الى جوهر نبيه حاس وبحياته تمام حقيقته وكمال الجنس
بريم نوعه ويكاد جنسه تماما من حيوان الا ولقوة الحس ان يحس كان وان كان وجود قوة اللمس
وهذا اول مراتب الحيوانات كالدود وذباب الطين وآخر مراتب الحيوانية يتحقق فيما له الحواس
الظاهرة والباطنة جميعا فان كان مع ذلك مستعدا لادراك المعقولات بالقوة فهو الواقع في
آخر الدرجات الحيوانية واول النشأة الانسانية ومنازلها واول منزل من منازل الانسان
الذي يشارك فيه سائر الحيوانات هو نشأة الحس ويقال لها الدنيا وعالم الشهادة ويقابله
الآخرة وعالم الغيب وهذا العالم هو منزل الابدان والقوى الطبيعية والآخرة منزل النفوس
وبعدها منزل الارواح القدسية وللانسان ان ينتقل من منزل الى منزل فالمحسوسات منزله
الاول والمتخيلات منزله الثاني والمعقولات منزله الثالث وهذا الانتقال هو بعينه
من قبيل الانتقالات الفكرية الواقعة له من المحسوس الى المتخيل ومنه الى المعقول فله في نشأة
الحس وعالم الشهادة والانسان ما دام كونه في هذه النشأة بحسب الطبع غير متنبه الحواس
فهو يعد من جملة البهائم والدواب والانعام واذا انتقل الى نيل المتخيلات والروحانيات
مقتصرا عليها فهو من قبيل الجن والشياطين اذ الجن والشياطين ادراكاتهما مقصورة على المتخيلات
وليس يفتح لهم باب الملكوت الاعلى فبهذا المنزل يترقى الانسان الى ادراك الامور التي لا تدرك
في حس ولا تخيل الا وهم فيشاهد الامور المستقبلة الدائمة ويكاشف الصور العقلية وبهذا الادراك

الحقائق الاخروية والسرور الابدية ويصل الى السعادة القصوى التي ليس ورائها سعادة وهذا هو
اقرب نتائج الانسان وبه يتم حقيقته الانسانية لان تمام حقيقته هي الروح المنسوبة
الى الله تعالى في قوله ونفخت فيه من روحي واذا علمت هذه المقدمات فاعلم ان معنى الايقان بالآخرة
الذي مدح الله بطائفة من العرفاء والمحققين من اهل الايمان المهتدين بنور الله هو
مكاشفة احوال الآخرة ومشاهدة الارواح المجردة عن غشاوة هذه القوالب بواسطة انفتاح
باب الملكوت على دوائر القلوب واعني بها الارواح الحقائق المحضة والصور المجردة عن
كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا انتهاء لها ولا نهاية لها بخلاف عوالم المحسوسات والمتخيلات
فانها متناهية فاكثر الناس ادراكها مقصور على عالم الحس والتخيل من الطبيعيات او المقدمات
ولم يؤمنوا بما وراء المحسوس والمتخيل ولم يعلموا علم ما قبل الطبيعة ولم يؤمنوا بها كما كان الفضلاء من اكثر
الناس دون من هم موقنون وهذا لان هذه النشأة الاخيرة من نتائج عالم الملكوت بتمامه ثم
المحسوس فانه القشر الاقصى من اللباب الاصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكانه لم يشاهد من مراتب
الجوز الا قشره ومن عجائب الانسان انه بشر جامع لكل حد ومحله ومنزل وسعادة في العلو
والسفل بعقله وادراكه وهو معنى قول امير المؤمنين ع الناس ابناء ما يحسنون اي يعلمون وبه
يعملون فالانسان بحسب ان يكون بهيمة او جنيا او ملكا وللملائكة درجات ثم الفعال الملكوت
وفيه منبع الخوارق الا بينة مثل المشي على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذا لما قيل لرسول الله
ان عيسى ع كان يمشي على الماء قال لو ازداد يقينا لمشى في الهواء واما التردد على المحسوسات فهو كالمشي
على الارض وبينها وبين الماء اي عالم الملكوت عالم يجري مجرى السفينة والمعبر بين عالم الملكوت الاعلى وفيها
يتولد درجات الجن والشياطين فمتى جاوز الانسان عالم البهائم ينتهي الى عالم الجن والشياطين ثم منه
ينتهي الى عالم الملائكة وقد نزل فيها دنيا وشرح ذلك يطول وهذه اصول كلها منازل الهدى و
تكون الهدى المنسوب الى الله يوجد في العالم الاخير وهو عالم الارواح وهو قوله قل ان الهدى هدى
الله ولهذا لما وصفهم اولئك الموقنين بالآخرة على طريقة المدح بقوله عز وجل اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون يعني هذا الاستعلاء بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه تشبيها
بحال من اعتلى الشيء وركبه واستعارة لعلي الموضوع عن الشاذ للاولو ونظرهم فاوردها للحق وفاوت
على الباطل وربما وقع التصريح بذلك في قولهم ركب على متن الجهل وجعل الغواية مركبا والجهل مطية
واستطراء الباطل وتحقيق القول ان كونهم على الهدى تكون الادراك للامور العقلية وتكرار الاشتغال
بملاحظة الاشياء الملكوتية والمواظبة على الافكار الصحيحة ودفع الشكوك والشبهات عن المعارف
الحقة وطرد شياطين الاوهام والخيالات بنور المعرفة واليقين حتى يحصل للنفس ملكة الاتصال

بعالم

بعالم الملكوت متى شاءت من غير تجشم وكثير تعمل فكانه تعمقهم اما ملحوظ بالايمان بما انزل على الانبياء
عليهم السلام والاطلاع على معاني الصحف الالهية من التلاوة وتمكنهم بالاقامة على ذلك واد
النظر على حراستها عن شبه الضالين واوهام المعطلين وذلك واجب على كل عاقل اذا كان مسود
في الدين خايفا رجلا محاسبا نفسه في علمه وعمله بمقتضى البراهين واذا حرس نفسه عن الزيغ
والضلال وداوم على العمل للآخرة من غير اخلال كان ممدوحا بكونه على هدى وعلى بصيرة و
شكر هدى الله لا له على ضرب بينهم لا يبلغ كنهه ولا يعلم غوره ولا يعرف قدره كما قال بعض الاكابر
الهدى من الله كثير لا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها كل بصير ولا
يهتدي بها الا العالم الخبير واعلم ان الوجه في انتظام هذه الآية وتعلقها بما قبلها ان
الجملة في محل الرفع بالخبرية اذا جعل الموصولين مفصولين عن المتقين فوقع الابتداء به
اما بالذين يؤمنون بالغيب او بالذين الثاني مع صلته وذلك لانه لما قيل هدى للمتقين
فكانه سئل ما بالهم خصوا بذلك فوقع الجواب بقوله الذين يؤمنون الى قوله اولئك هم
المفلحون يعني ان الموصوفين بهذه الموصوفين بهذه الصفات احقاء بان يكونوا مختصين
بالهدى والفوز على الفلاح ويحتمل الاستيناف فلا يكون لها محل من الاعراب فكانه نتيجة للاوصاف
والاحكام المتقدمة او جواب عن سؤال كانه قيل ما بال الموصوفين بهذه الصفات اختصوا
بالهدى فاجيب بان مثلهم حقيق دون غيرهم بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وايراد اسم
الاشارة في هذا المقام ابلغ من ان يستانف باعادة الاسم وحده لان ذلك بمنزلة اعادة
الموصوف بجميع صفاته المذكورة فكان فيه ذكر المقتضي لكل واحد من الامرين الهدى والفلاح
على سبيل الاستقلال وان كلا منهما كافية في تميزهم عن غيرهم وتوسيط العاطفة وعدم
توسيطها في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون لاختلاف الخبرين
ههنا واتحادهما هناك فان التسجيل عليهم بالبهيمية وبالغفلة شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للاولى فهي من العطف بمعزل وهم اما فصل وله فوائد تمييز الخبر عن الصفة
وتخصيص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف
في المفلحون الدلالة على ان المتقين الموصوفين بتلك الصفات هم الذين بلغك انهم
من اهل الفلاح والمفلح هو الظافر بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذا المفلج
بالجيم وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين دال على معنى الفتح والشق نحو فلق وفلذ
وفلى ولهذا سمي الزارع فلاحا وشقوق الشفة السفلى افلح وفي المثل الحديد بالحديد
يفلح مبحث كلامي احتج كل واحد من الفرقتين الوعيدية والمرجئة

بهذه الآية على حقيقة مذهبها اما الوعيدية فبان الحصر المستفاد من اولئك هم المفلحون
وتعليق الحكم على هذا الوصف السابق المشعر بكونه علة كل منهما على ان الاخلال بشيء من الايمان
والصلوة والزكوة يوجب عدم الفلاح وتحبيته وعمل مرتكب الكبيرة كتارك الصلوة والزكوة
وان تحقق فيه اصل الايمان واما المرجئة فبان مقتضى الآية وجوب ان يكون الموصوف بهذه
مفلحا وان زنى وسرق واذا تحقق الفلاح في هذا البعض تحقق في غيرهم ضرورة اذ لا قائل بالفرق
والجواب عنهما اولا بالمعارضة على كل منهما بالآخر فيتساقطان ثم عن حجة الوعيدية بان
المراد من قوله تعالى اولئك هم المفلحون انهم الكاملون في الفلاح فيلزم ان يكون غيرهم
كصاحب الكبيرة غير كامل في الفلاح ونحن قائلون بموجبه اذ الفلاح التام ما لا يكون معه خوف
العقاب الواجب وتجويز عدم الخلاص وبان نفي السبب الواحد لا يوجب نفي المعلول اذا
كان له سبب آخر وعندنا من اسباب الفلاح عفو الله وعن حجة المرجئة بان وصفهم بالتقوى
والايمان الكامل يكفي سببا للفلاح وحصول الثواب لتضمنه اتقاء المعاصي واستيفاء ترك
الواجبات تحقيق عرشي اعلم انه سيخلد اهل النار في النار وجه العقوبة ان الملكة
الراسخة في النفس بواسطة الافاعيل الموجبة لحصولها هو ههنا بمنزلة الطبع والرين في المرآة
المقتضي لعدم قبولها للصيقل والتصفية سواء كان منشأها الكفر والجحود او المعاصي و
السيئات فان النفس الانسانية في الفطرة الاولى قابلة لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين
وآثار البهائم والسباع قبولا متساويا وانما يقع المنع عن قبول بعض تلك الآثار بواسطة
حصول بعض اضدادها ومتى استحكم حصول البعض فيها بحيث صار ملكة راسخة فيها منع بالكلية
عن قبول آثار الغير حتى تغلب على القلب صفات البهيمية والسبعية او الشيطانية بحيث ذاتها
صارت ملكة كالطبع والرين لمرآة القلب فكدرتها واظلمتها وصارت مانعة لها عن قبول
صورة الرحمة الرحموتية والهيئة الملكوتية منعا كليا ابديا فيكون المانع هنا الصفة
ذاتية جوهرية كما حقق في محل اوسع من هذا المجال وقد مرت الاشارة الى ان الانسان
في اول امره يمكن ان يكون بهيمة او سبعا او شيطانا او ملكا وفي الآخرة لا يكون الا احد
هذه الامور لاجل غلبة بعض الصفات المختصة به على قلبه من جهة تكرر الافاعيل المناسبة واليه
نحو هذا المعنى اشير في قوله فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقوله كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون فاذا تقرر هذا فرب كبيرة من المعاصي توجب تكررها فعلها على النفس خلودها في
النار لضعف الايمان وقوة العلائق ورب كبيرة لا يكون كذلك لقوة الايمان وضعف
العلائق فيحتمل العفو عنها والله اعلم باحوال قلوب العباد ومثل هذا لا يناقض الآيات

الدالة

الدالة على ثبوت الوعيد من الله على صاحب الكبيرة والآيات الدالة على ثبوت العفو عمن يشاء
وسيزيد هذا وضوحا في موضع آخر ان شاء الله تعالى قوله جل اسمه ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ان من الحروف
بما هي حروف لا اصل لها في العمل لكن ان واخواتها لما شابهت الفعل في عدد حروفها وبنائها
على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه وخصوصا المتعدي في دخولها على اسمين عملت عمله
الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه ومعناها تاكيد
النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويذكر في معرض الشك
روي ان الانباري سأل الكندي المتفلسف ركب الى المبرد وقال اني اجد في كلام العرب حشوا اجد
العرب يقول عبد الله قائم ثم يقول ان عبد الله قائم ثم يقول ان عبد الله لقائم فقال له
المبرد بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقول الاول اخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال
سائل والثالث جواب عن انكار منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد اذا كان اشارة
الى جماعة معينة كابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس
اذا اريد المتناول للمصممين على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه
والكفر في اللغة اخفاء حق النعمة وهو منقول لغويته عن الكفر بالفتح وهو الستر
ولهذا يقال للزارع الكافر وكذا الليل ولكمام الثمرة كافور وفي عرف الشريعة انكار
ما علم بالضرورة من دين نبينا ص وذلك ان كل ما نقل بعضهم انه ذهب اليه وقال
به فاما ان يعرف صحة ذلك النقل بالضرورة او بالاستدلال او بخبر الواحد اما القسم الاول
وهو الذي علم بالضرورة مجيء الرسول ص به فمن صدقه في جميع ذلك فهو مؤمن ومن لم يصدقه
في كل ذلك ~~فهو مؤمن ومن لم يصدقه في كل ذلك~~ فاما بان لا يصدقه في جميعها او بان لا يصدقه
في البعض دون البعض فذلك هو الكافر فالكفر عدم تصديق الرسول ص في شيء مما علم
بالضرورة مجيئه به ومثاله من انكر وجود الصانع او كونه عالما قادرا مختارا او كونه
واحدا منزها عن النقائص والآفات او انكر صحة نبوة النبي ص او صحة القرآن او الشرائع
التي علم كونها من دين نبينا ص كوجوب الصلوة والزكوة وحرمة الزنا والخمر فهو كافر
لان كان ضروريا من هذا الدين فاما الذي يعرف بالدليل فهو مثل كونه
تعالى عالما بالعلم او لذاته وكونه جائز الرؤية ام لا وكون كلام الله قديما او محدثا
وكونه خالق افعال العباد ام لا فما لا يشتغل بالتواتر القاطع احد طرفيه فليس انكاره والاقرار به
داخلا في ماهية الايمان ولا موجبا للكفر والدليل عليه انه لو كان جزءا من ماهية الايمان

يوجب ان لا يحكم النبي صلعم بايمان احد الا بعد ان يعرف انه هل يعرف الحق في تلك المسألة ولو كان
كذلك لاشتهر قول النبي صلعم في تلك المسألة بين جميع الامة ولكان منقولا بالتواتر وليس
الامر كذلك ونفي اللازم يوجب نفي الملزوم فوجب ان لا يكون معرفتها من اجزاء الايمان ولا انكارها
موجبا للكفر واما المنقول بخبر الواحد فالامر فيه ظاهر فهذا تحقيق ماهية الكفر على قاعدة
الاستدلال لان المتكلمين وظهر منه انه يرجع الى الانكار الباطني وعدم التصديق القلبي فيكون
من اعمال القلب كالايمان لكونهما متقابلين بالذات لانهما تقابل التضاد او تقابل العدم والملكة كالعلم
والجهل فعلى هذا لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما انما يسمى كفرا لانها تدل على تكذيب الرسول
صلعم فان من امن بالله وصدق الرسول لا يجتري عليها ظاهرا لا انها كفر في نفسها كما ان التزين
بشعار المسلمين دال على الايمان لا انه ايمان واما تحقيق حقيقة الكفر عند العرفاء
الذين يعرفون الامور بالبصيرة الباطنية لا بالاستدلال الكلامي فهو عبارة عن
الاحتجاب عن نور الايمان لما علمت ان الايمان الحقيقي نور فايض من الله على القلب به يكشف
احوال المبدأ واسرار المعاد وهذا الايمان قشر وهو ايمان المتكلم ولقشره قشر وهو ايمان
العوام فالكفر الذي يقابله هو الستر والاحتجاب عن ذلك النور بالكلية وهو على ضربين
لان هذا الاحتجاب اما بامر وجودي كالظلمة التي تضاد ذلك النور وهو جحود الحق
والانكار له عدوانا وعنادا او الجهل المركب الراسخ في النفس او بامر عدمي هو عبارة عن عدم
الايمان كالجهل البسيط المقابل للعلم تقابل العدم والملكة وقد وقع الفرق بين القسمين
في كلام الله كثيرا كما في هذه الاية الاية والتي تتلوها فقد قيل ان المراد ههنا بقوله
الذين كفروا مشركي مكة وصناديد قريش من الذين غلظت طبايعهم وغلبت الكثافة والحمية
على نفوسهم والختم على قلوبهم وقلوبهم في اكنة ونفوسهم لم يخرج بعد من القوة الى الفعل
لعدم السمع الباطني والبصر الباطني لهم ونظيره ما قال تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون الاية وقوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر والمراد بقوله ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر رؤساء اليهود واحبارهم الذين عاندوا الحق وانكروا الايات و
جحدوها وكانوا يخادعون الله ورسوله وهؤلاء اسوء حالا واردء مالا من المشركين وسنزيدك
ايضاحا ان شاء الله فصل احتجت المعتزلة على حدوث كلامه سبحانه بان الفاظه هذه
الحروف والاصوات وشيئا اخر ان الاخبارات الواقعة في القران بصيغة الماضي الدالة على
تقدم الواقعة المخبر عنها بهذه الصيغة عليه اذ القديم لا يكون مسبوقا بغيره واخبارات الله

عنه

عنه بما هو المشهور عنهم بان التجدد والمضي والانقضاء وغيرها كلها صفة تعلق الكلام
وحدوث التعلق لا يوجب حدوث الشيء المتعلق نظيره في صفة العلم ان الله تعالى
في الازل عالم بان العالم سيوجد فلما اوجد انقلب العلم بانه سيوجد في المستقبل علما بانه
قد وجد في الماضي ولم يلزم حدوث علم الله فكذا ههنا انه تعالى اخبر في الازل
بانهم سيكفرون فلما وجد كفرهم صار ذلك خبرا عن انهم قد كفروا ولا يلزم حدوث كلامه
الفريقين في هذه المسألة كثيرة لا طائل تحتها ولا يؤمن الخوض فيها الا بعد عن الحق و
تشويش في القلب والصواب الرجوع عنها الى طريقة اهل الله والاقتباس من مشكوة النبوة
بحق المتابعة للرسول واله عليهم السلام فصل قوله سواء عليهم هو اسم
بمعنى الاستواء وصف به كما وصف بالمصادر ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله
في اربعة ايام سواء للسائلين يعني مستوية وهو مرفوع اما بانه خبر لان وانذرتهم
او لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الكافرين مستو عليهم انذارك
وعدمه او بانه خبر لانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المبتدأ المقدم عليه خبره والجملة خبر لان
بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما وقع لان سواء اسم فتقريره بقولك الفعل
ترك لظاهره بالضرورة فاما صيرورة الفعل مبتدأ مخبرا عنه ههنا مع انهم اتفقوا على ان
الفعل لا يكون مخبرا ولا مخبرا عنه فمن قال ضرب يخرج لم يكن اتيا بكلام منتظم فالوجه
في صحته ان الفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا كان على ما هو حاله وتمام مفهوم الموضوع
له من حيث اشتماله على المعنى النسبي الممتنع الحكم عليه وبه واما لو اطلق واريد به اللفظ كما
في قولك ضرب على وزن فعل او مطلق المعنى الحدثي الدال عليه الفعل ضمنا على سبيل الاتساع فهو كالاسم
فهو كالاسم فيما يختص به من الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى اذا قيل لهم امنوا وقوله ثم
بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه ولا ... اذا قلنا الفعل لا يخبر عنه فهذا خطأ اذ قد صار الفعل مخبرا
عنه ولان المخبر عنه بانه فعل لا بد ان يكون فعلا والفعل قد اخبر عنه بانه فعل فان قيل
المخبر عنه تلك الكلمة اسم قلنا اذا كان اسما كان الاخبار عنه بانه فعل لا يخ اما ان يكون
اسما او فعلا فان كان اسما فقد حكمت على الاسم بانه فعل فيكون كاذبا وان كان فعلا فقد
وقع الاخبار عن الفعل وهو المط وهذا الوجه الاخير والذي قبله مما ذكره صاحب الكبير
واقول هذه شبهة كشبهة المجهول المطلق لا يجوز التمسك بها في هذا المقام ونظايرها لانها
مغالطة المصادرة بما حقق في الحكمة الميزانية وهو ان حمل الحكم العقلي بالاتحاد بين شيئين

فهو على ضربين احدهما الحمل الشائع كما في قولك الفرس حيوان في الذاتيات وزيد كاتب في العرضيات ومفاده اتحاد الامرين في الوجود ومحصله ان كون الموضوع من افراد المحمول سواء كان فرديته بالذات او بالعرض وسواء كان الحكم على افراد الموضوع كما في القضية المحصورة او على نفس مفهومه كما في القضية الطبيعية وثانيهما الحمل الذاتي الاولي ومفاده كون احد المفهومين عين الآخر سواء كان بنفسه كما في حمل المرادفين احدهما على الآخر كقولك الانسان بشر او كان بينهما تفاوت بالاجمال والتفصيل كما في قولك الانسان حيوان ناطق اذا حكمت على نفس المفهوم في المثالين فاذا تقرر هذا فنقول كل شيء فهو يصدق على نفسه بالحمل الاولي لاستحالة سلب الشيء عن نفسه لكن بعض الاشياء مما لا يصدق على نفسه بالحمل الشائع بل نقيضه يصدق عليه بهذا الحمل وبعضها يصدق على نفسه بكلا الحملين فالاول كالجزئي فانه ليس بجزئي لان مفهومه كلي وكالكلي فانه مفهوم والثاني كالكلي والمفهوم ونظائرهما فقولك الجزئي جزئي والجزئي ليس بجزئي كلاهما صحيح صادق من غير تناقض عند اختلاف الحملين ولهذا اعتبر في شرائط التناقض بين القضيتين وحدة سوى الوحدات الثمان المشهورات ثم ان من جملة الاشياء التي تصدق وتكذب على نفسه وعنها مفهوم الفعل ومفهوم الحرف فان كلا منهما يصدق على نفسه ويكذب عنها ايضا من غير تناقض فمفهوم الحرف مفهوم باحد الحملين بمعنى انه عين مفهوم ما دل على معنى في غيره كعين كلمة الجنس المحدود وغيره بالحمل الآخر اذ يصدق عليه حد الاسم كما لفظ الحرف و ما انه يصدق عليه حد الاسم اي كلمة دلت على معنى في نفسه وعلى هذا فقس الفعل فقد ثبت بتحقيق ما ذكرنا ان الفعل اذا اريد به المفهوم العنواني يجوز الحكم عليه وبه بالاتفاق لانه من افراد الاسم كقولك الفعل ما دل على معنى مقترن باحد الازمنة وهذا غير ما نحن فيه اذ لا بحث عنه هنا ولم ينقل خلاف فلا حاجة فيه الى الكلام فان اريد هذا المعنى وهو الذي يصدق عليه حد الفعل ومفهومه كضرب وعلم وامثالهما فهل يصح الاخبار عنها ام لا وهذا هو محل البحث وموضع الخلاف وبما ذكرنا تبين صحة الاخبار عن ما يصدق عليه الفعل لو وجه كما ذكرنا ولا من جواز ذلك عند الضرورة وعلى سبيل التجوز وهكذا ينبغي ان يقال ما اقاله في الحدود هنا من الحقيقة قوله فعدل عن المصدر الى الفعل تنبيها على التجدد لان القوم كانوا قد بلغوا في الاصرار والحاج والانكار للحق والاعراض عن الآيات والدلائل الى حد ما بقي منهم رجاء القبول البتة وقبل ذلك ما كانوا كذلك ولو قال سواء عليهم انذارك لم يفد تجدد هذه الحالة في هذا الوقت دون ما قبله واعلم ان الهمزة وام هنا عاريتان عن معنى الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة فانها لمجرد الاختصاص

اومعنى

ومعنى الانذار هو التخويف عن عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لان تاثيره اوقع في القلب واشد من جهة ان دفع المضرة اهم من جلب المنفعة وفي ءانذرتهم ست قراءات تحقيق الهمزتين بينهما الف ولا وتخفيف الثانية بين بين بينهما الف او لا وحذف الاستفهامية والقاء حركتها على الساكن قبلها وقرئ بتخفيف الاولى وابدال الثانية هاء وهو شاذ وقوله لا يؤمنون جملة مفسرة لما قبلها لا محل لها في ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل عنه او خبر ان وما قبلها اعتراض بما هو سبب الحكم فصل ومما احتج به اهل السنة على صحة القول بالتكليف بما لا يطاق عليه هذه الآية ونظائرها كقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله سارهقه صعودا وقوله تبت يدا ابي لهب وتب الى آخره ووجه الكلام انه تعالى اخبر عن شخص معين انه لا يؤمن قط فلو صدر منه الايمان يلزم الكذب على الله في كلامه ومن جهة العلم انه تعالى علم منه في الازل انه لا يؤمن فلو آمن يلزم انقلاب علمه جهلا وذلك ممتنع فكذا ما يستلزمه فصدور الايمان منه ممتنع وقد كلفه بالايمان ايضا والايمان يعتبر فيه التصديق بكل ما اخبر الله عنه ومن جملته انهم لا يؤمنون فصاروا مكلفين بان يؤمنوا بانهم لا يؤمنون وهذا تكليف بالجمع بين النفي والاثبات فهذه عمدة الوجوه التي تمسك بها السلف من الاشاعرة في دفع اصول المعتزلة وهدم قواعدهم وهم تفصوا عن هذه الاحتجاجات اجمالا وتفصيلا اما المقام الاول فبيانه ان علم الله تعالى وخبره عن عدم ايمانهم بعدم الايمان لا يجوز ان يكون مانعا من الايمان لوجوه الاول ان القرآن مملوء من الآيات الدالة على ان لا مانع لاحد من الايمان كما قال وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى والكلام انكار بصورة الاستفهام دال على ان المانع من ان يؤمنوا منتف في الواقع وكقوله لابليس ما منعك ان تسجد وقوله فما لهم لا يؤمنون فما لهم عن التذكرة معرضين الثاني ان الله تعالى قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك فقد تبين انه ما ابقى لهم عذرا الا وقد ازاله عنهم فلو كان علمه بكفرهم مانعا لهم عن الايمان لكان ذلك من اعظم الاعذار واقوى الوجوه الدافعة لاستحقاقهم للعقاب والثاني باطل فكذا المقدم والثالث انه ذكر في مقام الذم والزجر والتقبيح قوله ان الذين كفروا سواء عليهم الآية فلو كانوا ممنوعين من الايمان غير قادرين عليه لما استحقوا التقبيح البتة بل كانوا معذورين كالاعمى في ان لا يرى والرابع ان القرآن انما انزل ليكون حجة لله على رسوله عليهم لا ان يكون حجة على الله ورسوله فلو كان

العلم والخبر فالمجبرين كان لهم ان يقولوا انا كفرنا لسبق القضاء على كفرنا وترك المعنى
مستحيل فلم يطلب منا ولم يلزمنا بالحج والخامس انه لو كان علمه السابق يمنعهم الايمان
ما منعنا عن الايمان لوجب ان لا يكون الله قادرا على شيء اصلا والثاني باطل فكذا المقدم بيان
الملازمة ان الذي علم وقوعه واجب والذي علم عدمه فوقوعه ممتنع وشيء من الواجب والممتنع
لا يكون مقدورا اذ المصحح للمقدورية هو الامكان دون غيرهما والسادس ان الامر بالمحال سفه
وعبث فلو جاز وروده لا بطل انواع السفه فما كان يمتنع وروده باظهار المعجزة على يد الكاذب
فلا يبقى وثوق بصحة النبوات ولا بصحة القرآن وسائر الكتب بل يجوز ان يكون تكاليفها
باطلة والسابع لو جاز ورود الامر بالمحال لجاز الامر للاعمى بنقط المصاحف والزمن بالطيران
في الهواء ولو جاز ذلك لجاز بعثة الانبياء عليهم السلم الى الجمادات والبهائم وان التكليف في
الملائكة عليهما لتبليغ التكاليف لا يصح الا [illegible] ان في ذلك [illegible] وتلاعب بالدين وكتب
صاحب بن عباد في فصل له في هذا الباب كيف يأمره بالايمان وقد منعه منه ونهيه عن الكفر
وقد حمله عليه وكيف يصرفهم عن الايمان ثم يقول انى تصرفون ويخلق فيهم الكفر ثم يقول
واني تؤفكون وانشا فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم لبس الحق بالباطل
ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل وصدهم عن السبيل ثم يقول لم تصدون عن سبيل الله
وحال بينهم وبين الايمان ثم قال وما ذا عليهم لو امنوا وذهب بهم عن الرشد ثم قال فاين
تذهبون واضلهم عن الدين حتى اعرضوا ثم قال فما لهم عن التذكرة معرضين الثامن الايات
الدالة على ان التكليف بما لا يطاق لم يقع قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله ما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم واي حرج ومشقة
فوق التكليف بالمحال المقام الثاني في الجواب على سبيل التفصيل فالمعتزلة فيه طريقان
احدهما طريقة ابي هاشم وابي علي الجبائي والقاضي عبد الجبار قالوا المكلف قادر على خلاف
ما علمه لا ينقلب علمه جهلا وانه قد انطوى [illegible] جهلا وهذا خطأ ايضا من [illegible] لان
علمه لا ينقلب جهلا ولكن يجب الامساك عن القولين وثانيهما طريقة الكعبي واختيار ابي الحسين
البصري والمتأخرين منهم ان العلم تبع للمعلوم فاذا فرضت الواقع من العبد هو الايمان عرفت
ان الحاصل في الازل هو العلم بالايمان ومتى فرضت الواقع منه هو الكفر بدلا عن الايمان
عرفت ان الحاصل في الازل هو العلم بالكفر بدلا عن الايمان فهذا فرض علم بدلا عن علم لا ان
انقلاب في العلم وتغيره تبصرة مشرقية اعلم ان مسئلة الجبر والاختيار من المسائل
العظيمة المهمة في الاسلام وهي مما لم تنقح بعد الى الآن بين جمهور اهل الكلام مع انهم صرفوا

عمرهم

عمرهم في تحرير الدلايل والمناقضات وتفريع المباحث والمناظرات وتطويل الكلام
وكثرة الرد والاحكام والنقض والابرام حتى صارت معارك الآراء ومصادم الاهواء
لم يبق الا حذو من الجانبين مع [illegible] في كونه فكرة [illegible] الى صاحبه في ميدان
المجادلة والمناظرة ومع ذلك لم يات احد منهما بحاصل في البحث ولم يظفر بطائل في سلوك
طريق التحقيق بل ما زادتهم هذه الا استكبارا وجحودا او عنادا ولم يزدهم الا نفرة عن الحق
وبعدا وذلك لاشتغالهم بالفروع عن الاصول واهتمامهم بما اوجب لهم تمام الفضول
واستغراقهم في المجادلة بالرد والقبول ولذلك حرموا من الوصول ومنعوا عن معاينة
المعاني لا بفكر ونظم قياسي ولم يشاهدوا حقائق الاعيان في نصب تعريف
حدي او رسمي بل بانوار مشارق متفاوتة ولمعات بوارق متتالية بزيادة العلم
والتقوى وتطهير الروح عن الهوى وتبتل النفس عن ظلمات القوى وترغيبها
عن الدنيا وسوقها الى العقبى وتشويقها الى لقاء الرب تعالى واعلم ان اكثر اصحاب
البحوث قد تركوا وصية نبيهم ونصيحة نبيهم سلام الله عليه واله فيما امروا من تزكية
نفوسهم وتصفية بواطنهم واصلاح قلوبهم وتعديل قواهم وتهذيب اخلاقهم وتصقيل
مرآت قلوبهم ليتجلى فيها خبايا عالم الملكوت وينكشف لديها خفايا اسرار الجبروت
وادركوا الاشياء كما هي كما وقع في دعاء نبيهم صلى الله [illegible] اللهم ارنا الاشياء كما هي فضلوا
طريق الهداية والسعي في بلوغ النهاية ولم يقرؤا صحيفة الملكوت من كتابها ولم
يأتوا البيوت من ابوابها فاعرضوا من حقايق الدين [illegible] وقنعوا من انوار
وجوه الحكمة واليقين بظلمات [illegible] واشتغلوا بما تلقفوا عن ذكر عيوب بعضهم
بعضا وشنعه بعضهم على بعض فصاروا فرقا ومذاهب وشيعا واحزابا كل حزب بما لديهم
فرحون فهم في العذاب مشتركون لعدم ايمانهم بالله واليوم الآخر بصيرة صافية عن
غشاوة الشك والامتراء وقلب فارغ عن مرض العناد والمراء ولما تركوا وصية
نبيهم ونصيحة رسولهم ونسوا يوم الآخرة وركنوا الى الدنيا وقع بينهم ثوران
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فيلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا ويطعن
بعضهم على بعض بحرقة قلوبهم وما في نفوسهم كما حكى الله عن احد من اهل الجحيم بقوله
كلما دخلت امة لعنت اختها وقالوا ربنا هؤلاء اضلونا [illegible] كان بينهم [illegible]
ومتعلق رأيهم في الشكوك وقيل لهم ذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ونظيرهم هذه الآراء
الفاسدة والبدع الخبيثة والاهواء المردية [illegible] اهل الحق [illegible] اليها [illegible]

العلوم الالهية بين خالق ومخلوق كان لم يكن شيئا مذكورا وهذه الاراء والاهواء كثيرة
كلها من هذا القبيل وسيعلم وجه بطلانها مع هذه الشهرة العظيمة للقائلين بها والرواج
لها حيث نرى الكتب الكلامية وغيرها مشحونة بذكرها وذكر نظايرها ونسبة قائليها الى الفضل
والبراعة والخوض في تحقيق اصول الشريعة وفروعها بهذه الكلمات الواهية والاراء العاطلة
فكانوا يتصدرون في المجالس يتفاخرون على الاماثل ويتبينون بلا تامل وبضاعتهم في
العلم والمعرفة ورأس مالهم في الفضيلة بالمورث لا يفيد علما ولا ينتج فائدة مثل كلامهم في الطفرة
والتفكيك وسكون المتحرك والتداخل وشيئية المعدوم والمعاد ونفي الجزء واثبات الحال و
انكار الروح ونفي التوحيد واثبات الكثرة على الله وتجويز الرؤية له وخلق الاعمال ونفي القدرة
عن العبد ونفي الوجود الذهني وانكار عالم الملكوت والنشاة الباقية وجوهرية الطعوم و
الروايح بل رؤيتها الى غير ذلك من المسائل الموهومة المزخرفة التي لا حقيقة لها ولا وجود
الا في الاوهام الكاذبة لا يصح التعويل فيها الى حجة ولا دليل يدعيها برهان وقلة من الاولين منهم
قد بعثوا في هذه الازمان شاهدناهم يخوضون في الشرايع والمعقولات وهم لا يعرفون الا دليل المحسوسات
ويتعاطون البراهين من غير ممارسة علم المنطقيات ويتكلمون في الالهيات وهم يجهلون الطبيعيات
واذا سئلوا عن اشياء يعرفها اصاغر الناس لا يحسنون ان يجيبوا عنها واذا استقصى عليهم السؤال
والبحث فكلامهم فيها اوهن من بيت العنكبوت ويا ويلهم يوم لا يغني [illegible] الله ورسوله
واولياؤه الا عاماء بل يحوزون في خباياهم الواهية وفي طغيانهم يعمهون فلنرجع الى تحقيق القول
في هذه المسالة ودفع توهين ما اوردوه والجواب عما ذكروه وكشف الفضيحة [illegible] في فصلين
يذكر فيهما فسادها [illegible] وبطلان المذهبين الجبر والاختيار فصل انما قال المجبرة
بجواز تكليف [illegible] والجبر [illegible] في الافعال من جهة علمهم بان حقيقة الافعال او الاختيار هي كونها
[illegible] في غاية السخافة والوهن [illegible] العلم والجبر لا يسلبان عن العبد القوى
والقدرة بل القدرة ثابتة للعبد والتمكن من افعاله [illegible] والتصرف في قواه الادراكية
كالسمع والبصر واعضائه التحريكية كاليد والرجل متى شاء وكيف شاء [illegible] والعلم [illegible]
النفع والضر والخير والشر ممنون عليه من قبل الله لان هذه المبادي والقوى القريبة خلقت [illegible]
لا فاعليه [illegible] كانت مقتضية لا ثاره وبتسخيرها الله خادمة للقلب [illegible] وهو المتصرف
فيها بقوته المدركة وهي مجبولة على طاعة القلب لا يستطيع له خلافا ولا عليه تمردا وفايدة
التكليف له ولامثاله [illegible] وغيرهم كثيرا ولا يلزم ان يكون فايدة التكليف
لاحد بعينه في نفس ذلك الشيء اذ ربما يترتب على التكليف فايدة اخرى [illegible] كما [illegible] يقولونه

حتى الاخر

بنفي الاغراض وبطلان الاولى واثبات التعطيل والعبث في فعل العبد فلذلك الذين كفروا
من المجوس والثنوية القائلين لاختيار العبد المثبتين لاجباره ولهذا المعنى قال رسول الله
القدرية مجوس هذه الامة ومن الحكايات لما تواترت عن النبي ص في ذلك ما رواه جماعة من علماء
الاسلام انه قال ص لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا قيل ومن القدرية يا رسول الله قال
قوم يزعمون ان الله سبحانه قدر عليهم المعاصي وعذبهم عليها ومنها ايضا ما رواه صاحب
الفائق محمود الخوارزمي وغيره من العلماء عن محمد بن علي المكي باسناده قال ان رجلا قدم على النبي
فقال له رسول الله ص اخبرني بأعجب شيء رأيته قال رأيت قوما ينكحون امهاتهم واخواتهم فاذا
قيل لهم لم تفعلون قالوا قضى الله تعالى وقدره فقال سيكون في امتي اقوام يقولون مثل مقالتهم
اولئك مجوس امتي ومنها ايضا ما ذكره صاحب الفائق وغيره من علماء الاسلام عن جابر بن عبد الله
انه قال يكون في اخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ويقولون ان الله قد قدرها عليهم الراد عليهم كشاهر سيفه
في سبيل الله ومن الحكايات في هذا الباب ما يروى ان ابا حنيفة اجتاز على موسى بن جعفر الكاظم
عليهما السلام فقال له يا ابن [illegible] المعصية ممن فقال له موسى الكاظم ع اجلس حتى اخبرك فجلس ابو حنيفة
فقال ع لابد ان يكون المعصية من العبد او من الله تعالى او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل
وانصف من ان يظلم عبده الضعيف ويواخذه بما لم يفعله وان كانت المعصية منهما فهو شريكه و
القوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه
النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت له الجنة والنار فقال ابو حنيفة ذرية بعضها من بعض والله
سميع عليم وقد نظم هذا بعض شعرائهم لم تخل افعالنا اللاتي نذم بها احدى ثلاث خصال حين
نأتيها اما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها او كان يشركنا فيها فيلحقه
ما سوف يلحقنا من لائم فيها او لم يكن لالهي في جنايتها ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها ومنها
ما رواه جماعة من العلماء ان الحجاج بن يوسف كتب الى الحسن البصري والى عمرو بن عبيد والى
واصل بن عطاء والى عامر الشعبي ان يذكروا ما عندهم وما وصل اليهم في القضاء والقدر فكتب اليه الحسن البصري
ان احسن ما انتهى الينا ما سمعت من امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع انه قال اتظن ان الذي
نهاك دهاك انما دهاك اسفلك واعلاك والله بريء من ذلك وكتب اليه عمرو بن عبيد احسن
ما سمعت في القضاء والقدر قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع لو كان الوزر في الاصل محتوما
كان الموزور في القصاص مظلوما وكتب اليه واصل بن عطاء احسن ما سمعت في القضاء والقدر قول
امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع ايدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق وكتب اليه الشعبي احسن
ما سمعت في القضاء والقدر قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع كلما استغفرت الله منه فهو منك

وكلما احدث الله نعمة عليك فهو منه فلما وصلت كتبهم الى الحجاج ووقف عليها قال لقد اخذوها من عين
صافية هذا ما كان عندك من الفضاضة والامور الواهية وتمام هذا ايضا ان رجلا سال جعفر بن
محمد الصادق عليه السلم عن القضاء والقدر فقال ما استطعت ان تلوم العبد عليه فهو فعله وما لم تستطع
ان تلوم العبد عليه فهو فعل الله تقول للعبد لم عصيت لم فسقت لم شربت الخمر لم زنيت فهذا فعل
العبد ولا تقول له لم مرضت لم قصرت لم ابيضضت لم اسوددت لانه من فعل الله في العبد ومن الحكايات
ايضا ان الفضل بن سهل سال علي بن موسى الرضا عليهما السلم بين يدي المامون فقال يا ابا الحسن الخلق
مجبورون فقال الله اعدل من ان يجبر خلقه ثم يعذبهم قال فمطلقون قال الله احكم من ان
يهمل عبده ويكله الى نفسه ومنها ان رجلا وقف على جماعة من المجبرة فقال لهم انا لا اعرف المجادلة
والاطالة في الكلام لكني اسمع في القرآن قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله فمن موقد
هذا الكلام عندكم فما قالوا الموقد للنار غير المطفي فانقطعوا ولم يردوا جوابا وقيل للمجبرة
نرى الله يقول قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها من هذا الذي قد خاب فلم يكن لهم في ذلك
جواب وقال معتزلي لمجبري تحوز حتى فقال من الله قال له فمن الحق قال هو الله ثم قال له فمن
الباطل قال من الله فقال له فمن هو المبطل فانقطع المجبر ولم يقدم على ان يقول ان الله تعالى
عن ذلك علوا كبيرا هو المبطل وكان يلزمه ذلك على مذهبه ومن عجائب ما اعتقد المجبرة انه
يلزمهم ايضا انه يجوز من الله في عقولهم مع عدله وحكمته ان يجمع الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين وعباد الله الصالحين فيخلدهم في الجحيم والعذاب الاليم ابد الابدين ويجمع الكفار والملحدين
والزنادقة والمنافقين وابليس والشياطين ويخلدهم في الجنة والنعيم دهر الداهرين فعموا عن
ذلك ايضا فامنه وعلاوة ركبوا في ذلك مكابرة وجهلا ولعله قد كان لهم سلف صدرت
منهم كلمات على سبيل الرمز والاشارة وما بلغت عقول هؤلاء على كنه اقوال اولئك الاوايل
او كان في عقول طايفة من رؤسائهم جهل وسفه او حب مثل هذا الاعتقاد وجاء الخلف مقلدا
للسلف محبا للمنشأ وسنة الاباء كما حكى الله عن اشباههم من الاخلاف الذين قلدوا آراء
الاشياخ والاسلاف حيث ذكر انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اولو كان
آباؤهم وان كان في ذلك كل الشفاء عند بعض المتاخرين من الاحياء والابناء في اتباع السلف و
الاباء على الضلال والغواية لا يخرج على اذى العقلاء فما احسن ما يقرأ ويدرس كتابهم ما قدروا الله
حق قدره لا والله ما قدروه حق قدره ولا هذا قدر جلالته وعظمته والاجزاء احسانه ونعمته
والنعم الخصوم زعموا ان هذا ما عليه كابر العرفاء ومحققوا الصوفية من القول بالتوحيد الافعالي
وليس كذلك كما يظهر من تتبع كلماتهم وتصفح مقالاتهم قال الشيخ العظيم محي الدين الاعرابي في الباب

التاسع

التاسع عشر من الفتوحات المكية ان رافع الاسباب يعني الاسباب مع الله ومن عزل من ولاه الله
فقد اساء الادب وكذب ومن عزل في ذلك تولى فانظر ما اجهل من كفر بالاسباب ثم تركها
ومن ترك ما قرره الحق فهو منازع لا عبد وجاهل لا عالم واني اعطيك ان تكون من الجاهلين
واراك في مذهب الجبر تكذب نفسك في ترك الاسباب فاني اراك في وقت حركتك مني في
تركها يا حذرك العطش فتترك كلامي وتجري الى الماء فتشرب منه لتدفع بذلك اذا
جعت تناولت الخبز وعاينتك ان لا حتى يحصل فيك ما يحصل ضعفت
وابتلعته فما اسرع ما اكذبت به نفسك بين يدي وكذلك اذا اردت ان تنظر الى افق فتح
عينك فعل فيها الاسبب فكيف تنفي الاسباب بالاسباب ارضى لنفسك لها الا ادب
الالهي من ابقيته للموضع الذي ابقيته وعلى الوجه الذي ابقيته ثم تكون
في عبادة تلك سببا في سعادتك وانت تقول ترك الاسباب فلم لا يقطع
العمل احد من رسول ولا نبي ولا ولي ولا مؤمن ولا كافر ولا شيء خرج قط عن رق الاسباب
مطلقا ادناها التنفس فيا تارك الاسباب لا تتنفس فان التنفس سبب لحيوتك فامسك نفسك
حتى تموت فتكون قاتل نفسك فيحرم عليك الجنة واذا فعلت هذا فانت تحت حكم السبب في
ظنك فعلا قال ان كنت تزعم ان ترفع ما وضعه الله واقامه علما مشهودا ما تسمع
من كلام الله فانهم لم يريدوا بذلك ما توهمته بل جهلت ما ارادوا انقطع الاسباب كما جهلت ما اراد
الحق بوضع الاسباب ونقل الغيب بك على محجة الحق وابيت لك الطريقة التي وضعها العلماء
وامرهم بالمشي عليها فاسلك والى الله قصد السبيل ولو شاء لهديكم اجمعين وقال في الباب
السادس والستين وماتين ولقد نبهني الولد العزيز العارف شمس الدين اسمعيل بن
سودكين النوري على امر كان عندي من عن الوجه الذي نبهنا عليه هذا الولد وهو التجلي في
الفعل هل يصح او لا يصح فوقتا كنت انفيه بوجه ووقتا كنت اثبته بوجه يقتضيه التكليف
اذا كان التكليف بالعمل لا يمكن ان يكون من حكيم يقول اعمل وافعل لمن يعلم انه لا يعمل ولا يفعل
~~اذ لا قدرة له عليه وقد ثبت الامر الالهي بالعمل وافعل لمن يعلم انه لا يعمل ولا يفعل اذ لا قدرة له عليه~~
وقد ثبت الامر الالهي بالعمل للعبد مثل قوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واصبروا وصابروا
ورابطوا وجاهدوا وامثال ذلك ان يكون له في المنفصل تعلق من حيث الفعل عملا
وعملوا واذا كان هذا فهذا القدر من النسبة يمنع التجلي فيه فبهذا الطريق كنت اثبته وهو
طريق مرضي في غاية الوضوح يدل على ان العبد [illegible]
ذلك الحجة في غاية من الضعف والاختلال كان يوما فاوضني

المثل فهذا الوجه فقال الحلوائي دليل اقوى على نسبة الفعل اليه والتجلي فيه اذا كان من صفته كون
الحق خلق الانسان على صورته فلو جرد عنه الفعل لما صح ان يكون على صورته ولما قبل التخلق
بالاسماء وقد صح عندكم وعند اهل الطريق بلا خلاف ان الانسان مخلوق على الصورة و
قد صح التخلق بالاسماء فلو يقدر احد ان يعرف ما يدخل على ابن السويدي بهذا التنبيه فقد
يستفيد الاستاد من التلميذ كما يعلم قطعا انه قد يفتح للانسان الكبير في امر يساله من بعض لعا
فيرزق الفهم له في ذلك الوقت بصدق التوجه علم تلك المسألة ولم يكن عنده قبل ذلك عناية
من الله بالسائل ان حصل للمسؤل علما لم يكن عنده ومن راقب يجد ما ذكرناه فالحمد لله
استفدنا من اولادنا مثل استفادتنا من شيوخنا امورا كانت اشكلت عليهم انتهى كلامه

فصل في ما يرد على المعتزلة القائلين باستقلال العبد في افعاله وهو كما تدرى يرد عليهم
انهم اشركوا بالله في افعاله ولم يتحقق لهم التوحيد الافعالي كما لم يتحقق للاشاعرة المثبتين
للصفات التوحيد الوصفي ويرد عليهم ايضا انهم منكرون لقضاء الله وقدره في كل شيء ولم
يزعموا ان الخيرات والشرور كلها بقضاء الله وقدره اما الخير فهو مقتضى بالذات واما الشر
فهو مقتضى بالعرض ومذهبهم في صدور الافعال من العباد قريب من مذهب بعض الطبيعيين
والاطباء الذين جعلوا مبدأ افعال الادمي طبيعته ومزاجه ولم يمتد نظرهم الى ما فوق الدهر
والطبيعة من الملكوت الاعلى والاسباب القصوى ولم يعلموا ان كل ما يقع في هذا العالم من
الحوادث والاكوان والافعال والارادات والحركات والسكنات مقدر بمشيئته وبزمانه
في عالم اخر قبل كما دلت عليه البراهين العقلية والمشاهدات الذوقية والمنامات الصادقة
والالهامات والكلمات الالهية والاحاديث النبوية منها قوله تعالى كل شيء فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستطر ومنها قوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ومنها قوله ونكتب
ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين وكذا قوله هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا
في كتاب من قبل ان نبراها الى غير ذلك من الايات ومن الاحاديث النبوية قوله عليه وآله الصلاة
والتحية جف القلم بما هو كائن اعملوا فكل ميسر لما خلق ومنها قوله ان احدكم يجمع في بطن
امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله ملكا
فينفخ فيه الروح فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فوالذي
لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيختم الله له بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون

مابينه

مابينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم الله له بعمل اهل الجنة فيدخلها وقريب من هذا ما ورد
من طريق اهل البيت ع رواية ثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني ره عن عدة من اصحابه مسندا
الى ابي عبد الله ع انه قال يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم
ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم
ثم يتداركه الشقاء من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة
ونقل عن امير المؤمنين اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته وقويت مكيدته
واشتدت طلبته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم وفي طريقتهم ايضا رواية الكليني عن ابي عبد الله ع يقول
ان مما اوحى الله الى موسى ع وانزل عليه في التورية اني انا الله لا اله الا انا خلقت الخلق وخلقت الخير
واجريته على يدي من احب فطوبى لمن اجريته على يديه وانا الله الذي لا اله الا انا خلقت الخلق
وخلقت الشر واجريته على يدي من اريده فويل لمن اجريته على يديه وعن ابي عبد الله ع ما من قبض
ولا بسط الا ولله فيه قبض وبسط مما امر الله به او نهى عنه الا وفيه لله جل وعلا ابتلاء وقضاء
وعنه ع ايضا في كتاب الكافي انه لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع بمشية
وارادة وقدر وقضاء واذن وكتاب واجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر وعنه
ايضا ع مثله بتبديل واو وفيه ايضا عن ابي الحسن موسى بن جعفر ع قال لا يكون شيء في السموات
الا بسبع بقضاء وقدر وارادة ومشية وكتاب واجل واذن فمن زعم غير هذا فقد كذب وفي
طريقهم فيه باسناده عن محمد بن عبد الرحمن يرفعه الى مسروق قال سمعت رسول الله ص يقول قدر الله
المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين سنة ومن طريقه رحمه الله في كتاب من لا يحضره
الفقيه مسندا الى اسمعيل بن مسلم انه سأل جعفر الصادق ع عن الصلوة خلف رجل يكذب بقدر الله
عز وجل قال يعيد كل صلوة صلاها خلفه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج رسول الله صلعم
وفي يده كتابان فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء
آباءهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا
كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء آباءهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة و
فريق في السعير ومن الحكايات التي نقلها علماء الاسلام في كتب الحديث عن رسول الله صلعم مناظرة
آدم وموسى ع روي انه قال ص احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى انت آدم الذي
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت

الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك
الالواح تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين
عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا
كتبه الله تعالى علي قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وآله فحج آدم موسى و
المعتزلة طعنوا في هذا الحديث من وجوه احدها ان هذا الخبر يقتضي ان يكون موسى قد ذم آدم
على الصغيرة وذلك يقتضي الجهل في حق موسى ع وذلك غير جائز وثانيها ان الولد كيف يشافه
والده بالقول الغليظ وثالثها انه قال انت اشقيت واهبطت الناس من الجنة وقد علم
موسى ان شقاء الناس واخراجهم من الجنة لم يكن من جهة آدم بل الله اخرجه منها ورابعها
ان آدم احتج بما ليس بحجة اذ لو كان حجة لكان لفرعون وهامان وساير الكفار ان يحتجوا
به ولما بطل ذلك علمنا فساد هذه الحجة وخامسها ان الرسول صوب آدم في ذلك مع انا بينا
انه ليس بصواب اذا ثبت هذا وجب حمل الحديث على ثلثة اوجه احدها انه ص حكى ذلك عن اليهود
لا انه حكاه عن الله او عن نفسه واشتبه على الراوي وثانيها انه فحج آدم منصوبا اي ان موسى جعله
محجوجا وثالثها وهو المعتمد انه ليس المراد من هذه المناظرة الذم على المعصية ولا الاعتذار
منه بعلم الله بل موسى سأله عن السبب الذي حمله على تلك الزلة حتى خرج بسببها من الجنة فقال
آدم ان خروجي منها لم يكن بسبب تلك الزلة بل بسبب ان الله تعالى كان قد كتب علي ان اخرج
الى الارض واكون خليفة فيها وهذا المعنى كان مكتوبا في التورية فلاجرم كانت حجة آدم قوية
وصار موسى في ذلك كالمغلوب واعلم ان الكلام يؤدي الى التطويل والا لاجبت عن
تلك الوجوه الخمسة متقصيا ولما قضيت هذه الوجوه الثلثة مفصحا عن فسادها
مفصحا قصور قائلها كاشفا عن تخلل الحالة وبطلان مقالته واعوجاج سبيله وانما
سلوكهم الضلال في دين الله بغير حجة ولا برهان ولا حديث ولا قرآن ولا عقل ولا ايمان بل
بعض اكابر الحكماء في وصفهم عند ما نقل بعض من آراء المحققين عنهم في باب تجسيم المعدوم
وثبوت الاحوال وهؤلاء قوم نبغوا في ملة الاسلام وما كانت لهم افكار سليمة ولا حصل لهم
ما حصل للصوفية من الامور الذوقية ووقع بايديهم مما نقل جماعة في عهد بني امية مركبة
قوم كانت اساميهم تشبه اسامي اهل سفسطة فظن القوم ان كل اسم يوناني حكيم
فيلسوف فوجدوا فيها كلمات استحسنوها وذهبوا اليها وفرعوا رغبة في الفلسفة وانتشرت
في الارض وهم فرحون بها وتبعهم جماعة من المتاخرين وخالفوهم في البعض منها الا ان كلهم

بما غلطوا

بما غلطوا بسبب ان اسامي يونانية لجماعة صنفوا كتبا توهموا ان فيها فلسفة ولما كان
فيها شيء منها فقبلوها معتقدين توهمهم وتبعهم فيها المتاخرون ولما رجعت الحكمة عن يونان الا بعد
انتشار اقاويل عامة يونان وخطبائهم وقبول الناس لها ولم يرجع الى طريق العقل فهدم قواعد
الاعتقادات بعد ان ذكرنا من طريق السمع ما يليق بذلك من الاقوال نبصرة عقلية قد علمت ان
جميع الاشياء صادرة عن الله تعالى وهو عالم بها وبصدورها عنه راض بذلك غير كاره وهذا يقتضي
مختار بعد الخالي عن النقص في القصود والتغير وقد ثبت في العلوم اليقينية ان العلم التام
التام يستلزم العلم بالمسبب فاذا كان تعالى عالما في الازل بجميع الموجودات الروحانية
والجسمانية والعلوية والسفلية على ما هو عليه دفعة واحدة من غير تجدد وانفعال في علمه
وهو سبب قضائه ويكون مخرجا اياها من القوة الى الفعل شيئا بعد شيء على سبيل التجدد
لانقضاء على التفصيل وهو معنى قدره وقد ثبت ان كلما لم يجب لم يوجد فقضاؤه وقدره
حق فلا يكون حاكم على كل احد من هذا العالم في نفسه وضرره وخيره وشره فلا ايمان بالقدر
من هذه الجهة والرضا بالقضاء فرض محتم من هذا البرهان كما ورد في الحديث الالهي من لم
يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد ربا سوائي وليخرج من ارضي وسمائي ومن الاحاديث
المستفيضة الشايعة بين طوايف العلماء المتفق عليها ما رواه محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله
في باب الجبر والقدر والامر بين الامرين مسندا عن علي بن محمد عن سهل بن زياد واسحق بن محمد
وغيرهما رفعوه قال كان امير المؤمنين ع جالسا بالكوفة بعد منصرفه من صفين اذ اقبل شيخ
فجثى بين يديه ثم قال له يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا الى اهل الشام ابقضاء من الله و
قدر فقال له امير المؤمنين ع اجل يا شيخ ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد الا بقضاء
من الله وقدر فقال له الشيخ عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين فقال له مه يا شيخ فوالله
لقد عظم الله لكم الاجر في مسيركم وانتم سايرون وفي مقامكم وانتم مقيمون وفي منصرفكم
وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليه مضطرين فقال له الشيخ وكيف
لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا اليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا
ومنصرفنا فقال له وتظن انه كان قضاء حتما وقدرا لازما انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر
والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان
المذنب اولى بالاحسان من المحسن ولكان المحسن اولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة اخوان عبدة
الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تبارك وتعالى
كلف تخييرا ونهى تحذيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يملك مفوضا

ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا ذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن
غفرانا اوضحت من امرنا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالاحسان احسانا ومما روي ايضا عن علي بن
ابرهيم عن اسمعيل بن مرار عن يونس بن عبد الرحمن قال قال لي ابو الحسن الرضا عليه السلام يا يونس لا تقل بقول
القدرية فان القدرية لم يقولوا بقول اهل الجنة ولا بقول اهل النار ولا بقول ابليس فان
اهل الجنة قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال اهل النار
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين وقال ابليس رب بما اغويتني الحديث وروى
عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن حماد بن عثمان عن ابي بصير عن ابي عبد الله
عليه السلام قال من زعم ان الله يامر بالفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم ان الخير والشر
اليه فقد كذب على الله الظاهر ان الضمير في اليه راجع الى الموصول وعن الحسين بن معلى عن الحسن بن
علي الوشاء عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال سألته فقلت الله فوض الامر الى العباد قال الله اعز من ذلك قلت
فجبرهم على المعاصي قال الله اعدل واحكم من ذلك ثم قال قال الله يا ابن آدم انا اولى بحسناتك
منك وانت اولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله من زعم ان الله يامر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله
وعن ابي عبد الله عليه السلام سأله رجل قال اجبر الله العباد على المعاصي قال لا قلت ففوض اليهم الامر
قال لا قلت فماذا قال لطف من ربك بين ذلك عقلك وحل واذا تحققت
مما ذكرنا من الكلام ان كلما سيقع في هذا العالم او سيوقع فهو مقدر مكتوب بهيئته وزمانه ووضعه
ومكانه في عالم آخر فاذا تنبهت لذلك القدر وحال الافعال الحيوانية الاختيارية تجد
لك انها على هذا التقدير واقعة بالاضطرار لا بالاختيار فالناس متفرقون فيها بالتدبير والتغيير
وتفرقها بالتقديم والتأخير تجد الفرق بين المجبور عليه والمختار والمضطر
فتامل في جريان الامر الالهي في مجاري القضاء والقدر وتفكر في ترتيب سلسلة الاسباب في
العلل والمعلولات ان قدرة العبد وارادته وعلمه وشوقه من الاسباب القريبة لفعله وهي مستندة الى اسباب
اخرى متوسطة واخرى بعيدة حتى ينتهي الى قدرة الله وعلمه وارادته ومشيته وقضائه وقدره
فالقضاء والقدر انما يوجبان بتوسط اسباب وعلل بعضها معلولات متقدمات كالملائكة
السماوية عقلية كانت او نفسية فلكية كانت او لم تكن وبعضها فاعلات محركات وجهات
مقتضيات كالمبادي العالية من الجواهر الفلكية والصور المنطبعة وبعضها قوابل واستعدادات
ذاتية وعارضية والصور اللاحقة للمادية والاوضاع الفلكية والامور اللاحقة كالحركات

والارادات

والارادات الانسانية والحركات والسكنات الحيوانية بخصوصياتها دون حال وصورة دون
صورة ترتيبا وانتظاما معلوما في القضاء السابق فاجتماع تلك الاسباب والقرائن مع ارتفاع
الموانع سبب تام يجب بها وجود ذلك الامر المترتب المقتضي المقدر وعند تخلف شي منها او حصول
مانع يبقى في حيز الامكان والامتناع وكان من جملة الاسباب خصوصا القريبة وجود هذا
الشخص الانساني وعلمه وارادته وقدرته وشوقه وتفكره وتخيله الذي بها يختار احد طرفي
الفعل والترك كان دون اختياره واجبا او ممتنعا بحسب تلك الامور التي هي علة تامة لوقوع المقدور
ممكنا بالنسبة الى كل واحد منها او من جهته الفعل لا يبالي الاختيار بتركيبه وقد مر ان الشيء ما لم يجب لم يوجد
فان قلت مع حصول القدرة والارادة كان الترك ممكنا لم يكن الفعل واجبا وان لم يكن ممكنا لم يكن
العبد مختارا قلت الترك لعدم حكمه لا يلزم من ذلك ان لا يكون مختارا فان الفعل الاختياري ما يكون
بالاختيار ومن جملة اسبابه ويكون حصوله موقوفا على الاختيار فما يكون ممكنا على تقدير تحقق
علته التامة التي من جملتها الارادة عقلك وحل ثم اذا رجعت الينا ثانيا وقلت
فما فائدة التكليف على هذا التقدير اذ كانت الاسباب العالية مقتضية والقوابل الفعلية
حاملة والاستعدادات المادية مترتبة او متناسقة معونة في صدور الفعل اما واجبة او مستحيلة
وعلى اي الوجهين فالتكليف بالافاعيل عبث واي فائدة في التكليف بالطاعات وبعث الانبياء بالمعجزات
والآيات واي تاثير للسعي والجهد واي توجيه للوعد والوعيد وما معنى الابتلاء في قوله ليبلوكم
احسن عملا اذ كان الكل بالتقدير والقضاء اذ مدار التكليف انما هو على الجهد والوعد والوعيد على
الاختيار لا على الاجبار والاضطرار قلنا فائدة التكليف والوعد والوعيد تحصيل الشوق الذي
هو مبدأ الارادة للافعال الجميلة لان المراد بالارادة هي العزيمة الثابتة الجازمة
الباعثة على الفعل او الترك فاذا ادركنا شيئا وعلمنا [illegible] منفعة او دفع مضرة
دفعة بالتوهم او بالبديهة او بالعقل ينبعث منه شوق الى جذبه او دفعه يتبعه ارادة فاذا
انضمت الى القدرة انبعثت تلك القوى لتحريك الاعضاء لتحصيل الفعل بالاختيار وان لم يعتقد
بالضرورة الملائمة والمنافرة اعملنا الروية واستعملنا القوى الادراكية لطلب الترجيح بارادة عقلية
او وهمية وربما كان ما ادركنا ببعض الوجوه خيرا [illegible] او وراء الحس خيرا لدى العقل
او بالعكس او ما نعرفه في العاجل غير نافع في الآجل او بالعكس فيحدث بسبب كل ملائم داع
وبسبب كل منافر صارف فيمترج عزمنا احد طرفي الفعل والترك بحسب ترجيح دواعيه
[illegible] الدواعي و[illegible] الاشواق في الخير ويشتد القوة الفكرية حتى ينبعث [illegible]
احد الطرفين فيفعل [illegible] فقول [illegible] الاشياء الداخلة في وجود الانسان كالعلم والقدرة

والارادة من جملة اسباب الفعل فاعلم ان هذه الامور بخلاف جميعا ايضا من جملتها كالدعوة
والتكليف والارشاد والتهديد والوعد والترغيب في الاجتهاد والتهديد والوعيد جعلها الله
مهيجات الاشواق ودواعي الى الخيرات والطاعات واكتساب الفضائل اي كمالات وهي مقدمات
على الاعمال الحسنة وعادات محمودة وملكات مرضية [illegible] بالنسبة الينا في معاشنا
ومعادنا يحصل بها احوالنا في دنيانا او يحصل بها سعادة عقبانا او [illegible] عن اضدادها من
الشرور والقبائح والذنوب والرذائل [illegible] في العاجل ومشقتها في الآجل وكذلك الدعاء
والخلق والتدبير والحذر الا قد وقع [illegible] ايانا الى مقاصدنا الخارجة عن كمالاتنا
من القوة الى الفعل فجعلت اسبابا لما يصل الينا من ازواجها [illegible] وهي لنا في آخرتنا
[illegible] عنا من المكاره ويدفع عنا من الجهاد والمهالك [illegible] ذلك الا انها وكانت
تلك الوسائط ايضا مقدرة لنا واجبة باختيارنا [illegible] سائلا عن
الدواء والرقية من قدر الله قال والدواء والرقية ايضا من قدر الله [illegible] جف القلم
بما كائن قبل فيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق ولما سأل [illegible] امر مستانف ام امر
مفروغ منه قد امر مستانف ومن هذا علم ان كل ما يصدر عنا من الحركات والسكنات
والحسنات والسيئات معلومة مكتوبة علينا ولا يصدر عنا مع كونها باختيارنا كما قال
كل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وغير ذلك من الآيات التي [illegible] معرفات
[illegible] في الصحف موجبات [illegible] مما يصل الينا من [illegible] الحكاية
كما قال النبي ص لو ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه
الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف تحقيق حكمي وان رايت وتحققت
ان جميع الممكنات وسلسلة الاسباب التي من جملتها قدرة العبد وارادته وعلمه وشوقه
ومشيته مستندة الى مشية الله وعلمه مثبتة في قضائه وقدره ومن الاسباب القريبة
الظاهرة لا فاعل الا [illegible] ومن نظر اليها واقتصر نظره الى هذه الاسباب
القريبة قال بالقدر والتفويض [illegible] مفوضة الى تدبيرنا قال النبي ص
القدرية مجوس هذه الامة لانهم يثبتون مبدأين كالمجوس القائلين بيزدان واهرمن
ومن نظر الى السبب الاول وعلم كون تلك الاسباب [illegible] باسرها مستندة
على الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات [illegible] الى الله [illegible] ذاتا
وترتيبا معلوما على وفق القضاء وقطع النظر عن الاسباب الوسطية مطلقا قال
بالجبر وخلق الافعال ولم يفرق بينها وبين افعال الجمادات وكلاهما اعور لا يبصر باحدى

اما القدرية

واما القدرية فبالعين اليمنى اي النظر الاولى الذي يبصر الحقائق واما الجبرية فباليسرى
اي الاضعف الذي يبصر الظواهر واما من نظر حق النظر فاصاب فحقيقة ذو عينين يبصر
الحق باليمنى فيضيف الافعال اليه خيرها وشرها ويبصر الخلق باليسرى فيثبت تاثيرهم في الافعال لكن
لا بالاستقلال ولا بمعنى الاشتراك كما توهم بل بمعنى آخر يعلمه العارف الحكيم واشار اليه الصادق ع
لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين فيذهب اليه ويذهب به وذلك هو الفضل الكبير روى صاحب الكافي
رحمه الله عن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن ابي جعفر وابي عبد الله ع
قالا ان الله ارحم بخلقه من ان يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم والله اعز من ان يريد امرا فلا يكون
قال فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة قالا نعم اوسع مما بين السماء والارض وعن
علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن صالح بن سهل عن بعض اصحابه عن ابي عبد الله ع سئل عن الجبر
والقدر فقال لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق التي بينهما لا يعلمها الا العالم او من علمها
اياه العالم واما من اضاف الافعال الى الله تعالى بنظر التوحيد واسقاط الاضافة ومحو الاسباب
والمسببات كما هي عليها عند الغايات وعند فناء الممكنات لا بمعنى خلق الافعال فينا او خلق قدرة
وارادة جديدين مستقلين عند صدور الفعل عنا كما عليه المجبرة فهو الذي طوى بساط الكون
وخلص عن مضيق البون وخرج من البين والاين وفني في العيان لكنه بقي في المحو ولم يجئ الى الصحو
مستغرقا في عين الجمع محجوبا بالحق عن الخلق ما زاغ بصره عن مشاهدة جماله وسبحات وجهه وذاته
الى ملاحظة صفاته فاضمحلت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل عن وجوده وذلك هو الفوز
العظيم فاذا رجع الى الصحو بعد المحو نظر الى التفصيل في عين الجمع غير محجوب برؤية الحق ولا بالخلق
عن الحق ولا مشتغلا بوجود الصفات عن الذات ولا بالذات عن الصفات فهو الولي المحقق والنبي
المحقق صاحب التمكين والتحقيق يضيف الافعال الى الله بالايجاد ولا يسلبها بالكلية عن العباد كما في قوله
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وذلك هو الفوز العظيم والمن الجسيم عقلا وحلا
ولعلك تضطرب فيها ايها القدري وتقول فنقول اذا كانت الفضايل والرذايل والمحاسن والقبائح
والطاعات والمعاصي وبالجملة الخيرات والشرور كلها مقدرة مكتوبة علينا قبل صدورها منا مجبورة
فينا مربوطة باوقاتنا التي يصدر فيها عنا فما بالنا لا نتساوى فيها ولا نتعادل فيها ولا نتشاكل فيها
ونتماثل وكيف نحترز عنها بالاحتراز عنها فننجو من وبالها وتبعاتها وبأي شيء يتفضل السعيد على
الشقي وقد تساويا فيما قدر لهما واين عدل الله فينا وقد قال الله تع وما انا بظلام للعبيد فيقال لك
ايها القدري بما مر ذكره في تفسير قوله تع اهدنا الصراط المستقيم من ان الاستعدادات مختلفة
والصور النوعية الفائضة عليها من جهة الوسائط العقلية التي مظاهر الاسماء الالهية متنوعة
فالارواح الانسية بحسب الفطرة الاولى متباينة وفي درجات القرب والبعد من الله ثم متفاوتة

وفي مراتب الصفا والنورية والكدورة والظلمة متخالفة والمواد السفلية التي هي بازائها ايضا متفاوتة
في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي فما يليها لما يتعلق بها من الارواح متباينة وقد قدر الله
بازاء كل روح قبضها في قضائه ما يناسبها من المواد وحصل من مجموعها استعدادات مناسبة
لبعض العلوم والادراكات دون بعض موافق لبعض الاعمال والصناعات دون غيرها على ما اقتضتها
في العناية الاولى والقضاء السابق كما قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وبتفاوت
المعقولية الادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبايع والغرايز فينزع بعضهم بطبعه
الى ما ينفر عنه الآخر ويستحسن احدهما بعين ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية تقتضي
نظام الوجود على احسن ما يمكن واما كيف السبيل الى الاحتراز عما يجب الاحتراز عنه فان
شريف النفس نجيب الجوهر طيب الاصل فلما يهم بشيء ما ليس في فطرته ولو يهم لما من
الفواحش والرذايل لعدم المناسبة واذا هم بها لغلبة صفة من صفات نفسه
وقواه ولاستيلاء داعية من دواعي الوهم وهيجان من شهوة زجره زاجر من عقله وهذا كما
قال تعالى في يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه واذا كان دون ذلك
في صفاء الاستعداد فلم ينزجر الا بزجر زاجر من الشرع والسياسة والناصح والاديب وغير ذلك
ويبقى منه واذا هم بشيء مما فطر به من المحاسن وجبل عليه من عقله ودرايته وناصر امور
وهدايته فيقدم عليه لشوقه وشعفه لمناسبته اياه لا ينتهي عنه بدفع دافع ولا يمنعه
منع مانع واذا كان دون ذلك احتاج الى محرض باعث وشوق من خارج والخسيس النفس
الخبيث الجوهر الردي الاصل بالعكس وكل يشتاق الى ما يفعله بطبعه ويحبه ويستحسن وان
كان الذاذ نهيه الى ضلال الجوع واحسن بمحبة الزنجي ولذا مع قبحه دون الغلام التركي مع
علمه بحسنه واما حديث السعادة والشقاوة فسيأتي تحقيقه

عقدة اخرى وحل

ثم ههنا شك يعود ويرجع الى حال الثواب والعقاب فنقول اذا كان الكل بقضاء الله وقدره فلماذا
يعاقب من ساقه القدر الى ارتكاب خطيئة او اقتراف سيئة فيجيبك يا اخا العقل
بان العقاب على فعل السيئات والخطيئات ليس لمنتقم خارج غضبان يريد ان ينتقم من عدوه
لما يطلبه من ازالة الغيظ والتشفي عن حرقة لهب الغضب بل النفس العاصية الخاطئة
هي حمالة حطب نيرانها الى يوم القيمة فانها تحترق بنيران شهواتها الكامنة وتلدغ
بحيات وعقارب يلبسه عند الآخرة من سموم عقايدها الباطلة واخلاقها وعاداتها
الردية لمن اساء عمله واظلم جوهر نفسه وكدر مرآة فطرته واخطأ في اعتقاده واحتجب عن مراده
بحسب ما اقتضاه في الاصل فقد ظلم نفسه بظلمة جوهره وبطلان استعداده فكان اهلا
للشقاوة في محبته ومعاده ينادى على لسان الحال ان الثمها او فيها الدا وكاد فولك نفخ كان

وذلك

وذلك بما كسبت قلوبكم وقوله وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فثبت وتحقق ان ترتب
العقوبات ومقابلاتها من المثوبات هي ثمرات ولوازم وتبعات وعوارض لامور موجودة
فينا بالقوة تخرج يوم الآخرة من القوة الى الفعل بل هي مطوية في نفوسنا في هذه النشأة مكنونة
في مكامن الطبيعة وغشاوات المادة فاذا قامت القيمة وكشف غطاؤها وحشرت النفوس فهي
الصحايف اظهرها الله وابرزها بحيث يترتب عليها المثوبة والعقوبة وينبعث منها النعمة
والنقمة والراحة المعيبة والنعيم المقيم والعذاب الاليم

عقدة اخرى وحل

ومن تلك نقول ان الذي يقتضي من الاشكالات المتعلقة بهذا المقام والعقود المعضلة الغير المنحلة الى الآن
عند جمهور العلماء واهل النظر والكلام الا من نور الله بصيرته بنور الكشف اعضال الخلود
في النار ودوام العذاب الاليم فان شيئا مما ذكر من الاسباب الفاعلة والموثرات العالية لا يوجب ذلك
لانها مبراة عن الشرور والقبائح ولا شيئا من القوابل المادية يحتمل التعذيب الدايم والانفعال
الغير المتناهي كما بين في مقامه والرحمة الالهية التي وسعت كل شيء تنافي التعذيب الدايم كما مرت
الاشارة اليه عند قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذه احدى المسائل التي هي من
مواضع الخلاف بين علماء الكشف وعلماء الرسوم بل هي موضع الخلاف بين علماء الكشف بعضهم
مع بعض ايضا فانهم اختلفوا هل يسرمد العذاب عليهم الى ما لا نهاية له او يكون لهم نعيم بدار الشقاء
فينتهي عذابهم الى اجل مسمى مع الاتفاق الجميع على عدم خروج الكفار من دار النار ومحل الآلام
وانهم ماكثون فيها قلنا كل ما ذكرت في باب الاستحالة في صدور التعذيب الابدي والايلام السرمدي
ووقوعها من الجهات الفاعلة والقابلة ومخالفة ذلك للرحمة والعناية المقتضية لحفظ
النظام واقامة القوام وابقاء الانواع بالدوام المسرمدية ترتيبا متلاحقا دون توارد عدد
انما يقتضي الاستحالة والامتناع اذا كان المعذب واحدا شخصيا من صورة واحدة
واستعداد واحد لقابل واحد واما اذا كانت الصور متواردة على قابل واحد والاستعداد
متعاقبة لمادة واحدة ضعيفة الوحدة واهنة الوجود مما بين طرفي الوجود والعدم
ومحوضة العدم والقوة كما يفصح عنه قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى فتوارد العقوبات الالهية
وتعاقب التعذيبات والنقمات الجبارية على حسب توارد الصور المستقبحة وتعاقب الاستعدادات الظلمانية
في ازمنة متمادية الى لا نهاية كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب مما لا ينافي شيئا من الاصول الحكمية والقواعد العقلية والسمعية فاهل الحجاب الكلي هم اهل
الشقاء الطبيعي ثم الارتقاء لهم الا طريق جهنم ومسالك الطبيعة والهوى وانسدت عليهم سبل الوصول
والارتقاء من هاوية السفل ولا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة ولا المنزل الاعلى

الحكمة دالة على طبيعة والحاكة وان لكل موجود غاية يصل اليها يوما وان الرحمة الالهية نالة
لكل احد وواسعة على كل شيء كما قال تعالى عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء وعندنا
ايضا اصول دالة على ان الجحيم والآمها وشرورها دائمة باهلها كما ان الجنة ونعيمها وخيراتها
دائمة باهلها الا ان الدوام في كل منهما على معنى آخر ولكل من الدليلين مما ذكر من اهلها ولهذا المقام
شروح كثيرة وتحقيقات لطيفة واستبصارات عرشية ذكرنا طرفا منها في آخر سورة الفاتحة
وشطرا صالحا في كتاب الشواهد الربوبية وستستقصي القول فيها في مواضع متفرقة من هذا
ان شاء الله على ان المشية الالهية النافذة في الفعل وفيما ذكرناه كفاية ههنا ولنرجع الى ما كنا
بصدده مستعينا بالله وتوفيقه وتسديده قوله جل اسمه ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم لما وصف الله تعالى
الكفار باخص صفاتهم التي كانوا عليها وهي عدم تاثرهم عن الانذار والنصيحة والتهذيب والتعليم
للايمان بين في هذه الآية السبب الذي لاجله لا ينجع فيهم الانذار ولا يؤثر فيهم التعليم
وهو الختم على القلوب القاسية والغطاوة الاصلية والغشاوة على الاسماع والابصار والصمم
والبكم الفطريين وانت تعلم ان نظام الدنيا لا ينصلح الا بنفوس غليظة وقلوب قاسية وطبايع
جاسية فلو كان الناس كلهم سعداء بنفوس خايفة من عذاب الله وقلوب خاشعة خاضعة
لا ياتمر وطبايع لطيفة فضلا لاختل النظام بعدم القايمين بعمارة هذه الدار من النفوس
الغلاظ الشداد كالفراعنة والجبابرة والنفوس المكارة كشياطين الانس والنفوس البهيمية
كجهلة الكفار وفي الحديث الرباني ما جعل معصية آدم سببا لعمارة العالم وقوله سبحانه
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
فكون الناس على طبقة واحدة ينافي الحكمة والعناية وهو اهمال سائر الطبقات الممكنة الوجود
في مكمن الامكان من غير ان يخرج من القوة الى الفعل وخلو اكثر مراتب هذا العالم عن اربابها
فلم يمش النظام ولا ينصلح العمارة الا بوجود الامور الخسيسة والنفوس الدنية المحتاج
اليها هاهنا الدار التي يقوم بها الظلمة والحجاب ويتنعم بها اهل الدنية والفسوق ويليق بالانعام
والدواب المبعدون عن دار الكرامة والنور المطرودون عن عالم المحبة والسرور فوجب في
العناية الاولى والحكمة الكبرى التفاوت في الاستعدادات لمراتب الدرجات والنزول في الخسة
والصفاء والكدورة والعلو والدناءة وذلك يوجب اقتضاء اللازم النافذ في القدر المحتوم
الحاكم بوجود السعداء والاشقياء جميعا والمؤمنين والكفار والمنافقين كما قال بعض
المكاشفين يدخل اهل الدارين السعداء بفضل الله في دارهم واهل النار بعدل الله فيها وينزلون

فيهما

فيهما بالاعمال ويخلدون فيها بالنيات وفي الختم امر الهوى تركناها الى مقام آخر يتصل بمبحث
الختم والكتم اخوان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له والغشاوة الغطاء
فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة واختلف
الناس في هذا الختم اما القايلون بالقضاء والقدر وبخلق الاعمال فهو من فعل الله من جهة خصوصية
بعض خصوصية بعض القوابل المحتاجة الى الطبايع والقوى كما مر ولهم قولان منهم من قال
ان الختم هو خلق الكفر في قلوب الكفار ومنهم من قال خلق الداعية التي اذا انضمت الى القدرة
صار المجموع القدرة معها سببا لوقوع الكفر والحق ان هذا الختم موجود لبعض الكفار لا للجميع وهو
بمنزلة طبيعة جبلية لتلك النفس لا انفكاك عنه وتقريره ان الذي يحصل منه الكفر
اما ان لا يكون قادرا على تركه او يكون فعلى الاول كان صدور الكفر عنه لازما من غير اختيار
وعلى الثاني كانت نسبة قدرته الى فعل الكفر وتركه على السواء فاما ان يكون صيرورتها مصدرا
لاحد الطرفين دون الآخر يتوقف على انضمام مرجح اولا وعلى الثاني يلزم صدور الممكن من غير مرجح
وتجويزه يؤدي الى القدح في الاستدلال بالممكن على المؤثر وينسد به باب اثبات الصانع و
ذلك باطل وعلى الاول اما ان يكون المرجح من فعل الله او من فعل العبد وعلى الثاني يلزم التسلسل
في الافعال الاختيارية للعبد وهو محال وعلى الاول وهو كون المرجح ولنسمه الختم من فعل الله
يلزم المطلوب فنقول اذا انضم ذلك المرجح ولنسمه الختم من فعل الله يلزم المطلوب فنقول اذا انضم
ذلك المرجح الى تلك القدرة فاما ان يصير صدور الكفر واجبا او جايزا او ممتنعا والاخيران
باطلان فتعين الاول اما بطلان كونه جايزا فلانه يصح صدوره في وقت وتركه في وقت آخر فلنفرض
وقوعه اذ المفروض جوازه والجائز ما لا يلزم من فرض وقوعه محال فذلك المجموع تارة يترتب عليه
الاثر واخرى لا يترتب عليه واختصاص احد الوقتين بترتبه عليه اما ان يتوقف على انضمام
قرينة اليه او لا يتوقف فان توقف كان المرجح هو ذلك المجموع مع هذه القرينة الزائدة
لا ذلك المجموع والمفروض خلافه وايضا فيعود التقسيم في هذا المجموع الثاني فان توقف
على قيد آخر لزم التسلسل وهو محال وان لم يتوقف حصل ذلك المجموع بحيث يكون مصدرا تارة للاثر
واخرى لا يكون كذلك مع انه لا يميز احد الوقتين بامر لا يكون في الوقت الآخر فيكون عنه
هذا قولا بترجح الممكن لا عن مرجح وهو محال فثبت ان عند حصول ذلك المرجح يستحيل ان يكون
صدور ذلك الاثر جايزا واما انه لا يكون ممتنعا فظاهر والا لكان مرجح الوجود مرجحا
للعدم وهو محال واذا بطل القسمان فثبت ان عند حصول مرجح الوجود يكون الاثر واجب
الوجود عن المجموع الحاصل من القدرة ومن ذلك المرجح واذا عرفت هذا كان خلق الداعية

فلانه لو كان جايزا

الموجبة للكفر او الامر الجبلي الموجب له ختما على القلب ومنعا عن قبول الايمان فهذا هو السبب
الفاعلي والذي ذكرنا في الفصل المتقدم هو السبب الغائي لوجود ختم واشباهه من الطبع
والرين والغشاوة والصمم والبكم وغيرها لانه تعالى لما حكم بانهم لا يؤمنون ذكر عقيبه
ما يجري مجرى السبب الموجب له لان العلم بالعلة يفيد العلم بالمعلول والعلم بذي السبب لا
يكمل من جهة العلم بالسبب فهذا قول من اضاف جميع المحدثات الى الله على ترتيب الاسباب
والمسببات واما الاشاعرة فبمعزل عن ذكر المرجح والعلة ههنا لانكارهم القول بالعلة
والمعلول مطلقا فتأمل واما المعتزلة فلما لم يجوزوا بناء على اصولهم خلق الكفر وما اشبهه
مما يستدعيه من قبل الله تعالى لا يجوز عندهم اجراء هذه الاية على ظاهرها من المنع من الايمان
سيما وقد ذم الله الكفار لما قالوا ان على قلوبنا اكنة وغطاء وفي اذاننا وقر فعدلوا
الى حمل الختم والغشاوة على امور اخرى قال لو لا ان اسناد الختم الى القسوة كونه دالا على المنع من
قبول الحق والتوصل اليه بطرقه اسناده بمقتضى الاية تعالى والله سبحانه منزه عن فعل القبيح علوا كبيرا
لعلمه بقبحه وعلمه لغناه عنه وقد نص على تنزيهه ذاته عنه بقوله وما انا بظلام للعبيد
ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك فذكروا في الاية وجوها من
المحامل والتأويلات احدها القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم
الى الله فللتنبيه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي
ولهذا يقال طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومطبوع
عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وثانيها انه يكفي في حسن الاسناد ادنى تعلق والشيطان هو
الخاتم بالحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدرهم على ذلك واسند اليه الختم
كما اسند الفعل الى المسبب قال صاحب الكشاف ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل و
المفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة والى غيره
استعارة لمضاهاتها الفاعل في ملابسته فقال عيشة راضية وشعر شاعر ونهار صائم
وطريق سائر وبنى الامير المدينة وثالثها انهم اعرضوا عن التدبر ولم يصغوا الى الذكر وكان
ذلك عند ايراد الله تعالى الدلائل فاضيف ما فعلوا الى الله تعالى لان حدوثه انما اتفق عند ايراده
تعالى عليهم كقوله تعالى في اهل النفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي ازدادوا بها كفرا الى كفرهم
ورابعها ان يكون ذلك حكاية لما كان الكفرة يقولون به تهكما بهم في قولهم قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم
قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة وخامسها ان المراد

به يمثل

بتمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن او قلوب مقدرة
ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته
وسادسها ان المراد من الختم من الله على قلوب الكفار هو الشهادة منه عليهم بانهم
لا يؤمنون وعلى قلوبهم بانها لا تعي الذكر ولا تقبل الحق وعلى اسماعهم بانها لا تصغي
الى الحق كما يقول الرجل لصاحبه اريد ان تختم على ما يقوله فلان اي تصدقه وتشهد بانه
حق فاخبر الله تعالى في الاية الاولى بانهم لا يؤمنون واخبر في هذه الاية انه قد شهد
بذلك وحفظه عليهم وسابعها ما قال بعضهم انها اخبارات في قوم مخصوصين من الكفار
فعل الله بهم هذا الختم والطبع في الدنيا عقابا لهم في العاجل كما عجل لكثير من الكفار عقوبات
في الدنيا كما قال تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقوله
فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ونحو هذا
من العقوبات المعجلة لما علم الله فيها من العبرة للعباد والمصلحة لهم فيكون هذا انما
يحول لاجل الختم والطبع الا انهم اذا صاروا الى الختم سقط عنهم التكليف كمن يعقل بعد
كمن قارب البلوغ ولسنا ننكر ان يخلق الله في قلوب الكفار ما يمنعهم عن الفهم والا
اذ العلوم في ذلك اصلح لهم كما يذهب بعقولهم ويعمي ابصارهم ولكن لا يكونون في هذه
الحال مكلفين وثامنها يجوز ان يفعل الله هذا الختم بهم في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي
لتحققه وتيقن وقوعه كما قال اخبارا عنهم قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا
وبكما وصما وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
وتاسعها ما حكوه عن الحسن البصري وهو اختيار ابي علي الجبائي والقاضي ان المراد علامة وسمة
يسم بها قلوبهم وسمعهم ليعرفها الملائكة ويعرفونهم بها انهم كفار فيبغضونهم
وينفرون عنهم كما لا يبعد ان يكون في قلوب المؤمنين علامة تعرف الملائكة بها كونهم
مؤمنين عند الله كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وحينئذ يحبونهم ويستغفرون
لهم والفائدة في تلك العلامة مصلحة تعود الى الملائكة قالوا وانما خص السمع والقلب
بذلك لان الادلة السمعية والاخرى العقلية وهؤلاء لم يحملوا الغشاوة في
البصر الا على معنى العلامة والسمة كما حملوا الختم عليه محافظة على مقتضى اللغة من غير
مانع فيها في الختم لا مانع من حمله على معناه بخلاف الغشاوة لانها الغطاء المانع عن الابصار
ومعلوم من حال الكفار خلاف ذلك فلا بد من حمله على المجاز فهو تشبيه حالهم بحال
من لا ينتفع ببصره في باب الهداية وعاشرها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث

لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل الالجاء والقسر ابقاء
على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم
في الغي والضلال وتناهي انهماكهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي والضلال وتناهي انهماكهم
في البطالة والوبال فهذا مجموع ما ذكروه في هذا المقام فصـل ذكر المفسرون ان
قوله وعلى سمعهم معطوف على قوله على قلوبهم وفاقا لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة ولما قدم من الادلة السمعية لاستفادة الامر طريق السمع والادلة العقلية
لاستفادة الامر من طريق القلب لانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما
من فعلهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص
بجهة المقابل جعل المانع عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة والقائلون بتكرير
الجار في قوله وعلى سمعهم لاستقلال كل منهما بالحكم ولانها لما اعيدت في السمع كان ادل على
شدة الختم في الموضعين وانما وحد السمع للامن من اللبس كما في قوله اتاني براس كبشين و
كقوله كلوا في بعض بطنكم ولان السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فروعي الاصل ودل عليه
جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وجه ثالث وهو تقدير مضاف محذوف اي وعلى
حواس سمعهم ووجه رابع انه محفوف بين الجمعين فيؤذن بجمعه ايضا كما في يخرجهم
من الظلمات الى النور وعن اليمين وعن الشمائل وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم و
الابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق على القوة الباصرة وعلى العضو كما يطلق
العقل وهو ادراك الكليات على القوة الناطقة وعلى الشخص المخصوص المحسوس وهذا
ليس من باب المجاز كما زعموا بل العلاقة فيه اتحاد بين الفعل والفاعل والقوة و
ذي القوة كما بين العقل والعاقل والنفس والبدن كما ذهب اليه بعض اعاظم القدماء ومنه
المسمى بفرفوريوس ودل عليه كلام استاذ المعلم الفلاسفة القدماء ارسطاطاليس
في كتابه الموسوم بمعرفة الربوبية وكذا الكلام في السمع حيث يطلق على الادراك وقوته
ومما ذكرنا اختلف الناس في كون ايهما افضل فقيل السمع لان الله حيث ذكرهما قدم السمع على البصر
والتقديم علامة التفضيل ولانه شرط النبوة بخلاف البصر فلهذا ما بعث نبي اصم وقد
كان فيهم مبتلى بالعمى ولانه يمكن منصرفا في الجهات دون البصر ولانه متى بطل بطل النطق
والعين اذا بطلت لم يبطل النطق ولان بالسمع تصل نتائج العقول بعضها الى بعض فهو
كانه سبب لاستكمال العقل بالمعارف والبصر لا يوقفك الا على المحسوسات انتهى وفي هذا
الوجه محل نظر وكان مراد القائل ان الواسطة بين السمع والعقل اقل مما بين البصر والعقل

فان العقل يفهم المعاني من النقوش الكتابية بواسطة دلالتها على الالفاظ الدالة على الصور العقلية
ويفهمها من النقوش السمعية لدلالتها على الصور العقلية بلا واسطة وكان الهواء بما
فيها من صور الالفاظ صحيفة مكتوبة يدل على المعاني من غير توسط الالفاظ لانها نفس الالفاظ
وقيل بان البصر اقدم لان آلة القوة الباصرة اشرف ولهذا يتعاطاها كريمتان وفي الحديث
من احب كريمتاه لا يكتحلن بالعصر ولان متعلق القوة الباصرة هو النور ومتعلق القوة
السامعة هو الريح اقول ولان البصر يعم ادراكه القريب والبعيد الى فلك البروج والسمع
لا يتعدى ادراكه عن كرة البخار ولان ادراك البصر فوري وادراك السمع زماني تدريجي والاول
اشرف لكونه يشبه ادراك العقل والثاني يشبه الحركة والاستحالة ومعلوم ان العقل
اشرف من الحركة لانه اشرف الجواهر وهي اخس الاعراض والشبيه بالاشرف اشرف من الشبيه
بالاخس فالبصر اشرف من السمع فصـل في ذكر شرف بصيرة كنت تأذن بما ذكرنا
من قبل في المفاتيح الغيبية الفرق بين كلام الله وكتابه وان احدهما لكونه من عالم الامر
والابداع اشرف من الاخر لكونه من عالم الخلق والتقدير فاعلم ان للنفس الانسانية المخلوقة
على صورة الكمال وهي على هيئة من ربها كتابا وكلاما وهما يدلان على كلام الله وكتابه
يشهدان عليهما الكلام على الكلام والكتاب على الكتاب وكل منهما غيرهما الحسبي بوجه وعينه بوجه آخر
كما هو بيانه فكلام الحق يدرك بالسمع الباطني وكتابه تدرك بالبصر الباطني واما كلام
النفس وكتابها فانهما يدركان بهذا السمع وهذا البصر الحسيين الظاهرين فاذا تقرر هذا
ظهر وجه كون السمع اقدم من البصر في الشرف والفضيلة ولهذا قدم ذكره على ذكر البصر
في القرآن كما مر ومما يزيده استيضاحا ان النفس الانسانية متى استيقظت من نوم
الجهالة وسنة الغفلة وتجاوزت حدود البهيمية فاول ما ادركته هو العدد وبه
صارت حادثة ناصحة والصحة الصالحة من الخواص الفاضلة للنفس الناطقة لارتفاع
المدارك العقلية عنها وانحطاط النفوس الحيوانية من نيلها فالنفس الادمية هي
الوادة الصالحة كما قيل وهي في بداية امرها عرفت مراتب العدد ليعلم ان
الملكوت الباطنة ولكل مرتبة منها اسم خاص فتوقفت من مراتب العدد اساميها لكون
يحكم ان الكلام انما يتأتى من جهة السمع فالحروف والاصوات صارت تحصيل تلك الاسامي
تحصيل البسيط للمركب كما ان الاسامي المركبة والدالة على اشخاص واعداد مركبة سواء كان
في عالم الحس كزيد وعمرو او في عالم العقل كالمعقولات الانسان والفرس وايا قوت في
العسل وغيرها دالة على اعيان بسيطة كالعقل والنفس والطبيعة

على الكلام

والنبوة عالم حروف لا ترتيبها الا بعد فلذلك صار بحث عرفوا ان الموجودات البسيطة الاولية ثم
يحصل المركبات من هذه البسائط كما يتالف الاسامي من الحروف المفردات اسامي المفردات
والارقام لها اسامي ارقام المفردات بتركيب مفردات من هذه العوالم العقلية العددية والسمعية
اللفظية والحسية الرقمية فالاعداد دلائل على عالم العقل والحروف باصواتها دلائل على عالم
المثال البرزخي والارقام المادية دلائل على عالم الحس وانها ذاة فالعدد وجود لا في لوح
النفس وللحروف وجودها في صحيفة الهواء النفسي المتحرك بسبب قرع التكلم والفاهي يدركها
السمع لا البصر والبصر يدرك نقوش كتابية للحروف والاسامي الدالة عليها وعلى ما في النفس
فالاشياء وجود في النفس الانساني وهو الهواء اللطيف الخارج من باطنه بازاء النفس الرحماني
المنبعث من نفسه وجود هو المنبسط على هياكل الماهيات صحايف لها باليات وبوجود
في الكتابة فالاول اعني العدد اخلد وضع وتعلم بخلاف الاخيرين والاول من قول النفس واما
كلاهما والثالث كما بها فعلى ما ورد من المعلومات ثبت ان الكلام اشرف من الكتابة
كما ان القول اشرف من الكلام فقد تحقق وثبت ان السمع اشرف من البصر فصل
ذكر صاحب الكشاف وفي غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب
وغشوة بالكسر بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والغشاوة
هي الغطاء ومنه الغاشية ومنه غشي عليه اذا غطاه والغشاء كما يرمس الجماع والعذاب مثل
النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه
يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش
اي يكسره وقراها الانه يقبله على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي
عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير ان الحقير دون الصغير ويستعملان في
الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم
نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله فصل اتفق اهل الاسلام على انه يحسن من الله تعذيب
الكفار ولكن بعضهم لا يحسن الفرق الاولى فمستندهم ادلة سمعية كالكتاب والخبر والاجماع
واما الفرقة الثانية فمستندهم دلائل عقلية الاول انه سبحانه هو الخالق للدواعي التي توجب
المعاصي وذلك لحكمة النظام ومصلحة الخلق وبقاء امر من ان الناس لو كانوا كلهم صلحاء
مؤمنين خائفين من عقاب الله لاختل نظام الدنيا وبطل اسباب المعيشة ما بينا ان علة
الفعل

الفعل عن قدرة العبد يتوقف على انضمام الداعية من العلم والارادة وغيرهما وبعد انضمام الداعي
يجب صدور الفعل وحصول الداعي ليس بقدرة العبد والا لكان الداعي داعيا اخر ويعود الكلام حتى
يحتاج الى سلسلة وهو محال او ينتهي الى داع حصل بخلق الله لا بقدرة العبد فاذا كان الله هو الخالق
للدواعي النفسانية التي توجب المعاصي فيكون هو الملجئ اليها فيقبح منه ان يعاقب عليها وربما قرروا
هذا بوجه اخر وقالوا اذا كانت التكاليف الشرعية قد جاءت الى شخصين فقبلها احدهما وخالفها الاخر فعوقب فاذا سئل المطاع لم لا تعصى الامر فيجاب لان المطيع احب الثواب وحذر
العقاب والعاصي لم يحب ولم يحذر فلان هذا اصغى الى من وعظه ونهاه عن مقالته فاخا
وهذا لم يصغ ولم يفهم شيئا فيقال لم احب الخير هذا واصغى وفهم ولم يكن الاخر كذلك فلم
يفهم فيجاب لان هذا جاءه لبيب فطن وذلك الاخر جاهل غبي فيقال لم اختص هذا بالعقل
والفطنة دون ذلك ولاشك ان الفطنة والبلادة من الاحوال الغريزية فاذا انتهت
السلسلة الى امور خلقها الله اضطرارا فحاصله ان سبب الطاعة والعصيان والتوفيق
والحرمان امور لا اختيار فيها واضيفت عليها بقضاء الله وقدره وعند هذا يقال اين من
العدل والكرم ان يخلق في عبد من الفظاظة والقساوة والغباوة والطيش والحرق
ما يوجب عنه صدور العصيان ثم يعاقب عليه وهذا مما هو محيل عليه كما جبل على اضدادها
الطايع واين العدل من يضع قلب العاصي ويقوي غضبه ويهيج داعيه ويكثر طيشه ولا يرزقه
ما يرزق المطيع من استاد حليم ومؤدب عليم وواعظ مبلغ وناصح شفيق بل يسلط عليه اضداد هؤلاء
في اقرانه واخلائه فيكتسب منهم ما يكسب المطيع ثم يؤاخذه بما يؤاخذ به اللبيب الحازم
النجار البار وطبيعة الراس الشبيه المعتدل مزاج القلب الزكي اللطيف الروح الدراك
بفطانات النفس الحازم بما هذا من العدل والرحمة فثبت بهذا القول ان العقاب على الخلاف
فيضيق المعقول الثالث ان التعذيب في الاخرة ضرر خال عن جهات المنفعة اما انه ضرر
فظاهر واما انه خال عن جهات النفع فلان تلك المنفعة اما عائدة الى الله او الى غيره والاول
باطل لانه يتعالى عن النفع والانتفاع والثاني ايضا لانها اما عائدة الى المعذب او الى غيره
اما اليه فهو محال لان الاضرار لا يكون عين الانتفاع واما الى غيره فهو محال لان دفع الضرر
اولى بالرعاية من ايصال النفع فايصال الضرر الى شخص لغرض ايصال النفع الى اخر ترجيح للمرجوح
على الراجح وهو باطل واذا كان فلا منفعة في ايصال الضرر الى احد الا وهو قادر عليه من غير وجوه
شتى فالاضرار العاجل الغائلة فثبت ان التعذيب ضرر خال عن جميع جهات المنفعة وانه
معلوم القبح بل اقبح من الكذب الضار ومن الجهل الضار لان الكذب الضار وسيلة الى الضرر وهو وسيلة

ومنع وسيلة نفع ودون قبح نفس الضرر واذا ثبت قبحه امتنع صدوره من الله تعالى لانه حكيم
والحكيم لا يفعل القبيح الثالث انه لو كان رب الارباب لكان لا يؤمن كما اخبر عنه في الآيات السابقة
فمتى كلف لم يظهر منه الا العصيان سببا للعقاب فكان ذلك التكليف مستعقبا لاستحقاق العذاب
اما لانه تمام العلة او لانه شرطها فوجب ان يكون ذلك التكليف قبيحا لكونه مستعقبا للضرر
الخالي عن النفع والحكيم لا يفعل القبيح فوجب احد الامرين اما عدم التكليف او عدم العقاب
وعلى ايهما فالمطلوب حاصل الرابع انه سبحانه اغنى الاغنياء [illegible] ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا عصينا فقد فوتنا على انفسنا تلك المنافع فهل يحسن
في العقول ان يأخذكم الحكيم [illegible] ويقول اني اعذبكم العذاب الشديد لانك فوتت على نفسي
او دون المطلوبين [illegible] على الاجل ذلك اعظمها او هل يحسن من السيد ان يأخذ
عبده ويقول انك قدرت على ان تكتسب دينارا لنفسك لتنتفع به خاصة من غير ان يكون
فيه شيء البتة فلما لم تفعل فلاعذبنك واقطع اعضاءك [illegible] لا اشك ان [illegible] هذا
السفيه فكيف يليق باحكم الحاكمين ثم قالوا هب انا سلمنا هذا العقاب عن العقول بالدليل
وذلك لان اقسى الناس قلبا واشدهم غلظة وابعدهم من الخير واكرمه اذا اخل من
بالغ في الاساءة الى عبده يوما او شهرا او سنة ثم انه يشبع منه ويمل ولم يبق مواظبا عليه
يلومه كل احد ويتعجب [illegible] في الاساءة والاصرار عليه ويقول الى متى هذا التعذيب
فاما ان يقتله ويريحه واما ان يخلصه فاذا فهم هذا من الانسان الذي يلتذ بالانتقام
فاين هو من الكريم [illegible] الخامس انه [illegible] استيفاء الزيادة
فقال تعالى فلا تسرف في القتل انه كان منصورا وجزاء سيئة سيئة مثلها [illegible]
عصى طول عمره [illegible] فيكون العذاب المؤبد ظلما [illegible]
على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفى الله عنه واجاب دعاءه وقبل توبته [illegible] هذا
الكريم العظيم ما تغير في الآخرة [illegible] فلم يتوبون [illegible]
فاذا تابوا فلم لا يقبل الله توبتهم ولا يسمع دعاءهم ولم يجب نداءهم [illegible]
الدنيا في الرحمة والكرم [illegible] امن يجيب المضطر اذا دعاه
[illegible] كلما كان تضرعهم اليه اشد قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون
[illegible] العقاب [illegible]
على القول [illegible] من التحسين والتقبيح العقليين [illegible] الاصلح [illegible]
عنها من جهة العقل والاشاعرة اجابوا عن هذه الشبه بمنع [illegible] الاصول [illegible] تواترت

من

من الآيات والاخبار المنقولة من الرسول صلعم في باب الوارد في خلود الكفار في عذاب النار
واما على اصولنا الحكمية الايمانية والجواب عنها بما مر من ان العقوبة انما تلحق الكفار
لا من جهة انتقام منتقم خارجي يفعل الايلام والتعذيب على سبيل القصد وتحصيل الغرض
حتى يرد السؤال في الفائدة او في كون المنفعة عائدة الى المعذب او الى الغير بل العقوبة
انما يلحقهم من باب اللوازم والتبعات والنتائج والثمرات فهذا هو الجواب بحسب الاصول الحقة
عن الاشكال الوارد على اصل العقاب واما الاشكال الوارد على دوام العذاب وابديته للكفار
فوروده من جهة اخرى غير جهة التحسين والتقبيح فلذلك كان موجب تحير الحكماء وتوحش
الافاضل العرفاء حتى ان الشيخ العارف المحقق محيي الدين الاعرابي وتلميذه الشيخ صدر الدين
القونوي قدس سرهما صرحا القول بانتهاء مدة العقاب وعدم سرمدية العذاب و
تبعهما وغيرهما من شراح الفصوص ومن يحذو حذوهم قال في الفص الاسمعيلي الثناء بصدق
الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق
الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ولم يقل وعيده
بل قال ونتجاوز عن سيئاتهم مع انه توعد على ذلك وقال في الفص اليونسي من فصوص الحكم
بعد ما بين فضيلة الانسان وشرف [illegible] العبادة ولا بد ان يكون نسبة الانسان جزء يذكر
الحق [illegible] ويكون الحق جليس ذلك الجزء فيحفظ باقي الاجزاء بالعناية وما يتولى الحق هدم هذه
النشأة بالمسمى موتا فليس باعدام وانما هو تفريق فياخذه اليه وليس المراد الا ان ياخذه
الحق اليه واليه يرجع الامر كله فاذا اخذه الحق اليه سوى له مركبا غير هذا المركب من جنس الدار التي ينتقل
اليها وهي دار البقاء لوجود الاعتدال فلا يموت ابدا اي لا تفترق اجزاؤه واما اهل النار فمآلهم
الى النعيم ولكن في النار اذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العذاب ان يكون بردا وسلاما
على من فيها وهذا نعيمهم فنعيم اهل النعيم بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين القي
في النار انتهى وقال في الباب الثامن والخمسين واما اهل النار [illegible] اصول الشجرة
التي فيه تنبت شجرة الزقوم [illegible] فان رحمة الرحمن [illegible]
بالفطرة التي ذكرناها اجل لهم نعيما [illegible] فلا يموتون فيها ولا يحيون فلهم نعيم [illegible]
[illegible] كنعيم النائم بالرؤيا التي يراها في حال نومه من السرور وربما يكون في فراشه مريضا
ذا بؤس وفقر ويرى نفسه في المنام ذا سلطان ونعمة وملك فان نظرت الى النائم
من حيث ما يراه في منامه ويلتذ به قلت انه في نعيم وحدائق وان نظرت اليه من حيث
ما يراه في فراشه المشوش ومرضه وبؤسه وفقره وكلومه قلت انه في عذاب هكذا يكون اهل النار

فلا يموت فيها ولا يحيى اي لا يستيقظ ابدا من نومه فتنال الرحمة التي رحم الله بها اهل النار
الذين هم اهلها او امثالها كالمحرور منهم ينعم بالزمهرير والمقرور منهم بحميم في طور
فقد يكون عذابهم بوهم وتوهم الهوا بعضهم وذلك كله بعد قوله لا يفتر عنهم العذاب
وهم فيه مبلسون في تلك المدة زمان عذابهم واخذهم بجرائمهم قبل ان يلحقهم الرحمة التي سبقت الغضب
الالهي فاذا اطلع اهل الجنان في هذه الحالة على اهل النار او امثالهم في النار وما اعد الله فيها
وما هي عليه من قبح المنظر قالوا معذبون واذا كشفوا على الحسن المعنوي الالهي في حق ذلك الشقي
فيها ورأوا ما هم فيه من نعيم وتلذذ احوالهم برحمتهم قالوا منعمون فسبحان القادر على ما يشاء
لا اله الا هو العزيز الحكيم فقد فهمت قول الله لا يموت فيها ولا يحيى وقول رسول الله صلعم واما اهل
النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون انتهى وكذا في الباب الثامن والخمسين وثلثمائة
من الفتوحات المكية اعلم اسعدنا الله واياك بسعادة الابد ان النفس الناطقة سعيدة في الدنيا
والاخرة لا حظ لها في الشقاء لانها ثابتة من عالم الشقاء الا ان الله ركبها هذا المركب البدني المعبر عنه
بالنفس الحيوانية فهي لها كالدابة وهي كالراكب عليها وليس للنفس الناطقة في هذا المركب الحيواني
الا المشي بها على الصراط المستقيم الذي عينها الحق فان ابت النفس الحيوانية لذلك
فهي المركب الذلول الرياض وان ابت فهي الدابة الجموحة كلما اراد الراكب ان يردها
الى الطريق جمحت وجرت عليه وانحرفت يمينا وشمالا لقوة رأسها وسوء تركيبها فما في النفس الحيوانية
ما يقتضي المخالفة ولا تأبى المعصية انها كالدابة الشريعة وانما تجري بحسب طبعها لانها غير
عالمة بالشرع واتفق انها على مزاج لا يوافق راكبها على ما يريد منها والنفس الناطقة لا حكم لها في
المخالفة لانها من عالم العصمة والارواح الطاهرة فاذا وقع العقاب يوم القيمة فانما يقع على النفس
الحيوانية كما يضرب الراكب دابته اذا جمحت وخرجت عن الطريق الذي يريد صاحبها ان يمشي بها
عليه الا ترى الحدود في الزنا والسرقة والا قرآنا انما محلها النفس الحيوانية البدنية وهي التي يحس
الالم القتل وقطع اليد وضرب الظهر فقامت الحدود بالجسم وقام الالم بالنفس الحساسة الحيوانية التي
يجتمع فيها جميع الحيوانات المحسوسة للالام فلا فرق بين محل العذاب من الانسان وبين جميع الحيوانات
في الدنيا والاخرة والنفس الناطقة على شرفها مع حلولها في سعادتها ونعيمها الا ترى ان النبي صلعم
قد قام لجنازة يهودي فقيل له انها جنازة يهودي فقال اليست نفسا فاعلم بنعيم ذاتها فقام اجلالا
وتعظيما لشرفها ومكانتها وكيف لا يكون لها الشرف وهي منفوخة من روح الله فهي من العالم
الاشرف الملكي الروحاني عالم الطهارة فلا فرق بين النفس الناطقة الموجودة لكل احد وانها ما
واما النفس الحيوانية فما ساعدها على ما طلبت منها وان لم يجر حق طلبت بالتكليف يتصف بالطاعة

او معصية

او معصية فاتفق ان كانت جموحا اقتضاه طبعها لمزاج خاص فيعلم ان ذلك وان القضية مع …
لانها سبقت غضبه … بالنسبة الى الانسان انتهى كلامه وقال في الباب الخامس وثلثمائة من
الفتوحات ايضا واعلم ان من الاحوال التي هي للشفاعات من هذا الباب احوال الفطرة التي فطر
الله الخلق عليها وهو ان لا يعبدوا الا الله كما قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فبقوا على
تلك الفطرة في توحيد الله فما جعلوا مع الله سبحانه الها هو الله بل جعلوا الهة على طريق القربة
الى الله ولهذا قال قل سموهم فانهم اذا سموهم بان انهم ما عبدوا الا الله فما عبدوا احدا الا الله
في المحل الذي نسبوا الالوهية له فصح بقاء التوحيد لله الذي اقروا به في الميثاق وان الفطرة
مستصحبة والبدع في نسبة الالوهية لهذه الصور المعبودة هو ان الحق لما تجلى لهم في اخذ الميثاق
تجلى لهم في مظهر من المظاهر الالهية فذلك الذي اجرأهم على ان يعبدوه في الصور ومن بقائهم
على الفطرة انهم لم يعبدوا على الحقيقة الصور وانما عبدوا الصور لما تخيلوا فيها من رتبة التقرب
كالشفعاء وهما امران حقيقتان … الخالق في الدار الاخرة وهما الشفاعة والتجلي في الصور
على طريق التحول فان تمكن هذه الحالة في قلب الرجل … من العالم الذي دعا هؤلاء الذين
صفتهم هذا وانهم تحت قهر ما اليه يؤولون يتضرعوا الى الله في الدار الآخرة وتلطفوا في حقهم
ويسألوه ان يخلصهم في رحمته اذا اخذت منهم النقمة حدها وان كانوا اغاروا تلك الدار ويجعل لهم
فيها نعيما بالذكاوة من جملة الاشياء التي وسعتهم الرحمة العامة … الجناب الالهي من التقييد
وهو القابل بان رحمته سبقت غضبه فلحق الغضب بالعدم فان كان شيئا فهو تحت احاطة
الرحمة الالهية الواسعة وقد قالت الانبياء عليهم السلام يوم القيمة اذا سئلوا في الشفاعة
ان الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهو من احاديث
يعتمد عليها في هذا الباب ايضا فان اليوم المشار اليه هو يوم القيمة هو يوم قيام الناس من قبورهم
لرب العالمين وفيه يكون الغضب من الله على اهل الغضب ولفظ حكم ذلك الغضب الا بدخول
النار وحلول العذاب والانتقام من المشركين وغيرهم من القوم الذين يخرجون بالشفاعة
والذين يخرجهم الرحمن كما ورد في الصحيح ويدخلهم الجنة اذا لم يكونوا من اهل النار والذين هم اهلها فلم
في النار الا اهلها الذين هم اهلها فيهم الامر بدخول النار كل من يدخل فيها من اهلها ومن ليس من اهلها الذين
الغضب الالهي الذي لم يغضب مثله بعده فلو سرمد عليهم العذاب لكان ذلك من غضب اعظم من غضب
الامر بدخول النار وقد قالت الانبياء ان الله لا يغضب بعد ذلك مثل ذلك الغضب ولم يكن حكمه الا
الامر بدخول النار فلا بد من حكم الرحمة على الجميع ويكفي من التشابه المعرفي بقوله واما اهل النار الذين هم اهلها
ولم يقل اهل العذاب ولا يلزم من كان من اهل النار الذين هم اهلها ان يكونوا معذبين بها فان اهلها عمار

ما اكلت وحزنها وهم ملائكة وما فيها من الحشرات والحيات وغيرها من الحيوانات التي تجتمع في النقمة
ولا داعية فيها يكون النار عليه عذابا كالذين يبقى فيها لا يموتون فيها ولا يحيون وكل من الف
موطنه كان بمفارقته اشد العذاب مفارقة الوطن ولو فارق النار اهلها لتعذبوا لاغترابهم
عما اهلوا له وان الله قد خلقهم على نشأة تناسب ذلك الموطن فعمرت الداران وسبقت الرحمة الغضب
ووسعت كل شيء جهنم ومن فيها والله ارحم الراحمين كما اخبر عن نفسه وقد وجدنا في نفوسنا
ممن جبلهم الله على الرحمة انهم يرحمون جميع خلق الله حتى لو حكمهم الله في خلقه لازالوا صفة العذاب من
العالم وما يمكن حكم الرحمة من قلوبهم وصاحب هذه الصفة انا وامثالي ونحن مخلوقون اصحاب
اهواء واغراض وقد قال عن نفسه جل علاه انه ارحم الراحمين فلا يشك انه ارحم الراحمين منا بخلقه وقد
عرفنا من نفوسنا هذه المبالغة في الرحمة فكيف يسرمد العذاب عليهم وهو بهذه الصفة
العامة ان الله اكرم من ذلك لا سيما وقد قام الدليل العقلي على ان البارى لا ينفعه الطاعات ولا يضره
المخالفات وان كل شيء جار بقضائه وقدره وحكمه وان الخلق مجبورون في اختيارهم وقد قام الدليل
السمعي ان الله قال في الخبر الصحيح يا عبادي فاضافهم الى نفسه وما اضاف قط العباد الى نفسه
قط العباد الى نفسه الا من سبقت له الرحمة وان لا يؤبد عليهم الشقاء فقال يا عبادي لو ان اولكم
وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو
ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا
فهذا الخبر يبين ما اعطاه العقل ان الطاعات والمعاصي ملكه وانه على ما هو عليه لا يتغير ولا يزيد
ولا ينقص ملكه تمام ما اعطيه وفيه ان الكل ملكه ثم قال من تمام هذا الخبر الصحيح يا عبادي لو ان
اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك
في ملكي شيئا الحديث وما فيك انه ما من احد الا وهو يكره ما يؤلمه طبعا فما من احد الا ويسأله
ان لا يؤلمه وان يعطيه اللذة في الاشياء ولا يقع الا ما يأتيه في الحديث اذا تعلق به المنازع
في هذه المسألة [illegible] وذلك ان السؤال من العالم حاصل قد علم وقوعه بالفطرة من
من كل مخلوق فان الطبع يقتضيه والسؤال قد يكون بالقول وحالا لا كما حكم الضعيف الرضيع وان لم يسأل
عند وجود الالم الحسي بالوجع والالم النفسي لمخالفة الغرض اذا صبح من الاذى وقد احق في المسألة بجمعها
والاحوال التي يرد على قلوب الرجال الاخصى كثيرة وقد اعطينا الشيء منها في هذا الباب على نحو هذا
الاسلوب انتهى كلامه وقال العلامة القيصري في شرح الفص الهودي من الفصوص اعلم ان من
اكتحل عينه بنور الحق يعلم ان العالم بأسره عباد الله وليس لهم وجود وصفة وفعل الا بالله وحوله
وقوته وكلهم محتاجون الى رحمته وهو الرحمن الرحيم ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات ان لا

يعذب

يعذب احدا عذابا ابديا وليس في ذلك المقدار من العذاب ايضا الا لاجل ايصالهم الى كمالهم المقدر
لهم كما يذاب الذهب والفضة بالنار لاجل الخلاص مما يكدره وينقص عياره وهو متضمن للطف
والرحمة كما قيل وتعذيبكم عذب وسخطكم رضى وقطعكم وصل وجوركم عدل والشيخ رضي الله عنه
انما يشير اذا ذكر هذه المواضع الى ما يخرج من الرحمة الخفية وهو من المكاشفات التي تذكر بالكشف لا
ينكر وجود العذاب وما جاءت به الرسل من احوال الجحيم فان من يجد بحسه انواع العذاب في
النشأة الدنياوية بسبب الاعمال القبيحة كيف ينكر في النشأة الاخروية وهو من اكبر ورثة الرسل
صلوات الله فلا ينبغي ان يسيء الظن به في حق الاولياء الكاملين المكاشفين [illegible]
وقال في موضع آخر في شرحه للفصوص اعلم ان لجهنم من كمال سر الجامعة لجميع العباد في الآخرة
نعمة وان كان كل منها مشتملا على مراتب كثيرة لا يحصى وهي الجنة والنار والاعراف التي هي الوسطى بينهما
على ما نطق به الكلام الالهي ولكل منها اسم حاكم عليه يطلب بذاته اهلها [illegible]
المناسبة لهم والوعد شامل للكل اذ دخل في حقيقته عبارة عن ايصال الكمال واحوطنا الى الكمال المعين
له ازلا فكما ان الجنة موعودها كذلك النار والاعراف موعود بها والابعاد ايضا شامل للكل فان
اهل الجنة انما يدخلونها بالجاذب والسائق لربهم وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والجاذب
المناسبة الجامعة بينها من النظر للانبياء والاولياء والسائق هو الدعوة بالانبياء والاسماء والانواع
المصائب والمحن كما ان الجاذب الى النار المناسبة الجامعة بينها وبين اهلها والسائق الشيطان
فيغيب الجحيم من عود لهم الموعد بها والوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم ويظهر احكامه
في خمس اصناف لا غير لان اهل النار اما مشرك او كافر واما منافق او عاص من المؤمنين وهو ينقسم الى
الموحد العارف والغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يعذبون بنيران
الجحيم كما قال الله احاط بهم سرادقها وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك ولا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون فقال انكم ماكثون اخسئوا فيها ولا تكلمون فلما مر عليهم السنون والاحقاب
واعتادوا بالنيران ونسوا نعيم الرضوان قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
فعند ذلك تعلقت الرحمة بهم ورفع عنهم العذاب مع ان العذاب بالنسبة الى العارف الذي دخل
فيها بسبب الاعمال التي يناسبها عذب من وجه وان كان عذابا من آخر كما قيل وتعذيبكم عذب على العين
لا نرى بيننا من المعذب في تعذيبه فيصير التعذيب سببا لشهود الحق وهو على ما ايمكن نوع من النعيم
في الجحيم وبالنسبة الى المحجوبين الغافلين عن اللذات الحقيقية ايضا من وجه كما جاء في الحديث
ان بعض اهل النار يتلاعبون فيها بالنار والمجنون لا ينفك عن اللذة وان كان متعذبا
لعدم وجدانه الامور بمرجحه الاعمال التي هي الحركات والقصور وبالنسبة الى قوم يطلب استعدادهم

البعد من الحق والقرب من النار وهو المعنى بجهنم التي فيهم ضرب وان كان في نفس الامر عذابا لما اشار
ههنا من يقطع مواعدهم ويرى انفسهم من الفلاح مثل بعض المدارج وقد اشار هدايت رجاء و
سهم في اصول الطبايع احدى بل خمسة مما ميز غلط كل ما مثل غلط القلم واجتهد المسمى بحجة
من بلده فارضى بذلك وكان يفتخر به ويبقى على حاله الى ان استدركه الاجل بالنسبة الى المنافقين الذين
لهم استعداد الكمال او استعداد النقص وان كان الجميع لادراكهم الكمال وعدم امكان وصولهم ويكون لما
كان استعدادهم [illegible] اغلب رضوا بنقصانهم وذلك [illegible] ثم الهم بعد استغراقهم المنتقم منهم فيعذبهم
وانقطاع العذاب عنهم كما اشار اليه من لا يرضى بامر خسيس او لا [illegible] وابتلى به ويكون [illegible]
مشتاق به واعتاد فهذا يفتخر به لان كان [illegible] بالنسبة الى المشركين الذين يعبدون غير الله
من الموجودات فانهم منهم لكونهم حجبوا الحق فما عبدوا الا الاله المطلق [illegible]
ان معبودهم عين الوجود الحق انما هو في تلك الصورة فما يعبدون الا الله [illegible] منهم من هذا
الوجه فينقلب عذابهم عذبا [illegible] وبالنسبة الى الكافرين [illegible] وان كان العذاب عظيما لكنهم لم
يتصلوا الى [illegible] فان [illegible] بطلب [illegible] الاصل يفتخر بما هو فيه عظيم
عذابه بالنسبة الى من يعرف [illegible] مرتبتهم [illegible] لا تعطا [illegible]
وارحم من يشفع هو ارحم الراحمين كما جاء في الحديث الصحيح كذلك [illegible] في جهنم لا تطفا
النار فما تنقطع العذاب [illegible] غضبي [illegible] الايات [illegible] بالتعذيب كلها
حق في كلام الشيخ لا ينافي ذلك لان كون الشيء من وجه عذابا لا ينافي كونه من وجه آخر عذابا وانما
بسطت الكلام [illegible] هذا المقام [illegible] فان الاولياء [illegible]
الا [illegible] من احوال [illegible] في الحضرة العلمية [illegible] الارواح والاجساد والعلم
بالحقايق [illegible] كل عالم والله اعلم انتهى كلامه [illegible] على نفي [illegible]
حديث [illegible] على جهنم زمان [illegible] في قعرها الجرجير وذكر البغوي [illegible] السنة في معالم
التنزيل في تفسير قوله تعالى الذين شقوا [illegible] ابن مسعود [illegible] على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك
بعد ما يلبثون فيها احقابا فصل واعلم ان [illegible] في [illegible]
الادلة [illegible] القطع واليقين [illegible] التمسك بالدلائل النقلية [illegible] اليقين
بل [illegible] الظن والدلائل العقلية [illegible] القطعي وانما قلنا
ان الدلائل اللفظية لا يفيد لانها مبنية على اصول كلها ظنية والمبني على الظني ظني انما قلنا انها
ظنية لانها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف [illegible] هذه الاشياء لا يعلم [illegible]
[illegible] مظنونة وايضا فهي مبنية على عدم الاشتراك وعدم التخصيص وعدم الاضمار

بالزيادة

بالزيادة والنقصان [illegible] التقديم والتاخير [illegible] الامور ظنية وايضا فهي مبنية على
عدم المعارض العقلي فان [illegible] لا يمكن القول بصدقهما ولا بكذبهما معا ولا يمكن
ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل النقل فالطعن في العقل يوجب الطعن في العقل والنقل معا
لكن عدم المعارض العقلي مظنون [illegible] فكيف [illegible] ههنا دلايل عقلية على خلاف
هذه الظواهر [illegible] هذه الدلايل النقلية ظنية [illegible]
فيه [illegible] كلام [illegible]
الشاعر [illegible] على [illegible]
[illegible] كذلك [illegible] وهذا [illegible] كثيرا من اهل الا
جوز [illegible] النسخ [illegible] الامتثال [illegible] الحكمة ينشا
من نفس المامور به [illegible] الحكمة [illegible] نفس الامر فان [illegible] الفعل
[illegible] ان كان [illegible] المقصود [illegible] الامر ان
[illegible] نفسه على [illegible] كذلك [illegible]
[illegible] لا يكون المقصود من هذا الا
المامور به [illegible] المقصود حكمة ينشا من نفس الامر فقط [illegible]
[illegible] الحكمة
[illegible] هو [illegible] لا المخبر عنه
في الوعيد فان الاخبار على سبيل الوعيد [illegible] الزجر عن المعاصي [illegible] على الطاعات
[illegible] هذا المقصود جاز ان لا يوجد المخبر عنه [illegible] الله [illegible] لانهم
بالعقاب [illegible] المكلفين [illegible]
[illegible] القطع [illegible]
[illegible] جميع [illegible] والكذب قبيح قلنا
لا نسلم ان كل كذب قبيح بل القبيح هو الكذب الضار [illegible] الكذب النافع [illegible] الكل لا نسلم انه
كذب [illegible] ان جميع عمومات القران مخصوصة [illegible] كل المتشابهات
[illegible] ظواهرها [illegible]
[illegible] مشروطة بعدم التوبة وان لم يكن هذا الشرط مذكورا [illegible]
مشروطة بعدم العفو وان لم يكن هذا الشرط مذكورا [illegible] العقاب
العفو وان لم يكن هذا الشرط مذكورا [illegible] من العقاب

[illegible]

فيحمل الاخبار عن الوقوع على الاخبار عن استحقاق الوقوع فهذا جملة ما يقال في تقرير
هذا المذهب واما الذين لا يقولون بوقوع العذاب فما اول من نقل الينا على سبيل التواتر من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوع العقاب فانكاره يكون تكذيبا للرسول صلوات الله عليه والرد وفتحا لابواب القدح
في خصوصيات القرآن فهو مدفوع والله الهادي الى سبيل الصواب وبيده مفاتيح الابواب قوله جل ثناؤه
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين اتفق المفسرون على ان
ذلك وصف المنافقين وهم الذين اسلموا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم واعلم ان الناس بحسب الفطرة
ثلثة اصناف لانهم اما سعداء وهم اصحاب اليمين واما اشقياء وهم اصحاب الشمال ثم المطرودون
الذين حق عليهم القول فهم اهل الظلمة ظلمات الحجاب الحق على قلوبهم ازلا كما قال تعالى ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الاية وفي الحديث الالهي الرباني المتفق
عليه نقلا هؤلاء خلقتهم للنار ولا ابالي واما المنافقون الذين كانوا مستعدين بحسب الفطرة قابلين
للنور في الاصل والنشأة لكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من كسب الرذائل وارتكاب المعاصي
ومباشرة الاعمال البهيمية والسبعية ومزاولة المكايد الشيطانية حتى رسخت الهيئة الفاسقة
والملكات المظلمة في نفوسهم وارتكمت على افئدتهم فبقوا شاكين حيارى تائهين قد حبطت
اعمالهم وانتكست رؤوسهم فهم اشد عذابا واسوأ حالا من الفريق الاول لمنافاة … استعداد …
لحالهم والفريقان هم اهل الدنيا واصحاب اليمين اما اهل الفضل والثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
للجنة راجين لها راضين بها فوجدوا ما عملوا حاضرا على تفاوت درجاتهم بما عملوا ومنهم اهل الرحمة
الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم المثوبون درجات الجنة على حسب استعدادهم من فضل
ربهم لا على حسب اعمالهم من ميراث … واما اهل العفو الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهم
قسمان المعفوون منهم لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم لقلة مزاولتهم اياها او لملكة
توبتهم عنها فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والمعذبون حينا بحسب ما رسخ فيهم
من المعاصي حتى خلصوا عن درن ما كسبوا فنجوا وهم اهل العدل والعقاب والذين ظلموا
من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا لكن الرحمة … وهم … بالآخرة والسابقون
وهم المقربون بالله واليوم الآخر خاصة اما محبون واما محبوبون فالمحبون هم الذين
جاهدوا في الله حق جهاده وانابوا اليه حق الانابة فهداهم سبله والمحبوبون هم اهل العناية
الازلية الذين اجتباهم وهداهم الى صراط مستقيم واصطفاهم … اهل الله … [illegible]
اهل الجنة … بالآخرة الى الجنة … احسن … في التقسيم قسما واحدا
اذا علمت هذا فاعلم ان الله سبحانه لما افتتح بشرح حال الكتاب وانه … من … عالم الكرامة

والغيب

والغيب يشتمل على العلوم التي لا يظهر بها … ريب ومن حيث انه هدى للمتقين
وساق لبيان ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم واندرج
فيهم الاقسام الخمسة سوى الفريقين الذين هم من قسم الاشقياء فان الاشقياء القرآن ليس هدى
للفريق الاول من الاشقياء لامتناع قبولهم للهدى لزوال استعدادهم ولا للثاني لزوال الاستعداد
ومسخهم وطمسهم بالكلية لفساد اعتقادهم جميعا فانهما اهل الخلود في النار ونفعه هدى للمتقين وان
عم الاصناف الخمسة لان المراد بهم في هذا الموضع هم المستعدون الذين بقوا على فطرتهم الاصلية
واحترزوا عن … والشرك والشك … قلوبهم وبقاء نورهم الفطري فلم ينقضوا عهد الله الميثاق
فالجمهم نصيب من القرآن كل بحسبه الا ان تخصيص بالاشارة صنفين منهم الى احدهما …
وخالصا احدهما اهل الفضل والثواب من اصحاب اليمين المشار اليهم بقوله الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والثاني السابقون المقربون المشار اليهم بقوله
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اذ قد علم من احوالهم
انهم من اهل الرسوخ العلمي ولما ذكر المؤمنين قسميها اي العاملين والعالمين ثناهم باضدادهم
الذين محضوا الكفر لسانا وضميرا ظاهرا وباطنا ولم … الايات … بقوله ان الذين
كفروا الآيتين وهم الفريق الاول من الاشقياء الذين هم اهل القهر الالهي لا ينجع فيهم الانذار ولا
ينفعهم التذكار … من النار … حقت كلمة ربك على الذين لا يؤمنون وكذلك
حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار … الطرق وقد اغلقت عليهم الابواب وقفل
… الذي هو محل الالهام ومنزل الكرام … السمع والبصر …
لا يفهمان القرآن … بالفهم … الاعتبار … المعنى … الى القلب
فلا سبيل لهم في الباطن … الى عالم … الكشف ولا في الظاهر السمع والبصر …
الباطن … والعلم … الظلمات … [illegible]
والسلاسل والاغلال … ولما ذكر اوصاف القسمين
اعني المؤمنين والكافرين مطلقا ثلث بذكر القسم الثالث وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
تكملة للتقسيم وهم اخبث قلبا من الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر بالايمان فخلطوا
به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بافعالهم وسجل
على طغيانهم وجهلهم بضرب الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم
مع ادعائهم الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر سلب عنهم الايمان وما هم بمؤمنين لان
حقيقة الايمان … ومحله هو القلب لا اللسان … قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا

ولكن قولوا اسلمنا لما يدخل الايمان في قلوبكم ومعنى قولهم امنا بالله وباليوم الاخر ادعاؤهم
على التوحيد والمعاد اللذين هما اصل الدين واساسه اي انا من الشرك المحجوبين عن الحق
ولا من اهل الكتاب المحجوبين عن الدين والمعاد لان اعتقاد اهل الكتاب ليس مطابقا للحق والصواب
واعلم ان الكفر هو الاحتجاب كما مر والاحتجاب اما عن الحق فهو كالمشركين واما عن الدين كا
لاهل الكتاب والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول اليه بالضرورة واما
المحجوب عن الدين الذي هو طريق الوصول اليه بالضرورة واما المحجوب عن الدين فقد لا يحجب
عن الحق فهؤلاء ادعوا رفع الحجابين فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم لخداعهم الله واوليائه
ومكرهم وزيادة المرض في قلوبهم مع انهم اولى الاهوى فهؤلاء اسوء حالا واشد نكالا من
الكافرين وهذا فرق الله بين الفريقين في الاولين حيث ذكر في الاخرين ... وان كان لعظم
كفرهم ... الخرافات والاوهام ... فلا يكون ... عذابهم ولا يجدون ...
والمهم لعدم صفاء ادراك قلوبهم بواسطة كثافة الحجاب وغلظة النقاب كحال العضو الميت
او المفلوج والحجر الذي لا يحس الم القطع والكي ... الا من الالام واما المنافقون فلثبوت
استعدادهم في الاصل وبقاء ادراكهم يجدون شدة الالم فلاجرم كان عذابهم سببا من المرض
العارض المزمن الذي هو الكذب والخديعة والحسد والنفاق وجهل الشيوع بالامراء والادراة وغيرها
واذا لقوا لهم لا تفسدوا في الجهة السفلية بالكون وبالفرق الا بنيان الطبائع والاصلاح كما حكى الله عنهم
فيما بعد اذ يرون الصلاح في تنظيم اسباب المعيشة وتيسير امور الدنيا لانفسهم خاصة وان كان مؤديا
الى خراب العاقبة لتوغلهم في محبة الدنيا ونيل الجاه والشهوة وانهماكهم في اللذات والراحات
البدنية واحتجابهم بالمنافع الجزئية والملاذ الخسيسة عن المصالح العامة واللذات العقلية
وهم لا يشعرون بذلك وان كانوا معلومين بالمشاهدة الحسية لان محبة الدنيا سلبت عقولهم
واعمت قلوبهم واصمت نفوسهم ولذا قيل حبك الشيء يعمي ويصم فصل في بيان تحقيق
الفرق بين المنافق والكافر الاصلي تصريحا وتلميحا في مواضع متعددة ... اجمعوا في
ان ايهما اسوء فعلا واقبح حالا فقال بعضهم قبح الكافر الاصلي اقبح لانه جاهل بالقلب ذو باللسان
والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان ... المنافق كاذب باللسان فانه
يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه ولذلك قال تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا وكذلك والله يعلم ان المنافقين لكاذبون فثبت ان المنافق اخص بمزيد امور منكرة
الاولى ... الكافر ... ذلك المنافق ان الكافر على طبع الرجال والمنافق على طبع الخنوثة
اقول الكافرين على طبع الرجال هم المؤمنون حقا لا الكفار ... الكافر على طبع الانوثة

والمنافق على طبع الخنوثة وطبع الخنوثة اقبح من الانوثة وذلك لان الاخرة دار البقاء دار الفعال
والدنيا موضع القوابل المنفعلة فموطن المؤمن اي عالم العقل موطن الرجال وموطن الكافر
اي الدنيا وهي عروس غدارة رعناء موطن النسوان والمنافق ذو الوجهين لا من هذا ولا
من ذاك هذا فيه التوالد والهلاك وانقطاع النسل والبقاء النوعي العقلي في
النشأة الدائمة الثالث ان الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه ولم يرض
الا بالصدق والمنافق رضي بذلك الرابع ان المنافق ضم الى كفره الاستهزاء بخلاف
الكافر ولاجل غلظ كفره قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الخامس قيل
مجاهد انه تعالى ابتدأ بذكر المؤمنين في اربع ايات ثم ثنى بذكر الكافرين في اثنين ثم
ثلث بذكر المنافقين في ثلث عشرة اية فدل ذلك على ان المنافقين اعظم جرما وهذا
بعيد لان كثرة الاقتصاص بخبرهم لا يوجب كون جرمهم اعظم فان عظم فليعد ذلك
وهو ضمهم الى الكفر وجوها من المعاصي كالمخادعة والاستهزاء وطلب الغوائل الى غير ذلك
ممكن ان يحصل بسببها كثرة الاقتصاص بخبرهم بل يدل على ان الاهتمام بدفع شرهم اشد
من الاهتمام بدفع شر الكفار وذلك يدل على انهم اعظم جرما من الكفار فصل يستفاد
من الاية امران احدهما ان من لا يعرف الله لا يكون مؤمنا وان اقر به لسانا لقوله تعالى وما هم بمؤمنين
خلافا للكرامية والثاني بطلان قول من زعم من المتكلمين ان جميع المكلفين عارفون بالله
وان من لم يكن عارفا به لا يكون مكلفا وذلك لان هؤلاء المنافقين لو كانوا عارفين بالله ... علم العرفان
فبطل قولهم ... هذه الامور ... وهذا المقام يحتاج الى تحقيق عميق لا يسع هذا
الوقت ذكره فصل في اللغة والاشتقاق لفظ الانسان ... ما يروى عن ابن
عباس ... الانسان ... والنسيان ... ناس ... الناس ... وانهم ...
اي يبصرون ...
يكون مشتقا من لفظ ... الانس ... الناس ... اللسان ...
والناس ... الهمزة تخفيفا ... لان اصله ...
...
على ...
...
... الكشاف ...

المار ذكرهم ومن على الاول يكون موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون آمنا كقوله من المؤمنين
رجال وعلى الثاني يكون موصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي اي ومن هؤلاء الذين كفروا من
يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن في طبقتهم فانهم وقوعهم لاجل النفاق تحت جنس الكفار المختوم
على قلوبهم ودخولهم في ابواب الكفر لا ينافي اختصاصهم بمزايد زادوها على اصل الكفر من الخديعة
والاستهزاء والامراض القلبية وغيرها ولا يخرجهم عن ذلك وان يكونوا بعضا من جنسه فان الانواع
انما تنوعت بزوايد على طبيعة الجنس بما هي مجردة طبيعته اي بالمعنى الذي هي مادة وتلك الزوايد
لا يأبى الدخول مع ما زيد عليه تحت الجنس وصدقه على المجموع بالاعتبار الذي هو به جنس وان لم يصدق
بالمعنى الذي هو به مادة فتفطن فصل اعلم ان اختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم والكمال الاتم وهو العلم باحوال المبدا والعلم باسرار المعاد وتخييل بانهم
مع خبثهم ودناءة طبعهم ادعوا ثبات امر شريف عال الاتم وهو الجانب الايمان من جانبيه والاحاطة
بكلا قطريه وههنا دقيقة اخرى وهي الكشف عن افراطهم في خبث الباطن وفساد الضمير وتماديهم
في قبح الباطن وسوء السريرة حيث كان قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا معروكا
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يعتقدون في الله التشبيه واتخاذ الولد وفي اليوم
الاخر ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
الى غير ذلك فايمانهم بالله واليوم الاخر كلا ايمان فهم منافقون فيما يظهرون انهم مخلصون فكيف
بما يقصدون به النفاق فهم يرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم فهم في خبث الباطن وسوء
الضمير بحيث لو صدر منهم هذا القول لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ايمانا لا يكون
فلم يكونوا اغادوا فيا كيف وقد صدر منهم تمويها على المسلمين وتهكما بهم ولفظ من يصلح للجمع
للواحد كقوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك فانه موحد اللفظ مجموع المعنى والعايد اليه يرجح عند
التوحيد الى اللفظ وعند الجمع الى المعنى ففي قوله من يقول انما حصل ضد الامران ونكروا انبائه
يدل على ان علم المبدأ وعلم المعاد كلا منهما علم شريف براسه ولا يلزم ان يكون داخلا في مقول
قولهم وان كان داخلا في المعنى ادعاؤهم الايمان بكل واحد منهما على الاستقلال والقول مصدر
معناه التلفظ بما يفيد ويقال على القضية الملفوظة وعلى صورتها الذهنية وعلى الرأي و
المذهب مجازا وما هم بمؤمنين بدل وما امنوا كما يستدعيه المقابلة من التصريح بشأن الفعل
دون الفاعل لا العكس انكارا لما ادعوه ورد لما انتحلوه بابلغ وجه واكده في التكذيب بهم
حيث اخرج ذواتهم من عداد المؤمنين لا نفي الايمان واليقين مطلقا ولذلك اكد النفي
بالباء ونحو قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين وترك تقييد الايمان في الثاني عما قبله

في الاول اما لانه دل عليه المذكور اولا لان هذا الجواب وانما للاشعار بانهم ليسوا من الايمان في
شيء اصلا تنبيه فيه تذكير والمراد من اليوم اما الزمان الذي لا حد له وهو الابد الدائم
الذي لا ينقطع او الوقت المحدود من الحشر الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار لانه آخر الاوقات المحدودة او ما بعده فلا حد له وانما سمي زمان الاخرة يوما لظهور شمس
الحقيقة وطلوعها من افق الاكوان ومطالع الحقائق الروحية كما انه قد اختفى ما دام الكون
الدنيوي في مغارب الصور الحسية وفي القيمة يصير تلك الصور بعينها مظاهر الانوار الالهية
ومشاهد اسرار الربوبية فكان تلك الدنيا ليل لها ان يوم الاخرة نهارها عند قيام الساعة
والله اعلم باسراره قوله جل اسمه يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون
الا انفسهم وما يشعرون ان المنافقين قبايح كثيرة من رذايل القلب وخبائث
النفس ذكر الله اربعة منها في هذه الايات احدها ما ذكره في هذه الاية وهي المخادعة مع الله
والمؤمنين والخدع ان يوهم غيره خلاف ما يخفيه في نفسه من المكروه ليحرفه عما هو بصدده
من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم
خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع الخزانة والاخدعان العرقان خفيان في العنق
فهو ضرب من النفاق والغرور والريا في الاعمال الحسنة وكل ذلك بخلاف ما يقتضيه دين
الله وطريقه لان الدين يوجب الاستقامة والعدول عن الزور والتدليس والمكر والاساءة
كما يوجب الاخلاص الا لله الدين الخالص واما انهم كيف يخادعون الله ولا يخفى عليه خافية
وكيف خادعهم الله والمؤمنون كما يقتضيه صيغة المفاعلة والخدع صفة مذمومة فالمراد
خمسة من الاول احد امور ثلاثة اولها ان يكون ذلك على معتقدهم وظنهم ان الله ممن يخفى عليهم بعض
الاعمال الصادرة عنهم بعمد وريا مع ان القصد منهم بها لم يكن الا لاغراض من النفس والهوى في
محبة الجاه والرئاسة ومتاع الدنيا وذلك لاغترارهم وجهالهم بان الله قد يجير الطريق الغير خطير
والبضاعة معالبة مموهة ولا يقبل عند الله الا العمل الخالص كيف ومن كان ادعائه الايمان
بالله واليوم الاخر نفاقا لم يكن قد عرف الحق وصفاته وان له تعلقا بكل معلوم ولم يغن عن
كلما سواه فلم يبعد عن مثله ان يجوز ان يكون لله في زعمه مخدوعا من وجه خفي عليه كما يوجد
في الناس بل في اكثرهم الا قليلا منهم من كان هذا شانهم مع الله وقد شاهدناهم وصحبناهم كثيرا و
ثانيها ان يقال معاملتهم مع الله مظاهرين بالايمان ويستبطنون الكفر صورة صنيع الخادع
وثالثها ان المراد بمخادعة الله المخادعة مع رسول الله اما على حذف المضاف او على ان
معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده

وهو مع ذلك خارج عن مقام بشريته ذاهب الى الله وملكوته واصل بكليته في بحبوحة قربه وساحة
جلاله وجلاوله مستغرق في شهود الهيته كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال صلعم من رآني فقد راى الحق وفي الحديث القدسي من اهان لي
وليا فقد بارزني ومن عاداه فقد عاداني ورابعها ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان يكون من
قبيل قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفايدته هذه الطريقة قوة
الاختصاص ولها لطائف ذكرها وخامسها ما في الكشاف ايضا وهو ان يقال يعني بيخادعون الله انه صح
في زنة المفاعلة للمبالغة لان الزنة في اصلها للمبالغة والفعل متى غولب فيه فاعله كان ابلغ و
احكم منه اذا زاوله من غير مغالبة معارض لها وبعضده قراءة من قرأ يخدعون ولا نزيادة
ليقول [illegible] ويحتمل الاستيناف لذكر ما هو الغرض من دعويهم الايمان كذبا والمراد من الخداع في
هو ان صورة صنع الله معهم صورة صنع الخادع حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده
اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار واستدرجهم وتلطفا في افنائهم على الامهال [illegible] وتركهم
وطردهم من جناب قدسه [illegible] من حيث لا يشعرون [illegible] بمثل صنيعهم وكذا صورة صنع
الرسول والمؤمنين معهم من حيث امتثالهم امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام وربما كانوا
ولاة في البلاد وقضاة في دار الاسلام يحكمون على اموال المسلمين وفروجهم ودمائهم ويجب على
الناس الاقتداء بهم في الصلوة والامتثال لامرهم ونهيهم تقية ومداراة معهم كما اخبر عنهم
رسول الله صلعم بقوله سيكون بعدي اثرة وقال لاصحابه انكم ستحرصون على الامارة وستكون
ندامة يوم القيمة وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلعم كيف انتم وائمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء
قلت اما والذي بعثك بالحق اضع سيفي على عاتقي ثم اضرب به حتى الحقك قال اولا ادلك على خير من
ذلك تصبر حتى تلقاني فصل الاعلام على الخبر بصنيع المؤمنين [illegible] مقاصد واغراضا شتى منها
انهم دفعوا عن انفسهم احكام الكفار من قتل نفوسهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم كما قال رسول الله صلعم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ومنها قبولهم عند اهل الاسلام واجراؤهم مجرى المؤمنين
في التعظيم والاكرام ومنها انهم بهذا التمسوا من النبي صلعم والمؤمنين افشاء الاسرار [illegible] ليبلغوها
الى اعدائهم من الكفار ومنها انهم طمعوا الاقسام من اموال الغنائم الى غير ذلك من المقاصد والاغراض
وليس لك ان تقول لما كان الله قادرا على ان يوحي الى نبيه [illegible] بجميع ما قصدوه واضمروه في نفوسهم
ليدفع شرهم وخداعهم وافسادهم فلم لم يفعل ذلك ولم يهتك استارهم قلنا وانه ايضا قادر على [illegible] شيطان
ابليس وذريته اجمعين ولكن ابقاهم وقواهم واجراهم مجرى الدم في عروق الآدميين لما في ذلك
من الحكمة والمصلحة ما لم يعلم حقيقتها الا الله ومن اهله بنوره واطلع على [illegible] اهل [illegible]

والولاية

والولاية فصل في حكمة تمشيتهم قوله وما يخدعون الا انفسهم اي خداع المنافقين
لا ينجع الا في انفسهم باهلاكها وتحسيرها وايراثها الوبال والنكال بزيادة الظلمة والكفر و
النفاق واجتماع اسباب البعد عن الحق والشقاء عليها كما في قوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا
باهله وكذا خداع الله المترتب عن خداعهم لا يتخطى انفسهم الى غيرهم [illegible] ويوقعهم اشد
ابتلاء لقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهم من غاية تمهمهم في جهالتهم لا يحسون
بذلك الامر المكشوف الظاهر والشعور بالشيء ادراكه بالحس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه
معنى به ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتمادي غفلتهم كالذي [illegible] لا يحس والمراد
من النفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك وقد يطلق على جوهر مفارق عن الاجسام ذاتا وحقيقته مقارن لها اشتغالا وتاثيرا [illegible]
قيل القلب [illegible] خليفة النفس في البدن كما ان [illegible] خليفة الطبيعة ويقال للدم نفس لان
قوام جوهرها البدنية بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ولان
في قولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان كانهم ارادوا داعي النفس
هاجسيها فسموهما نفسين لصدورهما عن النفس وتشبيها لهما بشخصين يامر احدهما وينهى الاخر
ويطلع على هذا السر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون والباقون يخدعون وحجة
الاولين التطابق في اللفظ بين الكلامين وحجة الباقين ان المخادعة انما يكون بين اثنين
فلا يكون للانسان الواحد مخادعة النفس اقول وكذلك الخداع لا يكون الا بين اثنين فلا
الواحد كما لا يخادع مع نفسه كذلك لا يخدع نفسه ايضا والفرق بينهما بان الفعل في الاول من
الجانبين وكذا الانفعال وفي الثاني الفعل من جانب والانفعال من جانب اخر فالاولى ان يراد
حقيقة المخادعة اي هم في ذلك يخدعون انفسهم بمنيتها الاماني الباطلة ويحوقونها بالاكاذيب
من الابعاد بالخير والوعد بالشر وغير ذلك كذلك انفسهم تعدهم وتمنيهم وتحدثهم بالاماني
فما هو الجواب لذلك فهو الجواب لهذا وتحقيق ذلك يبتني على معرفة النفس الانسانية فاعلم ان
لها نشات [illegible] ومقامات متعددة كالحسية والخيالية والعقلية ولها مراحل ومنازل [illegible] كالدنيا
والبرزخ والاخرة واكثر الناس ما داموا في الدنيا فقيام نفوسهم بالفعل على الحس ولها بالقوة
نشاة الروح والعقل وذلك لم يبطل [illegible] الحصول النشاة الباقية واما اذا بطل ذلك
[illegible] والطمس بالكلية فليست نفوسهم هي [illegible] ولا عقولا لا بالفعل ولا بالقوة ولا لها نشاة
الا نشاة الحس فقط كنفوس [illegible] الحيوانات وبعض الناس من خرجت نفسه من القوة الى الفعل
في نشاة الثالث كالكمل من العلماء الالهيين والاولياء فلهم من الاحوال الجميلة ما [illegible]

الثلثة ولا يشغلهم شان عن شان ولا يمنعهم موطن عن موطن فاذا تقررت هذا فحقوق النفس
بحسب كل مقام ونشاة هي غيرها بحسب مقام آخر ونشاة اخرى وبواسطة مزاولة افعال نشاة
النشاة الدنيوية وتكررها يقوى الجنبة السافلة منها وتضعف الجنبة العالية وبالعكس
عند مزاولة افعال تناسب النشاة الاخرى وتكررها وحصول الرسوخ في الافعال الشهوية
والغضبية والاعمال البهيمية والسبعية يبطل النشاة العقلية الملكية بالكلية بحيث لا يرجى
امكان عودها وذلك هو الخسران المبين لان النفس خسرت ذاتها الباقية ونشاتها العقلية وضيعت
عنها بهذه النشاة الفانية والحيوة الحسية كما قال الذين خسروا انفسهم وهم لا يشعرون بتضييع راس
مالهم وهو الفطرة السليمة والعقل السليم ومن هذا القبيل وقوع المخادعة بين النفس وذاتها لكونها
ذات وجهين وجه الى الحس والشهوة والدنيا والشيطان ووجه الى العقل والعالم والعقبى والملك
ولكل من الوجهين اسباب ومعاونات ودواعى واغراض واشخاص من جنود الشيطان وجنود الملك
والمنازعة بين القبيلتين والمطاردة قائمة في عرصة باطن الانسان وميدان صدره ومعركة
قلبه عند بلوغ الانسان الى مرتبة التمييز وصيرورته محلا للمكالمة الانسانية وهي البقية
بما فيها من القوى والمشاعر والاجزاء مشتركة بين الخصمين الى ان يغلب احدهما ويغلب على
الاخر واكثر الناس ممن افتتحت عرصة باطنه ومملكة قلبه الهوى والشيطان [illegible] مقابلهما
من العقل والملك احياز واختلاس وعبوده في نمط التذلل الا من عصمه الله [illegible] الحكمة
على نفسه الشيطانية فاذا ثبت حكم المحاربة بين هذا [illegible] باعتبار كونها ذات الوجهين فكذلك
حكم المخادعة بينها وبين ذاتها كيف والحرب خدعة فالمحاربة لا تنفك عن المخادعة ومن هذا الباب
حكم الآيات الدالة على محاربة النفس لذاتها كقوله تعالى ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله
ونهى النفس عن الهوى وقوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم وقوله قال موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم الآية وقوله ان الله اشترى من المؤمنين
اموالهم وانفسهم بان لهم الجنة فاعلم ما ذكرنا لانه مفتاح من مفاتيح معرفة النفس التي هي مفاتيح
ابواب خزائن علم القرآن ان شاء الله وقرئ وما يخادعون بالتشديد من خدع ويخدعون
بفتح الياء بمعنى يخدعون ويخدعون ويخادعون على صيغة المجهول قوله جل اسمه
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم اعلم كما ان للابدان صحة
ومرضا ودواء وغذاء فكذلك للقلوب صحة ومرضا ودواء وغذاء وذلك لان الصحة
عبارة عن صفة توجب صدور الافعال عن موضوعها مستقيمة سليمة والمرض صفة لم توجب
وجوب وقوع الافعال عنه مختلفة ولما كانت حيوة القلب انما هي بنور الايمان بالله واليوم

الآخر

الآخر كما ان حيوة البدن بقوة الحس والحركة وكان الفعل الخاص به انما هو ذكر الله وطاعته
وعبوديته كما ان الفعل الخاص بالبدن الحس والحركة كالاكل والشرب والجماع والمشي
وغيرها فاذا وقع في القلب من الصفات ما صار مانعا له من هذه الافعال كانت تلك الصفات
امراضا وتلك الامراض وتلك الصفات بعضها سموم قتالة كالجهل المركب والنفاق والجحود
والشك والعناد والحسد واللداد وغير ذلك من الصفات المهلكات فانها اذا استحكمت
ورسخت في القلب فهي غير قابلة للعلاج وبعضها ليس كذلك كالصغاير من السيئات والنقائص
من الخطيئات واعلم ان الدنيا دار المرض وليس على ظهر الارض كما ليس في بطنها الا الاموات
وانما يوجد الصحة والسلامة المطلقة في العالم الاعلى من طبقات الجنان في [illegible] الا من اتى
الله بقلب سليم ومرضى القلوب هاهنا اكثر من مرضى الابدان والعلماء اطباء القلوب في احكام
الشريعة قوام دار المرضى وكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلم الى الحاكم ليكف
شره عن باقي الناس كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم
لتقييده بالسلاسل والاغلال ويكف بلاء شره عن سائر الناس وانما كان مرض القلوب
اكثر من مرض الابدان لثلث علل احدها ان المريض لا يدري انه مريض وثانيها ان عاقبته غير
مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته وهي موت البدن مشاهد تنفر الطباع
منه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن موت القلب الذي هو عاقبة مرضه وان
علمها مرتكب الامراض القلبية والكبائر الموبقة فلذلك ترى الاتكال على فضل الله والجهد
في علاج البدن وثالثها وهو الداء العضال فقد العلماء الذين هم الاطباء كما في هذه
الاعصار وفقد الاطمينان بما يقول الطبيب كما في زمن النبي صلى الله عليه وآله والاوصياء
عليهم السلام فمن يحتاج المريض الى التصديق بامور لان للمرض والصحة اسبابا
يتوصل اليه بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان
من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج فيزداد مرضه الى ان يلحق به الهلاك وهذا نظيره
في مرض القلوب هو الايمان باصل الشريعة وهو ان للحيوة الاخروية والسعادة الدائمة
سببا هو الطاعة وللموت الاخروي والشقاوة الابدية سببا هو المعصية وهذا وهو
الايمان باصل الشرايع لابد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان
الثاني انه لابد ان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما
يخبر به ويعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا
الايمان ونظيره فيما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلعم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق

ولا كونه مغيرا والخلف الثالث انه لا بد ان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الغذاء
المضر على الكمال حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء
ودواؤه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في الترهيب من
ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك وريبة
حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الثاني في العلاج والركن الآخر هو العلم بما ذكره
الطبيب فان الشفاء لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء
الا مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه دفع ذلك السبب وحله وابطاله
ولا يبطل الشيء الا بضده والضدان متساويان في المعرفة والجهالة فلا سبب للاصرار الا
الجهل والغفلة والشهوة والهوى ولا يضاد الغفلة الا العلم ولا يضاد الهوى الا الصبر
على قطع الاسباب المحركة للهوى والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى اولئك هم الغافلون
لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم
انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذن لامراض القلوب الا معجون يعجن من حلاوة
العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل واحد
منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي ان يفهم
علاج القلب من مرضه فانه لا بد فيه من العلم والتقوى والقرآن كله في بيانهما كما لا يخفى
على اهل البصيرة وقد مر ان فايدة الاعمال الشرعية كلها وجودية كانت او عدمية تصفية
القلب عن ما يكدره ويمرضه ويحجبه عن مطالعة الحق والعلم بالله وصفاته وافعاله هي الغاية
القصوى لوجود الانسان وساير الاكوان فصل لما كانت الزيادة من جنس المزيد عليه
وقد علمت ان مرض القلب هي الصفات المضادة لانواره وآثاره الخاصة التي اصلها الايمان
بالله والمعرفة بآياته وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر فرأس الامراض القلبية هي
الكفر بالله والجهل بهذه الامور فقوله فزادهم الله مرضا محمول على الكفر والجهل فيلزم ان يكون
الله فاعلا للكفر والجهل وهذا انما استشكله جماعة كالثنوية من المجوس الذين جعلوا فاعل
الشرور مبدأ آخر غير فاعل الخيرات وقالوا باصلين قديمين هما عندهم النور والظلمة
او يزدان واهرمن لان هذا الاشكال بعينه هي الشبهة المشهورة وهي ان في العالم خيرات
وشرورا والموجد والمكون لا بد فيه من مؤثر وينتهي الى مؤثر قديم دفعا للدور والتسلسل
والمؤثر للخيرات والشرور لا يمكن ان يكون مبدأ واحدا لان كل امر واحد خيرا او شريرا
معا فخالق الانوار والخيرات هو القديم المسمى بالنور عندهم ويزدان وخالق الظلمات

والشرور

والشرور هو القديم المسمى بالظلمة عندهم واهرمن وكان قصدهم دفع هذا الاعتقاد
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وهكذا قالت القدرية الذين
هم مجوس هذه الامة ان في هذا العالم يوجد الكفر والمعاصي كما يوجد الايمان والطاعات
فهو منزه ان يكون خالق الكفر والمعصية فكل معصية وكفر منشأ صدورها وفاعلها وخالقها
هو الشيطان او العبد وان القديم هو فاعل الايمان والطاعات وكان قصدهم ردا عليهم والله
خلقكم وما تعملون ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها واما حل الشبهة
فهو ان الفايض من الباري جل اسمه ليس الا نور الوجود والرحمة وهذا النور ينقلب ظلمة
من جهة خصوصية بعض القوابل المظلمة بواسطة هيئات رديئة غاسقة كالشمس التي شأنها
الاضاءة والتنوير للاشياء المحاذية لها وافادة الحرارة وانعاش الحرارة الغريزية للمركبات
لكنها قد يوجب اسوداد بعض الاجسام وتجفيف بعض المواد الفاسدة لخصوصية عروض
الهيئات المفسدة العايقة لها عن قبول الصلاح والاعتدال وللحكماء ذكروا في دفع
شبهة الثنوية ان الاشياء على خمسة احتمالات احدها الخير الذي لا شر فيه اصلا والثاني الشر
الذي لا خير فيه اصلا والثالث ما يكون خيره غالبا على شريره والرابع عكس ذلك والخامس
ما يتساوى فيه الامران وذات الواجب للخير لما لم يجز ان يصير مبدأ للشر وجب ان لا يصدر
عنه من هذه الاقسام الا قسمان اي الاول الذي لا شرية فيه والقسم الثالث الذي
خيريته غالبة على شريته لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فيقول الثنوية
القايلة بان الله لا يصير مبدأ لما فيه شر كيف يمكن الزامهم وقد تفاوا ارسطو وزير اسكندر
الرومي الملقب عندهم بالمعلم الاول بذلك الكلام فان قال قايل انه فعل جاز ان
يصدر عن الاول خير محض مبرأ عن الشر فيقال ان هذا لم يكن جايزا في مثل هذا القسم من
القسمين المذكورين وان كان جايزا في الوجود المطلق على انه ضرب من عدد هذا الضرب
وذلك مما قد فاض عنه كالموجودات العلوية والملائكة السماوية والنفوس الشريفة
والعقول القادسة وبقي هذا النمط في الامكان ولم يمكن ترك ايجاده لاجل ما يحاط
من الشر لما علمت من ان ترك خير الشرور فكونه خير الشرين فالكل من عند الله وقد مر في
المفاتيح انه من الواجب في الحكمة ان يكون في العالم مظاهر جميع الصفات الالهية فلا بد
لكل من الوصفين المتقابلين من مظهر فالايمان ونتايجه ومباديه كالملائكة ومن
ضاهاهم من الاخيار ومظاهر القهر والغضب والكفر ونتايجه ومباديه كالشياطين
ومن والاهم من الاشرار ومظاهر اللطف والمحبة ثم لا اعتراض في تخصيص كل بما يخصه لان هذا

الترتيب من لوازم الوجود والايجاد فان قلت ما ذكرت من التوحيد في الافعال يتحقق ظاهره مهما اثبتت الوسايط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في افعال الانسان وحركاته فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا في فعله فنقول اعلم انه لو كان الانسان مع هذا بحيث يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يشأ لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ان شاء وما يشاء شاء ام لم يشأ فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى وتسلسل الامر الى غير النهاية واذا لم يكن المشية اليه بل مهما وجدت المشية التي شانها تصريف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية يحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات مترتبة بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة وانبعاثها الى المقدور بعدها ولا وجود بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت هذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار وكونه سببا للفعل الا كما عند الاشاعرة القائلين بوجود الاختيار من غير ان يكون له سببية وهو المسمى عندهم بالكسب قلت لو انكشف لك الغطاء لعرفت ان الانسان في عين الاختيار مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار وانه مضطر في صورة مختار وهذا كما ورد في الحديث الذي مر ذكره عن الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وهذا معنى ما قيل الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار بل يؤكده بمعنى ان الاضطرار في الاختيار يؤكد وجود الاختيار لان الشيء ما لم يجب وجوده لا يوجد فالاختيار ايضا من جملة الاشياء الممكنة التي في وجودها ان يصير او لا واجبا حتى يتحقق واذا وجب الاختيار حتى يوجد فعل سقط الاضطرار المؤكد لوجوده وان اردت ان تفهم معنى الاختيار فان اكثر الناس جاهلون بمعناه فلنشرح اولا شرحا وجيزا فنقول لفظ الفعل يطلق في الانسان على ثلثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرية والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فهذه انحاء من افاعيله في هذه الثلثة لم يراع التساوي ولدرو.... اخرى من الفعل في عالم الغيب ليس هذا المقام موضع بيانه فاذن يرجع اليه هنا الخرق في الماء والتنفس والكتبة وهذه الثلثة في حقيقة الاضطرار و الجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور ثلثة فاعرب لذلك عنها بعبارات ثلث فسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلا طبيعيا وسمي تنفسه لابد

فعله

فعله ارادياً وسميت كتبته فعلا اختيارياً والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء انخرق لا محالة فيكون الخرق بحصول التخطي من سطح الماء الى الماء ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة خرق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا لا محالة وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك ليست الارادة اليه ولذلك اذا قصد عين انسان بابرة طبق الاجفان بالاضطرار ولو اراد ان يتركه مفتوحا لا يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي لانه مسبوق بشعور وارادة ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا واما الثالث وهو المسمى بالاختياري ويقال له بالفعل وهو مظنة الالتباس كالكتبة والمشي وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فليكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك فان الاشياء تنقسم الى ما يحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تردد وتحير والى ما يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير تردد كما يقصد عينك بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير وموافق لك فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة ويحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكر ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية الحكم بانه خير التحق ذلك بالذي يقطع به انه خير من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما ينبعث لدفع حد السيف والسنان من غير روية وفكر فاذا انبعثت الارادة التي حكم العقل بانه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة وهو ظهور بخيرية الفعل فحقيقة الارادة المختارية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف ولا يمكن ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخيل كما في القسم الاول منها او بحكم جزم من العقل كما في الثالثة فماهية الارادة هي كون الفعل موافقا مسخرة لحكم العقل او الحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة والكل يحصل بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا ولذا فان معنى كون الانسان مجبورا ان جميع ذلك وارد عليه وحاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل الارادة لا غير فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار جبر محض وفعل الله اختيار محض لان الاختيار والداعي فيه عين ذاته وفعل العبد

منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فان قلت فهل تقول انه لولا العلم لما الارادة ولولا الارادة
ولولا القدرة والقدرة ولولا ... وان كل ما فيه حدوث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت
بحدوث شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان
الفرق حاصل بين ما منه الشيء وما به الشيء فان اجزاء المركب والزمان حصل بعضها من بعض في زمان يحصل
بعضها بسبب بعض وكذلك المركب كالمعجون حاصل من اجزائه وليس بحاصل بسبب اجزائه فالقول
بان بعض تلك الامور حصل بسبب بعض آخر منها جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حصول
جميعها على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يعرف كافة الخلق على كنه
معناه الا الراسخون وليس عند غيرهم منه الا مجرد لفظ مع نوع تشبيه لم يعقل معناه وهو بعيد
عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن لا يتقدم متقدم ولا يتأخر الا بالحق واللزوم فكذلك جميع
افعال الله المترتبة فان الحاضر باخذ من التقدم لبعضها على بعض غير التقدم المسمى عند العقلاء
بالتقدم بالطبع وغير الذي سموه التقدم بالعلية فانهما متحققان بين المهيات بعضها مع
بعض بواسطة وهذا الذي كلامنا فيه تقدم بين الوجودات التي هي انوار مترتبة في الافاضة
عن الحق وبين مراتب تنزلات الحق وقد سميناها التقدم والتأخر بالحقيقة باعتبار الذوات
والتقدم والتأخر بالحق باعتبار الاثار وهذا مما لا يظهر الا للخواص لكنا شغلنا ... بنور الحق
ولا ينفع ذكره للحمقاء الجاهلين الحائرين في الاوهام كالسلسلة تجرهم ... الزهر
عن الافئدة ... السنتهم وابصارهم فلولا الترتيب بين الموجودات لبطل النظام ولم يكن
الغايات مترتبة على الاشياء ولكان فعل الله على ذلك التقدير الذي توهمه جماعة من
الناس كالحطابة في الحصون الاشعري وغيرهم عبثا وهزوا وهباء ولصار الخلق باطلا وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما لاعبين وما خلقناهما الا بالحق فكان ما بين السماء والارض على
ترتيب ولحصر لانه لا يتصور ان يكون الا كما حدث على الترتيب الذي حدث فما تاخر ما تاخر
الا لانتظار ما يتوقف عليه وشرطه والموقوف قبل الموقوف عليه والشرط قبل المشروط و
عكس هذا الترتيب خلاف ... والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا ... العلم على النظر الا لفقد
شرطه المسوغ ولا يتأخر عنها الارادة قبل العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق
ليس في شيء من ذلك لعب ولا تفاوت بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير على الافهام ...
والفرق بين سببه وسبب غيره والاطلاق الفاعل على كل من هذين نسب الله الافعال في القرآن مرة
الى الملائكة ومرة الى العباد وبينها مرة الى نفسه فقال في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا

ثم قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم والتعذيب هو عين القتل بل اصرح وقال فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات
ظاهرا لكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون العبد راميا وما رميت بالمعنى الذي يكون به الحق
راميا اذ هما معنيان مختلفان وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ
النطفة بيده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله
ما شاء الله ويخلق الملك وفي لفظ ويصور فيها الروح بالسعادة والشقاوة وقال بعض
السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوضعه
فيكون كل نفس من انفاسه روحا يلج في جسم وقال بعض العرفاء ما ذكره من مثل هذا الملك
وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب ببصائرهم واما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن
ان يعلم الا بالنقل والحكم به تخمين مجرد وكذلك ذكر الله في القرآن الادلة والآيات في الارض
والسموات وقال سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ثم قال اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه هو الدليل
وليس في ذلك تناقض بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر اليه ... الموجودات كما
قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وقد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت
ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت انا اميت وقال ملك الحياة انا احيي
الاموات فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع فاني انا المميت والمحيي
المميت وانا المحيي لا مميت ولا محيي سواي فالمحقق اضاف الكل الى الله لانه عرف الحق والحقيقة
ولما جرى بيت لبيد على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق
بيت قالته الشعراء قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل شيء لا قوام له بنفسه وانما
قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة
الا الحي القيوم الحق الذي ليس كمثله شيء فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه
باطل ولنرجع الى ما كنا بصدده

فصل

اعلم ان المعتزلة لما كان اصل اعتقادهم ان فاعل
الكفر والجهل وساير الشرور الواقعة في هذا العالم هو غير الله اشكل عليهم قول من قال انه مريد
قالوا لا يجوز ان يكون مراد الله منه الكفر والجهل لوجوه مذكورة في التفسير الكبير من جواب ...
نذكرها ونجيب عنها الاول ان الكفر لو كان بارادة الله لكان الحرص على الطعن في القرآن ... ولو كان وصف
ذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اضل الله الكفر فينا فكيف يأمرنا بالايمان فالجواب اولا بالنقض لان ما ذكروه
جار بعينه في مثل قوله واضله الله على علم وقوله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله

انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا الى غير ذلك من الآيات الصريحة في
انه تعالى ابعد الكفار والمنافقين عن دار كرامته وصدهم عن سبيله وجنبهم عن الجنة
وثانيها ان المنافقين اذا قالوا ذلك فللنبي صلعم ان يقول انما طرء عليكم من الله هذه الظلمة
والحجاب لشؤم ما فعلتم اولا من الانكار والجحود والتمادي على الجهل والكفر كما قال تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الثالث انه تعالى لو كان فاعلا للكفر
لجاز منه اظهار المعجز على يد الكاذب فكان لا يبقى كون القرآن حجة والجواب ضم هذه الملازمة
واى علاقة فرقة بينهما بين ايجاد الكفر في المنزل المطلق لابات الله وبين اظهار المعجز
على يد الكاذب تعالى لنا ان من ذكر هذه الآيات في معرض الذم لهم على كونهم فكيف يذمهم على شئ
خلقه فيهم والجواب ان هذا بعينه معارض بخط المطلوب لانك فان اهل الكلام فان الله
فاعل الكلام الرابع قوله تعالى ولهم عذاب اليم فان كان تعالى خالق لرضهم ولوطهم فاى ذنب
لهم حتى يعذبهم والجواب بما مر سابقا ان العقاب في الجزاء من باب الثواب والتوابع والثمرات للذوات
المعاصي والسيئات والله منزه عن الانفعالات والتغيرية الصفات كالغضب ونحوه فكان
حاصل الجواب عن قول من قال انه اذا كان الكل بيده ومنه واليه فكيف غضب على نفسه وذم فعله
ما قد ذكرنا بقا من تقسيمه عباده بحسب الحشر الى من سبق لها من الحكمة والى من استوفف
دونها فاستعد للنشأة الاولى مظهرا لرضا وللثانية مظهرا الغضب ولا شك ان الاول مظهر الثناء
بزيادة في القبول والرضا والرضا في الثانية بزيادة اللعن والذم بزيادة في الكمال فهو المعطي للكمال
والمثني وهو المعطي للكمال والمردي فكون للخصيف من الجهل والمشتق عليه في جميع الاحوال
والحمد لله على كل حال الخامس انه تعالى اضاف المرض اليهم بقوله بما كانوا يكذبون وعلى هذا وصفهم تعالى
بانهم مفسدون في الارض وانهم هم السفهاء واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فدل على
ان المراد منه شئ آخر والجواب بمثل ما مر وهو ان اظلام قلوبهم وسويدها بالكفر بسبب
كذبهم وتكذيبهم للرسول صلعم وافسادهم في الارض واستهزائهم بالمؤمنين وهذا ايضا انما
لا شتداد مرضهم وازدياد ظلمتهم فصل ثم قالت المعتزلة اذا ثبت ان المراد ليس ما هو الظاهر
من قوله فزادهم الله مرضا فلا بد من التاويل وهو من وجوه الاول ان يحمل المرض على الغم
لانه يقال مرض قلبي من امر كذا والمعنى ان المنافقين مرضت قلوبهم لما راوا ثبات امر النبي صلعم واستعلاء شانه
يوما فيوما وذلك كان يؤثر في زوال رياستهم فلما اشتد عليهم الغم وصف الله تعالى
ذلك اي زادهم غما على غمهم بما يزيده في امر الرسول وتعظيم شانه حتى ان مرضهم وكفرهم كان لو

يزداد بسبب ازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر فهو كقوله تعالى في التوبة فزادتهم
رجسا الى رجسهم والسورة لم تفعل ذلك ولكنهم لما ازدادوا رجسا عند نزولها لما كفروا
بها قبل ذلك وكقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وقوله فلما
جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وكقول الشاعر نصحته فلم يقبل وتمادى في فساده فما زادته
نصيحتي الا شرا وفسادا وكذا هؤلاء المنافقين لما كفروا وازداد كفرهم عند التكاليف والآيات
من الله الى سرايهم دينه اضيفت زيادة كفرهم اليه عز وجل الثاني ان يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن عند الحرب لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح
الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه لا يخفق الا مرة ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس
عند انزال الله على رسوله النصر واظهاره دينه على الدين كله واما لجرائتهم وجراتهم
في الحروب فضعفت جراتهم حين قذف في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله
لهم بالملائكة ومعنى الزيادة انه كلما زاد الله رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ازداد حسدا
وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وياسا عما طمعوا فيه وجبنا وخوارا الثالث ان يحمل المرض على تغير
مزاج القلب وتالمه وذلك لان الانسان اذا صار مبتلى بالحسد والنفاق ومشاهدة المكروه
فاذا دام به ذلك فربما صار ذلك سببا لتغير مزاج قلبه ومرضه قالوا وحمل اللفظ على هذا الوجه
حمل له على حقيقته فكان اولى من ساير الوجوه فصل في حكمة عرشية قوله تعالى ولهم
عذاب اليم قال صاحب الكشاف يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وهذا على طريقة قولهم جد
جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد وان الموالم بالحقيقة هو الالم الحاصل
في القلب دون السبب الخارج كما ان صورة اللذة الحاصلة في النفس عند ادراك الملايم
النفسي او البدني هي الملذة بالحقيقة لا ما هو خارج عن التصور وليس الملذ والموذي بالحقيقة
الا المرتسم في القلب اعني النفس لا الموجود في الخارج وكلما ارتسم في النفس صورة العذاب
او مقابلها يفعل فعلها وان لم يكن بسبب من خارج فان السبب الذاتي هو هذا المرتسم
والخارج سبب بالعرض او سبب السبب فلا فرق كما في اليقظة فان الصور الملذة او المؤذية
المرتسمة في النفس فيما يبتدئ من الصور الواردة من الخارج حينئذ وقد ثبت في العلوم الحقيقية
ان تاثيرها على سبيل الاتفاق والاعداد وانها اسباب بالعرض والشاذ كما في النوم فان
الصور الملذة او المكروهة قد يبتدئ من داخل باطن النفس الهامها حتى ينتهي الى مشهد الحس
المشترك فتدركها النفس وقد لا يكون كذلك بل ينتقل صور مخزونة فانفس بعضها الى بعض في ذات

من داخل النفس فيكون سبب ارتسامها من عالم الغيب والاسباب الموجودة في عالم الغيب
سببيتها يكون ذاتية فيكون الملك والموحى في الوهم او ما يجري مجراه كالموت والبرزخ
هي الصورة المرتسمة في النفس وسبب ارتسامها ملك وموله بالواسطة **فصل**
قوله بما كانوا يكذبون صريح في ان عذابهم الاليم مسبب بكذبهم على قراءة عاصم وحمزة والكسائي
وذلك يقتضي ان يكون كل كذب قبيحا حراما وفيه رمز الى الجواب حيث علل به استحقاق
العذاب وترتب عليه دون الكفر مع وجوده ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا وانهم
كانوا كفرة الا انه خصت خطيئاتهم بالسببية استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب
هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله واما ما يروى عن ابرهيم عم انه
كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والمراد
بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والجاحظ لا يسميه كذبا الا اذا علم كون الخبر عنه على
خلافه فهذه الآية حجة عليه وقرأ الباقون يكذبون من تكذيبهم لانهم كانوا يكذبون
الرسول صلى الله عليه وسلم بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من الذي هو مبالغة كذب كما بولغ في صدق
فقيل صدق وتشديدا ونظيرها بان الشيء وبين وقلص وقلص او بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم
وبركت الابل **قوله جل اسمه واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا
انما نحن مصلحون** جملة معطوفة اما على يكذبون واما على يقول آمنا فيكون
التقدير ومن الناس من اذا قيل لهم والاول اولى والقائل هو الله تعالى او الرسول صلعم او بعض
المؤمنين والكل محتمل ولا فرق ان القايل لهم بشافههم ممن يختص بالدين والنصيحة وكثيرا ما
كان المنافقون اذا عوتبوا اغاروا الى اظهار الاسلام والندم وكذبوا انما قلنا عنهم
ويحلفون الله عليه كما اخبر عنهم في قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر و
كان يحلفون لكم لترضوا عنهم ومما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد
به ان اهله ليس مقصورا على الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من كان حالهم حال اولئك
لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد عبارة عن خروج الشيء عن كونه منتفعا
به ونقيضه الصلاح وقد يطلق على زوال الصورة ونقيضه الكون وهذا ما كون الفساد فيه
امر ... وغيرها قال اكثرهم قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي ان المراد به اظهار معصية
ونقريب ما ذكره الله تعالى فهو ان اظهار معصية الله انما كان فسادا في الارض لان الشرايع
الالهية سنن وطرق موضوعة بين العباد فاذا تمسكوا بها الخلق ولزم كل احد شانه

تحقن

تحقنت الدماء وسكنت الفتن فكان فيه صلاح الارض واما اذا تركوا التمسك بالشرايع
واقدم كل احد على ما يهواه بطبعه لزم الهرج والمرج والاضطراب وهيج الحروب والفتن
والفساد في الزروع والمواشي وانتفاء المنافع الدينية والدنيوية ولذلك قال الله تعالى
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم وقال واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ونصيحتهم الله تعالى على انهم اذا اعرضوا عن الطاعة
لم يحصلوا الا على الافساد في الارض ... ان يكون ذلك افسادا وهو مداهنة المنافقين الكفار
ومخالطتهم معهم لانهم لما مالوا الى الكفار مع انهم في الظاهر مؤمنون اوهم ذلك
ضعف الرسول صلعم وضعف انصاره وكان ذلك يجري الكفار على عداوة الرسول صلعم
ونصب الحرب لهم وطمعهم في الغلبة فلما كان صنيعهم ذلك مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا
كما تقول للرجل لا تقتل نفسك ولا تلق نفسك في التهلكة اذا اقدم الى امر هذه عاقبته
الثالث ان المنافقين كانوا يدلون الكفار ويطلعونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم
اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم وهو فساد عظيم في الارض
الرابع كالقايل ولكنهم كانوا يدعون في السر الى تكذيبه وجحد الاسلام والقاء
الشبه في قلوب الناس من ضعفائهم ليعتقدوا الايمان فيرتدوا على اعقابهم **فصل**
قوله قالوا انما نحن مصلحون كالمقابل لما ذكر وهو جواب لاذا ورد للقايل الناصح على سبيل
المبالغة لان انما لقصر الحكم على شيء كقولك انما يكتب زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك
انما زيد كاتب فالمعنى ان صفة الاصلاح مقصورة عليهم متمحضة لهم وعلى ذلك يحتمل
الوجوه احدها انهم اعتقدوا في دينهم انه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك
الدين لا جرم قالوا انما نحن مصلحون وثانيها ان مرادهم الاتفاق مع الكفار سعي في الاصلاح بينهم
وبين المسلمين وذلك كما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
قوله تعالى الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه وانكار لما صدر
من الانتظام في جملة المصلحين بابلغ رد واستئناف تدل على تحقق مضمونه حيث
وقع الاستيناف والتصدير بالا وان حرفي التاكيد والتحقيق وعرف الخبر وتوسط
الفصل مع الاستدراك بلا يشعرون فان الا ودلا منها مركبة من حرفي الاستفهام و
النفي لافادة التحقيق كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذه المرتبة من التحقيق
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلايع
اليمين ومبادي القسم ولذا انتهى المقرونة للتنبيه والتحقيق تكتب اعلم ان هولاء

المنافقين الذين ذكرهم الله كانوا من المتشبهين ظاهرا الى العلم والصلاح مع دعوى تجمل وقلة الورع
ورداءة الاعتقاد وسوء الخلق وعند انفسهم لغاية حمقهم وسفاهتهم انهم من اهل الصلاح والاصلاح
لنفسهم ولغيرهم ونظائرهم موجودون في كل زمان مغترون في اطوارهم وآرائهم لاهل الحق في
كل اوان واكثرهم من جادلة اهل الكلام والمتعصبة لمذاهب اخترعوها تلقفا وتقليدا من غير
بصيرة وليس من الطوائف المنتسبة الى العلم والادب شر على العلماء المحققين ولا اضر على الانبياء
الهادين ولا اشد عداوة للمؤمنين بالحقيقة ولا افسد للعقول السليمة من كلام هؤلاء
المجادلة وخصوماتهم وتعصباتهم في الآراء والاهواء والمذاهب وذلك لانهم ان كانوا في زمن
الانبياء فهم الذين لا يصدقون ولا يؤمنون كسائر الناس بل يطلبون نبوتهم بالحجج والمعجزات
ويبارزونهم بالخصومات ويشوشون لعقائد المسلمين بايراد الشبهات ويزيغون قلوبهم
بالضلالات مثل ما قالوا لنبينا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا وما قالوا لنوح وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وهم
الذين كانوا اذا مروا بالمؤمنين يتغامزون … ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم
خصمون فهكذا حال من كان منهم في زمان الانبياء عليهم السلام واما اذا كانوا في غير ازمانهم
فهم الذين يجادلون اهل الدين في الدين بالشبهات ويغيرون كتاب الله برأيهم واهوائهم ويفرعون
الى الآراء والمذاهب بعقولهم السخيفة وآرائهم الفاسدة ويضلون … مذاهبهم بما … ات
مشاغبة واحتجاجات مغالطية مموهة فيضلون عقول السليم عن طريق الحق وسبيل
الدين والهداية وفي ذلك اسباب شتى منها شدة تعصبهم فيما اعتقدوه تقليدا من غير بصيرة
واخذوه من آبائهم واسلافهم في اوائل العمر ومنها اعجابهم بانفسهم في حالهم وعلمهم ومنها
اعتقادهم … الخفي فيها خطاؤها عليهم وهي ظاهر شناعته فيما يترتب عليها وتتفرع عنها
فيلتزمون تلك الشناعات في الفروع لئلا ينتقض عليهم الاصول ويطلبون لها وجوها
من الرأي وغيره من الترهات الخيالية بالشغب تارة وبالتمويه تارة وبالمنازعة باعراض الجواب
والاقرار بالحق وقد انفوا عن ان يقولوا لا ندري الله ورسوله اعلم امتثالا بادب الله كما قال
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم وانك تجد من بينهم جودة عبارة وفصاحة بيان وسحر كلام مما يقدر ان
يصور الباطل في صورة الحق بما يوصف البليغ ويصور الحق في صورة الباطل وهو مع ذلك جاهل
القلب ميت النفس عن ادراك حقائق الاشياء بعيد الذهن عن فهم المعارف العقلية
كما قال نعم ولكن لا يشعرون وقد قال فانك لا تسمع الموتى وعن النبي صلى انه كان يقول اخوف ما اخاف

على امتي

على امتي منافق عليم اللسان غير حكيم القلب يغيرهم بفصاحته ويضلهم بجهله وقد
تجد فيهم من يجادل ويحتج وهو حاذق في اشياء كثيرة من امور الدنيا فاذا فتشت عن اعتقاده
في اشياء اعتقادية متعلقة بامور الدين وجدت رأيه واعتقاده اسخف واقبح من
رأي كثير من الصبيان والعلة ما ذكرنا اولا قوله جل اسمه واذا قيل لهم
آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون ومن قبائح اهل النفاق انهم يستنكفون عن
قبول التعليم ومن التقليد لاهل التسليم لامرهم ولا يرضون لمشاركة الناس وتواضع المقام
ومقامهم ادنى من كل احد ممن يقبل التعليم وانقاد للارشاد والتهذيب فلما كان حظ
الضلالات … امرين … لا ينبغي واتيان ما لا ينبغي … نهاهم الله في الآية
المتقدمة عن الفساد في الارض وامرهم في هذه الآية بالايمان … قوله آمنوا امر
… فاعله … قوله آمنوا … المعنى قوله قيل ولا اسناد الى صورة الفعل
والنظر حاصل والمقصود هو الاسناد الى معناه وهو مثل … قوله
وقوله كما آمن الناس في حيز النصب المصدرية اي ايمانا مثل ايمانهم او بما … او كافة
مثلها … والتعريف في الناس للجنس اي كايمان سائر الناس واستدل به على قبول توبة
الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد هذا التقييد او المراد الكاملون في
الانسانية العاملون بمقتضى العقل فان اسم الجنس كما يطلق على مسماه مطلقا كذلك
يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصود منه والمعاني المخصصة بالانسان التي
يمتاز بها عن سائر الاكوان وسائر الحيوان هي الحكمة والعفة والعدالة والصبر والتقوى
والرضا بما امر الله وغير ذلك فكل من اخل بشيء من ذلك حصل نقص في الانسانية بحسبه
وكل من قصر عنها فقد سلب الانسانية عنه فيقال زيد ليس بانسان وان كان في قالب الانسان
ومن هذا الباب قوله صم بكم عمي ونحوه وقد جمع الشاعر بين المعنيين في قوله اذ الناس
ناس والزمان زمان ويمكن ان يكون للعهد والمراد به الرسول صلى ومن معه او من آمن
من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا كما آمن اصحابكم واخوانكم ايمانا
مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق والقائل اما رسول الله صلى او بعض المؤمنين
وكان من جوابهم ان سفهوا الناصح لفرط سفههم وجهلهم لتمادي جهلهم وغرورهم وتشبثهم
غرورهم وتسفيههم لاهل الدين … على ضربين منهم من غرتهم الحيوة
الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور واما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين لهم زينة في الحيوة

الدنيا ورياسة في قومهم وجمعية ويسار ورأوا أكثر المؤمنين فقراء تحت ذل المسكنة
والبأس والبؤس فاغتروا بالدنيا وقالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد فيكون خيرا
من الآخرة لأنها نسيئة فلا بد من إيثارها وربما قالوا أيضا اليقين خير من الشك ولذات
الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك فهذا هو الباعث لهم
على نسبة الشقاء إلى المؤمنين وهذه أقيسة كاسدة والدليل على أن المغتر بها المعول عليها
سفيه العقل جاهل القلب وهذا أظهر الله تعالى خالف باطنهم وسفاهة عقلهم بقوله ألا إنهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون ولأن قياسهم فاسد يشبه قياس إبليس لكنهم وتحصوا
فيه واغتروا به لأنهم ما علموا وجه فساده وطريقة الخلاص إما بالبرهان وإما بالتصديق
بمجرد الإيمان ما أخبر الله تعالى من قوله وما عند الله خير وأبقى وللآخرة خير وأبقى وما الحياة
الدنيا إلا متاع الغرور ونحو ذلك وأما المعرفة بالبرهان فهو أن يعرف وجه فساد القياس التقليد
قياسهم الذي نظمه الشيطان وفيه أصلان الأول صحيح والآخر وهو قوله من النسيئة محل
التلبيس إذ هو كان النقد مثل النسيئة في القدر والشرف والمنزلة فهو خير وإلا فلا وعند هذا
يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين
خير من الشك إذا كان مثله في المقصود وإلا فلو كان التاجر في تعبه ومشقته على يقين وفي ربحه
على شك والمنفعة في اجتهاده وتعبه على يقين وفي إدراكه [illegible] على ما بين النظائر
في هذا الباب فكل من شك في الآخرة ينبغي أن يحكم الحزم أنه يقول الصبر أياما قلائل
قريب بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فما قيل فيه إن كان كذبا فلا يفوتني إلا التنعم
اليسير في أيام حياتي هذه وإن كان صدقا فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق ولذلك
قال أمير المؤمنين رضي لبعض الملحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا
وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال عليه السلام هذا عن شك منه في
أمر الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فبين أنه مغرور وسفيه وأما الأصل الثاني وهو
أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند العارفين والمؤمنين وليقينه
مدركان أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والأولياء وذلك أيضا يزيل
الغرور وهو مدرك أكثر أهل الدين المطمئن أمر كما يطمئن نفس المريض إلى تصديق قول
الأطباء الحذاق في الدواء فلو اعتمد أحد قوله وترك قول الأطباء كان سفيها أحمق
وهذا القدر من التقدير الإيمان كاف لجملة الناس اعتقادا جازما يستحث على العمل
واليه الإشارة بوجه في قوله آمنوا كما آمن الناس وأما المدرك الثاني المعرفة بالآخرة

الوحي

الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء ولا تظن أيها المسكين هداك الله أن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لأمر الآخرة ولأمر
الدين ولسائر المعارف الإلهية كانت تقليدا لجبريل بالسماع منه والرواية كما أن معرفتك تقليد
للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون معرفتك كمعرفته وإنما يختلف المقلد فقط هيهات فإن التقليد ليس بمعرفة
بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنهم كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما يشاهد المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة
لا عن سماع وتقليد وأما الذين غرهم بالله الغرور فمنشأ غرورهم بالله ما قال بعضهم في أنفسهم
أو بألسنتهم أنه إن كان لله تعالى معاد ولنا عود إليه فنحن أحق به وبالسعادة عنده من غيرنا وأنا
أعظم منزلة وأوفر حظا وأسعد حالا كما أخبرهم من قول الرجلين المتحاورين في القرآن بقوله
وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وقال تعالى رادا على أمثاله
أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وهذا من الغرور بالله ويشبه القياس من أقيسة
إبليس وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا ويقيسون نعم الآخرة عليه
وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عذاب الآخرة عليه ومرة ينظرون إلى الفقراء
المؤمنين وهم شعث غبر وكان منهم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم موالي كصهيب وبلال وخباب فيزدرون
بهم ويحقرونهم ويستهزئون بهم وكان بعض المنافقين يقول لبعض أنؤمن كما آمن سفيه
بني فلان وسفيه بني فلان وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان
خيرا ما سبقونا إليه وهذا كله أيضا حمق فيهم وسفه عقولهم وجهلهم بأحوال الدنيا والآخرة
وترتيب القياس الذي نظمه إبليس في قلوبهم أنهم قالوا قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكل محسن
فهو محب وكل محب لأحد فهو يحسن إليه في المستقبل أيضا كما قال الشاعر لقد أحسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه في
الدنيا إحسان فقد اغتر بأنه كريم عند الله بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل
على الهوان لأن نعيم الدنيا مهلكات مبعدات من الله وإن الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه
كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه وفي الخبر أن أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم
الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجل لنا عقوبته ورأوا ذلك أمارة المقت والإهمال وإذا أقبل
الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور بتلبيس الشيطان يعكس ذلك كما أخبر تعالى
عنه بقوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن فبين أن
ذلك لجهله وسفاهته فكذلك المراد بقوله ألا إنهم هم السفهاء يجوز أن يكون مباينا لغرورهم
وجهلهم بمثل هذا تخيلوا من صورة أقيستهم الفاسدة الأصول الباطلة النتيجة فإن من باع الآخرة

بالدنيا لا عتبار من ما اعطى الله الشيطان فهو السفيه ومن خالف طريق الانبياء والاولياء كلهم فهو
السفيه ومن خالف طريق الانبياء والاولياء كلهم فهو السفيه وانما قال في هذه الاية لا يعلمون
وفي ما قبلها لا يشعرون لان الوقوف على ان طريق الايمان حق وطريق الكفر باطل امر عقلي
نظري واما الوقوف على النفاق وما فيه من البغي والفساد في الارض فامر ضروري يجري مجرى المحسوس
لانه يشاهد من اقوالهم وافعالهم ولان ذكر السفه وهو نقص العقل وخفته مكان ذكر العلم
احسن طباقا من مكان ذكر الشعور واصل السفه الخفة يقال سفهت الريح اذا حركته قال ذو الرمة
جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وفي الاية تسلية للعالم فيما يلحقه
في التعليم والنصيحة من سفاهة الجاهل وصورة المنكر وقول الباطل واعتقاد الفاسد
اعجابه بنفسه قوله جل اسمه واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم هذا هو النوع الرابع من انواع الاحوال
القبيحة للمنافقين المذكورة في هذه الايات ولهم انواع كثيرة من القبائح مذكورة في مواضع
من القران منها ما ذكره بقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون في
بقوله واذا تتلى عليهم اياتنا تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا ومنها ما وصفهم الله به في قوله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم فحسبه جهنم ومنها تقليدهم للاباء والمشايخ وان كانوا على الباطل كما وصفهم الله في
مواضع مثل قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان
الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومنها اتباعهم للهوى افرايت من اتخذ الهه هواه الاية ومنها انكارهم
واستكبارهم عن طلب الحق وقوله فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
ومنها غمزهم للمؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون ومنها الهمز واللمز ويل لكل همزة لمزة
ومنها تنابزهم بالالقاب ولا تنابزوا بالالقاب ومنها تفاخرهم بالانساب ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ومنها تزكيتهم انفسهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ومنها
افتراؤهم على الله ومن اظلم ممن افترى على الله ومنها كتمانهم ما انزل الله ان الذين يكتمون
ما انزلنا الى قوله ويلعنهم اللاعنون ومنها اكلهم اموال اليتامى ظلما ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الاية ومنها اكلهم اموال الناس بالباطل ومنها غرورهم بالدين
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ومنها ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها ومنها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ومنها الذين يتخذون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ومنها ما كان

صلوتهم

صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ومنها اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله
ومنها الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ومنها انهم يجعلون لله ما يكرهون
من الصفات القبيحة والافعال الالية كالغضب والانتقام على النحو الذي تخيلوه ومنها ضلالهم
في تحصيل العلوم الظاهرة طلبا للدنيا والاشتهار وانكارهم العلوم الحقيقية الالهية الذين ضل
سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ومنها مجادلتهم في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه
انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومنها انهم زين لهم سوء عملهم افمن كان
على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم ومنها ارتدادهم عن الهدى ان
الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى
لهم الى قوله والله يعلم اسرارهم ومنها استنكافهم عن صحبة الصلحاء يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ومنها كثرة يمينهم وحلفهم في اثبات الدعاوي والدين
ولا تطع كل حلاف مهين الايات ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وقيل ان ايمان المرء
يعرف من ايمانه ومنها توليهم عن ذكر الله الى الدنيا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ومنها الاستدراج من الله لهم فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ومنها اعراضهم عن
الايات والحكمة ونسيانهم ذكر الله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى وقوله فانساهم ذكر الله وقوله نسوا الله فنسيهم ومنها انهم يضحكون من [illegible] اهل
العلم والورع وينسبونهم الى السفاهة قوله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون
واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون
الى غير ذلك من احوالهم القبيحة واطوارهم المنكرة واخلاقهم الرديئة واهوائهم
الشيطانية التي يطول الكلام بذكرها بل هي خارجة عن الضبط وقوله اذا لقوا وقوله امنا
المراد به اخلصنا بالقلب وقد صرح بالقصة كان مبنى اقرارنا فلا تكرار والدليل على ما ذكرنا
ان الاقرار باللسان كان معلوما منهم فلما احتاجوا الى بيانه انما المشكوك فيه
منهم هو الاخلاص بالقلب فاحتاجوا الى اظهاره وثانيها ان قولهم للمؤمنين امنا يجب ان يكون
نقيض ما كانوا يظهرون لشياطينهم فادعاؤهم هناك كان تكذيبا فلبثا ههنا يقتضي ان يكون تصديقا

قلبيا وقيل هذا بيان لمعاملتهم مع الطرفين والذي ذكره علاوة القصة فلبيان مذهبهم وتفصيل
كفرهم ونفاقهم فليس بتكرير قوله اذا خلوا في الكشاف اذ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية اي عداك ومضى عنك ومنه [illegible] او من خلوت
به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد واذا الخلوا [illegible] بالمؤمنين الى شياطينهم
كأنه قيل [illegible] فصل قوله [illegible] وانما سماهم [illegible]
الشياطين في تمردهم وعصيانهم واستقلالهم بالرأي وانكارهم للحق وابطالهم [illegible]
الحق واعلم ان كل منافق فهو شيطان بالحقيقة بحسب الباطن وان كان ظاهره بصورة الانسان
اذ لا عبرة بها انما العبرة بالقلب واحواله والحشر اليه في يوم الآخرة ويكون حشر الخلائق
يوم القيامة من قبورهم الى الشياطين لغلبة صفة الشيطنة على قلوبهم من المكر والحيلة
والخديعة وسوء الاعتقاد والاغواء والخلاف وحب الاستيلاء والتمرد والتجبر وغير ذلك
وبيان ذلك ان في الانسان قوى علمية وقوى عملية والعلمية منقسمة الى العقلية والوهمية والعملية
منقسمة الى شهوية وغضبية [illegible] تكميل القوة النظرية والبصيرة الباطنة
بتكرير النظر [illegible] بالاشياء والمطالعة للامور الالهية على وجه [illegible] الى الصواب و
بتسخير القوى الادراكية والتحريكية وسياستها اياها [illegible] ولا يكون
منحرفة عاصية والسلطان القوى [illegible] الوهم للادراكية والشهوية والغضبية للتحريكية
اذ كل منها منشعبة الى فروع كثيرة وخوادم [illegible] في الانسان [illegible]
اربع شوائب العقل والوهم والشهوة والغضب والاول ملك والثاني شيطان بالقوة
والثالث بهيمة بالقوة والرابع سبع بالقوة فكل منها [illegible]
[illegible] كان [illegible] بالفعل ويكون الحكم [illegible] في الانسان ويحشر
اليه فمن غلب عليه في الدنيا ادراك المعارف والميل الى الطاعات والتجرد عن الوساوس والعادات
والتوحش عن الدنيا وشهواتها يكون معاده الى عالم الملكوت [illegible]
محشورا الى جمع الملائكة المقربين كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ومن غلب عليه
ادراكات الوهمية [illegible] الباطلة وابداء الشبهات والاقيسة الفاسدة والميل الى المكر و
الحيلة والخديعة [illegible] والرياء والاستهزاء والسخرية للعباد والشهرة في البلاد و
الاستبداد بالرأي والاتباع للهوى ومخالفة اهل الحق والاغواء للناس فيكون معاده
الى عالم الشياطين صائرا شيطانا مرجوما ملعونا محشورا مع الشياطين كما قال فوربك
لنحشرنهم والشياطين ومن غلب عليه حب الشهوات من النساء والبنين والذهب والفضة

وغير

وغير ذلك من مشتهيات البطن والفرج يعاد الى عالم البهائم ويحشر الى الحيوانات كما قال وما من
دابة في الارض [illegible] ثم الى ربهم يحشرون وكذا من غلب عليه صفات السبعية من التهجم
والايذاء والعداوة والبغضاء والظلم والوقاحة وغير ذلك يحشر مع السباع والوحوش كما
قال واذا الوحوش حشرت فعلم ان حشر الخلائق على احدى هذه الاجناس الاربعة التي لا يخرج
عنها شيء من الجواهر الحية [illegible] تحقيق هذا البيان والبرهان تعلم
ان اطلاق الشياطين على المنافقين بالحقيقة والتعيين لا بالمجاز والتخمين لان مدار نفاقهم
على المكر وابهام [illegible] والتشنيع باهل الايمان والعلم وادعاء الصلاح
فقد صاروا [illegible] الشيطانية [illegible] فتقلبت الى حقيقة الشياطين
بالفعل وخرجت عن القوة [illegible] ومنهم من لا رجوع منهم الى الاصل الفطرة كما
قولهم ربنا فارجعنا نعمل صالحا [illegible] قال تعالى واذا خلوا الى
شياطينهم [illegible] في الكفر والنفاق وهؤلاء المتمردون
اليهم [illegible] فصل قوله انا معكم [illegible] عقيدة
وخاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وخاطبوا الشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة
بان لانهم قصدوا بالاول احداث الايمان [illegible] على ما كانوا عليه
انفسهم [illegible]
[illegible]
[illegible] عندهم [illegible] الايمان
[illegible] الايمان
لا يروج على المؤمنين وانما كلامهم مع اخوانهم [illegible]
باي وجه كان من التأكيد [illegible] قوله جل اسمه انما نحن مستهزءون
كانه جواب عن سؤال الشياطين بان قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك منكم فما لكم
[illegible] المؤمنين [illegible] في الكلام وتدعون الاسلام فاجابوا بانا مستهزءون
بهم [illegible] وتأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه [illegible]
شيئا فقد عظم نقيضه والاستهزاء هو السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت
بمعنى واحد كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان
اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف قوله الله يستهزئ بهم ذكروا في
تاويل نسبة الاستهزاء اليه تعالى حيث لا يجوز معناه عن التلبيس وهو [illegible] عن الجهل [illegible]

قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين والجهل على القبيح وجوها خمسة
احدها انه من باب صنعة المشاكلة فسمى ما يفعله الله جزاء الاستهزاء باسم الاستهزاء
كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وفي الحديث
عند جماعة انه قال تكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وانه قال صلى الله عليه وآله
ايضا اللهم ان فلانا هجاني وهو يعلم اني لست بشاعر فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني
وثانيها ان ضرر استهزائهم راجع اليهم غير ضائر بالمؤمنين فصار كان الله استهزأ
بهم وثالثها ان آثار الاستهزاء من الهوان والحقارة لحقتهم من جهته فذكر الله ذلك
بلا تجوز ورابعها ان الله ينعمهم في الدنيا بانواع النعم ويظهر عليهم منه تعالى
خلاف ما يفعل بهم في الآخرة كانهم اظهروا للنبي امرا كان الحال معهم في الآخرة
وفيه نظر وخامسها انه يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فلانه يطلع الرسول صلى
على اسرارهم مع انهم بالغوا في كتمانها عنه ويجري عليهم احكام المسلمين ويستدرجهم
من حيث لا يشعرون ويمهلهم مدة في النعمة والتمادي على الطغيان واما في الآخرة فقال
ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله بابا من الجنة على الجحيم الذي
هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب المفتوح اخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون
الى الجنة واهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهناك يغلق دونهم فذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وهذا هو الاستهزاء وانما استأنف
الكلام ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم استهزاء ابلغ انتقاما للمؤمنين
ولا يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم باستهزاء مثله وللاشعار بان استهزاءهم بالمؤمنين
لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم وانما قال الله يستهزئ بهم ليطابق قوله مستهزؤن لان
المضارع يفيد الحدوث وقتا فوقتا والتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات
الله فيمن سلك مسلك النفاق كما قال اولا يرون انهم يفتنون في
كل عام مرة او مرتين وايضا ما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استارهم وتكشف
اسرارهم واستشعار خوف وحذر من ان ينزل عليهم عذاب او ينزل فيهم آية تفضحهم كما
قال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج
ما تحذرون بصيرة واعلم ان للايمان مراتب متفاوتة في الكمال والنقص فرب مؤمن يكون
له من المعرفة بالله واليوم الآخر ما لا يمكن اظهاره وكشفه للمؤمنين كما لا يمكن للكافرين فهو يداري
مع الطرفين ويعمل على التقية في الجانبين فيتكلم مع كل منهما على قدر عقولهم وهو مع الله لا يتزحزح

في عبادة

في عبادة بين الرضا وهذا ضرب من النفاق لكنه غير مذموم بل واجب كما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله
كلموا الناس على قدر عقولهم قال بعض الحكماء اعلم ان الانسان ذو وجهين وجه الى
ذاته ووجه الى ربه ومع اي وجه توجه غاب عنه وجهه الآخر وكل منهما اغر وجه ربك ذي الجلال
والاكرام فكل من وجهيه هالك دائر اذا لم يستحكم علاقته مع وجه ربه فاذا انقلب اليه يفني
عنه وجهه فصار غريبا في الحضرة يستوحش فيها ويطلب وجهه الذي كان يانس به فلا يجده
فيبقى في عذاب وحسرة واما اذا استحكمت علاقته مع الحق تعالى فاذا توجه الى وجه
ربه اقبل عليه ولم يكن له مونس سواه ولا مشهود الا اياه فهناك يلحق له وجها وبصرا فيفرح
بلقائه وعاد الانس الاعظم ويتذكر الانس الماضي به فيزداد انسا الى انس ويرى عند الى وجه
ذاته ولا ينفك لانه اماله فيجمع بين الوجهين في صورة واحدة فيجد الانس لاتحاد
الوجهين فيعظم السرور والابتهاج وهذه حالة جمعية برزخية لكونها جمعت بين الطرفين
ثم جمع بينهما في الدنيا وهو ذاته في الآخرة كالمنافق فانه يريد ان يكون برزخا جامعا بين
المؤمن والكافر فاذا انقلب يخلص الى احد الطرفين وهو طرف الكفر اذ لم يستحكم علاقته
بالايمان ولم يخلص هنا الى الايمان ولم يكن برزخا كان اذا انقلب انقلب الى الله كما ذكرناه
مرجحا لبين الطرفين فاحذر ههنا من صفة النفاق فانها مهلكة ولهذا في سوق الآخرة نفاق
اقتضى ذلك الموطن وما اخذ المنافقين هنا الا لامر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء
وقد نبه الله لمن القى السمع وهو شهيد وذلك ان المنافقين ههنا اذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا لو قالوا ذلك حقيقة لسعدوا ولكنهم قالوا لا عن حقيقة واعتقاد واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم لو قالوا ذلك وسكتوا ما اثر فيهم الامر الواقع وانما زادوا
انما زادوا انما نحن مستهزؤن فشهدوا على انفسهم انهم كانوا كاذبين فما اخذوا الا بما اقروا
به ادناه المواخذة والعذاب على ضرب من الاستعداد والشعور وبه تم الحجة
لله ولو انهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة في البغي وتمادي في العصيان لسعدوا
الا ترى الله لما اخبر عن نفسه في مواخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما اخذهم بقولهم
انا معكم وانما اخذهم بما زادوا على النفاق وهو قولهم انما نحن مستهزؤن وما ورد من
الله بالجزاء الذي جازى به المنافق الا ليعلم من اين اخذ من اخذ حتى يجتنب موارد
الهلاك وقد قال النبي صلى الله عليه وآله مداراة الناس صدقة فالمؤمن يداري الطرفين مداراة تحقيقية
ولا يزيد على المداراة بخلاف المنافق فانه يخرج من حد المداراة كما كان فتفطن
فقد نبهتك على سر عظيم من اسرار القرآن وهو واضح ووجه اخفاه وانظر في صورة

كل منافق تحكى ما اخذ الا بما زاد على النفاق وبذلك قامت عليه الحجة ولو لم يكن كون المشرك على
الاعراف مع اصحاب الاعراف والمؤمن للمداراة منافق وهو ناج وفاعل اخر فانما اذا انفرد مع اهل الحق جعلهم
اظهر لهم الاعتقاد ولم يتعرض لذكر الوجه الاخر الذي ليس بحاضر معه فاذا انقلب الى الوجه الاخر
كان معه ايضا لهذه المثابة والباطن في الحالتين مع اتساق المقام الاول هذه صورة فانه ايضا
بالصدق دينه فيتوب نفسه وشبه بالمؤمن الكامل في المثابة وهذا اعين الكمال فاحذروا من الزنادقة
وكون متخلقا باخلاق الله وقد قال نعم ممتنا على رسوله صلعم فبما رحمة من الله لنت لهم والين خفض
الجناح والمداراة الا ترى الى الحق تعالى يرزق الكافر على كفره ويمهل الى مدة المؤاخذة عليه وقال عز وجل
لموسى وهرون عليهما السلام في حق فرعون فقولا له قولا لينا الى هذا اعني المداراة ومن هذا المقام قوله
جل اسمه ويمدهم في طغيانهم يعمهون في الكشاف من مد الجيش وامده اذا
زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض
اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا اوصله بالوسواس حتى يتلاحق
غيه ويزداد انهماكا فيه وقرئ بعضهم من يستعمل في الشر وامد في الخير قال الله ونمد له من العذاب
مدا وقال في النعمة وامددناكم باموال وبنين وقال الحسين انما نمدهم به من مال وبنين ومن الناس
من قصم الزمن المقدر العمر والاملاء والامهال ويعضده ان قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم
وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم في الغي فانه يدل على ان من المدد دون المد وكون الذي بمعنى امهله
انما هو [illegible] كاملى له والطغيان هو الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو قال تعالى انا لما طغى الماء اي
جاوز قدره وقال اذهب الى فرعون انه طغى اي اسرف وقرئ طغيانهم بالكسر والعمه كالعمى الا ان العمى عام
في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التردد والتحير وقالت المعتزلة لا يمكن اجراء هذه الآية
على ظاهرها لوجوه احدها انه اضيف مثل هذا الفعل الى الشيطان في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي
فكيف يضاف الى الله وثانيها انه الله ذمهم على هذا الطغيان فكيف ينسبه الله الى ما هو فعل له وثالثها
انه لو كان فعلا له لبطلت النبوة والانذار وبطلت فائدة نزول القرآن فكان الاشتغال
بتفسيره عبثا ورابعها انه اضاف اليهم الطغيان بقوله في طغيانهم ولو كان من فعل الله [illegible]
ومعناه [illegible] اسند الفعل الى الشياطين [illegible]
يمدونهم في الغي فذكروا في الآية تأويلات الاول انه لما منعهم الله الطافه التي يمنحها
المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه وسد على انفسهم طرق التوفيق تزايد بسببه قلوبهم
رينا وظلمة كما تزايدت قلوب المؤمنين انشراحا ونورا وهذا تأويل الكعبي وابي مسلم الاصفهاني
الثاني انه لما مكن الشيطان من اغوائهم وخلى بينه وبين اغوائه عباده زادهم طغيانا فاسند ذلك

اليه

اليه ثم اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه
على الحقيقة والثالث ان يحمل على منع القسر والالجاء كما قيل السفيه متى لم ينه فهو مأمور [illegible]
يمدهم معناه يمد عمرهم ومهلهم [illegible] طغيانهم اقول وجميع ما ذكروه في الاشكال والتأويل
ضعيف بعد ما مر من الاصول اما الوجوه المذكورة في الاشكال فالجواب عن الاول انه لا يبعد
كل فعل الى [illegible] المباشر [illegible] العقل الفياض والله خالق كل شيء ومع هذا [illegible]
كالاحراق الى النار والتبريد الى الماء والاضاءة الى الشمس والمطر الى السماء [illegible]
الى الشيطان في مواضع من القرآن ثم قال واضله الله على علم وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وكذا نسب
الوسوسة الى الشيطان في قوله يوسوس في صدور الناس ثم اسنده الى نفسه ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها وكذا [illegible] المصطفى [illegible] ان ربي على صراط مستقيم وقد نسب الى
كان مثل هود وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وكذا نسب التوفي تارة الى الملائكة الموكلة
في قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وتارة الى نفسه مثل قوله الله يتوفى الانفس حين موتها
وكذا في كثير من النظائر فليكن ههنا من هذا القبيل والوجه في الجميع واحد كما سنذكره وعن الثاني
ان الذم في الفعل [illegible] يرجع الى المباشر [illegible] ولا يرجع الى فاعل الكل لتقدسه
وبراءته عن الانفعال والتغير وكونه يفعل الاشياء لاجل الخير والحكمة والرحمة الواسعة من غير ان
يعود اليه خيرها او شرها كما سيأتي وتحقيق هذا ان نسبة [illegible] الى الفاعل الموجد لما كان
اشد من نسبته الى القابل لان نسبته الى الفاعل بالايجاب والاقتضاء ونسبته الى القابل بالامكان
والصحة ومع ذلك لا يقال لموجد السواد انه اسود كما يقال لقابله وذلك لوجود المنافرة والاختصاص ههنا
دون هناك وكذا لا يطلق على موجد اللون والطعم الصابغ والطاعم بالمعنى الذي يطلق على
المباشر فلا يقال للبارئ انه صباغ مع انه موجد جميع الاصباغ والالوان على احسن الوجوه كما في قوله
ومن احسن من الله صبغة وكذا [illegible] بالمعنى الذي [illegible]
وذلك لانه يفعل [illegible] على وجه اعلى واشرف مما يفعله [illegible] الفعل [illegible]
[illegible] المباشرة [illegible] على وجه الابداع والعناية ومثال ما ذكرناه النفس الانسانية فانها على
[illegible] اولا ترى ان النفس مع تجردها ووحدتها وكونها من
عالم [illegible] جميع الافاعيل [illegible] والنامية والجاذبة الى القوى [illegible]
مثل الهضم والطبخ والنضج ودفع الفضلات وسائر الافعال [illegible] فاعل [illegible]
النباتية ومع ذلك [illegible] وكذلك يلمس ويشم ويذوق وليست لامسة ولا شامة
ولا ذائقة بل هي خارجة عن عالم البصر والسمع اعلى عالم التخيل والوهم [illegible]

من الفقر وهذا الشيء ظهر سيما في كرسي ازمتي فيك كل شيء وبك كل شيء قد بدا كل شيء بعظمته فلم يخ منازعي
في المساهم ولا نديد ولا نظير ولا ضد انه هو الاول ليس قبله شيء هو الاخر ليس بعده شيء وهو الذي ليس فوقه
شيء وهو الباطن ليس دونه شيء فلو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله وهو حين اسرار المؤمنين كما
هو عليم بعين كل شيء لا [illegible] وعن كلامه ما لا يرد فان في المستقيم [illegible] الى اهل الايمان
والمؤمنين والكمل لقلوبهم الصحيحة والى المنافقين بسبب قلوبهم المريضة والتبعيد والطرد لهم
ويماثلهم بحجابهم كما ان ما يرى من ضوء الشمس انما يرجع الى العيون الصحيحة ولا يرى الخفاش الا ظلمة
او وحشة ونفورا بسبب [illegible] عليهم حرمة [illegible] ومن [illegible] مثل يأس وانما الوجوه
التي ذكرها هذه التأويل فالجواب عن اولها ان المراد الاصل السابق [illegible] الخبيث في حين اللطيف
منذ خلق المؤمنين والمتقين من المنافقين [illegible] عليهم [illegible] اصولهم [illegible]
اجابوا عنه بان سبق الكفر والاصرار [illegible] عن الله عليهم [illegible] ان [illegible] على الكفر
والاصرار الذين [illegible] تساوي [illegible] وفطرهم [illegible] اللطف [illegible] والتحقيق والارشاد
والنصيحة [illegible] ما هو من قبل الله [illegible] وكتبه ورسله [illegible] الرجوع الى
الامور الالهية من [illegible] بحسب الفطرة الاولى [illegible] التي هي [illegible]
الشقي منهم [illegible] والسعيد منهم سعيد [illegible] فمنهم شقي وسعيد اما الذين شقوا ففي النار
خالدين [illegible] ان [illegible] الشيطان من [illegible] والتخلية بينه وبينهم [illegible]
الكمل عباد الله [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible] كوجوب [illegible] الله الرحيم
من غير [illegible] والجواب [illegible] ان [illegible] الامداد [illegible] بعد [illegible]
الا [illegible] على [illegible] الطاعة [illegible] هاهنا [illegible]
انه [illegible] مسألة [illegible] ان [illegible] بالجملة [illegible] والثاني
انه [illegible] اللطف [illegible]
[illegible] الاشكال واجاب بعضهم كالقاضي [illegible] بانه ليس المراد [illegible] ويلطف
[illegible] الطاعة [illegible] علمت ان [illegible] اهل الكلام [illegible]
[illegible] والفطرة [illegible] اللطف من الله تع لا [illegible] الاشكال على من [illegible]
[illegible] العقل التي عليها مبنى اثبات الواجب تع واثبات الشرع [illegible]
اما الرجوع الى مسلك اهل الله [illegible] في العلم حتى ينكشف عليه [illegible] وحقيقة الحال [illegible]
[illegible] العقل وانكار الحكمة والقول بالسبب والعلة والغاية [illegible] سبحانه [illegible] لا يسأل عما يفعل
تعالى عن قول الجاهلين والسفهاء والتعطيل [illegible] علوا كبيرا اصالة [illegible] واشراق [illegible]

العارف

العارف بقية الصوفية اعلم ان الكل من عند الله ولكن بدا تعالى لبعض الاضافات ذم فما كان سوء
من [illegible] وقبح وفيه [illegible] من ذلك [illegible] مع الله وما كان من خير وحسن
[illegible] من [illegible] حتى يكون هو المحمود [illegible] مع [illegible]
[illegible] الاشكال [illegible] والله خلقكم وما تعملون وقوله وما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك مع قوله قل كل من عند الله فاضاف [illegible]
اليه [illegible] ما كسبت وعليها ما اكتسبت [illegible]
[illegible] فالهمها فجورها وتقويها [illegible] مسألة لا [illegible] فيها توحيد
[illegible] من جهة الكشف ولا من جهة [illegible] الصحيح [illegible] انه مربوط بين حق وخلق غير مخلص لاحد
الجانبين [illegible] من [illegible] هو عين الوجود الذي استفادته الممكنات
[illegible] عين الحق والتغيرات [illegible] احكام اعيان الممكنات فلولا العين
ما ظهر الحكم ولولا [illegible] التغيير [illegible] الافعال من حق وخلق [illegible] قدس
[illegible] قلنا فيه رائحة اشراك [illegible] فاعل [illegible]
وخلق [illegible] مسألة لا يتخلص فيها [illegible] الى [illegible] غير مخلص لاحد الجانبين [illegible]
[illegible] الاحاديث [illegible] عليهم السلام [illegible] امر بين امرين
ليس [illegible] المحجوبون ان الفعل واقع بين الرب والعبد غير مخلص لاحدهما [illegible]
[illegible] البرهان في الكشف والنقل عن [illegible] عليهم السلام بل [illegible]
من [illegible] عليهم السلام [illegible] ان الافعال كلها مخلوقة [illegible]
[illegible] الفعل [illegible] العبد هو [illegible] من الحق من غير اشتراك [illegible] وجود العبد بعينه
[illegible] من شؤونه [illegible] ان للفعل نسبة الى الفاعل [illegible] نسبة الى الفاعل
المفارق [illegible] في الافعال [illegible] المغارق المذكور
هاهنا [illegible] التحقيق [illegible] في [illegible] وتصيرتم [illegible] كشف تام
[illegible] الفعل من حيث هو واقع بقدرة العبد [illegible] بقدرة الله بلا اشتراك تعالى
الله عنه علوا كبيرا [illegible] من الاشراك [illegible] سواء
الموجودات [illegible] على ما يكون من النسب الالهية ان يكون الحق هو عين الوجود الذي
استفادته الممكنات [illegible] الله [illegible]
[illegible] هذا [illegible] على [illegible] الذي [illegible]

فهو لها يكتب باختياره وهذا هو مذهب الاشاعرة ومذهب بعض الحكماء ان الفعل للعبد حقيقة
ومع هذا فربط الفعل عندهم بين الحق والخلق لا يزول لان هؤلاء يقولون القدرة الحادثة في العبد
التي يكون بها هذا الفعل من الفاعل ان الله خلق له القدرة عليها فما خلص الفعل للعبد لانه ما خلق
الله فيه من القدرة عليه فما زال الاشتراك وهذا مذهب اهل الاعتزال فهؤلاء ثلاثة اصحابنا والاشاعرة
والمعتزلة ما زال بينهم وقوع الاشتراك وهكذا ايضا حكم مثبتي العلل لا يخلص لهم ثبات المعلول الا
لعلته التي هي معلولة لعلة اخرى فينتهي الى ان ينتهي الى الحق في ذلك الترتيب هو عندهم علة العلل
فلولا علة العلل ما كان عن علة اذ كل علة دونه معلولة والاشتراك ظاهر فيه على مذهب هؤلاء
وما عدا هؤلاء الا صنف من الطبيعيين والدهريين فقالوا بما يؤول اليه امرهم ان الترتيب يقول
نحن فيه الا انه يقول الدهري ان الدهر والطبيعي ان الطبيعة وهم لا يخلصون الفعل للظاهر مما ولدوه
ان يضيفوا الى الدهر او الطبيعة فما زال وجود الاشتراك في كل نحلة وفي مذهب وما ثم
عقل يدل على خلاف هذا ولا خبر الهي بخبر يخلص الفعل من جميع الجهات الى احد الجانبين
فلنقر كما اقر الله على علم الله فيه وما ثم الا كشف وعقل وشرع وهذه الثلاثة ما خلصت
ابدا دنيا واخرة جزاء بما كنتم تعملون فالامر في نفسه والله اعلم ما هو الا كما وقع ما يقع فيه
تخليص الحق في نفسه غير مخلص اذ لو كان في نفسه مخلصا لا بد ان كان يدل عليه بعض الطوائف
ولا يمكن لنا ان يقول الكل على خطاء فان في الكل الشرايع الالهية وقد نسب الفعل فيها الى
وما يجد الاشياء على ما هي عليها الا الله وقد اخبرنا الامر كما اخبر ما نسق الفتوحات وغيرها
المسئلة على الاشتراك فهذا هو السر الحقيقي والجلي في هذا الموضع الحرج انتهى كلامه وقوله شيا
بالحساب الالهي عن الشرك في الافعال كلها ما يتعلق بالتوحيد في الذات والصفات بل الامر
وزعما وذكر فاه مراد وما نقله من الموالاة والطوايف فضار اي فيه الا الله على الاشتراك
ولكن قوله ان الوجود الاشتراك في كل نحلة وفي مذهب وما ثم عقل يدل على خلاف وضرا الا
خبر الهي في شيء بعيد او غير موجه بظاهر ولا يتلقاها مذهب ولا به الله الموحدين الذين لم
يروا في الوجود الا الله واما نرى هنا الرواية الخبر الالهي وهو المشار اليه في قوله لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما في معناه فالمراد منه ما يوافق مسئلة التوحيد الخاص لا
ما هو الظاهر على ما يستفاد من مثل قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم وليس المراد ان الحق والعبد متشاركان في الفعل وان العبد بمنزلة الالة كالسيف
القاطع للحجر والنبل الضاربة لا استقلال لهما في فعله وان العبد بعلة متوسطة

الباري في فعل العبد كان محكما الظاهر من الفاظه سعة وما جرى مجراهم في اثبات الوسايط في الايجاد
ولا نعمه المخاصون منهم كاتباع الرواقيين فانهم لا يبالون من ان الوسايط شروط معدات لا دخل
لها في الايجاد بل هي الاعداد بل الحق في هذه المسئلة ما لا يدركه الا ثبوت البصيرة المستفاد من عالم
لمن انفتحت كلا عينيه عينه اليمنى يشاهد بها الحق وعينه اليسرى يشاهد بها الخلق فيشاهد فعل
الحق في عين ما يشاهد فعل الخلق فيتحقق له سر قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وسر
قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله ومعنى قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون
مع كونهم سمعوا فانظر الى هذا الادم كيف اثبت مغايرة الحكم كما في الحق سمعه وبصره فمن كان
الحق سمعه فقد سمع ضرورة الا انه لم يسمع الا به فهو سامع لا بنفسه بل به ومن لم يكن كذلك
فهو سامع بنفسه لا بالحق فوقع الذم عليه والمدح على الاول مع ان الفعل في كل منهما لا يصدر الا
من شخص امكاني وهذا التفاوت فيهما يرجع الى الشهود وعدمه دون الوجود اذ الوجود
في الواجب كما هو هو كان لم يزل ولا يزال وفي الممكن كما هو هو في التجدد والزوال وكلمة في تجليه
الالهي فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به تدل على ان الامر كان على هذا وهؤلاء قوم كانت الكرامة
التي اعطاه هذا التعريف الكشف والعلم بان الله كان سمعه وهو كان يتخيل انه يسمع بسمعه وهو
يسمع به كما كان يسمع الانسان في حال حياته بروحه وهو يظن انه يسمع باذنه فعرف في الجملة
ان في نفس الامر انما يسمع به فالحق يسمع كلامه بالسمع المعنوي دون غيره وهو غير محدود ولا زوال ثم بحثه
وان كانت الحروف والاصوات متجددة زايلة وكذا الكلام في البصر والكلام والقدرة وغير
ذلك ولنمسك عنان الكلام عن زيادة التطويل في هذا المقام ولنرجع الى ما نحن بصدده من كلام الله
المفصل النظام قوله جل اسمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين تحقيق لا مرية فيه على المقدمات لحديثها
ان الانسان ما دام كونه الدنياوي بمنزلة مسافر تاجر والتجارة اما كونه مسافرا فانه قد جبل عليه
كل ما هو متعلق الوجود بالطبيعة الجسمانية والكون الدنياوي اذ قد تحقق في مقامه بالبرهان
الذي لاح لنا بفضل الله ان الطبايع الجسمانية ابدا في التحول والانتقال والتجدد والزوال
من حال الى حال بحسب ذاته وجوهره وانتقالها ذاتيا وتوجهها جبليا الى النشأة الاخرى واما كونه
تاجرا فانما هو لاختياره تحصيل ذلك الفائز بسعادة الربح الاخروي انما يعود بها باعمال الحسنات اختيارا
والمسبوق بشقاوة الخسران الابدي انما يبتلي به باعمال فاسدة اختيارية كما قال تعالى جزاء بما كانوا
يكسبون وقوله ذلك بما كسبت ايديهم وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره المقدمة الثانية انه لما كان كل مسافر تاجر لا بد له من رأس مال فقد ثبت ان كل

مسافر المجازي كالاول بل الدين راس ورأس مال هو الفطرة الاصلية التي فطر الله عليه وهي القوة
الاستعدادية لاجل الوصول الى الدرجات العاليات والفوز بالمنازل والسعادات وهذه
القوة الفطرية هي المعبر عنها في هذه الاية بالهدى اذ الهدى عبارة عن كون السالك على الطريق
يؤدي الى مطلوب ويقابله الضلال وهو كونه جائراً منحرفاً عن ذلك الطريق وعلى ما قررنا الهدى
بدليل الاحاديث كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قط لان كل واحد من
الناس في اول نشأته وحال حدوث وجوده على راس الطريق منه الى الله فهو على هدى بحسب الفطرة ولما
يقع الحجب بحسب ما يكتسب من الافعال والاعتقادات كما ورد في الحديث عن رسول الله صلعم كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه المقدمة الثانية ان الربح والخسران
ليسا بامرين عارضين لغاية هذا السفر حتى الانحصار من منازل هذه الحركة بل الوصول الى
كل منزل من منازل الاخرة يلزمه ما يخصه من ربح او خسران او نعيم او عقوبات او راحة او عذاب
بل الربح هاهنا نفس الوصول الى المنزل الاسنى والمقام الاعلى وكذا الخسران نفس الوصول الى المهوى
الادنى سئل بعض اهل الله عن عذاب القبر فقال القبر كله عذاب اشارة الى ان العذاب عبارة
عن الانحصار في مضيق البرازخ السفلية والتقيد بقيود الموذيات الحيوانية وانما الم
بالالام والعقارب والحيات النفسانية كما ان النعيم والراحة بالخلاص عنها والفوز بالدرجات
العاليات لانه ما فيها كله روح وريحان وجنة ورضوان وما في البرازخ السفلية كله
الام ومحن وموذيات وعقارب وحيات وسموم ونيران وجحيم وزقوم فاذا تقررت
هذه المقدمات فنقول قد حكى الله تعالى عن المنافقين والمغترين بالوساوس من اليهود
من اهل الكتاب وغيرهم الذين تفقهوا لغير الدين وعملوا بغير العلم اهل التقليد والتلبيس
للحطام ومنبك العوام بانهم اشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الاخرة بالاولى والدرة
الفاخرة بالثمن الاوكس الادنى واستبدلوها بحيث انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله
في اصل الفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى [illegible] ففقدوا الاهتداء واصل الاشتراء بذل الثمن او ما
يجري مجراه لتحصيل ما يطلب من الاعيان سواء كان عيناً محسوساً او غيره كما في قوله اخذت بالجمة
راساً ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمراً جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ثم استعير [illegible] مركب [illegible] فان كان احد العوضين ناضاً
من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمناً وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة
الثمن فباذله مشتر واخذه يكون بائعاً ولذلك عدت الكلمات من الاضداد وقوله فما ربحت

تجارتهم

تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم
كما قيل ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري واما اسناد الربح الى التجارة
والخسار [illegible] فهو على سبيل الاتساع لتلبسها بالفاعل ولمشابهتها اياهم من حيث انها سبب
الربح والخسران فصل واما قوله وما كانوا مهتدين فمعناه ان الذي يقصده التاجرون
في متصرفاتهم امران سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الامرين معاً
المتقبل لان راس مالهم هو الفطرة الصافية من المزاحمات والروح الصافي النفساني والعقل
الهيولاني فلما اعتقدوا هذه الاراء الخبيثة وانتقشت نفوسهم بهذه النقوش الزخرفية
واضعفت عقولهم من هذه العقايد الفاسدة خرجت فطرتهم عما كانت عليها وبطل استعدادها لتحصيل
ما هو جوهرها في معادها وزينة ذاتها وسبب عيشها في الاخرة فهؤلاء مع انهم لم يربحوا فقد
خسروا وافسدوا راس مال العقل السليم المهتدي لطريق الحق والفوز بالنعيم فلهم الخسرة والندامة
[illegible] قتادة في معنى هذه الاية انتقلوا من الهدى الى الضلالة ومن الطاعة الى المعصية ومن الجماعة
الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة اقول كل صحيح لانها من لوازم
الخروج عن الفطرة الساذجة بالعقيدة الفاسدة في باب المبدأ والمعاد فان بناء الحسنات والخيرات
كلها على معرفة الحق والسلوك بما يوجبه وبناء السيئات والشرور على الجهل به والحيد عن طريقه
قوله جل اسمه مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم
لا يرجعون تحقيق [illegible] من قبيل المقدمات [illegible]
تحاذيه نسبة الادنى الى الاعلى [illegible] كنسبة الصافي الى الكدر ونسبة اللب الى القشر ونسبة الادنى الى
الاعلى كنسبة الفرع الى الاصل ونسبة الظل الى الشخص ونسبة الشخص الى الطبيعة ونسبة
المثال الى الحقيقة فكل ما في الدنيا فلا بد له في الاخرة من اصل والا لكان كسراب باطل وخيال
عاطل وكل ما في الاخرة فلا بد له في الدنيا من مثال والا لكان كشجرة بلا ثمرة فلا نتيجة وشجرة بلا
ثمرة وعلة بلا معلول وجواد بلا جود ولان الدنيا عالم الملك والشهادة والاخرة عالم الغيب
والملكوت ولكل انسان دنيا واخرة [illegible] قبل الموت [illegible]
بعد الموت فدنياك وآخرتك من جملة احوالك ودرجاتك [illegible] القرب [illegible]
المتأخرة وكون الدنيا متقدمة على الاخرة ليس بحسب الزمان بل بالاعتبار ايضاً من
جهة ان الانسان اول ما يحدث يكون في عالم الخلق والشهادة ثم يتدرج قليلاً قليلاً
في قوة الوجود حتى ينتقل عن هذا العالم الى عالم الغيب الاخرة [illegible] فما لم يكون دنيا

اولاه والاخرى كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في نشاة الوجود وثابتة بها وهي وان كانت
ثانية في نسبتها الى الوجود فانها اولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا
فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا
في حق الرؤية وانقلب المتاخر متقدما وهذا النوع من الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم
ولكن هذا عالم الشهادة مخلوق من عالم الغيب والملكوت ومن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر الى شي
من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد امر الخلق به فقال سبحانه فاعتبروا
يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسيفتح الى
حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس مملو نارا شانها ان يطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك
المها حجاب فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك ومن هذا اظهر الله الحق على لسان قوم استنطقهم
بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان هذا ثم انا نحن الان كما اصحابنا في الدنيا من الاخرة
والغرض من انزال القرآن اكثره شرح احوال الاخرة خصوصا في هذه الاوقات الخمسة
الغرض شرح احوال طايفة من المنافقين محجوبين بظلماتهم واخرتهم ولا خبر من عالم الملكوت ولا يتصور
شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال سبحانه وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون وهم الذين جردوا صور المحسوسات عن قشورها المادية
وحضروها عند عقولهم العابرة من عالم الامثلة الحسية الى عالم الحقائق والملكوت وعالم
الامثلة الحسية بالقياس الى عالم الحقائق كمنام النوم بالقياس الى عالم الملكوت ولذلك قال ع
الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يبين في النوم الا بضرب الامثال
المحوجة الى التعبير وكذلك ما سيكون في يقظة يوم القيمة لا يبين لك في ايام حياتك الدنيا الا
في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير فان حظنا علماء التعبير ان
تعبير وامر الامثلة الى الحقايق ثلث امثلة من تعبيرات ابن سيرين يكفيك ان كنت فطنا لفهم
معنى المثال ونسبته الى الحقيقة جا رجل الى ابن سيرين فقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال
وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاء آخر فقال رايت كاني
اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية ففتش عن اصلها فانها امك قد سبيت
في صغرك وقال آخر رايت كاني اعلق الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها وكان
كما قال فالتعبير من اوله الى آخره مثال يعرفك طريق الامثال فقس بذلك الانبياء عليهم السلام ان
يكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم
في النوم اذ الدنيا دار منام والعيش فيها كالاحلام والنائم لا ينكشف له شي الا بصورة مثال

فاذا

فاذا ماتوا انتبهوا وعلموا ان المثل صادق وعرفوا ان المثل المضروب لهم كان صادقا كلها وانما يعني
بالمثل اداء المعنى ووجوده في صورة ان نظر الى معناه بالحقيقة وجده صادقا وان نظر الى صورته
وظاهره وجده كاذبا فالمعلوم من الآيات ان صورة الممكنات بحقيقة الوجود الفايض من الحق الاول
وقد علمت فيما سبق ان الوجود في كل شي هو نحو وجوده وهو صورة ذاته دون المسمى بالماهية الا
ان صورة الوجود في بعض الاشياء كالمفارقات وضرب من الملائكة والمدبرات العلوية قائمة في انفسها
بذات باريها وموجدها وفي بعض الاشياء كالطبايع وضرب من الملكوت والمدبرات السفلية قائمة
لا في انفسها بل بحقيقة المحال والمواد وكل من قسمي الوجود يعني القائم بالذات والقائم بالمحل
نور من انوار الله الفايضة عنه في سماوات الارواح واراضي الاشباح وهو من اسمائه العليم والنور اذ
هو عالم الغيب والشهادة والله نور السموات والارض والوجود على مراتبه كله نوره والوجود
الانوار والانسان بالقوة مشتمل على كل قسم من النور واشرف انوارها المكنونة بالقوة في ذاته
بحسب اصل الفطرة هو نور العقل المدرك للحقايق الفعال للصور العقلية والنفسانية والحسية
عند تفرده بذاته وخروجه من القوة الى الفعل واتصاله بحضرة الحق الاول وانما يخرج من القوة
الى الفعل عند استكماله بسلوك سبيل الحق وانقياد الشريعة الالهية بالايمان والعمل الصالح
وصرف قواه الادراكية كالحواس الظاهرة والتحريكية كالقدرة والارادة والشهوة والغضب
فيما خلقت هي لاجله وهذه القوى ايضا ضرب من الانوار الوجودية التي انعم الله علينا
لاستعمالها في التوسل بها الى الخير والتقرب بها وهي ايضا في اول النشاة ضعيفة خاملة في مادة
البدن سيما الباطنية منها كالوهم والخيال من القسم الاول والهوى وحب الجاه والرياسة
من القسم الثاني وهذه الانوار الحسية وكذا محسوساتها ومتعلقاتها صور مكنونة في مواد الاجسام
سيما العنصرية كالصورة النارية في الفحم اذ جميع هذه الاجسام التي يلينا وما حولنا بمنزلة
الفحم والزغال والانوار صور الحقايق مندمجة فيها وانما يظهر من البطون شيئا فشيئا من الكمون
لنا بسبب حركات ورياضات في كورة الدنيا وعالم الطبيعة هي بمنزلة النفاخات التي فيه
في كورة الحدادين واول ما يخرج الى الفعل من القوة والى البروز من الكمون هي صورة الحس
والمحسوس اذ كل ادراك سواء كان حسا او تخيلا او وهما وتعقلا انما هو ضرب
من التجريد ومراتب التجريدات في الشدة والضعف كمراتب الادراكات في الكمال والنقص فاقل
التجريدات التجريد الحاصل في الحس فان الحس يجرد الصورة القائمة بالمادة المغشاة
بالغواشي المادية من اصل تلك المادة لكن لا يجردها من الغواشي بل هي معها بشرط
ان يكون لها من الحس نسبة وضعية جسمانية الى تلك المادة المنتزعة هي عنها حتى انه

لو غابت تلك المادة لا غابت الصورة ايضا عن الحس واما الخيال فيجرد الصورة عن المادة تجريدا اتم
والى فوق المفارقات تقريبا اشد فانه يجرد عن المادة وعن علائقها وغواشيها الجسمانية ومن عدم اشتراط
حضور المادة ايضا لكن بشرط بقاء تشخصها وتعينها المشابهة لتعينها المادي في عالم التمثل
الخيالي واما الوهم فيجرد الصورة تجريدا اتم من تجريد الحس والخيال جميعا حيث يتصور المعاني الحالة
في الاجسام ويجردها عن المواد ومن صفاتها المكتنفة بها لكن لا يمكن للوهم تجريد المعنى بالكلية عن
المواد الشخصية وعن صفاتها جميعا حتى عن اضافتها الى الشخص بل يتصور كلا من المعاني مضافا الى شخص بعينه
اذ الوهم نفسه ايضا كذلك لانه عبارة عن قوة عقلية مضافة الى جوهر جسماني حتى لو تجردت عن هذه الاضافة
صار الوهم عقلا والشيطان ملكا والجني بشكله واما العقل فشانه تجريد الصور عن المواد تجريدا
اتم واقوى من جميع ما سواه فانه يجردها عن المواد وعلائقها ويجردها عن الحالة والتعلقات والاضافات
كلها فيصيرها بذاتها انوارا ما فيها مقدسا مطهرا عن الارجاس والادناس لا يقع بحضرة القدس شيطان
الا النفس وتلك مما اردنا الا المتعلق ثم اعلم ان هذه القوى من القوى الانسانية من قوة جوهر
العقل بمنزلة اشعة وانوار لانها تنشعب من ذات منطقة بالبدن كمصباح في بيت يقع منه انوار و
اشعة على جدرانه وسقوفه وزواياه واكنافه وكل من هذه القوى ينفعل ويستكمل ويخرج من القوة
الى الفعل بواسطة صورة محسوسة بعضها فالبصر بالمبصرات كالالوان والسمع بالمسموعات كالاصوات
وباللمس الملموس بالمحسوس ويستكمل ويخرج وجوده من القوة الى الفعل والخيال بالصور المتخيلة يستكمل
ويقوى ويصير من حد النقص الى حد الكمال وقد علمت ان كل كمال ووجود انما يحصل بضرب من التجرد
والبعد عن المادة وكل نقص وظلمة انما يحصل بواسطة تعلق بالمادة وقرب منها وعلمت ان
مراتب الكمال محصورة في مراتب التجريدات ووجود هذه القوى متقدم بحسب الحدوث على وجود القوة
العقلية تقدما زمانيا وبالطبع ووجود القوة العقلية متقدم عليها بالذات ووجودها تقدما زمانيا
وبالعلية والشرف لانها من فروعها ومعاليلها مستفيدة لانحو الفعل وحصوله بالفعل فالعاقلة
مفتقرة اليها في اول النشأة وعند اوان الاستكمال والحركة الى الجبل الى المبدأ الفعال وهي مفتقرة
اليها في النشأة الثانية وبقاء الآخرة فمن استكمل ذاته حتى تم الكون الدنيا وقع من القيامة والنجاة
فاستمع روحه جميع قواه وتنورت بنوره يوم البعث وحشرت معه يوم حشر الخلائق اجمعين ومن
لم يستكمل ذاته ههنا بنور الايمان ولم ينفتح بصيرته باطنا الى عالم الروح فالحجاب في لوازمه
وتراكم غشاوته وكثرة حجابه وكثافة نفسه يرسله في الاخرة عن قواه وحواسه ويبقى نفسه
في ظلمات الهاوية وداحضة السعير اصم وابكم واعمى قال بلسان الحال لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى المقدمة الرابعة ان الموجودات الغائبة من

حق

من حق بعضها من عالم النور وبعضها من عالم النار وبعضها من عالم الظلمة والدخان اما التي هي
من عالم النور فهي العقول القادسية والنفوس الزكية والملائكة العلوية والاخيار ومن
لحق بهم واما التي هي من عالم النار فهي النفوس الخبيثة والشياطين والاشرار ومن تبعهم واما عالم الظلمة
والدخان فهي مواد هذا العالم من الافلاك والعناصر لقوله تعالى يوم تأتي السماء بدخان مبين وفي قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان وكذا في الفجر وليال عشر اشارة الى مواد الافلاك التسع ومادة العناصر وكذا وجعلنا
الشمس ونور القمر ومصابيح الكواكب كان هذا العالم ظلمة محضة لا اوحش منها فاستنار
هذا العالم بتلك الانوار الحسية المتعلقة واما عالم الاخرة فلا يمكن ان يستنير شيء من هذه
الانوار الحسية بل لا بد في استنارتها من نور آخر من ضروب الانوار المعنوية اما العلمية فكما للمقربين
واما العملية فكما لاصحاب اليمين كما قال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم وكما قال يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا واما عالم النار فليست نارها من جنس هذه النار التي في الدنيا فان هذه ليست
نارا محضة بل نار مع مادة معدة لها كالحطب ونحوه ومع هيئة نورية حسية ووضع وشكل
محسوسين واما النار المحضة فلا يكون معها هذا الصفاء والاشراق واللالاء والنور واللمعان
فان هذه كلها مسلوبة عن نار جهنم بل هي سوداء مظلمة كما ورد في الخبر وانما بعث هذه الاوصاف
لهذه النيران الدنيا لانها ليست نيرانا محضة بل في مادتها نار ونور ممتزج كما مر واما التي هي نار
محضة فتمامها انها صورة جوهرية حارة بالذات محركة للمواد معالة مذيبة للاجساد محرقة موذية
مهلكة قطاعة منزعة مفسدة للصور الانسانية وفساد الصور بوارها فدار البوار هي محل ظهور سلطان
النار واما عالم النور فهو محل ظهور الحقائق من حيث انها حقائق وبقاؤها وسلطانها والابواب لها
مفتحة لا من قبل آثارها ومن ناحية صورها المحسوسة ولهذا قيل من فعل حسنا فعمل طاعة ومن تامل
علم ان النيران التي عندنا فمحال ان تكون نارا حقيقية في الحقيقة دار الآخرة دار القرار لان النار هي المحلة المؤثرة
وهذا المحسوس من النار ليس مجرد حقيقة والذي يباشر الاحراق والتفريق حقا وحقيقة هي نار مستورة
عن هذه الحواس خارجة عن فكر الناس والقياس مرتبطة بهذا المحسوس وبغيره ارتباطا وهذا شيء
يوافقنا عليه علماء النظر لاعترافهم بان الاثر لا يبقى بعد وجوده الا هو الفاعل له حقيقة وانما الذي يبقى لعله
الاثر فهو فاعل في علم الطبيعة وباصطلاح الطبيعيين وذلك يسمى في علم ما بعد الطبيعة وباصطلاح
الالهيين معدا لا فاعلا ومفيدا فقد تبين واتضح ان نارية النار اي كونها محلة مزيلة للصور ليست
حاصلة فيما يعاين من ذوات نار الدنيا الكبرى لا تستقر لها سوى دار البوار لا ان حقيقتها منبعثة عن تنزلات
الالهية والعقلية عند هبوطها من عالم النور الى عالم الاستحالة والاخلاد فالطبيعة النارية منارة في كل

المستعيدات الجوهرية وعند ذلك ان جميع الجواهر المادية سماوية كانت او ارضية سيالة في ذاتها قابلة
للاستحالة الجوهرية والتجدد والذوبان بتاثير نيران الطبايع الغير المحسوسة وهي نيران الهوية
كامنة في بواطن الاجسام الدنيوية والنفس الامارة بالسوء ايضا نار موقدة تطلع على الافئدة فهي
كلها مؤلمة الا ان بين الناس وبين ادراكها الما حجاب وحجاب وجودها معلومة لبعض العلماء وعلمه
مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك يسمى بعين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الاخرة
وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين وفي حظهم من نور اليقين فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الاخرة والدليل على كون
النار الاخروية كامنة في جميع اجرام الدنيوية التي هي بمنزلة الوقود والحشيش لها سواء كانت حارة
يابسة كالنار او باردة رطبة كالماء قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وقوله والبحر المسجور وقوله
اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة والاحاديث في هذا الباب كثيرة منها ما روي انه صلعم
لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا فان تحت البحر نارا او تحت النار بحرا ومنها انه لما صعد البحر كله
نار يغتفر وعن ابن عباس ان النار تحت البحر نارا او تحت النار بحرا ومنها انه قال صعد البحر كله نار
في نار جهنم طبقة ومنها ما ورد في حديث المعراج انه راى في السماء الدنيا آدم ابا البشر وكان عن
يمينه باب يأتي من قبله ريح طيبة وعن شماله ريح منتنة فاخبره جبرئيل ان احدهما هو الجنة والاخر
هو النار ومنها ما في حديث الكسوف اذ قال صلعم ما من شيء توعدونه الا قد رايته في صلاتي هذه
حتى بالنار وذلك حين رايتموني تاخرت مخافة ان يصيبني من لفحها الحديث ومنها ايضا ما يدل على
ان النار في السماء كما ذكره المجاهد والضحاك في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون ان المراد
هو الجنة والنار وكما يروى في حديث المعراج ايضا انه صلعم راى في السماء الدنيا مالكا خازن النار وفتح
له طريقا من طرق النار لينظر اليها حتى ارتقى اليها من دخانها وشررها وطعن بيساره من الباب اذا
مهدت هذه المقدمات فنقول ان الله تعالى اراد ان يكشف عن حال المنافقين الذين كانوا مشتغلين
بالكسب بالظواهر والاعراض بعض الاثار ولم يباشر الايمان قلوبهم واقتصروا على البحث والتكرار وصرفوا
وكدهم في الصرف والنحو والاشعار وحفظ غرائب الاحاديث والاخبار طلبا لحطام هذه الدار تقربا
الى السلاطين والامراء لما كان من استوقد نارا وهي نار النفس الوقادة التي تستوقد اولا من اشعة المدارك
الحسية المشوبة بنور الصور المحسوسة وهذه الانوار الحسية التي يتفعل منها الحواس وتخرج بها
من القوة الى الفعل انوار حادثة متجددة زائلة عند فتور القوى ودثورها حين استيلاء
المرض والهرم عليها وانما الفايدة فيها تنبيه النفس بوجود هذه المدركات لتنتقل منها الى ادراك صورها
العقلية وانوارها المعنوية الحاصلة في عالم الانوار وبها تخرج قوتها العاقلة الى الفعل وتستعد بالنعم

الاخروية

الاخروية فمن اقتصر حاله في استعمال هذه القوى لا لاجل تحصيل المعارف الالهية والشوق بانوار القدس ثم
فهو كمن استوقد نارا واستضاء بما حوله من نفس تلك النار وهي القوى الحساسة والمحركة وحين اضاءت
النار ما حوله من القوى والمدارك الخارجة عن ذاته قبل ان يبلغ اثر الضوء الى نفسه ذهب الله
بنورهم اي بنورهم الذي به يحصل في حصول الانوار الحسية بتكلفها زائلة واثرها منقص وتنقص
عند عروض الشيب والموت ثم لم يبق لهم نور اصلا لا نور الحواس لزوالها عند الموت ولا نور الايمان
والمعرفة لعدم اكتسابهم لذلك وتركهم في ظلمات الموت والجهالة وغيرها كظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة يوم القيمة وظلمة عقاب السرمد كانها ظلمات متراكمة
بعضها فوق بعض فلا يبصرون شيئا وسلبت قواهم وجوارحهم كلها فلا سمع ولا نطق ولا بصر
كان لا اذن ولا لسان ولا عين فهم صم بكم عمي لا يرجعون لان الرجوع الى الفطرة الاولى من
المستحيلات والممتنع لا يكون مقدورا اصلا فالاية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه
ولم يتوصل به الى نعيم الابد وسعادة السرمد فبقي متحيرا متحسرا في ظلمة لا وحشة فيها سلب عنه
الحواس والالات تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون
وكل من آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة الاولى ويمكن ان يكون المراد من قوله فلما اضاءت
ما حوله ان الرجل المنافق قد يكون من اهل الوعظ والتذكير يستضيء بنور وعظه وتذكيره خواص
من المستمعين وهو نفسه لا ينتفع بما يقوله ولا يعمل به كما قيل مثل العالم بامر الله الغير العامل به
كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره وفي الحديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فهذا
ما تيسر لنا في فهم هذه الاية بفضل الله ولنرجع الى حل الالفاظ وما ذكره المفسرون انشاء الله

فصل قالوا ان المقصود من ضرب الامثال التي نرى في القرآن الالهية وصف الشيء في نفسه وذلك
لان الغرض تشبيه الخفي بالجلي والغايب بالشاهد فيتاكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقا
للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح الا ترى ان الترغيب في الايمان بالنور والكفر بالظلمة يتاكد
تاثير حسن الايمان وقبح الكفر في القلب ولهذا اكثر الله في كتابه المبين وفي ساير كتبه المنزلة
ضرب الامثال وقال وتلك الامثال نضربها للناس ومن سور الانجيل سورة الامثال اقول فكلما ان حقيقة
التمثيل ما هو ذكرته ان الغرض ليس بمجرد التاثير والوقع في النفس بل بيان حقيقة الامر وما ذكروه
اولا ترى ان الالفاظ المذكورة في هذه الاية من النار والاستيقاد والاضاءة والنور والذهاب
والظلمات وغيرها كلها محمولة على الحقيقة مشهودة بنظر البصيرة بل هي حقيقة احوالهم التي
هم عليها من الاحوال والافعال الظاهرة هي مثال لتلك الاحوال كما ان نار الدنيا مثال لنار
الاخرة لكن المماثلة لما كانت من الجانبين يجوز استعمالها في كل من الطرفين اذ المثال اصل كلامهم

بمعنى المثل وهو النظير يقال مَثَل ومِثْل ومثيل كشَبَه وشِبْه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل
مضربه بمورده مثل وربما اشترطوا ان يكون قولا فيه غرابة من وجه ثم ذكر ولهذه الآية سؤالات واجوبة
احدها ان مستوقد النار كيف التشبيه به اذ ذهب نوره وتركه في ظلمات والمنافق لم يكتسب خيرا
وليس له نور فما وجه التشبيه والجواب بوجوه الاول ما قاله السدي ان ناسا دخلوا في الاسلام عند
وصول النبي صلعم الى المدينة ثم نافقوا فمثلهم بما انهم كسبوا نورا ثم بنفاقهم ثانيا ابطلوا ذلك النور
ووقعوا في حيرة عظيمة قال وهذا ليس بشيء لان الايمان ان كان مجرد الاقرار باللسان فليس بعد
وان كان العرفان الحقيقي الحاصل بالبرهان فليس هنا بل لا يزول الا اذا ... بما ذكره المحشي وهو اظهر
لما اظهروا الاسلام فقد ظفروا الاسلام فقد ظفروا بحقن دمائهم وسلامة اموالهم عن الغنيمة
واولادهم عن السبي وظفروا بغنائم الجهاد وسائر احكام المسلمين عد ذلك نورا من انوار الايمان
ولما كان ذلك بالاضافة الى العذاب الدائم قليل القدر شبههم بمستوقد النار الذي انتفع بضوئها
قليلا ثم طلب ذلك ودام حيرة وحسرة للظلمة التي جاءت في اعقاب النور فكان يسير انتفاعهم
في الدنيا اشبه النور وعظيم ضررهم في الاخرة يشبه الظلمة الثالث ان بقى اللفظ على حقيقته البشارة
للمنافق ... ان يشبه حاله في تحيره وظلمته في القيمة بحال المستوقد الذي انطفأ النور وبقي متحيرا
في ظلمة المظلم الرابع ان ما يظهره المنافق من الايمان ممثلا بالنور وذهابه بموته وما يظهره
المنافق من كلمة الايمان ممثلا بالنور وذهابه هو ما يظهره لاصحابه من الكفر والنفاق وانما
سمي مجرد القول بالكلمة نورا وان كان القائل بها ليظهر في تلك الساعة خلافها لانه قول
حق في نفسه الخامس انه جعل نطقه بالكلمة لانه يترتب بظاهره ويصير محلا وبعد ذلك بسبب نفاقه
ان الله ذهب بذلك النور فهتك ستر المنافق بتعريف نبيه صلعم والمؤمنين حقيقته
فيظهر له اسم النفاق فبقي في ظلمة لا يبصر ذلك النور الذي كان قبل ذلك كما كشف الله تعالى امر
المنافقين السادس ان المشبه هو مستوقد نار لا يرضاها الله فشبه الفتنة التي حاول المنافق اثارتها بهذه
النار لان فتنتهم كانت قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ايضا قال
سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم بالخروج للنبي صلعم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج
كفروا به فكان انتظارهم لخروجه صلعم كاطلاب ايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور السؤال
الثاني ان الآية تقتضي تشبيه المثل بالمثل فما مثل المنافقين ومثل المستوقد نارا حتى شبه
احدهما بالآخر الجواب انه قد استعير المثل للقصة او الصفة اذا كانا لها شأن وفيها غرابة
كانه قيل قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا وكذا قوله مثل الجنة التي وعد المتقون ولله
المثل الاعلى والمعنى وصفهم وشأنهم المتعجب كحال من استوقد نارا السؤال الثالث كيف شبه الجماعة

بالواحد

بالواحد والجواب عنه بوجوه احدها انه يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله تعالى وخضتم
كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في قوله بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين لكون الذي وصلة الى ما بعده من الجملة التي هي صلته فلا قصد الى
مطابقته بالموصوف جمعا وافرادا وتذكيرا وتأنيثا وهو عمدة في كلامهم وكونه مستطالا بصلته احق
بالتخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزء منه فحقه ان لا يجمع اخواتها وليس الذين جمعه
المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل الثاني ان المراد جنس المستوقدين او اريد بالجمع او الرهط الذي استوقد
نارا الثالث ان المراد من مثلهم مثل كل واحد منهم كقوله تعالى يخرجكم طفلا اي يخرج كل واحد
منكم الرابع وهو الاصوب والاقوى ان التشبيه وقع بين القصة والقصة لا بين الذوات
وهذا كما في مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل وكقوله ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت السؤال الرابع ما الوقود وما النار وما الاضاءة وما النور وما الظلمة
الجواب وقد النار وما الاضاءة وقودها النار سطوعها وارتفاع لهبها والنار جوهر لطيف مضيء
محرق حار واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها وهو
ضوءها والمنار العلامة والمنارة هي الشيء الذي يؤذن عليها ويقال ايضا لما يوضع السراج
عليه ومنها النورة لانها تطهر البدن والاضاءة هي فرط الانارة ومصداقه قوله تعالى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا والظلمة عدم النور عما من شأنه ان يستنير والظلم في اصل اللغة بمعنى النقصان
كما في آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص وفي المثل من اشبه اباه فما ظلم اي ما نقص
حق الشبه والظليم الثلج لانه ينقص سريعا والظليم ماء ... وبياضه تشبيها له
بالثلج ... عليك ... فان شئت ... عن ظلم الحبيب هو الظلم واضاءت
يجوز كونها متعدية ولازمة والاقرب هنا هو الاول وعلى الثاني يكون مسندا الى ما حوله و
التأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت ويجوز
اسنادها الى ضمير النار ويكون ما موصولة منصوبة على الظرفية او مزيدة وحوله ظرفا والحول
المتصل ... وقيل للسنة حول لانه يدور والحوالة انقلاب الحق من شخص الى آخر والحول
انقلاب العين والحيلة ... بعد ان لم يكن ... وقوله ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير
للذي وانما جمع حملا على المعنى وقيل ذهب ... بنارهم لكون النور هو المراد من ايقادها ويحتمل
ان يكون الجواب محذوفا كما في قوله فلما ذهبوا به للاستطالة الكلام من الالباس كانه قيل فلما

اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح
في احياء النار وعلى هذا يكون ذهب الله كلاما مستأنفا اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت
حالهم بحال مستوقد انطفئت ناره او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على
هذين الوجهين للمنافقين وعلى الاول للموصول ويكون في معنى الجمع وانما وحد في حوله نظرا
الى اللفظ السؤال الخامس هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت ما حوله الجواب هذا ابلغ
اذ في الضوء زيادة والغرض ازالة النور عنهم بالكلية ونفي الاستلزام يوجب نفي الاضعف ولا ترى
كيف عقبه بقوله وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور وانطماسه بالكلية وقد جمعت و
نكرت ثم اتبعت زيادة في التأكيد بقوله لا يبصرون تنبيه اسناد الاذهاب الى الله تعالى اما
في الممثل له فلان الكل واقع بقضائه وقدره او لان الاطفاء وقع بسبب من خفي امر سماوي
كريح او مطر واما في الممثل فقد علمت مما ذكرنا ان ذهاب انوار الحس والخيال والوهم وسائر
القوى من النفس الغير المنورة بنور الايمان امر ضروري حاصل عند الموت بقضاء الله لا صنع
لغيره فيه ولهذا قال ذهب الله بنورهم ولم يقل اذهب الله نورهم لما في الباء من معنى الاستصحاب
والاستمساك كما في قولهم اذا الذهب كل الذي به اخلق يعني ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب به فيه سر آخر وقرأ اليماني اذهب
الله نورهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد واذا ضمن معنى صير جعل بشيئين
فيجري مجرى افعال القلوب ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك
فنصبهما ومفعول لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح لا من قبيل المقدر المنوي اذ الغرض
سلب الابصار لا سلب تعلقه بشيء كما في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون صم بكم عمي
فهم لا يرجعون قد علمت نتائج المسالك في تفسير الآية ونقل فيها في تشبيهها من حال الالفاظ في
احدها على الحقيقة الباطنية وفي الاجراء على التجوز او الاستعارة وكذلك قالوا جريا على طريقتهم
في قوله تعالى صم بكم عمي انه لما كان المعلوم من حالهم انهم كانوا يسمعون وينطقون ويبصرون امتنع
حمل الآية على الحقيقة فلم يبق الا تشبيه حالهم لسلك تمسكهم بالعناد واعراضهم عما يطرق سمعهم
من القرآن وما يظهر من الرسول من الادلة والآيات بمن هو اصم في الحقيقة فلا يسمع
واذا لم يسمع لم يتمكن من الجواب فلذلك جعل بمنزلة الابكم واذا لم ينتفع بالادلة لا يبصر طريق
الرشد فهو بمنزلة الاعمى فجعلوا هذه الالفاظ الثلاثة محمولة على المجاز والتشبيه حالهم من انعدم
مشاعرهم وانتفت قواه كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وكانت
على طريقة قوله هم ليوث الشجعان هم يجود للاسخيا ولما حملوها على الحقيقة لكونهم سلبوا القوى

والمشاعر

والمشاعر الاخروية التي هذه المشاعر الدنيوية قشورها وظواهرها فاتت للنفس في ذاتها
سمعا وبصرا ونطقا وغير ذلك الا ترى ان الانسان عند النوم الذي هو اخو الموت يسمع ويرى
وينطق والمسلوبة عن الكفار والمنافقين هي مشاعر الآخرة لان وجودها تابعة لوجود
العقل المنور بنور الايمان كما مر ثم اختلفوا في ان اطلاقها عليهم استعارة او تشبيه بليغ
والمحققون منهم على انه تشبيه بليغ وليس باستعارة لان من شرطها ان يطوى ذكر المستعار
له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة ترى المفلقين السحرة منهم يتناسون التشبيه
ويضربون عن توهمه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء
وههنا وان طوي ذكره لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر
من صفير الصافر قيل هذا اذا جعل الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة للتمثيل ونتيجة
له وان جعل للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وقرئت الثلاثة
بالنصب على الحال من مفعول تركهم قوله جل اسمه او كصيب من السماء
فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف
ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء
الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير قد مثل
الله تعالى حال المنافقين والكافرين بهاتين التمثيلين باعتبار هاتين القوتين اما التمثيل
الاول فهو باعتبار قوتهم العلمية التي من شانها مشاهدة انوار الحقائق واما هذا التمثيل
فهو باعتبار بطلان قوتهم العملية التي من شانها سلوك الطريق الحق وانما عطف كصيب من
السماء على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب بقرينة قوله يجعلون اصابعهم او عطف
على المثل ومثلهم او حالهم كصيب فلا بد من تقدير يعود اليه وكلمة او في الاصل للتساوي في الشك
ثم اتسع فيها فاستعملت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين ومنه ولا تطع منهم
آثما او كفورا والمراد منع الخلو دون منع الجمع والمعنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين
القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما باعتبار الجهتين وانت مخير في التمثيل بهما جميعا
او بايهما شئت وكان التمثيل الثاني ابلغ لان حال المنافقين المتلبسين باهل العلم الحقيقي
ظواهرهم لاقوال المتغيرين بابداء الشبهات وهم الذين اذا جاءهم البينات يبرحون بها عندهم

من اهل دين هذا التمثيل حال المنافقين الذين هم من اهل الشك واهل التقليد من غير بصيرة
تامة وايمانهم في قولهم فقط قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك وعن امير
المؤمنين قطع ظهري رجلان من الدنيا رجل عليم اللسان فاسق ورجل جاهل القلب ناسك
هذا يصد الناس عن فسقه وهذا بنسكه عن جهله فالفاسق العالم من اهل [illegible] والجاهل من من الصيب
المتعبدين اولئك فمثله كل منهم فوجه المماثلة هو ان المراد هو الايمان او القران
يكون منشأ الحيوة المعنوية والارزاق الاخروية والظلمات هي الشبهات والمتشابهات
التي تخفي وجهها على الجهال والاراذل فيضلون في ادراكها كما قال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وما يضل به الا الفاسقين والرعد والبرق والصواعق هي التكاليف الشاقة بعضها من باب
الاعمال وبعضها من باب الاعتقادات كفعل الصلوة والصيام والحج وترك الرياسات
والمجاهدة مع الاباء والامهات وترك الاديان العرفية والاعتقاد بحقيقة دين الذين
والانبياء ولله فكما ان الانسان يبالغ في الاحتراز عن المطر الصيب الذي هو اشد الاشياء
نفعا بسبب هذه الامور المقارنة فكذا المنافق الجاهل يحترز عن الايمان والقران بسبب
هذه الامور التي هي مقارنة الغرض منها الايلام والتخويف وتشديد الامر عليه بحيث يكاد
يوجب هلاكه ولم يعلم ان فيها شفاء لما في الصدور وشفاء للقلوب واحياء النفوس الميتة
بداء الجهالة ورحمة للذين امنوا وهدى للعالمين والمراد من قوله يجعلون اصابعهم في
اذانهم حذر الموت ان الجاهل المنافق كثيرا ما يتصامم عن ذكر الايات والحجج والبينات
حذرا من سماع ما يوجب فنا دعاويهم ويظهر عليهم ما لهم من النفاق والفسق وكلم
لا يسمعه لا جرم ان التصامم والتعامي لا يدفع الداهية والموت كما ان [illegible]
الى غير [illegible] ويمكن [illegible] وقوله يكاد البرق يخطف ابصارهم اشارة
الى ان لمعان القران او الايمان او الدعوة الباهرة يكاد يخطف ابصار بصائر الناظرين فيه
حتى كانهم تضعف بصائرهم عن احتمال اشعتها ولوامعها كالمبهوتين المتحيرين والمراد من
قوله كلما اضاء لهم مشوا فيه انه متى ظهرت لهم او فتح اليهم شيء يحصل به العافية والكل لما فات
او متى حصل لهم شيء من المنافع كحصول الغنائم او التوقير والتعظيم في المحافل او تولية الامور
كضبط الاموال وحفظ الامانات وسعاية الزكوات والحسبة واشباهها ونحوها فانهم يرغبون
في الدين ويجتهدون في العمل واذا اظلم عليهم او متى لم يجدوا شيئا من الكرامات ومن المنافع
ثم يقعدون عن العمل ويكرهون الايمان ولا يرغبون فيه هذا ما ظهر في معنى الاية وبقي فيه
ما قيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية
بالصيب

بالصيب تهب بحلول الارض ومما ارتكبت بها من الشبه الباطلة والاعتراضات وتحيل
من الاعتراضات المشكلة لاهل البدع بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها
من الايات الباهرة بالبرق وتصاممهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه
فيسد اذنيه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطارح ضوء البرق كلما
اضاء لهم وتوقفهم في الامر حين يعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم
عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم الى انه جعل لهم السمع والابصار
ليتوسلوا بهما الى الهدى والفلاح و[illegible] بهما الى تحصيل السمع المعنوي والبصيرة
الباطنية لدفع الشبهات والانقيادات في طريق الهداية وسلوك الاخرة [illegible] الحقيقي
الباقية وتقربوا الى الله معطي الخيرات الابدية ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها
عن الفوائد الاجلة وهذه المدركات مع [illegible] امورا ذاهبة زائلة ولو شاء الله
لجعلهم عادمين للسمع والابصار كما هم عليها في القيمة يوم لا نور الا نور المعرفة والايمان فصل
قد يقال وقع في التمثيلين تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات بها او ما المشبه بالصيب والظلمات
والرعد والبرق والصواعق ههنا هلا صرح بها كما في قوله ما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وكقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي فيجاب بانه يجوز كون المشبه في المفردات مطويا ذكره على سنن الاستعارة
من قبيل قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ولعلماء البيان
في هذا الموضع قولان احدهما ما سلكنا سبيله واوضحنا طريقه وهو تشبيه مفرق معناه ان يكون
المثل مركبا من امور والممثل له ايضا كذلك ويكون كل واحد من احادها شبيها بما يوازنه
من الاخر من غير اشتراط ان يكون جميع اجزاء المركب المشبه مذكورا صريحا كما علمت من التطبيق
التفصيلي المذكور والثاني ما اختاره صاحب الكشاف نقلا عن الفحول من علماء البيان لا يخطونه
ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر
شبهه وهو القول الفحل والمذهب الجزل [illegible] ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع امور تضامت
اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كما في قوله مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا مثل حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في
جهله بما يحمل من اسفار الحكمة فاذا اريد تشبيه الاخر في الا واحد [illegible] بعضها ببعض وصيرت
شيئا واحدا بلا تكلف لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت

جبرئيلهم وشدة الامر عليهم بما يكابدون من ظلمات ثلاث بعد ابعادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذ في السماء
في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق والبحث [illegible] يحجبون احدها ان الهيئة
لا تنتزع من الحاصلة من امرين او امور اذا كانت واحدة لجهات بكونه الامور المنتزعة هي منها
ايضا سيما اذا [illegible] من الوجه الذي به يصلح للاولين بعد ما عرفت في العلوم العقلية ان المعنى الذي
لا يمكن ان ينتزع من اشياء متخالفة متفاوتة من جهة تخالفها سواء كانت بسايط او مركبات مثلا
الهيئة الانسانية المخصوصة المنتزعة من تركيب اجزاء الانسان لا يمكن ان ينتزع من تركيب اجزاء
الفيل وغيره لا يطلق نحو ضعيف المشابهة لها ومما بينا ان المواضع التي ذكرها من القرآن ونحوه واحد
فيها تشبيه المركب بالمركب من دون تشبيه الافراد لا نم ان الامر فيها كما زعمه بل الاشبه المواضع على المشابهة
بين الاوفاق في قوله تع مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها [illegible] اليهود وهو حملهم بما في
التورية بحال الحمار وهو الجهالة بما حمل عليه فكذلك فحصلت المشابهة بين اليهودي والحمار
في الحمق والجهالة فان حقيقة الحمارية ومعناها هي الجهالة المفرطة سواء كانت مقرونة بشكل
الحمار او شكل الانسان وليس الانسان انسانا بشكله وصورة خلقته بل بمعنى الانسانية وروح
الناطقية التي هي عبارة عن ادراك المعارف وكمالات التقوية واستفادة الحكمة لاستعدادها لما يؤدي
الى التعليم والتعلم من العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية وكذلك تشبيه جمال الالفاظ والظواهر
وعدم جمال الافراد والمعاني [illegible] على ذوي
النهى هذا القسم لطيف دقيق والمراد بما هو المقصود من التمثيل وادراك الغفلة فينبغي حمل الآيات عليها ما
امكن ونحن لا ننكر وجود القسم الثاني في القرآن وغيره فصل فان قيل ما الفائدة في
قوله من السماء مع ان الصيب لا يكون الا من السماء قلنا فيه فائدتان الاولى [illegible] له
تعريف السماء وتنكير الصيب على انه مطبق اخذ بآفاق السماء والثانية ان من الناس من قصر نظره
عن الاسباب العالية المنبعثة من قدرة وحكمة فقال ان المطر انما يحصل من ارتفاع ابخرة رطبة
من الارض الى الهواء فينعقد هناك من شدة البرودة الزمهريرية ثم ينزل مرة اخرى على هيئة القطرات
فذلك هو المطر ثم ان الله ابطل ذلك المذهب ههنا بان بين ان ذلك الصيب نزل من السماء وكذلك
في قوله وانزلنا من السماء من جبال فيها من برد ولان اسباب هذه الامور منبعثة من عالم السماء واعلم
ان العلوم وحقايق الموجودات بعضها فوق بعض وكذا العلماء بحسبها ذوي درجات متفاضلة متعالية كما
قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم وقال ورفع بعضكم فوق بعض درجات مثاله ان الطبيعي والحكيم يشتركان في
النظر في كثير من الاشياء لكن الطبيعي يأخذ الاوسط في تجدد الطبيعة السارية في الاجسام بامر الله والحكيم
يأخذ الاوسط من العالم العلوي والمفارق المحض والعلة الغائية التي هي الجزء الاعلى والعلة الصورية

فالطبيعي

فالطبيعي يعطي برهانا لميا ما دامت مادة القابلة والطبيعة الفاعلة موجودتين والحكيم يعطي من جود
والحكيم يعطي البرهان مطلقا وبالجملة فاذا اعطى البرهان من الاسباب المفارقة كان من العلم الاعلى
وان اعطى من العلل المقارنة الغائية كان من العلم الاعلى والعلل المقارنة هي الهيولى والصورة
والعلل المفارقة هي الفاعل والغاية واما العارف المتأله فنظره ادق واعمق وعلمه اعلى واشرف
من جميع العلوم حيث يقع نظره في معرفة كل الاشياء الى الحق الاول ويأخذ عنه مقاصده ووسط براهينه
من سماء [illegible] الحسي وكما ان الكرى والجن عندهم هذه الشأن ولا برهانا لهم هذا البرهان واكثر الناس
مقصور النظر [illegible] على عالم الباطن كالباطنيين وكلاهما ينظران
بالعينين العوراء [illegible] منشأ الرعد والبرق فالرعد هو الصوت الذي يسمع من السحاب
كان اجزاء السحاب تصادم وتضطرب [illegible] اذا حركها الريح فصوتت عند ذلك من الارتعاد و
البرق الذي يلمع من السحاب [illegible] وهما مصدران في الاصل ولذلك لم يجمعا وقيل
الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام
وقيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب كما ان الراعي يزعق بغنمه وقيل البرق مخاريق
الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتنقدح عنه النار وهو المروي عن علي ع وقيل سوط من نور يزجر
به الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيف وغيرها
وقيل انه نار تنقدح من اصطكاك الاجرام والكل صحيح حسب مراتب المشاهد في مراتب العلوم والعرفان
سمعت [illegible] ان ملكا يسوق السحاب بالزجر والصوت زجره يسمع زجل الرعود واذا
[illegible] خفيفة السحاب [illegible] صواعق البرق [illegible] اصطكاك الاجرام من
[illegible] الدخانية والبرودة البخارية [illegible] قضية صحيحة لو لم
ينكر ما فوقها [illegible] الاخرى بان ملكا يسوق السحاب ولم يكن [illegible] نور
البصيرة [illegible] عالم النور [illegible] عليه
شانه [illegible] في الامور السفلية كالزلازل [illegible] ما ورد في باب الخسوف
والكسوف انه من تخويف الله عباده [illegible] ثبت بالهندسة ان خسوف القمر يحجب
نور الشمس عن جرمه لحيلولة الارض وان كسوف الشمس يكون بحجاب جرم القمر نورها عن الابصار
فاهل الايمان لا ينكرون ما دلت عليه البراهين الهندسية ولكن الجاهلين لافراط [illegible] ينكرون
احكام الغيب [illegible] يؤمنون بالغيب وقوله ولله غيب [illegible] عالم الغيب والشهادة
السموات والارض
يحرفون الكلم عن مواضعه [illegible] والله الظاهر المالك
فلو كنت ادركت [illegible] المعقول والمنقول [illegible] العارف

المحقق الفلك بالك يتمثل والمنزل معقول فيقل علامات الذنب ان فيض والنبع عقل الظاهر
والعقل نزع باطن في الجسد الفلك والروحانية بالملك نحن نحكم بان الفلك له ارادة وهو في علم
بل ادرك الارادة بالملك الموكل وصورة الفلك من عالم التقدير والتسخير لا من عالم الحكمة والتدبير
وهكذا الكواكب وما يضيف اليها من التاثيرات والتدبيرات هو من الملائكة الموكلين بعالم
السماء وهي في ذواتها موات   فصل قوله فيه ظلمات ان اريد بالصيب فظلمات ظلمة تكاثف
اي تتابعه وظلمة غمامه مضمومة اليها ظلمة الليل وان اريد به السحاب فظلمات سحمته وتطبيقه
اذا كان اسحم مطبقا وارتفاعها بالظرف وفاقا لاعتماده على موصوف ويكون الصيب بمعنى مكانا
للرعد والبرق لانهما في اعلاه واسفله ولان التعلق بين المطر والسحاب فيما لا يخل جاز اجراء احدهما
مجرى الاخر فيما هو من باب التوضيع وقيل ضمير فيه راجع الى السماء لان المراد بها السحاب وهو مذكر وانما
لم يقل رعود وبروق كما قيل ظلمات لان انواعها ثلاث انواع منها ايضا الظلمة فلا حاجة واحتيج الى صيغة
الجمع بخلاف ما صلحها وانما جاءت الثلثة منكرات لان المراد ضروب خاصة منها كانه قيل ظلمات داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف والضمير في يجعلون لاصحاب الصيب والمرجع وان كان محذوفا لفظا
لكنه باق معنى فيجوز ان يعود عليه والجملة استيناف كانها وقعت في جواب من قال فكيف حالهم مع مثل هذه
الشدة والهول وانما ذكر الاصابع موضع الانامل للمبالغة او لان المراد بعضها وقوله من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجلها والصاعقة قصفة رعد شديد معها شعلة نار لا تمر بشيء
الا اتت عليه ويقال لها ان كان متخلخلا او لطيفا واذابته او كسرته ان كان متكاثفا صلبا
ولهم مع قوتها سرعة الخمود والجمود والتاء فيها للمبالغة كالراوية او مصدرية كالعافية وقوله
حذر الموت نصب على العلة والموتة والحيوة ومعناهما من انشقوق قوتها وقيل صفة تضاد
الحيوة تمسكا بقوله خالق الموت والحيوة ودفع بان الخلق ههنا بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
وان لم يكن مجعولة ومعنى الاحاطة بالكافرين شمول قدرته عليهم واحاطة امره وتضمنهم
قوله وان تجعلهم تحيط بالكافرين وقيل المعنى انهم لا يعوزونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم
الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب ويخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف
بكسر الطاء والفتح افصح وعن ابن مسعود والحسن يخطف بفتح الياء والطاء على ان يختطف فادغمت
التاء في الطاء بعد نقل حركتها الى ما قبلها وعنه يخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع
الياء لها وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يختطف من قوله ويتخطف الناس من
حولهم وقوله كلما اضاء لهم مشوا فيه استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون
في حالتي ظهور البرق وخفائه فاجيب بذلك واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم

ممشى

مشوا
استخفوه اي كانهم تحيروا كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وبيطانه قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء وكذلك
اظلم فانه جاء مستعملا في المفعول عن ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول واما
تعالى مع الابهام لا كلما ومع الاظلام اذا تكون لهم دوام على المشي فلما اضاء او فوا منه فرصتها انتهزوها
وكذلك الوقوف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم بقصيف الرعد ووميض البرق ومفعول شاء محذوف
لدلالة الجواب عليه وهكذا تحذف في شاء واراد لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ولو
شئت ان ابكي دما لبكيته   تنبيه كان في البحر الكبير ان المشهور ان كلمة لو يفيد انتفاء الشيء
لانتفاء غيره ومنهم من انكر ذلك وزعم انها لا يفيد الا الربط واحتج بالاية ولو علم الله فيهم خيرا لا
سمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فلو افادت ذلك لزم التناقض لان قوله ولو علم الله فيهم خيرا يقتضي انه
ما علم فيهم خيرا وقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يفيد انه ما اسمعهم وهم تولى
لكن التولي خير فيلزم ان يكون قد علم الله فيهم خيرا وما علم فيهم خيرا فاما الخير فهو لهم الصيد
صيبهم ثم يحضا الهم ... نقض فعل مقتضى قولهم يلزم الرحاف لله وقطعا ودلالته قضى
فعلمنا ان كلمة لو لا تفيد الا الربط انتهى وفائدة هذه الشرطية على المذهب المشهور ابداء المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم الظاهرين مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها
مشروط بمشيته وان كان وجودها مرتبطا باسبابها منوطا باحالها ... فلما كانت
واقع بقدرته قوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له وفيه ايضا على المذهب لا
الاخبار عنهم ذهاب الخاتم بين صممهم في الحقيقة على ان القاسم يعقبون انها موجودات لهم
صم وعمي في الحقيقة وعند اهل الكشف مع وجود الا عيان فيهم كما انهم اموات لا يسمعون عند الله
وعند اوليائه كما قال انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء مع انهم يحسبون ويتحركون كما
وهذا من عجائب قدرة الله في خلق الاحياء   فصل اعلم ان الشيء وان كان بحسب المفهوم
اعم من الوجود الا انه يساوق الوجود بحسب التحقق وما عند من يجعلها اعم تحقيقا فمنزعج الى
خيالات نحبيهة فقالوا المعدوم الممكن شيء وهو ثابت لكونه محكوما عليه باحكام صادقة يوجب
تميزه عن غيره وليس بموجود فيكون ثابتا وبطلان المحال منفي وانه لا واسطة بين النفي
والاثبات ونحن انا نتول لا حفظ بين الموجود والمعدوم مما سمي حالا وثبات نحو ساتهم على
الفضلة من عالم الغيب وما غير موجود لدهشة الغائبة عنهم ولم يعلموا ان التقرير في
المعدوم متميز من الاعيان باعتبار الصفة المتصور الموجود في الذهن من حيث هو كذلك
ما ليس بموجود لا في الذهن ولا في العين فالمعدوم يحكم عليه هذيان والحكم بنفسه ممتنع
بل انه يقال لهم ان الممكن معدوم والموجود اهل ثابت او منفي فاعرفهم لا يخرج الشيء عن الحكمي

والاثبات فان كان منفيا وكل منفي عندهم ممتنع فالوجود الممكن يصير ممتنعا هذا خلف وان كان ثابتا
وكل صفة ثابتة للشيء يجوز ان يوصف بها الشيء فالمعدوم يجوز ان يوصف في حال عدمه بالوجود
فيلزم التناقض وهو محال ثم المعتزلة الوجود عندهم بفعل الفاعل وهو ليس بموجود ولا معدوم
فلا يفعل الفاعل وجود الوجود مع ان الكلام في وجود الغير ولا يفيد ثبات فان كان ثابتا
بالكلية تفسيرها الا فان الفاعل لم يهب ان شيئا فهو لا يعطل الفاعل عن الصانع ومنهم
من استدل بهذه الاية على ان المعدوم شيء لانه ثبت ان القدرة على الشيء والموجود لا قدرة
عليه لاستحالة ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل فالذي يتعلق به القدرة معدوم وهو شيء فالمعدوم
شيء والجواب بالحل والنقض اما الاول فلان ايجاد الموجود بنفس هذا الايجاد وكذا تحصيل
الحاصل غير مستحيل بل هو واقع لان ايجاده هو الاستتباع للوجود والممكن يفتقر في بقائه
الى العلة كما يفتقر في حدوثه واما الثاني فلانه لو صح هذا الكلام لزم ان ما لا يقدر الله عليه
ان يكون شيئا فالموجود الذي لم يقدر الله عليه حينئذ لا يكون شيئا وهو شيء عندهم واحتجهم
بهذه الاية على ان الله ليس بشيء لانها دلت بالاطلاق ان كل شيء مقدور والقسم والتخصيص يحتاج
له فوجب ان لا يكون شيئا والجواب بعد بقوله ليس كمثله شيء كل ما كان شيئا لكان مثل نفسه
فكان الكذب قوله فيجب ان لا يكون شيئا لئلا يلزم تناقض كلامه والجواب ان هذه الادلة قاصرة
ويجوز ان لا يجوز التعويل عليها في اصول الايمان من الاعتقاد فبطل ما احتجوا وتخيلوه وهو
كما استدل بعض الاشاعرة على ان الشيء يختص بالموجود لا يتناول الاصل بمقدور شاء الله مطلق تارة
بمعنى شاء اسم الفاعل وهو بهذا المعنى يختص بالباري تعالى قال اي شيء اكبر شهادة قل الله وتارة بمعنى مشي
اسم المفعول اي شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه يحمل قوله ان الله
على كل شيء قدير والله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية فصل القدرة هو التمكن
من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل صفة تؤثر وفق الارادة فخرج ما لا تأثير له من الصفات
وما تؤثر لا وفقها كالعلم ونحوه من القادرية وما تؤثر لكن لا على وفق الارادة كالطبائع
المسخرة المقهورة مثل صورة النار واحراقها وقيل قوة الحيوان كيفية نفسانية بها يتمكن
من الفعل والترك وهي في الحقيقة مبدأ الحركة الحيوانية ... والتعريف الاول كون داخله
للجامع غير اجزاء الدلالة او انضمام البحث يصح عندهما صدور الفعل وعدمه والمشهور عن الحكماء
ان القدرة على كل شيء بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ فلم يفعل الاول
صادق الشرطية مستلزما بصدق طرفيها فكان اذا صفة يرجح بها احد طرفي المقدور
وهي بالمعنى الاول فقيل انها شوق متأكد وقيل انها مغايرة للشوق لانها هي الاجماع وتصميم العزم

اذ قيل

اذ قيل يشتهي الانسان ما لا يريده كالمحرمات المشتهاة عند الخائف من الله وقد يريد ما لا يشتهيه
كالادوية النافعة التي لا تشتهيها فيفرق بينهما ان الارادة ميل اختياري والشوق ميل طبيعي
وان العاقب بها مكلف على ذلك بالمعاصي ولا يعاقب باشتهائها ولو كان كذلك زادة من الافعال
ضرورة لا الذي لا الانسان لا اختيار له لا ارادة فهي بهذا القيل والكلام عليه هاهنا
من وجهين ... الداعي على قول البارزي ... ليس امرا زائدا على الارادة وقدرته
كالارادة لا امر عندهم عبارة عن كونه تعالى عالما بالنظام الاعلى للعالم والاشاعرة لم يقولوا
بالداعي ليجوزوا ترجيح احد المتساويين بالارادة من غير مرجح وتخصيص احد المتساويين
من غير مخصص والمعتزلة وكذا اصحابنا الامامية قالوا بالداعي لان الارادة عندهم باستحالة
الترجيح بلا مرجح مع استلزامه الترجيح بلا مرجح اذا نقل الكلام في تحقق الارادة وعدمها
وذلك بديهي الامتناع عند كافة العقلاء لكن المعتزلة قالوا بوجوب الداعي على ذاته تعالى
ونقل بالجملة فمنهم من يقول بوافقنا بعض اصحابنا انه مطلقة الجعل لشخص من اشخاص الموجود
ومنهم من يقول انه ذات الوقت ولا وقت قبله وهذا المقام مما لم يخب فيه قدم راسخ
الا من نور الله بصيرته فانه من مزالق اقدام الاقوام والخلاف في القدرة من العبد لانه
القادر بوقوع الفعل على الحكم بما يقتضيه مشيئته واستدل بهذه الاية على ان مقدور العبد
مقدور لله تعالى لان مقدور العبد شيء وكل شيء مقدور له تعالى وقالت هاشم وابي علي وعلى ان
المحدث حال الحدوث مقدور لان المحدث حال الحدوث شيء وكل شيء مقدور له تعالى فالمعتزلة فانهم
قائلون بان الاستطاعة قبل الفعل مع واستدل من قال بسبقها على الفعل بوجهين احدهما
انه لو تحقق قبل الفعل لكان تكليف الكافر بالايمان تكليف العاجز وهو غير واقع بالاتفاق
كما قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وثانيهما ان القدرة يلزمها كونها محتاجا اليها
في الفعل ومع الفعل لا يبقى الاحتياج وقد يوجد انه فاسد لان الحصول لا ينافي الحاجة الى
العلة واجيب عن الاول بان تكليف الكافر بايقاع الايمان في ثاني الحال اعني وقت حصول
الاستطاعة وهي مع الفعل ويرد عليه انه لو استمر على الكفر لكان لم يتحقق القدرة اصلا بناء
على انها مع الفعل والثاني باطل بالاتفاق تتمة من كان الموثر في وجود الاشياء ليس
عنده الا الباري تعالى الا المحققين من الحكماء حيث يجعلون غيره من الاسباب من قبيل الشروط
والمعدات والروابط والمقدمات وكذا الاشاعرة القائلون بنفي العلية والمعلولية
والتعلق والتلازم بين الاشياء فالاية باقية على عمومها لجميع الممكنات سواء كانت موجودة
بالفعل او معدومة واما المعتزلة فمنهم من خصها وكذا الشيعة فانه على ثمنه الوجه على المعدومات

بان اوجدها وعلى الموجودات بان يفنيها وعلى معدوم غيره بان يعين عليه وبعضهم منع ومنهم
من خصصها في مقدوراته دون مقدور غيره لاستحالة ان يكون مقدور واحد بين قادرين لانه
يؤدي الى ان يكون الشيء الواحد موجودا ومعدوما وهو تناقض فخص وتخصيص عام جائز
وواجب بدليل العقل لا ضرورة والله على كل شيء قدير يقتضي ان يكون قادرا على نفسه ثم خصص
بدليل العقل وذلك لا يوجب الكذب على الله ولا الطعن في القرآن لانه لفظ الكل كما استعمل في الجميع
فقد يستعمل في الاكثر وذلك مجاز مشهور في اللغة لم يكن استعمال اللفظ كذبا وهو كالتحقيق
آخر وهو ان الشيء معناه غير الوجود فان كل ممكن موجود فالعقل لان يحلله الى ماهية ووجود
هو امر غيرها الى ماهيته وعنده الشيئية غير الوجود الا انها لا تنفك عن الوجود خلافا
للمعتزلة واما انما جل ذكره قادر لا شيئية له سوى الوجود البحت فلا شيئية له غير شيئية
الوجود فانه النور وهذا قول نسبة الباري جل ذكره الى الماهيات كلها بالقدرة والى الموجودات
بالايجاد والافاضة بالفعل لان معنى القدرة صحة الفعل والترك والماهية في نفسها قابلة
للوجود والعدم على التساوي واما سواه كان حين الوجود او قبله او بعده فالمعدوم بها
ثابتة لها ذاتية واما الوجود فتحقيقها انها موجودة بالفعل بايجاد الله وليست هي
في نفسها جائزة العدم لانها عين جهاته جهة وجودها واما انها عبارة عن كونها
مستقرة الذوات اليوم مجعولة بجعله وابداعه والفرق بين الوجودين الثابت لها من حيث
ذاتها مادامت الذات وليس ظهورها الاحية والفرق بين الوجود ثابت عند اهل الحق
المستقيم فالله على كل شيء قدير فاعلم هذا فانه من العلوم الشريفة المحرمة على غير اهلها
قوله جل اسمه يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا اعلم ان في هذه
الاية نكات لطيفة ومسائل غامضة وعلوما شريفة وحكما عقلية وانوارا الهية واسرارا
ربوبية اما النكات فاولها من عادة الله سبحانه في هذا الكتاب ان يخاطب جميع المكلفين
بيا ايها الناس واهل المعرفة والايمان منهم بيا ايها الذين امنوا ولاهل الولاية والتقرب
بيا عبادي تنبيها على تفاوت الدرجات وتباين الرتب والمقامات فان لنوع الانسان درجات
متفاوتة في الحقيقة والذات عند اهل الشهود فمن الناس من هو في طبقة النفس الحيوانية الا
انه قابل للترقي بالتكليف وهم اكثر الناس ومنهم من تجاوزها وبلغ حدود النفس الناطقة
وهم العلماء ومنهم من بلغ الى مرتبة العقل بالفعل وهم عباد الله الربانيون فهذا الخطاب متوجه

الى جميع

الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من هو خارج عن حدود التكليف من الاطفال والمجانين
لان حالهم انزل من حال الحيوان المكلف ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رض
والحسن ان ما في القرآن من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين
امنوا فانه نزل بالمدينة وذلك لا يوجب تخصيص الخطاب بالكفار دون الجاهلين ولا امرهم
بالعبادة دون غيرهم فان الامر متوجه الى الكل ما داموا في دار التكليف لعدم خلوهم عن
نفس حيوانية محتاجة الى التكليف والرياضة والتاديب الالهي والمامور به هو المزيد
بين بدو العبادة وزيادتها والمواظبة عليها او اصلها وكيفيتها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الايمان بما يحصل به من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشيء مطلقا وجوب ما لا يتم الواجب المطلق الا به وكان مقدورا وكما ان تحقق الحدث لا
يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه
والمطلوب من المؤمنين ازديادهم كما وكيفا فيها وثباتهم ودوامهم عليها
وثانيها ان الله تعالى لما قدم احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر
صفاتهم وافعالهم البدنية والنفسانية وجزاء امورهم العاجلية والاجلية اقبل
عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذي يورث الكلام رونقا وبهاء ويزيد
السامع هزة ونشاطا ويختص منه بهذا المقام من اللطائف انه كما انك تشكو من مخاطبا
لصاحبك ان فلانا كذا وكذا ثم تتوجه اليه مخاطبا اياه وتقول يا فلان الزم الطريقة الحسنة
واكتب الشرع المرضية فهذا الانتقال منك والالتفات عن الغيبة الى المواجهة
المقالي يؤثر في قلبه ما لا يؤثر فيما استعملت على لفظ الغيبة ومنها كانه يقول
اني قد جعلت واسطة بيني وبينك اولا والان ازيد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك
من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بانه
لتقصيرهم وحشمته قريب من كل قريب الشخص بان كان الشخص بعيدا اشد الحجاب به
ومنها انه مشعر بان العبد اذا اشتغل بالعبادة زاد قربا وحضورا وانسا وجوبا وذلك الوقع
الاشتغال من الغيبة الى الخطاب ومنها ان في العبادة كلفة ومشقة فلا بد من راحة
وهي يحصل بان يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بلا واسطة ويقول ارين منكم
الخدمة فخطاب التكليف يسلك العبودية ومنها ان اهل الاشارة ان يقولوا في تحقيق
ذلك هو ان الله تعالى طلب منهم عهودهم يوم الميثاق والاقرار بربوبيته وشهوده في
معاهدة ان لا تعبدوا الا اياه فخالفوا ونقضوا عهده وعبدوا الطواغيت من الاصنام

والدنيا والنفس والهوى والشيطان فزلقهم عن جادة التوحيد ووقعوا في ورطة الشرك
والهلاك فبعث اليهم الرسول وكتب اليهم الكتاب ليخرجهم عن حالهم ويشكروا نعماتهم ثم
واجههم بالخطاب من الغيبة ودعاهم الى التوحيد والعبودية كما احالهم متعودين على
عبادة الغير ويغوون بعد الربوبية وينجون عن عذاب الدركات وثالثها يا حرف وضع لنداء
البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما للعظمة كقول الداعي يا ربي يا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة
الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل كادعو ونحوه وليس بمعنى ادعو زيدا
او انادي زيدا كما توهم لفسادها من وجوه احدها ان ذلك خبر يحتمل الصدق والكذب وهذا
لا يحتملهما لكونه انشاء وثانيها ان النداء يقتضي صيرورة زيد مخاطبا بهذا الخطاب وانادي
زيدا لا يقتضي ذلك وثالثها ان يخبر انسانا آخر باني انادي زيدا ورابعها ان انادي زيدا
اخبار عن النداء والاخبار عن النداء غير النداء كما لا يخفى نكتة ههنا لاهل الاشارة وهي
ان اقوى الكلمات مرتبة الاسم واضعفها الحرف فقط فهو لا ناقة الاسم بالحرف فكذا
اعظم الموجودات هو الحق الاول واضعفها البشر حيث قال وخلق الانسان ضعيفا فما
المناسبة اي مناسبة بينهما لتحصل فيها من يتصل فيها فعل قد ائتلف الاسم
مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لخدمة الرب حال النداء والتضرع فقال ربكم
ادعوني استجب لكم واعلم ان اي اسم مبهم يقع على اجناس كثيرة لكنه لابهامه لا يتم
الا بان يوصف كما ان المعنى الجنسي لا يتم الا بفصل من الفصول وصفته لفظة دالة على
ما دل عليه اي مخصصه له واتحاده في المعنى كاتحاد المبهم والمحصل فلا يبقى وان يوجد فيه اسم
جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصير وصلة اي بواسطة لندائه كالذي يعمل فيه حرف النداء
اي فهو منادى مفرد معرفة لانه مبني لانه وقع موقع الخطاب وانما بني على الحركة دون الاصل
في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء وانما حرك بالضم لانه كان في اصله التنوين
فلما سقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد من الاسماء المحذوفة الغايات فادخل
وفيه وجوه اخر يوجد في مظانها والاسم التابع له صفته فهو مرفوع تبعا له على حركة
لفظه ولا يجوز هنا الا الرفع وان كانت اوصاف المنادى المفردة المعرفة يجوز
فيها الوجهان لان ههنا المنادى هو الصفة في الحقيقة واي وصلة اليه لتعذر الجمع بين
حرفي التعريف فانهما كمثلين لا تعدل لما لا يحتمه وذلك صحا مشترك قيل وها على ذلك حرف ههنا
حرف التنبيه قبل الصفة فصار ذلك كالعوض باستغناء فلا دونه لا يجوز الا فتحا وعلى المنادى

قبله

قبله كما جاز في غيره فالزم ردفها والحقت بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من
المضاف اليه وانما كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة للايذان بهذه التاكيدات والمبالغات
بان كل ما نادى الله به عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد واقتصاص اخبار المتقدمين امور عظام
واشياء مهمة يجب التفطن لها والاهتمام باستماعها والاقبال عليها بقلوبهم واكثر الناس عنها غافلون
احقاء بان ينادى لهم بالآكد ورابعها ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل
عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا من غير نكير فثبت ان الناس يعم الموجودين
وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دين محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ان مقتضى خطابه
واحكامه شامل للعصر الاول ولمن سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة
كما وقع الاسناد عن ابن عباس او علقمة فيدخل ما بعد الناس بالتبعية تبصرة وفي هذا المقام كلام
محقق وهو انه قد ثبت بالبراهين النيرة وشواهد اهل البصيرة ان الكمية الانفصالية
الزمانية بجوهرها الامتدادية وما يطابقها ويوازيها من الحوادث والزمانيات وما معها
من الجواهر والاعراض والصور والاشخاص كلها حاضرة عند الباري جل عزه واهل القرب
منه وكلها متساوية في الحضور لديه متوافقة المثول بين يديه لا تقدم ولا تاخر ولا تفاوت
لها في القرب والبعد الزمانيين ولا في الحضور والغيبة المكانيين فكل ما ثبت ماهيتها
بقياس بعضها الى بعض بالقياس الى علمه المحيط بالكل الموجب لحضور الجميع عنده على نسبة واحدة
فالخطاب عنده متوجه الى الجميع وان كان ظهوره بلسان جبرئيل مختصا بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا
مما لا يكشف الا لاهل البصيرة فصل واما المسائل فالاولى ان قوله يا ايها الناس اعبدوا
امر للكل بالعبادة فهل هو امر لكل بكل العبادة ام لا المختار عندنا انه امر بما تيسر من العبادة كما قال
فاقرأوا ما تيسر من القرآن وهو متفاوت حسب تفاوت المكلفين قوة وضعفا لقوله ليس على
الضعفاء ولا على المرضى الاية وقوله ليس على الاعمى حرج الاية ولوجوب صلوة الليل على النبي
واستحباب صوم الوصال له دون غيره لقوله لست كاحدكم واستدل على عدم دلالة الامر
على وجوب كل المامور به بان معنى اعبدوا وامثاله ادخلوا ماهية المهية في الوجود لان الفعل يتضمن
مفهوم الحدث ومعناه لا عرفا اذا اتى المكلف بفرد من افراد المهية فقد ادخل المهية في الوجود
لان كل فرد مركب من المهية وقيد ومتى وجد المركب فقد وجد اجزاؤه فالآتي بفرد من العبادة
آت بالعبادة فهو آت بما اقتضاه قوله اعبدوا فقد خرج عن العهدة فما هو مقتضى هذا
الامر بحسب الدلالة عليه ولك ان تقول انه اردت تعميم جميع مراتب الاشارة اليه ان الامر بالعبادة

لا بل وان يكون لاجل كونها عبادة لان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف لا سيما

اذا كان مناسبا للحكم كما هنا والخضوع والتعظيم لله ههنا مناسب لهذا الحكم فاذا ثبت علية

الوصف فاينما حصلت وجب حصول الحكم لا محالة المسئلة الثانية ان الحكم بخطاب الكفار

بالامر بالعبادة فيه اشكال وهو ان كون الانسان عابدا متوقف على كونه مومنا فالتكليف بالعبادة

للكفار متوقف على كونهم مامورين بالايمان لان عبادة من لا يعرف ممتنعة وذلك ممتنع

والموقوف على الممتنع ممتنع ايضا فكونهم مامورين بالعبادة ممتنع اما وجه الامتناع الاول

لان الاول يعرف الله لهم اما حال كفرهم وجهلهم او حال عرفانهم فالاول موجب ايضا

والثاني تحصيل الحاصل وكلاهما محالان واما وجه امتناع الثاني فهو ظاهر لتحقق الملازمة

بينهما وايضا يستحيل ان يكون هذا الخطاب مع المؤمنين لانهم يعبدون الله فامرهم بالعبادة

تحصيل الحاصل والجواب ان مراتب الايمان مختلفة متفاوتة كمراتب العبادة واقلها ما هو حاصل

الكل احسن بالفطرة الاولى التي فطر الناس عليها وذلك يكفي لتوجه الخطاب وورود التكليف و

قيام الحجة فالامر التكليفي بالعبادة متوجه الى الكفار مشروطا بتقديم المعرفة المستانفة

كاشتراط الصلوة للمحدث بتقديم الطهارة واشتراط اداء الزكوة للمديون بالسعي اليه فكما

ان الطهارة والسعي واجبان على من وجب عليه الصلوة محدثا واداء الدين ساكتا فكذا الكافر

يصح ان يجب عليه العبادة بهذا التكليف وشرط الايمان بها الايمان او لا ثم الاتيان بها

وكذا هذا الامر متوجه الى المؤمنين بفعل الزيادة فيها والاستمرار فيها والمواظبة عليها

والاجتهاد في استخراج ادلتها والتوسل بها الى زيادة المعرفة والقرب ومعلوم ان كل ذلك

عبادة المسئلة الثالثة ان لمنكر التكاليف وجوها من الشبه نذكرها مع الاشارة الى الجواب

عنها الاول ان التكليف حال استواء دواعي العبد الى الفعل والترك وحال رجحان دواعي احدهما

فعلى الاول يستحيل وقوع المامور به والتكليف بغير واقع ولا جائز عند الاكثر لان الممكن ما لم

يترجح وجوده لم يقع اذ من تجويز الترجيح من غير مرجح ينسد اثبات الصانع وعلى الثاني فالمرجوح

ممتنع الوقوع والراجح واجب الوقوع فالتكليف بالراجح تكليف بايجاد

ما يجب وقوعه وبالمرجوح بما يمتنع وقوعه وكلاهما مستحيلان والثاني ان المكلف به

ان علم الله تعالى وقوعه فواجب وخلافه محال فلا فايدة في ورود الامر وان علم لا وقوعه

فالتكليف به تكليف المحال وكلاهما عبث وسفه والله منزه عنهما وان لم يعلم لا هذا ولا ذاك

فهو قول بالجهل وحصر وهو باطل والثالث ورود الامر بالتكاليف اما لفايدة او لا

لفايدة فان كان الاول فهي عايدة الى المعبود او الى العابد والاول محال لانه كامل الذات بذاته

لا لغيره

لا لغيره وان كان الثاني فهي اما عاجلة او اجلة والاول باطل لان التكاليف كلها مشاق والام

في الدنيا والثاني عبث لان جميع الفوايد محصورة في دفع الالم وحصول اللذة والله قادر على

تحصيلها ابتداء من غير توسط العبادة والمشقة فيكون توسطها عبثا وهو ممتنع على الحكيم

وكذلك حكم الشق الثالث والرابع ان العبد غير موجد لافعاله لما تقرر ان المؤثر في الوجود

هو الله ولان العبد غير عالم بتفاصيل افعاله وكل من لم يعلم شيئا بتفاصيله لا يكون موجدا

له فالامر بذلك تكليف بالممتنع وهو عبث وكل من هذه الشبه جواب تحقيقي فصلي مذكور

في طي المسائل الاخرى سابقة ولاحقة فعليك باستخراجه والاشارة الى الجواب هو ان الكل بايجاد

من الله كل شيء سواء كان تكليفا بما لا يطاق او غيره لانه خالق ما لك وللمالك التصرف في

عبده بحيث يشاء ولا اعتراض لاحد عليه في ملكه واجيب بان اصحاب هذه الشبه الجواب بما

ذكروه اعتقادا عدم التكاليف فهذا تكليف بعدم التكاليف وانه متناقض لحا من ان

المقصود من التكاليف انما هو تطهير القلب على ما دلت عليه ظواهر القران فلو قدرنا انسانا

مشتغل القلب دائما بالله بحيث لو اشتغل بهذه التكاليف الظاهرة لصار ذلك

عايقا له عن الاستغراق في معرفة الله وجب ان يسقط عنه هذه التكاليف الظاهرة فان

الفقهاء القياسيين قالوا اذا لاح المقصود والحكمة في التكاليف وجب اتباع الحكم المعقولة

لا اتباع الظواهر والجواب عنه ان المقصود من التكاليف وان كان تطهير القلب وجلاء

لتجلي صورة المعرفة الالهية الا ان الانسان لا سبيل الى ذلك الا لسبق افعال واعمال تعين

ذلك وكل واحد فيه خصوصية في اول الكون في خصوص عبس الطبايع والجسم في حجاب

لذات الدنيا مشتاق بالغشية يحجب حجابا مدلهما بالاجتناب عن شهوة

الغضب الاكل والجماع والنوم والهم والغم وما يجري مجراها من خطرات الوهم وهي

احسن النفس وغير ذلك وليس ايضا اشتغال القلب لله والشوق اليه مما يمكن حصوله الا

عقيب العبادات وبعد الطاعات لتطرق تحصيل المعارف الالهية كما زعمه عوام الصوفية

يتيسر ذلك الا بعد القيام بمراسم العبودية والطاعة لاوامر الشريعة ونواهيها المسئلة الرابعة

ان محال التكاليف وترك العبادات من العبد لا يصير سببا للعذاب وما هنا له نسق العقاب

مع ان الله تعالى مستغن عن طاعة العبد منزه عن ان ينتفع بها متعال عن الغرض الحاصل له من تعذيب

المجرم والا يلزم والجواب في تكليف الله عباده يجري مجرى تكليف الطبيب فاذا غلب على المريض

امره لا يشرب المريض وهو غني من شربه لا يضره مخالفته ولا ينتفع موافقته كما ان

بالمعترض ويساعده عليه لكن النفع والضر عايدان الى المريض والرجحان لا انفعاله والطبيب

مرشد فقط فان عنق المريض حتى وافق الطبيب في شربه تخلص من ألم المرض فاندفع لو اتفق وخالف
تمادى به المرض وهلك وبقاؤه وهلاكه عند الطبيب سواء لاستغنائه عن بقائه وفنائه فكما ان اتقه
نعم اخبار الشفاء سببا مفضيا اليه فكذلك السعادة الاخروية سببا وهو الطاعة ونهي النفس
عن الهوى بالمجاهدة المزكية لها من رذائل الاخلاق فرذائل الاخلاق مشقيات للنفس كما ان
في الآخرة كما ان رذائل الاخلاط ممرضات للبدن في الدنيا والمعاصي بالاضافة الى حيوة الآخرة كالسموم
بالاضافة الى حيوة الدنيا والتقوى طبيب كما ان للاجساد طبيبا والانبياء عليهم السلام اطباء
النفوس يرشدون الخلق الى طريق الفلاح بتمهيد التكاليف المزكية للقلوب كما قال تعالى
قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ثم نقول ان المريض لو خالف امر الطبيب فقد أوي به
المرض في الحقيقة لا بما دعوض المريض هنا لعدة الطبيب به فكذلك التقوى الذي اشار اليه
قوله لعلكم تتقون هو الاحتماء الذي يصفي من القلوب امراضها وامراض القلوب تفوت
حيوة الآخرة كما يفوت امراض الاجساد حيوة الدنيا فكذا ينبغي ان يفهم امر التكاليف
فان الطاعات ادوية نافعة والمعاصي سموم ناقعة وتاثيرهما يتعين في الابدان لا يحول
من اتى الله بقلب سليم كما لا يسعد هنا الا من اتى بمزاج معتدل وكما يصح قول الطبيب للمريض
قد عرفتك ما يضرك وما ينفعك فان وافقتني فلنفسك وان خالفت فعليها كذلك كان من
اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها واما العقاب على ترك الاوامر [illegible] العقاب من غضبنا
فليس ذلك من الله غضبا وانتقاما على نحو غضبنا وانتقامنا بل لامر ربط الاسباب على المسببات
نحلو نفس الانسان على وجه الاشياء بكمالها او بحجبها افعالا [illegible] ويشقيها
فالله تعالى عز عاجز من الاشباع من غير اكل والارواء من غير شرب والانشاء والتوليد من غير جماع
ووقاع ولكن في ربط الاسباب والمسببات حكمة خفية لا يعلمها الا الله والراسخون في
وهذا ما ذكره بعض العلماء فمن يخرج طالب العلم عن الشبهة التي [illegible] لمنكري [illegible] المسئلة
لما كانت الغاية في قوله الذي خلقكم الخ لا يقتضي العبادة الا من الخلق الغاية في قوله والذين
من قبلكم وخلق الله من قبلهم لا يقتضي وجوب العبادة عليهم قلنا فيه وجوه احدها ان المراد
تقييد هنا انهم بالصانع وما اخذ لاثبات مقتضى العبادة ووجوبها وثانيها ان من قبلهم كالاصول
والاسباب لوجودهم فيجري مجرى الاصول على الفروع فكانه يقول كنت منعما عليك قبل ان وجدت
بالوجود من تخلق امامك واصولك وثالثها ان الآية تشهد ان الموجد للناس اباء وهم وامهاتهم
ورابعها انه الذي شهدت عليه الملائكة والهياكل العلويات المسئلة السادسة ان كلمة
لعل في قوله لعلكم تتقون للترجي او الاشفاق ولا يحتملان لاستحالة الجهل بالعاقبة في حق الله تعالى

ولا يجوز رجاء الله في فواهم لانه عالم الغيب والشهادة واجيب ان الترجي راجع الى العباد لا
الى الله كقوله لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما الى فرعون على رجائكما وطمعكما في ايمانه
ثم الله عالم بما يؤول اليه امره اي اعبدوا ربكم راجين للتقوى اقول السلا ولما ان في
لعل ابهاما وقع في القران كان واقعا على انه من لسان الرسول صلى الله عليه وسلم يجب علينا التفصيل
في احسن الالباب فان مراتب اعلاها ما هو عين ذاته لا زائد بل انه مبدأ انكشاف جميع [illegible]
على ذاته في الازل على وصف الوجوب لذاته مقدسا عن التغير وادناها ما هو عين الممكنات
ويجري فيه التغير والامكان والاختيار والابتداء وغيرها في سمات الحدثان ولكن بالقياس
الى ما في هذه المرتبة من الموجودات لا بالقياس الى ذاته الاحدية وهذا انما يحتاج دركه
على التحقيق الى علوم كثيرة مع نور بصيرة ويمكن ادراكه على سبيل التقريب بان الله عز وجل خلق
عبادا ليستعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم
وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة
المرجو منهم ان يتقوا ليترجح خيرهم على شرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجح
حال المرتجي بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما
يبلو ويختبر من يخفى عليه العواقب ولكن لما كان بناء الامر على الامكان والاختيار والعلة
والمصلحة دون الالجاء والاضطرار اطلق لفظ الترجي من هذا الوجه وان كان بناء امرهم
بحب الاسباب بالتقوى وصورته ما في الكتاب والقضاء هو المحقق سيقيم [illegible] تعلق قوله لعلكم
بخلقكم او باعبدوا وحمل على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد اصلا وقيل لعل
يجيء بمعنى كي ووجدنا باطنا للاطماع وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن
اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع لا محالة وعده المحتوم وقام [illegible] والبعض من
ديدن الملوك ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم لانجازها ان يقولوا عسى ولعل
قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا [illegible] لا يبقى لطالب ما عندهم شك في الفوز والنجاح
بالمطلوب او جاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد ومثل توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم وهذه كلها مجازات والتحقيق ما نقلت
صبح نوره قال القفال لعل في قوله تعني التكرير والتأكيد واللام فيه للتأكيد كما في نحو لعلها
عليك ان تفعل كذا وهل يفيد التكرير وهذا لعل بعد انهك نحو قول القائل افعل كذا لعلك
تظفر بحاجتك معناه افعل فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك المسئلة السابعة
اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا لعلكم تعبدون او اتقوا

ربكم ويجوز ان تكون امعا دمفهومهما وذلك لان اصل لفظ التقوى في اللغة هو الوقوى
بالواو وهو مصدر كالوقاية فابدلت الواو تاء كما هو في التكلان والتجاه ونحوهما فيقال
تقوى فاذا المدحات وقاية بين العبد وبين المعاصي والنفس الشرور من قوع عزيمة وتوطين
قلبه على تركها فهو صفح بان يتقى ويقال لها العزم والتوطين والتقوى اطلق في القرآن
على ثلثة اشياء احدها بمعنى الهيبة والخشية قوله تعالى واياى فاتقون وقوله واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا
ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى التنزيه القلب عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى
دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
ذكر الطاعة والخشية ثم التقوى فعلمنا ان حقيقة التقوى سوى الطاعة والخشية وهو تنزيه
القلب عما ذكر وعند اهل الله تنزيه القلب عن الالتفات بغير الله وقال بعض الشيوخ منازل
التقوى ثلثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد
ذكر الله في آية واحدة وهو قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى تقوى القلب عن
الشرك والايمان الذي ذكر في مقابلته التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة الفرعية والاقرار
في هذه المنزلة فيقابلها الاحسان وهي الطاعات والاقامة عليها وقد يطلق التقوى بمعنى
اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال انما
سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس ظ ان اردت ان تجمع بين تلك المعاني
وبين ما جاء في الخبر بحد جامع ومعنى بالغ فلك ان تقول التقوى هو الاجتناب عن ما
تتضرر في الدين ثم الذي يخاف الضرر منه في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول
وفضول الحلال لان الاشتغال بها يجر الى الحرام المحض لانه يوجب ضراوة النفس وطغيانها
وتمردها وعصيانها فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه فيجتنب عن فضول الحلال لئلا يقع
في الحرام حتى يصير في ذلك وقاية له من كل شيء والضرر يتضمن الاله كالمحرمات وشبهها الا اعانها
كالشهوات المباحة فالتقوى الاول تقوى فرض يجب تركها خوف النار والثانية تقوى خير
وادب يلزم بتركها الحبس والحساب الطويل والتوبيخ والتعيير فصل واما العلوم الرفيعة
فبيان استدعاء الايات لها واشتمالها عليها ان الله لما امرنا بعبادة الرب بقيد ما يدل على وجود
الصانع فهو خلق نفوسنا وخلق من سبق وجوده على وجودنا وهذا مما يدل على لا طريق الى معرفة

الله الا النظر والاستدلال والتدبر في مبادي المطالب ودلائل البراهين والعلم بكيفية وجود
الخلايق والاطلاع على حقائق الافاق والانفس وطعن قوم من المعطلة والحشوية
في هذه الطريقة وقالوا الاشتغال بحفظ البراهين لتحقيق اليقين بدعة وقوم منهم
انكروا هذا العلم وزعموا ان الانسان مكلف بالعمل لا بالمعرفة ولا ينكرون ساير العلوم
بل جعلوا بعضها واجبة وبعضها مستحسنة ونحن بحمد الله تعالى قد خالفناهم وهدمنا اجما ...
وكسرنا اصنامهم الجاهلية في رسالة سميناها كسر اصنام الجاهلية فلنذكر في بيان صحة طريقتنا
وجوها نقلية وعقلية في عدة اشراقات الاشراق الاول في بيان فضل هذا العلم على
العلوم وهو من وجوه ان اجل العلوم رتبة واعلاها منزلة وارفعها درجة واعظمها
ثمرة العلم بذات الله الجليلة وصفاته العالية واسمائه الحسنى لان العلم تابع للمعلوم
والمعلوم اذا كان اشرف الموجودات فالعلم بذلك اشرف العلوم وليس في المعلومات
موجودا كان او معدوما اشرف واعلى من ذات الله العلية وصفاته واسمائه فيجب ان يكون العلم
بها اشرف العلوم وهذا مما لا شبهة فيه الثاني ان العلم اما ديني او غير ديني ولا شك ان
الديني اشرف والعلم الديني اما علم بالاصول او بالفروع والاول اشرف اذ ما عداه لا يخدمه
ويتوقف صحته على علم الاصول لان المفسر يبحث عن معاني كلام الله المجيد وذلك فرع
على وجود الصانع والخالق وعلمه وقدرته وكلامه واما المحدث فانه انما يبحث عن معنى
كلام الرسول صلى الله عليه وآله وكل ذلك فرع على العلم بوجود الرسول والعلم بكيفية نبوته
ورسالته وصدقه والفقيه انما يبحث عن احكام الله وذلك فرع على التوحيد والنبوة فثبت
ان هذه العلوم كلها مفتقرة الى العلم بالاصول فظاهر ان علم الاصول غني عنها وان
سائر العلوم مجمع العلوم مفتقرة الى العلم الكلي الالهي وهو غني عنها فهو علم حر مخدوم
الكل وساير العلوم عبيده وخدمه لان موضوعات العلوم يكون مسلمة فيها على سبيل
الوضع وانما يقام البرهان على وجودها ووجود مباديها في العلم كما قال المحققون مسائل
كل علم بمنزلة قيامات مستانفة يثبت معرفتها الا استئنافا في العلم الاعلى فهو اشرف
العلوم الوجه الثالث ان شرف كل علم او عمل وجلالة كل درك او فعل اما بشرف موضوعه
واما بجنس صورته واما بفضيلة فاعله واما بجلالة غايته وثمرته الحاصلة و
هذا العلم مشتمل على الكل وذلك لان علم الهيئة مثلا اشرف من الطب نظرا الى الموضوع لان
موضوع الهيئة هي الاجرام الكريمة البسيطة الرفيعة على الجواهر العنصريات وموضوع
الطب هي بدن الانسان المركب من الاخلاط العفنية والاضداد المستحيلة القابل للامراض

والآفات والاوجاع المفضية الى الموت والفناء فيكون موضوع الهيئة اشرف من موضوع
الطب والفقه اشرف منهما باعتبار الغاية وان كان ادون منهما بحسب الموضوع لان موضوعه
فعل المكلف ومن الهيئة بحسب الادلة والمبادي لان ادلتها مقدمات يقينية وادلة
الفقه ظنية ثم لا شك ان الاسباب الاربعة في المعارف الربوبية ففاعلها القوة النظرية
والبصيرة العقلية المنورة بنور الله المؤيدة بنور ... وهي اشرف اجزاء الجوهر النطقي المتناهي
عند صيرورتها مشرقة بالفعلية التقدس والتنور لجواهر الملائكة العقلية وهم سكان حظاير
القدس المجاورون للحضرة الالهية والجنة العقلية وغايتها الوصول الى الحضرة الالهية و
القرب من باري الكل ومعرفة ملكوت السموات والارض بالتشويق العقلي والمحبة الالهية واما
موضوعها فهو ذات الباري وذوات الملائكة والكتب والرسل ولا شبهة انها اشرف الموضوعات
العلمية والعملية واما الصورة فهي هيئة المعرفة الراسخة في النفس الانسانية والقلب
المعنوي الحاصلة من حصول صورة الكل التي بها يصير الانسان عالما عقليا مضاهيا للعالم
بجميع اجزائه الكلية واسبابه القصوى اخذا من المبدأ الاعلى الى الجواهر العقلية ثم النفسية
ثم الاجرام الكلية والانواع الحاصلة بفيض الابداع العائدة اليه سيما النوع الانساني
المشتملة على النفوس النبوية والولوية العائدة الى الله تعالى بعد مرورها على الطبقات والتراتيب
حفظا عقليا مقدسا عن وصمة التغير والزوال والاضمحلال ابد الآبدين ودهر الداهرين
مرتبطا وجودها بوجود الخير الاعظم والجمال الاتم والجلال الارفع مستهلكا وجودها في وجوده
مضمحلا نورها في نوره الساطع وضوئه اللامع تعالى كبرياؤه الوجه الرابع ان شرف الشيء قد
يظهر بواسطة خساسة ضده فكلما كان الشيء احسن ضدا كان اشرف وجودا وضد علم الاصول
وعلم الالهيات هو الكفر والبدعة والسفسطة وهي من اخس الاشياء فيصير العلم موجبا لان
يكون هذا العلم اشرف الاشياء بعد الوجود المبرأ عن شوب النقص والعدم وهو وجود الباري
جل اسمه الوجه الخامس ان هذا العلم اعني العلم بما لا يتطرق اليه النسخ والتغيير ولا يختلف
باختلاف الازمنة والدهور وهذا اتفق عليه جميع الانبياء عليهم السلام ولم ينقل من احد
منهم خلاف في هذه الاصول فجميعهم متفقون في اثبات ... واثبات المعاد وحقيقة
الملائكة والكتب والرسل والاولياء لله بخلاف ساير العلوم فوجب ان يكون اشرف العلوم
الوجه السادس ان الآيات المشتملة على هذا العلم وبراهينها اشرف من الآيات المشتملة على
الفقهية والعلوم السياسية وهذا مما لا يخفى على من له اطلاع على علم القرآن [illegible]
في فضائل قل هو الله احد وآمن الرسول وآية الكرسي وآية السخرة وسورة الحديد

وليس

وليس ما يشابهها لم يجئ مثلها في آية الحيض وآية المداينات وآيات القتال وفي ذلك ما يدل على
فضيلة العلم الالهي الوجه السابع ان عدد الآيات الواردة في الاحكام قليل لا يبلغ
الى ثمانمائة آية واما الواردة في بيان التوحيد والنبوة واثبات المعاد والرد على عبدة
الاوثان واصناف المشركين واما الواردة في القصص والمقصود منها معرفة حكمته وقدرته
كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الابصار فيدل على ان هذا العلم افضل الوجه الثامن
ان الله اول ما دعا المكلفين من خلقه انما دعاهم الى النظر والاعتبار الموصل الى توحيد
ذاته ومعرفة صفاته بالدلالات الواضحة والعلامات الباهرة الزاهرة الدالة على وحدانيته و
تنزيه ذاته وصفاته عن مشابهة خلقه وقطع عذرهم وازاح علتهم وامر بالنظر والاعتبار
في كتابه المنزل من السماء باكثر من اربعمائة آية تصريحا وتلويحا ومدح الناظرين والمباحثين
والمجادلين الذين عرفوه وبينوه للخلق وفضل اشباه المعاندين ودعوا الناس الى معرفته
بآياته فقال عز وجل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم على قراءة العطف اخبر
عن رفع مراتبهم وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم وقال وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل
من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد تنبيها على ان غير الذي اوتي العلم والحكمة
من عند الله ليس ممن يرى حقيقة الرشاد وطريقة الهداية وحكى ايضا عن خيار رسله و
امنائه من خلقه استعمالهم النظر والبحث والجدال لمن ضل وسلك الطريق الامثل فقد
حكى في قصة نوح عم عن الكفار قولهم يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان ذلك
الجدال لم يكن لاثبات تفاصيل الاحكام الشرعية بل كان للتوحيد والنبوة فالجدال لتقرير
الجدال لله في نصرة الحق فهذا العلم هو حرفة الانبياء عليهم السلام وقال في قصة ابرهيم
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى في اخباره عن نظره واعتباره فلما جن عليه الليل
رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين الى آخره فاستدل بالافول والتغير والانتقال
على خروج هذه الاجرام عن الربوبية بعلة اشتراكها في الافول والامكان والزوال و
في الاحوال وسمى استدلاله حجة واضافه الى نفسه فقال عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء اشعر بهذا العلم رفع درجة ابرهيم عم فقد ظهر القرآن
ان له معاني ان احدها في نفسه وهو قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآيات وهذا

طريقة استدلال الحكماء والمتكلمين بامكانها او بتغيرها وحدوثها على حاجتها الى من فطرها واقام وجودها فمدح الله عليه بقوله وتلك حجتنا الاية وثانيها حاله مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وثالثها حاله مع قومه تارة بالقول والتعليم واخرى بالزجر والتوبيخ بقوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ورابعها حاله مع ملك زمانه في قوله ربي الذي يحيي ويميت الاية وكل من سلك فطريقه علم ان علم الاصول ليس الا تقرير هذه الادلة ودفع الاسولة والمناقضات عنها فهذا كله بحث ابرهيم ع في المبدا واما بحثه في المعاد فبقوله رب ارني كيف تحيي الموتى الى آخره وبتدبير ما في تفصيله جميع علوم المعاد واما موسى ع فانظر الى مناظرته مع فرعون في التوحيد والنبوة واما التوحيد فاعلم ان موسى ع انما كان يعول اكثر الامر على دلايل ابرهيم ع وذلك لانه تعالى حكى في سورة طه انه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذا هو الذي ذكره ابرهيم ع ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك وطالبه بشيء آخر قال موسى رب المشرق والمغرب فهذا هو الذي قال ابرهيم ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فهذا ينبه على ان التمسك بهذه الدلايل حرفة هؤلاء المعصومين وانهم كما استفادوها عن عقولهم فعلموها قومها من اسلافهم الطاهرين واما استدلال موسى ع على النبوة بالمعجزة ففي قوله اولو جئتك بشيء مبين وهذا هو الاستدلال بالمعجزة ففي قوله اولو جئتك بشيء مبين وهذا هو الاستدلال بالمعجزة على الصدق فقد ظهر بذلك ان طريقتهم التمسك بالحجة والبرهان ولذلك امر الله بذلك رسوله المصطفى ص وقال اتبع ملة ابرهيم حنيفا وقال فاتبعوا ملة ابيكم ابرهيم فيقتضي امره تعالى ان يحتج ويستدل كما استدل وقال عز وجل لرسوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن اما اشتغال نبينا بالدلايل على التوحيد والنبوة والمعاد فاظهر من ان يحتاج فيه الى التطويل فان القرآن مملوء منه وقد كان رسول الله ص مبتلى بجميع فرق الكفار الاول الدهرية الذين كانوا يقولون ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر والله تعالى ابطل قولهم بانواع الدلايل والثاني الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى ابطل قولهم بحدوث انواع النبات واصناف الحيوانات مع اشتراك الكل في الطبايع بتاثيرات الافلاك وذلك يدل على وجود القادر والثالث الذين اثبتوا شريكا مع الله وذلك الشريك اما ان يكون علويا او سفليا اما الشريك العلوي فمثل من جعل

الكواكب

الكواكب مؤثرات في هذا العالم كالصابية والله تعالى ابطله بدليل الخليل ع في قوله فلما جن عليه الليل واما الشريك السفلي فالنصارى قالوا بالهية الاوثان والله تعالى ذكر من الدلايل على فساد قولهم الرابع الذين طعنوا في النبوة وهم فريقان احدهما الذين طعنوا في اصل النبوة لهم الذين حكى الله عنهم قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني الذين سلموا اصل النبوة وطعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وهم اليهود والنصارى والقرآن مملوء من الرد عليهم ثم انهم طعنوا من تارة بالطعن في القرآن فاجاب بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وتارة بالتماس سائر المعجزات بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وتارة بان هذا القرآن نزل نجما نجما وذلك يطرق التهمة اليه فاجاب الله عنه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك الخامس الذين نازعوا في الحشر والنشر والله تعالى اورد على صحة ذلك وعلى ابطال قول المنكرين انواعا كثيرة من الدلايل السادس الذين طعنوا في التكليف تارة بانه لا فائدة فيه فاجاب الله عنه بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وتارة بان الحق هو الجبر وانه ينافي صحة التكليف واجاب الله تعالى عنه بانه لا يسئل عما يفعل فثبت ان هذه الحرفة هي حرفة كل الانبياء والرسل وعلماء الطاعنين فيها اما كافر او جاهل وكذلك امر الله امة نبينا بايضاح الحجة ونهاهم عن التقليد وذمهم عليه فقال لكافة المؤمنين ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فامر سبحانه وامته بايضاح طريق الحق بالجدال وكشف بطلان اهل الضلال والفصل بين الحق والباطل بالعلم ونهى عن التقليد وذم اهله وامرهم بالسير الى النظر والمعرفة في قوله اولم ينظروا اولم يتفكروا وامرهم بالمسافرة لطلب العلم واليقين وحذرهم بالزجر عن اتباع اسلافهم والقول في دينه بغير دليل فقال جل جلاله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا اولو كان يدعوهم الى عذاب السعير وقال ايضا في اخباره عن امثال هؤلاء وردهم ما اتى به المبعوث بقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون فعيرهم الله وبخهم به وجعله من اعظم ذنوبهم فثبت بذلك ان المعرفة الالهية اجل انواع العلوم واعلاها كلها درجة واعظمها لان معرفة الله اصل الدين الذي يجب طريقه ويؤمن سالكه ويكفر تاركه ولا يعذر من اخطا في اجتهاده عنده ولهذا قال ص افترقت بنو اسرائيل على اثنين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في النار الا واحدة فاصل في فروع الدين الاختلاف فيها رحمة

وقال اجتهدوا فكل ميسر لما خلق له وقال من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطا فله اجر واحد
نفرق صلوات الله عليه وسلامه بين اصل الدين من الخطر العظيم والثواب الجسيم ومن الطلب العظيم ولا يكون
في هذا الا هالك لا مجتهد ولا المخطي في اجتهاده ماجورا يكون مما نزعوا باتفاق العلما خلافا
انما يرجع الى ان واحد في ان يكون الذات الواحدة على صفات يتوهمها الصفاتية وعلى ما يقوله
المعتزلة وعلى التي يتوهمها المشبهة وعلى ما يقوله المعطلة ومحال ايضا ان يرد الشرع بالاضعاف
لكل فريق على الوجه الذي ذهب اليه كل فريق ولهذا كان الفرقة الناجية منها واحدة وهي التي قد
اصابت الحق ولا كذلك الفروع لان التكليف في ذلك يرجع الى اعمال العباد فيجوز ان يختلف التكاليف
في حق كل واحد منهم ويرد الشرع ابتداء بذلك كصوم واحد من رمضان يجب على واحد ان يصوم ويحتم
عليه صومه كالصحيح المقيم ويجب على الاخر ان يفطر ويحتم عليه افطاره كالحايض ويخير الاخر بين الصوم
والافطار كالمسافر عند قوم والمريض بعضهم واليوم يوم واحد ويختلف حكمه باختلاف احوال المكلفين
من غير تناقض وتضاد وكذلك حكم المجتهدين من العلماء اذا ادى اجتهاد كل واحد منهم في حكم الحادثة
التي لا نص فيها الى خلاف ما ادى اليه اجتهاد الاخر فيكون كل واحد منهم متعبدا بتكليفا بما ادى اليه
اجتهاده لا باتفاق الامة فهذا الحي كانت شرايع المرسلين صلوات الله عليهم مختلفة وادبانهم في التوحيد
والمعاد متفقة واذا ثبت ذلك فثبت ان هذا العلم اشرف من سائر العلوم الدين فضله
على سائر العلوم وان اقتناوه فرض على كل من ... العاقل ان يختار لنفسه ويطلب ما فيه
العقبى والفوز بالدرجة القصوى فان امور الدنيا زايلة وعن قريب الله يفنيها نسال الله
العصمة والتوفيق الاشراق الثالث في ان هذا العلم هو الفرض على الاعيان لا على الكفاية وسائر
العلوم انما فرض على الكفاية اوليس بفرض اصلا وان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على
كل مسلم وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين هو هذا العلم دون غيره وقد وقع الاختلاف بين الناس
في العلم الذي هو فرض عين وتحزبوا اكثر من عشرين فرقة ويطول الكلام بتفصيلها وحاصله
ان كل فريق نزل الوجوب العيني المستفاد من الحديث على ما هو بصدده فقال المتكلم هو علم
الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقيه هو علم الفقه اذ به يعرف
العبادات وما يحرم ويحل في المعاملات وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة
اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة هو هذا العلم وقال بعضهم هو علم العبد بنفسه
وبحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وافات النفوس وتمييز لمة الملك
من لمة الشيطان وقال ابو طالب المكي هو ما تضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قول
الرسول بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وقال بعض العلماء الذي

ينبغي

ينبغي ان يقطع المحصل ولا يستريب فيه انما قلناه وان العلم ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة
وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة اذ اعم وجوب الاعلم اما المعاملة فهي التي كلف العبد العاقل البالغ
اداها وهي على ثلثة اقسام اعتقاد وقول وفعل فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام والسن اول
نهار ضحوة مثلا فاول ما وجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وليس يجب عليه كشف ذلك
لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج
ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى
رسول الله من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى ما وجب
وقته وفرض عينه في المعرفة ثم يجب عليه العلم بكيفية ما يجب عليه ويحرم في كل وقت كالصلوة
وهو حاضر الوقت والصيام وهي مما يمكن التراخي الى سنة والزكوة والحج والجهاد وكل منها يمكن ان
لا يجب على العبد في مدة عمره فلا يجب عليه العلم بكيفيتها وجوبا عينيا واما الاعتقادات واعمال
القلوب فيجب علمها عليه بحسب الخواطر والسوانح فيما ذكره الصوفية من تعلم خواطر العلاقة ولمة
الملك فهو ايضا ولكن في حق من يتصدى له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن امراض
القلب ودواعي الشر من الحسد والريا وهي هواجس الشيطان ووساوس الهوى فيلزمه ان
يتعلم ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف وقال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر فازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها واسبابها وعلاماتها
ومعرفة معالجتها وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فالعلم بجميع ما ذكرناه من فروض الاعيان
وقد تركه كافة الناس اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ايضا ان يبادر اليه الايمان بالجنة
والنار والبعث والحشر حتى يؤمن ويصدق به وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق
بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله فله الجنة ومن عصاه
فله النار واذا تنبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هو هذا فاذن تبين ان
المراد بالعلم المعرف باللام في الحديث المذكور انتهى كلامه ثم ذكر بيان العلم الذي هو فرض
كفاية فقسم اولا العلوم الى الشرعية وغير الشرعية وجعل كلا منهما منقسما الى ما هو فرض كفاية
والى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفرض وجعل الفقه من الاولى والطب والحساب
من فروض الكفايات وجعل كلا منهما مندرجا تحت علوم الدنيا وجعل الفقهاء كالاطباء من
علماء الدنيا واستدل على ذلك ببيانات صحيحة واضحة تحتمل فان قلت فلم الحقت
الفقه بعلم الدنيا وعلماءه بعلماء الدنيا فاعلم ان الله اخرج ادم من التراب واخرج ذريته
من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر

ثم إلى العرض ثم إلى الجنة والنار فهذه أحوالهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول
الناس منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها
بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى السلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه
هو العالم بقانون السياسة ولعمري هو متعلق بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة
الآخرة [illegible] فإن قلت هذا إن استقام لك في [illegible] ربع العبادات فما تقول [illegible] أن أقرب
ما يتكلم الفقيه فيه من أعمال الآخرة ثلاثة الإسلام والصلاة والحرام والحلال فإذا تأملت منتهى نظر
الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة فإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها
أظهر أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه ويفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى
اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة
عنها حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بالإسلام معتذرا بأنه كان قال ذلك
من خوف بل يحكم الفقيه بصحة إسلام مثله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم جعل صلى الله عليه وسلم أثر ذلك في الدم والمال
وأما الآخرة فلا ينفع فيها إلا أنوار القلوب وأسرارها وليس ذلك من فن الفقيه
وإن خاض فيه كان كما لو خاض في علم خارج عن فنه كالطب والكلام وأما الصلاة فالفقيه
يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلا من أولها إلى آخرها مشغولا
بالتفكر في حساب ماله في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة وأما الزكاة
فالفقيه ينظر إلى ما يقطع مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه
برئت ذمته وحكي أن أبا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا
للزكاة فهذا الشخص فقيه في الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من جنايته ومثل هذا العلم هو العلم الضار
وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن للورع أربع مراتب أدناها هو الاحتراز عن الحرام الذي
يشترط في عدالة الشهود الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
إلى ما لا يريبك وقال الإثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي
يخاف أداؤه إلى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس
وذلك مثل التورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والنظر المؤدي إلى المحظور
الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد
زيادة قرب عند الله فهذه الدرجات كلها خارجة من نظر الفقيه إلا الأولى وهو ورع
الشهود والقضاة فإذن جميع نظر الفقيه يتعلق بالدنيا ومن تعلمه لا ليهمل بل ليتقرب بتعلمها

الله

إلى التفصيل [illegible] فإن فات تحصيل علم الآخرة تفصيلا ويسر الله ترجمته وإن لم يكن استقصاء
تفاصيله فاعلم أنه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة أما الأول فهو علم الباطن وذلك
غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء
الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به والتسليم لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق
منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب
عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كان يسمع من قبل
أسماءها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة بذات الله وأسمائه
وبكلماته التامات وبأفعاله ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة
الشياطين للإنسان وكيفية ظهور الملك للأنبياء وكيفية وصول الوحي إليهم ومعرفة ملكوت
السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق
بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان
والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وإن الدار الآخرة لهي
الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول
في جواره ومعنى مرافقة الملأ الأعلى ومقارنة النبيين ومعنى تفاوت الدرجات في الجنان
حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب الدري في جو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله ثم
قال وأما علم المعاملة وهو من علم أحوال القلب ومعرفة ما يحمد وما يذم من صفاته وكيفية
إزالة الذمايم والأمراض حتى يزول عن مرآة القلب صداها وخبثها فإذا زال الخبث
وتقع عنها الأغطية والأغشية وتتضح له جلية الحق في الأمور التي يتعلق بعلم المكاشفة
اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في حق الإنسان فالعلم بهذه المعاملة
وهو فرض عين في فتوى علماء [illegible] والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن
المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء
في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه
عن هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف
فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار و
السبق بالرمي والدرهم أنه لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور
ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها فلا يزال يتعب ليله ونهاره
في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين

وفرض الكفاية في البعض على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم انه لو كان غرضه لاشتغل بفضل الاشتغال
بسائر فروض الكفايات التي كانت اهم من ذلك ولم يلتفت عنه كثير من فروض الاعيان فهل لهذا
سبب الا هذا السبب الا ان غرضه هو وصلة لا ليس يتيسر الوصول اليه الا بتفوق الاقران والاستيلاء
وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء
هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فنعوذ بالله من هذا الغرور الذي يسخط
الرحمن ويضحك الشيطان ثم قال كان يتبع من علماء الظاهر متورعون بفضل علماء الباطن وارباب
القلوب وكان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل
في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلنا وكان احمد بن
حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه
كيف نفعل انتهى تلخيص ما ذكره في هذا المقام ثم نبين الملتمس بعد ما فرغنا من تحقيق المرام وازالة
الشكوك والاوهام عن ضمير الطلبة ممن سلمت فطرتهم من اللجاج والتسلسل والتعصب الذي قوام
دون المطر ودون من باحيا الظالم ومن حق العقول عليهم من الله ذي الجلال والاكرام

الاشراق الثالث في دفع شبه الخصوم واعتراضاتهم على وجوب النظر وهم في ذلك مقامات
الاول ان النظر لا يفيد العلم واستدلوا عليه بوجوه احدها انا وجدنا العقلاء يتفكرون واذا جهدوا
حصل لهم عقيب افكارهم علوم جزموا بها ثم ظهر خطؤهم وتغيرهم انها كانت اغلاطا بالجملة فعلى هذا
لا يمكن الجزم بصحة ما يستفاد من النظر وحكاية الامام الرازي عن بعض الصوفية مشهورة والنظم
الذي حصله يشير فيها او نحوه والسعلي ذلك هو قوله نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعي العالمين
ضلال ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا وثانيها ان المطلوب ان كان
مشعورا به استحال طلبه لتحصيل الحاصل وان كان غير مشعور به فطلب المجهول المطلق محال والجواب انه معلوم لاستلزامه
بوجه ومجهول بوجه وهو شأن الطالب مجهول من وجه وهو الذي يؤدي الى الطلب وثالثها ان العلم بكون النظر
مفيدا للعلم ان كان ضروريا وجب اشتراك العقلاء فيه بلا خلاف وليس كذلك وان كان
نظريا يلزم اثبات جنس الشيء بنوعه وهو يتوقف عليه ومن انكر المشتبه لكون وجوده وذلك ممتنع لاستلزامه
اثبات الشيء بنفسه ويلزم اجتماع النفي والاثبات في شيء واحد اعني الامر من حيث انه وسيلة اليه
معلوم ومن حيث انه مطلوب حاصل منه غير معلوم وانه تناقض محض والجواب عنه بعد اختيار
الشق الثاني انا لا نسلم لزوم ما ذكر لان الدعوى ان النظر يفيد المطلوب وهي حكم تصديقي ليس
امرا تصوريا حتى يكون جنسا او نوعا ولو سلم فلا نسلم انه متيسر ما فرض محصورا قال فيجوز
ان يكون خارجا لازما من لوازمه واثبات اللوازم باثبات بعض الملزومات غير مستنكر

وثانيها

وثانيها ان الآلة التي يستعملها النفس في الفكر والانتقال من المقدمات الى النتائج
ان كانت عقلية كلية فيعقل ويتجرد من صورة الى صورة والحركة مخصوصة بما هو كائن في الجسم
كما اعترف به الفلاسفة وان كانت جزئية فكيف يدرك المعاني والحدود الوسطى والقضايا
الكلية بتكررات القياس والجواب ان القوة الفكرية في الانسان امر دق وتجشيع يدرك الكليات
بوجه اقوى بسلطان العقل ويدرك في الصورة المحفوظة في الخيال بعد الذي يكون المادة قال ابو علي
بن سينا في بعض رسائله ان القوة العقلية اذا اشتاقت الى شيء وهو الصورة المعقولة تضرعت
بالطبع الى المبدأ الواهب فان ساحت عليها على سبيل الحدس كفت المؤنة والا فزعت
الى حركات من قوى اخرى من شأنها ان يعدها لقبول الفيض لمناسبة ما مخصوصة في النفس منها
وبينا كالة بينها وبين شيء من الصور التي في عالم الفيض فيحصل لها الاضطراب فيه ان كان لا
يحصل بالحدس شيء كالامر ورابعها وهو قول من سلم ان النظر في الجملة يفيد العلم لكن النظر
في الالهيات لا يفيد واحتج بوجهين الاول ان حقيقة الاله غير متصورة فاستحال التصديق
بثبوته او ثبوت صفة من صفاته لان التصديق متوقف على تصور موضوعه والثاني
ان اظهر الاشياء عندنا حقيقتنا التي نشير اليها بانا ثم الناس تحيروا في ماهية هذا المشار
اليه بقولنا انا فمنهم من يقول هو هذه البنية ومنهم من يقول هو المزاج ومنهم من يقول
بعض الاجزاء الداخلة في البنية ومنهم لا حال في البدن ولا خارج فاذا كان الحال في اظهر الاشياء
كذلك فما ظنك بابعد الاشياء مناسبة عنا وعن احوالنا كالباري وصفاته والجواب عن
الاول انا لا نسلم وان لم يكن متصورة بحسب الحقيقة المخصوصة التي له لكنها متصورة بحسب
لوازمها الخاصة ككونه واجب الوجود ومبدأ سلسلة الممكنات فيظهر لنا من النظر في
الممكنات بالبرهان استنادها الى مبدأ وحدانية الذات يلزمه الوجوب والتنزيه
والدوام فنحكم على هذا المفهوم بانه كذا وكذا الى سائر الصفات والافعال وهذا القدر
يكفي للتأمل في صفاته والائه ثم يجر الى زيادة الكشف حتى يصير هذه المعرفة بالغة المشاهدة
في الآخرة وعن الثاني ان ذات النفس وان كان اظهر الاشياء عندنا وجودا لكنا ونحن في دار
البدن وظلمة الطبيعة وغشاوة شواغل الدنيا اخفى الاشياء علينا حقيقة لان هذه حجب
وقعت بيننا وبين انفسنا وحجاب الشيء عن نفسه اصعب من حجابه عن غيره لان الانسان
اذا نسي غيره يمكنه الاسترجاع واذا نسي ذاته لا يمكنه الاسترجاع لها وربما يجاب عن
هذه الوجوه ونظائرها بان الوجوه التي ذكروها ليست ضرورية بل نظرية فهم ابطلوا كل
النظر ببعض انواعه وهو متناقض المقام الثاني ان تحصيل العلم بالنظر غير مقدور [illegible] وجوه

الاول تحصيل التصورات غير مقدور فالتصديقات البديهية غير مقدورة فجميع التصديقات غير
مقدورة اما الاول فلان طالبها ان كان عارفا بها استحال طلبها لكونه تحصيلا للحاصل
وان كان غير عارف بها فكذلك لكون الطلب [illegible] اختيارا لا [illegible] المطلوب
يكون معلوما من وجه مجهولا من وجه غير مفيد لان الوجه الذي يصدق عليه انه معلوم
غير الذي يصدق عليه انه مجهول لاستحالة صدق النفي والاثبات على شيء واحد فيعود المحذوران
عليهما واما الثاني فلان حضور طرفي التصديق ان كان يكفي في التصديق البديهي ويلزم جزم
الذهن باسناد احدهما الى الاخر بالنفي او الاثبات او لا يلزم فان لم يلزم لم يكن القضية بديهية
وان لزم كان التصديق واجب الحصول عندهما وممتنع الحصول عند عدمهما وما يكون في احد
الطرفين نفيا واثباتا مع امر غير مقدور نفيا واثباتا وجب ان لا يكون مقدورا فثبت
ان التصديقات البديهية غير مقدورة واما الثالث فالبيان جار فيه بتمام ما مر كي يجب
ان لا يكون شي من العلوم مكسوبا للعبد فضلا [illegible] ذكرها العلامة [illegible] في هذا المقام
وذكر في كتبه والجواب [illegible] ما ذكره في باب التصور فالتحقيق في باب كون الشي معلوما
من وجه هو ان وجه الشي قد يوجد ويعتبر على وجه يصير عنوانا لموضوع القضية المتعارفة
وقد يوجد ويعتبر على [illegible] المتواصل على ان يصير عنوانا للقضية الطبيعية ففي الاول
عنوانا للافراد ومرآة لملاحظة الجميع او البعض وهذا يرى الحكم انما كان في قولك كل
كاتب متحرك الاصابع او بعض الكاتب كذا وفي الثاني يصير الوجه متصورا ومرئيا فقط
ولا يصير مرآتها فقد تحقق الفرق بين تصور الشي بوجهه وبين تصور وجهه في
كلا الاعتبارين فان كان المقصود بالذات والحقيقة هو الوجه دون ذي الوجه الا ان
في الاول يكون قصد الوجه صحيحا معه متصورا بتصوره لا بالعرض وعلى سبيل التبعية وذلك
العقل يكفي لتوجه النفس الى تحصيله من غير لزوم احد المحالين لا تحصيل الحاصل ولا توجه
النفس نحو المجهول المطلق فافهم ان شاء الله تعالى ومما ذكرنا ثانيا ان الادراك التصديقي نحو اخر من
الادراك مباين بالنوع للتصوري كما هو التحقيق فلا يلزم من مجرد حصول الطرفين في الذهن
الاذعان بثبوت احدهما او نفيه وان كان التصديق بديهيا فالبداهة في التصديق لا
ينافي التاخر عن حضور الطرفين وربما احتاج الى قصد من النفس او التفات الى اخطاره بالبال
ثم لا يخفى على احد الجمع بين التصورين وضم احدهما بالاخر وجعل كل منهما في النفس وتوجههما
جميعا فهذا الجمع امر غير واجب الممكن مقدور مفيد لما ذكرنا فما ذكره في علم الكلام
النظريات التصديقية من البديهيات ولان الاصل اذا بطل كان ما يبتني عليه باطلا ايضا الثاني

ان الموجب للنظر اما ضرورة العقل او نظره او السمع والكل باطل اما الاول فلانه
لو كان بديهيا لما اختلف العقلاء فيه وليس كذلك واما الثاني فلان العلم بوجوبه
اذا كان نظريا لا يمكن حصوله الا بعد النظر فالتكليف قبله يكون تكليفا بالمحال وبعده يكون
عبثا لا فائدة فيه واما الثالث فلان قبل النظر لا يكون متمكنا من معرفة وجوب النظر وبعده
لا يمكن ايجابه لعدم الفائدة واذا بطلت الاقسام ثبت نفي الوجوب والجواب بعد
تسليم بطلان الاول لامتناع خفاء الضروري على بعض العقلاء وبان ما ذكره في بطلان
الثاني والثالث منقوض بان التصديق قبل حصوله لا يمكن تصوره وليس كذلك اذ الجواز
حصول صورة التصديق النظري او البديهي في العقل قبل نفسه كما اذا قلت لاحد صدق
بان زيدا قائم واذعن بذلك فتصور اولا ما امر به من التصديق ثم صدق
لا يقال قد تقرر ان العلم والمعلوم متحدان ذاتا مختلفان بالاعتبار فحصول كل شي
في الذهن غني عن ماهيته وقد تقرر ايضا كون التصور والتصديق نوعان مختلفان
من العلم فعلى ما ذكرتم يلزم ان يكون صورة التصديق تصديقا قبل حصول نفس التصديق
فيلزم ان يكون تلك الصورة تصورا وليس تصديقا معا فيلزم التناقض وهو محال لانا
نقول ان المعلوم اذا كان ماهية شي فله صورة مطابقة لها متحدة معها وان كانت
وجودية سواء كان وجودا عينيا او وجودا ظليا فلا صورة مطابقة لها لان كل صورة
ذهنية يقبل الاشتراك بين كثيرين وهيئة الجزئيات الوجودية فلا صورة لها
في بل هي نفس الصورة الظاهرة وجودا واعتبارات بها ادراكا ضعيفا وادراكها التام لا يمكن الا
بشهود نفسها وتحليل هويتها فكذلك حكم تعلق التصور بنفس التصديق اذ هو حالة وجدانية
وكيفية نفسانية لا يمكن استيفاء تصورها الا بوجه واعتبار غير حقيقتها فتبصر ان شاء
الله المستعان ونظايرها اجوبة جدلية وهو ان التمسك بشي مما ذكر ان النظر غير مقدور فما
لا ان القائلين بها مختارون في استعمال تلك الشبه بالنظر فبطل قولهم انها ليست اختيارية
وبان النظر ليس اختياريا المقام الثالث ان النظر وان فرض كونه مفيدا للعلم ومقدورا
للعبد لكنه يمتنع من الله التكليف به وبيانه من وجوه الاول ان النظر يفضي بصاحبه في اكثر
الامر الى الجهل وما يفضي الى القبيح والاقدام عليه قبيح والله تعالى لا يامر بالقبيح والثاني ان الواحد
منا مع نقصه وضعف الخاطر وما يعتريه من الشبهات لا يجوز ان يعتمد على عقله في التمييز
بين الحق والباطل وانا رأينا ارباب المذاهب والافهام لهم كلمات متناقضة متعارضة
وذلك يدل على عجز العقل عن ادراك هذه الحقائق الثالث ان مدار الدين لو كان على النظر والاستدلال

لو جب ان لا يستقر الانسان ساعة على الدين الا اذا خطر بباله سؤال معقد متين مقدمات
دليل الدين فيصير بسببه شاكا في دينه فيلزم ان يخرج الانسان في كل ساعة عن رتبة
ما يختلج بباله من الاسولة والمباحثات الرابع انه اشتهر في الاستفاضة من طلب المال بالكيميا
افلس ومن طلب الدين بالكلام تزندق وذلك يدل على انه لا يجوز فتح الباب فيه هذه
الوجوه مما ذكرها الامام الرازي ولم يجب عنها الا بمثل ذلك الجواب الجدلي ثم انما البلية التي
تمسكوا بها في التعويل على النظر قبيح متناقضة يلزمهم ان يكون تلبد اذهانهم عن الشبهة التي
ذكروها قبيحا وانت تعلم ان ما ذكره لا يدفع هذه الشبهة اذ مبناها على ان الله لا يكلف
العبد بالقبيح لا ان العبد لا يفعل القبيح مطلقا بل الصواب غير ما ذكره وهو ان يجاب اما عن الاول
فبانا لا نسلم ما ذكره بل صاحب النظر اذا تحرى طريق الصواب وتحرز عن الخطاء بصدق النية
وصفاء الطوية مع فطانة فيبصر في اكثر الامر قابلا لاحكام الفضيلة والعلم متخلصا عن
رذيلة التحمق والجهالة واما على الثاني فبان ارباب المذاهب الحقة خصوصا ان كان المراد
منهم رؤساءها افضل مما نقل عنهم الاتباع والمقلدون وهم لا يفهمون الا اجمالا على انه
فلعل المنقول عنه قد كان له وجه صحيح لكن وقع التحريف عنه وان كان المراد اتباعهم
ومقلدوهم فالتنازع في اقوالهم لم يحصل من مجرد النظر بل الهوى ادى لحظوظ شرعها
واما عن الثالث فبان الانسان اذا كرر النظر وردد الفكر ظهر امور لم تزل من اصول القدح
وعايبه يحصل في القلب نور ينشرح به قلبه ثم بعد ذلك لا ينطفي ذلك النور بسبب القدح
في شيء من المعتقدات لانها بمنزلة معلولات المطر لا انها علل موجبة يجب وجودها معه
واما عن الرابع فبان تعلم الكلام حسن بعلمه لاجل التمرن والاعتياد لتدقيق النظر وتشحيذ الذهن
واستعماله للاحتجاج على خصماء الدين ولعلوم الشريعة وهو من الفروض الكفايات
واما النظر المودي الى الكشف واليقين فليس ذلك مما يتعلق بعلم الكلام بل هو صنعة
اخرى وليس من صنايع المتكلمين في شيء وانما هو شان علماء الاخرة المتدبرين في آيات
الله الناظرين في ملكوت السموات والارض المقام الرابع انه ان لم يقع من الله
ورسوله التكليف به لكنه مما امر به والدليل عليه ان العلم بالادلة والبراهين الموجبة
الى هذه المقاصد ان كان ضروريا اغنى عن التعلم لوجب ان يحصل لجميع الناس ويجوز
ذلك مكابرة وان لم يكن كذلك بل احتاج الى تدبر واستفادة من الكتب واستعانة
من الاستاذين وذلك لا يحصل الا في السنين المتطاولة بعد المباحثة الشديدة والمباحثة
الكثيرة فلو كان الدين مبنيا عليه لوجب ان لا يحكم الرسول صلعم بصحة اسلام الرجل الا بعد سؤاله

عن هذه

عن هذه المسائل وعن وجه معرفة هذه الدلايل ولو فعل ذلك لاشتهر لتوفر الدواعي على نقل
مثله كما لم يشتهر بل المشهور عنه بالتواتر انه كان يحكم بالاسلام من يعلم من حاله انه لا يخطر بباله
شيء من ذلك فعلمنا ان ذلك غير معتبر في صحة الدين والجواب ان الاسلام وهو الاقرار باللسان بالشهادتين
غير الايمان وهو العلم باصول الحق وهذا يوجب النجاة عن عذاب الله دون الاول والنبي صلى الله عليه وسلم
ما حكم بايمان من لم يعرف ذلك بالحقيقة بل حكم بالظاهر الموجب لحقن دمه وماله وباسلام
من خالف لسانه قلبه ايضا كالمنافقين اوما سمعت انه لما قال حارثة الانصاري اصبحت مؤمنا حقا
قوله كيف اصبحت قال ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ولما عرض عليه حقيقة ايمانه
بما دل على عرفانه قال اصبت فالزم فلم يحكم على ايمانه بالحقيقة ما لم تفتش عن عرفانه اولا ترى
ان القرآن مشحون بالامر بالنظر والتدبر والاعتبار والتفكر المقام الخامس ان الاشتغال
بعلم الكلام بدعة والدليل عليه القران والخبر والاجماع وقول السلف والحكم اما القرآن فقوله تعالى
ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ذم الجدال وقوله واذا رايت الذين يخوضون في
آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في فامر بالاعراض عنهم عند خوضهم في آيات الله واما الخبر
فقوله صلعم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق وقوله عليكم بدين العجائز وقوله اذا ذكر القدر
فامسكوا واما الاجماع فهو ان هذا لم يتكلم فيه الصحابة فيكون بدعة فيكون حراما واما الاثر
فقال مالك بن انس اياكم والبدع قالوا يا ابا عبد الله وما البدع قال اهل البدع الذين يتكلمون في
اسماء الله وصفاته وكلامه ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون وسئل سفيان
عن الكلام فقال اتبع السنة ودع البدعة وقال الشافعي لان يبتلى العبد بكل ذنب سوى الشرك
خير له من ان يلقاه بشيء من الكلام وقال لو اوصى رجل بكتبه العلمية وكان فيها كتب الكلام لا
يدخل ذلك في الوصية واما الحكم فانه لو اوصى للعلماء لا يدخل المتكلم فيه والجواب اما قوله
ما ضربوه لك الا جدلا فهو محمول على الجدال بالباطل توفيقا بينه وبين قوله وجادلهم بالتي
هي احسن واما قوله واذا رايت الذين يخوضون فالخوض المراد فيه ليس هو النظر بل اللجاج
والاستهزاء ونحوها واما قوله تفكروا في الخلق فذلك انما امر لاستفادة منه معرفة الخالق وهو ليس
الا علينا واما قوله عليكم بدين العجائز فليس المراد الا تفويض الامور كلها الى الله والاعتماد
في الاعتماد في الامور عليه واما قوله اذا ذكر القدر فامسكوا فاسناده ضعيف لان النهي الجزئي
لا يفيد النهي الكلي ولان النهي عن الامساك غير النهي عن النظر والتدبر واما الاجماع فان عنيتم
ان الصحابة لم يستعملوا الفاظ المتكلمين واصطلاحاتهم فمسلم ولا يلزم منه القدح في الكلام
كما انهم لم يستعملوا الفاظ الفقهاء ولا يلزم منه القدح في الفقه وان عنيتم انهم ما عرفوا الله

بالدليل فليس ما قلتم وأما تشنيع السلف على الكلام فهو محمول على أهل البدع وأما مسألة الرؤية
فهو مما رضينا بالوقوف لو كان ما تعارفنا بذات الله وصفاته وبأفعاله وأنبيائه ورسله لا مطالبة
الإشراق الرابع في تأكيد القول بوجوب المعرفة اعلم أن الله لما أمر عباده وعلم أنهم فهموا
على العلم بوجوده وعلمه وقدرته وأن ذلك ليس بضروري بل هو نظري استدلالي وقد تبين في العلوم
العقلية أن الطريق إلى إثبات وجوده لا يعدو إما الإمكان وإما الحدوث وإما مجموعهما وكل ذلك
إما من وجود الجواهر أو الأعراض فالطرق إلى الله من ستة جهات لا مزيد عليها والقرآن
مشتمل عليها الأول إمكان الذوات وإليه الإشارة بقوله والله الغني وأنتم الفقراء وبقوله حكاية
عن خليله ع فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وبقوله أن إلى ربك المنتهى وقوله ففروا إلى الله ألا
بذكر الله تطمئن القلوب الثاني الاستدلال بإمكان الصفات كقوله خلق السموات والأرض
وقوله هو الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء كما سيأتي تفسيره والثالث حدوث الأجسام
وإليه أشار بقوله لا أحب الآفلين الرابع حدوث الأعراض وهذه الطريقة أقرب إلى أفهام الخلق
وذلك محصور في دلائل الآفاق ودلائل الأنفس والكتب الإلهية أكثر اشتمالها على هذين البابين
فجملة ما ذكر من الآيات في باب حدوث أحوال الإنسان وانتقاله من الأطوار وتغيراته في الأحوال
يكون من دلائل الأنفس وإليه الإشارة بقوله الذي خلقكم والذين من قبلكم وحاصلها يرجع إلى أن
كل أحد يعلم بالضرورة أنه لم يكن من قبل ثم صار الآن كائنا فيفتقر إلى موجد وليس موجده نفسه ولا
أبواه ولا سائر الخلق لعجزهم عن مثل هذا التركيب بالبديهة فلا بد من موجد لها غيرهم في حقيقته
تعالى من أن يشابههم حتى يصح منه إيجاد هذه الأشخاص ثم لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون
الموجد المدبر طبائع الفصول والأفلاك والنجوم فأشار إلى رد هذا الاحتمال بافتقارها إلى
المحدث الموجد بقوله الذي جعل لكم الأرض فراشا فكل ما ذكر في تغيرات الأوضاع السماوية
والأرضية هو المراد من دلائل الآفاق ويندرج فيها الرعد والبرق والسحاب واختلاف الرياح
والفصول وحاصلها يرجع إلى أن حدوث هذه الحركات والصفات يفتقر إلى سبب محدث و
ذلك السبب إن كان جسما فلكيا أو عنصريا فلا يجوز كونها مستغنيا بها بأسبابها ولا لغيرها وذلك
لأنها مشتركة في أصل الجسمية والمتفرد فيه إما ماهية جنسية تفتقر في وجودها وقوامها إلى الفصول
المنوعة أو ماهية نوعية تفتقر في وجودها ودوامها إلى العوارض المشخصة وما تفتقر في وجوده
ودوامه إلى المقارنات كيف يكون سببا لغيرها ثم لا يجوز أن يكون تلك المقارنات كالفصول
والمشخصات علة لوجود تلك الماهية الجنسية أو النوعية وبتوسطها لوجود غيرها من اللوازم
والحوادث وذلك لافتقارها أيضا في لوازمها وتشخصاتها إلى ما هي متقومة بها فثبت أن الكل

مفتقر الى

مفتقر إلى سبب منفصل الذات عنها وذلك السبب إن كان جسما أو جسمانيا عاد الكلام إليه فهو مجرد عن الجسمية
وعوارضها فما عليته إن كانت بالإيجاب أو بالعلم والإرادة لم يكن اختصاص بعض الأجسام ببعض الصفات
دون بعض لأولوية في الحكمة من العكس إذ لا علم ولا حكمة في الفاعل الموجب فلا بد أن يكون عالما فيكون
كاملا مختارا فثبت أنه لا إله إلا الله افتقار الأجرام كلها إلى مؤثر قادر ليس بجسم ولا جسماني وهذا
عند ظهوره أن الاستدلال بحدوث الأعراض لا يكفي إلا بعد الاستعانة بإمكان الأعراض والصفات
وإنما أكثر الله تعالى في كتابه الكريم هذا النمط من الاستدلال لكونه أقرب إلى الأفهام وأسهل مأخذا
وأقوى في إلزام الجاحدين وأما طريقة الصديقين الذين يستشهدون بوجوده على وجود
الخلق أسد وأوثق وأشرف وأحكم كما أشار إليه بقوله أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقد مرت
الإشارة إليه سابقا وجميع ما تقدم من طرقهم يرجع سبيلا لا مزيد فيه ولا مزيد عليه في كتبنا
العقلية وفي كتاب التوحيد من كتب الكافي عن أبي عبد الله ع قال قال أمير المؤمنين ع
اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان وعن
أبي ذر رحمه الله يرفعه إلى رسول الله ص قال سئل أمير المؤمنين ع بم عرفت ربك قال بما عرفني نفسه قيل
وكيف عرفك نفسه قال لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس وعن منصور بن حازم
قال قلت لأبي عبد الله ع إني ناظرت قوما فقلت لهم إن الله جل جلاله أجل وأكرم من أن
يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله فقال رحمك الله ولكرم وللأئمة المعصومين صلوات
الله عليهم ولمن يسترشد بهم من السلف الصالحين طرقا لطيفة في هذا الباب أعني الاستدلال
بالآثار والأفعال منها ما يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق ع فقال له هل
ركبت البحر قال نعم قال هل رأيت أهواله قال بلى هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وغرق
الملاحون فتعلقت ببعض ألواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع في تلاطم الأمواج
حتى دفعت إلى الساحل فقال ع قد كان اعتمادك قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح
أن تنجيك فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة
بعد قال بل رجوت قال ممن ترجوها فسكت الرجل فأسلم على يده وبمثل هذا أشار في قوله
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وكفرنا بما كنا به مشركين
ومنها ما ترجم في كتاب ... أن النبي ص قال لعمران بن الحصين كم إلها تعبد اليوم
قال فمن تعد لرغبتك ورهبتك ودفع الأمر العظيم الذي نزل بك من جهتهم قال الله تعالى
النبي ص ما لك من إله إلا الله ومنها ما روى الكليني رحمه الله عن محمد بن إسحاق قال إن عبد الله الديصاني
سأل هشام بن الحكم فقال له ألك رب قال بلى قال أقادر هو قال نعم قادر قاهر قال يقدر أن يدخل

الدنيا

الدنيا كلها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا فقال هشام انظرني فقال له قد انظرتك حولاً
ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فقال له يا ابن رسول الله اتاني الديصاني بمسألة ليس
المعوّل فيها الا على الله وعليك فقال له عمّا ذا سألك فقال كيت وكيت فقال ابو عبد الله
عليه السلام يا هشام كم حواسك قال خمس قال ايها اصغر قال الناظر قال وكم قدر الناظر قال مثل
العدسة او اقل منها فقال له يا هشام فانظر امامك وفوقك واخبرني بما ترى فقال ارى سماء
وارضا ودورا وقصورا وبراري وجبالا وانهارا فقال له ابو عبد الله ان الذي قدر ان يدخل الذي
تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها في البيضة لا يصغر الدنيا ولا يكبر البيضة
فاكب هشام عليه وقبل يديه ورجليه وقال حسبي يا ابن رسول الله وانصرف الى منزله ومنها انه دخل هذا
الديصاني الى ابي عبد الله عليه السلام فقال له يا جعفر دلني على معبودي فقال له اجلس واذا غلام له صغير
في كفه بيضة يلعب بها فقال ابو عبد الله عليه السلام ناولني يا غلام البيضة فناوله اياها فقال ابو عبد الله
يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق
ذهبة مائعة وفضة ذائبة فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة
الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها
ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدرى للذكر خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل الوان الطواويس
أترى لها مدبرا فاطرق مليا ثم اسلم ومنها سئل الشافعي عن الدليل على الصانع فقال ورقة الفرصاد
طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم
والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك
الاذفر فمن الذي جعلها كذلك مع ان الطبع واحد ... ومنها ان احمد بن حنبل سئل عن ذلك فقال قلعة
حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران
وخرج منها حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل ... من كلام الامام
بالحق جعفر الصادق ... وبعض اهل ... اراد بالقلعة البيضة وبالحيوان
الفرخ ومنها سئل ابو نواس عنه فقال تأمل في نبات الارض فانظر الى آثار ما صنع المليك عيون من لجين
ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك ومنها سئل اعرابي
عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير وآثار الاقدام على المسير فسماء ذات
ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات امواج اما تدل على العالم القدير ومنها قيل لطبيب بم عرفت
ربك قال باهليلج مجفف اطلق ولعابها ملين امسك وقال آخر عرفته بنحلة باحد طرفيها
عسل وبالآخر لسع والعسل مقلوب اللسع واعلم ان هذه الوجوه كلها وان لم تكن برهانية

يتقوون

يتقوى بها ايمان ضعفاء البصائر من الناظرين ويسكن اليها اكثر بواطن المتفكرين الناظرين الى الله
بقدم الصدق واليقين لكنها وجوه حسنة للتفهيم والتعلم ولالزام المنكرين ومن هذا
القبيل قول بعض المحققين من العلماء حيث استدل على وجود الباري وقدرته بان جرم الشمس مع غيرها
يرى في الافق اعظم مما في وسط السماء مع ان البرهان الهندسي دل على ان الكوكب متى كان في وسط
السماء كان اقرب الى موضع الناظر منه عند كونه في الافق فلما كان الحال على خلاف ما هو مقتضى
طبيعة تلك الاجرام فقد دل على وجود فاعل مختار يفعل ما يريد فهذا امثل ما عند الاكثر امكن
من الوهم الجاهلون وربما كان مثله اكثر نفعا من كثير من البراهين فصل واما الحكم التفصيلية
فاعلم اولا ان الله تعالى ذكر هنا خمسة انواع من الدلايل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق من قبلهم
وثلاثة من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء وخلق الامور الحاصلة من مجموعهما وهي انزال
الماء من السماء واخراج الثمرات رزقا لنا وللحيوانات وسبب نزول هذا الترتيب ان الاقرب للانسان
اقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشأه ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون
عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدكم على فراشه ثم السماء التي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية
على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة من انزال الماء عليها والاخراج به
من بطنها اشباه النسل من الحيوان من الوان الغذاء وانواع الثمار رزقا لبني آدم ولانه لان كل واحد من
السماء والارض من الدلايل على وجود الصانع فهو حاصل للانسان بزيادة الشهوة والغضب و
الدواعي النفسانية والاطوار الباطنية فلما كانت الدلالة ... ثم كان تقديمه في الذكر
اهم وايضا خلق المكلفين احياء قادرين اصل جميع النعم واما الانتفاع بوجود الارض والسماء
والماء فان ذلك انما يكون بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة فلاجرم قدم ذكر
الاصول على الفروع بالنسبة اليه واولى فلان تحمل قوله الذي خلقكم والذين من قبلكم على
سبب وجوب العبادة وعلتها وقوله الذي جعل لكم الارض الى آخره على دلايل المعرفة لتوقف العبادة
عليها وتوقفها على الدلايل لان الله لما انعم علينا باعطاء الوجود واعطاء ما يتوقف عليه
الوجود استحق العبادة وهي متوقفة على المعرفة فذكر من الدلايل خمسة هي مجامع ساير الدلايل
وجملتها والا فما من ذرة في الارض ولا في السماء ولا فيهما ولا بينهما الا وفيها من عجايب الفكرة
وبدايع الفطرة ما يظهر به الدلالة على وجود الصانع وعلمه وحكمته اما من تلك الخمسة فهما
الارض والسماء واختصاصهما بالذكر لكونهما سببا لحدوث غيرهما وثانيها النبات ومنه الثمرات
وخصصت بالذكر لكونها اشرف النباتات وثالثها الحيوان وافضله الانسان المشار اليه بقوله
ربكم فالكلام انما اختص هو بلفظ المرزوقية وان غيره كالنعم من الحيوان ... من الثمرات لكونه علة

غائية في وجود الثمرات ونحوها دون ما في الحيوان بل هي بعينها لا انما يعلو قدر الانتفاع للانسان
ثم السبب في ترتيب هذه الاشياء ظاهر لان بحسب تقدمها في الحدوث وكذا في تقديم الارض عليها
واما تقديم ذكر الارض على ذكر السماء فلان الارض اقرب الينا من السماء ونحوها وهي من عجائب
الارض لكونها محسوسة اكثر للحواس لكلها على وجه مما يجد في السماء لكونها غير محسوسة
والمحسوس يحس البصر منها الا الكواكب وانما يحصل المعرفة بوجودها من جهة الحركات المتسقة
المستقيمة والمختلفة الدالة على وجود جرم عظيم مستدير شامل لها ومن جهة الحركات المتشابهة
الدالة على وجود محدد للجهات بالصفة المذكورة فلينظر في الحكم والمنافع المنبعثة في خلق
هذه الاشياء الخمسة ولنذكر لبيانها خمسة اشراقات الاول اعلم ان الرحمة الالهية
لما لم يجز توقفها عند شيء ورآها الامكان الغير المتناهي للاشياء وحكمة الوجود من غير
ان يخرج وجودها من القوة الى الفعل ابدا فيلزم التعطيل في وجوده والامساك عن الاعطاء و
الكرم من فضل وجوده كما زعم اليهود كما حكى الله عنهم بقوله تعالى قالوا يد الله مغلولة و
لعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء اوليس الا ان يفعل الارادات متجددة
وحوادث متعاقبة سواء كانت متناهية كما ذهب اليه المعتزلة او غير متناهية كما ذهب اليه
بعض المتفلسفة كالحركات التي الفعل وحدوث غيره بتوسط واجب الوجود ارادات متجددة
متعاقبة غير متناهية ومن زعموا انه يفعل شيئا ثم يريد بعده لا شيئا او فيفعل ثم يريد فيفعل
فله ارادة ثابتة ازلية وارادات متجددة لا تتناهى وجعلوا في ذلك البرهان والقرآن
جميعا كما فصل في مقامه والزم عليهم ان يكون اله العالمين جسما متحركا على الدوام متاثرا عن
غيره كما ان الاجرام تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا ولما كانت قوته غير متناهية وجوده
وكرمه غير واقف عند حد لحصل منه نوع من الموجودات الممكنة وجب ان يكون من جود
وجوده امر دائم الحركات والهوى دائم الآثار لا بعقبه الا الآثار وذلك يوجب انفتاح ابواب
البركات وجريان فيوض الخيرات الى ما شاء الله لانه يكون الفاعل على الفيض بسبب فيحصل الفيض
على اهل الاستحقاق بحسب استحقاقهم وفي اختلاف الحرارات المتصلة حقا لما كانت مستعدة
لقبول الفعل والعرفان وجب ان يفيض عليه الواجب لماذا لا مهملة قادم بحث في العناية
الربانية وجود جرم مستدير متحرك على الدوام موقف لما يجعل ان تشاءه وجرم آخر ساكن
منفعل متأثر منه كما الذكر والآباء على الامهات المتولد البنين والبنات فينبعث من حركة
الفلك على وجه الارض ما نزل الماء منه اليها احوالا والمواليد وافضلها انواع الانسان المتناسل
بحسب الروح النفساني للاب الصلوي الجسماني وبحسب روح الامر للاب المعنوي والروح القدسي

فاذا

فاذا كملت منها نفس بالعلم والعمل عادت الى الموطن الاصلي عند بارئها وباجتماع ابيها ومتى لم يكملها حرما
مكثت زمانا طويلا او قصيرا في طبقات الجحيم كما فصل في مقامه الاشراق الثاني انا ما يتعلق
بخلق الارض من عجائب الحكمة وغرائب فلا يمكن الاستقصاء فيها لكن ابين القليل منها ان
الله جعل الارض في مركز الفلك ووسط الكل فانها لو كانت مجاورة للاجرام الفلكية لاحترقت
لشدة التسخين من الحركة الدائمة فصارت نارا محضة وعلى تقدير بقائها ارضا لما كان
يمكن ان يتكون عليها حيوان ولا نبات منها نبات وذلك بما في ما ذكرناه من الحرارة اشار اليه
ومن حكمته ايضا جعلت الطبقة الترابية مجاورة للسماء بعيدة عن الارض ولا لتضاعف التسخين
متوسطها بين الارض والهواء اذ لو جاورت الهواء من تحت لاحالتها بدوام مجاورتها وتحتها
الفلك ايضا بسرعة حركته فاحترقت بها في العناصر وصار الكل نارا فانفسدت العناصر
والمركبات كلها ولما كانت العناية مقتضية لوجود نفوس انسانية شريفة مكملة بالعلم و
الطاعة ولا يكون ذلك بدون ابدان حيوانية ونباتية يغلب على اكثرها العنصر اليابس الذي
يمسكها ويحفظ الصور والاشكال عليها اذ ليس حاجة الحيوان لتنفسه بل النبات ايضا لقبطه
الى ان يستقر على محل مكان يحيط بجوانبه الهواء اذ لا يعرف في جسم متراكم فلا بد ان يكون موضع
افراد الحيوان بجوانبه الهواء ولا يعرف في جسم متراكم فلا بد ان يكون موضع افراد الحيوان والنبات
جسم بارد يابس متماسك الاجزاء فخلق الله الارض كذلك ليتحاوزها ويستقر عليها الحيوان و
النبات الغالب عليها الارضية واليه الاشارة بقوله جعل لكم الارض فراشا اذ الفراش في
اللغة اسم لما يفرش عليه كالمهاد واسم لما تمهد والبساط لما يبسط فليس في ذلك
دليل على ان الارض سطحة وليست بكروية ولا يلزم الا ان الذين يفترشونها ويتقلبون المغار
سواء كانت على شكل المستوي او الكروي فالافتراش عليها غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها و
تباعد اكنافها واطرافها ولكن لا يتم الافتراش عليها الا بشروط احدها ان لا يكون في غاية
اللين كالماء الذي يغوص فيه ارجلكم وقت المشي ولا في غاية الصلابة كالحجر فان النوم
عليه مما يولم البدن لتعذر اخذ الاوضاع والاكيفية عنده وايضا فلو كانت من الذهب ساير لم يمكن
الزراعة عليه ولا اتخاد الابنية منه وثانيها ان لا يكون في غاية الشفيفة واللطافة والا لما
استقر عليه النور ولم يقبل التسخين من الكواكب فكان باردا جدا لا يصلح ان يكون فراشا للحيوانات
من لطف الله تعالى ان جعل الارض ذات لون غبر ليستقر عليها شاع الضياء وثالثها ان يكون بارزا
من الماء لان طبع الارض ان يكون غائصا في الماء فكان يجب ان يكون البحار محيطة بالارض و
لو كانت كذلك لما امكن افتراشها فهذا هو السبب الغائي واما السبب الفاعلي فهو ما يحدث في الجنوب من اجراء

للحاصلة من الرياح من شبه الاخاديد والوهدات والمواضع المرتفعات فيتحدر منها الى الوهدات
فيبرز الاعلى منها فصار مجموع الارض والماء كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم
طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب
ازدياد ارتفاع القطب الظاهر للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب وتركب الاختلافين
لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر
وراكب البحر وشوامخ الجبال وان عظمت لا تخرجها عن الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة انما قدحت في
ملاسة الكرة لا في استدارتها وانها ان يكون ساكنة اذ لو تحركت فاما على الاستقامة او على الاستدارة
وكلاهما باطل ينافي الافتراش اما الاستقامة فلانها لو تحركت بكليتها حركة مستقيمة لكانت الى جانب
السفل لا غير لثقلها الطبيعي فلو تحركت هي كذلك لم يمكن استقرار ثقيل آخر عليها لانها هاوية والارض
هاوية وهي اثقل والثقيلان اذا نزلا كان اثقلهما اسرعهما في النزول والابطأ لا يلحق الاسرع
فلا يمكن وصول الانسان الى وجه الارض حتى يفترشها واما الاستدارة فلانها لو تحركت
بالاستدارة الى جانب الغرب كما توهمه من زعم ان هذه الحركة الاولى الشرقية منسوبة الى الارض
والانسان يريد ان يتحرك الى جانب الشرق فلا يمكنه الوصول الى حيث يريد لسرعة حركتها
وبطوء حركته بما لا نسبة بينهما والوجود يكذبه ويشهد بخلافه فالمفروض باطل ثم الناس اختلفوا
في سكون الارض وسببه فمنهم من زعم انها هاوية الى غير النهاية بلا محيط وهذا باطل لما مر
وتناهي الابعاد الثابت بالبرهان ومنهم من زعم ان شكلها كنصف كرة موضوع على الماء
حدبتها الى فوق وقاعدتها الى اسفل ومن شأن الثقيل اذا انبسط ان يعوم على الماء كالسفينة
ويفسد بجواز مثل ذلك الشكل عليها ان الكلام عائد في سبب وقوف الماء ومنهم من قال سبب سكونها
جذب الفلك اياها من جميع الجوانب على نسبة واحدة وهو باطل والا لكانت المدرة المنفصلة
عنها اسرع انجذابا لصغرها الى الفلك فما بالها لم تنجذب ومنهم من جعل سببه دفع الفلك اياها
من كل الجوانب كما اذا جعل شيء من التراب في قنينة ثم ادير على قطبيها ادارة سريعة فانه
سريعة فانه يجتمع التراب في مقعرها وسطها لتساوي الدفع من الجوانب وهذا ايضا باطل بوجوه كثيرة
مذكورة في محلها ومنهم كابي هاشم زعم ان النصف الاسفل من الارض فيه اعتمادا صاعدا و
النصف الاعلى فيه اعتمادا هابطا فيتدافع الاعتمادان فيلزم الوقوف وهو ايضا
باطل لعدم اختصاص كل من النصفين بصفة توجب ما ذكره بل الارض بتمامها لا تستدعي الا
امرا واحدا ومنهم من ذهب الى ان الارض تطلب بالطبع وسط الكل وجهة التحت لان الثقال
بالطبع يميل الى السفل كما ان الخفاف بالطبع يميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب يلي السماء والتحت

مايلي

ما يلي المركز وكما يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فلنستبعد
ذلك لان ذلك المسمى بالهبوط صعود بالحقيقة الى جهة السماء وايضا فا
في سكون الارض ووقوفها وحيزها الى علة قسر من فوقها ولا الى دعامة
في ذلك ميلها الطبيعي الى تحت وهذا الحق هو رأي ارسطاطاليس وجمهور اتبا
الفرق ايضا العقلية وتحاشوا عن القول بالطفرة والانحيار وهو المجاز
عليه الامام الرازي بان هذا ايضا ضعيف لان الاجسام متساوية في الجسمية
بالصفة البعض بالصفة التي يطلب لاجلها ذلك فلا بد وان يكون امرا جائزا
المختار اقول والعجب من هذا المتبحر مع استغراقه وتحصنه في الافكار كيف
في تجويزه ترجيح الفاعل المختار احد الامرين او الامور المتساوية من غير مر
عاقل ذا راجح يحكم بفساده ثم لم يعلم ان تجويز مثل هذا ال
الكتبة هو واصحابه من اتباع الشيخ الاشعري زعما منهم ان في ذلك تقوية
يفضح اهل الدين وينسد طريق اثبات الصانع باليقين وكذا اثبات
الاصول الحقة البرهانية فكان مختارا لاحد طرفيه او لاحد اشياء متساو
لا بد ان يترجح عنده احدهما او واحد منها فانه ان لم يترجح فنسبة الشيء ال
يقع الممكن دون مرجح فالذي يقال ان الارادة تخصص احد الجانبين بالو
اولوية بل لان من خاصية الارادة تخصيص احد المثلين او الامثال من دون
مرجح ولا يسأل عن اللمية فان لوازم الماهية لا تعلل كلام لا حاصل له فان
الجانبين او الجوانب بالنسبة اليها سواء لا تخصص شيئا منها الا بمرجح اذ لا يقع
واما الخاصية التي يقولونها فهو هوس اذ لو اختارت الجانب الآخر ا
مساويا لهذا الجانب كان يحصل هذه الخاصية ثم تعلق الارادة بشي
الى الجانبين سواء هذيان فان الارادة ما حصل او الارادة ثم تعلق
لا يريد الا ما تميز في علمه فلا يكون له ارادة غرضا قد الى شيء اصلا
الارادة تخصيص بعض جهات الامكان بل اذا وقع ادراك وحصل بعـ
يحصل ارادة متخصصة باحدها فالترجيح مقدم على الارادة والعجب
في اكثر الامر في اثبات مثل هذا الفاعل المختار الذي يتصورونه هذا
الجزافية التي جعلوا فاعله لاشياء المصالح ادلتهم واحتجاجاتهم
هم على كل ما جهلوه على ان الاجسام متساوية في الجسمية حتى يلزم

بعض انواعها بما يستوجب به رجحانه تعلق امر الله وارادته بتفضيله على بعض الآثار وتقدمه
وذلك سائر انواع الاجسام وقد يجهل بجاهل من ان فضيلة الاجسام وصورها التي هي
مبادي فصولها امور محصلة للجسمية المشتركة وهي درجة التفرد والوجود متقدمة
على اصل الجسمية واستنادها الى واحد شرك الاجسام وجنس الامور نحو العقل الذوات غير متكثر
فالسبب الى اختصاص كل جسم كالارض او السماء بصورة مخصوصة وطبيعة معينة منها آثاره
المختصة من حيز ومقدار واشكال فيداد الجسمية تابعة للطبيعة المخصوصة دون العكس
فهاهنا نقول جسمية الارض من لوازم طبيعتها المتعلقة بها لكونها من لوازم المشترك بين
طبيعة الارض وغيرها من الطبائع العنصرية والفلكية فان سألنا بان الارض لما ذا صارت
في وسط الاجسام قلنا لان الله بتقديره التي تمسك السموات والارض ان تزولا جعلها ذات
طبيعة تقتضي ميل جسمها الى تحت مطلقا وان سألنا ان لما الجسم ذا هذه الطبيعة قلنا لان
هذه الطبيعة اقتضته واستلزمته ثم ان سألنا بان هذه الطبيعة لم صارت هذه الطبيعة
فلا يستحق الجواب اذ كل شيء هو هو بجعل لا يتخلل بين الشيء وذاته وان سألنا بان لما ذا وجدت
هذه الطبيعة قلنا لارادة الله وامره سبحانه من علمه بوجه الخير في جميع الاشياء التي
جعلها على هذه الطبيعة على ترتيب ونظام لا يمكن وهو علمه بلوازمه اذا فرغ في جميع الاشياء
على ترتيب تقديره وتأخره ونظام متعلق بها التي تمسك السموات والارض ان تزولا امساك الارض
في الموضع الذي هو ابتدائيته من غير علاقة من فوق او دعامة من تحت كما امسك السماء ان تقع على
الارض من غير علاقة وضعية او اعتبار جسماني ولكل شيء مقام معلوم لا يتعداه ولا يتقدم
عليه ولا يتأخر عنه هكذا يجب ان يتصور العارف الامر وكلام قدريا من غير افتقار والتفريط في الجبر
والتعطيل في صفاته والجزاف في احكامه فان قلت هل في قدرة الله ان يخلق هذه الاشياء التي
في هذا العالم من غير ان يخلق الوسائط والاسباب قلت نعم لان المصحح للمقدورية هو الامكان
فهل على خلق الاعلى يقدر على خلق الادنى ومن قدر على ايجاد الجواهر الشريفة فهو قادر على الجواهر
الخسيسة كما ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الا ان ذلك يمتنع من جهة العلم والحكمة
لا من جهة العجز والنقيصة اذ ليس من الحكمة تقديم الاخس الادنى على الاشرف الاعلى
فخلاف الحكمة ممتنع من الله لا لانه غير مقدور الاشراق الثالث في ذكر آيات قرآنية
يشير الى منافع الارض واعلم ان في خلق السماء والارض آيات كثيرة واقوالا لطيفة تهدي الى سبيل
الحق وتشير الى طريق القدس وعالم الحقيقة الالهية لكن اكثر الناس عن آيات ربهم تعالى غافلون
وعن فهم انوار الحكمة واسرار الحق معرضون كما قال سبحانه وكأين من آية في السموات والارض

يمرون

يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الله تعالى قد ذكر في الآيات القرآنية ذكر السماء والارض
لما في كل منهما من عجائب الصنعة وغرائب الحكمة فذكر للارض منافع كثيرة وصفات عديدة منها
قوله وفي الارض قطع متجاورات وقوله والبلد الطيب يخرج نباته والذي خبث لا يخرج الا
نكدا اشارة الى اقاليمها المختلفة ومواضعها وبقاعها المتفاوتة في الرخاوة والصلابة
والسبخية والرملية والوعورة والخشونة والحزونة ومنها ومن الجبال جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود اشارة الى اختلاف الوانها من الحمرة والبياض والبياض في
السواد والصفرة والغبرة والرمادية ومنها قوله والارض ذات الصدع لانصداعها بالنبات
والعيون ومنها قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض وقوله قل ارأيتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين اشارة الى كونها خازنة للماء ومنبعا له وقوله والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون اشارة الى ما يتولد فيها من الجبال والمعادن في
... بل عموم ... الى اقسام الحقائق وامثلة اربابها النورية وحمل
... بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ومنها قوله
يخرج الخبء في السموات والارض اشارة الى انواع ما يخبأ فيها من الحب والنوى ومنها
قوله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اشارة الى انها المنبع الكريم
تقبل ما لا حبة ويردها عليك سبعمائة وذلك بسر الهي اودع فيها ومنها قوله اولم
يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا اشارة الى ان فيها قوة النماء ومنها قوله
وآية لهم الارض الميتة احييناها اشارة الى ان فيها قوة الحيوة بعد الموت وهذا مما انتبه
بعض الحكماء الاقدمين ومنها قوله وبث فيها من كل دابة اشارة الى ان فيها مع بساطتها
قوة تقبل جميع الصور الحيوانية على اختلاف صورها واشكالها وافعالها ومنها
قوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اشارة الى ما فيها من النباتات المختلفة الانواع والصور
ومنافعه في اختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة
واختلاف اشكالها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم ثم قال كلوا وارعوا انعامكم
ومنها الطعام ومنها الادام ومنها الفاكهة وقال وقدر فيها اقواتها وقال وفاكهة
وابا ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف
والابريسم والجلود واليه الاشارة بقوله الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
فقد جعلها الله شاهدة لا بل اشارة الى الحيوة حين يحيينا بعد الممات ومنها الاحجار المختلفة
بعضها للزينة وبعضها للابنية وانظر الى الحجر الذي تستخرج منه ... الى الياقوت والزمرد

مع عزتهما ما اكثر النفع بهذا الحجر وما اقل النفع بذلك الحجر ولولا ما اودع الله فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة وغيرهما ثم تامل ان البشر استنبطوا الحرف التي فيها قوام الصنائع
الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من جو الهواء ولكن عجزوا عن احداث
الذهب والفضة فما هي من الله لان مقصود في ذلك لم يحتج الى التمييز وهكذا الفايدة لا تحصل الا
عند الهرم والعذر على احداثها يبطل الحكمة فلذلك ضرب عنه دونها ما استعد والهدا
اشتهر في الالسنة من طلب المال من الكيمياء افلس ومنها الحطب والاحجار لنضج الخبز والبناء والسقف
او غير ذلك مما لا يمكن ضبطها واعظم هذه الامور كلها انها مادة لخلقة الانسان المنبعث منها
النفس ومنها القلب ومنه الروح ومنها اجزاء الولادة والشوق كل ذلك لا يعقبه الاجزاء السابقة ويخلق
ما لا تعلمون لما كان الى الطول وفضائل كثيرة منها لا نعلمها نحن ومن نظر الى جمع هذه المنافع العظيمة
كان بعضهم ان الله تعالى لما خلق الارض وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم ثم اعلم
اصناف حاجاته بكاشر كل ما ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي هي لك كالام فقال انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الاية وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدي
ان احوج الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منها هذه
المنافع مثل ما حصلت هذه الاشياء في الدنيا انها يجيء لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل
ان الارض ذلك بل اشفق منها الا ان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك الوانا
من الاطعمة ثم قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم في هذه الام وليس هذا ابو عجيبة
لان المراد انه وعد بامر وفي ثلاث مقامات من الام التي ولدتك اضعف من مقامات الام الارضية ثم
انك كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله
تحت دعاء الشرع المزاوج خرجت اليها بالراس طاهرا من الذنوب واليوم بل حول سنين صرت الى
الصلوة فلا تحب نرجاك فاذا تامل العاقل في هذه العجائب والغرائب يسار بعقله من هذه
النشأة الى اب عالم حكيم ومعلم عليم ان كان ممن يسمع بقلبه ويعي ويبصر بعقله ويعتبر ه
الاشراق الرابع في بيان حكم الله ودلائل صنعه وقدرته في خلق السماء وكونها بناء السماء معلقة
سمى به المبنى بما كان او قبة او خباء والبيت العرب لخبيهم ومنه على امراتهم اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا وكان الجاحظ اذا تاملت هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج
اليه فالسماء مرفوع عز كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان
كمالك البيت المتصرف فيه بعقله وفكره وضروب النبات مهيات لمنافعه وصنوف الحيوان منصرفة
في منافعه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتقدير كامل وتدبير شامل فتنبه لمراد

ان يجود

لحدوث الابدان وتعاقب الاكوان في الازمان لا بد له من جسم دائم الحركة وآخر دائم
السكون فالله خلق السماء فوق الارض وجعلها شاملة على اجرام بعضها منيرة كالكواكب وبعضها
شفافة كالافلاك لتجلت ولتجذب لتوثر انوارها في الارضيات وتموج بها ويخرج منها الالطاف
والبخارات ويتشابه منها الكائنات وتكون بها الحيوان والنبات رزقا للعباد ووسيلة لارتفاع
الكمالات الطيبات البدنية لو كانت الفلكيات نورية لاحترقت باشعاعها ما بها من عالم الكون
والفساد ولو كانت عرية عن النور لبقي في مهوى ظلمة شديدة للاوحش منها فجعل الله الكواكب
مضيئة والسماء شفافة اذ لو كانت ملونة لوقف الضوء على سطوحها كما يقف على الاجرام الملونة
الكثيفة ولو كانت الكواكب النيرة ثابتة غير متحركة بان يكون مكان اكثرها او معظمها
كالشمس على القطب لاحرقت ما قابلها من الارض ولم يلحق اثرها ما غاب فيؤدي الى شدة البرد
وجمود المياه والرطوبات الموجب لهلاك الحيوان ولو كانت الكواكب النيرة سيما الشمس متحركة
بالحركة البطيئة فعلت ما فعله السكون من افراط الحر والبرد ولا في المواضع الخارجة عن سمتها
ولو كانت مع تحركها بالحركة السريعة اليومية تحركت على دائرة واحدة لاحترقت ما سامتها
الدائرة ولم يصل شعاعها الى باقي النواحي والاقطار فجعل للكواكب مع حركة الكل السريعة حركة
اخرى بطيئة يميل بها الى النواحي شمالا وجنوبا ليحصل من ذلك الفصول الاربعة التي بها يتم
الكون والفساد ويصلح امزجة البلاد ويتكون النفوس الصالحة من العباد للمعاد وهذا
هو الجليل من حكمة ومنافع السماء وكواكبها والذي يعرفه اكثر الناس ولها في هيآتها واوضاعها
الخفية من نضدها ومواقع اوجاتها وتخصيصاتها وجوزهراتها وغيرها منافع عظيمة ومصالح
كثيرة يطلع على نبذة منها اهل الحكمة والهندسة ليس هيهنا موضع بيانه ثم لا يخفى ان اختلاف
الحركات لا ينافي ترتيب النعم لكون جهة الحركات في اواسط السماء وجهة اقطابها في نواحي
الافق ومعظم المعمورة اذ لو كان الوضع بعكس ذلك كان عرض تستعلي درجة وكما يليها من
الافاق التي حكمها حكمه فلم يكن لما فيها كثير نفع من الانواء والبلاد وانها الكثيرة عن سموت رؤسهم فانظر
في تمام نعم الله في طلوع الشمس وغروبها فكما ان النعمة في طلوعها عظيمة فكذلك في غروبها فتامل
النعم في غروبها حيث لو لم يكن لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا استراحة وكان حرص الناس
يحملهم على المداومة على العمل فيؤدي الى الاضرار على امزجتهم ولحرقت دمغتهم فصارت الشمس بحكمة
الله تعالى تطلع في وقت وتغيب في وقت بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت يقضوا حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا
ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح اهل العالم واليه الاشارة
في قوله تعالى قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم

بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ثم قال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم
القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء الاية وقال وهو الذي جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ثم لاجل انتظام حركات الكواكب لا تدوم على سمت واحد فلم يخص والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره اي بالحركة الطالعة تارة والغاربة اخرى وبالمستقيمة تارة والحضيضية اخرى وكذلك اوجية
وحضيضية وسايرة في بروج ثابتة ومنقلبة وذوات الجسدين وغير ذلك من احوال
الكواكب كالرجوع والاقامة والاستقامة وكونها في البيوت التي لها شرفها وهبوطها وامثال
ما هو مذكور في كتب الاحكاميين على الاجمال والتخمين ولا يحيط بتفاصيلها الا البارئ وخواص
عباده الذين هم انوار العقلية واشعة الروحانية وبذلك كله يحصل النظام في العالم وآله
ويدوم الكون والفساد الذي هو اصل النعمة وتمام الرحمة فسبحان من اله غيور بلا الوجود ولا
بانوار عقلية ومواد كثيفة قابلة غائرة عن المواد عالية عن القوة والاستعداد ومن امثالها
باختراع اجسام سماوية واجرام متحركات وكرات مستديرات ذوات انوار وشعاعات نور الله
بها البقاع والاطراف والاصقاع وجعلها مستورة بانواع النقوش مصورة باغراب النقوش
باقية على شكلها بلا اختلاط قواعد ثابتة على اصولها بلا انحلال الى ان ياتي اجلها فيحلها
اذا جاء اجلها كالدخان ووردة كالدهان فضلا عن يوم القيمة كالمهل وكالعهن يوم نطوي
السماء كطي السجل الاشراق للخاسرين فصل السماء اما حقيقته فمحلها عند رتبها فلا يمكن لاحد
ان يعرفها ما دام كونه في هذه الهاوية المظلمة معزولا عن صاحب الموجودات والا بعرف ذلك
بعد الارتقاء الى فضاء ملكوت السموات والصعود الى منازل الصفاء اوات وانما المعلوم من
حالها لبعض المتفكرين في خلقها انه ذات ابو معاد ما فيها هي اشرف الاشكال وهي المستدير
اهل الالوان وهو المستنير اشرف الكون والفساد الحاصلين من جهة تغير المزاج الحاصل لا متزج
غير قابلة للاضداد والانداد لعدم الخلل والمتضادات في نواحيها الملمسة حيث لا تكثير الافراد
وتوليد الاعداد من الاعداد من الاشخاص وقسمها الى نجوم زاهرة باهرة والانوار علوية دائرة
غير ظاهرة وحركها بحركات مختلفة تشوقا وتقربا الى قطب همة ملكوتية مستنيرة لا ثار
عجيبة في اوقات مختلفة في هذا العالم يتبعها نشو الحيوان والنبات وخلق الالوان لجواهر
النفوس والكمالات فسبحان الله من ابدع ما خلق في تحيرا لا نبتة بازهار ونضر لها وجلت
حللها بانواع من انواع الثمرات وانواع الوان الازهار والاوراق في اواسطها انهار تجري
على حصباتها كانها اللؤلؤ والياقوت والمرجان فيها بيوت عالية وبقعة شاهقة فيها سرر مرفوعة
واكواب موضوعة يطاف عليها ولدان وغلمان وحور حسان وفيها انواع الطعوم اللذيذة والروائح

الطيبة

الطيبة والفواكه والثمرات العجيبة وبالجملة كل ما يوجد في الارض يوجد في السماء
على وجه الطف واصفى من بركات تلك الحديقة اللطيفة وما لها من الثمرات يستمر
هذه الكائنات وينتشر نشو الحيوان والنبات اعني بحسب اختلاف اوضاعها العلوية وانتظار
مناظرها واتصالاتها فظهر الفصول في ممتزج الاركان والامهات على الاصول وتتنوع الاستعدادات
من الامهات القابلة السفلية ويتولد الممتزج بحسب اختلاط النظر بنور ظلى فايض من منبع النور
ومنبع البركات وعند ذلك غلبت قوة الامهات وظهرت الانوار في طبع النبات وعند التكامل
يلبث النبات المنور بجنابه صبح الحيوة ويتولد الحيوانات عند غلبة قوت الا ويستضيء كلها
بانوار الحواس ثم بانوار الذكاء وعند قيامها على ميزان الاعتدال في افق الاستواء ويشرق انوار
الشمس يقع عليها الحلول الحكومة انواع من الظلم والعدوان وغيرها من عالم الاسماء وعند الناطقة
العالمة بعلم الاسماء يقف ترتيب الفيض والجود ومبدأها يرجع دايرة الوجود فصل
قد اختلفوا في ان السماء افضل ام الارض اما اهل الكشف والشهود فلهم وجوه دقيقة
لطيفة في فضيلة الارض على السماء لا يمكن لغيرهم فهم تلك المعاني لغموضها وعلو مسلكها
عن درجة افهام الخلايق واما الحكماء فمنهم من ذهب الى ان السماء افضل من الارض ومنهم من
ذهب بالعكس وكلا الفريقين قد تشبثوا بوجوه نقلية منها ما مر ذكرها ووجوه افضلية السماء
فهي ان قالوا ان السماء مسجد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها الا ان آدم عصى في الجنة
بتلك المعصية بل اهبط في الجنة وكذا لا يسكن في جواره من عصاه وقوله تعالى وجعلنا السماء
سقفا محفوظا وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع او ساجد وانه جعل السماء قبلة الدعاء
فالايدي المبارة من الوجوه متوجهة نحوها وهي منزل الانوار ومحل الضياء والطهارة في
العصمة عن الخلل والفساد واما وجوه افضلية الارض فهي ان الله وصف بقاعا من الارض بالبركة
بقوله ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقوله في البقعة المباركة من الشجرة وقوله
الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ووصف ارض الشام بالبركة فقال مشارق الارض ومغاربها
التي باركنا فيها ووصف جملة الارض بالبركة فقال وبارك فيها وقدر فيها اقواتها قيل ما هي بركته
في المفاوز المهلكة واجيب لها مساكن الوحوش وعمادا ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها
ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله ولهذه البركات قال وفي الارض آيات للموقنين ثم بينها لهم لانهم
المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وان خلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وفيها نعيدكم
واكرم نبيه المصطفى صلعم بجعل له الارض كلها مسجدا وترابها طهورا فاذا كانت الارض كلها مسجدا

له والمساجد بيوت الله وبيوت الله اكرم البيوت اكرمها لاضافتها الى الله فيكون اكرم من بناء
للسماء ومن هاهنا يظهر فضل هذه الامة على سائر الامم اذ قد ورد في الخبر ان بلاد هم المساجد وهي افضل
عند الله وامته لا يبيع في مسجد ابدا الا ان الموت انتقال لا بد لهم من ظهر الارض الى بطنها
ومن لازم المسجد جليس الله في بيته فهذه الامة جلساء الله حيوة وموتا واما قوله تعالى
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فاعلم ان تعالى لما ذكر الارض والسماء
بين ما فيهما من شبه عقد النكاح بانزال الماء من السماء الى الارض والاخراج به من بطنها اشباه
النسل من الحيوان ومن الوان الثمار رزقا لبني آدم ليتفكروا في انفسهم في احوال فوقهم وما تحتهم
ليعرفوا ان شيئا من هذه الاشياء لا يقدر على تكوينها وتقليبها الا من كانت غايات الجهات التي
والصفات لها ثابتة ومحقق في العلوم العقلية ان المتفقات في الحقيقة والذات لا يمكن ان
يكون سبقا وتاثير الهلية وعلتها والتقدم والتاخر والقوة والضعف فان قلت هل يقولون
ان الله يخلق هذه الثمرات عند وصول الماء اليها بمجرى العادة ام الله يخلق في مادة النبات من
الارض عقيب انزال الماء قوة مغذية واخرى منمية واخرى مولدة فاذا اجتمعت القوى الفاعلية
والمواد المنفعلة يحصل الاثر من تلك القوى التي خلقها قلنا لا ذاك كما هو مذهب الاشاعرة
ولا هذا كما هو مذهب اهل الحكمة بل شيء آخر اشرنا اليه من قبل وهو ان الله يفعل الكل بتقدم وتاخر
ولكن الله قادر على ان يخلق هذه الثمار من غير هذه الوسائط الا ان المنهج المعتاد بترهو بكمالات
كما مر ويكون هذا القول مع الدلائل العقلية ما ورد في الخبر ان الله تعالى يخرج نعيم اهل الجنة
للمتقين من غير هذه الوسائط فعل به على خلقها ابتداء الا بانه قادر عليها بواسطة
خلق هذه القوى المؤثرة وقابليات الاجسام بظاهر قول اكثر المتكلمين انكار ذلك وليس
لهم فيه من دليل ثم انه جلت عظمته لم يخل الوجود من اهل ابتدائها وابطالها ولهم اثر البيوت
من ابوابها المسلك عليهم الامر من جهة ترتيبها الكمالي قادر على خلق هذه الثمار بدون هذه
الوسائط فما الوجه في خلقها بهذه الوسائط في هذه المدة الطويلة ثم اجابوا من ذلك
تارة بالجواب العام الذي يذكر في جميع ما يشكل عليهم من تحميل الله على حرقه هو انه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد وبينهم الكفو اله وتارة بما ذكروا من الاجوبة الخاصة احدها انه
الحرث والحرث وطلب الثمرات وكدوا انفسهم فيه لكان لا يعمل خال عمله انهم لما احتاجوا
الى تحمل هذه المشاق لطلب المنافع الدنيوية فلان يتحملوا اقل من هذه المشاق لطلب المنافع الاخروية
التي هي اجل واعظم كان اولى وثانيها انه تعالى لو خلقها دفعة بلا هذه الوسايط لحصل العلم الضروري

باسناد

باسناده الى القادر الحكيم وذلك ينافي التكليف والابتلاء وثالثها انه تعالى لو كان كذلك لما حصل الاستشهاد
عبرة في ذلك وافكار فيما جعل هذا واعلم ان الدنيا دار التجدد والارتحال وعالم الحركة والانتقال والذي
فيها يحصل على سبيل الاستحالة والتدريج ويكون عقيب الاستحالة والتدريج واما الآخرة فهي دار القرار
ومحل الراحة والاستقرار فلو حصلت صورة هذه الثمار وغيرها من صور الحيوان والانبات من غير مادة
مستحيلة بل بمجرد المشية والارادة بلا واسطة مادة ومدة لكانت الدنيا آخرة والتعيير
والحركة سكونا والاضطراب طمأنينة لان من خصائصها ان يحضروا الفاكهة والطير وما يشتهيه
الانفس وتلذ الاعين لاهل الجنة دفعة بلا قيود وهي دار الخلد يطوف عليهم ولدان مخلدون
على هذه الهيئة الموعودة المرادة لهم وكل ما فيها من الثمرات غير مقطوعة ولا ممنوعة
وفيها صور مطهرة من الادناس قرة اعين للناس جزاء بما كانوا يعملون وبيان تحقيقها الثمار
احدهما لطيفة كلمة من للابتداء بل التبعيض لان المطر ابتداء نزوله من السماء وان قلت ليس
الامر كذلك فان الامطار يتولد من ابخرة يرتفع من الارض الى الطبقة الباردة الهوائية
فيتكاثف بسبب البرد هناك وينزل ويحصل اجتماعها قطرات بسبب الثقل قلنا ان اريد بالسماء
ما انشق من السمو فذلك فان ما علاك فهو سماء فكل ما نزل من السماء فقد نزل من العلى
وان اريد بها الافلاك فلان اسباب حدوث الامطار وغيرها انما هي من امور سماوية فانها كمنية
يقع تحريكها على مواضع من الارض والبحار فيثير الاجزاء اللطيفة من اعماق الارض واطراف الارض
البحار الى جو الهواء فيصعد هناك سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله واخرجنا به
ثمرات ولان المكتنفين بها اعني ماء ورزقا منكران والتنكير يفيد البعضية كانه قال
وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا ببعض الثمرات ليكون بعض رزقكم والواقع هكذا اذ لم
ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمر ولا جعل الثمرات كل الغذاء المرزوق فان من
الرزق ما هو غيرها ويحتمل التبيين ويكون رزقا مفعولا بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم
الفا وعلى الاول كان مصدرا منصوبا بانه مفعول له وانما لم يقل الثمر والثمار مع الكثرة والموضع
موضعها تنبيها على قلة ثمار كل الدنيا وانها بمقابلة نعيم الآخرة او انه اراد بالثمرة جماعة الثمرة
كانه قولك كلمة فلان ادركت ثمرة بستانه ويدل قراءة من قرأ الثمرة على التوحيد او لان الجموع
يتعاقب بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء او لانها لا تسمى ثمرة الا بعد
ان لا قلة الكثرة وخرجت من حد القلة وقوله لكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد
به المصدر بمعنى رزقا اياكم وقوله فلا تجعلوا متعلق اما بقوله اعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي
منصوب باضمار ان جواب له واما بقوله لعلكم والمعنى خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تجعلوا لله

نزلا منصوبا كنصب اطلع في قوله تعالى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء و
الستة لاشتراكها في انها وانما بالذي جعل والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات
العظام ينبغي ان لا يشرك به على ان يكون نهيا وقع جزاء على انه قيل معقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية ادخلت عليه لتضمن الاسم معنى الشرط والند يجيء لمثل المنازع وناددت الرجل
نافرته من ند ندودا اذا نفر خص بالمخالفة في التشخص المماثل في الذات كما خص المساوي
بالمماثلة في الكم والمشابه بالمماثلة في الكيف فان قيل الكفرة لم يزعموا ان الاصنام تنازع الله
ولا انها تماثله قلنا لما تركوا عبادة الرب الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من
يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان ترفع عنهم باس الله ويمنحهم ما لم يرد الله بهم فاطلق
عليها الانداد تهكما بهم وتشنيعا عليهم ولهذا قال موحد زمان الجاهلية زيد بن عمرو بن
نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل
الرجل البصير وقوله انتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعوله مطروح في مثل هذا المقام اي
المراد انكم من اهل العلم والنظر وارباب الراي والفكر فلو تاملتم ادنى تامل لاضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن صفات المخلوقات وعن مشابهة المصنوعات او مفعوله منوي
وهو ان شركاءكم لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
والمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد النهي بالجملة الحالية وقصره عليها فان التكليف
عام للعالم والجاهل المتمكن منه لا يختص بالعلماء وان كان الامر عليهم اشد والحجة عليهم اقوى
فصل واما الانوار الالهية والاسرار الربوبية المندمجة في طي الفاظ هاتين الآيتين
فكثيرة منها ان الخطاب بيا ايها الناس يستدعي حضورهم كلهم دفعة واحدة كما هو شأن الخطاب
لاسم الجمع المحلى باللام واني للمعدوم الغائب عنهم وجود حاضر وسمع يسمع به الخطاب والترغيب
ان للانسان نحوا آخر من انحاء الوجود قبل دخوله في عالم الحس والشهادة كان له
نشأة اخرى بل نشأة آخر بها حاضر وجه من هذا العالم ومنها ان صيغة الامر كما يحتمل الامر التشريعي
يحتمل الامر التكويني كما في قوله يا نار كوني بردا وسلاما وقوله يا جبال اوبي معه والطير فالتخلف
عن الامر بالمعنى الاول محرم وعن المعنى الثاني مستحيل فقوله اعبدوا ان كان امر تكوين يجب وقوع مقتضاه
وهو كون الكل عابدين العبادة ايضا على ضربين احدهما الانقياد وهو الامتثال الوجودي والطاعة
بحسب الخلقة لجميع الاشياء بذواتها وطبايعها مطيعة لله تعالى والثاني اخص من تكليفية تعمل وهو مخصوص
بنوع الانسان ومعناه تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة فالعبادة لله تعالى بالمعنى الاول حاصلة
للجميع بلا تمرد ولا تجنب ومقصودة لله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ويحمل الجميع حتى الاصنام

وغيرها

وغيرها انما عبدوها لظنهم بعض الالهية فيها لانهم انما ضلوا في المصداق لا في المفهوم ومنها ان الله
تعالى كانه يقول لعبدي خلقتكم لاجلي وخلقت كل شيء لاجلكم وجعلت لكل شيء حظا من العبودية
والمحبة وجعلت حظكم محبتي ومعرفتي بلا حجاب غيري وواسطة احد سواي فلا تنقطعوا عن
طريق حظكم ولا تتولوا مجرمين الى ما لحظ له الوسائط ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون بعلم اليقين
الذي لا يعلمه احد من الملائكة وغيرهم فكيف تولون وجوهكم نحو غيري وانتم اعلم بي منه واقرب
بجبلة النوع ومنها ان جعل يحتمل ثلاثة معان بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل
من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين وخير الامور اوسطها فيجوز ان يكون جعل في قوله جعل لكم الارض
فراشا بمعنى وجد اي اوجد لكم الارض بان يكون فراشا حالا من المفعول ويكون لكم صلة لجعل لا ظرفا
ويؤيده قوله وخلق لكم ما في الارض جميعا وكذا الكلام في قوله والسماء بناء لكونه معطوفا
على ما قبله اي وجعل لكم السماء بناء اي اوجدنا لاجلكم السماء حال كونها بيتا ويؤيده قوله وخلق
لكم ما في السموات وما في الارض ومن هاهنا يعلم ان الانسان غاية جميع الموجودات العلوية والسفلية
ويظهر سر الخلافة الالهية كما في قوله اني جاعل في الارض خليفة وسجود الملائكة اجمعين لابينا
عند تمام التسوية والنفخ فيه من روح الله كما في قوله اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ويكون علامة سر الخلافة واستحقاق
المسجودية للملائكة ويتحقق كونه غاية ايجادها في التكوين انما يظهر ويصدق اذا تحقق و
سابق فيه معاد قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد ومنها انه تعالى اراد من هذه الآية مع ما دل عليه الظاهر وسبق فيه
الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعارف والصفات على سبيل التمثيل
فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من المعارف والصفات الفضائل
العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية
بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل
المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ومنها ان الانسان لما كان كالقرآن له
كالقرآن له ظهر وبطن وظهره في هذا العالم وبطنه في عالم الآخرة فكذلك ما جعله الله رزقا
له في دار الآخرة فان كان من اهل الجنة فيصير له من طعوم الجنة وثمارها وفواكهها ولحومها وطيورها
اولئك لهم رزق معلوم وان كان من اهل النار فيصير عليه حميما وزقوما من شجرة تخرج في اصل
الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين وكذلك انزال الماء من جهة السماء وهو مادة الحيوة الدنيوية

بالجملة ان الغذاء العلمي من ماء الحيوان وهو منشأ الحيوة الاخروية كما اشار اليه في قوله انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها الاية ولكن النار كما انها كثيرة الاثار واشعة الشمس بحرارتها تؤثر
في نضج الثمرات وطبخ الفواكه والمولدات والمعادن فهي كالحرارة مع كونها نار مختفية محرقة
موذية كذلك من عرف نشأة الاخرة وموضع الجنة والنار وما في فواكه الجنة من النضج الذي به
لا تستلذ لاكلة من اهل الجنة وما في طعوم النار من الشي الذي يذيب الاكباد منها فالبطون
منها البطون علم ان النار وان الجنة وان نضج فواكه الجنة بها ... حرارة نار الجحيم وبخوف حرقة
القلب من عذاب الله وبينهما حرارة النار التي تحت مقعر ارض الجنة تحيط بها النار حرارة في
مقعر ارضها فيكون بها صلاح ما في الجنة من المأكولات والمطاعم وهو مقعر ارض الروح كالقدر
لطبخ طعام الآخرة كما ورد انه كان يسمع صوت النضج يغلي في قلبه ازيز كازيز المرجل وما لا ينضج بها
ونعيمته فيه بالحرارة فيحتاج الى الطبخ آخر في النار لحرارة الاثير واشعة الشمس والقمر وغيرها كحرارة
النار تحت القدر فان مقعر ارض الجنة هو فلك الثوابت والشمس في القمر والنجوم كلها في النار
ومن احكامها انها اودع فيها ما كان منافع للانسان بالثمرات والحيوانات في الحيوة الدنيا
فكذلك اودع فيها ما كان منافع لدار الآخرة بثمرات الجنة وفواكهها فتفصيل الاشياء هناك
على ما يفصل ههنا سواء وكما هو لا ههنا كذلك يتعلق هناك وان اختلفت الصور وتخالف
النشأتان وظهر ان في خلق السماء والارض وانزال الماء وخلق الحمل على الانسان فافهم هذا
ان كنت من اهله

فصل في مذاهب الذين جعلوا لله اندادا

واعلم ان اهل الاهواء والنحل
كثيرة وهم الذين لا يسمعون كلام الله من اهل النبوة والولاية ويتبعون اهوائهم بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير وكلهم عبيد الشهوات والاهواء بالحقيقة وهم على طبقات فمن معطل بطال لا يرد
عليه فكره بطائل ولا يرجع عقله وذهنه بحاصل فلم يؤد نظره الى اعتقاد ولا يرشد خياله ولا
ذهنه الى معاد قد الف المحسوس وركن الى هذا المنزل المدروس وظن ان لا عالم سوى عالم هذا البدن
والحشرات ولا فائدة فيه سوى الاشتغال بالمطاعم والمناكح واللذات فهؤلاء هم الطبيعيون
والدهريون ومن يجري مجراهم من الاطباء والمنجمين فلا يثبتون عالما آخر وراء الطبيعة وفي
المحسوس ومن محصل بنوع تحصيل قد ترقى عن المحسوس واثبت المعقول واثبت حدودا واحكاما
لكنه لا يعرف الحدود واحكام شرعية يؤدي الى صلاح حال الآخرة وهؤلاء هم جمهور المتفلسفة الذين
لا دين لهم سوى اتباع العقل الناقص الغير المطهر من شوائب آفات النفس والشيطان ومن هو اقرب
بحدود واحكام عقلية وربما اخذوا اصول القوانين وفروعها من مقتبس الوحي الا انهم اقتصروا
على الاول منهم وما اهتدوا الى الآخر وهؤلاء هم الصابئون واليهود والنصارى اما الصابئة

فهم

فهم قالوا باغاثاذيمون وهرمس وهما شيث وادريس عليهما السلام ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء
واما اليهود والنصارى فوقفوا على موسى وعيسى عليهما السلام وما تعديا الى القول بمحمد صلعم
وكلهم ممن جعل لله اندادا لانهم عبدوا غير الله سواء كان محسوسا كالاصنام او معقولا كالروحانيات
الا ان عبادة غير الله سواء كانت من المحسوسات صريحا يسمى بعبادة الاشخاص وهم الذين يعكفون
على اصنام ينحتونها ويعملونها بايديهم وعبادة المعقولات بوجه تسمى باسم الصابئة وهم الذين
يعبدون ارواح الكواكب واعلم ان ليس في العالم احد يثبت لله شريكا مساويا في الوجوب والعلم
والقدرة والحكمة لكن الثنوية وهم اقرب الكفار يثبتون الهين حكيمين يفعل احدهما الخير ويفعل الآخر
الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي المذاهب المنكرة كما ذكرنا الفريق الاول عبدة الكواكب وهم
الصابئة يقولون الروحانيات قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح فهم اشرف
من افراد الانسان فنحن نعبدها ونجعلها اربابا لنا وانما ارشدنا اليه معلمنا اغاثاذيمون
وهرمس فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم وهم آلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند رب الارباب
واله الآلهة فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب
اخلاقنا عن علائق القوى الشهوية والغضبية حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبينهم
فحينئذ نسأل حاجاتنا ونطلب مرادنا فيستجاب دعوتنا بواسطتهم من اله الآلهة وكان الصابئون
قبل ظهور الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم موسومة باسماء القوى الروحانية والاجرام
النيرة واتخذوها معبودات ومآرب لهم عليها ... وقد كانت هياكل العلة الاولى وهي
عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل
النفوس والصور كلها مدورات وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل
المريخ مستطيلا والشمس مربعا والزهرة مثلثا وهيكل عطارد مستطيلا وهيكل القمر مثمنا — في جوف مربع
والفريق الثاني عبدة الاوثان ولا دين اقدم من دين عبدة الاوثان لان معظم جمهور الانسان
في اوائل الحال كان مذهبه الحس لم يعرف غير المحسوس والدليل على ذلك ان اقدم الانبياء
الذين نقل الينا خبرهم هو نوح ع وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الآن والوثني الذي هذا شأنه
يستحيل ان يعرف فساده بالنظر ... العلم بان الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي
خلقني وخلق السماء والارض ... الجمع العظيم فوجب ان يكون لهم غرض آخر
سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد بن المنجم البلخي
ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون ان الله جسم ذو صورة

كاحسن ما يكون من الصورة وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسموات وان الواجب ان يصوغوا
تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الالهة والملائكة فيعتكفون على عبادة
اصنام قاصدين طلب الزلفى الى الله تعالى والملائكة فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد
التشبيه وثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما راوا تغيرات احوال العالم مربوطة
بتغيرات احوال الكواكب واعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع
الناس بالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم
ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله تعالى الا انها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله
والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما راوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات
عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية
ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل
فهم بالحقيقة عبدة الكواكب كالصابئة وانهم ادون منزلة منها نسبتهم الى الصابئة
نسبة الطبيعية الى الدهرية وثالثها اصحاب الاحكام يرتقبون اوقاتا في السنين المتطاولة
نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه
ينتفع به في اوقات مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة
ثم لما نسوا مبدأ الامر [illegible] الطويل واشتغلوا بعبادتها ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون
فيه انه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد
ان ذلك الانسان شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وطاعتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد
الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها
لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التاويل فهذه
هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانها بالضرورة تكميل
واعلم ان الحكيم هرمس العظيم المحمود آثاره المرضي اقواله واحواله الذي يعد من الانبياء
الكبار ويقال هو ادريس النبي ع وكان هو الذي وضع اسامي البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها
واثبت لها الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر بينها بالتثليث والتربيع والتسديس
والمقابلة والمقارنة والرجعة والاقامة والاستقامة وبين تاثيرات الكواكب واما الاحكام
المنسوبة الى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع والهند اولوا طريقة اخرى

في الاحكام

الهام

في الاحكام اخذوا من خواص الكواكب لا من طبايعها ورتبوها على الثوابت لا على السيارات واما
اصحاب الهياكل واصحاب الاشخاص فهم من فرق الصابية والفرق بينهما كما اشرنا اليه وهو
ان اصحاب الروحانيات لما عرفوا ان لا بد للانسان من متوسط ولا بد للمتوسط من ان يرى فيتوجه
اليه ويتقرب ويستفاد منه فزعوا الى الهياكل التي هي السيارات وكانوا يسمونها اربابا والهة
والله تعالى رب الارباب واله الالهة ومنهم من جعل الشمس اله الالهة ورب الارباب وكانوا
يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيات تقربا الى البارئ تعالى لاعتقادهم بان الهياكل
ابدان الروحانيات ونسبتها الى الروحانيات نسبة اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء الناطقون
بحيوة تلك الارواح ولا شك ان من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه ثم استخرجوا من
عجايب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان يقضى منه العجب من الطلسمات والنيرنجات
وغيرها من السحر والكهانة والتنجيم والتعزيم والخواتيم من الصور وهذه كلها من علومهم
واما اصحاب الاشخاص فقالوا اذا كان لا بد من متوسط متوسل به وشفيع يتشفع اليه
والروحانيات وان كانت هي الوسائل لكنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبها بالالسن
لم يتحقق التقرب اليها الا بهياكلها ولكن الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت
لطلوعها وافولها فتحضرها بالليل وخفاءها بالنهار فلا بد لنا من صور واشخاص موجودة
قائمة منصوبة نصب اعيننا نعكف عليها ونتوسل بها الى الهياكل فنتقرب بها الى الروحانيات
وبها الى البارى فنعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاتخذوا اصناما واشخاصا على مثال
الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وصنعوها من الاجساد السبعة المنطرقة من الحديد
والنحاس وغيرهما وراعوا في ذلك الزمان والوقت واليوم والساعة والدرجة والدقيقة
وجميع الاوصاف النجومية فتقربوا اليه في يومه وساعته وبخروا ببخوره وتختموا بخاتمه
ولبسوا لباسه وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسالوا حاجتهم منه فيقضون [illegible] كان
يقتضي حوايجهم بعد رعاية هذه الاضافات وذلك هو الذي اشار اليه قوله فلا تجعلوا
لله اندادا فاصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب اذ قالوا بالهيتها واصحاب الاشخاص
هم عبدة الاوثان اذ سموها الهة في مقابلة الالهة السماوية وقالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وقد ناظر الخليل على نبينا وآله وعليه السلام هؤلاء الفريقين
فابتدا بكسر مذاهب الاشخاص وذلك قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وتلك
الحجة ان كسرهم قولا وفعلا لقوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ولما كان ابوه
آزر هو اعلم القوم بعمل الاشخاص والاصنام ورعاية الاضافات النجومية حق الرعاية ولهذا

كانوا يعبدون هذه الاصنام لامر غيره كان اكثر حججه معهم واقوى الالزامات عليهم اذ قال عليه السلام
لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اريك وقومك في ضلال مبين ثم عدل الى كسر مذاهب اصحاب
الهياكل وكما الهاه الله الحجة على قومه قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين فاطلعه على ملكوت الكونين وسر العالمين تشريفا له على الروحانيات
وهياكلها وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابية وتعريفا ان الكمال في الرجال
فابتدأ بابطال مذاهب اصحاب الهياكل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي على وزن
الزامه على اصحاب الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والا فما كان الخليل كاذبا في هذا القول
ولا مشركا ولا شاكا في تلك الاشارة ثم استدل بالافول على الزوال والتغير والانتقال بانه
لا يصح ان يكون الها فان الاله القديم لا يتغير ولا يحتاج الى غيره وعن هذا انما استدل
عليهم بالطلوع وان كان الطلوع اقرب الى الحدوث من الافول فانهم انتقلوا الى عمل الآخر
لما اعتراهم من التحير بالافول فاتاهم الخليل من حيث تحيرهم فاستدل عليهم
بما اعترفوا بصحته وذلك ابلغ في الاحتجاج فان قلت ما يرجع حاصل مذاهب عبدة الاصنام
بل عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع منها قلنا لما تقربوا اليها وخلعوها
وسموها آلهة جرى حالهم مجرى من يعتقد انها آلهة مثل قادرة وبخالقه ومضادة
شنع عليهم واستفظع شأنهم سيما اذا كانوا اعداء لاهل الحق مخاصمين للانبياء عليهم السلام
فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم بان جعلوها اندادا وكثيرة ما لا يصلح ان يكون له من فقط ولا
يغنيه في عبادة الحنيفية والاخلاص ودفع الوسائط من البين تتمة
زعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام
اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه اربابا
نستنصرها فننصر ونستقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم الموسوم
هبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك اول ما كان يشاهدونه
الاكناف واعلم ان من بيوت الاصنام المشهورة عمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة
صنعاء وهدمه عثمان ومنها نوبهار بلخ الذي بناه منوشهر الملك على اسم القمر وكان لقبائل
العرب اوثان منها ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان
ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى
لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم
عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حتى قتلوهم

ودق

وقد نقلنا شيئا من الدال على توحيد الباري قوله جل اسمه وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين
ان الله سبحانه لما اقام الدلائل الباهرة والحجج القاهرة على اثبات التوحيد وتحقيقه وابطال
الاشراك وهدم قواعد الانداد والاضداد وعرف العقول بان من اشرك فقد عطل ميزان
عقله عن الاستعمال وباع رأس مال فطرته باتباع الارذال وتقليد الجهال وعطل ما انعم الله
عليه من نور العقل والتمييز بظلمات الوهم والخيال عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات النبوة
لتبيين احوال المبعوث على كافة البرية وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزا وارآهم الجيهم الى
الاعتراف بذلك والا فحظهم الله بما زين لهم حيث القرآن وذوق مشارب الايمان و
حقايق العرفان على اهل هذه الظلمات ومقابر الاموات والراقدين في مراقد الجهال فانتزع
فجعل اعراض المعرضين عن مطالعة كتابه واعراض المعترضين على سيد احبابه حجابا من حجب
عزته ومراداته من مراده وتعزيزه لتجليه للرسل وكتابه المنزل فلا يشاهد المعرضون عن الله
حبيبه ولا يطالع المعترضون على الله كتابه فلم يؤذهم بيان النبي صلى الله عليه وسلم واعجاز القرآن الا ريبا
على ريب وخسارا على خسار كما قال الله وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فلما احتجبوا
عن مشاهدة انوار الحبيب وعموا عن مطالعة آيات الكتاب اقام عليهم حجج البينة اعلاما
عن الحجة وايذانا باخراجهم عن الصراط المستقيم وتنكبهم عن الصراط القويم وارآهم كيف يتعرفون
ما اتى به عبده من عند الله كما يدعي اولهم من عند نفسه كما يدعون ونفوس البشر هي نفوس
البشر متماثلة وانما التفاوت والتفاضل بامور فوق ذلك فان تتبعتم عليها من الله فلو كانت النبوة
كسبية او كان القرآن الفاظا تاليفية لما عجزوا عن آخرهم عن اكتسابها ومعارضته فانهم
الى ان يجربوا انفسهم ويمتحنوا اذواق طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته هل يقدرون على
الاتيان بمثل ما اتى به وان كانوا من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وتوافرهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعارضة والمعاداة فوقعهم ما يعرفهم اعجازه ويعرفون انه من عند الله كما
يدعيه وانما سماه عبدا مطلقا مقيدا به ولم يسم غيره من الانبياء عليهم السلام الا
بالعبد المقيد المقرون باسمه كما قال واذكر عبدنا ايوب واذكر عبدنا داود وغيرهما وفي ذلك
كمال العبودية ما تهيأ لاحد من العالمين الا الحبيب صلوات الله عليه كمال الحرية عما سوى
الله بقطع منازل الخلق والامر كلها وطي معارج الملك والملكوت والخروج عن مكامن الطبائع
الانسية ومطاوي اسرار الانانية الى فضاء مشاهدة الاحدية وعرصة فناء اللاهوت
وهو المختص بهذه الكرامة كما اثنى الله عليه بذلك اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى

فلما اختص بهذه الخاصية اكرم بهذه العبودية وسمى باسم العبد المطلق كما قال فاوحى الى عبده
ما اوحى وهو المعتبر في رتبته الشريفة في التشهد على الرسالة وانما ذكره في هذه الآية بعبدنا
لان امره في الآية المتقدمة بالعبودية خالصة لله بترك الانداد ورفض الحجاب من الدنيا والهوى
والنفس وشهواتها من الروابط الجسمانية والملاذ النفسانية وما صح لاحد من العالمين من العبودية
الخالصة كما صح له صلى الله عليه وآله فذكره في هذا المعرض وسماه به واضافه الى ذاته تنبيها على
منزلته فقال وان كنتم مما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وآله الذي يحصل الطاعة والخدمة
وكمال العبودية ولا مستقلا بانعام الوحي وتنزيل القرآن فاتوا بسورة من مثله وانما
قيل نزلنا على عبدنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد نزوله على نهج التدريج والتنجيم
وهو مجرى مكان التحدي لانهم يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما
سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على سنن اهل الخطابة والشعر حيث صدر عنهم
ويضع بالحصر مضامين الاشعار والخطب حسب ما عن لهم من الاحوال وتجدد عليهم من الحاجات
ولم يلق الناظم ديوان شعره دفعة والمترسل الخطب مجموعه دفعة ولو نزل دفعة واحدة لما جاء منه على الله
عنهم وكما قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فبين الحكمة في ذلك بقوله
كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وذلك لان الله تعالى يحتج بنبيه باوضح حجة
وافحم فازاح عليهم وادحض حجتهم بان قال ان ارتبتم في هذا الذي وقع الى اهلكما
على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نجم من نجومه وقسم من اقسامه وسورة من سوره او آيات من آياته
وهذا غاية الالزام ونهاية التبكيت التي للمحجوج لمنازعات الكلام لاتيان المثل او ما يقرب
لو وجد مثلا او اخذ من بحر اقرانه واعوانه كما قال لو كان بعضهم لبعض ظهيرا وانما قلنا قال
بمثاله ولا بما يقرب منه فهو علم عجزهم فهذا اوضح الطرق للدلالة على ان القرآن معجز ودليل
لا يحتمل الامر احد وجوه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بقدر لا ينقض العادة
او زائدا عليه بقدر ينقض العادة والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلان الاول فلانه صلى الله
عليه وآله تحدى بالقرآن ودعاهم الى الاتيان بسورة مثله مع افاضل البلغاء والفصحاء مع كثرتهم
الوهنا وحتى البطحا وكانوا في معرفة اللغة والاطلاع على قوانين الفصاحة في الغاية كانت شهرتهم
بغاية العصبية والعناد والحمية الجاهلية والالداد في المقابلة وكان همهم كلهم على المباهاة
والمبالاة والدفاع عن احسابهم وركوب الشطط في هذا الباب خارجا عن الحد وتحدى بالتحدي
آثروا المقارعة على المعارضة بالمثل ولا اقل منه تقاعدا وتاخرا فاحش لما رضوا بمعارضته المثلى
لا بمعارضة السيف والسنان ولم يتكلفوا ضرب المهالك والمخمصة ولم يبذلوا النفوس والاموال في ترديد

والعلن

والعلن اذا المعارضة اقوى القوادح ولو عارضوا لاشتهر وتواتر نقله الينا لتوفر الدواعي وعدم
الصارف والعلم بجميع ذلك يجري مجرى الضروريات كسائر علوم العاديات لا يقدح فيه احتمال انهم
تركوا المعارضة مع القدرة عليها او عارضوا ولم ينقل الينا لمانع كعدم المبالاة وقلة الالتفات
والاشتغال بالمهمات وادنى ما يبطل الاحتمالين ثبت ان القرآن لا يماثل كلام سائر الفصحاء ذوي
الالتفات بينه وبين كلامهم ليس تفاوتا معتادا فهو اذا تفاوت خارج عن العادة بالغ حد الاعجاز
فالقرآن اذن معجز فصل في جهة الاعجاز القرآن اعلم ان القرآن فالجمهور على ان ذلك لاجل كونه
في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم
وعلماء الفرق بمهارتهم في البيان واحاطتهم باساليب الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن الغيبيات
الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وغوامض المعارف الربانية واحوال المبدأ
والمعاد والارشاد الى مكارم الاخلاق والى فنون الحكمة العالية والمصالح الدينية والدنيوية
على ما يظهر للمتدبرين ويجلى للمتفكرين وعلى ما هو فوق هذا كله وورا طور العقول مما
لا يظهر الا للراسخين في علوم الاذواق والمستفيضين بانوار عالم الاشراق وذهب من علمائنا
الامامية السيد المرتضى رضي الله عنه وجمع من المعتزلة الى ان اعجازه بالصرفة وهي ان الله
صرفهم المتحدين عن معارضته مع اقتدارهم عليها او ذلك اما بسلب قدرتهم او صرف دواعيهم او
العلوم التي لا بد منها في الاتيان بمثل القرآن بمعنى انها لم تكن حاصلة لهم او بمعنى انها كانت
حاصلة فازالها الله والاخير هو المختار عند المرتضى واحتجوا اولا بانا نقطع بان فصحاء
العرب كانوا قادرين على الكلام بمثل مفردات السورة ومركباتها القصيرة مثل الحمد لله ومثل رب
العالمين وهكذا الى الآخر فيكونوا قادرين على الاتيان بمثل السورة وثانيا بان الصحابة
عند جمع القرآن كانوا يتوقفون في بعض السور والآيات الى شهادة الثقات وكان ابن مسعود قد
بقي مترددا في الفاتحة والمعوذتين ولو كان نظم القرآن معجزا بفصاحته لكان كافيا في
الشهادة والجواب عن الاول ان حكم الجملة قد يخالف حكم الاجزاء وهذا بعينها شبهة من نفى
الاجماع والخبر المتواتر ولو صح ما ذكر لكان كل من احاد العرب قادرا على الاتيان بمثل قصائد فصحائهم
كامرئ القيس واضرابه واللازم قطعي البطلان وعن الثاني انه بعد صحة الرواية وكون الجمع بعد النبي
لانه في زمانه وكون كل سورة مستقلة بالاعجاز ان ذلك كان للاحتياط والاحتراز عن ادنى تغيير لا
يخل بالاعجاز وان اعجاز كل سورة ليس مما يظهر لكل احد بحيث لا يبقى له تردد اصلا وقيل اعجازه
بنظمه الغريب المخالف لما عليه كلام العرب في الرسائل والاشعار والخطب وقيل بسلامته من الاختلاف
والتناقض وقيل باشتماله على دقائق العلوم وحقائق المصالح والحكم وقيل باخباره عن المغيبات

ورد الاول بان فيها آيات سليمة ومن جرى مجراها ابين على ذلك النظم والثاني بانه كثيرا ما يسلم كلام
البلغاء عن الاختلاف والتناقض ولذلك يشتمل كلام الحكماء على دقايق العلوم والحكم وفنون
والرابع بان الاخبار عن المغيبات لا يوجد الا في قليل من الآيات فيشكل في تحدي الطوال من
في القرآن واعلم ان اشراف العرب وكبراءهم كانوا حذاقهم في اساليب الكلام وقد عادوا
للاسلام اجتهدوا في ابطال ما ادعوه دون القدح فيه ولم ينسبوه الى السحر على ما هو دأب
المحجوج المبهوت متعجبا من فصاحته وحسن نظمه وبلاغته واعترفوا بانه ليس من جنس خطب الخطبا
واشعار الشعراء وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ثم آثروا المقارعة
على المعارضة والمقاتلة على المقاولة وأبى الله الا ان يتم نوره على كره من المشركين وقد طعنوا في
المعاندين وحيث انتهى الامر الى من بعدهم من اعداء الدين وفرق الملحدين اخترعوا مطاعن
لا اصل لها تلبيسا على الناس وضحكة للناظرين منها ان فيه كلمات غير عربية كالاستبرق والسجيل والقسطاس
والمشكاة فكيف يصح انه عربي مبين ورد بان ذلك من توافق اللغتين والمراد انه عربي النظم والتركيب
او الكلام وارد على سبيل التغليب ومنها ان فيه خطأ من جهة الاعراب مثل ان هذان لساحران وان
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ولكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة ورد بان كل ذلك صواب على ما بين
في علم الاعراب ومنها ان فيه ما يكذب حيث اخبر بانه لا يقدر البشر بل الانس والجن بمثل سورة
منه واقل السورة ثلاث آيات [illegible] بانه هو [illegible] افصح منه مقدار [illegible] عشر
آية منه وهو [illegible] الى قوله [illegible] ورد بان الحكم
لا يلزم ان يكون بهذا النظم بعينه على ان المختار عند البعض ان التحدي بسورة من الطوال
او عشر من الاوساط ومنها ان فيه متشابهات يتمسك بها اهل الاهواء كالمجسمة بمثل الرحمن
على العرش استوى ورد بان ذلك لنيل المثوبة بالنظر والاجتهاد في طلب المراد [illegible] الرجوع
الى الراسخين في العلم ومنها ان فيه تكرارا بلا فائدة كاعادة قصة فرعون في عدة مواضع وكاعادة
فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتي الرحمن والمرسلات ورد بانه انما يكون
في محاسن الكلام على ما يعرفه علماء البيان فيما وقع منه [illegible] ومنها ان فيه قوله لو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والآن نجد فيه من الاختلاف المسموع من اصحاب القراءة ما لا يخفى
على [illegible] ورد بان الاختلاف المنفي هو تفاوت مراتب البلاغة بحيث يكون بعضه قاصرا عن
مرتبة الاعجاز [illegible] على ما صرح [illegible] الكلام والاخبار [illegible] الظن فاسد من اصله لانه
استدلال بثبوت اللازم على ثبوت الملزوم لا نقول [illegible] هو مبني على ان كلمة لو في اللغة تفيد انتفاء

لجزاء

الجزاء لانتفاء الشرط بمعنى ان عدم وجدان الاختلاف بسبب انه ليس من عند غير الله اما على ويحتمل
كلمة لو في الآية على ما هو قانون الاستدلال كما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فهو استدلال
بنفي اللازم على نفي الملزوم اي لو وجد فيه الاختلاف فلم يكن من عند غير الله ومنها ان
فيه التناقض كقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله فوربك لنسألنهم اجمعين
عما كانوا يعملون وكقوله ليس لهم طعام الا من ضريع مع قوله ولا طعام الا من غسلين الى غير ذلك من
مواضع يتوهم منها تنافي الكلامين ورد بمنع وجود شرائط التناقض وقد بين ذلك في التفاسير
منها ان فيه الكذب المحض كقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فالعطف
بثم الامر بالسجود لم يكن بعد خلقنا وتصويرنا ورد بان المراد خلق ابينا آدم وتصويره ومنها
ان فيه الشعر من كل بحر فقد قال [illegible] الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
ومن المديد واصنع الفلك باعيننا ومن البسيط فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ومن الوافر ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومن الكامل والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن الهزج
تالله لقد آثرك الله علينا ومن الرجز دانية عليهم ظلالها ومن الرمل وجفان كالجواب
وقدور راسيات ومن السريع او كالذي مر على قرية ومن المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة
ومن الخفيف ارأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ومن المضارع يوم التناد يوم تولون
مدبرين ومن المقتضب في قلوبهم مرض ومن المجتث [illegible] من المؤمنين في الصدقات ومن
المتقارب واملي لهم ان كيدي متين ورد بان مجرد كون اللفظ على هذه الاوزان لا يكفي بل لا بد
من القصد الى الوزن [illegible] على ان في كثير مما ذكر نوع تغيير ولو سلم فالمعتبر
ان المراد من الشعر المنفي هو المخيلات والمبالغات في تحسين الاشياء وتقبيحها مع رعاية
النظم [illegible] ولا مجرد النظم الواقع في الكلام المطابق للحق [illegible] فصل
في معنى السورة قيل هي اما مستعارة من سور المدينة لاحاطتها بما تتضمنه من اصناف المعارف
والاحكام كاحاطة السور بما يحتوي عليه [illegible] اي المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة
ومنه قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب اذ كل واحدة
من السور الكريمة مرتبة في الفضل عالية ومنزلة في الشرف رفيعة فكان القارئ يرتفع من كل منزلة
الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن [illegible] اولانها توجب علو درجة
تاليها وسمو منزلته عند الله سبحانه وقيل واوها مبدلة من الهمزة اخذا من السؤر بمعنى البقية
والقطعة من الشيء واختلفوا في رسمها عرفا فقيل الطائفة من القرآن مصدرة بالبسملة او [illegible]
فاذن على عكسه سورة الناس [illegible] على بعض اجزاء سورة النمل وقيل طائفة

من القرآن مترجمة بترجمة خاصة وتنقض طرده بآية الكرسي ويرد بأن المراد بالترجمة الاسم
ثلاث آيات فصاعدا مخصوصة وانتقض بآيات القول بطلوع سورتي الاسرا والكهف مثلا وحذف التسمية دون
آية الكرسي لا يخلو من خصوصية وقيل ولا وجه له ان يراد بالترجمة ما يكتب في العنوان وعند ترجمة
الكتاب والمراد بها هنا ما جرت العادة برسمه في المصحف المجيد عند اول تلك الطائفة من نوعها
وعدد آياتها ونسبتها الى الحد الجزئي اقول والامر في تحقيق امثال ذلك هين تذكرة
قد ذهب جماعة من قدماء الائمة الى ان الضحى والم نشرح سورة واحدة وكذا الفيل ولايلاف و
هو مذهب جماعة من فقهائنا رضوان الله عليهم ورجحه شيخنا بهاء الملة والدين رحمه الله هذا القول وان
كان يرجح من السلف والخلف الا ان الحق خلافه واستدلالهم بالارتباط المعنوي كما يصححها ويقول
الاخفش والزجاج ان الجار في قوله عز وعلا لايلاف قريش متعلق بقوله جل شأنه فجعلهم كعصف مأكول
وبعدم لايلاف قريش متعلق بقوله جل شأنه فجعلهم كعصف مأكول وبعدم الفصل بينهما في
مصحف ابي بن كعب ضعيف لجواز الارتباط بين كثير من السور التي لا خلاف في تعددها فان كون
هذا من ذاك وكلام الاخفشين لا ينهض حجة في امثال هذه المطالب فتعلق الجار بقوله
سبحانه فليعبدوا رب هذا البيت لا مانع عنه وعدم الفصل في مصحف ابي لعله سهو منه
على انه لا يصلح معارضا لما في مصاحف الائمة واما ما ذكره جماعة من متأخري اصحابنا الامامية
رضوان الله عليهم كشيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي في التبيان وثقة الاسلام ابي علي الطبرسي في مجمع
البيان من ورود الرواية بالوحدة عن ائمتنا عليهم السلام فهذه الرواية لم نظفر بها وما
اطلعنا عليه من الروايات التي تضمنتها اصولنا لا يدل على الوحدة بشيء من الدلالات بل لعل دلالة
بعضها على التعدد اظهر واقصى ما يستنبط منها جواز الجمع بينهما في الركعة الواحدة وهو غير الدلالة
على الوحدة بمراحل وما نشرنا بشاهدة في شرحنا ... واما ما ان الحسن ... من المصاحف التي
قد شاع وذاع في تلك الاعصار ان بعضها بخطه وبعضها بخط آبائه الطاهرين سلام الله عليهم يعضد
ما قلناه من التعدد فان الفصل في تلك المصاحف بين كل من تلك السور الاربع وصاحبتها على نحو
الفصل بين البواقي انتهى كلامه فان قيل ما فائدة تقطيع القرآن سورا قلنا ذكرت فيه وجوه منها
ما لاجله بوبت المصنفون كتبهم ابوابا وفصولا ومباحث واولها التراجم والعنوانات تسهيلا للحفظ
والضبط ولان الجنس اذا احتمل تحته انواع كان افراد كل نوع من صاحبه بسورة احسن فيه فانفراد
الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من كتاب الله
ثم اخذ في آخر كان انشط له ومنها ان الحافظ اذا حذق طائفة مستقل بعضها بحيال في نفسه
ذلك ويغتبط به ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة فضيلة تنشيط القارئ وتسهيل الحفظ

والترغيب

والترغيب فيه والتعليل كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس
ذلك منه ونشط للسير ومن ثم جزئ القرآن اسباعا واجزاء وعشورا وقيل ان في القرآن ميادين
وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياض وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتينه
والحواميم مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحواميم ديباج القرآن والمفصل رياضه
والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير
وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك ومنعه
ولم يكن شغله عن تفكره وتدبره فيه شاغل فذلكة قد وقع التحدي بالقرآن كله
وتارات تارة بقوله فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى وتارة بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن وتارة بقوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وتارة بقوله قل فأتوا
بسورة من مثله وذلك لكون التحدي يبتني على عدة مراتب متنازلة يكون اقوى وابلغ نظيره
لمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول ائتني بمثله ائتني بنصفه ائتني بربعه ائتني بمسألة مثله
هذا هو النهاية في ازالة العذر وازاحة الشبهة واعلم ان هذا دال على ان القرآن بما هو عليه
من كونه سورا هو على حد ما انزل الله لا كما اشتهر من انه وقع الترتيب في ايام عثمان فصل
الضمير في مثله عائد الى ما نزلنا ومن للتبعيض او التبيين وزائدة عند الاخفش اي فأتوا
بسورة مماثلة للقرآن في الفصاحة وحسن الترتيب وقيل الى عبدنا ومن للابتداء اي فأتوا
بسورة كائنة ممن هو على حاله بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء او صلة فأتوا
فالضمير للعبد ورجح الاول بوجوه احدها انه المطابق لسائر آيات التحدي لا سيما ما في سورة يونس
فأتوا بسورة مثله والثاني ان الكلام مسوق في التحدي به لا في المنزل عليه فوجب صرف الضمير
اليه ليتسق الترتيب ويحسن النظم والثالث ان مخاطبة الجماعة الكثيرة بأن يأتوا بمثل ما اتى
به واحد من ابناء جنسهم في البشرية ابلغ واقوى في التحدي من ان يقال لهم ليأت آخر مثله بنحو
ما اتى به هذا والرابع ان القرآن معجز في نفسه كامل في حقيقته كما قال سبحانه قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وعند عود الضمير الى محمد صلى الله عليه وآله يفيد ان
كونه معجزا انما يحصل ويتم عند تقدير ان يتوهم نقصا في حقه من كونه اميا بعيدا عن العلم
حاشى الجناب المصطفوي الختمي على الخاتم به وآله الصلاة والسلام عن ما يوهم حطا في
حقه او نقصا في نفسه بل كما شرف ذاته بالقرآن قبل النزول تشرفت قبل نزوله بعلومه الجمة
فأتوا بعقليته كان تهيأ ويستعد لها من بين الخلائق كلهم لمشاهدة الوحي الالهي وتلقي
القرآن من لدن حكيم عليم ولكن زعمه اكثر الناس من لا اطلاع لهم على معنى النبوة وحقيقة الرسالة

من انه قبيل الخشية لم يكن من اعطاه الهم حاشاه عن ذلك كيف ولا شرف ولا فضيلة بالحقيقة
لنفس الانسان الا بالعلم والمعرفة وبذلك يتميز عن الاكوان ويفوق على سائر الاكوان وكونه
صلى الله عليه اميا لا ينافي افضليته على الخلق لان تعلم الخط والكتابة ليس من الفضائل الكاملة
والكمالات العقلية بل هو من الصنائع الوضعية المتعلقة بادراك الحواس في نقشها كسائر العلوم
الجزئية دائرة باندراس الحواس في كل ما من شانه الوجود والزوال فليس في شيء من الشرف في
الكمال الخاص ان رد الضمير اليه لا الى المنزل لدل على امتناع صدوره من البشر مطلقا فهذا اولى
واوفق بقوله وادعوا شهداءكم من دون الله فصل الشهداء جمع شهيد من الشهود وهو
الحضور سواء كان في العيان او في العلم بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد
لانه يحضر ما كان يرجوه او الملائكة تحضره ويطلق على القائم بالشهادة والناصر والامام فكانه
سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضرهم الامور والمراد من الشهداء هاهنا من ادعوا انه الالهية
من الاوثان واما اكابرهم ورؤساؤهم لانها تشركا فانهم كانوا يعتقدون فيهم كونهم
انصارا واعوانا ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه دون الكتاب لانه ادنى البعض من
البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف ومنه الشيء الدون ثم استعمل اتساعا في تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى غيره قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن
دون الله متعلق اما بشهداءكم او بادعوا اما على الاول فيحتمل معنيين احدهما ادعوا الذين
للمعارضة زعمتم انهم الهتكم من دون الله وشهداؤكم يوم القيامة على انكم محقين وثانيهما ادعوا
شهداءكم من دون اولياء الله وغير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله فعلى الاول
حيث وقع الامر بهم بان يستظهروا بالجمادات في معارضة غاية التهكم بها والتبكيت وعلى الثاني
اشعار بان شهداءهم لما كانوا فرسان الفصاحة يابى عليهم طباعهم السليمة الرضا بالشهادة
الكاذبة لاولئك المدعين واما على الثاني ففيه ايضا معنيان احدهما ادعوا للاتيان بسورة
مثله كل من حضركم او تصورتم ممن معونته دون انسكم وجنكم او اعوانكم وانصاركم والهتكم
غير الله فانه لا يقدر احد على اتيان ما سوى الله ان ياتي بمثله وثانيهما ادعوا من دون الله
شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم مثله ولا تستشهدوا بالله فان من ديدن المبهوت
العاجز ان يقول الله يشهد اني لصادق وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم عن
البحث لا بمثل هذا القول مسألة اعلم ان هذا التحدي يبطل مذهب الجبر كما ذكره القاضي لانه مبني على

تقدر

تقدر مثله ممن يصح وقوع الفعل منه فمن نفى كون العبد فاعلا اصلا لم يمكنه اثبات
التحدي ويلزمه منه ابطال الاستدلال بالمعجزات لان تصديقها ووقوعها من الغير يكون لتعلق
القدرة ويحصل في ذلك ما يكون معجزا وما لا يكون وايضا فاذا كانت الافعال كلها
من الله فكل ما طلب من العبد من التحدي يرجع في التحقيق الى الله تحدي لنفسه وهو قادر
على الاتيان بمثله من غير شك فيجب ان لا يثبت الاعجاز على هذا القول وايضا ان كون
النبي صلى الله عليه وآله كان يحتج بان الله قد خصه بالقرآن تصديقا في دعوى الرسالة فلو لم يكن
من قبله تعالى لم يكن داخلا في الاعجاز وعلى القول لم يبق فرق بين المعتاد وغيره لان
الكل لا يكون الا من فعل الله هذا هو المذكور وهذا المقام وهو حجة قوية الالزام واجاب
عنه صاحب التفسير الكبير بقوله ان المطلوب من التحدي ان ياتي الخصم بالمتحدى به قصدا وان
لم يتم ذلك منه تحقيقا والقائل باطل لان الانتفاء لا يكون في وسعه وعلى الاول ايضا
بالتحدي به موقوف على ان يحصل له قدرته قصد اليه فذلك القصد ان كان منه لزم الشيء
وهو محال وان كان من الله فقد يعود الجبر ويلزم منه كل ما اورده علينا فيبطل كل ما ذكره اهل
ومن الله الهداية والعصمة ان هذا التحرير يدل على عدمه في البحث والتحرير لم يرق بجده
يبتني على ما هو مذهب الاشعري واتباعه وما هو مذهب القائلين بالعلة والمعلول وان
البعض مما لم يحصل له وجوده وان ترجيح احد المتساويين بلا مرجح وان الممكن من حيث
امكانه يستحيل وجوده ولا عدمه الا بسبب ذلك لانه بناء على هذا الالزام من ابطال التحدي
على رأي اصحابه انما يتم لا بالاسباب والعلل من جهة ان نسبة التحدي وغير المتحدى الى المتحدى
به واحدة والسبب ولا واحد منهما ما له مدخل في وجود ذلك الامر بوجه من وجوه المدخلية
ككونه فاعلا او غاية او شرطا او معدا او غير ذلك من الاسباب والشروط فلا يصح
بان يختص بواحد دون واحد واما اذا كان وجود الفضائل والكمالات وفيضان
العلوم والخيرات من الله على بعض النفوس والذوات دون بعض من جهة اعمالهم النافعة
الموجبة وبنيابة المشتغلة بالمهنية وفكرهم وذكرهم وطاعتهم وعبادتهم فلا يرد ذلك اصلا
لان تلك السوابق مختصات للعبد يتحقق في نفسه خاصة وتلك السوابق وان كانت كلها
ايضا واردة عليه من قبل الله من جهة الابعد من ذات العبد الا انها تقرب وترفعه الى الله
فتختص بقبول العنايات الالهية فيصح لاحد على هذا الوجه دعوى النبوة واثباتها بالتحدي
بمعجزات فائقة على فضائل سائر الناس ومنقبة فائقة على مناقبهم خارجة عن حد طاقتهم
دفعة تعجزهم وبالتالي هم لا يمكن حل ابطاله قطعا بان هذا التحدي ليس فعلك بل من فعل الله

فان اختصاصه لوليه واتصافه بخصال الخير دون اقرانه وامثاله لان هذه
الامور وان كانت حاصلة بقضاء الله وتقديره الا ان قضاءه وقدره بوجدان ما يوجدان
بتوسط معدات زمانية وسوابق واسباب وبواعث كلها راجعة اليه ايضا ومن جملتها
ارادة العبد وطاعته وذكره وعبادته فنوافل الطاعات ومقدمات لها والمدمن عليها يوجب
القرب الى الله تعالى وهذا القرب قرب معنوي ودنو عقلي بحسب الشرف والفضيلة الذاتية لا بحسب
الوضع والرتبة المكانية وافراد البشر وان كانت متساوية في الجسمية والبشرية لكنها متفاوتة
في كمالها الى الاعراض وتطرقها في الاطوار واكتسابها الخيرات والشرور واتصافها بالفضائل و
الرذائل بقصر منها الغير الذوات والصفات بحسب الموازين والتفاوت في العلو فمنها ما هو ابيض
منير كالشمس ومنها ما هو اسود مظلم كالفحم فهل هذه الصفات الا امور ذاتية مجعولة من الله
حاصلة من مواهبه وعطاياه وليت افراد الانسان متساوية فيها كما قال تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون في النوع وادام لم يكن متكون العبد الا انها مخصوص من الله على قلب
مطهر بطهارة الاخلاق والرياضات منور بنور المعارف والخيرات لكن يكون من جملة عبيد
السلطان يصفيه من الارجاس والاخباث والكثائف ويلطفه بفنون التلطفات
ويطيبه بانواع الطيب والبخورات الحسنة اسطار الفضل وعمهما لو يفصل بما بين العبيد
فليس من الحكمة والعدالة والسلطان الحجيج فهكذا قال الشيخ كان طاهرا كالسقف المرفوع
من جميع الخبائث النفسانية والصفات البشرية منورا كالبيت المعمور بانوار العلوم
والطاعات فطاف بيت الله فيه آيات بينات منها مقام ابراهيم من التوحيد وسائر المقامات
فاقبل اولا الى اهل بيته عليهم السلام فامطر عليهم من سماء عنايته امطار العلوم واحيى
قلوبهم باضواء المعارف فتربى بالعلم والهدى ظاهرهم وباطنهم ثم اقبل على الامة
فتلاطم كالبحر مواج بمياه العلوم فاستقبلته اودية القلوب العقول وانهارها وجداول
الفهوم وسواقيها وجرى من بحره في كل واد والجداول ما قدر من قلوب العلماء قسط ونصيب
لائق وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه في الدين وبالجملة فالامر ساطع من العالم
من تعظيم العالم لو رواها من الجاهل ارسال الرسل وانزال الكتب والهداية واعلام طريقي
الخير والشر وسبيل الطاعة والمعصية والهداية والضلالة وسائرها يتوسط بين ذلك التخمين
والجزاف والعبث الاتفاق من غير رعاية لانه وقضاء ثابت حتى يمكن انه كل شيء
الضلالة وترتب كل اثر على نقيضه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله ان كنتم صادقين فيه شرط حذف جوابه الا انها قبله عليه اي ان كنتم صادقين

في ان القرآن كلام البشر والاتيان بمثله ممكن فأتوا بمثل سورة منه والصدق هو الاخبار مطابقا عن
الواقع والمراد من الواقع ما في نفس الامر اي وجوده الذي في نفسه لا بتعمل الوهم واختراعه
فالامر بمعنى الشيء واعترض عليه بان بعض الاشياء كالقضايا الذهنية مما لا وجود له الا في الذهن
نصدق الحكم فيها على الشيء حكما ايجابيا يستدعي مطابقا خارجيا وليس لها مطابق خارجي اصلا و
كالحكم بان التناقض محال والعدم نفي محض واجيب بان المغايرة بين المطابق لا يجب ان يكون
حقيقيا بل مطلق المغايرة الشاملة للحقيقية والاعتبارية بينهما كاف في صدق الخبر فههنا مغايرة
اعتبارية بمعنى ان هذه النسبة الموجودة في الذهن مطابقة لنفسها من حيث انها موجودة
في نفسها لا بتعمل العقل وان كان وجودها وتحققها في نفسها هو بعينه وجودها في الذهن فهي
من حيث وجودها في الذهن مغايرة لها من حيث وجودها في نفسها وتفصيله كما ذكره بعض اهل
التحقيق ان النسبة اذا وجدت في الذهن كان لها وجود ذهني سواء كان باختراع العقل
وتعمله كالحكم بزوجية الثلثة او بدون اختراعه كما في الصادق فالاولى ليست موجودة
في حد ذاتها بل باختراع وتعمل من العقل والثانية موجودة في نفسها مع قطع النظر عن اختراع
وتعمله وان كان وجودها في نفسها لا يكون الا في الذهن الا انها موجودة فيه بدون تعمله وتعمل
فهي من حيث انها موجودة في الذهن مطابقة لها من حيث انها موجودة فيه مطلقا بلا تعمل
فالوجود بالاعتبار الاول مطابق بالكسر وبالاعتبار الثاني مطابق بالفتح فالمنظور اليه في الاعتبار
الاول الوجود الذهني وفي الاعتبار الثاني مطلق الوجود في حد ذاته سواء كان في الذهن او في الخارج
فالنسبة الذهنية للصادق مطابقة لما في نفس الامر بالمعنى المذكور حتى انها لو فرضت موجودة
في الخارج ايضا كانت مطابقة لها بخلاف الكاذب فانها في الكواذب لا مطابق لها ولا وجود لها
في نفسها اي بلا تعمل واختراع اصلا لا في الخارج ولا في الذهن وذهب الحكماء الى ان نفس الامر
عبارة عن العقل الفعال عندهم فلذا ذ بالامر هو المعنى المقابل للخلق فيكون مرادهم من الموجود
في نفس الامر الموجود في عالم الامر اي العقل وان ما في اذهاننا من الاحكام ان كانت مطابقة لما في
العقل الفعال كانت صادقة مطابقة لما في نفس الامر والا فكانت كاذبة واعترض عليه بانه لو كان
معنى صدق الحكم ما ذكروه لم يمكن لنا العلم بصدق خبر من الاخبار ما لم نعلم انه مطابق
لما ارتسم في العقل الفعال ورب انسان علم يقينا ان الواحد نصف الاثنين ولم يعرف العقل
الفعال بل ينكر وجوده وبان ما ذكروه من الاستدلال على ارتسام صور المعقولات في جوهر
مفارق هو خزانة معلومات النفس الناطقة هو بعينه جار في الاحكام الكاذبة فيجب عليهم
القول بارتسامها فيه ايضا وبيان ذلك انهم استدلوا على ذلك بالفرق بين حالتي الذهول والنسيان

بان عند الذهول يزول الصورة التي ادركها الانسان من قوة المدركة دون الحافظة
وعند النسيان تزول عنهما جميعا فههنا قوتان احدهما ذات الانسان والآخر جوهر آخر
مفارق فيه المعقولات دائمة بالفعل وزوال الصورة عن حافظة النفس عند النسيان
عبارة عن بطلان استعدادها للاتصال به من جهة الجهة ثم ان الذهول والنسيان كما
يجريان في الصادق يجريان في الكواذب فلو كان المطابق لما ارتسم في الجوهر الذي هو خزانة
المعقولات صادقا موجودا في نفس الامر لكانت تلك الكواذب ايضا صادقة موجودة في نفس الامر
واللازم باطل وكذا الملزوم وذكر العلامة في المطارحات ما ذكرت هذا السؤال لاكابر
نضير الحق والدين فلم يأت بكلام شبع وبان صدق الخبر وصحة الحكم ان كان مطابقتهما لنفس
الامر بمعنى عالم الامر من اقسام الحكمية فما يكون في عالم الامر من الاحكام يلزم ان لا يكون صادقا
اذ لا تغاير بينهما وبين ما في نفس الامر فلا مطابقة بينهما ويمكن الجواب عن الاول بان حقيقة
الصدق وملاكه هو غير عنوانه ورسمه وكثيرا ما يكون الشيء يخفى الماهية وظاهر الانية
كحقيقة الزمان والجسم وغيرهما والعالم بصدق الخبر بشيء من الخواص والعلامات لا يلزم
ان يكون عالما بحقيقة صدقه كما ان العالم بوجود الزمان والجسم لا يلزم ان يكون
عالما بحقيقتهما وعن الثاني بان المطابق لما ارتسم فيه من حيث التصديق به والاذعان صادق
وتلك الكواذب وان كانت مرتسمة فيه لكن لا بوجه التصديق بها والاذعان بل بوجه
الحفظ فان الحافظة لا يلزم ان يكون مذعنا بما يحفظه لا سيما قال بعض الافاضل ان
الحافظ لا يجب ان يكون عند كالها لان حافظة الصور سواء كانت عقلية او حسية لا ينفك
عن المدركة وان كانت جهة الحفظ غير جهة القبول في بعض الاشياء الا ان الحافظ والمدرك
فيهما ذات واحدة بل لان اللازم من الحفاظ صور الكواذب وسائر ما يوجد في هذا العالم
من الشرور والالام وغيرها تصور العقل الفعال لها بوجه من وجوه التصور اللائق
به او لا ترى انهم ذهبوا الى ان العلم بجميع الاشياء السفلية حاصل للمراتب العالية وفيها
النقايص والشرور والآفات والامراض والاوجاع والقبائح الموجودة ههنا وهي مع
ذلك بريئة منها بالكلية لبراءة عالم الامر عن الشر والقبائح كما لا يلزم من تعقل المرض
والآفة والشر ان يكون العالم بها كاذبا لان الكاذب هو المذعن بالكذب لا المتصور له فتصور
الكذب في العقل ليس كذبا كما ان صورة الحركة والحرارة في العقل ليست بحركة وحرارة فارتسام
صور الكواذب في عالم الامر لا يلزم كونها عالمها من حيث التصور بوجه عقلي ولا يلزم
منه حصول التصديق بها ولا الاذعان ومن الناس من قال بان صدق الخبر وصحة الحكم الذي في الجوهر العقلي

المسمى

المسمى عندهم بالعقل الفعال لا يكون لكونه مطابقا لما في نفس الامر بل يكون لكونه بعينه
فيكون صدق الخبر اعم من كونه نفس الامر او مطابقا له ففي التعريف الذي ذكروه من المطابقة
نوع مسامحة من باب عموم المجاز وقد وجدته في كلام بعض الحكماء كما يحكي عن ثولوجيا ما نفهم
منه ان علم المبادي اجل من ان يوصف بالصدق وانما هو الحق بمعنى ان النفي لا المطابق الواقع فلا
حاجة الى ارتكاب التجوز اصلا واعلم ان الحكماء ارادوا بالعقل الفعال عالم الامر كله وهو
عند التحقيق ما فسروه علم الله اللوح المحفوظ الذي كتب الله صورة ما في السموات
وما في الارض بيد القدرة الالهية فالاولى ان يقال ان الصدق بمطابقة الخبر لما في علم
في علم الله والحق هو عين علمه بالاشياء على جهته وقيل لا يكفي في صدق الخبر المطابقة فقط
بل لا بد معها من اعتقاد المخبر انه كذلك النص ولا اهل مدعوا ما ان لا نزعم كذب المنافقين في
قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عن تحقق العلم وهم ما كانوا عالمين بحقيقة الرسول لا ان
ذلك بالبرهان شان اولى العلم والدراية او بالتقليد شان اهل السلامة للقلوب
والصفاء للصدور من الجهل والعناد والاستكبار وكلاهما منتفيان عنهم قوله جل اسمه
وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين لما بين الله لهم ما يتعرف به الصدق الى معرفة احوال الرسول
وارشدهم الى ما يعرف به صحة ما جاء به من فضله ويمتاز به حقه من باطله
امرهم بتقوى النار المعدة لكفار وعنادهم فان لم تأتوا بسورة من مثله وقد ظاهرتم انتم
وشركاؤكم واعوانكم من فصحاء العرب وبلغائهم مع كثرة عددهم كالحصى المحيطات وثبت
لكم عجزكم وعجز غيركم وعلمتم ان الاتيان ببعض قليل من القرآن فضلا عن كله يعجز
على التكذيب وعامل الجزم في تفعلوا لم دون ان لانها الاصل فيه ودخلت الاعمال المختصة
بالمضارع متصلة بمعمولها لانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط
كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك جاز اجتماعهما والاعتراض عنه
فاتقوا النار واحذروا ان تصلوها بتكذيبكم بالحق واعراضكم عن الحق وقوله ولن
تفعلوا جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب معناه ولن تأتوا بسورة من مثله ابدا لان لن
نفي على التأبيد في المستقبل او على التأكيد فيه وفيه مع ما مر في الاية السابقة دلالة على حقيقة
النبوة من وجوه احدها ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع وجميع القدرة
التعدد في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر
سورة من القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة

والتجاوا الى الجلاء عن الوطن والعشيرة وبذل الارواح والمهج وهذا من اقوى الدلائل على اعجاز
القرآن لانهم مع حرصهم على ابطال امره لو كان في امكانهم ومقدورهم الاتيان بمثله او بمثل سورة
منه لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر العجز وعلم المعجز وثبت انه وان كان متهما عند
الاشرار والكفار فيما يتصل بامر النبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل وكمال الفضل و
الحزم بمعرفة العواقب فلو تطرق الشك والتهمة الى ما ادعاه من النبوة لما استجرأ
في دعواه ولم يبالغ في نفسه الى ان يتحداهم بها في التحدي ونهاية في التحريم بالخصوم
غاية بل كان خائفا من وقوع فضيحة بوجود المعارض في جميع اموره حاشاه من ذلك
صلى الله عليه وآله فلولا كان على بصيرة في امره وثقة بربه ومعرفة بعجزهم واعلم
عن المعارضة لما اجترأ على ان يحاجهم على المعارضة بابلغ وجه واكده وقال انهم لن
قاطعا بصحة نبوته لما قطع في الخبر بانهم لن يفعلوا وانهم من قطع اهلها من اولاد البشر لن يأتوا
ابدا بمثل القرآن فان الشاك المجوز لو قوع خلاف ما ادعاه لا يقطع في كلامه هذا
المبلغ مخافة ان يظهر خلافه فيعود الى نقض حجته وقد وجد الله مصداقه ما اخبر
ومطابقا لما وعد لانه لم يتحد احد من اول ما نزل هذه الآية في كل وقت من الاوقات
من اعادي الدين وخصماء الاسلام ومن يقصده والعيب في ما في حصة فيه الا انهم
لم يتوكلوا ولم يتمسكوا به ذلك لم المعارضة فلو عارضوه معارضة لا تمنع خفاؤها عادة
بان الامور الصغار جملة الاخبار ولا تبتاعاته الحكومه سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من
جنود الذين يصدق كل عصر وزمان واعلم ان هذه الآية دالة على بطلان قول من
زعم ان النبي لم يكن يحتج بالادلة العقلية وان القرآن خال عنها لان الله تعالى
قد احتج على الكفار بما ذكر في هذه الآية والزمهم به تصديق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقررهم
بان القرآن كلامه اذ لو كان ان كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله
لانه لو كان كلام البشر لجاز منكم ان تأتوا بمثله وانتم تعجزون عن الاتيان بمثله
او ببعضه مع قوة دواعيكم اليه كان ذلك بيانا لكم فاعلموا بعقولكم انه كلام الله لا كلام
البشر وهذا بعينه احتجاج عقلي على صورة قياس شرطي استثنائي يستنتج منه ثبوت اول
الملازمة بنفي نقيض الثاني القضية الشرطية وبالثاني ثم بانتفاء نقيض الثاني ثبوت
المتعلق والوقود بالفتح اسم ما توقد به النار وبالضم هو المصدر وجاء فيه بالفتح
كما نقل عن سيبويه لكن الضم هو اكثر وقد يعدان ولا يبعد ان يكون المحمول مصدرا سمي به
كما يقول فلان فخر قومه وزين بلده لا يلاحظ فيه مع قرأ بالضم عيسى بن عمر الهمداني والاسم اريد به

الحطب

الحطب وان اريد به المصدر يكون من قبيل قولك حيوة المصباح السليط اي على حذف
مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة والحجارة جمع حجر كما في الكشاف ومعناه انها
نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا يتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها
ان اريد ايقاد الناس بها او احراق الحجارة او قدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد
احراقه او احراقه وتلك انما اعاذنا الله منها بحمته الواسعة يوقد بنفسه وتحرق
ويحمى النار وبانها افراط حرها وشدة ذكاها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اذا
اتقدت
وارتفع لهبها او ليست نار جهنم مما انحصر عن سائر النيران بامور شتى منها انها اخروية
غير محسوسة بحسب الحواس الجسمانية الا بعد نقلها الى النشأة الاخرة فهي في زماننا هذا
يشاهدها الانسان بعين اليقين والعارف يشاهدها الان بعلم اليقين كما
دل عليه قوله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم لترونها عين اليقين ومنها
انها كامنة اولا في بواطن الاشياء التي هي وقودها ثم تبرز من الباطن الى الظاهر
وسائر النيران يستولي اولا على ظاهر الحطب وما يجري مجراه ثم يتطرف الى باطنه
ومنها ان فعل المعاصي والشهوات واللذات يوقدها او يقويها وفعل التوبة يطفيها
ويخفيها ويفعل بها ما يفعله صب الماء على النيران واليه وقعت الاشارة في قوله تعالى
كلما خبت زدناهم سعيرا ولم يقل زدناها دل على انه كلما خبت يعني النار المتسلطة
على ابدانهم زدناهم يعني نفوسهم المتعلقة بين سعيرا فقد فنيت النار تقلبها واعطا بوله انفسهم
ثم يسري العذاب بها الى ظواهرهم ويحتمل ان يكون المراد كلما خبت النار في
ظواهرهم ووجدوا الراحة من حيث ابدانهم سلط الله عليهم الفكرة في حالهم
وعاقبتهم فيما كانوا فيه من الامور التي لو عملوا بها ولم يعملوا باضدادهم لنالوا الا السعادة
العظمى والغبطة الكبرى فيزداد بذلك عذابهم المعنوي اشد من طول العذاب
المعروف بتسلط النار المحسوسة على اجسادهم ومنها انها كما يستولي على الاجسام
يستولي على النفوس ايضا كما قال نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة بخلاف نيران
الدنيا فانها لا يبلغ اثرها الى النفس ولا يتعدى عن الجسد فالنار الاخروية نار ان وتحت
كل منها انواع كثيرة نار الله ونار الجحيم واما نار الله فهي نار حرقة العظيمة من الله تعالى
بها يعذب قلوب المنافقين والمحجوبين عن الحق مع مكنة استعدادهم لادراكه كما انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما نار الجحيم فهي نار الشهوات والمخالفات على الغفلة

وربما لان فهي بحرق الجلود كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
بما كانوا يعملون ولا يخلص هذه النار الى القلوب وان عذاب حرق الجلود بالنسبة
الى عذاب حرقة القلوب كنعيم الحياة وسموم الممات كما قيل ففي فؤاد المحب نار هوى احر نار
الجحيم بردها وقيل ايضا النار ناران نار كالذهب ونار معنى على الارواح تطلع وهي التي لا
ينفع فيها الذهب تكون لها الم في القلب يطبع ومنها ان نار الدنيا نوع واحد لا اختلاف في الحقيقة
وله طبقة واحدة ونار الآخرة تحتها تنتشر اليها انواع كثيرة متخالفة الحقائق ولها طبقات
سبعة الى كل منها باب على حدة على عدد مشاعر الانسان الوهم والخيال والحواس الخمس وابواب
الجنة ثمانية بزيادة عليها بواحد هو باب القلب المغلق على كثرة على اكثر الناس سيما الكفار والمنافقين
وغيرهم من السبعة فيمنع الاشتراك الشفيع بين الطريقين على شكل الباب الذي ذا فتح الى الطريق منزل
اشتمل بطريق منزل آخر فيمن غلق منزل لئن فتحه لمنزل آخر واما اسماء ابوابها السبعة فباب
جهنم وباب الجحيم وباب السعير وباب سقر وباب لظى وباب الحطمة وباب سجين والباب المغلق وهو الباب
الثامن الذي لا يفتح بحجاب ومنها ان طبقة من طبقاتها وهي التي تسمى سجين كتاب قوم كما قال
تعالى وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم وليس شيء من هذه النيران كما ان منها انها تجري على
الاجسام الحارة والباردة جميعا وهذه النار يختص احتراقها بالجسم الحار دل على ذلك
قوله تعالى والبحر المسجور وقوله اغرقوا فادخلوا ومنها ان اشتدادها وتسلطها على احد يلقى فيها
له في الدنيا ولو لم يعذب في الآخرة كما اشار بقوله وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم
قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ومنها ان موقد هذه النار
هو جسم آخر كالانسان ونحوه بحركاته وتحريكاته من هو مجرد للهواء وغيره واما ما في النار الآخرة
فهي ملائكة الغلاظ وشدة النيران باستخدام الله اياهم وهم على عدد معين عند اهل الايمان
والتعيين كما قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم
الا فتنة الى قوله وما يعلم جنود ربك الا هو ومنها ان هذه النار تحرق كل ما يلقى فيها من الكتب
سواء كان المكتوب فيه حقا او باطلا بخلاف تلك النار فانها تحرق كتاب الفجار فقط دون كتاب
الابرار اذ يمتنع عليها احراق كتاب اهل الحق ويمتنع عليه ان يحرق لان المرقوم فيه علوم
باقية ابد الدهر لا تحرقها النار ولا يمحوها الماء وفي الحديث لا ياكل محل الايمان التراب ومنها
ان هذه النار تحرق كل من القي فيها مؤمنا كان او كافرا بخلاف النار الآخروية
فانها لا تحرق جسد المؤمن بل تطفئ بورود عليها كما ورد في الحديث انها تقول جز يا مؤمن

فان نورك اطفأ لهبي ومنها ان الصراط الذي لا بد لكل احد من المرور عليه ليدخل الجنة هو
واقع على متن نار جهنم بحيث ووقوع الانحراف والعدول عنه يقتضي الوقوع فيها الا ان يعفو
الله عنه بخلاف هذه النار اذ ليس الصراط واقعا عليها ولا العدول عن الصراط يوجب الوقوع
فيها الى غير ذلك من خواص والمميزات التي يمكن استفادتها واستنباطها من اقتباس انوار
الآيات القرآنية واسرار الاحاديث النبوية وقيل هي حجارة الكبريت وذلك تخصيص
بلا دليل بل فيه ما يدل على فساده لان الغرض منها تعظيم تلك النار والايقاد بحجارة الكبريت
معتاد فلا يدل الايقاد بها على قوة النار اما لو حملنا على سائر الحجارة دل على عظم امر النار
لانها مطفية لنيران الدنيا ونار الآخرة يشتعل بها ويتوقد بها انا كما قال بعض اهل الكشف ان
النار على قدر مقدار غضب الله ومن كان اسم المنتقم ومن يحلل قوله تعالى في حديث قال لي عبدي جعت فلم تطعمني
ظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني وهذا اعظم تنزل الحق لان الحرارة على الجبابرة والمتكبرين
المتكبرين وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها من صفة الغضب الالهي ولا يكون
ذلك الا عند دخول الخلق فيها قال الله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل
عليه غضبي فقد هوى فان الغضب هنا هو عين الالم وكان بعضهم جميع ما يفعله النار وايقادها
من باب شكر المنعم وانعامه من حيث انعم عليها بانواع الوقود والحطب فالرحمة منه سبحانه الا النعمة
المطلقة التي لا يشوبها ما يقابلها والناس في الحوادث شأن خلقها وسنن مولد بياناتها
الله تعالى فصل في كون الاشارة الى نار الآخرة ذات حقائق مختلفة في الكشاف فان
قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة بهذه الصفة قلت
بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم
نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الجن والشياطين كما ان للكفرة نارا
وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب انتهى اقول قد تكلم بكلام حسن في باب يشبه كلام
اهل الكشوف وكانه انما انطق الله بالحق لسانه واجرى على دفعه بيانه فان التحقيق ان الملك والمولى
لكل جنس هو ما يجانسه ويجانس آلة ادراكه فالمبصر من باب المبصرات والسمع من باب المسموعات وكذا
الشم والذوق واللمس من ابوابها والخيال من بابه والوهم من بابه وهذه الابواب سبعة الجنات تحت
كل انواع شتى وتحت كل نوع افراد لا تحصى ثم انه قد تقرر في مقامه ان تنزل كل قوة من القوى حتى الوهم
والخيال الى هذه الاجزاء بحصرها وهذه الحرارة ليست طبيعية لانها مزاولة غريزية والحرارة الغريزية
نابعة من عالم السماء والطبيعية بخلافها فاذا تقرر هذا فيشبه ان يكون قياس انواع نيران
الآخرة هذا القياس ولكل نار وقودها وحطبها ولكل وقود نار مخصوصة النوع للنوع والشخص للشخص متعددة

الا وراد التي فيها بل انها مسعودة لا تبعد ان تواردت الشهوات والالام متغشية على حب نحو من الهمام
والالم بقي الكلام فانه سبحانه لما اورث الناس الحجارة فاكثر المفسرين وجهوا ذلك بانهم
لما قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من
دونه جمع الله بينهم وبينها في الاخرة بالعذاب والالقاء في النار والا ما دكان الذين هم انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والمراد منه ما يقترب بعضه بعضا فتلك الاية
مقرع مثالها انكم وما تعبدون بعض الناس والحجارة حصب جهنم في معنى وقودها وقد يقال
هذا انما في الحجارة حتى ان جحر احدكم بحجر الحشر معه وقيل المراد الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها
ويفرقون بها ويتحرون بها ويمنعونها من الحقوق وحيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم فان اهل المعادن من الاجارة على هذا لا يمكن تخصيص احد اد هذا لم يكن
لتخصيص احد اد هذا النوع من العذاب وجه وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وههنا وجه اخر ان ادنى المركبات القابلة للافساد هو الحجارة واعلاها رتبة هو الانسان
فيفي الانسان للاية اشارة الى احتواء النار للجميع واستيلائها على الكل مذكر طرفيها الاقصى منها
الاخس والاشرف وفي قوله اعدت للكافرين اي هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم اشارة لطيفة
الى ان المقصود بالذات من خلق النار تعذيب الكفار لانهم عادها الباقون فيها ابد الابد لا يمكنهم
عنها كما قال تعالى لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي
المجرمين وكقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها دار الخلد جزاء بما كانوا يكسبون وليس
فيه اختصاص الكافرين بها بل يجوز ان يكون لغيرهم ايضا دخول فيها بطريق التبعية كالاجساد وغيرها
كما ان في الجنة اعدت للمتقين لان بناءها على التقوى والطهارة من الادناس ومع ذلك يدخلها
الاطفال والحيوانات والحور والغلمان والمجانين والضلال والجهال استيناف ادخال بالعاد
قبل من النار من الضمير الذي في وقودها وان جعل صلة لوقوع الفصل بينهما بالخبر لعدم ترقيبه
قال اهل الاشارة واصحاب البشارة وقودها الناس والحجارة يعني بالناس انا نية الانسان التي في
دفع بتعيينها وخصوصيتها والاحتجاب بها انيات الهيكل القليل بالجامع لجميع النعوت الالهية
وبالحجارة كالذهب والفضة وما يجري مجراهما من الاجساد المعدنية والنباتية والحيوانية
التي بها يحصل مرادات النفس وشهواتها ويميل اليها بالهوى من الهوى اقول يحتمل ايضا ان يراد
بالناس انانية الانسان التي بها يتيه لخاص اعني نفسه المشغول بها دائما ما دامت غافلة
عن ذاتها وبالحجارة جسده المركب بعظامه الصلبة جمعا بين النفس والبدن في العذاب بعذاب الله

العليم

اللطيفة للقلوب وعذاب نار الجحيم للقالب والبدن او يراد بها قلب القاسي لمشاركته الحجارة في الجمود
والكدورة والصلابة كما في قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة وعلى اي الوجوه الثلثة
كل من الناس والحجارة وقود نار الجحيم من نيران الاخرة ولا يخفى على احد مثل هذه التحقيقات
لا يبطل ما هو المفهوم من ظاهر الاية انما اطلق العلماء المفسرون كلام ولكن يصدقنا قول
عليه واله السلام ان للقران ظهرا وبطنا فظاهره دال لظاهر ما فسره العلماء الظاهرون وباطنه على ما حققه
ويحقق المحققون من اهل الكشف بشرط ان يكون موافقا للكتاب والسنة وشهادات عليه بالحق فان
كل دعوى لم يشهد عليه واحد منهما فهو من تعاريج العبث والجزاف وشعب الفسوق والكفر والخلاف
نفسيهم وقد بقي ههنا سؤالات احدها ان انتفاء اتيانهم بسورة معلوم حتم فما معنى الذي
للوجوب دون ان الذي للشك والجواب بتجنيس الاولى ان يساق القول معهم على حسب انهم
وانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم الثاني ان
يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه حتى لغيا وعدان غلبتك لم ابق وهو يعلم
انه غالبه تهكما بهم وثانيها لم قال فان لم تفعلوا ولم يقل فان لم تأتوا بسورة من مثله لان هذ
اخصر وثالثها ما حقيقة لن في باب النفي هل اصله في فان لم يعنا لا وفي اصله ثلثة اقوال احدها
اصله لا ان وهو قول الخليل حيث لا ابدلت الفها نونا وهو قول الفراء حرف مقتضب لتاكيد
نفي المستقبل وهو قول سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل ورابعها ما معنى اشتراطه في
انتفاء النار انتفاء اتيانهم بسورة مثله اذا ظهر عجزهم صح عندهم حقيقة النبي صلعم في دعوى
الرسالة له واذا صح ذلك ثم لا زموا العناد ولا انكار ورد الاستكبار واستوجبوا العقاب بالنار فقال
يوجب ترك العناد والحسد والالداد فوضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد وللسلاوى بينهما
والملازمة لان سعي النار قارن لعناد ذم والانكار ذا نبيخا برو ابرز في صورة منظما اليه
هو بل صغر النار وتعظيم شانها في الاعراف والاحياء وخامسها صلة التي لم جيء بجب ان
يكون حكما معلوما فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة وح ليس يبعد ان
يتعلم لهم سماع من اهل الكتاب اوفي سمعهم من رسول الله صلعم او سمعوا قبل هذه الاية في سورة
التحريم من قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة لانها مكية وهذه مدنية وسادسها فلم جاءت
النار الموصوفة بهذه الجملة هناك منكرة وههنا معرفة لسبق المعرفة ههنا بوقوع الجملة صلة
هناك لان تلك الاية لما نزلت بمكة زادها الله شرفا وتعظيما فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه
الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة المنورة مشارا بها الى ما عرفوه اولا قوله جل اسمه وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا

قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون
اعلم هداك الله الى حقائق الايمان ان اصول الدين واركان اليقين هي العلم باحوال المبدا وموجده
وعلمه واسرار المعاد من الرجوع اليه والجزاء وسر النبوة وما يتعلق بها والله سبحانه لما تكلم في اثبات التوحيد
والنبوة تكلم بعدهما في المعاد وعقاب الكفار وثواب الابرار وانما اخره عن اثبات النبوة لتأخر وقوعه
ولان العلم به لا يحصل الا من جهة اتباع الوحي والنبوة لقصور العقول البشرية عن ادراك احواله
ومن عادة الله اذا ذكر آية في الوعيد عقبها باية في الوعد واذا اخبر بالانذار للترهيب شفعه
بالبشارة والترغيب فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب شفعه ببشارة عباده الذين
جمعوا بين العلم والعمل والتصديق والطاعة واعلم ان احوال المعاد نوعان روحانية وجسمانية
والاول يمكن اثباته وتوجيهه بالعقل على وجه ضعيف ناقص وبالشرع على وجه قوي تام و
الثاني يمكن اثبات امكانه بالعقل جملة بتصديق الرسالة وخبر النبوة واما اثبات وقوعه
تفصيلا فلا يمكن بالعقل الكلي الا اعتقادا دينيا مسلما وايمانا لا يحصل الا لمن سلم منقادا لاحكام
النبوة واما العلم بثبوت حالها عيانا وكشفا فيحتاج الى احكام طريق المتابعة وتاكيد
الاخلاص في اقتباس انوار النبوة من مشكوة القران والحديث بالعبودية التامة والتدبر
في آيات السموات والارض وعجائبها وعواقب المكونات وغاياتها والاطلاع على احوال
النفس الانسانية وتطوراتها في الحالات وتقلباتها في النشآت ثم انه تعالى ذكر مسئلة
المعاد في آيات لا تحصى لصعوبة تعقلها وفهمها على الافهام وكثرة الشبه والتشكيكات الواردة
فيها من الاوهام وذكر اثباتها على وجوه مختلفة فتارة ذكرها بعد حكاية انكار المنكرين
للحشر والنشر وحكم بانه واقع كائن من غير ذكر الدليل لجواز اثباتها بما يتوقف اثبات النبوة
عليه بالدليل النقلي والاعتقاد بهذه المسئلة على وجه يخالف به جمهور الخلق ويكفي
لصحة العلم بهذا القبيل لجواز اثباتها بالنقل ومثاله ما حكم ههنا باثبات العذاب
للكفار والجنة للابرار وما اقام به دليلا بل اكتفى بالدعوى وان كانت فيه اشارة الى اهل
الاستعداد الى نور الهداية الى اسباب وجود الجنة في المعاد وكيفية تحققها في الآخرة
من الاعمال والنيات فان تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية فالبصير المحقق
المحقق بصير ويعرف بنور بصيرته وعين عرفانه ان جحود الجاحدين للحق وجهلهم وعتوهم
وريب المنكرين للقران عند سطوع نوره واسراره وايقادهم نار الفتنة والعداوة بحرقه
في جلودهم وحشا وكنه قلوبهم يذهب طريق الارشاد ويسد عليهم سبيل الامداد ويعذبهم
في الآخرة بعذاب الكفار ويجعلهم بقلوبهم وجلودهم وقود النار التي كمنت فيهم اولا في جبلتهم

الدنيا

الدنيا ثم قويت شيئا فشيئا بالاستمرار وكثرت الشهوات وانغمرت قوتها نار الحسد وظلم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة فيبرز غاية البروز وتشتعل فيهم غاية الاشتعال فيبدى من بواطنهم
وقلوبهم ثم يتعلق بظواهرهم وجلودهم كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب فهكذا يفعل الله بهم الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا وكذا النتائج
الطيبة للايمان والعمل الصالح من نفوس المؤمنين ترقيها وتجرها الى عالم الانوار و
جنة الابرار وكما في قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فتلوح عليهم نعما
الصدق واليقين ساكنة في بواطنهم في بناء بيوت دار الحيوان سائرة وهكذا يفعل
الله بقلوبهم وبواطنهم فعل صاحب المنزل بالضيف ودابته حيث يجعله بقربه ويلج
دابته في بستانه وطرحنا اخرى ذكرها مشفوعة بالتمثيل لقصور افهام الاكثرين عن فهم
حقائق في سورة النحل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه
حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون وكذا في التغابن زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وطريقة اثبات امكان الحشر والنشر على كونه تعالى قادرا
على امور تشبه الحشر والنشر وقد فرق الله تعالى هذه الطريقة على وجوه اشملها
واجمعها ما جاء في سورة الواقعة فان المذكور فيها اعني من آيات المعاد بعضها لدفع شبهة
في استحالته وقوعه كقوله حكاية عن الكفار واصحاب الشمال انهم كانوا يقولون اذا
متنا وكنا ترابا انا لمبعوثون فهذه شبهة واحدة وقوله او آباؤنا الاولون شبهة
اخرى فاجابهم الله تعالى عن هاتين الشبهتين جميعا تعليما لنبيه صلى الله عليه وآله بقوله
قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقد بينا تقرير الشبهتين
وتقرير الجواب مطابقا لكلام الله على وجه لم يبق معه شك ولا ريب فليطلب من هناك
وبعضها لامكان جمع المتفرقات من اجزاء بدن الانسان كقوله افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وجه الاستدلال به كما في التفسير الكبير للامام الرازي
ان المني انما يحصل من فضلة الهضم الرابع وهو كالطل المنبث في اطراف الاعضاء
ولهذا تشترك الاعضاء في الالتذاذ بالوقاع ويجب غسلها كلها عن الجنابة لحصول الانحلال
عنها كلها ثم ان الله قد سلط قوة الشهوة على البنية حتى انها تجمع تلك الاجزاء الطلية
المتفرقة في اوعية المني فالحاصل ان تلك الاجزاء كانت متفرقة جدا اولا في اطراف العالم
ثم انها اجتمعت في بدن ذلك الحيوان منبثة في اطراف بدنه ثم جمعها بقوة المولدة في اوعية
المني ثم اخرجها ماء دافقا الى قرار الرحم فاذا كانت هذه الاجزاء متفرقة فجمعها وكون منها

ذلك الشخص فاذا تفرقت بالموت مرة اخرى فكيف يمتنع عليه جمعها مرة اخرى فهذا تقرير هذه
الحجة في هذا المنهج وان الله ذكر هذا المنهج في مواضع من كتابه الكريم منها في الحج يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الى قوله وترى الارض هامدة وقال
ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور وقال في القيامة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق
فسوى وقال في قد افلح بعد ذكر مراتب الخلقة ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
تبعثون وقال في الطارق فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق الى قوله انه على رجعه لقادر
واقول ونحن بتأييد الله ونور توفيقه وحسن [illegible] قررنا الكلام في هذا المنهج باسد وجه
واحكم وابين واقوى [illegible] على حشر الاجساد كما سيأتي بيانه من ذي قبل حيث نحكي
حينئذ ان شاء الله وبعضها للدلالة على قدرة الحكيم المريد القدير على ما يشاء ويكون كقوله
افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقوله افرايتم الماء الذي تشربون
ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون وقوله افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم
شجرتها ام نحن المنشئون ولكل منها وجوه من البيان ليس ههنا موضع ذكرها ووجه الامام
الرازي الاستدلال الاول على هذا المطلب بان الحب والثمار على اختلاف طبايعها واشكالها
اذا وقعت في الارض الندية واستولى عليها الماء والتراب فالنظر العقلي يقتضي ان يتعفن
ويفسد ثم انه لا يفسد بل يبقى محفوظا وينمو ويزداد ويغوص باصولها وعروقها في
اعماق الارض ويتصل باغصانها واوراقها الى جهات السماء ثم تخرج منها موادها وتنتج
خلاف الطبع فلولا تقدير قادر قاهر يقهر الطبع ويبطل الخاصية [illegible] والثقيل من علو
والنزول [illegible] في اجتماعها بعد تفرقها وتسييرها بالرياح الهابة [illegible]
[illegible] وكل ذلك يدل على جواز الحشر ووجه الاستدلال الثالث بان النار
[illegible] بالطبع والنجوم هابطة وايضا النار لطيفة نورانية والنجوم كثيفة ظلمانية
تلك الاجزاء النورانية النارية فقد جمع بقدرته بين هذه الاشياء المتنافرة فاذا
عن ذلك فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتاليفها والمرتبطة ذكر هذه الدلالة في سورة
يس فقال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا انتهى كلامه ولا يعجبني شيء من هذه الوجوه
ذكر هذه في بيان الاستدلال بهذه الآيات على المعاد لان مبناها على اثبات القدرة بابطال

والاستدلال

والاستدلال على صحة ما ... النقل بهذه قواعد ... الايتان الله ... الاشياء
... اهل البصيرة والتحقيق بل الحكمة يقتضي بعث الطبيعة
الى غايات ... كالانسان الى ... والحكماء والراسخون قد
... الطبائع غايات ... اكمل منها والكل من الآيات المذكورة
وجه وجيه حسن ستكلم فيه ان شاء الله والطريقة الرابعة فهي الناظرين فيها
الى حقيقة المعاد بذكر مرتبا على ذكر المبدا وهذا باب يعرف اهل الاستبصار في تحقيق
احوال المبدا لما حقق في مقامه ان سلسلة ترتيب الاشياء بداية كسلسلة ترتيبها
نهاية فبازاء كل مرتبة من مرتبة احدهما مرتبة تطابقها من الاخرى على التكافؤ في التعاكس
اذ الوجود كله كدائرة ينعطف على نفسه ويعود على اصله فمن احتوى النشاة ... يعرف
النشاة الاخرى وبالجملة فمن ينظر الى النشاة الثانية بما في الاولى فلو نظر ايضا
الناظر في الاشياء باعين الصيارفة لكي ... في اسرار المبدا والمعاد ...
... لاحوال الانواع ... الجدل الى ظلمات
... وقد ذكر الله تعالى هذا النوع من الدلالة في مواضع من كتابه الكريم منها
في البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
اليه ترجعون ومنها قوله في الاسرى وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون
خلقا جديدا قل كونوا حجارة الى قوله قل الذي فطركم اول مرة ومنها في العنكبوت
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ومنها في الروم قوله الذي يبدا الخلق
ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى ومنها في يس قل يحييها الذي انشاها
اول مرة والطريقة الخامسة الاستدلال باقتداره على خلق السموات على خلق
السموات على اقتداره على حشر الاجساد وايجادها في النشاة الثانية ووجه
الاستدلال بها ان اقوى الشبه للمنكرين لاعادة الاجسام وبعثها يوم القيامة بعد
فسادها ودثورها انهم يقولون لا بد لكل كاين من مادة وحركة واستعداد وسبق
اسباب ... وهذا الوهم بان حدوث الاجسام قد يكون على سبيل التكون
من جسم آخر ولا بد فيها من استحالة وحركة ... الكيفيات الاستعدادية
الى ان تلبس بالكاينة وتخلع عنه الكاينة كما قرروا وقد يكون على ضرب آخر لا من
حركات المواد ... عليها بالاعداد والاستعداد بل بمجرد جهات فاعلية من نصور
المبادي ... الا ترى ان ... صورة ما ... وتوهم

للوقايع بحدوث فى البدن علاقة للمعنى وصدور الاجرام السماوية بموادها وصورها من عالم
القدرة الالهية بمجرد علمه تعالى وارادته من هذا القبيل وبذلك يرتفع الاشكال
الوارد على حشر الاجساد فى عالم آخر فاذا اراد الله ايجاد الاخرة وانشاء النشأة الثانية
بامداد تلك الاجسام وابناء اسرافيل بخلق يا امرة الاولى عند القيام بمجرد النفخ
فى الصور فيحشرها يوم النشور بنفخة واحدة من غير تجدد وتراخ بينهما فى الحضور كما قال
ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون وقد ذكر هذه الطريقة
فى مواضع عديدة فى كتابه منها فى سورة الزمر ومنها فى يس ومنها فى الاحقاف اولم يروا
ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى وفيه
تنبيه على ان الاعياء انما يحدث للفاعل اذا كان فعله بالحركة وبمباشرة جهات القصر
والانفعال وبمشاركة المادة وعند تعاند جهتى الارادة والطبيعة وتعارض قوى القابل
والفاعل وليس من هذا الباب فعل القوى القدير على انشاء الذى فعل الاشياء وخلق
الارض والسماء بالارادة المحضة من غير ان يتحرك بها وفتر الا لقوة المادة حتى يلزمه
الاعياء واللغوب فان اطلاق الفاعل باصطلاح الطبيعيين ما هو يفعل بالحركة وباصطلاح
الالهيين ما يفعل بطريقة الانشاء والابداع وفاعل الطبيعيين عندهم لا يسمى
بالمحدث ثم ان الله ينشئ النشأة الاخرة على طريقة الابداع ومنها قوله افعيينا
بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد الطريقة السادسة الاستدلال على البعث والحشر
من جهة وجوب المجازات واثابة المحسن وتعذيب العاصى وتمييز احدهما عن الاخر ليتم عدل الله
وحكمته فى باب العباد ولولا الحساب والعقاب والجزاء والثواب لزم الجور وبطل الحدود وضاعت
الحقوق عن اربابها واستغرقت الظلامات على اصحابها ولم يبق فرق بين احسان المحسن واساءة المسئ
بل لكان النفع ضرا والضر نفعا فان الخير والاحسان مع اكثر الاحوال يوجب المشقة والمضرة
ونقصان القوة والمال وفوات اللذات بخلاف الشر والاساءة على خلاف ذلك فيجب ان لا بد من
نشأة اخرى يقع فيها المجازاة على اعمال الناس وانتقام المظلوم من الظالم واعطاء ذوى الحقوق
حقوقهم منها قوله فى يونس اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين
آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ومنها فى طه ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى
ومنها قوله ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ومنها فى سورة ص وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار وهذه الطريقة عند التحقيق

يرجع الى طريقة اثبات الغايات للموجودات فان للاشياء الطبيعية غايات يتوجه اليها فى حركاتها
فان للاشياء الطبيعية غايات يتوجه اليها فى حركاتها وانفعالاتها وهى غاياتها الذاتية
وتلك الغايات ايضا موجودات طبيعية يتوجه الى غايات ذاتية اخرى وهكذا الى الكمال غاية له
غاية اخرى حتى يحصل الانتقال من دار الدنيا الى دار القرار ومن الطبايع الى الحقايق كل يرجع
الى اصله ومن الملك الى الملكوت يومئذ لا ينفع يومئذ خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
ومن الخلق الى الحق الا الى الله تصير الامور ومن الظلم الى العدل لا ظلم اليوم ومن الاتحاد
التشابك الى الامتياز والتفرق يومئذ يتفرقون واما اليوم فبيننا التعيضات وبيننا بك
المتخاصمين الطريقة السابعة الاستدلال باحياء الموتى فى الدنيا على صحة الحشر والنشر فى
الاخرى منها خلقة آدم ابتداء من غير مادة لابدائه ومنها قصة البقرة فى هذه السورة فى قوله
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ومنها قصة الخليل ع ربى ارنى كيف تحيى الموتى
ومنها قوله او كالذى مر على قرية ومنها قصة يحيى وقصة عيسى عليهما السلام فان دلالة ذلك على
امكان وجودها بين ما استدل على جواز الحشر حيث قال وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
ومنها قصة اصحاب الكهف حيث قال ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها
ومنها قصة ايوب وهى قوله وآتيناه اهله ومثلهم معهم يدل على انه تعالى احياهم بعد ان ماتوا
ومنها ما اظهر الله على يد عيسى من احياء الموتى حيث قال وتحيى الموتى قال واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ومنها قوله اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم
يك شيئا وهذه الطريقة ايضا يرجع الى ما ذكرنا فى اختراعه لما يريد لا يفتقر الى جهات المادة
والاستعداد والتدريج والاعداد وليس لها عليته فى وجود الاخرة كما عليه القول على ان القصة التى لا يؤثر
الا فى حركات المواد والالات بعد اشتغال نظرا الى الواهبها والنفسانية من ما لم تجرد من المجردات
فهذه اصول طرق الدلائل على حقيقة المعاد وبعث العباد وحشر الاجساد وسيأتى الاستقصاء
فى كل واحد طريق عند ذكر آيات الحشر والاعادة ولا يخفى ان منكر البعث ولجاء وقيام
الساعة كافر عقلا ونقلا اما من جهة العقل فلانكاره قدرة الله فى معظم الامور ولعرف
العالمين وابقاء الكونين وانكاره لمشيته والكتاب اما من جهة النقل فلقوله ودخل جنته
وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الى قوله اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من
نطفة فصل وقد وقع الاختلاف فى ان الجنة والنار هل مخلوقتان ام لا وهذه صريحة فى كونهما
مخلوقتين اما النار فلا مرية اذ وصفها اعدت للكافرين وهذا صريح فى وجودها واما الجنة
فانها فى آية اخرى اعدت للمتقين وايضا قوله ههنا وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات دال

على وجودها الا انها دعوى وقوع هذا الملك وحصول الملك في الحال يقتضي وجود المملوك ونحوها
فدل على ان الجنة والنار مخلوقتان وكذلك قولهم وان جهنم لمحيطة بالكافرين يدل على وجود
انما دال على وجود جنته تقدم القول بالفصل قال الشيخ محي الدين في الباب الحادي والستين
من الفتوحات المكية في معرفة جهنم واعظم المخلوقات عذابا اعلم عصمنا الله واياك ان جهنم
من اعظم المخلوقات وهي سجن الله في الاخرة وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة قعرها
يقال القعر وهي تحوي على حرور وزمهرير ففيها البرد على اقصى درجاته والحرور على اقصى درجاته وبين اعلاها
وقعرها خمس وسبعون مائة من السنين واختلف الناس فيها هل خلقت بعد ام لم تخلق والخلاف
مشهور فيها وكذلك اختلفوا في الجنة واما عندنا وعند اصحابنا اهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان
غير مخلوقتين واما قولنا مخلوقة فكرجل اراد ان يبني دارا فاقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال
بنى دارا فاذا دخلها لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشئ بيوتها على اغراض الساكنين
فيها بما يريد الساكن ان يجعل فيها من الالات التي يستعملها في عذاب الداخل فيها بما يريد الساكن ان يجعل
من الالات التي يستعملها في عذاب الداخل فيها وهي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والاحجار
المتخذة الهة والجن لهبها قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون فتحدث فيها الالات
بحدوث اعمال الجن والانس الذين يدخلونها واوجدها الله بطالع الثور ولذلك كان خلقها
في صورة الجاموس هذا الذي يقول عليه عقلا وهيكل الصورة رآها ابو الحكم بن برجان في كشفه
وقد مثل لبعض اهل الكشف في صورة حية ولما خلقها الله كان زحل في الثور وكانت الشمس والاحمر في
القوس وكان باقي الدراري في الجدي وخلقها الله من تجلي قوله في حديث جعت فلم تطعمني الحديث
ولا يكون فيها الالم الا عند دخول اهلها فيها في نفسها ولا نفس لها ولكنها ومن فيها ومن زبانيتها
في رحمة الله منغمسون يسبحون لا يفترون فصل ومن عطف الجملة السابقة
وليس الغرض فيه جهتين صورة وكونه امرا مرتبطا بشرط الايمان الصورة من امر فيعطف عليه انما المقصود
عطف حال من آمن بالقرآن وعمل بمقتضاه وكيفية ثوابه على حال من كفر به وانكر حاله وكيفية عقابه
كما يقول زيد يعاقب بالقيد والضرب وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وهو عطف
يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر فلان بني اسد باحساني اليهم وذلك انهم اذا لم يأتوا بما يعارضه
بعد التحدي وظهر اعجازه واذا ظهر ان من كفر به استوجب العقاب ومن آمن استحق الثواب وذلك
يستدعي تخويف هؤلاء بالنار وتبشير هؤلاء بالجنة وقرأ زيد بن علي وبشر على صيغة المبني
للمفعول فيكون كلاما مستأنفا معطوفا على اعدت والمامور بفعل هذه البشارة هو الرسول صلى الله عليه وآله

اوعالم

اوعالم كل عصر او كل من يصلح لهذه البشارة كما في قوله وبشر المشائين الى المساجد في الظلم
بالنور التام يوم القيمة ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما وتكريما لشأنهم
وايذانا بان الامر لعظيم شأنه حقيق بان يبشر به كل من يقدر على البشارة هي
الخبر الذي يقتضي السرور ويظهر اثره في البشرة ولذلك قال الفقهاء في المجر
الاول من قال لعبيده ايكم يبشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق
اولهم لان البشارة هو خبر زادي عتقه ولو قال ايكم يخبرني عتقوا جميعا ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من
اوائل ضوئه واما قوله فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم والاستهزاء والابلغ في المعنى
كما تقول الرجل لعدوك ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك وعلى طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
ولاهل الاشارة فيه كلام لا يجوز التصريح لعقول لاهلها وسخنة الايام فصل
قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اللام فيها للجنس وهي جمع صالحة وهي كالحسنة من الصفات
الغالبة التي تجري مجرى الاسماء وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة وعطف العمل على الايمان دال على خروجه عن الايمان لثبوت
التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه والا لزم التكرار وكلا الجزأين هو خلاف
الاصل وجمع بينهما مرتبا للحكم عليهما اشعارا بسببية مجموع الامرين والتشريع بين الخلتين في
هذه البشارة كسببية مجموع الوالدين والازدواج بينهما لحصول النتيجة فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء
عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين واعلم ان قوام الروح الانسانية وان كان باصل الايمان لان قوامه
ذاتا انما يتحقق بالعلم وبه يصير خارجا من القوة الى الفعل لكن العمل الصالح يخلصه من العوائق
ويحفظه عن عذاب التعلقات فلا يتخلصها الا المطلقة من حصولها جميعا ومن الناس
من اجرى هذه الاية على ظاهرها فقال كل من اتى بالايمان والاعمال الصالحة فله الجنة
فاذا قيل له فما قولك فيمن كفر بعد ذلك قال هذا ممتنع لان فعل الايمان والطاعة يوجب
استحقاق الثواب والكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم والجمع بينهما محال وفي ذكره بيان الاستحالة وجوها ثلثة عقلية
ذكرها الامام الرازي في تفسيره الكبير ثم فرع على ذلك نفي القول بالاحباط ثم اجاب الامام
الرازي فيه عن قوله بوجهين احدهما قول من اعتبر الموافاة وهو ان شرط
حصول الايمان ان لا يموت على الكفر فلو مات على الكفر علمنا ان ما اتى به ولا كان كفرا لان
هذا قول ظاهر السقوط وثانيهما ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا
استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة والجماعة واختيارنا وبه يحصل الخلاص عن هذه

الظلمات اقول انظروا معاشر المسلمين هل يعقل التصديق للجاهل بصحة ما يفعله هو واهل
سقيفته وجماعته بالكتاب والشريعة وليته هو واصحابه سكتوا عند الصحابة والتابعين
ولم يخوضوا في اعماق هذه المسائل الدينية واكتفوا بالتقليد حتى يسلموا من هذه المضايق
التي لا حول لهم فيها ولا نجاة لاحد منها الا بالعقل المستقيم او القلب السليم كما كان
ولو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فالبصير يسير الى سبيل النجاة بنور عينيه
وتوكل عليه فيفوز بالغبطة الكبرى والاعمى الزمن الذي له قايد وحامل فهو على سبيل النجاة
وطريق الخلاص وهو ادنى في الخلاص واقرب الى النجاة من الاعمى الزمن الذي لا قايد له او من البصير
المقعد الذي لا حامل له وهما جميعا اقرب الى السعادة من الاعمى الشارد الذي لا قايد له فالاول
مثال العالم العامل بعلمه والثاني مثال الجاهل المقلد المقتدي بغيره في العلم والعمل والثالث
الجاهل الناقص في العمل والرابع العالم المقصر في العمل والخامس الجاهل التارك لمقتضى جهالة
هذا اذا كان الجهل بسيطا والتحرك في الظاهر واما اذا كان الجهل مركبا والسير حركة باطنية
فهو قسم سادس هو اسوء الجميع وهما جميعا مما شكى عنهما النبي صلى الله عليه وآله قصم ظهري رجلان
عالم متهتك وجاهل متنسك كما مر ذكره واعلم ان القول ببطلان الاستحقاق العقلي وعدم
الارتباط الذاتي بين الاشياء وبمكان الارادة الجزافية في الاعتقاد كما زعمه الاشاعرة و
اختاره هذا الفاضل المفسر في كتبه التي رايناها مما يؤدي الى خلل عظيم في اركان
الدين وتزلزل في اكثر قوانين اليقين لكلها لان مبنى جميع البراهين في اثبات الاصول
الايمانية والقواعد اليقينية على اثبات العلية والمعلولية والامور الذاتية فكيف يرضى من
نفسه القول بما يهدم به اصل احكام العقل واصل مشايخ السلف مما ارتكبوا هذا المذهب حبا
لمادة البحث مع بحثان وغلقا لباب المقالع من لا يرى التعمق في وجوه الاستدلال على هذه
المسايل الا الغي والضلال واما نحن فبفضل الله وتوفيقه قد ورثنا من علمائنا وسادتنا
وائمتنا اهل بيت النبوة والولاية سلام الله عليهم اجمعين من انوار الهداية واليقين ما يدفع
لانقشاع سحب هذه الظلمات عن شمس الحقيقة ولانجلاء حجب هذه الاوهام عن وجه
البصيرة واعلم ان القول بان الاية بالايمان والعمل الصالح حفظه الله وجه وجيه لو علم تاويله
بمعنى هذا القول وذلك لان الايمان الحقيقي عبارة اعتقاد يقيني حاصل بالبرهان
وكل اعتقاد يقيني حاصل بالبرهان فهو غير قابل للزوال كما تحقق في العلوم الحقيقية سواء كان
مقتضى البرهان الدايم المؤلف من المقدمات الضرورية الدايمة لا يزول ولا يتغير
دنيا وآخرة فالايمان بالاركان نور عقلي يوجب ان يخرج به النفس الانسانية من الظلمات

الى النور

الى النور ومن حد القوة الى الفعل ويدخل من دار الغرور وضنك الهيولى الى دار النعيم والسرور
فعلى هذا امكن تاويل ما ذكره ذلك القايل فحينئذ لا اعتراض عليه في ان من اخل بالايمان
واتى بالطاعة ثم كفر من قوله هذا ممتنع لان فعل الايمان والطاعة يوجب استحقاق الثواب
الدايم وفعل الكفر يوجب استحقاق العقاب الدايم والجمع بينهما محال الذي ذكره الا وبيناه
فكون الذي يظهر من الوجوه الثلثة التي ذكرها في بيان استحالة اجتماع بينهما باطل على انه
محجوب عن حقيقة هذا الامر بمراحل بكونه سالكا مسالك اهل الجدل وعلم باب التخييل والنقل
اما الوجه الاول منها فهو ان الاستحقاقين اما ان يتضادا او لا يتضادا فان تضادا كان
طريان الطاري مشروطا بزوال الباقي وكان زوال الباقي معللا بطريان الطاري فلزم
الدور وهو محال وان لم يتضادا فلا يلزم من طريان احدهما انتفاء الآخر والجواب عنه بوجهين
احدهما النقض بجميع اقسام المتضادين كالسواد والبياض والحرارة والبرودة وغيرها لجريان
هذا الوجه فيها وثانيهما باطل وهو ان كل واحد من الايمان والكفر قابل للشدة والضعف
لان الايمان نور في القلب يشتد ويضعف وغاية ضعفه هو الاعتقاد الحاصل بالتقليد
من غير برهان ولا بصيرة كشفية وغاية قوته ما يصير حق اليقين بعد ان يكون علم اليقين
وعين اليقين والكفر ايضا ظلمة قابلة للاشتداد والتضعف هذا ان اريد به الاعتقاد
المخالف للحق كالاعتقاد بالشرك وبمعبودية الاصنام والاوثان وان اريد به مجرد عدم
الايمان فهو كساير الاعدام غير قابلة للكمال والنقص وتقابله مع الايمان يكون تقابل
العدم والملكة فاذا تقرر هذا فنقول الجمع بينهما في آن واحد فهو مما لا اختلاف لاحد
فيه ولا يحتاج دعوى الاستحالة الى ما ذكره من الوجوه الثلثة لانهما اما متضادان او متقا بلاوث
تقابل الملكة والعدم وان اريد الجمع بينهما في ذات واحدة وان لم يكن في آن واحد
فما ذكره لا يدل على استحالة التعاقب بينهما فان احدهما اذا ضعف شيئا فشيئا حتى انمحى او بطل
دفعة اما بزوال الاسباب بحصول تدريجيا او دفعة امكن طريان الآخر سواء كان الآخر عدميا
كالجهل المتفرع بالعناد والاعتقاد المخالف للحق سيما اذا قوى الآخر ايضا تدريجيا او دفعة بحصول
سببه القوي او تراكم اسبابه الضعيفة وعلله الناقصة حتى صارت تامة كاملة وهكذا
الحال في تعاقب متضادين او متقابلين تقابل الملكة والعدم في موضوع او محل واحد واما
الوجه الثاني فهو ان المنافاة حاصلة من الجانبين فليس زوال الباقي بطريان الطاري اولى
من اندفاع الطاري بقيام الباقي فاما ان يحصلا معا وهو محال او يتدافعا فيبطل القول بالمحابطة

والجواب باستبعاد تجانس من احتمال الشرح والتصف فيهما فالاشد بتصور الاضعف ونوهمه
كاملا فيصير الاولوية لاحدهما في دفع الاخر على الاخرى دفعه ممنوع فلا يلزم وجودها
معا ولا تقاومهما معا واما الوجه الثالث فيجري مجرى الاولين اشكالا واعتلالا فلا يطول
الكلام بتفصيل قوله ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل قولك
الله لافعلن والجنة البستان واصلها المرة من جنه وهو مصدر جنة اذا ستره والتركيب دائر
على معنى الستر كالجن والجنان والاجنة والجنة فان كلها بمعنى كله عن الابصار والاحتجاب
سمي بها البستان من النخل والشجر والتكاثف المظلل لالتفاف بعضها ثم دار الثواب لما فيها
من الجنان ولاستتارها لما اعد الله فيها للبشر في الدنيا من الابصار والحواس كما قال تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فان قلت لم جمع الجنان وعرف الانهار قلت لان اهل الثواب
فانها اسم لدار الثواب وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة
منهم جنة منها وهي كما ذكر ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة المأوى ودار السلام وعليين وفي كل واحد منها ايضا مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واما تعريف الانهار فان المراد بها جنس الانهار كما يقال لفلان بستان فيه الماء والجاري
والتين والعنب والمراد منها الاجناس التي في علم المخاطب او يشار باللام الى الانهار الاربعة
المذكورة في قوله انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وهي التي قيل ان امثالها
في الدنيا النيل والفرات وسيحون وجيحون كما وقعت الاشارة اليه في الحديث من تحتها اي
من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها فان اعيان امور الدنيا امثال ما في
الآخرة من الاعيان وكذا القياس في الاب والاوضاع كما يقتضيه التطابق بين العالمين وانس
الناظرين منظرا ما كانت اشجارها مظللة والانهار في خلالها مطردة بل لا ينبغي الانفس تمام البهجة
ولا نزهة الا فيما يجري فيها الماء والا كانت اشجارها كتماثيل لا ارواح فيها واحيا لها
لصور لا حيوة فيها ولذلك ما جاء الله بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها كانهما
متصاحبان في الوجود متقارنان في القصود وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وهذا هو الحق
المكشوف لان الحاجة الى الاخدود منشأها الثقل الطبيعي والميعان لهذا الماء والثقل منتف
عن مياه الجنة ثم ان لاهل الاشارة ان يحملوا الانهار على القوى الحيوانية الموجودة في الاجسام
الجسمية المتصرفة في الجسم الحيواني بما شاء الله كالافلاك والكواكب فان قواها الحيوانية لما كانت سارية
في اجسامها متجددة الوجود متعاقبة الكون بحسب تجدد ازمنتها واوقاتها فهي شبيهة بالمياه الجارية

لتجددها

لتجددها وتعاقبها ونشوئها في الجسم فيكون الغرض من ذلك ان لهم جنات هي فوق سماء
هذا العالم وكواكبها وقواها التي هي منشأ حيوة الكائنات والنهر بفتح النون وسكون الهاء
او فتحها وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها
على طريقة الاضمار او المجاز او نفسها فيكون التجوز في اسناد الجري اليها كما في سال الوادي فصل
قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه
قيل لما وقع الاستغراب في قلب السامع في جنة مثلها في سعة وصفها الاولى لشابهت الجنات
الدنيا تجري تحتها الانهار فكان لما ذكر الوصف الاول اختلج بالبال ودفع في خلده ان ثمار تلك الجنات
اشباه ثمار الدنيا ام اجنبية بذلك المعنى كلما رزقوا رزقا ابتداء من الجنان مبتدأ من ثمرة
قالوا هذا وكلما منصوب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى وكذا الثانية واقعة موقع الحال
فقيد الرزق بأوليهما ابتدائيتهما فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضمير المستكن
في الاولى وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الشخصية وانما المراد النوع من الانواع
الثمار ويحتمل ان يكون الثانية بيانا لها كما في قولك رايت منك اسدا تريد انت اسدا فيراد بالثمرة
النوع من الثمار والجنان الواحدة وقوله هذا الذي رزقنا في صحته ثلاثة وجوه احدها ان
هذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع لا تريد العين المشاهدة
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب الجزئيات والامثال وان كانت الاشارة الى العين لكن يرادها
في عمرو في حالة النوعية واستمرارها الابا في كثرة الحدوث وتجددها وثانيها انه لما اتحد الكاملان
وان تغايرا بالعدد صح ان يقال هذا هو ذاك فان الكثرة العددية لا تخاصم الاتحاد في الحقيقة
معنى وحقيقة وثالثها انه لما اشتد المشابهة بين ما رزقوا منها وبين ما رزقوا من قبل صح لهم
هذا القول كما تقول فيمن يشتد مشابهته لابيه انه الاب شرع اختلفوا في ان المحكي عنهم والمشبه
به الذي كان رزقهم قبل ذلك هل هو قبل ذلك هل هو من ارزاق الدنيا ام من ارزاق الجنة
القول الاول هو ابن عباس وابن مسعود والثاني عن الحسن وواصل وابي عبيد ويحيى بن كثير لا
ان الحسن وواصل وجها الاية بان معناها هذا الذي رزقناه من قبل في الجنة كالذين رزقنا هم
يعلمون انه غيره ويكنهم شبهوه من طعمه ولونه وطيبه وجودته وان الثانيين وجهاها بان ثمار
الجنة اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه الامر عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا
من قبل كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها واستدل القولين قول ابن عباس
وابن مسعود وهو ان المرزوق السابق من ارزاق الدنيا لو تحقق لحدها ما نقل عن النبي صلى الله عليه

الامامية ابي جعفر رحمه الله انه قال طائفة لغيره من علماء التفسير قوله كلما رزقوا منها من ثمرة
جميع الملذات نعيما في الدرجة الاولى فيهم في الدرجة الاولى من عباده في الجنة لا بد وان يقولوا هذا الذي
رزقنا من قبل ولا بد ان يفهم هذا القول على وجهين اولهما انه لا يكون اشتياق الى ما تقدم رزقه
في الدنيا وثانيهما ان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل فاذا راى ما لم يألفه نفر عنه طبعه
اذا ظفر بشيء من نوع معهوده ومألوفه على وجه اشرف وابهى مما الفه عظم ابتهاجه وسروره فاهل
الجنة اذا ابصروا ما الفوه في الدنيا ثم وجدوه اشرف وابهى كان فرحهم به اشد والقائلون
بالقول الثاني اختلفوا فمنهم من يقول الاشتباه في المنظر والطعم وغيرهما ومنهم من يقول الاشتباه
وان حصل في اللون لكنها تكون مختلفة في الطعم كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
بالاخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف هذا واعلم ان تحقيق
الا بتمهيد اصلين احدهما اسلوب الحكماء وذوي الاعتبار والثاني سبيل اهل الكشف والاستبصار
فمنها على لسان الحكماء ان السعادة القصوى ليس الا معرفة ذات الله عز وجل ومعرفة صفاته ومعرفة
افعاله من الملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الارواح وعالم ملكوت السماوات والارض و
بالجملة بحيث يصير روح العارف كمرآة مجلوة يحاذي بها عالم القدس ثم ان هذه المعارف يحصل
في الدنيا ولا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لكون العلائق البدنية عائقة عن تحقق تلك
السعادة واللذة فاذا زالت هذه العوائق حصلت السعادة الكبرى والغبطة العظمى لان المعرفة اذا
شاهدها والعلم ههنا رجعا فانه يصير كل منها عين مشاهدة يجدها الانسان بعد الموت فاذن حقيقتها هي التي
كانت حاصلة في الدنيا لكن اشتدت لذتها في الاخرة لما اشتد وجودها بظهور زوال العلائق و
معناها على لسان اهل الكشف ان جميع ما في الدنيا من ثمارها وغيرها هي قشور وقوالب وامثلة لما في الآخرة
سوى وجعل ما في الدنيا انطابق العوالم بعضها لبعض وتحاذيها حذو النعل بالنعل ولما كان وجود
الصور المحسوسة التي في الدنيا هي بعينها مبادي حصول الصور التي يدركها الانسان في الجنة وحالها لما تعود
ان كان في العالم الحسي لشيء كان الصور له والانسان اذا ادركه والخبر به انما تعود لها لوجود هذه فيها
ادركها واعاد بعد الحاجة ولم يسر فحصل في نفسه بواسطة القوى في صورة عظيمة يكاد يعجزها
عنه عند شيء شاكله كون القوة غير شيء ما دام كونه في هذا العالم ومحل خلقه فاذا خرج من هذا العالم
وزالت العوائق وجد في الآخرة ما تشتهي نفسه وتلذ عينه لقوة الشهوة وشدة الرغبة وكون الآخرة
والكرم من الله مبذولة والعوائق مرتفعة فكل ما اشتهاه في الدنيا يجد مرزوقا عنده في الآخرة بفضل
هذا الذي رزقنا من قبل هذا السياق لاثبات الجنة الجسمانية والاول لاثبات الروحانية والاولى الاوج
العقلي والثانية للنفس الحيوانية وما اقوالهم بمثلها موضعه موضع جمل التي سلكت في الكلام من غير

للتعبير

للتعبير كقولك نعم ما فعل زيد وراي وكان صوابا تصديقا للراي والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا
في الدنيا والآخرة والمرجع نوع المدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل او شخصه من حيث الماهية
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بنوعي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق وقيل
ان يقول الاشياء هو انما ثابت في الكيفية والصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا وثمرات الآخرة
كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء فنقول الاشتراك حاصل بينهما في
الماهية المشتركة مع التفاوت العظيم في الشرف والخسة والقوة والضعف فان ما في الدنيا خسيسة
الوجود ضعيفها لاقترانها بالمادة وتلوثها بارجاسها واخباثها وما في الآخرة شريفة الوجود
بعلائها لا بمادتها مطهرة عن الواث الارجاس طاهرة عن الاخباث والاشتراك في الماهية مناط
الاسم وهو كاف في اطلاق التشابه والمباينة الحقيقية الوجودية مختلفة بينهما كما قال ابن عباس
والماهية مشتركة بينهما وهو كاف لاطلاق الاسم وثبوت التشابه بينهما حاصل في الجنة التي هي مناط
الاسم دون المقدار والطعم وغيرهما فان الاشتراك في المعاني والماهيات لا في الاشكال والهيئات
وههنا وجهان عقلي والآخر كشفي اما الاول فهو ان السعادة عند الحكماء على ضربين حقيقية عقلية
والظنية المشابهة فالسعادة الحقيقية عبارة عن الاتصال بالعقليات الدائمة ومجاورة الحق الاول
والخير المحض مع الملائكة المقربين النازلين في مقاعد الصدق ومنازل القدس والسعادة الظنية
هي التلذذ بالشهوات والتنعم بالجنات وتلك اللذات الحيوانية الموجودة في دار الحيوان وجنة
النفوس من الانسان هي اشباه اللذات الحقيقية الموجودة في عيون الحيوة ومنابع الخيرات و
ينابيع السعادات والاولى للمقربين والثانية لاصحاب اليمين فالمذكور ههنا ما لاصحاب اليمين من
مواريث اعمالهم الصالحة وهي اشباه ما حصلت للمقربين ولهذا قال واتوا به متشابها اي يشبه ما في عالم القدس
واما الثاني وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من الثمرات المتعارفة في الطعم
واللذة من جهة تفاوتها في النفع وعدمه وفي الصحة والفساد والسلامة والآفة ومن جهة تفاوت
حال الاكل وتغيره من مزاجه واحواله وشهوته وقوته وغير ذلك وهذه كلها منتفية في الجنة
عن الاكل والماكول فيكون المراد من تشابهها تماثلها في الشرف والمزية وعلو الطبقة وشهوة
الاكل وقوته ويحتمل ايضا ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا من قبل ما رزقوا في الدنيا من المعارف
والطاعات والمراد من اتيانها على حذف المضاف ويكون تشابهها تماثلها في الشرف وعلو الطبقة فيكون هذا
في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ويجيء آيات وآثار مشعرة بتكشف بانوارها
واشراقاتها ان جميع ما يتنعم به الانسان في الجنات او يتعذب به في النيران هي نتائج الاعمال وغايات الاعتقادات

وذميم الاخلاق والملكات وهذا يأباه انما فصل قوله ولهم فيها ازواج مطهرة اى مما يستقذر من النساء
ويستدنس من احوالهن واقذارهن كالحيض والنفاس وكدارة الطبع وسوء الخلق والرذائل فان
التطهير كما يستعمل في الاجسام عن الاخباث والاقذار يستعمل ايضا في النفوس عن الخباثات والسيئات
والانجاس الاعتقادية كالكفر واما انه حمل اللفظ على المعنى الشامل للقسمين او لما قال اهل الاشارة
الاية دالة على وجوب التوبة لوجوه احدها ان المراة اذا حاضت نهاك الشرع عن مباشرتها
بقوله قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فاذا منعك عن مباشرتها لنجاستها التي هي معذورة فيها
فاذا كانت الازواج اللاتي في الجنة فلان يمنعك عنهن حال كونك ملوثا بنجاسات المعاصي مع انك
غير معذور فيها كان اولى او الحال كونك ملوثا بنجاسات المعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى
وثانيها ان من قضى شهوته من الحلال فانه ممنوع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى
شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وعلى ذلك لما اتى ادم من
مالا يجوز اخرج منها وثالثها ان من كان على ثوبه من النجاسة لا يصح صلوته وقد ذكر انه محكى ان حسن مالك
بن دينار انه كان راى في ازقة البصرة جارية من جوار الملوك ومعها الخدم فاستقبلها مالك فضحكت
وامرت بان يحمل الى دار مولاها فاخبرته فضحك وامرات ان يدخل به اليه فلما دخل التفت اليه الجارية في
قلب السيد فقال لها ما حاجتك قال ان تبيعني جاريتك قال او تطيق اذا ثمنها قال قيمتها عندي نواتان
مسوستان فضحكوا وقالوا كيف ذلك قال لكثرة عيوبها قال انها ان لم تتعطر زفرت وان لم تجوع وان لم نسخة م
تمتشط وتدهن قملت وشعثت وانها تحيض وتبول وتقذر وتحزن وتغتم ولا تكاد وتنساك
الا لنفسها ولا تحبك الا لنفسها لا تفي بعهدك والا تصدق في ودك وانا اجد دونها
خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والجوهر والنور لو مزج بريقها اجاج لطاب ولو دعى بكلامها ميت
لاجاب ولو بدا معصمها للشمس لاظلمت وكسفت دونه ولو بدا في الظلمات لانارت به واشرقت ولو
واجهت الافاق بحليها وحللها لتعطرت بها وتزخرفت لا تخالف عهدها ولا تتبدل ودها فايهما
احق برفع الثمن قال السيد التي وصفت قال فانها كالشبر المبذول لنيل الخطير انما ثمنها ركعتان
تقلبهما لربك والليل داج وترفع همتك عن دار الغرور فقال الرجل يا جارية استمرت بكلمة وضيعة
او كذا صعقهم حلفك وسائر الضياع والخدم وجميع مالى صدقة في سبيل الله فخشعا ساعة فقال لهما ان
ليس بعد ذلك الا ينجينا وخرجت معه فرضيتها بن دينار ودعا لهما واحوطوعنا واحوا فسيح حتى
جاءهما الموت راجعين الى الله انما كان اولى على لسان اهل المعرفة وهو نسبة النفوس الى الارواح
الهاوية نسبة الزوجات الى الازواج وكنسبة حوا الى ادم عليهما السلام فقوله فهم وازواج مطهرة اى الارواح

المقدسية الكاملة في العلم والعمل المتجلية بفضيلة الايمان والصلاح المطمئنة الساكنة في مقعد
القدس نفوس مطهرة عن كدورة الابدان ونقايص الشهوات سابحة في جنات الاعمال السابقة في رياض
الرضوان والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف واطلاقه على الحلائل
كما في قوله تعالى ومن كل فاكهة زوجان من جهة ان كل منهما مجال في الزوجية وكان لتحصنه منها وكذا
المتممان في نحو ما ملك النساء ارات اذ لكل منهما دخل في التمميم وقرئ مطهرات بدل مطهرة وكلتاهما فصيحتان
يقال النساء فعلت وفعلن وهى فاعلة وفواعل فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة
بمعنى متطهرة والاولى ابلغ منها ومن الظاهرة للاشعار بان لها مطهرات تطهيرا لشيء ليحل عز وجل فانه قوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فصل في قوله وهم فيها خالدون واعلم ان الذي
يريدون ان يتقصوا في حقايق المعاني من الالفاظ والمباني اختلفوا في معنى الخلود هل هو بمعنى الزمان
المستمر مطلقا ام بمعنى الدوام المؤبد فالمعتزلة على انه بمعنى الثبات الازمه والبقاء الدائم الذي لا ينقطع
مستدلين بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد مع ان البشر مع تحقق العمر الطويل لبعضهم فالمنفى هو الخلد
والاشاعرة على انه بمعنى الثبات المديد دام ام لم يدم واحتجوا بقوله خالدين فيها ابدا ولو كان التابيد داخلا
في معنى الخلود لكان ذلك تكرارا ولذلك قيل الاثافى والاحجار خوالد والجزء الذي يبقى من الانسان على
حاله ما دام حيا خلد ويستعمل ايضا لما لا دوام له كقولهم وقف مخلد والاشراك والمجاز خلاف الاصل
ولا لزم شيء منهما اذا كان موضوعا للاعم فاستعماله في الاخص من جهة انه راجع تحت الاعم كاطلاق الجسم
على الانسان والمراد به هاهنا الخلد الدائم لدلالة الايات والاخبار ويشهد له العقل على انه بمعنى الدوام الذي
لا ينقطع والاكان خوف الانقطاع ينغص عليهم تلك النعمة وكلما كانت النعمة اعظم كان خوف انقطاعها
اشد فيلزم ان لا ينفك اهل الثواب اشد من نعمهم والحرقة وتحمل سوء العاقبة او عدمها غرضها
جائز لانها الدار اليقينى لا دار الشك والتخمين من عقايد خلاف تحقق واعترض هاهنا بان الابدان
مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات والانقلابات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان واجاب بعضهم عنه بانه تعالى يعيدها بحيث لا يعتريها الاستحالة ولا يعتورها
الانفساد بان يجعل اجزاؤها متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر
متعانقة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن وهذا الجواب في غاية الضعف فان تجويز كون
الاجزاء العنصرية غير قابلة للاستحالة والانفكاك خروج بها عن طبايعها الاصلية واحكامها في
المزاج ببعض المعدنيات لا يفيد التماثل والتساوي في الكيفية والقوة بحسب الاعتدال الحقيقي على تقدير
امكانه وحصوله مما يستحيل بقاؤها ابدا بل لتناهى الافاعيل والانفعالات القوى الجسمانية كما برهن
عليه في مقامه لا سيما وقد حققنا في موضعه ان الجواهر الطبيعية المادية كلها لا تزال في السيلان والتجدد عن

المتقدسة

منفكة عن الانفعال والحدثان في كل آن بحسب جوهرها وطبيعتها كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب كيف نعم يمكن دوامها من جهة الامداد العلوي والايجاد الفاعلي امدادا بعد امداد
وايجادا بعد ايجاد والحق ان الحافظ للمزاج ايضا والمديم لاجزاء المركب عن التبدد والافتراق ليس صورة
تلك الاجزاء كلا ولا اجزاءها مثلا لعين الى الانفكاك المقتضية للحركة الى احيازها الطبيعية وانما هي مجبورة بقسر
قاسر وجبر جابر وسلطنة الله عليها يجبرها على الالتيام ويمنعها عن الافتراق والانفكاك وهي صورة
او نفس او ملك جسماني يتعلق بها حافظها ومبقيها لا بالعدد بل بالنوع ونوعيتها وتجددها
العددي لا ينافي شخصية المركب وبقاءه بالصورة لان مناط الشخصية بالصورة لا بالمادة
فالحيوان مثلا بدنه في التحلل والذوبان لعكوف الحرارة الغريزية والغريبة على الطبيعة على
تحليلها واذابتها ابدا وهو هو ومع ذلك شخصه باقية تلك المادة بالصورة الحيوانية وهي نفسه
او امر آخر يكون الفاعل الملائم ان كان امرا قائما بالجسم في وجوده او مفارقا عنه فلو يمكن دوامه بالشخص
والا فيمكن دوامه بالشخص والا فيمكن فبهذا يجب الحشر فيما يحتمل البقاء من النفوس والصور او ان
بقائها كيفية بقاء الابدان الاخروية وصيرورة هذه تلك مع انحفاظ الشخصية العددية ان العبرة في ذلك
بالنفس لا بالبدن فالنفس باقية حافظة للبدن اما في الدنيا فبايراد البدل عليه لا بالانضياف الاجسام
الغذائية اليه واما في الاخرة فبانشاء النشأة الاخرة بمجرد التصورات والجهات الفاعلية
فان انشأ الجسم وتصويرها لا من مادة وحركة بل بمجرد التصور من ذوات القوى المجردة فان وجود
الافلاك عن مبادئها من الملائكة الفعالة له باذن الله من هذا القبيل وكذا الحكم في ما يحدثها
نفس الانسان في عالم باطنه من الاجسام العظيمة والاشكال العجيبة التي لم يشهد
من هذه الاجساد والبساتين الارمية التي لم يخلق مثلها في البلاد فان جميعها حصلت من جانب
الفاعل بلا مشاركة القابل وسنكشف ان شاء الله مسألة المعاد وحشر الاجساد على وجه لم يبق فيه
مجال الشك والارتياب وتزول الشبهات التي تخدش الكلام والاضطراب والحيرة من قلوب اولي الاخرة
وازحواهما عن ما يحار الانسان ويتاهل من هذا العالم من نقص العقل وقصور الحكمة وضعف
البصيرة والله اعلم تتمة لما كان معظم اللذات الحسية المساكن والمطاعم والمناكح
وكان ملاك السرور بها كلها الدوام وعدم الانصراف والانقطاع منغصة غير صافية عن شوائب الآلام
بالتمام بشر الله المؤمنين بالجنان وبما رزقوا فيها من المطاعم والمناكح وآمنهم عن خوف الفوات
بوعد الخلود زيادة في البشارة وتكميلا لبيان السعادة قوله جل اسمه ان الله لا
يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا

وما يضل

وما يضل به الا الفاسقون لما اثبت الله حقيقة القرآن واعجازه بالدليل المذكور به
والوعد والوعيد للمؤمنين وعلى الشرح وجه وابلغ عبارة وادل اشارة الى رد شبهة الكافرين
والمنافقين في ذلك وهي ان ذكر الاشياء الحقيرة الخسيسة لا يليق بكلام الفصحاء فالقرآن
لاشتماله عليها كالنحل والذباب والعنكبوت والنمل لا يكون فصيحا فضلا عن كونه معجزا فاجاب
بان الحقارة لا ينافي التمثيل بها اذا الشرط في المثال ان يكون على وفق الممثل له من الجهة
التي يستدعي التمثيل به كالعظم والحقارة والشرف والخساسة لا على وفق من يضرب التمثيل في
المثال لان الغرض الاصلي منه ايضاح المعنى المعقول وازالة الخفاء عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ولا يزاحمه فان العقل الانساني ما دام متعلقه
بهذه القوى الحسية لا يمكنه ادراك روح المعنى مجردا عن مزاحمة الوهم ومحاكاته لان
من طبعه كالشياطين الدجالين في التخييل وعدم الثبات على صورة ولذلك شاعت الامثال
في الكتب الالهية وفشت في عبارات الفصحاء من العرب وغيرهم وكثرت في اشارات الحكماء
ورموز الحكم وصحف الاوائل وسلكوا الهمم سياق العلوم الهندسية تتميما للتخييل بالحس
فهذا التمثيل اعطى الممثل حيث تخيل اولا المعقول بالمتخيل ثم المتخيل بالمحسوس الهندسي من الاشكال
ونحن نرى الانسان اذا ذكر معنى يحكم به بكر العقل ولكن مع منازعة الخيال فاذا ذكر التشبيه
معه ادركه العقل مع مساعدة الخيال ولهذا تكون الشبهات الواردة يكون كلام ذي المثلات من طبع الخيال
المحاكاة فلا بد من تعقيب كل معنى الا اذا ذكر معه المثال الصحيح وهذا مما لا يخفى استعماله ولا يعمى
عنه على من جبلته ادنى مسكة فكيف ويدعون المحجوج المبهوت والمحجوب المقطوع عن عالم
الملكوت لتوحد الحرف والحس يعول على المكابرة حيثما ينضغط في مضايق المعاطلة الله
المناظرة ان يلغو الواضح المستبهم ليسوغ فهمه وافقه طبعه السقيم وكم من عائب قولا صحيحا وآفته
من الطبع السقيم فليس يستنكر من الله سبحانه ان يمثل الحقير بالحقير كما يمثل الخطير بالخطير وان
كان الممثل الحاكي اعظم من كل عظيم بل انما بعظمته محيط بالصغير كما يحيط بالعظيم ولا
يعزب عن علمه ذرة والحكمة من ما في الارض والسماء ودقيقه من دقايقها كما لا يعزب عنه عظائم الاشياء
وجلائلها لانه مع كل شيء لا بمزاولة وعند كل شيء لا بمزاولة وهو اعلى من كل عال في علوه وادنى
من كل دان في دنوه فلا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها في الحقارة والقلة ومن
زعم ان التمثيل بهذه الاشياء الحقيرة لا يليق بالله فذلك لجهله باحكام الالهية وادوار
الربوبية وبرحمته الواسعة لانه تعالى هو الذي يشتمل بحكمته الكبير والصغير وبرحمته ما خلق
وبر انعامه لان احكام جميعه وليس الصغير اخفى واخف عليه من العظيم ولا العظيم اجلى له واصعب عليه

من الصغير الى الكبير لعزته ولحكمته قليل الكثير والصغير ان يضرب مثلا كالفيل والبعير اذا
الا انه يجانب المثل المضروب بالحقير كالذباب والعنكبوت فاذا كان المراد تقبيح عبادة الكفار
للاصنام وعدولهم عن عبادة الرحمن صلح ان يضرب لها المثل بالذباب في عدم اقتدارها
عن دفع المضرة عنهم وبيت العنكبوت في عقائدهم الباطلة وضعف اصولهم وقياسهم
في هذه المعاني كلما كان المضروب به المثل اضعف كان المثل اقوى واحكم وقد ضرب الله امثالا
في الانجيل بالاشياء المحقرة مثل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وتمثيل بالزوان وهو حب يخالط البر في الحنطة والنخل والارضة
والدودة ايضا مثل ملكوت السماء كمثل رجل زرع في قريته حنطة جيدة نقية فلما نام
جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فقال عبيد الزارع يا سيدنا الحنطة جيدة نقية زرعت
في قريتك فمن اين هذا الزوان فقال لعل عدوا زرعه فقالوا اتريد ان تقتلوا الزوان ونقلعه
معه بالحنطة دعوهما ينبتان جميعا فاذا حضر الحصاد امرت ان يلتقطوا الزوان من الحنطة وان
يربطوه حزمات ثم يحرق بالنار ويجمع الحنطة الى الخزائن وافسر لكم ذلك الرجل الذي زرع الحنطة
الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة نعم الناس الذين
يعملون بطاعة الله والعدو الذي زرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي التي زرعها
ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يدنوا اجالهم فيحصدون اهل
الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار كذلك اهل
الهاوية يلتقطون من ملكوت الله ويكون هناك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك في ملكوت ربهم فمن كان
له اذن تسمع فليسمع ثم قال واضرب لكم مثلا اخر يشبه ملكوت السماء ان رجلا اخذ حبة خردل
وهي اصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير
السماء فعششت في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله وعظمه ورفع من اهتدى به وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم
وتبقون الغل في صدوركم وقال ان قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يليها الماء ولا
ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا في البرية حيث
اللصوص والسموم فيسرقها اللصوص ويحرقها السموم ولكن ادخروا ذخائركم عند الله وقال لتحضر فتجدوا باعلينا الباسها
وهنالك بنيتها وهي لا يعولن ولا يغزلن ولا يحصدن ويعشهن ما في جوف بحر الاسم او يسوق العود ومن
يا تيهن بلباسهن وارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا

سفهاء

السفهاء فيشتموكم فصل في امثال العرب فقد اشتهر منهم التمثيل بالمحقرات وباحقر الاشياء فقالوا ادون
اسمع من قراد واطيش من فراشة من مخ البعوضة والطير من جرادة واقل منها واجرأ من الذباب
والح منه واشبه برمنة واجمع من الذرة واخبط منها واشتغل ايضا بما هو لا اصغر منه كالجزء
الذي لا يتجزأ بما لا يدرك لا انتاهيه في الصغر الا اللطيف الخبير او بالمعدوم وهو اخس من كل
شيء لانه لا شيء محض فقالوا هذا اصغر مقدار من الجزء الذي لا يتجزأ وهذا اقل من لا شيء في
العدد واما العجم ففي كتاب كليلة ودمنة واشباهه شواهد على ذلك وفي بعضها قالت البعوضة
وقد وقعت على نخلة عظيمة عالية واردت ان تطير عنها يا هذه استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت
النخلة والله ما شعرت بوقوعك فكيف اشعر بطيرانك وللحيوانات الجاهل المجروح وانما قال المنهوك
لا يتعجب منه فان في لطف صنع الله واحسانه في خلق البعوضة والعنكبوت وحسن التمثيل بهما
في التمثيل بهما في الحقارة شيء افلا ترى عجايب البعوضة او النملة او النحل او العنكبوت في افعالها
وابنائها مساكنها وذخائرها وهندستها بيوتها وفي جمعها الغذاء وادخارها لنفسها وفي الفها ازواجها
وحفظها واحتياطها في خصايص امورها وحاجاتها فترى العنكبوت يبني بيتها على طرف نهر فيطلب اولا
موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنها ان يصل بالخيط بين طرفيه
ثم يبتدئ فيلقي اللعاب الذي هو خيطه الى جانب فيلصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر
فيحكم الطرف الاخر من الخيط ثم يحكم كذلك ثانيا وثالثا ويجعل بينهما تناسبا هندسيا حتى اذا
احكم معاقد القمط ورتب الخيوط كالحمة اشتغل بالسدى فيضيف السدى الى اللحمة ويحكم العقد
على موضع العقد على موضع التقاء السدى باللحمة ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك
شبكة يقع فيها البق والذباب ثم يقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع بادر
الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفيها بخيط ثم
علق نفسه منها بخيط اخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابا يطير فاذا طار ذباب رمى نفسه
اليه فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله افترى ان العنكبوت تعلم هذه الصنعة
من نفسه وحده او علمه ادمي او لا هادي له ولا معلم ابقيت وتبصرة ان مسكينا عاجز عن الفكر
وكذا النحل وعجائب الحكمة في بناء بيوته اكثر من ان تحصى وما من حيوان صغير الا وفيه من العجائب
ما لا يحصى وذكره الكتب العتيقة ودوية لا يكاد يدركها البصر الحاد الا بتحريكها فاذا سكنت
فالسكون يواريها ثم اذا وجدت لها بيدا تشعث منها وتحجبت منه ثم لهما فان ينسبها لهذا الحيوان
الضعيف بهويته وشكله وصورته وهداته وعجائب صنعه لعنايته البارئ وتعالى رحمته
واحسانه به فصل اختلفوا في سبب نزول هذه الاية على اقوال الاول ما روي عن ابن عباس

وابن عباس ومسعود ان الله لما ضرب المثلين قبل هذه الاية للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل
الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال
فانزل الله هذه الاية او في تفصيل ان المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله لعنهم الله
واتباعهم تبعا باعتقادهم الناقصة او لتنبيهم باذيال اقوال المتفلسفة النافين لعلمه
بالجزئيات المتغيرة زعموا ان التمثيل بهذه الاشياء لا يجوز ولا يمكن الا بالالات ومشاعر
جزئية فكيف يتصور ان يقع الوحي بها الى النبي صلعم عند عروجه بروحه الى المقام الاعلى
عن الحس والتخيل وتلقيه المعارف فوقعت الاشارة الى دفع ما زعموه بان التمثيل بها
وبما هو اقل قدرا او انزل مرتبة منها واقع من الله ولكن العلم بحقيقة ذلك وبكيفية الوحي و
الانزال لا يمكن الا لمن امن بالله وباياته وعرف بكيفية تلقي النبي صلعم القران من لدنه فيهتدي بذلك
واما الجاهل المغرور بجهالته فيقع لاجله في الضلالة الثاني عن قتادة وعن [illegible] لما ضرب الله المثل بالذباب
والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزلت الثالث عن ابن عباس ان هذا الطعن
وقع من اليهود فانه لما نزلت يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فطعن في اصنامهم بانها كالذباب
والعنكبوت حتى ضرب الله بهما المثل فنزلت قال القفال الكل محتمل اما اليهود فلانه قال في اخرها الا
وما يضل به الا الذين ينقضون عهد الله وهذه صفتهم كما دلت عليه قصتهم واما الكفار والمنافقون
فقد ذكروا في المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا الاية
وهذا المثال اليهما لان السورة مكية فقد جمع الفريقان واذا ثبت هذا فالكل محتمل في هذه الاية
لان الثلثة كانوا متوافقين في ايذاء رسول الله صلعم وقد مضى في هذه السورة الى ههنا ذكر الثلثة
جميعا ثم قال القفال وفيه وجه اخر وهو ان يكون ذلك ابتداء من غير سبب لانه معنى مفيد في نفسه فصل
الحياء صفة انفعالية تعتري الانسان فينقبض معها النفس عن فعل ما يشبه القبيح عنه طائفة مخافة
ان يعاب عليه ويلام وان لم يكن قبيحا في نفسه وهو من الصفات المحمودة في الانسان متوسط بين
طرفين مذمومين وهما الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح والخجل الذي هو قصور النفس وانحصارها
عن الفعل الحسن وانتقاضها من الحركة لانه انكسار وانقباض للجوارح فيمنعها عن افعالها تبقى الجهة
الوجل اي انكسرت نفسه كما يقال خجل [illegible] وفي الاساس [illegible] واعلم ان كل صفة
بصفة [illegible] والزهد والقبض والبكاء والخجل والوجل طرف الحياء لان جميعها ما يعتريها
النفس والقلب لاجل انفعالها [illegible] المتوسطة بين الطرفين وهذه الاوصاف والحالات كالحقيقة
الشجاعة لما كانت بمنزلة الخالي عنهما كالماء الفاتر بين الحار والبارد ويقال له لا حار ولا بارد
وهو بهذا خارج عن جنس الاضداد بل الحصة من كل منهما عرضت محمودة لانها شبيهة بالقوة

غير

غير مقتضية لانفعال النفس بها وانكبابها عليها فان النفس كلما لم تنفعل عن موجبات
القوى ودواعيها فهي اقدر على تحصيل اكتساب الهيئة الاشتغالية عليها بما يسهل لها
الانقطاع عن هذا العالم والاتصال باجنحة الكروبيين فقد علم ان الحياء وما يجري مجراه
من الصفات ليس من الكمالات الحقيقية للنفس فضلا عما فوقها والا لكمل احق بان يبرى عن ما
وجب الانفعال والانفعال وهو الواحد القهار ولكنه قد ورد في الاحاديث عن سلمان الفارسي رضي
عن النبي ان الله حي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
وجاء في الحديث ايضا ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه فلا بد فيه من تاويل وقيل
فيه وجهان احدهما وهو القانون في امثال ذلك وهو ان يراد بها نفي المقابلات لسلب الصفات
او مبادئها او اثبات غاياتها بدون تلك المبادي فان كل صفة محمودة ثبتت للنفس لا
بمشاركة الجسم فاما بدايتها [illegible] وغاية فعلية واضداد قبيحة فالحياء مثلا حالة وصفة
عارضة للانسان ولكن لها مبدأ ومنتهى وضدا اما المبدأ فهو التغير النفساني والانفعال
الجسماني الذي يعتريه من خوف ان ينسب اليه القبيح واما النهاية فهي ان يترك الفعل المنوط به واما الضد
فهو الوقاحة والخجل فاذا ورد الحياء في حق الله فليس المراد ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء
ومقدمته ومعلوله بل انما نفي الضد الذي هو الوقاحة او ثبوت غايته الذي هو ترك الفعل المنوط
فقوله لا يستحيي اي لا يدع ولا يمتنع لانه كاحد اذا استحيى من شيء تركه وامتنع من فعله وكذا الغضب
له مبدأ هو شهوة الانتقام في النفس وغليان دم القلب البالغ ولرغايته هي انزال العقاب بالمغضوب
عليه وله ضد هو الخوف والرضا فاذا وصفنا الله تعالى بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ اعني شهوة
الانتقام وغليان الدم بل اما عدم الخوف كما في قوله ولا يخاف عقباها او عدم الرضا كما في قوله
ولا يرضى لعباده الكفر او انزال العقوبة وثانيهما ان لله تعالى وسائط منبعثة من ذاته العليا
كالملائكة والرسل وهم مستغرقون في شهود جلاله مستضيئون بنور وجهه وجماله لا التفات
لهم الى ذواتهم فضلا عن غيرهم فهم خلفاء الله الى عباده وبرايا في سماواته وارضه وفي بلاده
من حيث ان وجودهم لم يدخل لهم فيه فمن اطاعهم فقد اطاع الله ومن ابغضهم فقد ابغض الله
كما في قوله سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكما في قوله صلى الله عليه وآله
من اطاعني فقد اطاع الله ومن ابغضني فقد ابغض الله وكما روي عنه عليه السلام انه قال من رآني فقد
رأى الحق وهذا باب شريف ينتفع به في معرفة كثير من الايات القرآنية وتصحيح كثير من المسائل
الدينية كاثبات الغضب والانتقام والحياء والرحمة وكلمة البداء واثبات الارادة المتجددة

وشيوع الشيئات المتغيرة في قضاء الحاجات وإجابة الدعوات وتنجية الغرقى وإغاثة الملهوفين
وأمثال ذلك لا يزال والعقوبات الإلهية من القحط والسنة وغيرها على الأعداء ومحاربة الكفرة
والفراعنة إلى غير ذلك من الحوادث المتجددة بالإرادات المتغيرة فعلى هذا يكون معنى غضب الله عليهم
أن غضب ملائكة الله عليهم ومعنى فينتقم الله أن ينتقم ملائكة العذاب وسدنة جحيم منهم وهكذا
قياس غيرهما وههنا وجه ثالث أرق من الوجهين الأولين وهو أن لكل موجود في هذا العالم من الجواهر
والأعراض عوالم متعددة لا فوق هذا العالم مرتبة الأسفل إلى الأعلى كنسبة الشهادة إلى الغيب ونسبة
البدن إلى الروح ونسبة الظل إلى الشخص مثاله صورة المحسوس في الخارج كثيفة مادية قابلة للانقسام
فإذا ارتسم في القوة الباصرة زال عنه كثير من النقايص وبقي بعضها كأصل المقدارية والأوضاع وحاجتها
إلى المحل المركب من الأضداد وشرايط المقابلة والوضع إلى ما أخذ منه أو ما أخذ منه أو ما في حكمه وإذا
ارتفع إلى عالم الخيال خلص عن بعض النقايص والعيوب وبقي البعض ثم إذا جاء إلى عالم العقل تجرد وتطهر
عن النقايص والعيوب كلها إلا الإمكان والحدوث فإذا رجع إلى ما في علم الله وعالم الأسماء الإلهية
وصورة الأعيان الثابتة التي غير مجعولة تقدست عن جهات الكثرة والإمكان كلها فإن صورة علم
الله من حيث هي صورة علمه واجبة بوجوبه وكذلك الحال في جميع الذوات والصفات لأن العوالم مترتبة
في الشرف والوفاء لا كلها صورتها في علم الله ومنازل صفاته وآياته وهذه النقايص والشرور إنما
لحقتها في هذا العالم في الذات المتنازلة لبعدها عن منابع الخيرات فصورة الغضب إذا وجدت في
عالم الأبدان حيوان عن ثوران دم القلب وانتشار الروح في الدماغ وانتقالهما إلى أعالي البدن كما
يرتفع النار الذي يغلي في القدر فيحمر الوجه والعينين والبشرة ويحكي ما وراءها من حمرة الدم كما
يحكي الزجاجة لون الشراب الذي فيها وإذا وجدت في عالم النفس فهي عبارة عن حالة نفسانية
توجب اشتعال نار الطبيعة وإحراق مواد البدن ورطوباتها وتفعل بها ما تفعل النار المحسوسة
بالحطب اليابس وربما عند شدته دخان مظلم إلى معدن الفكر فيستولي ظلمته على نور العقل
وينطفي ويتحير في الحال بدخان الغضب وربما يتعدى الإظلام إلى معادن الحس فيظلم عين الرجل
حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه ككهف أضرم فيه نار فاسود
جوه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه ولا يسكن عن ذلك بالموعظة وغيرها بل يشتعل
ذلك إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق وربما ينطفي بحيث يطفي الرطوبة التي بها حيوة البدن
فيموت صاحبه غيظا كما يقوى النار في الكهف فينشق فتنفصل أعاليه على أسافله وذلك لا يطاق النار
ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائها فهذا حال الغضب الناشئ من النفس ولا يتعلق أضعاف

وكدورات

وكدورات والآلام يعود إليها حيث إن يسري حكم الغضب أولا في البدن والهلاكة وجنودها
وقواهما وبواسطتها يسري إلى عروقها وإذا وجدت صورة الغضب في عالم العقل فحقيقتها
هي القهر على ما دون عالمه قهرا يوجب خضوع النفوس التي هي فوقها وطاعة الطبايع والأجرام
التي هي تحتها من غير تغير ولا شوب انفعال وتغير لأن عالم العقل عن شوب التغيرات والانفعالات
وأما الغضب الإلهي فإنما هي صفة قاهرية على الكل وعليه نور أحديته وفردانيته التي لا مجال لوجود
الكثرة ولا إمكان عنده ولا لظهور مشارك في صفة الوجود لديه فيهلك كل شيء يوم القيمة لدى
غضب الله الواحد القهار ويضمحل كل ظل وفيء عند غلبة نور الأنوار ظهورا وقد ورد في الحديث عنه صلى الله
عليه وآله يغضب اليوم غضبا لم يغضب مثله واعلم أن النار الآخرة صورة من صور غضب الله
الساري في العوالم وشرر من شرارة ذاته ومظهر من مظاهر قهره وكذا إبليس وشرور جنوده
وأولاده مظاهر أعين فوقها والهاوية مظهر دونها كما أن الماء منشأ الحيوة والكوثر صورة رحمته
والعرش الذي على الماء محل استواء الرحمن وصورة فوق ذلك والمادة الأولى دونه والنبي الخاتم
صلوات الله وسلامه عليه وآله لكونه رحمة للعالمين هو المظهر الجامع لشؤون الرحمة الإلهية كما
أن في مقابله إبليس هو الجامع لجميع الشرور الحاوي هو وأولاده وجنود إبليس أجمعين مظاهر الغضب في
شؤونه إلى يوم الدين وبالجملة ما من شيء في هذا العالم إلا وينتهي أصله وسره إلى حقيقة إلهية
وسر سبحاني وأصل رباني ومطلع أسمائي ومنزل صفاتي ويكون نحو وجوده في عالم الوحدة
الجمعية الإلهية مبرأ عن كل كثرة وشوب مبرأ عن كل نقص وعيب وهكذا في جميع ما ينسب إليه تعالى
من الصفات التشبيهية كالحياء والغضب والانتقام والرحمة والرضا والصبر والشكر والقبض
والبسط والسمع والبصر والشوق والعطف وما أشبهها وكذلك اليد واليمين والقبضة والقلم
واللوح والكتابة والذهاب والمجيء والخيبة والقدم والوجه والعين والإتيان وما يجري مجراها
فمن عرف ما ذكرناه فتح على قلبه باب عظيم من علوم المكاشفات فصل في تتمة القول
في معنى قوله إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا قيل يجوز أن يقع هذه العبارة في كلام الكفرة
فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاء هذا الكلام على سبيل
الطباق للجواب على السؤال وهذا نوع بديع من الكلام واعلم أن ما لا يجوز عليه تعالى من المثالب و
النقايص فيجب أن يسلب عنه نفيا ولا يجوز إطلاق ذلك السلب عليه على طريق الإيجاب العدولي
ولا على إيجاب سلب المحمول مثلا لا يجوز عليه الجسمية فيجب أن يسلب هي عنه ويقال ليس هو بجسم
ولا يقال هو لا جسم أو هو ليس بجسم لأن إثبات المعنى العدولي وكذا إيجاب المفهوم السلبي عليه
يستدعي اتحادا ما وذلك يستلزم أن يكون للمعنى ما عليه ذات له كان في ذاته بلا مصداق

ذلك المعنى ومطابق حمله عليها وهو محال لكون ذاته تعالى حقيقة الوجود المجهولة القصوى
وانما عارضة له لانه ان لم يكن كذلك فيلزم التكثر في صفاته وهو ايضا مستحيل كما بين في مقامه
ثم انه كان القاضي ما لا يجوز على الله من هذا الجنس اشار انه يجب ان لا يطلق على ربنا المنفي ايضا عليه
وانما يقال انه لا يوصف به فاما ان يقال لا يستحيي ويطلق ذلك عليه فهو لانه يوهم نفي ما يجوز
عليه وما ذكرهم نعم في كتابه من قوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فهو بصورة النفي وليس
بنفي على الحقيقة وكذلك قوله ما اتخذ الله من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل
ما ورد في القرآن اطلاقه جائز ان يطلق في المخاطبة فلا يجوز ان يطلق ذلك الا مع بيان انه
ذلك مع ان قبل البرهان ان هذه الصفات منتفية عن الله ثم كان الاخبار عن انتفاء فاذا لا يطلع
صحتها اليه فنقول هذه الدلالة ممنوعة وذلك لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على ثبوت غيره
بل لو فرق اللفظ بما يدل على انتفاء الصحة ايضا لكان احسن من حيث المبالغة في البيان وليس اذا
كان عدم الحسن ان يكون قبيحا وان يضرب مجرور المحل عند الخليل باضمار الجار ومكون ومنصوب
عند سيبويه بافضاء الفعل اليه بعد حذفها وقيل فيه لغتان واستحييته منه وهما معا اوردهما
الكشاف وضرب المثل اعتماده وتكوينه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي مجمع البيان ان الضرب يقع على جميع
الاعمال الا قليلا فقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا
وضرب فلان على يد فلان اذا افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها لتسير في البلاد
فيقال ضربت القول مثلا وارسلته مثلا وما اشبه ذلك فصل قوله مثلا ما بعوضة قيل ما ابهامية
يراد بالابهام والشيوع والعموم وانسداد طرق التقييد كقولك اعطني طعاما ما اي طعام كان
او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله فبما رحمة من الله ولا يعني بالمزيد اللغو الضائع حاشا الكتاب الالهي
عن ذلك بل كله هدى لقوله هدى للمتقين وقوله تبيانا لكل شيء وانما يعني به ما لم يوضع لمعنى
مراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة فهو زيادة في الهدى غير قادح فيه
وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه
لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل ما وجوها ان تكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن او موصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما ردا استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة
فما فوقها حتى لا يضرب بها المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار
ودينارين والبعوض اصله صفة على فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب استعماله على
هذا النوع من الحيوان وقوله فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما واختلفوا في هذا ... في

الفوقية

الفوقية اهو في الحقارة او الجثة فقال بعضهم المراد ما فوقها في الصغر والقلة كقولك
لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تعني به ابلغ واعرف فيما وصف به من النذالة
والخساسة والمحققون على هذا لان المقصد تحقير الاوثان فكلما كان المشبه به احقر كان
المقصود اكمل ولانه في بيان انه لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير فما هو اشد حقارة كان اولى
بالبيان ولان الشيء كلما كان اصغر كان الاطلاع على اسراره المودعة فيه من الله ادل على لطفه
وعنايته فالتمثيل به اقوى في الدلالة على كمال الحكمة من الدلالة بالشيء الكبير او لا ترى ان البعوضة
من عجائب خلق الله فانها صغيرة جدا وخرطومها في غاية الصغر ثم انه مع ذلك مجوف ثم الخرطوم
مع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الفيل والجاموس على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه
في الخبيص وذلك لما ركب الله في خرطومها من السم قال الربيع بن انس ان البعوضة تحيى ما جاعت فاذا سمنت
ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند
ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام
انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق
في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه بذلك المؤمنين على لطف
خلقه وعجيب صنعته وربما قيل كيف يضرب الله المثل بما دون البعوضة وهي ما يشبه القلة
فيقال جناحها اصغر منها بكثير وقد ضرب رسول الله مثلا للدنيا في قوله لو كانت الدنيا تزن
عند الله جناح بعوضة لما سقى منها الكافر شربة ماء وفي خلق الله حيوانات كثيرة اصغر منها كما
وقال الاخرون المراد فما هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم
انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء واحتجوا بان لفظ فوق يدل على العلو فاذا قيل هذا فوق
ذلك فمعناه انه اكبر منه ويروى ان رجلا مدح امير المؤمنين عليا ع والرجل متهم فيه فقال
انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك ثم ان ما يحتمل الاحتمالين هو ما روي ايضا ان رجلا بمنى
خر على طنب فسطاط ودخل رهط من قريش على عائشة وهم يضحكون قالت ما يضحككم قالوا فلان خر على
طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلعم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فاحتمل الشوكة
وما دونها في الالم كالخرور على طنب الفسطاط وما زاد عليها في الالم نحو نخبة النملة لقوله صلعم ما اصاب
المؤمن كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فقوله صلعم فما فوقها يحتمل الشيئين جميعا فصل
قوله فاما الذين آمنوا فيعلمون انه اما كلمة تجيء في شيئين او اشياء تفصل القول بينهما وتوكد ما بعدها
كقولك اما زيد فمحسن واما عمرو فمسيء وزيد مبتدأ فمحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء

ولذلك يجاب بها وتقديمه عند سيبويه مهما يكن من شيء فزيد محسن اي هو محسن البتة وانه لا
مندوحة عنه اي هو عزيمة ثم اقيم اما مقام الشرط فصار فزيد محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لكراهة وقوع
ما شانه التعقيب اول الكلام فقوله اما الذين امنوا فيعلمون بجزم وكذلك قرينة
وتفصيل الجملتين بها تعظيم لاهل الايمان واعتداد بشأنهم وعلمهم وذم بليغ واهانة للكافرين
على ما قالوا واسقاط لقولهم عن درجة الاعتبار والضمير في انه للمثل او لان يضرب وهو القول
الصادق الذي لا يسوغ انكاره او الفصل الصائب الذي لا يجوز تخطئته والعدول الثابت الذي
لا يحتمل زوالا لدين قولهم حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك ومنه ثوب محقق اي محكم
النسج يعني ان العرفاء بالله وبرجاله وملكوته وكيفية انزال الوحي منه على رسله يعلمون حقيقة
الوحي والانزال وان اكثره من باب ضرب الامثال للناس وتعقيب المعاني الكلية في قوالب الامثلة
الجزئية لانه يهتدى به الخلائق الى طريق المعرفة بالحقائق كما في قوله ويرى الذين اوتوا العلم الذي
انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وكقوله وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقوله ماذا اما كلمة واحدة منصوب المحل على انه مفعول قدم على فعله
كقولك ماذا اراد زيد وهو بمعنى ما يجري او كلمتان مجهولتان اسما واحدا ولا هام في محل
الابتداء وثانيهما لكونها اسما موصولا بمعنى الذي يكون مع صلته خبرها

فصل

قوله تحقيق الارادة في الحيوان كيفية نفسانية من جنس المحبة والكراهة وسائر الامور النفسانية
ودرجتها في الوجود بعد العلم وقبل القدرة واختلفوا في انها عين الشوق او غيره اقول التحقيق ان الشوق
في الحيوان الحسي صورة المحبة والكراهة في النفس العاقلة وصورتهما في المادة الحيوانية الجذب
والدفع المنافرة فلاشرهما الى انه لكل صورة نفسانية مراتب كثيرة فوقها وتحتها وكلما كانت اشد
نزولا هابطة الى الكثرة والتفرقة وكلما كانت اعلى نسبة بحسب الوجود صاعدة الى الجهة الواحدة
ابعد عن عالم الكثرة والتفرقة فالارادة في الواجب عين علمه وقدرته وحيوته وسمعه
وبصره وجميع عين ذاته بلا تغاير وقال الامام الرازي في تفسيره الكبير الارادة ماهية يجدها العاقل من
نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه والمه ولذته فاذا كان الامر كذلك لم يكن تصور
ماهيتها محتاجا الى التعريف وقال المتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي الجائز على الاخر لا في
الوقوع بل في الايقاع واحترزوا بالقيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين
على اطلاق هذا اللفظ على الله تعالى فقال النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير مغلوب ولا مستكره ومنهم من قال
انه امر ثبوتي وهؤلاء اختلفوا فقال الجاحظ والكعبي وابو الحسين البصري معناه علم الله باشتمال
الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف وقال ابو الحسن الاشعري واتباعه

وابو علي

وابو علي وابو هاشم واتباعهما انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما
ان يكون ذاتية وهو القول الثاني للنجار واما ان يكون معنوية وذلك المعنى اما ان يكون
قديما وهو قول الاشعرية او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية
او قائما بجسم آخر وهذا القول لم يقل به احد او يكون موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم
واتباعهما انتهى ما ذكره وفي كتاب الاربعين ذكر تقسيم المذاهب في ارادته تعالى هكذا اما ان يكون
نفس ذاته وهو قول ضرار واما امرا سلبيا وهو القول الاخر للنجار واما بمعنى قديم وهو مذهب اصحابنا
واما بمعنى حادث اما قائم بذاته وهو قول الكرامية او موجود لا في محل وهو قول الجبائية
وعبد الجبار من المعتزلة او قائم بذات غير الله ولم يقل احد ذهب اليه ثم ابطل القول الاول
بانا نعلله ونشك في كونه مريدا والثاني بلزوم كون الجماد مريدا والخامس والسادس بلزوم التسلسل
في الارادات والخامس خاصة بانه لا يتصف بالحادث بذاته والسادس بانه يلزم عرض لا في محل وبان
ما لا محل له الى جميع الذوات سواء وكونه ذاته تعالى لا يوجب اختصاصه به اقول في كل ما ذكره
في بطلان هذه الاقوال نظر اما ما ذكره اولا فغير مناف لعينية الارادة لذاته لان مراده
من العلم بذاتها ان كان بالكنه فغير واقع وان كان بوجه فلا ينافي العلم بوجه الشك في ذلك
في ثبوت ما هو عينه في الواقع له واما ما ذكره في ابطال الثاني فلا يضره الفرق بين السلب
والسلبي اذ معنى كون الارادة سلبية انها عبارة عن سلب العجز مطلقا او المغلوبية او كونه
مكرها كما ذكره اولا فعلى هذا لا يصدق على الجماد واما ما ذكره في ابطال الخامس و
السادس فلانهم ان يرتكبوا التسلسل في الارادات لانها معدات بعضها لبعض والفاعل جميعا هو الله
ولا يستلزم ذلك ابطال اثبات الصانع للفرق بين الفاعل والمعد والحاجة الى المرجح والمخصص
المعد لا يرفع الحاجة الى الصانع المرجح المفيد كما ان الفلاسفة مع كونهم ذهبوا الى مثل هذا
التسلسل في الحوادث المعدة ابطلوا القول بالتسلسل في العلل الموجبة واثبتوا به الصانع لكن يرد عليهم
ما لا يرد على هؤلاء المتكلمين وهو اثبات تعلق قديم بتلك الحوادث المتسلسلة غير الباري
تعالى والذي يلزم على هؤلاء شيء آخر وهو لزوم كونه تعالى محلا للحوادث التي هي الارادات المتجددة
وذلك غير مقطوع عندهم بل ربما له وجه وجيه يمكن بيانه بحيث لا يقدح في التوحيد الالهي و
لا يسقط احديته عن وصمة التغير والتجدد والتكثر في ذاته تعالى علوا كبيرا وليس هاهنا موضع بيانه
وذكر الشيخ الجليل ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في باب المشية والارادة من كتاب التوحيد
من كتب الكافي عن ابي الحسن عليه السلام ان لله ارادتين ومشيتين ارادة حتم وارادة عزم

بهى وهو بنا، وبامره وهو لا يشاء او ما رأيت انه نهى آدم وزوجته ان يأكلا من الشجرة وشاء ذلك
ونهى شاء ان يأكلا ولما غلبت مشيتهما مشية الله وامر ابرهيم ان يذبح اسحق ولم يشا ان يذبحه ولو كان
شاء لما غلبت مشية ابرهيم مشية الله وبيد الذرح بجواب عما ذكره فى ابطال الخامس خاصة وانما
ما ذكره فى ابطال الشارح خاصة فنقول شيد فيه ان الارادة كالعلم والقدرة وغيرها من الصفات
ليس المراد بها المعنى المصدرى بل كما ان العلم عبارة عما به ينكشف المعلوم لدى العالم فكذا الارادة
ما به يترجح احد طرفى المقدور عند القادر واحد المقدورين المتساويين عنده فى المقدورين
المتساويين عنده وكما ان لعلمه تعالى مراتب ومنازل واخر مراتبه وجود الموجودات الزمانية
المكانية بعنوان وجودها بعينه نحو معلوميتها ونحو علمه تعالى هذا العلم الزمانى فكذلك
لارادته جل ذكره مراتب ومنازل واخيرة مراتب الارادة هى بعينها ذوات الموجودات الحادثة
بمعنى كلا منها بهويته مراد الله ويريد بها الله تعالى لان به يختص وجود ذلك الشئ و
يترجح على عدمه فكل منها ارادة ومراد باعتبارين كما ان علم ومعلوم باعتبارين فمراتب الارادة
ثم مضاهية لمراتب علومه بل هى هى عند التحقيق عما ادراك هذا المقام يحتاج الى تصفية الاذهان
وتجريدها عن انظار اهل المعطلين بل المبتدعين واهل ما ذكرناه فى توجيه كلامهم
لم يغفلوا عنه غفلة تامة وذهلوا عنه ذهولا عريضا الامر ضيقا فى ذلك كشف الحق ودفع
الباطل باى وجه كان ولا يبعد ان كان لهؤلاء اشياخ متقدمون وكانت لهم علوم صحيحة
غامضة عن افهام هؤلاء الاخرين ولهم كلمات مرموزة المعانى والرموز مخالفة الظواهر
لاختلاف عاداتهم فى طريق التعليم وبيان الرمز والمتأخرون حيث لم يلحقوا اشياخهم ولم
يصلوا الى مقاماتهم حرفوا الكلم عن مواضعها وذهبوا الى ما ذهبوا وسلكوا طريق الجدال وحرفوا
كتبهم بمثل هذه الا قوال الذي عاينهم ان فى ذلك نصرة الدين الا انهم تركوا سلسلة الشياطين
وخذلوا ذوى اولياء اليقين واضاعوا سيرة السالكين فى مناهج الاخرة وسالك الدين واعلم
ان الكلام فى صفاته تعالى طويل وتحقيق غيبيتها للذات تم او غيريتها له تعالى غامض دقيق قد مرت
اليه الاشارة فى المفاتيح الغيبية وسيجئ الرجوع الى تحقيقها امتى بعد اخرى زيادة فى التوضيح
وابلاغا فى التذكر والتنبيه قوله جل اسمه يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا يحتمل ان يكون
جوابا لماذا على انها مصدرية اى اضلالا كثيرا وهداية كثيرة وانما وضع الفعل موضع المصدر للاشعار
بالحدوث والتجدد وانما حكى الله عنهم استحقارهم لكلام الله بقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا
اجاب عن ذلك بهذا القول ويحتمل ان يكون بيانا للجملتين المصدرتين باما وتسجيلا بان العلم
به

بكونه

بكونه حقا هو الحق وبيان وبجهل به الاخفا لجنس من درك اضلال واضلال وكثرة كل
من الفريقين فى انفسهم لا ينافى وصف المهتدين بالقلة بالقياس الى اهل الضلال كما
قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وربما قيل القليل من المهتدين عند كثيرة الشرف والفضيلة
لها ذهابا الى الحقيقة وكثرة الضلال تبين من حيث العدد قلة لهم فى الحقيقة عن ابن مسعود
السواد الاعظم هو الواحد على الحق فالمهتدون اكثر حقيقة لانهم على الحق والضالون على
الباطل فهم اقل حقيقة وان كانوا اعظم وكما قيل قليل اذا عدوا كثير اذا اشتدوا وقيل ايضا
ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واعلم ان هذا كلام محقق وتحقيق
يبرهن عليه اذ قد حقق فى مقامه بالبرهان وذهب اليه جمع من اهل الحكمة من المتوفين ان العقل الواحد
بالفعل كل الموجودات التى دونه وانه الحقيقة التى عليها الموجود ذو فى عالم العقل الجبروتى وحدانيتها العقلية
يحيط بجميع الاعداد والجزئيات التى دونها وان ذات النفس الناطقة على وحدانيتها وتجردها هى عين
قواها المدركة والمحركة كثرتها وتخالفها وتفاوت مراتبها وتشابهها فصل اعلم ان
مسئلة اسناد الاضلال والاغواء وسائر المعاصى الى الله فى هذه الاية وغيرها مما زلت فيها اقدام الاولياء
ومصارع للاهواء غرقت فى بحارها افهام الاكثرين ولم ينج من مهاوى تخالفها الا القليل
فلنتكلم ههنا فى تحقيق الاضلال كلاما مستبينا كشف نقاب الارتياب والامتراء ويتجلى برهانه
ليتضح وجه الحق من مكمن الاحتجاب والاختفاء ليكون تحقيقه بحوله تعالى من الصفات الحارية
مجراة فاصلا مرجوعا اليه فيما يجئ من معانى الايات من الضلالة الغرابة من هذا القبيل
من هذا الباب ولنذكر اولا ما ذكره ارباب الافكار واصحاب الانظار من البحث والالزام
الرد والابرام ثم نضيف اليها ما هو طريقة اهل الحكمة والتحقيق فنقول ذلك بايراد لمعة
من بوارق نور الحقيقة وقطرة من بحار علم التأييد فنقول قد ذكر اهل اللغة ان همزة الافعال
قد يجئ للتعدية لغير المتعدى كما فى خرج واخرج وقد يجئ لعكس ذلك فينقل المتعدى الى غير المتعدى
وقد يجئ لعكس ذلك فينقل المتعدى الى غير المتعدى كما فى كببته فاكب وقد يجئ لمجرد الوجدان
كقوله امت الله ضلالا فالمعنى وجدتها سالمة اذا ثبت هذا فنقول انا نسأل الله لا يمكن حمله
على وجه من الوجوه صريح ضلالة والثالث انه وجدهم ضالين اما الاول اما ان يراد به
هنا الاعمى عن الدين او جزاء ضلالة عن الجنة ثم معنى الاضلال فى عرف اللغة عن الدعاء الى ترك
الدين وعناده او القاء الوسوسة فى قلبه وهذا الاضلال لا يجوز اسناده الى الله تعالى بل الى الشيطان
فقال انه عدو مضل مبين وقال حكاية عنه لاضلنهم ولامنينهم وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين
اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الى غير ذلك من الايات التى اضاف الله بها الاضلال

لما بليس اضاف الاضلال الى فرعون وبجعله ايضا حاكيا في قوله واضل فرعون قومه وما هدى
واضلهم السامري ثم ان الاجماع متحقق على ان هذه الامة كلها على ان الاضلال
بهذا المعنى لا يجوز على الله لانه ما دعى احدا الى الكفر بل نهى عنه وزجر وتوعد بالعقاب عليه كما
انه رغب في الهداية وامر بالهدى ووعد بالثواب وعند هذا افترق اهل الجبر والقدر الى اثنين
وفتحوا باب التفرق في التاويل اما اهل الجبر واصحاب ابي الحسن الاشعري فلعدم التزامهم قاعدة
التحسين والتقبيح العقليين ولانه ما قطعتهم على القوانين العقلية حملوا الاضلال المنسوب اليه
تعالى على كونه خالق الضلال والكفر فيهم فصدهم عن الايمان وحال بينهم وبينه وربما
قالوا هذا هو حقيقة اللفظ بحسب اللغة لان الاضلال عبارة عن جعل الشيء ضالا كما ان الاخراج
والادخال عبارة عن جعل الشيء خارجا وداخلا وقالت المعتزلة هذا التاويل غير جايز
لغة وعقلا اما اللغة فلوجوه احدها انه لا يقال لمن منع غيره عن سلوك الطريق جبرا
انه اضله بل يقال صرفه ومنعه وانما يقال اضله اذا اغواه ولبس عليه وثانيها انه وصف ابليس
وفرعون وغيرهما بالاضلال وهم ما كانوا خالقين للضلال في قلوب الخلق بالاتفاق مع انه وصف
المضل عليهم على سبيل الحقيقة اللغوية دون المجاز وثالثها ان الاضلال في مقابلة الهداية
فكما صح ان يقال هديته فما اهتدى صح ان يقال اضللته فما ضل واذا كان كذلك خلق ح
استحال حمل الاضلال على خلق الضلال اقول هذه الوجوه الثلاثة في غاية السقوط والانقطاع
عند من اطلع على مذاهب العرفاء واغراضهما اما الوجه الاول فلان غرضهم من خلق الضلال
فيهم ومنعهم وصدهم عن السبيل هو انشاء الوسوسة في قلوبهم كما في قوله تعالى ونفس وما سويها
فالهمها فجورها وتقويها ... انفسهم والموسوس بالحقيقة واما الوجه الثاني فلان نسبة
كل فعل عندهم اليه تعالى بالخلق والى غيره بالكسب لا اختصاص لذلك بهذا اللفظ فالحال
في اضل الله واضل فرعون وغيره كالحال في هدى الله وهدى رسوله واوليائه وفي غيرها
من الافعال المنسوبة اليه تعالى تارة والى غيره اخرى واما الوجه الثالث فلان هديته فما اهتدى
واضللته فما ضل انما يصحان فيما اذا كان الفاعل هو الله بلا مدخلية احد فالتخلف عليه
محال واما ادلتهم العقلية فاولها انه تعالى لو خلق الضلال في العبد ثم كلفه بالايمان لكان تكليفا
بالجمع بين الضدين وذلك سفه وظلم وهما محالان على الله وثانيها لو كان تعالى خالقا للجهل وملبسا على
المكلفين لما كان مبينا لما كلف به العبد والاجماع منعقد على كونه تعالى مبينا وثالثها لو كان كذلك
لم يكن لانزال الكتب وبعثة الرسل اليهم فايدة لكان عبثا وسفها ورابعها انه على ما ذكر في كثير من الايات
نحو قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وقوله فانى تصرفون

وتاسعها

وتاسعها انه تعالى ذم ابليس وحزبه ومن سلك سبيله في الاضلال والاغواء وامر بالاستعاذة
منهم بقوله قل اعوذ برب الناس من شر الوسواس وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واذا قرات القران فاستعذ بالله فلو كان فاعل الضلال لوجبت الاستعاذة منه كما وجبت منهم
ولا استحق المذمة كما استحقوا وان يتخذ عدوا كما وجب اتخاذ ابليس عدوا والحجة
له تعالى في جميع ذلك فانه الملي بذم الضلال على الزم تنزيه ابليس عن هذه القبايح كلها واحالتها
على الله فيكون الذنب منقطعا عنه بالكلية وعائدا الى الله تعالى سبحانه عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وسادسها انه تعالى اضاف الاضلال عن الدين الى غيره وذمهم لاجله فقال واضل فرعون قومه واضلهم
السامري ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب اليم وهكذا في كثير من الايات فان كان المضل
الحقيقي والفاعل لهذه الاضلال هو الله فكيف يذمهم عليه وسابعها انه تعالى يذكر هذا الضلال
جزاء لهم على سوء صنيعهم وعقوبة لهم فلو كان المراد ما هم عليه من الضلال لكان ذلك عين ذنبهم
فهل الاجر لهم عليه ... [illegible] ... لجاز ذلك لجاز العقوبة بالزنا
وشرب الخمر على شرب الخمر وهذا غير جايز وثامنها ان قوله وما يضل به الا الفاسقين الذين
ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه صريح في ان هذا الاضلال انما لحقهم بعد فسقهم ونقضهم عهد الله
باختيار انفسهم فيكون معلولا لفسقهم ونكثهم وعاشرها انه تعالى ذكر في كثير من الايات التي فيها ذكر الضلال
مشفوعا بان الضلال على ما قال وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين ... مسرف
مرتاب فلو كان المراد بالضلال هو ما زعموه فكان في ذلك اثبات ... هذه الوجوه
التي ذكرها صاحب التفسير الكبير عنهم ثم بحث عنها مع كونه اشعري المذهب بعيدا عن الاعتزال وتاويل
في الجواب عنها اما بجملة ... لا خصوصية لها باهل الكلام بل يجري في جميع الافعال
مجرى الاضلال كالختم والطبع والاعماء والاصمام وغيرها المنسوبة تارة الى العبد والى فعل
في هذا العالم وهو عالم الظلمات والشرور ... نقص وافة وقصور
... والعالم الذي كله خير ونور ... واما تفصيله وتكميل
من هذه الوجوه ... اما بالنقض واما بالمعارضة واما بالحل اما الجواب عما ذكروه اولا
فبان التكليف ... الايمان ... الرسول والكتاب ... الازلية
البعض ... الحكم بابعاد من هو اهل الطرد والرجم ... النار
القلب العاصي والجوهر المظلم الردي واما ... ثانيا فان نور ...
لجميع ... القلوب كنور الشمس ... صفات ...
الجهل والا ... كالظلمة والكدورة الناشية من تراكم الحجب ... والظلمة واما

فبان فاعليهما بالذات راجعة الى اهل الايمان بتنويرِ قلوبهم نوراً فوق نور واتصافهم بالحبل
المتين والعروة الوثقى عن هاتين بجهل والمغرور وظلمات متراكمة بعضها فوق بعض
وقابليتهما بالقياس الى المطرودين بالوصف اعراضهم عن الذكر الحكيم زيادة في بعدهم وطردهم
ومقتاً لانهم لاهل اللطف والكرامة ليفرحوا بما هم عليه من علوّ همّة الدار والسعي في تحصيل الاوراق
والاقوات وصرف العمر في اعمالات وازدياد يحصل منه لاهل الحق من حيث لا يشعرون ولما
الايات الواردة على مواهب دليب اقل من الايات الواردة على معتادة بحسب الظاهر في الاعتقاد
والتابيد فيها اليس اقل من الايات الواردة على معتادة بحسب الظاهر في الاعتقاد والتايد فيها ليس
باقل من القدح والجرح بما يقابلها فظاهر الامر وذلك مثل قوله تعالى واضله الله على علم وختم على سمعه
وبصره غشاوة وقوله ومن يهدي من اضل الله وقوله انك لا تهدي العمي من ضلالتهم لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يؤمنون وما تغني الايات والنذر عن قوم لا ... ومن الاخبار ... في
الفتنة الى غيره لذلك آيات كثيرة في هذا الباب وقد اعترض بالظاهر في المعنى الواحد كما يختلف الحال
بحسب اختلاف الحال والظن لكن لا يختلف بحسب اختلاف المبادي والقوابل بل هذا الاشتراك في
الاختلاف فكما نعرف في عناصر في الشيء الواحد منها ابيض ويقع بالنظر الى قابلين وكذا يعنى بحسن
بالقياس الى قابلين ولا ترى ان اهل الحق مؤمنين وبلاؤهم في دار الدنيا في حسن الامتنان
حسن عند الله ... مشتركا ومنا كافر بعين كون الافعال منسوبة اليه من خير او شر ...
محلا وحاملا له فان يرى من الاعراض الفاسدة والاوصاف الرديئة ... لنا ما يفعله من الخير والصلاح
وغاية رجال الايمان وملاحظة حسن النظام في الفيض ليس مترتبا على ارادة ما ذكرنا الا ان
كلها يفعله وفيه مصلحة الكل وحكمة الايجاد ونحن الفساد والبلاد ... الخلق الى سبيل الرشاد
وطريق السداد وانما هو لنا ... ذكرنا من ان الذي راجع الى العبد ولا ... القبيح يؤثر
فيهم بالتغيير والتحريف لما هم عليه من ضعف الوجود وقوة القابلية يتغيرون من خلق الله ويتغيرون
عن الفطرة التي كانوا عليها ويعدلون عن الصراط المستقيم الى طريق الهاوية والجحيم واتباع الشياطين
فان سوء الاعمال القبيحة والمعاصي المظلمة والاعراض عن الحق والخوض في الباطل يؤدي الشخص
الى ان يسود باطنه ويقسو قلبه بالكلية فينتهي حاله هي كذلك الى ان لا يؤثر فيهم الهداية
والارشاد ولا ينجع فيهم الايات والنذر فيقعون في الضلال البعيد في الدنيا ويحشرون عميا ... في
في الاخرة جزاء لما كانوا عليها وذلك بما كسبت قلوبهم انما يدعون الناس فبان الفسق ونقض العهد
وان كانا من جملة ما استحقوا به ظلمة في القلب وضلالا عن الطريق لكن الدوام عليهما وعدم التوبة
عنهما اوجب فيهما ظلمة زائدة وضلالا بعيدا وهذا الكسب ليس مخصوصا بالفاعلية والايجاد بل معنى

الوسيلة

الوسيلة والاعداد والفاعل الحقيقي عندهم هو الله والافعال السابقة مقربات ومعدات
او علامات ومناسبات واما نحن الناصح فبان الضلال الفاسقين والمسرفين حاصل من
الاضلال المنسوب اليه تعالى واثبات ليس بتحصيل اذ كان متعين لك الاثبات لا باثبات مجدد
وقد قرر في العلوم العقلية ان تحصيل الحاصل بنفس التحصيل الاول غير تحصيل فهذه هي التي
تحتج في جواب ادلة المعتزلة واعتراضاتهم على بطلان تاويل الجبرية وسيأتي تمام الاستقصاء
وما يهتدي به اهل الاستبصار وما يهتدي به اهل الاعتبار ثم لما ذكروا تلك الاعتراضات على
بطلان تاويلهم قالوا فوجب المصير الى وجوه اخرى من التاويل وذكروا تلك الوجوه الاول ان
الرجل اذا ضل باختياره عند حصول شيء من غير ان يكون لذلك الشيء اثر في ضلاله فيقال لذلك
انه اضله قال تعالى في حق الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس اي ضلوا بهن وكذا في يغوث
ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا اي ضل بهم كثير من الناس وكذلك قوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا
وقوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فالاضلال على هذا المعنى يجوز ان
ينسب الى الله تعالى على معنى ان الكافرين ضلوا بسبب الايات المشتملة على الامتحانات والثاني ان
الاضلال هو التسمية بالاضلال فيقال اضله اي سماه ضالا وحكم عليه به واكفره اي سماه
كافرا قال الكميت وطائفة قد اكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب
ثم قال وما زال شرب الراح حتى اضلني صديقي وحتى ساءني بعض ذلك اراد سماني ضالا وهذا
الوجه مما ذهب اليه قطرب وكثير من المعتزلة ومن اهل اللغة من انكره ويجاب عن هذا التاويل
بانه مع كونه في غاية البعد لا يدفع الاشكال اذ من سماه بذلك وحكم به عليه فلو لم يأت
بالضلال لانقلب علمه جهلا وخبره كذبا وذلك محال فالمفضي الى المحال وهو عدم اتيان
المكلف به يكون محالا ووجوده واجبا وهذا عين الجبر الذي تفرون عنه فانحل قيلكم لا محالة وبه
يخرج الجواب عن الوجه الاول لهم كما يعرف بالتامل مع ان كل عاقل يعلم بعد هذه المقالة سقوط
الوجهين والثالث انه يكون الاضلال هو التخلية وترك المنع بالقهر والجبر فيقال اضله اي
خلاه وضلاله كما يقال افسد فلان ابنه اذا لم يتعهد اصلاحه اذا كان الاحسن بان يمنعه
من ذلك وههنا الامر على خلاف ذلك لانه لو منع المكلف عن الضلال بالمكلف فعله
بان منعه جبرا من هذه المفسدة لادى مفسدة اخرى اعظم من الاولى سيما على قاعدة ان الاصلح
واجب عليه تعالى كما ذهبوا اليه فكيف يقال انه اضل المكلف واضله بالمكلف المذكور والرابع ان
الاضلال هو العقاب والتعذيب بدليل قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في
النار فوصفهم الله بالضلال يوم القيامة وذلك لا يكون الا عذابهم ... الاضلال في اعتقادهم

والسلاسل يسحبون في الحميم الى قوله كذلك يضل الله الكافرين وفسر ذلك اهل الادب بالضلال
والجواب عندنا انا لا نسلم مجيء الضلال بمعنى الهلاك لما ذكرنا ان الوجهين في ضلال وسواء في
ضلالا اي عن حجتنا اذ يا [illegible] لا نعرف [illegible] وهكذا القياس في غيره كما ذكره الفضال وغيره وجاز
ان يحمل الاضلال على الاهلاك والابطال كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل
اعمالهم قيل اهلكها وابطلها [illegible] على الداعي الى اليقين [illegible] كما فيه وقوله تعالى
وقالوا ءاذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد فالمقصود الوجوه الخمسة انما ذكرت اذا
لا اضلال على الاضلال عن الدين والجواب بان هذا القول لا يليق بهذا الموضع لان مقابلة
قوله ويهدي به كثيرا يمنع عنه والثاني ان يحمل الاضلال على الاضلال عن الجنة قالوا هذا
في الحقيقة ليس تاويلا بل هو حمل اللفظ على ظاهره لان الاية يدل على انه يضلهم وليس فيها دلالة
على ان الاضلال تما والكون محل حمله على انه عن طريق الجنة وهو اختيار الجبائي ابو القاسم في
على ان الضلال ... ان الذي هو الجنة هو سبب العرفة والهداية والضلال عنه بعينه
ضلال عن الدين وكذا المشي على صراط الجنة هنا هو نفس السلوك سبيل الحق هاهنا
والتفاوت بينهما ليس الا بالكون والبروز والخفاء والكشف الثالث ان يحمل الحمل
لا على التعدية بل على الوجدان كما مر [illegible] والجواب قد مر وبيان ان هذا الحمل
ان يكون هذا القول من تمام قول الكفار كانهم قالوا ماذا اراد الله بهذا المثل الذي
لا يظهر فيه فايدة ثم قالوا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا [illegible]
وما يضل به الا الفاسقين اي ما يضل الا الفاسقين والجواب عنه [illegible] انهم
يوجب تحليل النظم لان قوله وما يضل به الا الفاسقين كلام الله من غير فصل بينهما
بل مع واو العطف على ان الفاعل هو حسن [illegible] والفاسقون مفعوله وضميره
راجع الى الله ويضرب مثلا او الى المثل نفسه والاشكال باق [illegible] المذهب [illegible] كذلك
لكنهم يصنعون بقوله في المدثر كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء [illegible] انه
قوله تعالى قالت الجبرية في هذا المقام معاشر [illegible] واعترفنا اهل الاعتزال
لكم بجودة الايراد وحسن الترتيب وقوة الكلام ولكن ما ذا نفعل ولكم اصل [illegible]
عليكم هذه الوجوه لحمته احدها مسألة الداعي وهي ان القادر على العلم والجهل والاهتداء
والضلال لم فعل احدهما ولم يفعل الاخر وثانيهما مسألة العلم وهو ان خلاف معلومه [illegible]
لا ان محال فكما اعترفنا لكم بقوة الذكاء وحسن الكلام فانصفوا ايضا واعترفوا بانه

لا وجه لكم عن هذين الوجهين فان التعامي والتغافل لا يليق بالعقلاء ومنها ان فعل
العبد لو كان باختياره لما حصل الا الذي احبه واراده لكن احدا لا يريد الا تحصيل
العلم والاهتداء ويحترز كل الاحتراز عن الجهل والضلال فيحصل عنه خلاف ما قصده
تامل هل اشتبه عليه الكفر بالايمان والعلم بالجهل فلذلك فعل ما فعل قلنا ظنه في جهل انه
علم ان كان باختياره او لا فقد اختار الجهل والخطا لنفسه وعنده ذلك غير ممكن وان اشتبه
عليه ذلك بسبب ظن آخر متقدم عليه ذلك بسبب ظن آخر متقدم عليه لزم ان يكون قبل
كل ظن ظن الى لا نهاية وهو محال اشراق نوري قرآني طلع من افق عالم رحماني اعلم
احبني الله وحياك ايدك الله بنور تاييده وسددك بعون تسديده ان الكلام قد بلغ الى
هذا المقام ولم يوجد لاحد الجانبين سهم من السهام الا وهو الآخر طلبا للانتقام فتلاطم
حينئذ امواج بحري الجبر والقدر وانكسرت سفاين البحث والنظر وغرقت فيهما اكثر العقول
والافهام وضاعت ونفدت بضاعة افكار الاقوام ولم ينجح ولم يفتح هذا المبحث الا
من امتاز بفتح هذا الباب المغلق بمفاتيح انظاره وذلك المتمكنون وذلك
لانهم سلكوا في طلب المقاصد لا على مسالكها ولا دخلوا بيوتا علمية لم يات من ابوابها
العلم ولا يعرفون ليس بركة الظن والتخمين ورباب حقائق الايمان ومعارف القرآن
ليس من شانه تحصيل البراعة في الكلام والبيان ولا هي من تلك الاحاطة بالمشهورات
والمتداولات وحفظ ما يستحسنه جمهور الناس من المنقولات بل بالتجرد والاخلاص
والمهاجرة عن الخلق والتباعد عن اعيانهم والخلوة مع الله والذكر الفعلي والفكر اللطيف ودوام
الصحبة مع انوار القرآن وكثرة الشوق الى عالم الملكوت والتماس الاطلاع على غرايب اسرار
الايمان فاذا بقي الانسان على مثل هذه الحالات فيوشك ان يأتيه انوار امثالية عقلية
اشرقت على قلبه من سماء الملكوت ولوامع متواردة طلعت عليه من افق الجبروت فينكشف
له فيها جملة من خبايا حقايق الايمان كثرت او قلت ويطلع على طايفة من خفايا اسرار
العرفان نقصت او كملت واعلم ان كلام اهل الحقيقة في هذا المقام بلغ منتهاه واقلام
ارباب البصيرة والكشف رسخت في مستقره ومرتقاه وكان نصيبهم فيه من الكاس
الاوفى والقدح المعلى فشربوا من ينبوع عين اليقين واقاضوا جرعة للعطاش السالكين
فقالوا كلما وقعت الاشارة اليه ان الله تعالى متجل للخلق بجميع صفاته وكماله واسمائه ومفيض
على عوالمه بكل نعوت جماله وجلاله فاول ما تجلى تجلى في ذاته لذاته فظهرت
من تجليه عالم اسمائه وصفاته وهي اول حجب الاحدية ثم تجلى بها على عالم الجبروت فحصلت من تجليه

والاستدلال يحسبون في جحيم الى قوله كذلك يضل الله الكافرين وقرر ذلك اهل السنة بالضلال
والجواب عندنا انه لا يشعر بمجيء الضلال بمعنى الهداية بسبب التأثير في الموحدين في ضلال او شعوابية
ضلال التي ورد التصريح في الانبياء فمعروف لاخفاء فيه وكذا الامر ايضا في غيره كما ذكره التفتازاني وغيره وقيل
ان يحمل الاضلال على الاهلاك والابطال كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل
اعمالهم قيل اهلكها وابطلها من قولهم ضل الماء في اللبن اذا غاب مستهلكا فيه ومنه قوله تعالى
وقالوا اءذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد فاحتمل الوجوه الخمسة انما ذكرت اذا
الاضلال بمعنى الاضلال بعين الاول في الجواب بان هذا انما يتم لانه حقيقة الموضع لان مدار
قوله ويهدي به كثيرا الممنوع عنه والتأويل بان يحمل الاضلال على الاضلال عن الجنة قالوا هذا
في الحقيقة تفسير وبيان لما هو حاصل الظاهر لهذه الآية بل يدل على انه تعالى فضلهم وليس فيها دلالة
على ان الاضلال انما يكون بخلق الضلال على ان يكون عن طريق الجنة وهو اختيار الجبائي ابو علي الكفي
على ان الجبائي كمن بصيرته انه اراد بغير الجنة هو بعينه طريق المعرفة واليقين والضلال عنه بعينه
ضلال عن الدين وكذا المشي على صراط الجنة هنا هو بعينه السلوك لسبيل الحق ههنا
والتفاوت بينهما ليس الا بالكون والبروز والخفاء والكشف الشايع ان يحمل الضرر
الا ولئك عليه تشبيها وقد عرى بالمبالغة والاضلال بمعنى الوجدان لا بمعنى الاثبات اللغة
ان يكون هذا القول من تمام قول الكفار كانهم قالوا ماذا اراد الله بهذا المثل الذي
لا يظهر فيه فائدة ثم قالوا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ذكره بعضهم تفريعا على جواب لهم
وما يضل به الا الفاسقين اي ما يضل الا الفاسقين والجواب عنه ان فيه تحصيل الجواب الا انه
يوجب تطويل النظم لان قوله وما يضل به الا الفاسقين كلام الله بعينه ومتصل بينهما
بل لا ربط ولا عطف على ان الفاعل ضمير مستتر يعود الى الله والفاسقين مفعوله وضمير به
راجع الى ان يضرب مثلا او الى المثل نفسه والاشكال باق وثانيهما المذهب انه ههنا كذلك
بكثيرا ما يستعمون بقوله في المدثر كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء الى الاستنباط انه
قوله تعالى قالت المجبرة في هذا المقام ان هذه قد سبقنا لكم ولكم وعرفنا اهل الاعتزال
لكم بجودة الايراد وحسن الترتيب وقوة الكلام ولكن ما زال عليكم اهل السنة تشوشون
عليكم هذه الوجوه لمسئلة احدها مسئلة الداعي وهي ان القادر على العلم والجهل والاهتداء و
الضلال لم فعل احدهما ولم يفعل الآخر وثانيها مسئلة العلم وهو ان الخلاف معلوم القديم
لا يزال محال فكما اعترفنا لكم بقوة الزكاء وحسن الكلام فانصفوا ايضا واعترفوا بانه

لاوجه

لاوجه لكم عن هذين الوجهين فات التعامي والتغافل لا يليق بالعقلاء ومما يدل على ان فعل
العبد لو كان باختياره لما حصل الا ما اراده واحبه واراده لكن احد لا يريد الا تحصيل
العلم والاهتداء ويحترز كل الاحتراز عن الجهل والضلال فيحصل عنده خلاف ما قرره
تارة فهل اشتبه عليه الكفر بالايمان والعلم بالجهل قلنا ذلك فعل اضل قلنا انه في بحل انه
علم ان كان باختياره او لا فقد اختار الجهل والخطأ لنفسه وغير ذلك غير ممكن وان اشتبه
عليه ذلك بسبب ظن آخر متقدم عليه ذلك بسبب ظن آخر متقدم عليه لزم ان يكون قبل
كل ظن ظن الى لا نهاية وهو محال اشراق نوري قرآني طلع من افق عالم رحماني اعلم
يا حبيبي ايدك الله بنور تأييده وسددك بروح تسديده ان الكلام قد بلغ الى
هذا المقام ولم يبق لاحد الجانبين سهم من السهام الا وقد رماه الى الآخر طلبا للافحام فلاطم
حينئذ امواج بحري الجبر والقدر وانكسرت سفاين البحث والنظر وغرقت فيها اكثر العقول
والافهام وضاعت من الفلاسفة بضاعة افكار الاقوام ولم ينج ولم ينفتح هذه المباحث لاحد
من المناظرين فلم ينفتح هذا الباب المغلق بمفاتيح انظارهم وذلك المتكلمين وذلك
لانهم سلكوا في طلب المقاصد لا على مسالكها ودخلوا بيوتا علمية لم يأتوا من ابوابها فسدوا
العلم وانهم يعتقدون ليس في سالك الظن والتخمين وباب حقايق الايمان ومعارف القرآن
ليس من باب تحصيل البراعة في الكلام والبيان ولا هي من ذلك الاحاطة بالمشهورات
والمنقولات ولا من حفظ ما يستحسنه جمهور الناس من المعقولات بل بالتجرد والاخلاص و
المهاجرة عن الخلق والقيام بمعاني التعليم والخلوة مع الله والذكر الخفي والفكر اللطيف ودوام
الصحبة مع انوار القرآن وكثرة الشوق الى عالم الملكوت والتأمل للاطلاع على غرايب اسرار
الايمان فاذا بقي الانسان على مثل هذه الحالات فيوشك ان يأتيه انوار امتنانية عقلية
اشرقت على قلبه من سماء الملكوت ولوامع متواردة طلعت عليه من افق الجبروت فينكشف
له فيها جملة من خبايا حقايق الايمان كثرت او قلت ويطلع على طايفة من خفايا اسرار
العرفان نقصت او كملت واعلم ان كلام اهل الحقيقة في هذا المقام بلغ منتهاه واقلام
ارباب البصيرة والكشف رسخت في منتهاه ومرتقاه وكان نصيبهم فيه من الكاس
الاوفى والقدح المعلى فشربوا من يد عين اليقين واهل الصواحر عند العطاش السالكين
فقالوا كما وقعت الاشارة اليه ان الله تعالى تجلى للخلق بجميع صفات كماله واسمائه وفيض
على عوالمه بكل نعوت جماله وجلاله فاول ما تجلى به تجلي في ذاته لذاته فظهرت
من تجليه عالم اسمائه وصفاته في اول حجب الاحدية ثم تجلى بها على عالم الجبروت تفصيلا تجليه

انوار عقلية مع الملائكة مهيمنة قلبية وهي مرآة رقائق مجردة ثم تجلى من خلف حجب تلك الانوار
على عالم الملكوت الاعلى والاسفل ثم على اشباحها الغيبية والمثالية ثم على عالم الطبيعة
السماوية والارضية ولكل من هذه العوالم والحضرات منازل وطبقات متفاوتة وكلما
وقع النزول اكثر كانت الانوار الاحدية بكثرة هذه الحجب الامكانية اكثر وتراكمت النقائص والشرور
بمصادمات الاعدام والقصورات اشد واوفر اولا ترى ان كل مراتب الصفات السبعة الالهية
التي هي ائمة سائر الصفات واصول الكمالات تكون بالذات الاحدية بحيث انها عين الحقيقة
والامكان والكثرة والحدثان ثم ازداد ظهور خلافها في هذا العالم الادنى بحجب الآفات
والشرور فزاحمتها الآفات الاعدام والنقائص والقصور والاتحاد فاذا تلطفت هذه الصفات
بارتفاع موصوفاتها وانفصالها عن عالم الاجسام الى عوالم النفوس والعقول زالت عنها
الشوائب والنقائص بقدر ارتفاعها وعلى حسب درجات رجوعها تخلصها وتطهرها فاذا
رجعت الى عالم الاسماء وجاوزت بكمالها الطبقات وصعدت الى المقامات الحضرة
الالهية تطهرت عن الشوائب كلها وبلغت حد الكمال وخلصت عن الكثرة والاختلاف
وعادت الى اقليم الوحدة والوصال والى بحر الحق وصفاتها من الجمال والجلال والانمحاق
في سطوع قهر المهيمن المتعال اذا تقرر هذا فلنرجع الى تحقيق الجبر والقدر فنقول
ان نسبة افعال العباد كلها الى الله تعالى ان وقع من العارف المحقق فهو حق وصواب وان وقع من
الجاهل المتكلم فهو باطل وخطأ وكذا نفيها عنه جميعا ان وقع من المتابعين الالهيين من
الحكماء الراسخين والعرفاء الشامخين فهو واجب وتجريد وان وقع من الحكماء الباحثين والمتكلمين
الغوافل اهل الاعتزال فهو سوء ادب وتعطيل وفتح باب لطعن المليين اكثر الاتكال ونسبة
عظيم لطريق الاهتداء بانوار السنن بل واما نسبة البعض كالخيرات اليه والبعض الآخر
كالشرور الى غيره فهذا له وجه عند الطائفتين الاولتين لكن يحتجب حاله ومقامه ولما
لو وقع من غيرهما من اصحاب الفكر والرواية فيوشك ان يكون سفيرا قرع باب الشرك او الاعتقاد
ولا يامن قائله من ان يحتجب عن نور الحق يوم الحق يوم المعاد واما المقلد العامي المسلم
السليم فهو ادنى الى النجاة في معاده من جهة اعتقاده واقرب الى السلامة منزلا فقصاده
بل هو مسلم مصدق وليس بمفتون مكروه فالاشاعرة حيث نسبوا الافعال الى الله تعالى فقد اساؤوا
وتجاسروا في حق الحق وما عرفوا الحكمة في الايجاد وترتيب النظام وجعلوا اعظم التكاليف
فكيف لغا بواعث متين سلبهم من المكلف الذي قيل له افعل او لا تفعل ومن تعلق الامر والنهي
والى من توجهت الشريعة النبوية فكانت الشريعة كلها هباء وعبثا وغاية السعي والطاعة

صنايعا

صنايعا وهدرا اوليس مخالفا التكاليف ما يسمونه بالكسب اذ لا تاثير له عندهم فقول به
بل الذي يتعلق به التكاليف ومناط الشريعة اقتدار منبعث من العبد مندرج في الاقتدار
الالهي كما تندرج نور الكوكب والسراج في نور الشمس فيعلم بالدليل ان للكوكب نورا منبسطا على
وجه الارض لكن بما تقرر كمال سلطان نور الشمس كما يعطي الحس في افعال العباد ان الفعل لهم حسا
وشرعا وان الاقتدار الالهي مندرج يدركه العقل بالبرهان ولا يدركه الحس كما تندرج نور الشمس
والكوكب لها مجازا فانه كالة للشمس والحس يجعل النور للكوكب على الحقيقة لا نورا الا نور الشمس
كما تندرج نوره في نفسه اذ لو فرض ثمة نور غيره والمرائي وان كان لها اثر فليس ذلك من كونها
نورا فالنور له اثر من كونه نورا بلا واسطة ويكون له اثر آخر في مراة تجليه تجليا غلاوة
حكمه من غير واسطة فنور الشمس اذا تجلى في البلار يعطي من الحكم ما لا يعطيه منه بغير واسطة
ولا شك في ذلك الاقتدار الالهي اذا تجلى في العبد فظهرت الافعال على الخلق وهو ادراك
بالاقتدار الالهي ولكن يختلف الحكم لانه بواسطة هذا المحل الذي كان مثل المراة بتجليه
وكما ينسب النور الشمس الى البلورة الحس والعقل والنور الذي هو للشمس فكذلك ينسب
فكذلك ينسب الفعل الى الخلق في الحس والفعل انما هو لله في نفس الامر ولا اختلاف
الا في تعبير الحكم النوري لاختلاف كذلك يختلف الحكم في افعال العباد ومن هنا يعرف التكليف له
من توجه ومن تعلق وما ذاك الا من بين الشمس والبلور بحسب المشابهة من الخفاء وانه
لا يعلم ذلك الكل احد فما ظنك بالامر الالهي في هذه المسألة مع الخلق من الخفاء فمن وقف على
هذا العلم فهو من اهل علامات السعادة ومن فعل مثل هذا فهو من علامات الشقاوة
واريد بهذا سعادة الارواح وشقاوتها المعنوية واما سعادة الجسد والشقاوة الجسد
فعلة لما هو الاعمال الشرعية بشرطها وهو الاخلاص كما قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين وقال الا لله الدين الخالص والاعمال التي يخلو عنها فهو عرف نسبة العقل
الذي هو امير المشاعر والحواس اليها عرف نسبة الاقتدار الالهي الى اقتدار الناس وسر و
ما تشاؤن الا ان يشاء الله وروى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله في كتاب
التوحيد من كتب الكافي عن ابي الحسن الرضا ع قال الله يا ابن آدم بمشيتي كنت انت
انت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي اديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك
سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك
اني اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك مني وذلك اني لا اسال عما افعل وهم يسئلون
ولعلك ان كنت ذا بصيرة تستفيد من هذا الحديث ما ذكرنا الان النقايص والقصور

في هذا المقام لبعض الصفات المنسوبة الى الحق تعالى والى الخلق اعني المشيئة والارادة من حيث
هذا الموطن فعادت ايضا الى الصفة الالهية وهو معنى قوله تعالى انا اولى بحسناتك
منك وهو معنى قوله لا اسأل عما افعل لان الافعال الصادرة منه بلا واسطة وكذا الصفات الالهية
الثابتة له في مقام التوحيد قبل عالم الكثرة ليست فيها شائبة النقص والقبح حتى يرد فيها السؤال
لان عالم الالهية كله نور وكمال وليس هناك كما توهمه قوم ان صدور القبيح منه حسن وان
السؤال عنه حرام وبعد ان لا ظالم لملكه ومالكه له ان يفعل في ملكه كلما يريد وان كان
قبيحا هذا انما زعمه الاشاعرة وهو عندنا اكشف الاعتقادات واخسها تعالى وتقدس
كبرياؤه عن ما يقوله الظالمون المجازفون في حقه علوا كبيرا تمثيل ذكره بعض مشايخ
الاصحاب تقريبا للطبايع والافهام وتسهيلا لفهم التوحيد الافعالي على العقول فيما يضاف
الى الجمادات والاعجام فان الحجاب عن ادراك هذا التحقيق امران احدهما الغبا والانسان
والحيوان وثانيهما ما ينسب الى الجمادات وسائر الاجرام اما الاول فان نسبة ارادة الانسان
الى مشية الله كنسبة ادراك الحواس الى ادراك العقل كما في قوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله نسبة
ونسبة صدورها فاعليها من الابدان والاعضاء كنسبة الجوارح الى القلب الذي هو امير الجوارح
الى القلب الذي كما دل عليه قوله يد الله فوق ايديهم وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى واما الثاني فمثل انكشف لذي البصاير المستنيرة ان الشمس
والقمر والنجوم والمطر والارض وكل حيوان وجماد مسخرات بامره ومقبوضات بقبضة قدرته
كالقلم الذي هو مسخر الكاتب وعلمه وارادته وقدرته وقوته التي في عصبه واصبعه كالآلة
علمه ومشيته وارادته وعلمه من خزاين غيب الملكوت وكتابة قلم اللاهوت على ترتيب
نظام وتقدم وتأخر من الاعلى فالاعلى الى الادنى حتى انتهى في القدرة من احدى حاشيتي الوجود
الى الاخرى ومن الاخرى الى الاقصى الادنى وهذا مما يشاهده من انشرح صدره بنور الله وسمع
بسمعه المعنوي ومن يدرك تسبيح الجمادات وتقديسها وشهادتها انفسها بالعجز
والمسخرية بلسان دون نطقها الله بالذي انطق كل شيء بلا حروف وصوت لا يسمعه
الذين هم عن السمع لمعزولون فقال بعض الناظرين من هذه المشكاة للكاغذ وقد رآه اسود
وجهه لم تسود وجهك وتشوش بياضك بهذا السواد فقال ليس الحال لي سل هذا
المداد الذي ورد علي بغير هيئتي وحل في فقال للمداد لم فعلت ذلك فقال كنت مستقرا في
قرار الدواة لا سعي لي بنفسي عن ذلك المقر فورد علي قصبة يسمى القلم وقادني مقهورا
ولولا نزوله ما كان لي صعود فقال للقلم فعلت ذلك فقال كنت قصبا نابتا في بعض البقاع

لا ذكر

لا ذكر مني ولا سعي فورد علي قهرمان بسكين بليغة القطع فقطعني عن اصلي ونزع عني ثيابي وشق
وشق اسفلي ثم راسي ثم غمسني في سواد الحبر ومرارته فقال للسكين لم فعلت فاشار الى
اليد فاعترض عليها فقالت اليد انا الا لحم ودم وعظم حركني فارس يقال له القدرة ثم قال لها
فلما سألها عن ظلمها وتعديها على اليد فاشارت الى الارادة فقال لها ما الذي جرأك
على هذه القدرة الساكنة المطمئنة فقالت لا تعجل لعل لها عذرا وانت تلوم فاني
ما انبعثت ولا انتهضت بنفسي ولكن بعثني حكم حاكم وامر جازم من حضرة القلب وهو رسول
العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة والالزام لها في الفعل فاني مسكين مسخر تحت
قهر العلم والعقل فلا ادري باي جرم سخرتها والزمت لها الطاعة لكني ادري اني
مسخرة اياها بامر هذا الحاكم العادل او الظالم فاقبل على العلم والعقل و
القلب طالبا ومعاتبا اياهم على سبب استنهاض الارادة واستخدامها للقدرة فقال العقل
اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت ولكني
بسطت وما انتشرت ولكن نشرت من قبل انتشار الصحايف واما العلم فقال انما انا نقش
نقش في المنقوش وصورة صورت في بياض لوح القلب لما اشرق العقل وما انخططت
بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا فسل القلم عني واسأله عن هذا فرجع الى القلم تارك
اذن بعد قطع هذه المنازل والبوادي وسير هذه المراحل والمقامات فوقع في الحيرة
حيث لم يعلم قلما من القصب ولا لوحا الا من العظم والخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا
الا من النار وكان يسمع في هذا المنزل هذه الاسامي ولا يشاهد شيئا من مسماها فقال
له العلم زادك قليل وبضاعتك مزجاة ومركبك ضعيف فالصواب لك ان تؤمن
بهذه المسميات ايمانا بالغيب فتصرف وتدع ما انت فيه فلما سمع السالك ذلك
استشعر قصور نفسه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رأى بعين
النقص ولقد كان زيته في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فبقوة اشتعل
وكثر يشتعل اذن فلما نفخ العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال
العلم اغتنم الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد في هذه النار هدى ففتح بصره فرأى القلم
الالهي كما سمع نعته من العلم اذ ليس من قصب ولا خشب ولا له رأس وذنب وهو يكتب
على الدوام في صحايف قلوب الانام العلوم والحقايق وكان له في كل قلب رأس ولا رأس له
فقضى منه العجب فودع هذا العلم وشكره وقال لقد طال مقامي عندك واني عازم
على السفر الى حضرة العلم فلما جاءه وقص عليه القصص وسأله ما بالك تخط على الدوام في القلوب

من العلوم ما ينبعث به الارادات الى اخواص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال لقد لقيت
ما رايت في عالم الملك وسمعت من جواب القلم عن سوالك قال له انس فقال جوابي مثل جوابه
لتطابق عالمي الملك والملكوت اما سمعت ان الله خلق آدم على صورته فسال العين شان الملك
سماوي الملك فقال معقوبه فهضة منى كلا فرق بين قلم الادمي والقلم الالهي في معنى التسخير
انما الفرق في ظاهر الصورة لا في المعنى فقال ومن هو [illegible] الملك كذلك اما سمعت قوله تعالى والسموات
مطويات بيمينه هو الذي يرددها فسال اليمين عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي
ما سمعت من اليمين التي في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة فلما سار الى عالم القدرة
فراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبلها فسالها عن تحريك اليمين فقالت انا صفة
فسال القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وينطلق
بالجراة على السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات الحضرة لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت
وتوكلت عليك وامنت انك الملك الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا
اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وبك منك فاقول اشرح لي صدري
لاعرفك واحلل عقدة الصمت من لساني لاثني عليك فنودي هذا ان تطمع السالك واعفه
عن اسولته ومعاتبته فقال اليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها
اقبلوا عذري فاني كنت غريبا في بلادكم ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا
عن قصوري وجهلي والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت هو الواحد القهار والكل مسخرة وهو الاول والآخر والظاهر
والباطن فهذا هو الكلام في تفسير الاضلال فصل قوله ويهدي من يشاء قد مر
الكلام في معنى الهداية وقد جاء الهدى على وجوه احدها الدلالة والبيان قوله انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا وثانيها الدعوة الى الحق وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعو
ولكل قوم هاد اي داع يدعوهم الى ضلال او هدى وثالثها التوفيق بالالطاف المزيد [illegible]
بسبب ايمانهم في مقابلة الاضلال بمعنى الخذلان للكافرين بكفرهم كما في قوله والذين اهتدوا
زادهم هدى وقوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والله لا يهدي القوم الظالمين وقوله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين
ورابعها الهدى الى طريق الجنة قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وخامسها التقديم فقال هدى فلان

اذا قدم

اذا قدم امامه وهو ادى الخيل اعناقها لانها يتقدمها وما تكون بها هادية اي سماه مهتديا وحكم
عليه قوله ان الهدى هدى الله وقوله من يهدي الله فهو المهتدي اي من حكم الله عليه بالهدى
فهو المستحق بان يسمى مهتديا فهذه هي الوجوه التي ذكرها المعتزلة وقد انكشف عليك مما
فيما تقدم في باب الاضلال وعند الجبرية الهداية وجه آخر وهو كون الهدى بمعنى الهداية
والهداية مقابلة الاضلال بمعنى الضلالة والجهل كما ان الله هو المحيي والمميت بمعنى
خالق الحيوة والموت قالت المعتزلة ان هذا غير جائز لغة اذ لا يقال لمن حمل غيره على
سلوك الطريق جبرا وكرها انه هداه اليه وانما يقال هداه الى الطريق المستقيم وذكروا وجوها
اخرى مكررة لا ايراد ولا نزاع لا نطول الكلام بذكرها تفصيلا ويكفي للجميع جواب
واحد وهو انا نعلم يقينا بالقواطع البرهانية ان خالق الاشياء كلها هو الله اما بلا واسطة
او بواسطة والتي يتمسكون بها وجوه لغوية او نقلية قابلة للاحتمال والمحتمل لا يعارض
القاطع فوجب المصير الى ما يقضي به العقل المنير وما يسمع بالقلب السليم ممن عنده علم من
الذكر الحكيم كما قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قوله جل اسمه وما يضل به
الا الفاسقين الفسق اصله الخروج من قولهم فسقت الرطبة من قشرها اي خرجت فكان
الفاسق هو الخارج من الطاعة ويسمى الفارة فويسقة لخروجها لاجل المضرة وعند الخوارج
انه كافر وعند المعتزلة انه لا مؤمن ولا كافر لان الايمان عندهم عبارة عن مجموع التصديق
والاقرار والعمل والكفر تكذيب وجحود فجعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كلا منهما في بعض الاحكام واحتج المخالف بقوله تعالى بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان وقال حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان وصاحب الكشاف لاعتزاله فسر الفاسقين بالخارجين عن حد الايمان معتضدا
بقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون وبعضه ايضا وجريا على عادته في الاتباع هنالك
المسلك نعوذ بالله من كفرية في الكلام ومرتكب الكبيرة فاسق خارج عن امر الله لا نفاق له
درجات الاولى التي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح [illegible] الفقهاء
المريد تعرض شمس الشهوة وهو صريح العقول الصالح قريب المبادرة الى التوبة الثانية ان
يكون قد عرف ذلك لكنه يتعاطى انقيادا للشهوة واعراضا عن صوابه انه لا يستولي عليه الا
الشهوة عليه لا من ترك سوء عمله لكن يعلم تقصيره [illegible] ورجوعه بعد [illegible]
ان يعتقد قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق انها مستحسنة وان ما يعتقده او ما يفعله
حق وجميل ويعتمد ارتكابها والانهماك فيها من غير مبالاة بها فهذا يكاد يمتنع [illegible]

ولن ترجى توبته الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال والرابع ان يكون مع اتيانه
على الفسق الفسوق قد ترعرع في العصيان بين الفضيلة ما يفعله من كثرة الشرد شهادات
الفسوق ويعتقد ان ذلك هو الاهواء للزعمة وبيان هو سند ويظن ان ذلك هو تحقيقه
وهذا اصعب المراتب واشد غورا وتعمقا في الباطل قبل الله وارحم هو هؤلاء فالاول
فقط والثاني ضال وفاسق والثالث ضال فاسق وظالم والرابع ضال فاسق
وظالم ومترشح عن شيطان مريد الثلاثة الاول ممن لا يسلب عنهم اسم الايمان لاتصافهم بالتصديق
الذي هو شيء الاول ومن جازت التسمية للرابع ... تشكالها ...
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... الاضلال باتفاق ... على تغليبه بالوصف ...
على فسقهم وخروجهم عن دائرة اهل الايمان والضلال ... عن منهج الحق والصواب
الى الاصرار على الباطل والخطا ... الضلال ... الاضلال وقرى يضل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع

قوله جل اسمه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون اراد ان يذكر صفة
الفاسقين كشفا عن حالهم وايضا لسبب ضلالهم وتقريرا لرسوخهم في ما هم عليه دليل على ...
من الخسران العظيم والعذاب الاليم والنقض في اللغة فسخ التركيب وفكه وانما شاع استعماله
في ابطال العهد تنبيها له ... على سبيل الاستعارة لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالاخر
ثم ان ذكر المشبه وهو الحبل كان ترشيحا للمجاز ... المستعار ...
الى ما هو من روادفه ... ان يسلكوا ...
بذكر شيء من روادفه ...
وعالم نعرف منه تنبيها على ...
العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك
واظهرك ان ترجع الى قومك والعهد الموثق ... في كل ما من شانه ان يعاهد عليه
من الوصايا والايمان والنذور والاوقات ...
اليها والتاريخ لانه يحفظ ... اختلفوا في المقصود من هذا العهد على اقوال الاول ما ركز
في العقول من قوة الاستعداد لادراك الحجج القائمة ... على صحة توحيده
وصدق رسوله وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى وعليه حمل قوله
او خذ ... الثاني ...
واخرجهم من صلب ادم ... وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الاية ... وهذا

عند التحقيق

عند التحقيق راجع الى الوجه الاول والثالث انه يعني به ما دل عليه بقوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا فلما لم يفعلوا ما حلفوا عليه ولم يهتدوا فقد نقضوا عهودهم ومواثيقهم وهذا
مرجوح لاختصاصه بطائفة مخصوصة ... عليهم الذم فيما التزموا باختيارهم من العقيم
بخلاف الاول فانه عام في كل من ضل وكفر ... لانهم نقضوا عهد الله
واحكامه بما انزله من دلايل الافاق والانفس وشواهد الكتب والرسل والحجج البينة المودع
في العقول قال المتكلمون في ... الوجه الثاني واستغاطه كيف يحتج الله تعالى على عباده
بعهد وميثاق لا يشعرون به ولا يؤاخذهم بما اذهب عنه من قلوبهم بالسهو والنسيان
فكيف يجوز ان يعذبهم ... من تحقيق اخراج الذرية
من صلب ادم على صورة الذر ...
عن ذكر ... الاشارة ... عن البحث في
واعلم ان طوايف العلماء ذكروا في توجيه الخطاب الالهي في ... في حال
عدم وجودها احدها ما ذكره القائلون بثبوت ... قبل
وجودها كالمعتزلة القائلين بثبوت المعدوم ثبوتا خارجيا وكبعض المتصوفة
القائلين بثبوتها علميا في الازل ... الخطاب مع افراد ... في
الخارج او في علم الله وقد اقيمت البراهين على شيئية المعدوم في الكتب العقلية
وزيف ... الحكماء القائلين بتقدم الارواح
الانسانية ... على الابدان ... كما ورد في الحديث النبوي على قائله
واله السلام ... ان الله خلق الارواح قبل الاجسام باربعة الاف سنين وان الخطاب
والعهد وقعا على الارواح الانسانية قبل تعلقها بالابدان العنصرية وهذا ايضا ...
لدلالة البراهين القائمة على بطلان تقدم النفوس باختلاف وجوداتها المختصة على
الابدان عن تقدمها ... الفلاسفة وجوها من البراهين على ان حدوثها بحدوث
بدنها لان المفارقة عن الاجسام وعلايقها لا تتكثر ولا تتجدد ...
غريبة ... عالم القدس والطهارة واقليم الخير والسعادة الى هذا المهوى
الذي هو منبع الشرور والالام ومعدن الاعراض والهموم والالام وحمل بعضهم الارواح
والاجسام المذكورين في الحديث المذكور على الارواح الكلية والاجرام الكلية ونحن علينا

في شرح هذا الحديث وتبيين كيفية كونه شرحا على كلتا الروايتين بينها لانا عليه وثانيها قول
المحققين من اهل التوحيد وهو ان الخطاب المتوجه بقوله الست بربكم في اخذ الميثاق كان لحقيقة
الانسان الموجودة في العالم الاعلى والصقع الربوبي فان لكل نوع طبيعي حقيقة عقلية
وصورة مفارقة ومثالا نوريا في عالم الحقائق العقلية والمثل الالهية هي صور ما في علم
الله عند الحكماء الربانيين والعرفاء الاقدمين وهم كانوا يسمونها بالارباب الانواع لما
بينهم من ان كلا منها ملك موكل باذن الله بحفظ ما في اشخاص ذلك النوع الذي هو صورته
عند الله فهذا هو الصور المفارقة والمثال النورية العقلية ونسبتها الى النوع نسبة الاصل الى الفرع
ونسبة النور الى الاظلال والفرق بين الحقيقة الانسانية وسائر الحقائق بان كلا منها
مربوب باسم واحد من الاسماء الالهية وهذه الحقيقة مظهر لاسم الله المتضمن لسائر الاسماء كلها
ومربوب به ولهذا ليس لافراد غيرها التنقل عن المرتبة التي هي عليها ولا الترقي من مقام الى مقام
حتى ينتهي الى الحضرة الالهية بخلاف هذه الحقيقة الانسانية المستعدة بصورتها
الكونية لتلك الجامعة الربانية وبصورتها العقلية للوفاء بالميثاق في الربانية كما هي
لاجله وعقلها عن البداية وهذا انما هو محقق عند القائلين بان للانسان صعودا وهبوطا
بحسب فطرته الاولى ففي الهبوط نزل من عالم القدس والجنة بامره تعالى وقوله اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وفي الصعود يرتقي الى ان يصل الى مقام
قاب قوسين ومقام المكالمة الحقيقية والى حديث يشير من رآني فقد رأى الحق وقوله
لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والخبر على ما في الهوى ان هو الا عبد
ولا في رواية الله ذكر انه كلام احد وهو حديث انتهى الى العالم الكوني الانسي آدم كان كلهم وهم بعد
غير موجودين في العالم واجابوه وهم لم يتولدوا وانما تحققت بعد في وجودهم بالوجود الزماني بل ابدي
لا بالوجود الانساني والى ذلك المقام يشير المنتهى بان يكون سمعه وبصره ولسانه
كما قال في الحديث القدسي كنت سمعه وبصره ولسانه فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق والى هذا اشار الجنيد
حين سئل ما النهاية فقال الرجوع الى البداية واما معنى قطع هذه الحجابات ونقض ما وقع في الذكر
فهو ان تلك الحقيقة الانسانية الموجودة قبل هذه الاكوان الترابية في عالم الحضرة الربوبية
كانت ذات جهات وحيثيات عقلية تضاعفت عليها من تضاعيف الاشراقات النورية
الواجبية وتضاعيف النقايص الامكانية وكثرت الانوار والجهات الحاصلة بين جهات
النور والظلمة والوجوب والامكان والكمال والنقصان فهذه الجهات العقلية هي اسباب كثرة

الاكوان

الاكوان لافراد الانسان وهي المعبر عنها بالذوات المستخرجة بحسب الفطرة فاذا استخرج الله
من ظهر آدم ذريات نسمه استخرج ايضا من ظهورهم ذريات ذرياتهم المودعة فيها الى يوم
القيمة اذا تصورت هذا فاعلم ان المستمعين منهم للخطاب كانوا على ثلث طبقات السابقون
واصحاب اليمين واصحاب الشمال وجعل الله لكل منهم سمعا وبصرا وفؤادا على حسب حاله و
مقامه ثم نظر الى السابقين بنظر المحبة وجعلهم قابلين لنور المحبة كما في قوله يحبهم ويحبونه
ونور سمعهم وابصارهم وافئدتهم بانوار اللطف والكرامة فلما قال الست بربكم فسمعوا
الخطاب بالسمع المنور وشاهدوا الجمال بالابصار المنورة واحبوا اللقاء بالقلوب المنورة
فاجابوا بلسان المحبة يقينا حقا وايمانا وتسليما وتقبلا وذوقا واما اصحاب اليمين فسمعوا
الخطاب بسمع القابلية وابصروا الشواهد بالابصار الخالية من الغشاوة وفهموا تعريف
الوحدانية بالقلوب الصافية فاجابوا بلسان الايمان تعبدا ورقا وقالوا بلى انت
ربنا ومعبودنا واما اصحاب الشمال فامتحنوا باظهار العزة والعلاء واحتجبوا
برداء العظمة والكبرياء فسمعوا الخطاب من وراء الحجاب وعلى السمع وقر البعد وعلى الابصار
غشاوة الحجب الظلمانية وفي القلوب ختم الظلمة لانها في اكنة العزة فلم يسمعوا بسمع
القبول الطاعة فاجابوا بلسان الاقرار جبرا واضطرارا ودهشة وافتقارا فقد انكشف
لك ان لافراد البشر قبل ورودهم الى الدنيا هويات عقلية مستخرجة من اصلابهم العقلية فتجلى
الله عليهم قبل وجودهم وراهم وشاهدوه بانفسهم وسمعوا خطابه واجابوه اقرارا
بوحدانيته وربوبيته في نشاة سابقة على هذه النشاة الا انهم فصل
واعلم ان الله تعالى عهد اعهادا اخذه على جميع الموجودات هو ان يطيعوه ويعبدوه ويسجدوا
ويعظموه لان الكل حي قائم ناطق بحيوة سارية في الاشياء من الحي القيوم الذي يفيض
عليها من نور الله الفايض على السموات والارض وعهود مخصوصة وهي ثلثة اجناس عهد خاص
على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته لسانا واعترافا كما اقروا بفطرته وحقيقته وشهودا
عقليا كما اخبر عنه بقوله قالوا بلى شهدنا وعهد خص به النبيون ان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا ويبلغوا الرسالة الى الخلق اجمعين كما في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في قوله من بعد ميثاقه راجع الى العهد
والميثاق صيغة مصدر اريد بها ما يقع به الوثاقة اي الاحكام والمراد به اما من قبل الله
فيما وثق الله به عهده من انزال الآيات والكتب واما قبلهم فيما وثقوه من القبول والالتزام

والاستعداد ويحتمل ان يراد بها المعنى المصدري وكلمة من ابتدائية لان ابتداء النقض كان
بعد الميثاق اذ لو كان قبله لم يستحقوا الذم هذا المبلغ وفيه اشارة الى ان اهل ذلك الفناء
بعد ان حصلوا مقدمات علم التوحيد ووصلوا الى مرتبة يستعدوا بها لادراك المعرفة
واليقين رجعوا الى مقام الجحود والانكار طلبا للرياسة والجاه وتوقفا عن قبول التعلم واعراضا
عن سماع الآيات وانهماكا في طلب اللذات حتى صاروا قواطع طريق الحق بقوله ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل معناه انهم كانوا يقطعون على من هو بصدد السلوك على طريق الحق كي يمشي
على صراط التوحيد سبيلهم بافساد عقائدهم بالشبه المضلة وانكار المعجزات النبوية والقدح
في حقيقة العلوم الالهية والآيات والحال انهم امروا ان يوصلوا طريق الحق والتوحيد ويصلوا
رحم القرابة الايمانية والرابطة الالهية فان للوجود الحقي باطنا وحرانيا وللقرابة
المعنوية الايمانية صلة منشاءها الرحمة الرحمانية كما ان للوجود الصوري اتصالا لاو
للقرابة الصورية صلة منشاءها الرحمان الاضافي بيان ذلك ان الانسان حين هبط
بامر الله عن عالم الوحدة الى جنة ابيه آدم ع ثم نزل بامر اهبطوا الى الارض البشرية و
انقطع عن عالمه الاصلي الى دار الفرقة والتشتت ثم هو مامور بحسب الامر التكويني والتشريعي
بان يرتقي عن هذا العالم ويتجرد عن تشوق الخلقية ويتخلص عن علائق الطبيعة ويستبق
الخيرات ويسابق الى الجنة والى ان يصل الى العالم الرحمة والمعرفة وهو قوله فاستبقوا الخيرات
وقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وقوله وسابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وقوله وانيبوا الى ربكم وقوله ارجعوا
الى ربكم فعند وصول الروح الانساني الى درجة ابيه المقدس يتصل آخر دائرة الوجود باولها
ويزول عنه الفرقة الكونية بالجهة المعنوية الوجودية فكما ان في البداية كان عقلا و
نفسا ثم صورة جسما ففي العود الى النهاية صار نباتا ثم صورة بشرية ثم قلبا معنويا
ثم روحا منفوخا اسرافيليا قائما بذاته ناظرا الى ملكوت الاشياء لقوله ثم نفخ فيه اخرى
فاذا هم قيام ينظرون ثم روحا الهيا امريا لقوله فنفخت فيه من روحي وقوله قل الروح من امر
ربي فهذا تاويل قوله ما امر الله به ان يوصل فما امر الله به ان يوصل هو عين الروح الامري
الذي امرنا الله في ايجاده ايجادا تكوينيا بان يصل الى مقام الروح بالعلم والتقوى والمعرفة
والهدى وقيل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين
والعلماء والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه ترك خير وتعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل

وصل

وصل وفصل يعني اعلم عند التحقيق راجع الى ما ذكر اولا والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو
والاستعلاء واطلاقه على الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه
مما يومر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده
ثم الامور كلها في هذا العالم عالم الخلق حاصلة بامره تعالى وقوله وهو عالم الامر كله لان
امره وقوله وكلمه ليس من جنس الاصوات والحروف والحركات بل امره التكويني جوهر الروح
من امر ربي وكلمته القاها الى مريم وروح منه وما يحصل منه بواسطة امره التكويني هو
عالم الخلق واذا قطع النظر عن ترتيب الوسائط والاسباب ونسبت الكل اليه ابتداء كان
كل شيء امره الايجادي لعدم المغايرة بين امره لفظا والمامور به لفظا والمامور بامره لفظا في الامر
الايجادي بخلاف الامر التشريعي منه والامر الصادر من غيره فان الامر والمامور به فيهما
متغايران كما وقعت اليه الاشارة سابقا فصل ويفسدون في الارض فسادهم اما متعد
او لازم فالاول كمنعهم عن طاعة الرسول واتباع الرسول واتباع شريعته صلوات
تمام صلاح اهل الارض بطاعة الله والتزام شرايعه اذ بها يندفع الجور والظلم
ويبقى الحرث والنسل وتحفظ الانواع فيها وينتظم العدل الذي به قامت السموات و
الثاني هو عزل الهوى عما خلقت لاجله وعدم استعمالها فيه فموجب تمكين الدواعي
النفسانية واستيلاء الشهوة والغضب وغلبة الوهم على العقل فيفسد في ارض البدن
التي خلقت هي وقواها لان يعبدوا الله فيها واما قوله وقوله اولئك هم الخاسرون
يعني من فعل ذلك فهو الخاسر وذلك اما لانهم باعوا اللذات العلية والسعادة العقبى
الباقية بهذه اللذات الخسيسة البدنية الفانية او لان لكل احد في الجنة اهلا
ومنزلا فان اطاع الله وجد له وان عصاه ورثه المؤمنون فذلك قوله ان الخاسرين
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة او لانهم خسروا حسناتهم التي عملوها والآية
في اليهود وكانت لهم اعمال الحسنة في شريعتهم وفي المنافقين ولهم اعمال ظاهرة عملوها رياء ونفاقا
للناس فحبط ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون قال القفال الخاسر اسم عام يقع على من عمل
لا يجزى عليه كالرجل اذا عنى نفسه وحرف وقته في امر فلم يات بنفع قيل خائب خاسر
لانه كمن اعطى شيئا ولم ياخذ بازائه ما يقوم مقامه فسمى الكفار والذين يسعون في تحقيق
الدنيا بالمعاصي خاسرين قال تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقال قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا اقول اعلم ان
الخسران خسران النفس لان وجدان كل شيء بعد وجدان الذات وبسببه فاذا هلكت

هلك عنها كل شئ كما في قوله هلك عني سلطانيه وتحقيق ذلك ان الافراد الانسانية
مشتركة في ان لكل منها نفس مدركة للجزئيات بالوهم والخيال وهذه النفس نفوس
بالفعل عقول بالقوة العقل الهيولاني فاذا خرجت من القوة الى الفعل صارت عقولا بالفعل وارواح
لامثل في المنفوخ فيها من الله وانما يخرج من القوة النفسانية الى الفعل الروحي الامري
بمزاولة اعمال دينية وتحصيل علوم حقيقية وللانسان بازاء هاتين المنزلتين حيوتان
اخرويان احدهما حيوة الذين يرزقون عند الله من الارزاق المعنوية العلية فرحين
بما اتيهم الله من فضله من الانوار العقلية الابدية وثانيهما حيوة حيوانية يدرك بها
اما نعيم السعداء مما يشتهيه الانفس من النعيم الجسماني واما ما يتعذب به النفوس الشقية
كما في قوله فمنهم شقي وسعيد اما الذين اذا ثبت هذا فنقول ان الانسان اذا
خرج منها هاهنا من الحيوة الدنيا التي هي حركة ما حيلية الى النشاة الاخرة الى غيرها
ما خلقت لاجله وهو تحصيل الروح الامري الذي هو باق عند الله ثم ضاعت عنه
القوة الاستعدادية التي كانت له بمنزلة راس المال وانقلبت صورته ذاتها الى ان صار
الانسان اضل من الانعام وانزل درجة من الحشرات والديدان فقد خسر ذاته ونفسه
فهذا هو الخسران المبين قوله جل اسمه كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون لما ذكر الله سبحانه دلائل التوحيد
والنبوة والمعاد واراد ان يشير الى الفاعل والغاية مع وجود الانسان هو ذاته
تعالى فقوله كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم اشارة الى بداية احوال الانسان ونشاته
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون اشارة الى نهاية حاله وخاتمة عاقبة امره وكيف في الاصل
سؤال عن الكيفية والحال كما يقتضي ذلك في الجواب فاذا سألت احدا كيف زيد
قيل فيقول مسرورا ومهموما وما اشبههما من الاحوال فكيف سؤال عن الحال فيجاب
عنه بكل ما يليق من الاحوال كما ان كم سؤال عن المقدار والعدد وما سؤال عن
تمام الماهية واي عن المميز الذاتي والعرضي ومن عن حقيقة التشخص لمن كان
من العقلاء واين ومتى عن نسبة زمانه ومكانه وهذه الاشياء ههنا قد تجيء
للتوبيخ والانكار فكيف ههنا مثل همزة في قوله اتكفرون بالله والفرق بينهما بان الهمزة
انكار لاصل الفعل وكيف انكار للحال التي يقع بها الفعل لكن حال الشئ تابعة لاصله
وذاته واذا امتنعت امتنع واذا جازت جازت فيكون انكار حال الكفر انكار اله تابعة لاصله
الذي منه لذاته على سبيل الكناية ابلغ واقوى لانه بيان الشئ ببرهانه فانك اذا نفيت

كل

كل صفة يوجد عليها فقد نفيت وجوده بوجه برهاني فيكون اكد واقوى من انكار
وجوده بلا برهان وذلك لان وجود الشئ بلا صفة من الصفات وحال من الحالات
ممتنع فثبت مما ذكرنا ان كيف تكفرون ابلغ في انكار الكفر من اتكفرون واوفق بما بعده وتقريره
متعلقين بحجة ومآله تبيين برهان تكفرون بالله فكيف وكنتم امواتا وما بعده منصوب
الموضع على الحال والعامل فيه تكفرون اي تكفرون عالمين هذا البرهان فيكون من قبيل
وضع الحد موضع المحدود ووضع الشئ مكان علته او لازمه وبهذا يندفع ما اورد عليه ان الحال
يجب ان يكون وجوده لازما مع وجود ما يقيد به وههنا ليس كذلك فان الكفر حاضر لهم وكونهم
امواتا ماض ولا يصدق عليهم تحقق الجواب عن الكلام الى قوله ترجعون اي تكفرون وقصتكم
وحالهم هذه انكم كنتم وستصيرون لان بعض القصة حال ماض وبعضها مستقبل وكلاهما
لا يصح ان يقع حالا اذا المركب من الماضي المنقضي والغائب المنتظر لا يكون موجودا
حاضرا الا ان يعتبر ههنا القصة موجودة حاضرة فكأنه قيل كيف وانتم عالمون بتمام هذه
القصة من بدوها الى غايتها فقد احتج الى التوحيد الذي سبق ذكره من انكم كيف تكفرون
بما يبرهن به على اثبات المبدأ والمعاد اي ما اعجب كفركم في جميع احوالكم مع علمكم
بحالكم ومآلكم لا يقال علمهم بما سبق من كونهم امواتا فاحياهم ثم اماتتهم لم يحصل بعد الحكم من
الاحياء الثانية والرجوع لانا نقول ضرب من العلم حاصل لكل احد وان عاندوا وجحدوا مع
قطع النظر عن ذلك تمكنهم من العلم بها بما نصب الله لهم من الدلائل الموصلة اليه وكثرة ما سمعوا من
المخبرين من الانبياء والاولياء عليهم السلام منهما يجري مجرى علمهم في ازاحة العذر سيما
في الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهما امران احدهما ان الله لما قدر ان احياهم اولا قدر
ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته ثانيا وثانيهما انه لو لم يكن للانسان
بقاء اخروي لكان وجود العقل فيه والقدرة على استخراج العلوم الحقيقية بالانظار والتمكن
من كسب المعاني العقلية المتعلقة بمعرفة الله وذاته وصفاته بالافكار عبثا وهباء والحكيم
لا يفعل العبث وغاية المعرفة والعلم يمتنع ان يكون في هذا العالم لان كل ما يوجد في هذا العالم
يكون من قبيل المحسوسات والمحسوس بما هو محسوس لا يكون غاية للمعقول لان الغاية لابد
ان يكون اشرف من ذي الغاية فصل قيل ان الخطاب كان اما مع الذين كفروا ولما وصفهم الله
بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم
مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك واما مع الطائفتين جميعا فانه لما بين دلائل
التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم

النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم العظيمة
فان جلالة النعمة تقتضي زيادة تقتضي زيادة الشكر بل انها اعظم العقوبة على عصيان
المنعم فمن هذا الموضع الى قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في شرح النعم
التي عمت جميع المكلفين ووضعها انما يختص لا يقال كيف يعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر
لانا نقول لما كانت وسيلة الى الحيوة الابدية كانت نعمة عظيمة مع ان في ... خاصة تعرف
المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم جهالا فاحياكم الله
بما افادكم من نور الايمان واليقين على طباق قوله اوَمن كان ميتا فاحييناه ثم جعلنا له نورا
ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم للحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون بما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واعلم انهم ذكروا وجوها في الموت والحيوة المذكورين في
هذه الاية منها عن قتادة انهم كانوا امواتا في الدنيا ثم احياهم ثم اماتهم الموتة التي لا بد
منها ثم احياهم بعد الموت في الاخرة وعن ابن عباس وابن مسعود ان معناه لم تكونوا
شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة وقيل معناه كنتم امواتا خاملي
الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امر خامل
وكل مشهور حيا قال فاحييت من ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض
الوجه الرابع ان معناه كنتم نطفا في اصلاب آبائكم وبطون امهاتكم والنطفة موات
فاخرجكم الى دار الدنيا فاحياكم ثم يميتكم في القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون اي يبعثكم
يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمي الحشر رجوعا اليه لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم
غيره ... كما يقال رجع العقد الى الامير اي الى القوم الى الحكم فهذه هي الوجوه التي ذكرها
علماء التفسير وسنا نبيك كشف بعض ما فيها والوجه في كون العطف الاول بالفاء والبواقي
بثم لان الاول متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف الاعقاب وتقديم نعمة الحيوة في الذكر
على سائر النعم المذكورة لتقدمها طبعا ولكونها مما يتمكن به الانسان من الانتفاع والالتذاذ
بغيرها ثم ان الاية ... على ان المراد من قوله وكنتم امواتا اجزاء التراب قبل الخلق والجسم
الى البشر واما النطف كما في خلق اولاد آدم ما عدا عيسى ... لكن اختلفوا في ان اطلاق اسم
الميت على الجماد حقيقة او مجاز والاكثرون على انه مجاز لانه شبه الموات بالميت لان الموت
عدم الحيوة عما من شانه ان يقبل الحيوة بما فيه اللحمة والرطوبة والحمل على الحقيقة اولى كما دل
عليه ظاهر هذه الاية وغيرها اذ لا داعي للعدول عن الحقيقة واما القوة الماخوذة في
اعدام الملكات فهي قد تكون بحسب الجنس كما في عمى العقرب بخصوص الجماد والنبات وهو جسم

الطبيعي

الطبيعي
فيه قوة تقبل الحيوة واعلم ان الحيوة في المشهور عند الجمهور حقيقة الحساسية او ما
يقتضيها ولهذا سمي الحيوان حيوانا ويطلق على القوة النامية مجازا لانها من طلائعها
ومقدماتها وعلى ما يختص بالانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها غايتها وكمالها والموت بازائها يطلق على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله
يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وكذلك او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري سبحانه اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك
هذا انما ذكره في الحيوة الحقيقية المختصة للقوة الحساسة التي في هذه الحيوانات
او مبادئها فقط كما توهم بل لكل شيء حيوة تخصه بها يسبح الله ويحمده وبه انها عبارة
هو عدم تلك الحيوة عنه كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وذلك
لان لكل شيء موجود يختص به ... ينفعل عما فوقه ويفعل فيما دونه وهذا الانفعال الذي هو ...
الحيوانات هو الحساس والتحريك وفي الانسان هو التعقل والروية وفي النباتات هو
التغذية والتوليد وهكذا القياس في ما علا وما سفل حتى يرجع في احد الحاشيتين الفعل الى
الى والفعلية في هذه الحيوانات هو الاحساس والتحريك وفي الانسان هو التعقل والروية
وفي النبات هو التغذية والتوليد وهكذا القياس في ما علا وما سفل حتى يرجع حتى يرجع
احدى الحاشيتين الفعل الى لا نهاية كما في الهيولى وفي الاخرى بالعكس لانه محض الوجود
والفعلية واصل جميع الموجودات كلها هو ... اسمه النور ونور ما علا وهو السماء
وما سفل وهو الارض فتارة اضافة النور اليهما في قوله الله نور السموات والارض وجميع
الاجسام عند اهل الكشف شفافة نورية حتى الارض مع كثافتها فانها مثل الزجاج الصافي
او الخالصة وصفت من كدورة ... شفافة ومن هذا الباب اكوان الحلي من الاحجار
والشيوان ... وفي الاتحاد وههنا دقيقة وهي ان جزء الارض يتحرك ويتجبل
الى النبات والنبات ... لانه يتوجه الى غاية هي وجود اللبوب ... من لب
الا وله دهن فيه نور بالقوة ولولا النورية التي في الاجسام الكثيفة ما صح للمكاشفين ان
يكشف ما خلف الجدران ولا كان قيام الميت في قبره وطول التراب عليه لا يمنعه من كشفه
احواله وان كان الله قد احتجب بابصارنا عنه ويكشفه المكاشف منا وقد ورد في ذلك
اخبار كثيرة ومن خواص هدهد المذكور في قصة سليمان على نبينا واله وعليه السلام ان الله جعل
شفافة في نظره فيرى مواضع العيون تحتها او ما سمعت ان الرسول كان يبصر من خلف ظهره

ظهر كما كان يقول لعامة بحجبه كالعظم الراس وما يحويه من العروق والعصب
والمخ وما عليه والرموز سريان نور الحيوة فيها وفي سائر الاجسام ان اول ما وجد اوجده
الله هو العقل وهو نور ابداعي الهي واوجد عنه النفس وهي دون العقل في النور بمرتبة
الطبيعة ومنها الجسم هكذا بسايط اجناس العالم وما زالت تكثف حتى انتهت الى الاركان
والمواليد ولما كان لكل موجود وجه خاص الى موجده وهو الله كان سريان نور الحيوة فيه
ولما كان له وجه الى سببه كان فيه من الظلمة والكثافة والهلاك والموت فتامل
ان كنت عاقلا فان هذا كان الامر كما قرر الحكماء والكشف فاين مرتبة الاجسام من مرتبة
العقل ثم لا يخفى على المحقق قد ثبت في مقامه ان لكل نوع جسماني صورة مفارقة منه
موجودة في عالم الملكوت الاعلى الرباني في علم الله وهو اسم من اسمائه وهو رب لهذا
النوع موجود فيه مذهب الحقيقة لسان عبد الله بالمسيح والتعاليس وهو سمعه وبصره
ومن جميعه [illegible] عند المحققين اشارة وتنبيه قال بعض المحققين من اهل الكشف
في معنى هذه الاية ان الله جعل الموت سببا لتفريق المجموع فبقيتم متفرقين في كل
جزء من عالم الطبيعة فجمعكم واحياكم ثم يميتكم اي متفرقين ارواحكم
مفارقكم [illegible] لصور اجسادكم ثم يحييكم لحيوة الدنيا ثم اليه ترجعون بعد موت هذه
الدنيا وان الله سيلكم عما [illegible] واشهدوا على انفسهم في اخذ الميثاق فيقولون ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فطلبوا
من الله ان يمن عليهم بالرجوع الى الدنيا ليعملوا ما يوجب لهم دار النعيم حسبين وقالوا
هذا لم يكن الا [illegible] ان يكونوا اهلا للنار وانزلهم
في علم الله دارهم [illegible] حتى يخلو النار [illegible]
[illegible] الرحمة الغضب فيكونون في النار مخلدين لا يخرجون منها
ابدا على الحالة التي قد شاء الله ان ينعمهم عليها ومنها يرد الله الذرية الى اصلاب الاباء والى ان
يخرجهم الله الى الحيوة الدنيا على تلك الفطرة فكانت الاصلاب [illegible] الى يوم يخرجون
من بطون امهاتهم ومن صلب اباءهم في الحيوة الدنيا ثم يموت منهم من شاء وان يموت ثم
يبعث يوم القيمة كما وعد انتهى ما ذكره اقول ان في كلامه امورا تخالف الظاهر ينبغي
التنبيه عليها منها ان كون افراد البشر صورة الذرية عند اخذ الميثاق عبارة عن
الاجزاء الصغيرة المتفرقة في اطراف العالم الحاضرة في علم الله انها ستصير احياء بواسطة
اقتران الارواح [illegible] ومنها ان الحيوة الثانية تكون في الدنيا اعني كما دل عليه

قوله

قوله ثم يحييكم لحيوة الدنيا ثم اليه ترجعون وهذا انما يدل بظاهره على تناسخ الارواح
الا ان يحمل الحيوة الاولى المشار اليه بقوله فجمعكم واحياكم على الحيوة الجسمانية
التي تكون في الجنين قبل تعلق النفس الناطقة بالبدن والموت الذي باثره هو انتقال
البدن من الجمادية الى الانسانية وهذا ليس بتناسخ مستحيل ومنها ان الصوفية
وان كانوا قائلين ببطلان التناسخ لكنهم جوزوا بروز بعض الارواح في بعض الاشباح
بواسطة اتصال روحه [illegible] في هذا الكلام [illegible]
من اجل [illegible] ومنها ان صلب الاباء وبطون الامهات في كلامه
اشارة الى [illegible] الفاعلية والقابلية فان الصلب الايسر من الفاعل اشارة الى الجنبة
[illegible] التي بها يتصل [illegible] كما ان الصلب الايمن [illegible] الغالبة التي بها ينفعل
عن ما فوقه وبطن الام عبارة عن القوة الاستعدادية التي للقابل لان القوة امر عدمي
[illegible] صفة وجودية فكان القابل [illegible] فكيف بطن الام فصلب الاب وبطن
الام [illegible] الخير
الكثير [illegible] وجودها دالة على ان الكفر [illegible]
[illegible] بتوجيهين جليلين اما الوجه فاحدهما [illegible] الكفر [illegible]
قوله كيف تكفرون بالله [illegible] ان يقول كيف يسوقون [illegible]
[illegible] لانه يجيء من خلقه [illegible] اذا كان خلقهم [illegible]
[illegible] الا الكفر فكيف [illegible] كيف يليق بالحكيم ايجاد الكفر فيهم [illegible]
لهم كيف تكفرون توبيخا ومنع الايمان [illegible]
[illegible] لا يؤمنون [illegible] فما لهم عن التذكرة معرضين واني يؤفكون [illegible]
تصرفون وهو [illegible] الاعراض [illegible] لانه مما [illegible]
[illegible] او الالزام ورابعها ان الله اذا قال للعبد كيف يكفرون بالله احتجاجا عليهم
فلهم ان يقولوا حصل فينا اسباب كثيرة موجبة للكفر اولها قضاؤك ثانيها
قدرك اللازم وثالثها ارادتك ورابعها خلقك الكفر وخامسها خالقت في قدرة [illegible]
سادسها الارادة موجبة له وسابعها [illegible] فالايمان ايضا [illegible] على نظائر
هذه الاسباب [illegible] وهي كلها مفقودة فقد حصل لعدم الايمان [illegible] وكل
منها مستقل بالمنع عن الايمان [illegible] وهذه الاسباب الكثيرة فكيف يعقل ان يقال كيف تكفرون
بالله وخامسها [illegible] قال كيف تكفرون بالله الذي انعم عليكم هذه النعم العظيمة

مثل الجحود وما بعدها وما قبلها وعلى قول المجبرة لا نعمة له عليهم لانه لما خلقهم كان
لاستدراجهم وسوقهم الى النار جبرا وهذا كمن قدم الى رجل خبيصا مسموما فانه
ظاهره وان كان لذيذا وبعد نعمة صلة التحقيق لا تعد نعمة لكونه مهلكا ومعلوم ان الغذاء
اللذيذ اذا اشتمل على السم فلا يكون لله نعمة على الكافر فكيف يقول لهم كيف تكفرون
بمن انعم عليكم بهذه النعمة العظيمة واما الجواب عن الاول ذكره فاحدها ان هذه الاية
يرجع الى التمسك بالمدح والقبح والثواب والعقاب فيضمن ابطال ما بقها لان الله عالم انه لا يكون
ولو وجد لانقلب علمه جهلا وهو محال والمستلزم للمحال محال مع ان كان كيف تكفرون
وثانيهما ان القدرة على الكفران كانت صالحة للايمان امتنع كونها مصدرا له الا لمرجح
ان كان من العبد كان عاد السؤال وان كان من الله امتنع حصول الكفر واذا حصل ذلك المرجح
وجب وعلى هذا كيف يعقل قوله كيف تكفرون كان واعلم ان المحتذرات طولها في الكلام
وفرعوا جهدهم على المدح والذم فيلك سعيا بانها اهل بين الوجهين فانهما بهم ان جميع
كلماته وشبهاته كل شبهها تراقوا وتطروا سين مراراحا هذه المسألة وهي غاية الوضوح
والتسقيح والاتقان عند من جعل الله ... وجعل له نورا يمشي به في الظلمات وشرح صدره
بنور الاسلام فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وهذا الفاضل متحيرا في هذه المسألة ولم
ينفتح له بعد وجه تحقيقها ولذلك قال في موضع ان القول باثبات الصانع لا يتم الا
القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح
وهو نفي الصانع واثبات الرسول يتوقف على القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل
فاي فايدة في بعث الرسل وانزال الكتب وقال ايضا انا نجد في الفطرة السليمة وجدانا
ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي
الجبر ونجد ايضا تفرقة ضرورية بين حركات الاختيارية وسكناته وبين حركاته الارتعاشية وحركات
الاضطرارية وهذا يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسألة في حيز الاشكال
انتهى ومن هذا حاله في مثل هذه المسألة التي هي احدى قواعد الايمان وعليها مبنى كثير من العقائد
التي يضطر بها الانسان فمعلوم من حاله تحيره في حل المعاملات ... بل لا جهل فان عدم
له في تكثير التصانيف وتطويل المباحث والاقاويل ونحن نعلم يقينا ان الله يجعل طلب
العلوم والمعارف مركوزا في جبلة الخلق الا لغاية يترتب عليها هي نحو تنوير القلوب
بانوار المعارف وتخلية النفوس عن ظلمات الجهالات وسياقها الى دار القدس والكرامة.

ولاجلها

ولاجلها بعث الرسل وانزل الكتب وفي الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت
من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة وقد سمى الله نبيه نورا وهاديا وكتابه نورا
في قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقال ذلك هدى الله يهدي
به من يشاء من عباده لان حاصل العلم ... ما يريد وصرف عمره في تحصيله ثم لم يكن على
بصيرة والروايات بحاصل ولم يرجع الى طائل فقد ضل سعيه في الحياة الدنيا وما له في العلم
واليقين نصيب ... لم يكن خالصا لله في كسبه وتحصيله طالبا لمرضاته في طلبه ...
بل كان مصيبا لهوى النفس وحب الدنيا وتحصيله لطلب الجاه والترفع على الاقران وبسط الايدي
والصيت في البلاد وكونه مشارا اليه بالانامل وصدرا من الاكابر والاماثل هذه غاية
قصودهم وفيه صرف جهودهم ... الكبرى حرموا عن جدوى العلم
محجوبين يومئذ عن النعيم الا فوز محرومين عن اشعة انوار الله نور العرش الاكبر
واما اندفاع الشبه التي ذكرها امام طريقة اهل الاعتزال ففي غاية السهولة عند
اللبيب المتفطن بما مضى من المقال او العارف الواقف باسرار الحقيقة من اهل الحال
فان تلك الشبه مقتضاها اسناد الكفر والمعاصي الى ارادة العبد واختياره وهو حق وصدق
كيف ولو لم يكن للعبد ارادة وقدرة لم يمكن توجيه الامر والنهي والوعد والوعيد ولا
طلب الخير والتحرز عن الشر فلا فايدة في الدعاء والعبادة والرياضة وكسب العلوم و
الاداب لكن كل ذلك عند التحقيق لا ينافي الجبر بل الانسان في عين اختياره مجبور كما ورد
في حديث الصادق عليه السلام لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وليس معناه كما زعم اكثر
من نظر في هذا الحديث ان للعبد حالة بين الجبر والتفويض خارجا عن حقيقتهما كالذي
الفلك لا حار ولا بارد ولان له حالة ممتزجة منهما متوسطة بين كمال كل من
الجبر والتفويض كالماء الفاتر المتميز من ماء بين منكسر السورتين فقال الله لا حار ولا بارد
اذ ليس شيء منهما هو المقصود من هذا الحديث لا ذاك ولا ذا بل ان اختيار الانسان
عين اضطراره وجبره عين تفويضه فهو مضطر في عين الاختيار ومختار في عين
الجبر لان لكل شيء صفة لازمة ... ذاتيه
كالحرارة للنار والبرودة للماء واليبوسة للارض والرطوبة للهواء وصفة الانسان
في هذا العالم وما يجري مجراه من الحيوان هو الاختيار لما له ان يفعل الاختيار بالنسبة الى الفعل
الانسان فعلى هذا فالجواب عما ذكروه اولا بالمنع عن قولهم لم تكفرون بمنزلة لم تسودون

وذلك لان الكافر الموصوف في سواده بحذاء عين الاخبار وكان كفره واقعا باختياره بحيث
سوا لا ومع ما ذكره ثانيا ان الله لم يرض لعباده اولا وبالذات الكفر بل ثانيا وبالعرض كما ان
كان لا يرضى لعباده الكفر بل ثانيا وبالعرض كما قال ولا يرضى لعباده الكفر ولعله يشير بذلك الى ما قيل
ثم ان الحكمة ان الخير مرضاة ومقضي بالذات جملة وتفصيلا والارادة الالهية الربانية
مؤدية الى خير الكل والنظام الاعلى بالقياس الى العوالم كلها بحسب الانواع والارادة الناموسية
القدرية الانسانية مؤدية الى الخير والسعادة لطائفة اخرى بالقياس الى عالم آخر كما في الحديث
الالهي هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي وهم لا يزالون مختلفين الا
من رحم واما التوبيخ والتحريض على الزجر والابعاد وما يقابلها من التحسين والمدح
والتعظيم والبشارة والوعد وغير ذلك من جملة الاسباب المرجحة والمهيجات للدواعي
والاشواق والبواعث على الاغراض والحركات كسائر الامور والقدر الواقعة تحت الاسباب
القريبة التي للاختيار فيها مدخل كما مر مرارا واما عن ما ذكره ثالثا فبان هذه الافعال كالكفر
والافك والعرف والاعراض لها جهتان جهة الى الاسباب والدواعي الكلية العالية
ووجه الى الدواعي والاسباب القريبة كارادة العبد وقدرته التي متساوي بالنسبة اليها
الطرفين فالسؤال بكيف ولم واين واني ونحوها من الكلمات الاستفهامية عمن لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في السماء والارض ولا يخرج عن قدرته وسلطانه شيء من عالمي الملك والملكوت
انما يكون بالقياس الى الاسباب القريبة المكتنفة بفعل العبد وبالنظر الى الهيولى والحركات
الزمانية المتجددة بحسب تجدد الاحوال والامكنة والاوضاع واما بالقياس الى ذات الله
القيوم وعلمه المحيط بالكل فلا كيف ولا اين ولا وضع ولا لمية لان هناك اضمحلت الكثرات
وطاحت الجهات والاشارات وهلكت الاوضاع والكيفيات فيصير الكل كلا شيء والامكنة
متقاربة من غير حس كنقطة واحدة والازمنة متوازية بعضها الى بعض من سطوته وهيبته
فيصير كان الكل واحدا ولعل من الرابع فمثل ما وقع الجواب عن شبهة المذكورة عند المنسوبة
اليه في شرح الاحاديث الاربعة كما مر ذكرها هناك انه قد اوحى الله الى عزير ونكتة عليهم فلعلها هو
انك عزيز فادرك فيما يقول ولا تخاصم اذ لو صدرت الى الله الا لحبس ما تحكمت على الحكم فيها
ايضا يقول بسببها هذا المفروض كما ذات علمه وارادة الله وقدرته ومشيئته وقضائه
وقدره وخلقه هي جارية في هذا العالم الحاكمة على كل شيء وذات الله تعالى لا راد لحكمه ولا مهرب
من قضائه وحكومته ولا منجا من سطوته ولا منجا من سلطانه فلم يكن هذا المفروض كما فرض بل
مع منافيها كان بحق علم في كيفيته وبان ارادة الله وقضائه في عالمنا هذا موجب عقلي برهاني

فلم يكن

فلم يكن صدور مثل الكفر والمعاصي والشرور من حيث هي شرور واعدام ونقائص وقوى وملكات
الا الى الاسباب القريبة الجسمانية والاستعدادات الردية الظلمانية لان من ابناء
عليه او استعداد في استعداده كما ان الخلق نفسه بظلمة جوهره وسوء استعداده وكان اهلا
للشقاوة وشقاوة كما سبق لكن بعلم بقوة ايمانه ان سلسلة الاسباب لابد وان تعود
الى الامور الالهية القضائية كما قال تعالى لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وقوله ولذلك
خلقهم لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين والكفر والمعاصي منسوبة الى العبد لا بمعنى
خلق الافعال وهي منسوبة اليه تعالى لا بمعنى الالجاء والقسر بل كما عرفت مرارا واما الخامس
فان الوارد من الله على الخلق كلهم امر واحد وفيض والاختلاف انما يكون بحسب القوابل
والمستعدات وان الماء كله نور ورحمة ولكن ينقلب في حق بعضهم ظلمة وآفة
ومحنة مثل قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها وقوله يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وكل ما فضله الله
اولا باهل الايمان بفضله باهل الكفر من نعمة الخلق والاحياء والعقل والتكليف
والهداية والدعوة بالآيات وارادة طريقي الخير والشر والنفع والضر وغير ذلك فصار الكل
سببا لقرب هؤلاء ومنشأ لبعد هؤلاء ولا يزالون مختلفين فما سعة تعالى بها الجنا
في الدنيا هو بعينه من نعم الله تم اعطاها للعبادة واما انقلب بعضها في حق البعض نارا
محرقة وسموما مهلكة لمرض في قلوبهم فغيظا وتحيرا وزفيرا في صدورهم ولهذا صح قوله تعالى
فيهم كيف تكفرون ويعذبون بالنار وقد انعم الله عليكم بمثل هذه النعم العظيمة التي انعمها
على المؤمنين المتقين وفرضاتهم وتقديرها من عذاب الجحيم والرحيم واما الجوابان
اللذان ذكرهما من قبل الاشاعرة فانهما وان جعلهما الالزام للمعتزلة لكن لا يخفى بشيع الاشكال
وحل عقدة الاعضال عنهم انفسهم لان الذي ذكره اولا من ان ما علمه تعالى اقتضى وجوده
المعلوم على وجهه اولا ان خلافه مقتضاه خلاف مقتضاه محال هو حله في مذهب الاشاعرة
اذ لا ايجاب ولا علية عندهم بل هو مذهبهم على اصولهم ويصح ان يفعل خلاف ما كان قرره
وعلمه اولا وكذا الذي ذكره ثانيا فان القدرة والارادة سواء كانتا من الله او من العبد غير
متوقفين عندهم على علة موجبة وداعية مقتضية لاحد طرفي المقدور بحيث يمتنع مقابلها
ويستحيل خلافها كالوجوه الخمسة المذكورة كلها وارد عليهم والجواب بانكار الحسن والقبح
العقليين مع ما فيه مما يستلزم سد جميع ابواب البراهين وما يبتني عليه من اصول العقائد

الحقة وكذا الجواب بقوله تعالى لا يسئل عما يفعل فيه تصحيح لهم لان معناه لو كان المراد منه نفي اللمية عن افعاله كما زعموا وان كانت داخلة منه تعالى فهذا العالم بعلل واسباب كثيرة ووسايط عالية واسباب جعلها الله مبادي خلقها وذلك لانه لو كان المراد ما ذكروه لم يصح منه تعالى ان يقول لم تكفرون بايات الله لم تقولون ما لا تفعلون فلم تقتلون انبياء الله وغير ذلك مما فيه سؤال لم عما هو من افعال الله والتالي باطل فكذا المقدم فعلم ان الغرض لا يجري فيه اللمية ولا يجوز عنه السؤال الفعل المطلق له تعالى او الفعل الواقع منه تعالى بغير توسط او الافعال المتاخرة لكن من وجهها الخاص الذي يكون اليه تعالى فان لكل ممكن وجها خاصا اليه تعالى به يكون فيضا بلا لمية فيض اصل الوجود ولوازمه فصل ان ذكر الاماتتين والاحيائين في هذه الآية وعدم ذكر غيرهما لا يدل على نفي ما سواهما فاندفع ما احتج به قوم على نفي عذاب القبر وسؤاله وايضا لاحد ان يحمل قوله ثم يحييكم على الحيوة التي تكون في القبر لانها ليست بدائمة وقوله ثم اليه ترجعون على الحيوة الدائمة الاخروية فيكون الآية دليلا على اثبات الحيوة في القبر وقال الحسن امرا وصح لا تحمله الآية على العامة واما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات واحياهم كذلك كما في قوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه وكقوله فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله في قصة بني اسرائيل ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى وكقوله في قصة ايوب وآتيناه اهله ومثلهم معهم فصل تمسك المجسمة بقوله تعالى ثم اليه ترجعون على المكانية ويرد بان المراد رجوعهم الى حكمه والرد كالمردود ضعيف والحق ان للانسان رجوعا الى الله تعالى رجوعا جبليا بحركة ذاتية ايبة لا رجوعا مكانيا بحركة عرضية لا رجوعا مكانيا اينيا وهذا ما حققه المحققون القائلون بان الانسان من مبدا نشوه الى غايته كماله متقلب بالحركة الذاتية وتحول في جوهره كما انه كان ترابيا في جوهره فكان نباتا ثم نطفة ثم صورة جمادية وعظمية ثم صورة حيوانية ثم صورة انسانية ثم صورة ملكية ثم صورة مفارقة ثم ما شاء الله فصل ان في هذه الآية اشارات وتنبيهات لا تدرك الا بالعقل احدها ان في اسنادها الاماتات والاحياءات الى الله تعالى اشارة لطيفة الى ان هذه التحولات والانتقالات امور طبيعية صادرة بتسخير الله تعالى جوهر ذاته فهذه التقلبات والتحركات لا انها امور اتفاقية او ان الموت في الحيوة والموت طبايع الافلاك والكواكب والامزجة والاركان كما هو قول اهل الطبايع والدهرية على ما حكى الله عنهم بقوله ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وثانيها ان الانسان من بدو وجوده الى اوان موته جوهر واحد وهوية واحدة مع تحولات شتى ذاتية كما زعمه الناس وثالثها ان الآية دالة على ان الموت

طبيعي

لكل احد وان معناه ومنشاؤه ليس كما فهمه الاطباء والطبيعيون من انه امر بعرض لا للبدن من جهة نقص قوته الطبيعية وزوال الحرارة الغريزية ثم بواسطته ينقطع تعلق النفس عنه وما ذكروه ليس بمستند على برهان ولا هو حق بل الحق ان الموت الطبيعي عبارة عن تمام نشأته النفس من هذه النشاة الى عالم الآخرة بالذات واعراضها عن البدن فيطرء عليه الانحلال لاعراض بالمرض فيه والسلطان دون وبطلان قوة الحس والحركة فيه عن البدن بسبب توجه النفس حركة جبلية الى ما هو عند الله لان الامر بالعكس كما هو المشهور وقال بعض المحققين من اهل الكشف والعرفان اعلم ان القوى التي في الانسان وفي كل حيوان من قوى الحس والحركة وغيرها كالخيال والحفظ والصورة كلها المنسوبة الى الاجسام على الاستعداد انما هي للروح يكون بوجوده واعطائه الحيوة لذلك الجسم ويتعلم فيه ما يقبله من وجود الجسم من ذلك الوجه الذي يكون عنه تلك القوى الخاصة فانه اذا اعرض الروح عن الجسم بالكلية زال بزواله جميع القوى والحيوة وهو المعبر عنه بالموت كظلام الليل بغيبة الشمس وانا النوم فليس باعراض كلي وانما هي حجاب بحرمة يحول بين القوى وبين مدركاتها مع وجود الحيوة في النايم كالشمس اذا حال سحاب بينها وبين موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحيوة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الموضع فكما ان الشمس اذا فارقت هذا الموضع من الارض بمجاوزة الليل لانه ظهر في موضع آخر بنوره اعقابه ذلك الموضع كذلك الروح اذا اعرض عن هذا الجسم الذي كان الحيوة به تجلى على صورة من الصورة الذي هو البرزخ وهو بالضاد جميع صورة فحيث به تلك الصورة في البرزخ كما قال النبي في نسمة المؤمن انه طير اخضر فتلك الطير كالجسم هاهنا حيث بهذا الروح الذي كان تحيي به هذا الجسم كما تطلع الشمس في اليوم الثاني فيتنبه الموجودات بنورها كذلك الروح يطلق فيه الروح على هذه الاجسام الميتة فيحيي به فذلك هو البعث والنشر ورابعها ان الآية دالة على صحة البعث مع التنبيه العقلي على صحته ووجوبه جميعا اما الصحة والامكان فلانه يدل على الاحياء اولا فقدر عليه ثانيا واما الوجوب والحقيقة فان من الناس من حمل الموتة الاولى على مادة البدن كالعناصر والاغذية والاخلاط والنطف والمضغة مخلقة وغير مخلقة وحمل الاولى على الارواح الحيوانية التي بها السمع والبصر كما في قوله فجعلناه سميعا بصيرا ويقع فيها الاشتراك بين الانسان وسائر الحيوان وحمل الموتة الثانية على زوال القوة الحيوانية الذي يعرض له الموت لاضمحلاله عند نقص الآلة لكونه دائم الاستحالة والدثور في الاحوال وحمل الثانية على الروح الانساني القابل للبقاء الاخروي

المشار اليه بقوله ثم انشاناه خلقا آخر وفصل هذا انه انكشف ان للانسان استحالات من حالة الى اخرى
وان في ذاته جوهرا سالكا بحسب الفطرة الاولى التي فطر الله عليها منتقلا من صورة الى صورة
وكل صورة تصورها غاية حقيقية لما قبلها من تلك الصورة وقد ثبت في العلوم
الالهية ان الاشياء الجوهرية الفطرية غاياتها متوجهة اليها وتلك الغايات يجب ان يكون من
جنس ذويها واشرف منها فلا بد ان يكون للروح الانسانية غاية متوجهة اليها بحسب ما اودع الله
في جبلتها ويجب ان يكون غايتها من جنسها واشرف منها الا امر هو لا يتحقق الا في نشاة اخرى وذلك
لان النفس الانسانية اول درجات هذا العالم الشهادي الحسي واول درجات العالم الغيبي الاخروي
فكانها برزخ جامع بين العالمين لها بحاجز بين الدارين وواسطة بين ... النشاتين
فتمامها وغايتها لا بد وان يحصل لها من الارتحال من هذه النشاة الى الاخرى فلها انسياق
جبلي من الدنيا الى العقبى والى هذا الانسياق اشار بقوله وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد اي سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها باعمالها وفي الاخرة درجات
متفاوتة ومنازل متفاوتة وانت من اهلها ... فانه هل يجوز للزاهد
في الدنيا لا شرف في حياتكم ثم يميتكم فبين انه لا بد من الموت ثم انه لا يزال على هذا الموت
بل لا بد من الرجوع اليه اما انه لا بد من الموت فقد اشار اليه كثير من الايات التي ذكرنا
بدايات حلقة الانسان ... كلام امير المؤمنين وامام الموحدين ... من ... الخطبة
اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم والمبتلية لاجسادكم وانما مثلكم ومثلها كسفر
سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه واموا علما فكانهم قد بلغوه وما عسى ان يكون بقاء من
له يوم لا يعدوه وطالب حثيث من الموت يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا فان
عزها الى انقطاع ونعيمها الى زوال وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها
الى فناء واما انه لا بد من الرجوع الى الله تعالى فلانه يامر بان ينفخ في الصور فصعق من
في السموات ومن في الارض ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون يخرجون من الاجداث
سراعا كانهم الى نصب يوفضون ثم يعرضون على الله كما قال وعرضوا على ربك صفا يومئذ
خاشعين كما قال وخشعت الاصوات للرحمن فقد ظهر وتبين ان للانسان بعد طول الدنيا
وبقائها مقامين اخرين احدهما عند الموت والاخر عند الرجوع الى المقام الاول الحقيقي
للانسان فيكون كالذي يحن الى معاذه الاول الزاكي اي الى بلده ... كانهم لا يبرحون وكان
بنفسي المحصورة ... من نشيمها ... غريبة ...
من شغف القبر وسوقها ... المعاد ... ولم يخف على الناظر ...

ولا رجاء

ولا رجائي الهي الا تقول ... انظروا الى ... ناهيك الاولون ووجد ...
المجنون اصبح مني قريبا وفي الحدو ... وكان في الدنيا ... وراجيا ولا حياني عند ...
الى هذا البيت راجيا للمحسن الذي يا قديم الاحسان وحقق رجائي فيك يا واسع الغفران
واما المقام الاخرة فكما كان بعضهم يقول اذا قمنا من قبور الاجداث مغبرة رؤسنا من
شدة الخوف وشاهقة وجوهنا من هول القيامة ... وجائعة من طول القيامة
بطوننا وبادية لاهل الموقف سوءاتنا وموقورة من ثقل الاوزار ظهورنا وبقينا متحيرين
في امورنا فلا ... على ذنوبنا فلا تضعف المصائب علينا باعراضك عنا ...
ورضوانك وغفرانك يا عظيم الرحمة ويا واسع المغفرة قوله ويا واسع المغفرة قوله
جل اسمه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن
سبع سموات وهو بكل شيء عليم هذه الاية من اعظم الدلائل على شرف الانسان ومن
اقوى الوسائل الى معرفة الرحمن اما دلالتها على شرفه فمن وجهين احدهما
ما دل عليه المفروض وهو لطفا بالنعمة الذي ... النعمة الاولى مرتبة عليها فان الاولى
كانت خلقهم احياء قادرين ... وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم الشخصي
الشخصي ويتم به معاشهم المبتني عليه معادهم وما احسن رعاية هذا الترتيب فان
الانتفاع بالارض والسماء ... كل منهما بعد حصول ... فلهذا ذكر الله امر الخلق اولا ثم
اردفه بذكر الارض والسماء وقوله يدل على ان المذكور بعد قوله خلق لاجل انتفاعنا فان
في الدنيا اما في الدنيا لمصالح ابداننا ولتقوى على الطاعات واما في الدين فللتفكر والتدبر
في آيات الارض والسماء وعجايب فطرة الله فيهما فهذا دال على فضيلة الانسان حيث خلق الله
لاجل انتفاعه جميع ما في الارض والسماء كما قال وسخر لكم ما في الارض والله ... هيهنا
بان الله لا يفعل فعلا لاجل غرض والا لكان ... مستكملا بذلك الغرض
المستكمل بغيره ناقص بذاته وذلك على الله محال لانه منبع كل خير وكمال وهذا اصل محكم
عند الحكماء الاوائل فانهم اشد الناس اثباتا لهذا الاصل فقالوا ان العالي لا يلتفت الى السافل
لكن حجب هذا الاصل طائفة من الناس عن كثير من الحقايق الالهية والقوانين الشرعية
مثل مسئلتنا هذه لا يقال ان فعله تعالى معلل بغرض لا يعود اليه بل الى غيره لانا
نقول عود ذلك الغرض الى ذلك الغير ... من ... اولى ...
او لا ... فيعود المحذور المذكور وان لم يكن تحصيله غرضا من ... والمفروض انه
عرض ... وايضا كل من فعل فعلا لغرض كان قاصرا عاجزا عن تحصيل ذلك الغرض

لا بواسطة ذلك الفعل والمقصود والعجز محالان على الله تعالى فهذان وجهان هما وجوه دالة
على خلاف ما يتفاهم من هذه الاية وكثير من الايات ويبتني عليه القوانين الدينية
ويرتبط المسائل المعادية من حشر وجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار وما اشبهها
ولم ار احدا ذكر شيئا في حل هذا الاعضال ودفع هذا الاشكال والذي يخطر بالبال
في هذا المقام هو ان هذا الفعل منه لا وهام ان فعل الله ليس فعلا واحدا بل انها
كثير لا بحسب كثرة الموجودات الممكنة والذي قامت البراهين على انه لا يكون معللا بغرض
ولا ذا غاية سواه هو فعله الخاص الذي صدر عنه اولا وبالذات وفعله المطلق فاق
ما هو احد هو من ذا الفاعل والغاية عند ذاته الاحدية الكمالية واما فعله الذي يجيء
بعد ذلك فهو معلل بغرض وهكذا لكل فعل ذي غرض غرض حتى ينتهي الدواعي والاغراض
والغايات الى غاية لا غاية له وداع لا داعي له وهو ذاته الذي هو غاية الغايات
وينتهي الدواعي والرغبات كالتراب مثلا فعل من افاعيله القادر عنه باستخدام
فاعل طبيعي يسمى الطبيعة الارضية وهي ملك من ملائكة الله تسخيره يستخدمه فاعل
فوقه يسمى ملك الارض وهو ملك التدابير وفوقه ملك آخر من ملائكة الافلاك
والشوق واسمه قابض الارواح وهو تحت اسمه تعالى القابض وبكل منها فعل غاية
فوقه حتى ينتهي الى الله تعالى وهذه الغايات والاغراض هي التي يكون فوق
الاكوان فغاية التراب في الغرض اولا هو المركبات الارضية كالمعدنية ثم الذوات
وقواها النباتية ثم النطف والاغذية ثم الاخلاط ثم [illegible] ثم الامشاج والاعضاء
اللحمية ثم الارواح البخارية ثم النفوس الحيوانية ثم الغرض منها الارواح الانسية الصاعدة
الى الدرجات السماوية والغرض منها معرفة الله والانقطاع عن اهوائهم بالكلية والانتقال
الى الحضرة الاحدية فهذا المخلص ان يقال ان لافعاله تعالى اغراض عائدة اليه بشرط ان يراد
تحقيقه على وجه لا يؤدي الى [illegible] فاعرف التوحيد والتنزيه بل تحفظ فاعرف ان الفاعل
لا ينفعل عن منفعله ولا يستكمل الفاعل من فعله ومن [illegible] هذا التفسير ولم يتنوق [illegible] هذا
التنوير [illegible] في هذا الكلام والتي في قوله وجعل لكم والتي في قوله ليهتدوا وفي قوله ليعبدون ونظائرها
الكثيرة في القران فقالوا انها لما فعل لو فعله غيره لكان فعله لذلك الشيء لاجل الغرض
لاجرم اطلق [illegible] لفظ الغرض بسبب هذه المشابهة هذا غاية افكارهم في هذا المقام
دلت الهداية والانعام والاية تقتضي ان الاصل اباحة الانتفاع بكل ما في الارض الا ما ثبت الا
ما خرج بدليل ولا يمنع تخصيص بعضها ببعض ولا تخصيص بعضها على بعض لانه دلت على الكمال

الا ان كل واحد لكل واحد وقوله ما في الارض يعم كل ما فيها ولا يشملها الا اذا اريد بالارض
الجهات السفلية لا الغبراء كما يراد بالسماء الجهات العلوية لا الخضراء فيصدق على الارض
وما فيها جميعا انها واقعة في السفل وقوله جميعا نصب على الحال من الموصول الثاني فصل
قوله ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات [illegible] لا يختص بمعرفتها اهل القران خاصة
وليس لغيرهم نصيب الا مثل نصيب الاكمه [illegible] انما يتعلق بظاهر اللفظ فان الاستواء
اصله طلب السواء واطلاقه على الاعتدال والاستقامة لما فيهما من تسوية وضع الاجزاء فيقال
استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم نقل فقيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصد قصدا
مستويا من غير ان يلوي على شيء آخر واما ما وجد [illegible] من معناه [illegible] قولهم اي قصد اليها بارادته
ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير [illegible] فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء
جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق وقيل استوى بمعنى استولى وملك كما قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق ومعنى سواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج
والفطور [illegible] والضمير في سواهن ضمير مبهم يفسره سبع سموات
كقولهم ربه رجلا وقيل راجع الى السماء لانها في معنى الجنس وقيل ان السماء جمع ومفردها سماءة
والاول هو الاوجه في العربية والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية ثم وقع ههنا اشكال
من جهتين احدهما ان كلمة ثم يعطي معنى التراخي والمهلة فيناقض ما قرر من ان الاستواء
كما سبق وثانيهما ان المستفاد ههنا تناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها والجواب عن
الاول انه ثم كما يكون للتراخي بين الشيئين بحسب الزمان فقد يكون للتفاوت بينهما في
الشرف والفضيلة فثم ههنا لتفضيل خلق السموات على خلق الارض ولا للتراخي في الوقت
كقوله ثم كان من الذين آمنوا وكقول الرجل للسائل حطيتك النعمة العظيمة ثم رفعت قدرك
ولعل ما اخر في الذكر متقدم في الوجود على التراخي ايضا لا تناقض في ذلك لان معناه انه
حين قصد الى السماء بعد فراغه من خلق ما في الارض لم يخلق خلقا آخر فيما بين ذلك وعن
الثاني بان جرم الارض وان تقدم خلقه خلق السماء لكن دحوها متاخر عنه لان الدحية
هي البسط وللقائل ان يقول هذا اشكال من وجهين الاول ان الارض جسم عظيم فامتنع
انفكاك خلقها عن الدحية وما مع المتاخر متاخر فاذا كانت الدحية متاخرة فلزم [illegible]
كون خلقها ايضا متاخرا عن خلق السماء والثاني ان قوله خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء يدل على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها متقدم على السماء لكون خلق [illegible]
في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة فكونها مدحوة تكون قبل السماء وح يعيد التناقض ذكر

بعضهم المتقضي عن هذا الاشكال بان قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضي تقدم خلق على الارض
ولا يقتضي ان يكون تسويتها متقدمة على خلق الارض فاذن لا تناقض وانت تعلم ان قوله
أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسويها يقتضي ان يكون خلقها وتسويتها
متقدمين على تدحية الارض لكن تدحيتها كما مر ملازمة لخلق ذاتها في ذات السماء وتسويتها
متقدمان على ذات الارض فيعود المحذور هذا تمام ما ذكروه في هذا المقام ولم ينفتح حال
المسألة بنوع افهام اولئك الاقوام بل لا بد لكشفها من الاهتداء بانوار الكلام والاعتصام
بقوم من حملة افاضة العلم والحكمة والانعام   قاعدة مشرقية   كل ما له تقدم
على شي في الوجود بحسب الفاعلية فالحديث فهو متأخر عنه في كمال الوجود والتمامية وهذا مما
اقيم عليه البرهان وطابقه الكشف والوجدان في الكون الاستقصاء في الاستقراء [illegible]
الاستيفاء في التتبع من اهل البصيرة والاتفاق فالنبات مثلا اوله [illegible] واخره [illegible]
ولب والحيوان بما هو ذو نفس اول اغتذاء اوله نطفة حاصلة من غذاء واخره نطفة حاصلة
من اول هضوم الغذاء وبما هو ذو حس وتخيل كما يحس به او يتخيله اولا يصل اليه الا بالاخر
فانه من اراد الاكل احضر في حسه [illegible] بوجه وتحيله صورة الماكول ووجدها الصورة
النيح فيها اولا ان يكل صورته صورة الماكول التي في خياله ثم يأكلها [illegible] حتى التحصيل الى
حد العين في انبعاث تخيله هو الذي يأكله بحيث يصير شبعانا وجودا فالشبعان تخيله
هو العلة الفاعلية والشبعان وجودا هو العلة الغائية وكذلك البناء بنيا للسكنى له
في خياله اولا صورة البناء على وضع يصلح لسكناه فيسكن فيه اولا ثم يشرع في [illegible] البناء
ووضع الالات ويأخذ في صنعه شيئا فشيئا الى ان يتم فاذا اتم وكمل يسكن فيه فكان
اول البغية اخر الدرك واخر البغية اول الدرك فهكذا الحال في كل ما له فاعل وغاية
في الامور الزمانية والكائنة   حكمة عرشية   اذا قرع سمعك ما قررناه او وفقك الله
واهتديت بما اهتدينا به فاحسن [illegible] في ذلك فنه وقس على ذلك نظائرها الباقية و
تدبر في هذه الاية من اياته تك وانظر فيها [illegible] الامعان [illegible] بحدوث بصيرتك مدقة
ملاحظة لم [illegible] من انوار عالم الاسرار فقد ذكر الله فيها انه هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
وقال في موضع آخر تأكيدا [illegible] وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وقوله
للملائكة الارضية والسماوية اسجدوا لادم فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقوله سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فظهر وتبين من هذه الآيات والحجج
البينات ان الانسان غاية جميع الاكوان وغرض وجود الافلاك والاركان وظاهر ان [illegible]

هبوط

هبوطه من العالم الاعلى والجنة التي فيها ادم وزوجته فهبط منها ما ارتبط جميع الطبقات بقوله
اهبطوا منها جميعا فاذا نزل بها [illegible] منسلخا عن الفطرة كثيرا وقيل لهم اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ومعلوم عند ارباب الحكمة والعرفان
ان اخر كل متحرك [illegible] بحسب الجبلة هو اول مواطنه فالانسان حيث نزل من عالم الجنة
الالهية فلا بد من عروجه بحسب المنزلة الحقيقية الذوقية ان يصعد اليها والصعود الى اعلى
المراتب يمتنع الا بعد المرور على درجة يكون بينها وبين ابتداء الرجوع فصعود الانسان
بحسب [illegible] النوعي والشخصي الى طبقات ملكوت السموات لا بد من وقوعه في السير الرجوعي
الى ربه كما قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ورب
شخص انساني وصل الى بعض الطبقات ووقف هنالك الى ان يشاء الله تعالى [illegible] ولكل درجات
مما عملوا   قاعدة اخرى مشرقية   ثم اعلم ان الانسان بحسب سيرته الباطنية كلما وصل الى درجة
من درجات الكون اتحد بها واتصف بصفاتها واحكامها وافعالها وآثارها المختصة الا ترى
انه منذ حدوثه الطبيعي من اول تكونه من اول التراب وهو اول مراتب الاكوان ومن النطفة
وهي [illegible] الصور الجمادية [illegible] من امتزاج الاركان فكل مرتبة وصل اليها من النبات
والحيوان تحقق بحقيقتها الى جرم دخاني هو اشبه الاجرام بالسماء وفي روحانيته الى عقل
يدرك به كليات الاشياء [illegible] ويرجحها الى ان يتحد بعقله العقل
الفعال وبحسبه صورة السماء المبرا عن تفاسد الاضداد والامثال فهكذا يترقى ذاتا
الى [illegible] السماء ومن عقل الى عقل حتى يصل الى سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومما ذكرنا من هذه
المقدمات يتذكر اللبيب البصير ويتمكن من ان يذعن بان بناء [illegible] السموات وملكوتها
تارة اخرى وعمرها باعمال ادم وذريته بيوتها وبروجها وسقوفها وحيطانها بمصابيح
انوار عقولهم واسم السماء ولذا اطلق عليها بعد سمو قدرها باقتداء ارواحهم اليها واتصالهم
بها وتعميرهم اياها بزينة اعمالهم ومحاسن نياتهم وكان اسمها فلكا وتجري الكواكب والدراري
وبناء هذه المقاصد يبنى على ان الطبايع متجددة [illegible] متوجهة من النقص الى الكمال
اعلاها وان الكل بحسب ما ركز في جبلاتهم من ابتهاجات لم يعقها عايق متوجهون نحو
الحضرة الالهية قوله الله وجوههم شطره وقلوبهم نحوه ان لم يعدلوا عن طريق الحق ولم ينحرفوا
عن الفطرة باغواء الشياطين الطاغية واضلال النفوس المحرمة المردودة الى اسفل سافلين

فقد انكشف وتبين من تضاعيف هذه الاسرار اللطيفة ان السموات كانت مقدمة على
الارض وتاليها من وجه وهي ايضا متاخرة من وجه آخر وهذان الوجهان كما يجريان بعينهما
في مراتب الانسان وبداياته ونهاياته كذلك يجريان في الفلك نفسهما فان لكل
فلك صورة نفسانية يتبعث منها جوهر مادتها ويتحرك عنها حركة جرمها بحسب تصوراتها
وتصوراتها وتشوقاتها فلكل منها صورة نفسانية متأخرة الوجود كما هو حق لا بد
ان يصل الى كمالها وغايتها والا لكان ما اودع الله فيها من الشوق اليه والتوسل
به الى التقرب الى البارى جل شانه هباء وعبثا والله منزه عن فعل العبث واللغو
فعلم من هذا سر كلامه ان السموات كانتا رتقا ففتقناهما فان رتق كل منهما كان
ابهامها وكمونها ومقصودية غاياتها وعدم امتيازه عن غيره في خاص افعاله وفتقه تحصيل
ذاته وتقويم نفسه وقيامه بخاص افعاله وبلوغه الى كماله اللائق بحاله تأييد
استبصار ان قدوة كلاء سيد الاولياء وخليفة الانبياء امير المؤمنين واخي خاتم
النبيين صلوات الله عليه وعليهم وعلى ولده واولاده اجمعين ما يؤكد ما قررناه
ويتوقر ما صورناه حيث قال في بعض خطبه مشيرا الى الاكوان المجردة في سلسلة
العود الراجعة الى مبداها الاعلى من منزلة السفلى ثم انشا سبحانه فتق الاجواء
وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله
على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها
الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشا سبحانه ريحا اعتقم مهبها
وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشاها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة
موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد اوله على اخره وساجيه
على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى
منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد
يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها
سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك داير وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين
السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون
وجعل عليه السلم يصف اطوار الملائكة وبيان انهم يصنفون اصنافا وافاضلهم رسلا
بين الله وبين عباده الى آخر كلامه فهذا الباب فحقق ما ذكره على جده وعليه والهما الصلوة

والسلم

والسلام نص صريح بان خلق السموات بعد خلق الارضين مع الدلائل العقلية والنقلية
قائمة على خلاف ذلك ايضا فالوجه كما مرت الاشارة اليه قال العارف المحقق في
الباب الواحد والسبعين وثلثمائة ولما خلق الارض سبع طباق وجعل كل ارض اصغر من
الاخرى ليكون على كل ارض قبة سماء ولما خلق الارض وقدر فيها اقواتها وكسى الهواء صورة
البخار الذي هو الدخان خلق سبع سموات طباقا اجساما شفافة وجعلها على الارض
كالقباب على كل ارض سماء اطرافها عليها نصف كرة والارض لها كالبساط فهي مدحية
دحاها من اجل السماء ان يكون قبة فمادت فاوتدت بالجبال عليها فتثقلت فسكنت بها وجعل في كل سماء
منها كوكبا وهي الجواري فلما سبحت الكواكب كلها ونزلت بالجزء الذي في البروج ووهبتها املاكه
البروج من تلك الخزاين ما وهبها اثرت في الاركان ما تولد فيها من جماد ونبات وحيوان
واخر موجود الانسان خليفة الانسان الكامل وهو الصورة الظاهرة التي جمع حقائق
العالم وهو الذي اضاف الى جمعيته حقائق العالم وهو الذي اضاف الى جمعيته حقائق
العالم حقائق الحق الالهية لذلك له الخلافة الالهية انتهى قوله وقال تلميذه المحقق صدر
الدين القونوي قدس سرهما ان اول الانسان في مبدا ظهوره هو حال تعلق الارادة الالهية
بايجاده وتخصيصها اياه اولا في علم الحق ثم انتقاله بحكم القدرة لا بابرازه في تطورات الوجود
وامراره على المراتب الالهية والكونية وله في كل حضرة وعالم يمر عليه صورة تناسبه
بحال يخصه ويحسبه يأخذها بتفاوت ذلك بحسب استعداده بحال التصوير فكم بين من اتم
الحق تسويته وتعديله وجمع له بين يديه المتقابلتين ثم نفخ فيه من روحه [illegible]
معرفة الاسماء وسجود الملائكة اجمعين وبين من خلقه بيد الواحدة او بواسطة
ما شاء ويكون الملك هو الذي ينفخ فيه الروح بالاذن كما ورد في الحديث [illegible] ان احدكم يجمع خلقه
احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة
ثم يؤمر الملك فينفخ فيه الروح فيقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما رزقه وما اجله
ما عمله فالحق يملي والملك يكتب فاين هذا من قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا
له ساجدين شتان بينهما فلا يزال الانسان الكامل الذي خلق الله بيديه مباشرا في سائر مراتب
الاستيداع من لدن افراد الارادة في مقام القلم الاعلى ثم في مقام اللوح النفسي في مرتبة
الطبيعة ثم في العرش المحدد للجهات مستوى اسم الرحمن ثم في الكرسي مستوى الاسم الرحيم ثم في
السموات السبع ثم في العناصر والمولدات الى حين استقراره بصفة صورة جمعه بعد استيفاء احكام
مراتب الاستيداع فالحكم هو الآخر والاول لكنه هو الاول [illegible] عين الثابت فافهم انتهى

ماذكره وظهر منزلة الانسان الكامل بكمال مرتبته وتعليمها عند نزوله من عالم الوحدة لابد وان يلبس
بها ويعود بصورة تلك المرتبة عند صعوده الى ذلك العالم ثم يخلع عنه لباسها فيرد الودايع
ويؤدى الامانات الى اهلها ان كان هو من اهل الهداية والكمال الدائم حقيقة مثالية
ان الانسان الكامل مظهر جمعية الكل وجوده بحسب الكون الزماني آدمي مستلقى رجلاه الى
جانب المستقبل الى اوان بعث الخاتم عليه وآله السلام فكان الانسان منذ خلق الله اول آدمي
وراسه الى جانب المستقبل الى اوان بعث الخاتم عليه وآله السلام فكان الانسان منذ خلق الله
اول آدمي الى خلق محمد كان مندرجا في الاشكال ومتضيقا الاحوال حتى بلغ الى الغاية
القطرية ومجمع راس الادمية وام دماغ الانسانية بوجود محمد صلعم هذا بحسب الزمان
وهو بمعنى الا في شيء واما بحسب المكان فالانسان الكامل كشخص قائم عنق الله تعالى
في الارضين قدماه وخارج عن اكناف السموات عنقه بالغ الى حد العرش العظيم عظامه وصغاره
انقوا منبلين منزل الموحدين عليه سلام الله فيما من الملائكة بقوله ومنهم الثابتة في الارضين
السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم
والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم لا
يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه حدا صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا
يشيرون اليه بالنظائر انتهى كلامه ومنها وجه آخر وهو قوله ثم استوى الى السماء فسويهن
سبع سموات اشارة الى تسوية قطرا الانسان [illegible] سبع درجات بالطبقة [illegible]
عند اهل الحقيقة وهي النفس والقلب والعقل والروح والسر والخفي والاخفى وتوجيه
ذلك بان يقال لما ذكر في الاية السابقة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ثم اليه ترجعون يشير الى مرتبتي خروج الانسان من ادنى المراتب بصعوده صورة
بعد صورة واحيا بعد حيوة بعد كل مات وكمالا بعد كل نقص حتى يرجع الى ربه وعاد الى ما بدا
منه كما قال كما بدأنا اول خلق نعيده اراد الكيفية هذا الى الرجوع وبيان هذه الاعادة
على ضرب من التفصيل بعدما اجمل فيه فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اشارة
الى طبقة في السلوك الى الله تعالى جميع الدرجات الارضية من الجمادية والنباتية والحيوانية
ثم استوى الى السماء اي قصد بارادته الى سماء عقله فسويهن سبع اطوار وهو بكل شيء
عليم اذ قد جمع علم الاسماء كلها في هذا النائب الرباني والخليفة السبحاني [illegible] وتنوير القول
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقوله
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

تفضيلا

تفضيلا ثم بان في هذه الاية شرح ماهية الانسان وبيان خلوصه لله تعالى ومسجوديته
للملائكة اجمعين لا ناطه بهذا المقصود من كون الانسان سالكا يتعلى من [illegible] والعالم
الى حد من الولي المعبود فصل لا تنافي ما ذكر في القرآن من عدد السموات لا يزيد على السبع
اما اهل الهيئة واصحاب التعاليم الرصدية فيزعمون ان الافلاك الكلية تسعة سبعة للسيارة
كل في فلك وثامنها للكواكب الثابتة ومداها البطيئة في حركتها الخاصة بها واما
الفلك التاسع فهو الفلك المحيط بالكل المحرك للكل حركة يومية مخالفة لحركات البواقي
وذلك لانهم وجدوا لكل كوكب متحرك بحركة سريعة ثم حركة مشتركة وبحركة البطيئة غريبة
مختصة به وهم قد ذكروا في كتبهم وجه انحصارها وتوجيهها المشهور اما وجه انحصار
الافلاك الكلية في تسعة ومعنى الفلك الكلي عندهم ما ينتظم به احدى الحركات المحسوسة
المعلومة بالنظر الجليل بحسب الرصد فهو انهم في بادي نظرهم في تسع حركات مختلفة فاثبتوا
تسعة اجرام متحركات فلكية وهذا الوجه ضعيف اذ يمكن ان يستند احدى هذه الحركات
اما الرقمة الشرعية او البطيئة الشاملة لحركات الاوجات في الجوزهرات الى جرم
مختص بان يتعلق بمجموع الافلاك الثمانية تحريكها احدى تينك الحركتين بل الاخرى
الى القائم كما ذكره صاحب التحفة من المتأخرين وقد استفاد ذلك من بعض من تقدمه لعدم
الامكان ان يتعلق نفس بمجموع السبعة بحركة باحدى الحركتين واخرى بالتابع بحركة بالاخرى
هذا في جانب القلة واما في جانب الكثرة فيجوز الزيادة من لا مانع عنه بل يجوز ان يكون
وكان الكواكب الغير الثابتة متفاوتة المقادير كلها تحت وتا قليلا لا يدركه الحس فيكون
على اصولهم كل منها في فلك او بل [illegible] الاحتمال جاز في هذه الحركة الرقمة الشاملة فكان
يجوز ان يكون كل من الافلاك من هذه الرقعة حركة غير ما للاخرى [illegible] يسيرا لا يبلغ في الوف
من السنين الى قدر يدركه الانسان بحسب الارصاد السابقة واللاحقة على ان تساوي
الحركات لا يوجب وحدة الجرم المحرك بها ثم انهم اضطروا الى اثبات افلاك اخرى جزئيات
منها حوامل الاوجات ولا [illegible] الافلاك التي وجده بعض ارباب الطلسمات وغيرهم
ان غاية كل منها غاية درجات يتم كل من الغايتين في ثمانمائة واربعين سنة ومنها جداول
الميل الاعظم بين المنطقتين متناقضا ما وجده اصحاب الارصاد القديمة فان اهل الهند
منهم وجده اربعة وعشرين جزءا وكان هذا في القدماء رأيا شايعا وقد [illegible] ذلك
استخرج اقليدس في كتابه [illegible] في الدائرة بسبب ان كل ضلع منه [illegible]
الخمسة عشر من الدور ثم وجد بعد ذلك بطلميوس بالحلقتين الموضوعتين في قبل المجسطي اقل

من ذلك مطابقا لما وجدوا بخمس دقايق ثلث ثم وجدوا ذلك بارصاد المامون اقل منه
ووافقه محمد بن موسى بدار السلام ثم وجد جماعة كابي الوفا وابي حامد الصغاني اقل
من ما وجده المامون ثم محمد الخجندي في ايام فخر الدولة بالالة الفخرية لم يقسمها الا الى هذه
الغاية بتمامها الى السدس الهري فوجده ثلثة وعشرين ونصف جزء بزيادة دقايق
ثلثة تقريبا ومنها اختلافات اخرى عملية توجب عليهم اثبات افلاك اخر غير ما اثبتوه
كهذه تشابه حركات المتحيرة حول مراكز افلاكها الخارجة وكتشابه حركة الخارج المركز
للقمر حول مركز العالم وكمحاذاة ذروة تداوير المتحيرة وحضيضها لغير مركز ما فيه اكثر
وكانحراف القطر المار بالبعدين الاوسطين للزهرة وعطارد واعلم ان ما يقع بيننا على الوجه
المقرر عندهم فذكروا في بيانه ان المحرك للكل يجب ان يكون محيطا بالكل على ما يشهد به الفطرة
السليمة وان بعض الثوابت ينكسف بزحل المنكسف بالمشتري المنكسف بالمريخ المنكسف بالزهرة
المنكسفة بعطارد المنكسف بالقمر الكاسف الشمس ولا شك ان فلك المنكسف فوق فلك
الكاسف لكن بقي الامر في كون فلك الشمس تحت فلك المريخ وفوق فلك الزهرة مما يفتقر
في ذلك اذ طريقة الكسف لا يمشي بين الشمس وغيرها من الكواكب لاضمحلالها تحت الشعاع عند
مقارنتها اياها فعلم الاول بطريقة اخرى هي اختلاف المنظر فان المريخ له اختلاف منظر
اصلا بخلاف الشمس فوقها وبقي الثاني بل كونها فوق عطارد ايضا مشكوك فيه الا انه
كان الالة التي بها استعملوا اختلاف المنظر اذا استعملوها وهي ذات الشعبتين تنصب
في سطح نصف النهار وهما عند وصولهما اليه غير ملحوظين في معظم المعمورة لان كلا منهما
لا يبعد عن الشمس بمقدار يمكن ظهورهما في نصف النهار عند اختفاء الشمس فاضطروا الى
توسطها بين المريخ والزهرة الى طريقة الاستحسان من كونها بين السعد كشمسة القلادة
وتاكد ذلك الراي بما حكي عن جماعة منهم الشيخ ابو علي انهم رأوا الزهرة كشامة على وجه
الشمس ورأوا اياها مع عطارد كشامتين على وجهها وهذا ايضا ضعيف لان منهم من يزعم ان في وجه
الشمس شامة كما انه حصل في وجه القمر المحو ثم ان ابا ريحان البيروني ذكر في [illegible]
الفرغاني ان اختلاف المنظر لا يحس الا في القمر فبطل ما عولوا عليه وبقي موضع الشمس مشكوكا
فيه ولحق بعض المتأخرين كمؤيد الدين العرضي وقطب الدين الشيرازي بالدليل اللايح لهم في الارصاد
ان فلك الشمس بين فلكي الزهرة وعطارد هذا على خلاف ما ذكروه في الترتيب فعلم
ان طريقة الرصد والحس على ما هو مسلك الفلاسفة ناقصة في ادراك الامور السماوية ان لا يحاط
به ولا يبلغ كنهها ومنتهاها فوجب الاقتصار فيها على طريقة السمع فانها تدل على تحقيق سبع سموات بلا تخفيف

جسمين

جسمين عظيمين غيرها احدهما العرش والاخر الكرسي او لم يكن المراد بهما العقل الكلي والنفس الكلية
او اللوح والقلم او القضاء والقدر فصل قوله وهو بكل شيء عليم يدل على ان ذاته
لما كان سببا لجميع ما في الارض والسماء وذاته عالمة بذاته لكونه محتجبا عن ذاته بسبب الغشية
ولواحق غريبة بها تغيب الشيء عن نفسه لتجرده عنها وتقدمه على سائر الاشياء فهو
غير مكتنف بامر غريب عن صورة ذاته الالهية فيكون عالما بذاته والعلم بالعلة يوجب
العلم بالمعلول فيكون عالما بكل شيء علما لكن بذاته لما كان عين ذاته فعلمه التفصيلي
بما سواه يجب ان يكون نفس ذوات ما سواه لان ذاته سبب لما سواه وعلمه بذاته سبب
لعلمه بما سواه والعلتان وهما ذاته وعلمه بذاته واحدة فيجب ان يكون المعلولان
وهما ما سواه وعلمه بما سواه واحدا بالذات فيكون علمه بكل شيء عين وجود ذلك الشيء
فعلمه بكل شيء على وجه جزئي خلافا لما اشتهر من شرذمة من المتفلسفة خذلهم الله انه
لا يعلم الجزئيات المادية واعلم علمه تعالى بالاشياء علمان واجب وممكن فالاول علم كمالي
فعلي هو عين ذاته المقدسة فان ذاته حقيقة ينشأ منها جميع الحقايق كما ان العقول
البسيطة عند نا علة يصدر منها مفصل المعقولات والثاني علم تفصيلي هو صور كل واحدة
واحدة من الحقايق الامكانية سواء كانت مقارنة لذاته كما ذهب اليه الحكماء المشائين
واتباعهم كابي نصر وابي علي او مباينة عنه كما عليه الاشراقيون وغيرهم او غير ذلك
على اختلاف وتفاوت كاراء الاقدمين من الرواقيين ذهب بعض الحكماء من اتباع من اتبع ارسطو
الى ان الحق واجب الوجود مبدأ كل فيض وهو ظاهر فله الكل من حيث لا كثرة
فيه فهو من حيث هو ظاهر هو ينال الكل من ذاته فعلمه بالكل بعد ذاته وعلمه بذاته
نفس فتكثر علمه بالكل كثرة بعد ذاته ويتحد الكل بالنسبة الى ذاته فهو الكل في وحدة
انتهى واعلم ان تحقيق القول في علمه تعالى محتاج الى خوض عظيم في بحر علوم المكاشفة
ولا يكفي في ذلك مقروعات الاسماع من غير بصيرة قلبية بعين اليقين كما لصاحب التفسير
الكبير هذه الاية يدل على فساد قول الفلاسفة القايلين بعدم علمه بالجزئيات ومعه قول
المتكلمين في اثبات علمه بها واستدلوا على ذلك بانه تعالى فاعل لهذه الاجسام على نهج الاتقان
والاحكام وكل ما هو كذلك يكون عالما بما فعله وهذه الدلالة بعينه ذكرها الله تعالى
في هذا الموضع لانه ذكر خلق السموات والارض ثم فرع على ذلك كونه عالما فثبت ان قول
المتكلمين مطابق للقرآن مذهبا واستدلالا ويدل ايضا على فساد قول المعتزلة لولا انه موجد

ذاته

كل فعل لا بد وان يكون عالما به على سبيل التفصيل فلما لم يكن الانسان عالما بكنه ما يصدر عنه علمنا انه غير موجد له اذا قول الفلاسفة فلم ينفوا علمه تعالى بالجزئيات بحسب تخصيصها الا انهم قالوا ليس نحو علمه تعالى بها من باب الاحساس والتخيل ومناط الجزئية والامتناع عن الصدق على كثيرين عندهم احد هذين الامرين سوا كانوا مصيبين في ذلك او مخطئين ولعمري ان خطاء الحكماء وجهالتهم في باب المعرفة اوطى من اصابة المتكلم من غير بصيرة وبوئد بما ذكره تول معلمهم ومتقدمهم ارسطاطاليس حيث قال في كتابه المعروف بالمعرفة الربوبية بمثل هذه العبارة ان العقل يجهل ما فوقه وهى العلة الاولى معرفة تامة ولو لا لكان هو فوقها وعلتها ان يكون الشى فوق علته وعلة لعلته وهذا قبيح جدا والعقل يجهل ما تحته ايضا لانه لا يحتاج الى معرفتها لانها منه وهو علتها ويجهل العقل ليس عدم المعرفة بل المعرفة الفصوى وذلك انه يعرف الاشياء لا كمعرفة الاشياء انفسها بل فوق ذلك وافضل واعلى لانه علتها فمعرفة الاشياء بانفسها عند العقل جهل لانها ليست معرفة صحيحة ولا تامة فلذلك قلنا ان العقل يجهل الاشياء التى تحته يعنى بذلك انه يعرفها معرفة تامة لا كمعرفتها بانفسها ولا حاجة له الى معرفتها وكذلك النفس تجهل معلولاتها بالنوع الذى ذكرناه انفا ولا يحتاج الى معرفتها الا ما في معرفة العقل والعلة الاولى لانها فوقها واما المعتزلة فهم لا يقولون بان العبد خالق لحقايق ما صدرت عنه بل هو باراده موجد للحركات وسكنات كالاكل والشرب والقيام والقعود وغيرها وله من العلم بها ما يكفى لرجحان احد جانبى الحركة والسكون على الاخر وهما الوقوع واللاوقوع وحاشى من له ادنى مسكة من العقل ان لا يعقل ان الصباغ مثلا ليس موجد الحقيقة الصبغ ولا الحقيقة الكرباس بل الصبغ ولا لكونه مصبوغا اى منفعلا عن تاثير الصبغ فيه فان من اشتبه عليه ذلك فهو خارج عن حدود اهلية البحث والنظر لمحل الخلاف في ان حركات الصباغ كالجمع بين الكرباس والصبغ وكتغريق الصبغ عليه من فعل العبد او لا وكذلك في سائر الابواب كالبناء والتجديل والكتابة والزراعة وغيرها ثم ان قلنا المعتزلة اذا وقع جمع بين هذه الاية وبين وفوق كل ذى علم عليم ظهر انه تعالى عالم لذاته وبجوازه نعم وفوق كل ذى علم عالم وقوله انزله بعلمه خاص والخاص مقدم على العام اوكى الاولى اسبق لكلا لئه على ان مرتبة الوجود عليها يفوق علما يفوق على ساير العلماء ويكون علمه عين ذاته اذ لو كان ذا علم اى عالما بعلم زايد لكان فوقه عليم اخر فيلزم التسلسل فان قيل الاية تدل على انه انزله

بعلمه الذي

بعلمه الذى هو نفس ذاته او بعلمه الذى هو زايد عليه والمبين مقدم على المجمل نذيل تعلمه العلم ان علمه تعالى كما يوصفه تجرده اى خبر عارض لمهيته لانه تعالى منزه عن المهية صمد حق وكل وجود مجرد لا بد ان يكون قد خرج فيه الى الفعل جميع كمالاته حقيقة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها لانه لا جهة له سواها وقد حققنا في مقامه ان كل بسيط الحقيقة يجب ان يكون كل الموجودات واقمنا عليه البرهان وما كان الشى هو الشى كله والا كان الشى ذا امر ما هو ذاته وهو محال وما هذا الا انه يستحيل فيه التعدد فان التعدد كان كل الشى لا يتعدد فالعلم هناك واحد ومع وحدته يجب ان يكون علما بكل شى اذ لو بقى شى ما لا يكون ذلك العلم علما ولا شك ان العلم من جملة مطلق العلم فلم يخرج جميع الفعليت في ذلك الى الفعل لكان جنا انه ذلك واجب والكلام في ساير الصفات على هذا القياس ومن ذلك يكون علم الحق عز وجل مع وحدته علما بكل شى فلا انه طبيعته واحد ولا وحدته عددية وليس كاطلاق او كالاتحاد وحدته ليس كساير الوحدات ولا كالاتحاد فكذلك وحدة صفاته وهذا من غوامض العلم واعلم ان نحو العلم هنا اعلى عكس العلم عندنا لان المعلوم هنا اقدم من العلم ويجرى مجرى الظل من الاصل فما عند الله هو الحقايق المتاصلة التى تنزل الاشياء منزلة الصور والاشباح بعض المحققين ان ما من الاشياء عند الله احق بها مما عند انفسها والعلم هناك في شيئية المعلوم وتحققه اقوى من المعلوم في شيئية نفسه وتحققها فانه تحقق الحقيقة وشى الشى والشى مع نفسه بالامكان ومع شيئته ومحقق بالوجوب وتاكد الشى فوق الشى وكمال الوجود فوق الوجود وهذا مما يحتاج دركه الى تلطف شديد وصفاء اكيد والله على ما اقول شهيد وخاب كل جبار عنيد وهو كل حال اسلم وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون اعلم ان هذه الاية اشارت الى معرفة النفس الانسانية شرح ماهيتها وابتها وكيفية نشوها من الارض وسر خلافتها وذلك لان معرفة النفس ام الفضايل واصل الخيرات كما جاء في الوحى الالهى اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وفى كلام النبى صلى الله عليه وسلم اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه وفى كلام بعض الاماثل من عرف ذاته تالّه وذلك لانها اذا عرفت كانت مفتاح خزاين المعرفة وباب حكمة رب العالمين وصراط الحق واليقين وميزان يوم القيمة ونور المارين الى الجنة واذا جهلت كانت ظلمة القبر ونعيه وضيقها

لحساب

وحشر الصدور وضنكها وعرضها للظلمات والهم والاوزار وعذاب الاخرة يوم النشور
واذ
وقوله كما قيل زمان نسبة ماضية وقعت فيه اذ كما ان اذا وضع لزمان نسبة مستقبلة
يقع فيه اذ ومحلها النصب ابدا بالظرفية بفعل مضمر كما ذكر ونحوه او مذكور كما في
في هذه الاية وانما اضمر ذكر ما اضمر لارتجاء عامله او صريحا ذكر من مواضع القرآن من غير
امر مزيد اعلم ان قول الله فعل عند المحققين كلامه وهو عبارة عن انشاء امر يستفاد منه
مشية الله في خلقه فقوله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اعلام منه اياهم ذلك اجمعين
انما باهل فصل الخطاب التي هي من مبادي القضاء لان الانسانية عليهم او باطلاعهم على شيء
من عالم امره لها المشتمل على جميع الاقوال المتعلقة بالاكوان الخلقية والجعل على مرتبتين ابداع
نفس ابداع نفس حقيقة وتاثيره او تصيير الشيء اخر والاول اعلى في باب الجاعلية من الثاني
جاعل ان كان بالمعنى الاول كان بمعنى مبدع او خالق فلا يستدعي مجعولا اليه وان كان بالمعنى الثاني
كان له مجعول ومجعول اليه والمفعول الثاني باصطلاح النحاة وهما في الارض خليفة وانما
عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه والخليفة من يخلف غيره وينوب عنه
لاجل مناسبة تامة يستحق بها الخلافة لا يوجد في غيره والا لكان وضعا للشيء في غير موضعه
واخفاء فيه للمبالغة وقد تحيرت العقول في انه استحق آدم الخلافة الالهية بما فقيل
تحمل التكاليف وقيل من وجوه الصوارف البلاية كالشهوة والغضب عنها وقيل الجامعية بين
صفات الملائكة وصفات البهائم واشد الاقوال كونه جامعا لجميع المظاهر الاسمائية والعلم
الله خلفاء وبعد ابوحث سنة الاحاجة له الى شوبه في فضله تعالى من المقصود في
فضله لكونه تام كل حقيقة وكمال كل وجود بل القصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي
امره من غير واسطة ولذلك لم يستنبئ ملكا من الملائكة العالين في الارض كما قال
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون الا ترى ان الانبياء سلام الله
عليهم لما قويت قواهم ورقت عقولهم وتكامل نورهم بحيث تجاوزوا نور هداهم واشتعلت
قريحتهم الوقادة بنور الهداية بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة
ثم من كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عم في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج ومما يؤيد ما ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وآله في تفاوت درجات اخذ عن الله [illegible] نحو احواله

المقامة

المقامة درجات قبالة في مراتب العقول المفارقة بعد تجاوزه المقامات الفلكية في عروجها
العلوية فكان يخبر احيانا انه اخذ من ميكائيل وهو عن اسرافيل يأخذ عن الله و
يخبر احيانا انه اخذ عن ميكائيل دون واسطة جبرئيل واخبر انه كان يلقي اليه احيانا
اسرافيل فيأخذ دون واسطة الملكين عليهما السلام واخذ احيانا عن الله من غير
واسطة احد من الملائكة وليس وراء الله مرمى ونظير ذلك في الطبيعة ان النفس متوسطة
بين العقل والطبيعة وهي متوسطة بينهما وبين الروح البخاري المتوسط وبين الطبيعة
وبين الاعصاب والعضلات وهي بينها وبين الاعضاء والاشباح والمراد هنا آدم عم
لانه خليفة الله في ارضه او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني عن ذكر ابي القبيلة عن ذكرهم
في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلف او خلفا يخلف واما خليفة في [illegible]
[illegible] عند بلوغه الى المقام المحمود واشراق كمالي اعلم انه لما اقتضى حكم السلطنة الواجبية الذاتية
الازلية والصفات العلية بسط مملكة الالوهية ونشر لواء الربوبية باظهار الخلائق وتحقيق
الحقائق وتسخير الاشياء وامضاء الامور وتدبير الممالك وامداد الوجود وحفظ مراتب الوجود
ورفع مناصب الشهود وكان مباشرة هذا الامر من الذات القديمة بغير واسطة بعيدا جدا
لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث حكم الحكيم سبحانه بتخليف نائب ينوب عنه في
التصرف والولاية والحفظ والرعاية وله وجه الى القدم يستمد به من الحق سبحانه ووجه
الى الحدوث يمد به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه في التصرف وخلع عليه جميع اسمائه وصفاته
ومكنه في مسند الخلافة بالقاء مقاليد الامور اليه واحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته
في خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق لحكمه وجبروته وسماه انسانا لامكان وقوع الانس
بينه وبين الخلق برابطة الجنسية وواسطة الانسية وجعل له بحكم اسميه الظاهر والباطن
حقيقة باطنة وصورة ظاهرة ليتمكن بهما من التصرف في الملك والملكوت فحقيقته الباطنة هي الروح
الاعظم وهو الامر الذي يستحق به الانسان الخلافة والنفس الكلية وزيره وترجمانه والطبيعة
الكلية عامله ورئيسه والعملة من القوى الطبيعية وكذلك الى اخر الوضعيات جنوده وخدمه
واما صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش الى الفرش وما بينهما من البسائط والمركبات فهذا
هو الانسان الكبير المشار اليه في قول المحققين ان العالم انسان كبير واما قولهم الانسان عالم
كبير اراد وابه انواع البشر وهو خليفة الله في ارضه كما اشار اليه في هذه الاية واما خليفة الله
في السماء والارض فهو الانسان الكبير والانسان البشري نسخة من الانسان الكبير الالهي ونسبته اليه

نسبة الولد الصغير من الولد الكبير فله ايضا حقيقة باطنية وصورة ظاهرة اما حقيقته
الباطنة فالروح الجزئي المنفوخ فيه من الروح الاعظم والعقل الجزئي والنفس والطبيعة الجزئيان
واما صورته الظاهرة فنسخة منتخبة من صورة العالم فيها من كل جزء من اجزاء العالم انموذج
وكثيفها قسط ونصيب فسبحان من جامع جميع الكمالات في كل واحد كما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع
العالم في واحد وصورة كل شخص انساني نتيجة صورة آدم وحوا عليهما السلام ومعناه نتيجة
الروح الاعظم والنفس الكلية اللذين هما ابوا آدم كلي وحوا كلية ومن هذا يصح ان يقول البعض
من كمل اولادهم حقيقة واني وان كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بابوة فصل
الملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والهاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة
وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم وقد يسمى
ملكا من لا رسالة له كما يسمى روحا او شيئا اخر واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم
على انها ذوات موجودة وجودا جوهريا وصوريا لا كوجود الاعراض فذهب اكثر اهل الاسلام
الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل عليهم السلام
كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان
كما ان الشياطين عندهم هي النفوس الخبيثة الشريرة المفارقة وزعم الحكماء ان ضربا منها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وضرب اخر متعلقة بالاجرام الكلية و
الجزئية بانحاء من التدبير والتصريف فهي عندهم منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق
في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره [illegible] جلاله وهم العليون والملائكة
المقربون كما وصفهم الله في محكم تنزيله بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل ذكره في النفائح
الغيبية واعلم انهم اختلفوا في ان المقول لهم كل الملائكة ام ملائكة الارض والحق ان
المراد من الخليفة ان كان آدم عليه السلام والانسان الصغير فالمقول لهم الملائكة الارضية
وان كان الانسان الكبير المحمدي عليه واله السلام فالمخاطب كل الملائكة اجمعين قيل
هم ابليس ومن كان معه فيها من الجن فانه لما اسكنهم في الارض ولما فسدوا فيها فبعث اليهم
ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجبال والجزائر مثل ذلك قوى مملكة الانسان
في ارض صلصال [illegible] مادة بدنه كانت اولا قبل تعلق النفس الوهمية به قوى الحيوانية الشهوية
والغضبية الساكنة في اوسط من صفحة واعلى بقاعه كتجويف القلب والمخ به وكانت عاصية

ظالمة

ظالمة فاعلة بالقوى بمقتضى الطبيعة لا بحكم شرع ادراكية باطنية ثم اذا فاضت عليها
النفس الوهمانية بامر الله قهرتها وحرفتها وابعدتها عن مقر الدماغ الى اطراف البدن وكانت
بحكم مدة البدن ووجوده ارضا بالقوة النامية فجعل موضع الحواس الظاهرة اطراف
البدن ومواضع قوى الشهوة والغضب الجوارح والكبد والانثيين والمرارة ونحوها
ثم جعل الله القوة الناطقة المطيعة لامر الله المسمية لاحكامه المسلمة له ولرسوله [illegible]
خليفة في ارض البدن فامر جميع القوى المدركة بانقيادها وطاعتها وتسليمها والسجود لها
الا ائتمار بامرها والانتهاء بنهيها فاصبحت كلها ساجدة مطيعة لامر الله خاضعة له الا
ابليس القوة الوهمية فغلبة تارة النفس على طبعها وقامت نورية الادراك العقلي على فطرتها
فتشارك فتدعي انا خير منها انا [illegible] نوريتها العقلية [illegible] بصيرتها بحال الجوهر
المجهر طينته من التراب المشتغل [illegible] في وادي القدس [illegible] الاربابية
مقصودة من الطاعة زاعمة ان حقيقة الانسان ليس الا هذا الجسد الارضي الفاسد
الذي ان اصابه حر ذاب وان اصابه برد جمد وان [illegible] لا يشعر وان جرك لا يحس بذاته
وان لم يطعم [illegible] امثاله من [illegible] والنجاسات كان مزبلة محشوة ظاهره مملوة
باطنه من [illegible] ومرارات وكفن متحرك في جوفه انواع من المؤذيات والهوام كالحيات
والعقارب والديدان فصل اعلم ان قولهم هذا يدل على معان مختلفة منها ان الله اطلعهم
بقول الملائكة [illegible] ان هذه الصفات الذميمة في طينتنا موجودة وفي جبلتنا مركوزة
[illegible] من مكر نفسنا الامارة بالسوء ولا نعتمد عليها وما نبرئها كما قال الصديق [illegible] يوسف
وما ابرئ نفسي ومنها ان نعلم ان كل عمل صالح نعمله ذلك بتوفيق الله وفضله ورحمته
وكل فساد وظلم نعمله هو من شؤم طينتنا وخاصية طبيعتنا كما قال ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك كل منا [illegible] ولا يصدر منا فذلك من حفظ
الحق وعصمته ورحمته لقوله تعالى الا ما رحم ربي ومنها ان نعلم ان استعداد عظيم فينا
[illegible] وجميع الملائكة ليس للملائكة به علم وهو سر الخلافة [illegible] قال عز
هذه السعادة [illegible] هذه البشارة [illegible] طلبها حق الطلب ومنها ان نعلم ان الله
من فضله وكرمه قد [illegible] والخلافة [illegible] في الملائكة
المقربين اني اعلم ما لا تعلمون [illegible] رحمته [illegible] ومنها ان الملائكة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لانهم نظروا الى جسد آدم قبل نفخ الروح فيه
فشاهدوا بالنظر الملكي [illegible] المخلوق من العناصر الاربعة المتضادة صفات بشرية

البهيمية والسبعية التي تتولد من تركيب الصلصال والعناصر كما شاهدوها في اجناس الحيوانات
والسباع الضاريات بل عاينوها فانها خلقت قبل خلق آدم فقاسوا عليها احواله بعد
ان شاهدوها وحققوها وهذا لا يكون غيبا في حقهم ولما يكون غيبا لنا لانا ننظر
بالحس والملكوت يكون محسوسا لنا في منظر بالنظر الملكوتي فيشاهد الملائكة
والملكوتيات بالنظر الروحاني كما قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فالحق لا يكون غيبا فان الغيب ما غاب وما شاهد
فهو شهادة فالملكوت للملائكة شهادة والحضرة الالهية لهم غيب ولهم الترقي الى
تلك الحضرة وان للانسان صورة من عالم الشهادة المحسوسة وروحا من عالم الغيب
الملكوتي وسرا مستعدا لقبول فيض النور الالهي بلا واسطة فبالتربية يترقى
من عالم الشهادة الى عالم الغيب وهو الملكوت وبالمتابعة وخصوصيتها يترقى من عالم
الملكوت الى عالم الجبروت والعظموت وهو غيب الغيوب فيشاهد بنور الله المستفاد
من سر المتابعة في انوار الجمال والجلال فيكون في خلافة الحق عالم الغيب والشهادة كما
ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احدا اي الغيب المخصوص وهو غيب
الغيب احدا يعني من الملائكة الا من الملائكة الا من ارتضى من رسول يعني من الانسان
فهذا هو السر المكنون المركوز في استعداد الانسان الذي كان الله تعالى منه والملائكة
لا يعلمون كما قال اني اعلم ما لا تعلمون ومنها ان الملائكة لما نظروا الى كثرة طاعتهم واستعداد
عصمتهم ونظروا الى نتايج الصفات النفسانية استعظموا انفسهم واستصغروا آدم و
ذريته فقالوا اتجعل فيها اي في الارض خليفة من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك فنحن مع هذه الصفات احق بالخلافة منهم كما قال بنو اسرائيل
حين بعث الله لهم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
فاجابهم الله تعالى بان استحقاق الملك انما هو بالاصطفاء والبسطة في العلم والجسم وقال ان
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء فكذلك ههنا
اجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اجمالا ثم فصله بقوله ان الله اصطفى آدم ونوحا
وبقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ليعلموا ان استحقاق
تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكن مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء الاية ولما افتخر
الملائكة بطاعتهم على آدم من الله تعالى على آدم بتعليم الاسماء ليعلموا انهم اهل الطاعة والخدمة وانه
اهل الفضل والمشية وان اهل الخدمة من اهل المنة فيسجدوا فسجدوا لآدم صاروا ساجدين له ليعلموا

انه

انه مستغن عن طاعتهم وبتعينه على آدم صار مسجودا لهم ليعلموا ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء فصل اخر قوله قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء استكشاف
عما خفي عليهم من وجه حكمته كانهم قالوا الهنا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه فما وجه الحكمة
في جعل جوهر ارضي خليفة فيها وهو مصحوب بقوة شهوية شانها الشره والافساد وقوة
غضبية شانها الاهلاك وسفك الدماء فان النفس اذا تعادت لاحديهما سلكت بها
مسلك الفساد والجور والظلم او تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد
فيها مع وجود من هو برئ من الذنوب والمفاسد بالكلية كطبقة الملائكة المعصومين عن
المعاصي المسبحين بحمده والمقدسين له وليس هذا باعتراض على الله تعالى او طعن في
بني آدم على وجه الغيبة او تزكية لانفسهم على وجه الافتخار والازدراء بغيرهم حاشا
ملائكة الله عن ذلك وقد وصفهم الله بانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وانما علمهم بما ذكروه وحكمهم بذلك على بني آدم فليس مما استنبطوه بالقياس
كما توهم من انهم قاسوا احد الثقلين على الاخر اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة
تلقيا لهم عن الظن رجما بالغيب بل انما عرفوا ذلك بوحي الله او باطلاعهم على ما في اللوح
المحفوظ او بما ارتكز في عقولهم من ان العصمة من المعاصي والشرور كلها من خواصهم فانه
الله سر خلافة الانسان لله اني اعلم ما لا تعلمون حكمة مشرقية واعلم ان ما استاثر
بقوله من غوامض العلوم التي لم يمكن الاطلاع عليها الا بتوفيق الله عباده عليها بالوحي
او ما ينتهي اليه ويمكن تقرير شبهة الملائكة واستجابتهم على وجه اخر وهو ان
الانسان لما اختص بتشريف الخلافة وبسجود الملائكة من بين ساير الموجودات من
الملائكة والافلاك وجميع من في طبقات السموات والارض والجبال وهو مع ذلك مخلوق
من التراب وفي اول خلقته كان انزل مرتبة من الجواهر السماوية والارضية وما في المعادن
والجبال اذ كان اضعف وجودا واخس جوهرا من كل جوهر عقلي او نفساني او طبيعي فكيف
فاق على الاقران وجاوز مرتبة النبات والحيوان ومر على طبقات السموات ونفوسها و
عقولها حتى صار خليفة الرحمن واسطة بين الله وبين ما سواه بعد ان كان في عداد الحشرات
والديدان مملوا بافة الشهوة والغضب كالاسد والارنب وكيف اختص هو بهذا الشرف
والهم جدود من غيره ومن هو نظيره وقد كان مثله وقتا اما المعادن فقد كان الانسان
مثلها وقتا واما النبات فقد نزل قبل الحيوانية في درجتها واما الحيوان فهو حيوان
حيوان من اصنافها والحقها بالنفس الناطقة بعد التجاوز عما في مرتبتها واما السماويات

فان من طبقة من طبقاتها الا وقد مكث فيها الانسان الكامل قليلا او كثيرا ثم جاوزها حتى انتهى الى
ووصل الى غاية منتهاها وسنتاها فسبب تجاوزه عن كل مرتبة ذكرناها الى فوقها دون
صاحب تلك المرتبة مثلا اذا تأملت في علم النفوس الفلكية فاى سبب اكتسب التجاوز عن رتبة
تلك النفوس بكمالها حتى صار عقلا محضا مفارقا عن الكل في مقام القرب الالهى ولم يمكن لواحد
منها ذلك مدة سرمدية الى ان يشاء الله فصل في تقرير هذا الاشكال على هذا المنوال وختم
بان شأن من خلق للنهاية ان لا يمكث في حدود الطريق اليها وبعبارة اخرى ان المتحرك يجب
ان يكون حاله ما بين طرفي الفعل ومحوضة القوة وبعبارة اخرى ان الموت عن كل نشأة
يوجب الحيوة في نشأة ثانية فوقها وبعبارة اخرى الكمال صورة من الصور وطبقة
من الطبقات ومرتبة من الملائكة مقام معلوم لا ينتقل الى فوقه وجودها وشأن فعليتها
الذى خلق للنهاية ان يضعف وجوده لا يستأنف لا مقام له كما في قوله تعالى يا اهل يثرب لا مقام
لكم وتفصيل ذلك ان الموجود اما بالفعل من جميع الوجوه او بالفعل من بعض الوجوه و
بالقوة من بعضها ولا يمكن بالقوة من كل الوجوه والا لم يكن موجودا وقد فرض موجودا
اما القسم الاول فهو الباري جل اسمه وضرب من الملائكة المقربين والفرق بان الباري
موجود بوجوده باق ببقاء نفسه والمقربون موجودون بوجود الله باقون ببقاء الله لا ببقاء
انفسهم وغير المقربين باق بابقاء الله اياه ويفرق بين بقاء الشيء بنفسه كما في الواجب الوجود
لذاته وبين البقاء ببقاء غيره كما في صورة ما عند الله وبين الباقي بابقاء غيره كما في سائر
الممكنات الموجودة الباقية واما القسم الثاني فهو ما يكون في درج الحقيقة من امر يكون به
بالفعل كالصورة ومن امر يكون به بالقوة كالمادة ومن حكمها ثم هذا القسم
ايضا ينقسم الى قسمين قسم لا يجوز له الانتقال من صورة الى صورة وقسم يجوز له ذلك فالاول
كالاجرام السماوية في جوهرها وفي اعراضها القارة كالكم والكيف والشكل لا في نسبها
العارضة والثاني كغيرها مثل الاجسام العنصرية ثم الجائز له الانتقال في الجوهر والصورة
اما ان يتمادى له ذلك على سبيل الصعوبة والعسر او على سبيل السهولة واليسر فالاول كالجبال
والمعادن مثل الذهب والفضة واليواقيت وغيرها والثانى كالانسان والحيوان
والنبات وهو ايضا اما ان يقف بحركته واستكماله عند حد لا يتعداه الى الغاية القصوى
البتة او لا يقف عنده بل يجوز له البلوغ الى النهاية التي لا غاية وراءها فالاول كالانسان
والثاني كالنبات والحيوان ثم الانسان الذي في حقيقة هذا البلوغ اما ان يبلغ بالفعل
الى النهاية او يمنعه مانع فالاول هو خليفة الله في العالم والثاني اما من اهل السلامة

العلم

ان لم يكن الغالب فيه صورة هذه النشأة يجب كونه من اهل الشقاوة ان كان الغالب عليه
صورتها فاذا تقرر هذا فنقول ان انتقال صورة الانسان من حدود جمادية
الى مرتبة النبات والحيوان فلوهن صورة النطفة وقوة استعداده للنمو وقبول
الحيوانية واما تجاوزه عن حدودهما فلضعف النباتية والحيوانية فيه مع اعتدال
المزاج كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا واما تجاوزه عن حدود الافلاك والاملاك
فلان كلا منهما كانت مبدعة في اول نشأتها على غاية كمالها النوعي الذي لا اتم منه بحسب
النوع فكل واحد من اشخاص كل من القبيلتين لا يمكنه لتمامية ذاته وتمامية صورته
وفعلية جوهره وعدم ورود ضده عليه اصلا المزايلة عن نشأته وحالته الى نشأة ثانية
اذ ليس حصول كل واحد منها بحسب الجهات الانفعالية القابلية بل الكمال منها فايضة
عن الحق بواسطة جهات وجوبية فاعلية ولهذا انحصر نوع كل منها في شخص يكون
المشخص فيه لازما للنوع وانما الحاجة في احد القسمين اى الافلاك الى المادة لاجل
بعض عوارضها الخارجة عن الجوهر البعيد عن ذات الشخص كالنسب الوضعية وهي اسهل
عرض وايسر غرض فمن كان وجوده على هذا النمط من الاحكام والوثاقة وارفع منه فلا يمكنه
الفناء والموت عن نشأته الا في نشأة الاخرة القيمة الكبرى ونفخ الصور المستوجب لفناء
الكل وذوبان الجميع عند ظهور سلطان الاحدية التامة وكبريائه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار واما
الانسان المخلوق للبلوغ الى النهاية فهو لا يزال في الضعف والانكسار والعجز والافتقار
مع حفظ الله اياه عن بطلانه وتبليغه اياه من طور الى طور فما دام الشيء في مقام العجز
والعجز يرد عليه الواردات الالهية والخلع النورانية وما دام في مقام الانانية والاستغناء
يمنعه عن المزيد ويقيمه على الحد او يفسد عليه حاله الى ادون ما كان عليه فجهل العجز
والضعف استعد هو من بين الاجسام الصلبة كالارض والجواهر القوية كالسبع الشداد
لحمل الامانة المشار اليه في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها الانسان انه كان ظلوما جهولا وتلك الامانة هي النور الالهي المشار اليه في قوله صلعم
ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور فقد اهتدى فكان عرض
ذلك النور المسمى بالامانة لانه من صفات الحق فلذا حملكم احد منا على المخلوقات واصابته
مختصا بالانسان الكامل المتحمل الامانة الالهية فبذلك النور صح له الخلافة الالهية
المختصة به من بين المخلوقات وذات الارواح فهذا هو الجواب الربانى المستفاد من شبهة
الملائكة من قوله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون اشارة الى ذلك النور المشار اليه ومن قوله وعلم آدم

الاسماء كلها اشارة الى المرور على كل العوالم وانتقاش بمظاهر الاسماء كلها اشارة الى مروره على كل
العوالم وانتقاشه بمظاهر الاسماء ومن قوله انه كان ظلوما جهولا اشارة الى صفتي الغضب
والشهوة الموجبتين لبعض وقصور المستدعيين عند رقابة شرهما يعبون اللذان جعلهما
الملائكة سببا من اسباب حريانه عن التمكين والخلافة في قوله اتجعل فيها ويسفك الدماء
اي من من شانه هذان الامران بمقتضى تينك الصفتين وقد جعلهما الله من اسباب الانابة
اليه والرجوع الى دار الكرامة واعلم ان شبهة الملائكة عليهم السلام في باب خلافة
الانسان حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قريب المأخذ من شبهة الشيطان اللعين
في باب مسجوديته حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين الا انهم ذكروها استكشافا و
استعلاما وذكرها اللعين استكبارا وافتخارا واستبدادا بالرأي والقياس في مقابلة النص و
بالجملة فضيلة الانسان على الملائكة والجان ليس من جهة الصورة كما تصورت الملائكة ولا من جهة
المادة كما توهمه الشيطان بل من جهة الغاية والعاقبة كما اشير اليه بقوله يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقرئ ويسفك
بضم الفاء ويسفك ويسفّك من باب الافعال والتفعيل وفي البيضاوي السفك والسبك والسفح
والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب
من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول
فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا اي يسفك الدماء فيهم فصل قوله ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال صاحب الكشاف التسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح
في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك ومتلبسين
بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك انتهى وقيل نذكرك بما
اي بحمدك ما الهمتنا والتسبيح الى انفسهم ونقدس لك اي نطهر نفوسنا لاجلك كانهم قابلوا
الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة
بتطهير النفس عن الاثام وقيل اللام زائدة اي نقدسك ذكر بعضهم ان هذه الجملة المعترضة
لمضمون وجه الاشكال والمعنى المستخلف من شانه صدور دواعي الشهوة والغضب منه
ونحن معصومون من هذه الامور احقاء بذلك كقولك اتحسن الى اعدائك واخلاؤك اولى بذلك
وقد مر ان مقصودهم الاستخبار والاستعلام فانهم لما علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى
عليها مدار امره ودوام عمره الشهوية والغضبية وهما يؤديان الى الفساد وسفك
الدماء والعقلية وهي تدعو الى المعرفة والطاعة فنظروا الى احاد هذه القوى مفردة مفصلة

لاعلى

لا على النظم الوحداني قالوا ما الحكمة في استخلاف من يفسد من تينك القوتين وهما لا تقتضي
الحكمة ايجاد من يصحبهما فكيف استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت
مهذبة مطاوعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى ورعاية الانصاف
ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه
اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون ان قلت منشأ خلافة الانسان اما من جهة القرب
والشرف او من جهة الكمال والمناسبة وان كان مرجع هذين الى امر واحد فان الاقرب الى الله
وجودا يكون اكثر كمالا واشد مناسبة له من غيره لان المشهور انهما متغايران حيثية واعتبارا
فنقول ان كان منشأها القرب فالوجه في تقريره الاشكال وتقرير الجواب كما سبق وذلك
بناء على اراء الحكماء واصولهم وان كان منشأها المناسبة والطاعة وعدم المعصية فالوجه
كما ذكره هذا القائل اشكالا وجوابا وهذا بناء على اصول الصوفية واغراضهم فان مناط الخلافة
الالهية عند هؤلاء باجتماع الكمالات والاتصاف بجميع اصناف صفات الملائكة والجان
والحيوان وعند الحكماء بالبراءة عن الشرور والاتصاف بها من جهة العلم والعرفان وهذا لان
الحقيقة الواجبة عند الحكماء منزهة عن صفات التشبيه كالسمع و
والبصر والكلام وغيرها وعند هؤلاء متصفة بها ايضا على وجه يليق بذاته فكذا الحكم
من يقرب عنده ويتوسط بينه وبين الخلائق فالملائكة عندهم يعرفون الحق الا بما يغلب عليهم
من صفات التسبيح والتقديس فتسبيحهم في مقام العبودية سبوح قدوس رب الملائكة والروح
والانبياء صلوات الله عليهم يعرفون الحق بما يظهر لهم من صفات التحميد والتشبيه جميعا
فذكرهم واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ومعرفة الحكماء بحسب مقام العقل الله يشبه
معرفة الملائكة المجردين ومعرفة اكابر الصوفية لترقيهم في مقام التابعية والاقتباس من نور النبوة
تشبه معرفة الانبياء الكاملين سلام الله عليهم اجمعين كل بحسب ما هو نصيبهم من شهود التجلي
الالهي والفيض الوجودي قال الشيخ العربي اذا تجلى الحق تعالى في صورة مثالية او حسية تردد
العقول المحجوبة بواسطة انها دائمة منزهة للحق ببراهين عقلية يواظب عليها اذ المواظبة
والمثابرة على الشيء يوجب انكار ما وراءه والعقل وان كان ينزه الحق عن التشبيه فهو يشبهه في عين
التنزيه بالمجردات وهو لا يشعر والحق تعالى منزه عن التشبيه والتنزيه جميعا بحسب ذاته وهو
موصوف بهما في مراتب اسمائه وصفاته وقال ايضا واعلم ان الرد والانكار انما يقع في التجليات الالهية

لان الحق تارة يتجلى بالصفات السلبية فيقبله العقول لانها منزهة مسبحة عما فيه شائبة التشبيه
والنقصان ويكذبه كل من هو مجرد كالوهم والنفس المنطبعة وقواها لان من شأنهم ادراك
الحق في التشبيه والصور الحسية وتارة يتجلى بالصفات الثبوتية فيقبله القلوب والنفوس
المجردة لانها شبيهة من حيث تعلقها بالاجسام ومنزهة باعتبار تجردها ويكذبه العقول
المجردة لعدم اعطاء شأنها اياها بل ينكر تلك الصفات بعض بالاهها له وفي هذا التجلي قد يتجلى
بصور كمالية كالسمع والبصر والادراك وغيرها وقد يتجلى بصور الاكوان كالمرض والاحتياج
والفقر كما اخبر الحق عن نفسه بقوله مرضت فما عدتني واستطعمت فلم تطعمني وقوله من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه وامثال ذلك فتقبله العارفون بظاهر الحق وينكره المؤمنون
المحجوبون لاعتقادهم ان الحق ما يتنزل عن مقام الكمال فيقبل كل منهم ما يليق بحاله ويناسبه
من التجليات الالهية وانكر ما لم يكن بطبيعة شأنه والانسان الكامل هو الذي يقبل الحق في
جميع تجلياته ويقبله فيها ولما كانت العقول الضعيفة عاجزة عن ادراك التجليات الالهية
في كل موطن ومقام والنفوس الابية طاغية غير معظمة لشعائر الله اوجب اسناد الصور
الكمالية اليه تعالى وربما يوجب النقصان عنه مع انه هو المتجلي في كل شيء والمتعالي عن كل
شيء انتهى فقد ظهر ان كل واحد من الممكنات يعرفون معبودهم بما غلب على نشأته فالملائكة
لكونهم مجردون عن صفات الاجسام يصفون الحق بصفات التسبيح والتقديس ولهذا ذكر مجاهد
في تفسير قوله ونقدس لك اي نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء مرضاتك وبعض الناس
كالظاهريين يصفونه بصفات التشبيه كالاستواء والمجيء والنزول والغضب وغيرها
وكذا القياس في غيرهم كل يصفه بما هو مقامه في الشهود فاهل الحواس بالمحسوسية واهل الخيال
بالموهومية واهل العقل بالمعقولية والكل مصيب من وجه ومخطئ من وجه والله تعالى
وهو اعرف بذاته من اسمائه وقد وصف بالصفات المتضادة والاسماء المتقابلة فعلم
ان الكل عاجزون عن ادراك جمال الصفات قاصرون عن معرفة كمال الذات الا من علمه ربه
بتعليم الاسماء وهداه الى معرفته بفضله وكرمه في مقام الفناء عما سواه قوله جل اسمه
وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم
صادقين وفيه [illegible] وعلم آدم على انباء المعقول العلامات الحالة لما سألوا الله عن وجه
الحكمة في جعل الانسان خليفة في الارض دونهم واجاب بوجه اجمالي اراد ان يريهم بيانا
وكشفا اخبر عن وجه الحكمة في ذلك تفصيلا لما تبين لهم جهة فضيلة الانسان عليهم وذلك
بان علمه معرفة الاسماء اما بخلق علم ضروري او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح

ولا

ولا تسلسل هذا اذا كان المراد من الاسم ما غلب عليه العرف العام الظاهري من اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا وسواء كان المركب خبرا او انشاء والمفرد مخبرا عنه
او به او رابطة بينهما او الاصطلاح النحوي من المفرد الدال على معنى في نفسه غير
مقترن باحد الازمنة الثلاثة واما اذا كان المراد منه باعتبار اشتقاقه من السمة
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن سواء كان الفاظا او صفاتا او افعالا
كما هو عند العرفاء فليس منحصرا في اللفظ فيدخل بل يشمله وغيره والظاهر ان المراد
من تعليم الاسماء ليس مجرد تعليم الالفاظ الموضوعة بحسب دلالتها على المعاني كما في التعريفات
اللفظية بل افادة العلم بحقائق الاشياء ومهياتها وان كان لا يخلو ايضا مثل هذا التعليم عن الدلالة
بوجه من الوجوه وذلك لان معرفتها من جهة اللغات ليست كما لا يعتد به امام الكمال
الاتم في الحكمة والمعرفة فالمعنى انه تعالى خلق آدم من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا
لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات [illegible] على
المنشآت الدنيوية والاخروية والهمه معرفة ذوات الاشياء وحقايقها الكلية و
الجزئية وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية اتخاذ
الآلات حتى صار في نفسه عالما تاما متفردا منفصلا عن العقول بكمالها ذا هيئة جمعية
ونظام وحداني مضاهيا للعوالم الثلاثة وآدم على وزن افعل اسم عجمي كآزر وشالخ و
اشتقاقه من الادمة بمعنى السمرة او بمعنى الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض
لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها فلذلك يأتي بنوه
اخيافا ولو كان وزنه فاعلا لانصرف وليس مشتقا من الادم والادمة بمعنى الالفة كاشتقاق
ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس اشارة عرفانية
قوم في المفاتيح الغيبية ان ذاته تعالى باعتبار صفة من الصفات او تجل من التجليات تسمى اسما
عند العرفاء وهذه الاسماء الملفوظة هي اسماء الاسماء وهي بهذه معقولة في غيب الوجود
الحق [illegible] شؤونه وتجلياته وليست بموجودات عينية وقد يطلق الاسماء عندهم على
الموجودات العينية باعتبار كونها مظاهر تلك الاسماء التي هي معان غيبية وذلك لاتحادهما
في المفهوم وان اختلفا في الوجوب والامكان مثلا العلم حقيقة ذاتية هي كونه عينا [illegible]
الحق الاول وحقيقة اسمائية هي معنى عقلي انتزاعي من شؤون الحق وتجلياته وحقيقة
هي ذوات العقلاء فكل واحد من العقول المجردة عندهم اسم عليم من مراتب اسم الله العليم وهكذا

في جميع الاسماء فعلى هذا حقايق الكل من اسماء الله تعالى فتعليمه تعالى اسماء الاشياء لآدم
اراءة الاجناس التي خلقها والهامه اياه معرفة احوالها وما يتعلق بها من المنافع والآثار
فصل قوله ثم عرضهم على الملائكة وفي مصحف عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها وفي الكشاف اي عرض المسميات
وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم انتهى وقيل الضمير للمسميات المدلول عليها
ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه
اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض
نفس الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ
وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء اقول قد علمت مما سبق من مسلك العرفاء الاستغناء عن
مثل هذه التكلفات وفي نفس الاسم كلا وحاجة الى ما ذكروه وانما الجمع فليس من باب التغليب
والمجاز بل على الحقيقة بيان ذلك ان لكل حقيقة نوعية كالانسان والفرس والغنم والبقر
والرطب والحنطة والشعير والياقوت والنحل والفيروزج والماء والهواء جوهرا عقليا
نوريا عاقلا ومعقولا لذاته موجودا في العالم الاعلى الالهي حاضرا في علم الله والحضرة الالهية
فهذه العقول المفارقة والصور المجردة الالهية هي بالحقيقة اسماء الله او اسماء اسمائه
وهي موجودة ازلا وابدا لان ما عند الله باق لا يزال وليست من جملة العالم ليتصف بالحدوث
والتجدد والزوال والنفود والبرهان على وجودها مذكور في كتبنا العقلية وتقريره ان الباري
جل ذكره كما اثرنا على كل ما يوجد بوسط او بغير وسط هو الغاية لكل شيء بوسط او بغير وسط لانه
خير محض لا شرية فيه فكل ما هو خير محض يطلبه كل شيء طبعا وارادة وهذا مركوز في جميع الجبلات
والغرايز فكل موجود سافل اذا تصور الوجود العالي فلا محالة يطلبه ويشتاقه طبعا
جبليا او اختياريا او اضطراريا وهذا الطلب والشوق لو لم يكن له غاية حقيقية لكان
ارتكازه في الجبلة عبثا معطلا ولا معطل في الوجود والله بريء عن فعل العبث فلكل
سافل امكان الوصول الى العالي وهذا الامكان اما ذاتي او استعدادي ففي الابداعيات
اذا وجد الامكان الذاتي حصل المقصود لعدم المانع والقاسر وفي المكونات اذا حصل
الاستعداد وزال المانع فكل للشيء المانع الغير الزايل لا يكون الا بسبب الامر الاتفاقي النادر اللاحق
الخارج عن الطبيعة النوعية للشيء او عن لوازمها الذاتية فيكون امرا عارضا اتفاقيا والامر
الاتفاقي والقسري لا يدوم كما ثبت في موضعه وكلامنا فيما يقتضيه طبيعة كل نوع بحسب
ذاته وقد ثبت ان ذلك اما لازم الوقوع او اكثري الوقوع فالطبايع الكلية من حيث ذواتها

واصلة

واصلة الى كمالاتها وكذا كل طبيعة جزئية في حركاتها وتشوقاتها الى ما هو اعلى منها
ثم الغاية في طبيعة جزئية ان كانت طبيعة جزئية اخرى فلا بد بالاخرة ان يصل الى طبيعة
عقلية والا لتسلسل الامر الى غير نهاية والغاية في طبيعة عقلية فوقها ولا بد في الكل
ان يكون موصلة الى غاية الغايات ومنتهى الحركات وهو الباري جلت اسماؤه [illegible]
فاذا تقرر هذا فنقول ان لكل طبيعة جسمية سواء كانت فلكية او عنصرية طبيعة اخرى
عقلية في العالم الالهي هي كمالها وغايتها وتأكد وجودها وهي الصور المفارقة الالهية
منها لانها صورها في علم الله وحقايق ما عند الله الباقية ببقاء الله وكانها هي التي سماها
افلاطون وشيعته بالمثل الالهية وهي حقايق هذه الاصنام ونسبتها الى هذه الصور الجسمانيات
نسبة الاصل الى المثال والشخص الى الظل وانما هي اصول هذه الاشباح الكائنة المتجددة
لانها حقيقتها وفاعلها وغايتها وصورها العقلية المعقولة بالفعل لبارئها دائما وانما
هذه هي ناقصة غير خالية من القوة والامكان سائلة زايلة بحسب وجودها الكوني
لكنها في وجودها الكوني التجددي سالكة متشوقة اليها عائدة محشورة الى ذلك العالم
اما تلك العقليات والمثل النوريات والعلوم الالهيات فهي ابد المحفوظة على غاياتها
ملاحظة لجانب بارئها ومبدعها لم يرجع الى ذواتها طرفة عين اذ لا ذات لها منفكة عن
ذات مبدعها اذ لا امكان هناك الا جلبهم الاول لا فرق بينهم وبين حبيبهم كما ورد في الخبر
ولا حجاب لهم في الانانية والغيرية واما ابليس وجنوده فليسوا منهم ولا من حزبهم والا لما دفع
من هؤلاء الاباء والانانية فاذا انكشف هذا فقد وضح وتبين سر قوله تعالى ثم عرضهم
على الملائكة بضمير جمع ذوي العقول فان هذه الصور المفارقة كما ثبت اسماء الالهية وعقلاء
ربانية ووجودهم وجود الملائكة المقربين ولا انسان الكامل الذي هو مظهر الاسماء كلها
ان يتصل بعد سلوكه الى الله بقدم العبودية بلا انانية وعبوره على المراتب والمنازل
الالهية والتمام ويرى ان يطلع على تلك الحقايق ويتخلق باخلاق الخلاق وذلك هو
الفوز العظيم والمن الجسيم واما غير الانسان الكامل سواء كان ملكا او انسانا ناقصا او حيوانا
او شيطانا فليس له الاتمام والكل ولا عبودية له الا لاسم واحد ومربوبيته خاصة
لا يتعدى الا انه ابدا تحت تربية ذلك الاسم الواحد فصل قوله فقال انبئوني باسماء
هؤلاء اي فنبههم على قصورهم عن معرفة اسماء الموجودات اي حقائقها الا حقيقة
التي هي علامة وجهة عند اهل الحقيقة او اسماء الحق اي مظاهرها ومربوباتها
والمراد بذلك تبكيتهم واظهار العجز عنهم عن امر الخلافة والنيابة الالهية وبيان

لكونه عينا ولولا لكان مؤثرا في غيره وهم كذلك ولولا امر التكليف ولولا لكان من باب التكليف
بالمحال ولولا اخبار رضا الله ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما والمراد هاهنا كونه بحيث
يوجد فيكم حقائق الاسماء وملكوت الاشياء كما في الانسان الكامل بحيث تحل في الافراد
فيرد ويرد على كل العوالم والنشأة ويظهر سلطنة جميع الاسماء وان كنتم صادقين في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة وان استخلاف الانسان لا يليق بالحكمة وهو صحيح بظاهر قوله الصفتين
افساد القوة الشهوية وسفك القوة الغضبية وهذا الزعم وان لم يصرحوا به
لكنه لازم والتعليق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار لازمه
مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشائيات اشارة نورية فيه قوله
فلما مر ذكره من ان الاسماء الالهية اصل حقائق الممكنات وفي عالم الاسماء الالهية
اصل هذا العالم بجميع ما فيه من الصور الكونية السماوية والارضية وان هذه الصور
الكونية كعكوس واظلال لحقائق الحق حتى ان العرفاء الشامخين والاولياء الكمل
يقولون بواطنهم عالم الاسماء وترتيبها وتقدم بعضها على بعض وتسلط عليه وتأخر بعضها
عن بعض وانقهارها له ترتيبا سببيا وكثرة جمعية لا تقدح في وحدة الذات فاوردت
كشفا وايضا لما قد سبق ذكره فاسمع مقوة حاصله ان الاسماء وحمل المثل له ولا يتوهم
الكثرة في ذات الله ثم ولا نشرة القدماء ولا الاجماع الوجودي في عالم العقل هو لكان
كالذات الواحدية واحدة بالحقيقة كثيرة بالاسماء قال لسان المحقق في كشف
هذا المقصد العميق ان الممكنات في حال عدمها الامكاني سالت الاسماء الالهية سؤال
ذلة وافتقار وقالت لها ان العدم قد اعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة
ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم اظهرتم اعياننا وكسوتمونا حلة الوجود انعمتم
علينا بذلك وقمنا بما ينبغي لكم من الاجلال والتعظيم وانتم ايضا كانت السلطنة تصح
لكم بظهورنا بالفعل وانتم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية فهذا الذي نطلبه هو في
حقكم اكثر منه في حقنا فقالت الاسماء ان هذا الذي ذكرته الممكنات صحيح فتحركت بجمعه
المسمى ونظرت في حقائقها ومعانيها فطلبت ظهور احكامها حتى يتميز اعيانها باثارها
فان الخالق والمقدر والعالم والمصور والمدبر والمفصل والباري والرزاق والمحيي
والمميت وجميع الاسماء الالهية نظرت في ذواتهم ولم يروا مخلوقا ولا مقدرا ولا معلوما
ولا مصورا ولا مدبرا ولا مفصلا ولا مرزوقا فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان
التي تظهر احكامنا فيها فيظهر سلطاننا فلجأت الاسماء الالهية التي يطلبها بعض حقائق

العالم

العالم بعد ظهور عينه الى الاسم الباري فقالوا له عسى توجد لنا هذه الاحكام ليظهر حكمنا منا
اذ الحضرة التي نحن فيها لا يقبل تأثيرنا فقال الباري ذلك راجع الى الاسم القادر فانا
تحت حيطته فالتجأوا الى القادر فقال انا تحت حيطة المريد فلا اوجد عينا منكم الا
باختصاصه ولا يمكنني الممكن من نفسه الا ان يأتيه امر الآمر من ربه فاذا امره
بالتكوين وقال له كن يمكنني من نفسه وتعلقت بايجاده فكونته من حينه فالجأوا
الى الاسم المريد عسى انه يرجح ويخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ نجتمع انا والآمر
والمتكلم ونوجدكم فالتجأوا الى الاسم المريد فقالوا له ان الاسم القادر سألناه في ايجاد
اعياننا واوقف امر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي
خبر ما حكم الاسم العالم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فنخصص او لم يسبق فانا تحت حيطة
الاسم العالم فسيروا اليه واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا له ذلك فقال
العالم قد سبق علمي بايجادكم ولكن الادب اولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي
الاسم الله فلا بد من حضورنا عنده فانها حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة
الاسم الله تعالى فقال ما بالكم فذكروا له الخبر فقال انا اسم جامع لحقائقكم واني دليل
على مسمى هو ذات مقدسة بنعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى ادخل على مدلولي فقال
له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء
يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني الواحد لنفسي والممكنات انما تطلب
مرتبتي والاسماء الالهية كلها للمرتبة لا لي الا الواحد خاصة وهو اسم خصيص لا يشاركني
في حقيقته من كل وجه احد لا من الاسماء ولا من المراتب ولا من الممكنات فخرج الاسم
الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره فتعلق العالم
والمريد والقادر فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت
الاعيان والاثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما يستند
اليه من الاسماء فادى الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف علينا ان يفسد علينا نظامنا
ونلحق بالعدم الذي كنا اولا فيه فنبهت الممكنات الاسماء بما القى اليها الاسم العليم والمدبر
وقالوا انتم ايها الاسماء لو كان حكمكم على ميزان وحد مرسوم بامام ترجعون اليه
يحفظ علينا وجودنا ويحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان اصلح لنا ولكم فالجأوا
الى الله عسى ان يقدم من يحد لكم حدا تقفون عنده والا هلكنا وتعطلتم فقالوا هذا
عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر ينهي امركم فانتهوا الى المدبر

الامر فقال انا الهنا فدخل وخرج بامر الحق الى الاسم الرب فقال الهي افعل ما تقتضيه المصلحة
في بقاء اعيان هذه الممكنات فاتخذ وزيرين يعينانه على امره الوزير الواحد
الاسم المدبر والاخر الاسم المفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم
توقنون الذي هو الامام فانظر ما احكم كلام الله تعالى حيث جاء بلفظ مطابق للحال
الذي ينبغي ان يكون الامر عليه فجاء الاسم الرب فرتب لهم الحدود ووضع لهم المراسم
لاصلاح المملكة وليبلوهم ايهم احسن عملا فجعل الله ذلك قسمين قسم يسمى سياسة حكمية
القاها في فطر نفوس الاكابر من الناس بحسب ما ركز في عقولهم واراؤهم فحدوا حدودا
ووضعوا نواميس بحسب ما يقتضيه صالح كل اقليم وكل زمان وانحفظت بذلك اموال
الناس ودماؤهم واهلوهم وارحامهم وانسابهم وسموها نواميس وقسم يسمى شريعة
الهية يجئ بها الوحي الالهي الى من اصطفاه الله وارتضاه لامر خلقه فلم يكن قبل هذا الكون
يعلم احد بان فرض على عباده امورا مقربة الى الله يورث جنة وحريرا واخرى مبعدة منه
يورث نارا وزمهريرا ولا علموا ان لهم دارا تسمى اخرة وبعثا محسوسا بعد الموت في اجساد
طبيعية ودارا فيها اكل وشرب ولباس ونكاح ودارا فيها عذاب والام فبعث الله رسولا
بعد رسول لم يخل الارض من خليفة هو مظهر الاسم الله اذ به ينتظم امور الخلق بما له
من الجمعية الالهية والعدالة الحقيقية التي ترجع بها الى كل الخلائق في حوائجهم وانتظام
امورهم ومعايشهم كما في اسم الله من المقام الجمعي الالهي الذي يرجع اليه الاسماء كلها فهذا
سر الخلافة وتعليم الاسماء في الانسان الكامل وعلم استحقاق غيره لها مثال ذلك
في العالم الصغير الانساني اولا ترى ان قوة من القوى اذا تفردت بتحكم في حكمها تحكم
بنفسها عن غيرها لا ترى افضل من ذاتها كالملائكة التي نازعت في ادم كالعقل
والوهم والخيال وتصرفات كل منها يدعي السلطنة على هذا العالم الصغير الانساني ولا
ينقاد لغيره اذ العقل يدعي انه محيط بالكليات مدرك لجميع الحقائق والماهيات على ما هي عليه
بحسب القوة النظرية وليس كذلك ولهذا احتجب ارباب العقل عن الحق وصفاته ومن
العلماء وحشر الاجساد لتقليدهم عقولهم وغاية عرفانهم العلم الاجمالي بان لهم موجدا
ربا منزها عن الصفات الكونية ولا يعلمون من الحقايق الا لوازمها وخواصها وارباب التحقيق
واهل الطريق علموا ذلك بحجاب وشاهدوا التجليات وظهور اثره مفصلا فاهتدوا بنورهم وسروا
في الحقايق بسريان تجليه فيها وكشفوا اعيانها وخواصها ولوازمها كشفا ايمانيا لا يحتمل شبهة و
علموا الحقائق علما لا يتطرق اليه ريبة فهم عباد الرحمن الذين يمشون في ارض الحقائق هونا

وارباب

وارباب النظر عبيد عقولهم لا يقبلون الا ما اعطته عقولهم وكذا الوهم يدعي السلطنة ويكون العقل
خارج عن طور ادراكه للمعاني الجزئية دون الكلية وكذا غيرها من المدارك الجزئية وكذا القوى التحريكية كالشهوة
والغضب عند هيجانها واقتضائها وانما القلب المنور بنور المحبة والعشق فهو الذي يعرف بحقيقته كل شي
بامر ربها لا يرى فيها عوجا ولا امتا وذلك لكونه حقيقة متصفة بجميع الكمال لاجتماع حقايقها المحوية
قبل وجوده حتى كان يمر عنه بترك لا تزال عليها فيتصف بجناياتها [illegible] ومن المواد الروحانية ثم
والعنصريات الى ان يظهر في صورة النوعية الحسية النازلة عليه من الحضرات الاسمائية ما لا بد ان تمر على
الوسايط ايضا الى ان يصل اليه ويكمله وذلك المرور لتهيئه واستعداده باطوار الكمالات لكمالات التي بانتهاء
ولاجتماع ما فصل من المقام الجمعي الالهي من الحقايق والخصايص التفصيلية الواضحة في مقام التفرقة الكونية و
والاطلاع على ما اريد ان يكون خليفة عليه ولهذا لا يجعل خليفة الا عند انتهاء السفر الثالث ولولا
المرور لما امكن العروج للكمال اذ الخاتمة مضاهية للسابقة ويتم الحكم المعنوية وما قال الحق علم الاولياء
والانبياء عليهم السلم تذكري لا تفكري وقوله ص الحكمة ضالة المؤمن اشارة الى هذا المعنى لا الى انه وجلت
العنصر مرة اخرى ثم عرض له النبات بواسطة النقل بنطفة اخرى ومرور الزمان عليه الى ان تذكر كما على
راي التناسخية فهو مسخ الصحة بالبرهان العرشي فصل هذه الابواد الدلائل على فضيلة العلم و
شانه وحاملة فانزل ما انزل كل حكمته في خلقة ادم وجعله خليفة في الارض اولا وسجود الملائكة ثانيا
الايات اظهر عليه بالاسماء فلو كان شي اشرف من العلم لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشي الا بالعلم فانه
اشرف الا على فضيلة العلم لا لمن العقل والكتاب والسنة اما العقل فاعلم ان العلم عبارة عن صورة الشي المجردة
عن مادته وكل صورة مجردة عن المواد فهي موجودة بوجود عقلي وكل موجود عقلي فهو اما معقول لذاته
فيكون عاقلا ومعقولا لذاته فلا يحجبه شر وآفة وعدم ونقص الا انه الشرور والآفات والاعدام من لوازم
المواد والاجسام والجسمانيات فيكون كمالا لذاته وسعادة لنفسه لا يوجد مثل تلك السعادة [illegible]
صورة مجردة عن المادة وعلائقها واما ان يكون معقولا لغيره بان يكون وجوده العقلي حاصلا لذلك
ذلك الغير من الموجودات المجردة عن المواد لا محالة ان يكون الصورة المجردة حاصلة لما ليس بمجرد اذ كل
مادة يصحب مقدارا خاصا ووضعا خاصا وشكلا خاصا وهيات جسمانية مانعة عن احتمال كونها معقولا كليا
على كثيرين وقد علمت ان كل مجرد عن المواد وعالم الاضداد فهو محل غاية السعادة الممكنة في حضرة واجب
ان السعادة على ضربين بدنية وعقلية والبدنية ما يدرك بالمشاعر الجسمانية كالسمع للمسموعات والبصر
للمبصرات والذوق للمذوقات والخيال للمتخيلات والعقلية ما يدرك بالقوة العاقلة كادراك العقل للذات
كذات المبادي وصفاته واسمائه وملائكته العلوية والحكماء الالهيون والاولياء الربانيون رغبتهم في اصابة
هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة اللذات والخيرات البدنية الدنيوية او الاخروية بل كانهم لا يلتفتون الى

وان اعطوها على وجه الدوام و لا ... اركا في الاخرة ولا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي
الصور العقلية المفارقة الذوات عن المحسوسات وما يليها وبيان ذلك بالتفصيل انه يجب ان يعلم ان لكل
نوع من قوى النفس الانسانية لذة وخيرا يخصها واذى وشرا يخصها مثال ذلك ان لذة الشهوة وخيرها ان تتادى
اليها كيفية محسوسة ملائمة من المدركات الخمسة المشهورة ولذة الغضب الظفر والانتقام ولذة الوهم الرجا
ولذة الحافظة تذكر الامور الموافقة الماضية واذى كل واحد منها ما يضاده ويشترك كلها نوعا
من الشركة في ان الشعور بموافقها وملائمها هو الخير واللذة الخاصة بها وموافق كل منها هو وجود
الكمال الذي هو بالقياس اليه كمال بالفعل والانسان جامع لجميع هذه القوى والغرائز فلكل قوة وغريزة
منه لذة والم بازائها وانهما في نيلها بمقتضى طبعها الذي خلقت له وهي سعادتها فان هذه الغرائز ما ركبت
في الانسان عبثا ولا هملا ثم ان هذه القوى وان اشتركت في هذه المعاني الا ان مراتبها في الحقيقة مختلفة
ودرجاتها متفاوتة فالذي كماله افضل واتم والذي كماله اكثر وادوم والذي كماله اوصل واحصل اليه والذي
هو في نفسه اكمل فضيلة وافضل والذي هو في نفسه اشد ادراكا فاللذة والسعادة اللتان له الخ
اشد واوفر واكمل فاذا تقرر هذا فنقول وكذلك للانسان غريزة تسمى بالنور الالهي في قوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ويسمى بالقوة العاقلة والبصيرة الباطنة وهي تدرك
المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك حدوث العالم وافتقاره الى مدبر حكيم موصوف
بصفات الالهية فاعل للحقائق الانسانية وخالق لاصول حقائق الاشياء وكمالها الخاص بها
الذي به سعادتها الاصلية التي هي فوق سعادة قواها وغرائزها الحسية والخيالية والوهمية هو ان
يصير في ذاتها عالما عقليا موجودا فيه صور الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض في الكل
مبتدئا من مبدا الكل وسالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم النفسانية المتعلقة
ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كله فينقلب عبدا
مطيعا لله متوجها اليه مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق المطلق متحدا به
ومنتقشة بمثاله وهيئته ومنخرطة في سلكه وصائرة اليه ولذلك فليعمل العاملون وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون ويفتخر المفتخرون ويباهي المباهون لانه اذا قيس هذا بالكمالات المعشوقة
التي للقوى الاخرى وجدت في طبقتها من الاختصاص وجدها بالمرتبة التي يقبح معها ان يقال انه افضل
واتم منها بل لا نسبة لها اليه بوجه من الوجوه كما وفضيلة وكثرة وسائر ما يتم به الادراك والملاذ
واسعادها اما الدوام فكيف يقاس دوام الابدي بدوام المتغير الفاسد واما شدة الوصول فكيف يكون
حال ما وصوله بملاقاة السطوح بالقياس الى ما هو سار في جوهر قابله حتى يكون كانه هو هو بلا انفصال اذ العقل
والعاقل والمعقول شيء واحد او قريب من الواحد وهذا التحقيق اقرب الى الحق مما عليه الجمهور واما ان المدرك في نفسه اكمل

فالامر

فالامر لا يخفى واما انه اشد ادراكا فامر ايضا تعرفه بادنى تذكر منك لما مضى فانه فان البصيرة الانسانية
اكثر عدد مدركات واشد استقصاء للمدرك واشد تجريدا له عن الزوائد الغير الداخلة في معناه الا
بالعرض ولها الخوض في باطن المدرك وظاهره ويستوفيه بل كيف يقاس هذا الادراك العقلي بذلك الادراك
الحسي او يقاس هذه السعادة العقلية بتلك اللذة الحسية والبهيمية والغضبية بل لا يخفى ان في العلم
والمعرفة لذة لا يكافيها لذة ونحن في عالمنا وبين ناهيتنا ولا تمادينا في بعض الرذائل لا نحس بتلك اللذة
ولا نحن اليها لكنا لو خلعنا ربقة الشهوة والغضب واخواتهما عن اعناقنا ونفضنا اثارها عن ابداننا
وطالعنا شيئا من تلك اللذة فربما تخيلنا خيالا لطيفا ضعيفا وخصوصا عند انحلال المشكلات
وازالة الشبهات واستيضاح المطلوبات النفيسة من تلك السعادة التي كلها مشاهد ومع ذلك نجد منها
لذة نستحقر بها ساير اللذات ومما يوضح ان اللذات العقلية والكمالات العلمية اعظم واقوى ان كل قوة
باطنة فعقلية بطوعها الاتم لا واقوى بهجة من كل قوة ظاهرة حتى ان العالم المنطبع على حسبه لا يطيق
السكوت عن التعليم ويتطلب لما يتذكر ما يعلمه وانت تعلم انك اذا تاملت عويصا يهمك وعرضت
عليك شهوة وخيرت بين الظفرين استخففت بالشهوة ان كنت عالي النفس كريم الهمة والانفس العامة
ايضا فانها تترك الشهوات المعترضة وتؤثر الغرامات والالام الفادحة بسبب افتضاح او خجل او تعيير
كالذي يؤثر الرجل بين لذة الهريسة والدجاج المسمنة واللوزنيج وبين لذة الرياسة والحكومة وقهر الاعداء
ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة
وان كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة
نعم انما يفضل الذي لم يكمل معانيه الباطنة كالصبي او الذي ماتت قواه الباطنة كالمجنون والمعتوه ولا يبعد
ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة والكرامة وبهذا يتبين ان العلم بالله وانما نوع من الكمال والسعادة
وتدبير من منتهى غرضه الى تخوم الارضين اقوى اللذات والسعادات واعلى الابتهاجات على من جاوز افضا
الفطرة والصبا وقصور الخليقة وان لذة مطالعة جمال الحضرة الالهية والنظر الى اسرار الامور الربانية
الذ من كل حكومة ورياسة ومن كل شهوة وانتقام ولا يمكن فهم هذه اللذة لغير الحكماء الراسخين وغاية
العبادة عندنا ان يقال كما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واعد لهم ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا ما لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا اي لذة الرياسة
هي فوق اللذات الحيوانية ولذة المعرفة الالهية فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر و
ينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه
رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه
مهما اخذت زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم لذة معرفة الله تعالى ومطالعة

وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة
للمتواردين عليها لا يضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها عرض السموات والارضين واذا خرج النظر
المحدودات والمقدورات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف الرباني في جنة عرضها
السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة
ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله لان محلها الروح الذي هو
امر رباني وسر سماوي وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها [illegible]
وسعادتها واما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الاية ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف
بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الاخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من ثواب
الشهادة وان الشهداء يتمنون ان يكونوا علماء لما يرون من علو درجة العلماء فاذا جميع اقطار ملكوت السموات والارض
ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يحرك اليها جسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت
في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون
في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله لا يدخل في الحصر تفاوت
درجاتهم ومقاماتهم وقد ظهر لك ان هذه اللذة اقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون
لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون
الرياسة [illegible] معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار مملكته اعظم لذة من الرياسة فيختص
بمعرفتها من [illegible] رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا
اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند المزكوم
لانه فاقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذات ومن سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين
اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة العلوم
الالهية وقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها
فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة
الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد
يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق وهذا القدر ينبهك
على ان معرفة الله الذ الاشياء واعظم السعادات لا سعادة فوقها وان لا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل
ونقصانه سيما اذا كان مشفوعا بالاستكبار والانكار تنبيهات عقلية واعلم ان كون العلم صفة شرف وكمال
وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم بالضرورة [illegible] على فضيلة العلماء اذا سئل الواحد منا عن مسئلة

قد علمنا

قد علمنا فقدر على الجواب الصحيح فيها فرح بذلك وابتهج وان جهلها نكس راسه حياء من ذلك وهذا امر فطري
على ان اللذات الحاصلة بالعلم اكمل اللذات والشقاء الحاصل بالجهل اعظم انواع الشقاء ولهذا لو قيل للرجل العالم
يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم كذب ذلك ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك مع علمه بكذب ذلك
فالعلم ايضا وجلالة صاحبه عظيما محترما حتى ان الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر
بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعلموا كانوا [illegible] بالطبع
على من دونهم بالعلم ويتكبرون [illegible] اذا وقع بعضهم [illegible]
[illegible] لو لم يكن فيه ايات بينة كانت [illegible] وما فضل
على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمرتبة النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا فرج [illegible] اقطار
الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع ثم ينظر في انقسام الممكن الى الجوهر
والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منهما الى انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي
[illegible] ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه
وجزئيه فيصير كالنسخة المرتبة التي فيها صور المعلومات بتفاصيلها او كالمصحف المشتمل على الكتاب
المبين الذي فيه ايات بينات من اسرار الملكوت وان الجوهر العاقل منا في عالم الارواح كالشمس
في عالم الاجسام لكونه كاملا ومكملا وواسطة بين الله وبين عباده توضيح برهاني لما ذكر
كلاما في بيان ان نسبة الجوهر العاقل من الانسان اذا خرج من القوة الى الفعل كانت نسبته الى اللطائف
العقلية والمفهومات الكلية في عالم الارواح كنسبة هذه الشمس المحسوسة الى الانوار العرضية والاضواء
الشمسية في عالم الاجسام فاعلم ان الانسان في اول نشاته يكون عقلا بالقوة ومعقولا بالقوة وان كان حيوانا
محسوسا بالفعل لكونه من المعاني الجسمانية واول المعاني الروحانية كبرزخ متوسط بين العالمين
دائم بين الدارين لارباب الفطنة فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فاول ما يحدث في قوة نفسه الحساسة
رسوم المحسوسات من القوى الحاسة التي هي دواضع ثم يجتمع المحسوسات المختلفة الاجناس المدركة بانواع
الحواس الخمس ويحدث عن المحسوسات الحاصلة في القوة الحاسة الوهمية رسوم المتخيلات في قوة نفسه
المتخيلة فيبقى هناك محفوظا بعد غيبتها عن مباشرة الحواس لتجردها عن المادة ضربا من التجرد فيتحكم فيها
بالجمع والتفريق والتركيب والتفصيل فيفرد بعضها عن بعض ويركب بعضها الى بعض فيحلل الاشخاص الى الانواع
والانواع الى الاجناس والاجناس الى اجناس الاجناس وكذا يستنتج بالتحليل فصولها القريبة والبعيدة
ثم يركب الاجناس بالفصول فيحصل الانواع وانواع الانواع كل ذلك بحسب هذه الجزئية الخيالية
ثم يتنبه بواسطة قوة النفس الناطقة العقليات والكليات فيرتسم في هذه القوة صور المعقولات

التي هي في جواهرها عقول بالفعل ومعقولات بالفعل وهي الاشياء البرية عن المادة ومنها صور المعقولات التي
هي ليست بجواهرها معقولة بالفعل مثل الحجارة والشجر والفرس وبالجملة ما هو جسم او صورة في جسم ذي مادة
والمادة نفسها وكل شيء قوامه بها فان هذه ليست عقولا بالفعل ولا معقولا بالفعل ولا القوة النفسانية
التي في الانسان في اول حاله عقل ولا معقول ولا عاقل بالفعل وانما يصير عاقلا بالفعل اذا حصلت فيها
المعقولات فهي محتاجة كالمعقولات بالقوة الى شيء ينقلها من حد القوة الى ان يصيرها الى الفعل والفاعل
يجعلها بالفعل هو جوهر عقلي بالفعل لا يحتاج الى شيء آخر يصيرها بالفعل ولا العاد...
فنزلت العقل يعطي العقل الهيولاني الذي هو بالقوة عقل شيئا ما بمنزلة الضوء الذي يعطيه الشمس البصر لان
منزلته من العقل الهيولاني منزلة الشمس من البصر لان البصر هو قوة وهيئة ما في مادة وهو من قبل ان يبصر مبصرة
مرئية بالقوة وليس في جوهرها كفاية في ان يصير مبصرة بالفعل فاذا اعطت الشمس اياها ضوءا تقبله واعطت
الالوان ضوءا تقبله بها فيصير البصر بالضوء الذي استفاده من الشمس مبصرا بالفعل ويصير الالوان بذلك
الضوء مرئية بالفعل بعد ان كانت مبصرة مرئية بالقوة كذلك هذا العقل الذي يفيد العقل الهيولاني
شيئا ما يرسمه فيه منزلته وذلك الشيء منه منزلة الضوء من البصر وكما ان البصر يبصر الضوء نفسه متصلا
برؤية الشيء التي هي سبب الضوء ويبصر متصلا بها كا... ويبصر بالفعل الاشياء التي كانت مبصرة بالقوة
متصلا بها فلذلك العقل الهيولاني اذا استفاد العقل بالفعل وصار تصوره بها ...
يعقل نفس ذلك الشيء العقلي وبه يعقل العقل بالفعل الذي به يصير الاشياء المعقولة بالقوة بالفعل متصلة
به صارت اياه فنسبته الى المعقولات نسبة الشمس الى المبصرات وهذا هو عقلنا المنفعل مثل الشمس في القوة
الباصرة فلذلك يسمى عند الاوائل من الحكماء بالعقل الفعال وحصوله للانسان هو السعادة التي بها يصير
الانسان من الكمال الوجودي الى حيث يكون في مرتبة الملائكة المقربين الذين هم الصف الاعلى من الملكوت
وذلك ان يصير في جملة الاشياء البرية عن المواد والاجسام وعن اضافاتها وعلاقاتها الانفعالية
في سعادة لا انقطاع لها ولا انتهاء لمدتها ومثل هذه النفس الصائرة عقلا بالفعل كانت ملكا بالقوة
فصارت ملكا بالفعل واليه الاشارة في قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء وقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه وكما ان البدن له روح به حياته فكذا الروح بالعلم له حياة ... وقوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا فالعلم روح الروح ونور النور ولب اللباب ...
من التصورات الكلية من خواصها ان يكون ... آمنة من التغير والفناء ...
لكونها غير متغيرة في ذاتها ولا داخلة في عالم الحدوث ... فاذا كانت صفات ... متغيرة ...
اولى باستحالة الدثور والفساد وانما يجوز الفناء على ... فكل شيء يموت ...
حيوة كل حي ويبطل نور كل ... صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق ...

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية وقال قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
ثم انظر وحدق من احوال الانبياء عم فان نبينا ... قال اني جاعل في الارض خليفة قالت الملائكة اتجعل فيها ... قال اني اعلم
ما لا تعلمون فاجابهم بكونه عالما فلم يجب بسائر الصفات جوابا لهم ... وذلك يدل على ان سائر الصفات كالقدرة
وامثالها وان كانت باسرها في نهاية الشرف الا ان صفة العلم اشرف من غيرها انه تعالى لما اظهر لجلالة سجود الملائكة
وخليفة للعالم السفلي وذلك دليل على ان تلك المنقبة انما استحقها آدم ع بالعلم ثم ان الملائكة افتخرت بالتسبيح والتقديس
فاظهر الله تعالى علم آدم بالاسماء في مقابلة تسبيحهم وتقديسهم مع ان التسبيح والتقديس ايضا من بركات العلم والا لكان
نفاقا والنفاق من اخس المراتب لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ...
الافتخار فثبت ان فضيلة آدم عليهم انما كان بعلمه باسماء الاشياء الكلية والجزئية التي لم يكن من شانهم الاحاطة
بها جميعا لان كلا منهم في مقام واحد معلوم ثم انظر الى ابراهيم على نبينا وعليه السلام كيف اشتغل في اول امره بطلب العلم
بفكره من ملاحظة احوال السماويات والانتقال من بعضها الى بعض حتى انتقل من الانوار الكوكبية الحسية الى
القمر ومنها الى الاضواء العظيمة الشمسية الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان النير الزاهر الى المقصود الاعلى
الحقيقي واعرض عن الزائل بقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين ثم
انه عم بعد الفراغ من معرفة المبدا اشتغل بمعرفة المعاد كما قال واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى
ثم لما فرغ اشتغل بالمحاجة والتعليم تارة مع ابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وتارة مع قومه ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون وتارة مع ملك زمانه الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله اف لكم ولما تعبدون
وتارة كان مع الله فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم انظر الى احوال موسى عم مع فرعون
ووجوه دلائله وحجته ... في المقامات العلمية ثم انظر الى عيسى عم في قوله رب
ارني كيف تحيي الموتى وكان مقصوده العلم باحوال المعاد بعد ان حصل له العلم باحوال المبدا ثم انظر الى نبينا
ص كيف من الله عليه بالعلم مرة بعد اخرى في قوله ووجدك ضالا فهدى وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
وقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وهو صلوات الله عليه كان ابدا يقول رب ارني الاشياء
كما هي فلو لم يظهر للانسان من هذه الامور التي ذكرناها شرف العلم وفضله لاستحال ان يظهر له شيء لشيء اصلا ...
زيادة الاستبصار فصل في الشواهد القرآنية على ان رتبة العلم ومنزلة العلماء كانت عظيمة عند الانبياء
عليهم اجمعين اما محمد ص فقد قال الله تعالى تاديبا وتعليما له قل رب زدني علما وفيه دلالة على عظم رتبة العلم
ونفاسته وعلو منزلته وكرامته وفرط محبته تعالى اياه حيث امر حبيبه ص بالازدياد منه خاصة دون غيره ...
امتنانا عليه وتكريما له وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وانما ... فقد قال بعض المفسرين ...
احد من العلم ... لما ساغ له القنوع منه لاكتفى موسى عم ولم يقل للخضر عم هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وامادادود

فلما ذكر عز وجل قصص احوال الانبياء عليهم السلام قدم العلم اولا الا في الحديث قال وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله
وكلا آتينا حكما وعلما ثم انه ذكر بعد ذلك ما يتعلق باحوالهم فدل على ان العلم اشرف واما سليمان ع فكان له
من ملك الدنيا ما كان حتى انه قال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لكنه لم يفتخر بالمملكة وافتخر بالعلم حيث قال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء فافتخر بكونه عالما بمنطق الطير فاذا حسن من سليمان
الافتخار بذلك فبان يحسن بالمؤمن ان يفتخر بمعرفة رب العالمين وصفاته واسمائه وكيفية افعاله وملكوت سماواته
وكتبه ورسله والايمان بيوم القيمة وحشر الخلائق اليه ومعاد الكل ورجوع الجميع اليه كان احسن ولانه قدم ذلك
على قوله واوتينا من كل شيء وقال بعضهم الهدهد مع انه في نهاية الضعف مع انه كان في موقف المعاتبة قال
احطت بما لم تحط به فلولا ان العلم اشرف الاشياء والا فمن اين كان له ان يتكلم في مجلس سليمان ع بمثل هذا الكلام
وما ذاك الا ببركة العلم وايضا فانه تعالى … وكتب الله المنزلة على الانبياء ع ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال تعالى
لموسى ع عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال
بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال تعالى قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان
لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء وان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت
واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه قال بعض العلماء انما قدم الله التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون
العلم كما بين في المفاتيح الغيبية من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف
باحدهما ولهذا السبب قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا دون العكس …
والعلم كالشجرة والتقى كالثمرة واما الانجيل فقال تعالى في السورة السابعة عشر ويل لمن سمع بالعلم فلم يطلبه
كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم
وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم ولا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان
نعلم فنعمل فالعلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء
ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا ان يغفر لنا ويرحمنا فيقول اني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا
لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالح عبادي الى جنتي برحمتي وقال مقاتل بن سليمان وجدت في
الانجيل ان الله تعالى قال لعيسى ع عظم العلماء واعرف فضلهم فاني فضلتهم على جميع خلقي الا النبيين والمرسلين
كفضل الشمس على الكواكب وفضل الاخرة على الدنيا وكفضلي على كل شيء قيل ان الله علم سبعة نفر سبعة
اشياء علم آدم ع اسماء الاشياء لقوله وعلم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر ع علم الفراسة وعلمناه من لدنا
علما وعلم يوسف ع علم التعبير رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث وعلم داود ع صنعة
الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان ع منطق الطير وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير وعلم عيسى ع علم التورية

ويعلمه

ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل وعلم سيدنا محمد ص علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم
ويعلمهم الكتاب والحكمة الرحمن علم القرآن فعلم آدم كان سببا في حصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان
سببا لان وجد تلميذا مثل موسى ويوشع ع وعلم يوسف كان سببا لوجدان الاهل والمملكة وعلم داود
كان سببا لوجدان الرياسة والدرجة وعلم سليمان لوجدان بلقيس وتسخير الجن وعلم عيسى لزوال التهمة
على امه وعلم محمد صلوات الله عليه وآله كان سببا لحصول الشفاعة وقال بعض العلماء من علم اسماء المخلوقات
وجد التحية من الملائكة فمن عرف ذات الخالق وصفاته وحقايق افعاله لم يجد تحية الملائكة بل التحية من
الرب سلام قولا من رب رحيم والخضر ع وجد بعلم الفراسة صحبة موسى ع فامة الحبيب صلوات الله عليه وآله
لا يجدون بعلم الحقيقة صحبة محمد ص … عليهم ويوسف ع بتاويل الرؤيا نجي من حبس الدنيا
فمن كان عالما بتاويل كتاب الله كيف لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء … ان يوسف ذكر منة الله
على نفسه حين قال وعلمتني من تاويل الاحاديث … يا عالم … منته على نفسك حين علمك تفسير كتابه
فاي … اعطاك الله حيث جعلك مفسر الكلام وسميا لنفسه ووارثا للنبي ص وداعيا الخلق الى عبادته
وسببا لاهل … الخلق الى جنته وثوابه ورادعا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث العلماء
ورثة الانبياء والعلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وايضا فان الله تعالى سمى العلم في كتابه
الكريم بالاسماء الشريفة منها الحيوة او من كان ميتا فاحييناه وثانيها الروح اوحينا اليك روحا من امرنا
وثالثها النور قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فصل في الشواهد النبوية من الاحاديث والاخبار على شرف العلم
من طريق اصحابنا رضوان الله عليهم … عن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص ان الله يقول تذاكر العلم بين
عبادي مما يحيي عليه القلوب الميتة اذا هم انتهوا فيه الى امري وعن ابي الجارود قال سمعت ابا جعفر ع يقول رحم الله عبدا احيى
العلم قال قلت وما احياؤه قال ان تذاكر به اهل الدين واهل الورع وعن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص لا خير
في العيش الا لرجلين عالم مطاع ومستمع واع وعن ابي جعفر ع انه قال عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وعن
… طلب العلم فريضة الا وان الله يحب بغاة العلم وعن امير المؤمنين ع قال ان الناس آلوا بعد رسول الله ص
الى ثلثة آلوا الى عالم على هدى من الله قد اغناه الله بما علم عن علم غيره وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده
وقد فتنته الدنيا وفتن غيره ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افترى
وعن ابي عبد الله ع قال كان امير المؤمنين ع يقول ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ولا تاخذ بثوبه
واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا
تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافا لقوله ولا تضجر بطول صحبته فانما
مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء والعالم اعظم اجرا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله وعن
الفضل بن ابي قرة عن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله ص قال الحواريون لعيسى ع يا روح الله من نجالس قال من يذكركم الله رؤيته

ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله منصور بن زاذان عن ... عبد الله قال قال رسول الله ﷺ مجالسة
اهل الدين شرف الدنيا والآخرة الى غير ذلك من احاديثهم عليهم السلام في فضيلة العلم وقد ذكرنا شطرا منها
في المفاتيح واختصرنا منها على هذا القدر فمن اراد المزيد فليرجع الى كتب الحديث وغيرها في هذا الباب واما طريقة
غيرهم فوجوه قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل للعلماء اني لم اضع علمي فيكم وانا اريد ان اعذبكم ادخلوا الجنة على ما كان
فيكم قال ابن عباس خطبنا رسول الله ﷺ خطبة بليغة قبل وفاته وهي آخر خطبة بالمدينة خطبها فقال من تعلم العلم
وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد ما عند الله لم يكن في الجنة افضل ثوابا منه ولا اعظم منزلة منه ولم يكن
في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة الا كان فيها له اوفر النصيب واشرف المنازل وعنه صلعم اذا كان يوم
القيمة حفت منابر من ذهب عليها قباب من فضة مفضضة بالدر والياقوت والزمرد جلالها السندس والاستبرق
ثم ينادي مناد الرحمن اين من حمل الى امة محمد ﷺ علما يريد به وجه الله اجلسوا على هذه المنابر لا خوف عليكم حتى
تدخلوا الجنة وعن عيسى بن مريم ان في الجنة رجالا علماء كأنهم في الفقه انبياء ويرضون من الله باليسير من
الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ويدخلون الجنة بلا اله الا الله وقال رسول الله ﷺ من اغبرت قدماه
في طلب العلم حرم الله جسده على النار واستغفر له ملكاه وان مات في طلبه مات شهيدا وكان قبره روضة
من رياض الجنة ويوسع له في قبره مد بصره ويتنور على جيرانه اربعين قبرا عن يمينه واربعين عن يساره
واربعين عن امامه ونوم العالم عبادة ومذاكرته تسبيح ونفسه صدقة وكل قطرة نزلت من عينيه
تطفئ بحرا من جهنم فمن اهان العالم فقد اهان العلم ومن اهان العلم فقد اهان النبي ومن اهان النبي فقد
اهان جبرئيل ومن اهان جبرئيل فقد اهان الله ومن اهان الله اهانه يوم القيمة وقال رسول الله ﷺ الا
اخبركم باجود الاجواد قالوا نعم يا رسول الله قال الله اجود الاجواد وانا اجود ولد آدم واجودهم من بعدي
رجل علم علما فنشر علمه يبعث يوم القيمة امة واحدة ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل فصل

في الفاظ دالة على العلوم الحقيقية واشتبهت على الناس بغيرها اعلم ان قد التبست العلوم الحقيقية
المحمودة الترغيبية بغيرها من جهة تحريف الاسامي المحمودة من وضعها الاول وتبديلها ونقلها بالاغراض
الفاسدة الى معان غير ما ارادها الصدر الاول والسلف الصالح وهي خمسة الفاظ كما ذكره صاحب احياء
العلوم وفصل القول في كيفية تحريفها الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة ونحو بعض
نقتفي كلامه في هذا الفصل اختصارا ونخص اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا
بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها و
استكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا
بها يقال هو الافقه وهذا ضرب من التحريف فلقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة
ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة

واستيلاء

واستيلاء الخوف على القلب كما يدل عليه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف
هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف
بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى وقال رسول الله ﷺ لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس
في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وسئل الحسن البصري عن مسألة فاجاب فقال له السائل ان الفقهاء
يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في
الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض الناس العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق على العلم بالله وبآياته
وبافعاله في عباده وخلقه وقد تصرفوا فيه بالتخصيص حتى جعلوه وشهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع
الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيعد من فحول العلماء فيقال هو العالم بالحقيقة وهو الفحل في العلوم
الحقيقية كلها فجهله بحقائق علم القرآن واسرار الآيات وتاويل الاحاديث وصار ذلك سببا مهلكا لخلق
كثير من الطلبة اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طرق المجادلة
وفنون البحث وكيفية مناقضات الخصوم والقدرة على تكثير الاسولة واثارة الشبهات والالزامات حتى
لقبت طوائف منهم باهل العدل والتوحيد وعلماء ذلك مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن
يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح عليهم ابواب الجدل والمماراة وكان التوحيد
عندهم عبارة عن معنى آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع
التفاته عن الوسائط والاسباب وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل والرضا والتسليم لحكم الله ومن
ثمراته ان يعبد عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج من هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه
فقد اتخذ معبوده هواه قال الله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه وقال ﷺ ابغض اله عبد في الارض هو
الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه
فيتبع ذلك الميل وبالجملة فقد كان التوحيد عندهم عبارة عن ذلك المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر
الى ماذا حول وباي قشر قنع منه الآن وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس
عن المعنى الذي يستحق به المدح الحقيقي اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله ﷺ ان لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق
اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله
فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ يواظبون عليه في هذا الزمان وهو القصص
والاشعار والشطح والطامات اللفظ الخامس الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى

يدحرج الروث بعد على أكف السواد رثة شوارع الطرق والحكمة هي التي أثنى الله عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وكلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى
ما ذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم
من شر الشياطين إذ الشياطين بوساطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل ﷺ
عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار
الالتباس واليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه
السلف من العلم فقد اندرس وما أكب عليه الناس فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قوله ﷺ بدأ الإسلام غريبا
وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل من الغرباء فقال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين
هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم وفي خبر آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير وقد صارت تلك
العلوم غريبة بحيث يمقت ذكرها ولذلك قال إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط لأنه إن نطق
بالحق أبغضوه. فصل في العلم المحمود والعلم المذموم لصاحبه إن العلم بهذا الاعتبار ينقسم إلى ما
هو مذموم قليله وكثيره وإلى ما هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أفضل وإلى ما يحمد منه مقدار الحاجة ولا يحمد الفاضل
والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فمنها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح
وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وكالشجاعة فان التهور
لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم كله ما لا فائدة فيه في دين أو دنيا كعلم
السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه وصرف العمر فيه إضاعة أنفس ما يملكه الإنسان
وإضاعة النفائس مذموم وأما القسم المحمود إلى أقصى غاية الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته
وأفعاله وجريان سنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا العلم مطلوب لذاته
والتوسل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى غاية الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي
لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء
والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله
في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال
علماء الآخرة في أول الأمر ويعين عليه في الآخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه
عن علائق الدنيا والتشبه بأنبياء الله وأوليائه ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق
لا بقدر الجهد ولكن لا غناء فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية وأما العلوم التي لا يحمد منها
إلا مقدار مخصوص فهي التي أوردناها في فروض الكفايات فكل علم منها إما مشغولا بنفسك وإما
متفرغا إلى غيرك بعد الفراغ من نفسك فإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك فإن كنت

المشغول

المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عينك وبما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب
وما يذم وما يحمد ولا اشتغال بعد ذلك مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر
البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال وحشوية العلماء يشيرون
بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون
بإخراج المادة بالفصد والإسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء
بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع
مغارسها وهي في القلب وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح
واستصعاب أعمال القلوب فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها
يتجر بك إلى المقامات المحمودة فلا تشتغل بالفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به فإن مهلك نفسه
في طلب صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب
مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الأفاعي والحيات والعقارب
إذ هم بقتله والله ولي التوفيق. قوله جل اسمه قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك
أنت العليم الحكيم لما علم أقصوهم عن معرفة الأسماء وحقائق ما هي خارجة عن مقامهم ومشاهدهم اعترفوا
بالعجز وأقروا بالقصور واعلم أن العلوم بعضها فطرية وبعضها كسبية وبعضها موهبية والعلوم الفطرية
كعلم الشيء بذاته وصفاته اللازمة لذاته وبأفعاله الناشئة عن ذاته وبفاعله من الجهة التي هي وجه فاعله
إليه وهذان العلمان الأخيران لا يخلو كل منهما من أن يكون من سعي العبد في تحصيله واجتهاده في ابتغائه ذلك سواء كان
في طريقة النظار أو المتصوفة بالباطن والتطهير عن الشوائب المادية كما في طريقة أولياء الله والعلوم
الملائكة من قبيل القسم الأول لعدم إمكان التغير والاستحالة من طرو الحظوظ فيهم ولا لهم كمال منتظر ولا
حال ولا تهيؤ واستعداد من جانب القابل المنبسط والأهلية كما الا انما حصل لهم من جهة المبدع الفياض
وإليه الإشارة بقوله لا علم لنا إلا ما علمتنا والمقصود أن علوم الملائكة منحصرة فيما يكون حصولها لهم
بالفطرة الأولى أو إن علومهم الحاصلة من الأسباب الفاعلية من غير مداخلة قابل وتمهل واكتساب
للقوة القابلية إما بالحدس أو بالروية والآخر تحصيل العلوم ليس إلا بتعليم الله من غير اختصاص علومهم بذلك
والغرض أن الإنسان مختص ومتميز عن الملائكة وغيرهم بجامعية العلوم والنشآت ومظهرية
الأسماء والصفات والانتقال من أسفل سافلين إلى أعلى عليين لأجل الحركة الجبلية كان أولا
وحصول الموت الطبيعي والإرادي له عن كل نشأة والانتقال إلى نشأة أخرى فوقها ومثل هذه الانتقالات
والانقلابات لا توجد في غيره إذ الملائكة العلوية منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون
ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان هكذا في كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة

بحسب العبد

والثبات على حالة واحدة وان كان معدودا من صفات الكمال وقبتها بالمبدأ الفعال الا انه يمنع من المزيد
على الحاصر العتيد والجمود في الاحوال وان كان معدودا من صفات النقص كالموت والعدم والقوة الا انه كالسكون
الذي هو تحصن للمؤمن فقد يلتجئ بالارتحال من ادنى المراتب الى ارفع الاحوال واعلى درجات الكمال وبهذا يفوق الانسان
على غيره والملائكة عليهم السلام لما راوا من فضل الانسان وجهة فضيلته على ساير الاكوان وعلو الحكمة في ايجاده
وانه اجمع من كل من القوة والامكان ومحاوى للافلاك والاركان فعظموا جلال الحق ومجدوه وتعجبوا تعجبا
وشكروا النعمة له بما عرفهم من مكنون علمه وكشف لهم عن مراة جماله وجلاله وعجائب احوال صفاته وانوار كماله
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وفيه معنى التنزيه البليغ
على الشئ وذو قيل تعقيد بالكلام بالاعتذار عما وقع منهم من الاستفسار بالجهل بحقيقة الحال الذي لو لم
لم يكن اعتراضا وقد جعلت هذه الكلمة مفتاح التوبة والانابة فقال موسى صلوات الله على نبينا وعليه سبحانك
تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين وكذا في قوله ما يكون لنا
ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم وفي هذه الآية دلالة على ان العلم وساير الكمالات
فايض من الله وهو المعطي لها سواء كان على طريقة الابداع كما في اكثر علوم الملائكة او على طريقة التكوين بحسب
القوابل والاوقات كما في اكثر علوم الناس وقوله انك انت العليم الحكيم اشعار بان معطي الكمال الذي لا يعتريه
ولا نقص اولى بصفات الكمال وكذلك العلم والحكمة فان كل منهما صفة كمال للموجود المطلق ولا يقتضي
التغير ولا تكثرا ولا تخصصا بجسم او انفعال مادي فاذا وجد شيء منهما في المخلوق والمبدع فوجوده
في الخالق المبدع اولى واليق واشد واوثق فهو العليم الذي لا يخفى عليه خافية والحكيم الذي يفعل كل شيء لحكمة
وغاية لا يجوز ان يكون افعاله لا غاية لها ولا مراعاة فيها للمصالح كما زعمه اكثر المتكلمين كيف
وجميع الخيرات فايضة من لدنه وكل الاشياء متوجهة اليه مائلة الى ما عنده نائلة من جوده وكرمه
كما ضلت اقوام زعمت ان افعاله تعالى خالية عن الدواعي عارية عن الغايات باحوال الخلق لا داعي لفعله خارجا
عنه ولا يحتاج لجوده سوى ذاته لانه خير الخيرات واصل الدواعي والطلبات ثم اعلم ان العليم صيغة مبالغة في العلم
والمبالغة التامة فيه لا يتحقق الا باجتماع امور احدها كونه فعليا سببا لوجود الشيء المعلوم لا انفعاليا
مستفادا عنه والثاني كونه ازليا دائما غير منقضي بالحركة والزمان مصونا عن التغير والتجدد والحدوثات وما
الا هو فقد ليس العليم المطلق لانه هو الا انت العليم الحكيم على سبيل الحصر ثم ان الحكيم يقال
على وجهين احدهما العليم الذي يعلم منافع الامور ومصالحها وخيراتها فيكون من صفات الذات وثانيهما الفاعل
الذي لا خلل في فعله ولا اعتراض لاحد عليه فيكون من صفات الفعل ولهذا لا يقال انه حكيم في الازل وما اوتي
ههنا على المعنى الثاني لكون الصدم التنكير روى عن ابن عباس ان مراد الملائكة بالحكيم انه هو الذي حكم بجعل خليفة
في الارض ولا مبدل لحكمه فيها لان الملائكة لما نظروا الى نشاة الانسان واشتماله على ساير الاكوان وكونه من عالم الاجسام

كمية قلبيا حقا لا ظنيا او وهميا
والثالث كونه محيطا بجميع المعلومات كلية
وجزئية

من الافلاك

الشهود
دواعي

من الافلاك والاركان قالوا انك انت العليم الحكيم لانه علم بما له الانزال الانسان حين ما هو متصف بآفات
والنقصانات ما يصل به الى نشاته الباقية التي بها فاق على جميع الاكوان ثم صنع له واودع فيه بحكمته جميع الآليات
والقوى التي بها سلك مسالك الدار الاخرة والتقرب الى الله حتى انخرط في سلك الملائكة المقربين وعباد الله المكرمين
فصل اعلم ان الحكيم عندنا عبارة عمن جمع العلم الالهي والطبيعي والرياضي والمنطقي والخلقي وليس ولا اشد لا
العلوم والطريق مختلف في تحصيلها بين الفكر والوهب وهو الفيض الالهي وعليه طريقة اهل الكشف والشهود
اصحاب الافكار والانظار والفكر لا يفيد الا فيما يستفاد من احكام الاجسام ولواحقها ومبادئها ولوازمها واما
فيما وراء المحسوسات وعجائب الملكوت واحوال الاخرة وغايات النفوس ودرجاتها يوم القيامة فليس للفكر فيها كثير جوال
ولا يمكن ادراكها ونيلها الا بسلوك طريق النبوة والولاية لان ادراكها فوق طور العقل واصحاب تلك المعارف
اصحاب المشاهدات والمكاشفات القلبية دون المبادي والنظرية ولا مطلق الصوفية الا اهل الحقائق
المحققين منهم فهؤلاء هم الحكماء بالحقيقة ذكر الشيخ شهاب الدين المقتول صاحب حكمة الاشراق انه كنت زمانا
شديد الاشتغال كثير الفكر والرياضة وكان يصعب علي مسالة العلم وما ذكر في الكتب لم ينقح لي فوقفت ليلة من
الليالي في خلسة في شبه نوم لي فاذا انا بلذة غاشية وبرق لامعة ونور شعشاني مع تمثل شبح انساني فاذا هو امام
الحكماء ارسطاطاليس فشكوت اليه من صعوبة هذه المسالة وحكى ما جرى بينه وبين ذلك الحكيم من افادته اياه
وتحقيقه لمسالة العلم على وجه انكشف لي مقصودي منها ثم قال اخذ بعد ذلك يثني على استاذه افلاطون
ثناء تحيرت فيه فقلت وهل وصل اليه من فلاسفة الاسلام واحد فقال ولا الى جزء من الف جزء من رتبته ثم كنت
اعد جماعة اعرفهم فما التفت اليهم ورجعت الى ابي يزيد البسطامي وابي محمد سهل بن عبد الله التستري وامثالهما فكانه
استبشر وقال اولئك هم الفلاسفة والحكماء حقا ما وقفوا عند العلم الرسمي بل جاوزوا الى العلم الحضوري الاتصالي
وما اشتغلوا بعلايق الهيولى فلهم الزلفى وحسن مآب فتحركوا بما تحركنا ونطقوا بما نطقنا ثم فارقني وخلفني على فراقه
في التلهف على تلك الحالة انتهى كلامه ولعل ان ارسطاطاليس المذكور احد الموصوفين بالحكمة المذكورين بالفضل
والتعظيم وهو خزينه هو ولسانه افلاطون الالهي واشياخه الثلثة الالهيون سقراط وفيثاغورس وانباذقلس
فلقد كانت انوار الحكمة في قديم الزمان منتشرة في العالم بسببهم وكانوا كلهم قائلين بالتوحيد وحدوث
العالم الزماني وثبوت المعاد للانفس والابدان ونحن قد كشفنا عن رموزهم وبينا مقاصدهم وعلومهم
اثبات المثل الالهية والصور المفارقة التي اثبتوها وكان بهذا العلم متعلقا بعدهم على هؤلاء المشهورين
بالحكمة فكلما جاء الاعتراض على افلاطون في اثباته هذه المثل النورية الالهية وذكروا فيها تاويلات صرفوا
بها الكلام عن مقصوده ومقصود اولئك المتطهرين الاساطين وكذا اتحاد النفس الا ما نسب الى العقل
نقل عن بعض تلامذة ارسطاطاليس وغيرهما من مسائل شريفة نورية استفدناها من القرآن والحديث فكان ارسطاطاليس
هو معلم الاسكندر المعروف بذي القرنين المذكور في القرآن حكيما مكرما وكان معاصرا للافلاطون تربيا عنده

لاقتباس الحكمة وكان يسمى في حداثته روحانيا وافلاطون كان تلميذه وارسطاطاليس تلميذ افلاطون عقلا وهو الذي صنف الكتب المنطقية
وجعلها آلة للعلوم النظرية ورتب الابواب الطبيعية والالهية وصنف لكل باب منها كتابا بالعلم محاذيا
على الاولى ايامه واشرف الملك الذي الاسكندر ذو القرنين فانتفع من الرشد بآرائه فهؤلاء الخمسة المذكورون
كانوا يوصفون بالحكمة ثم لم يسم احد بعدهم حكيما بل كل واحد منهم ينسب الى صناعة من الصناعات
او سيرة من السير مثل بقراط الطبيب واوميرس الشاعر وارشميدس المهندس وديوجانس الكلبي وذي
مقراطيس الطبيعي وقد تعرض جالينوس في زمانه حين كثرت تصانيفه لان يوصف بالحكمة اعني ان ينقل
عن نعت الطبيب الى نعت الحكيم فقالوا عليك بالمراهم والمسهلات وعلاج القروح والحميات فان من شهد
على نفسه بان شانه في العالم اقديم ام حادث وفي المعاد احق هو ام باطل وفي النفس اجوهر ام عرض متضيع حجته
من ان يسمى حكيما كما لبعض الفضلاء والعجب من اهل زماننا انهم متى رأوا انسانا قرأ كتابا في اقليدس وضبط احوال
المنطق وصفوه بالحكمة وان كان لم يخطر له شيء من العلوم الالهية حتى انهم ينسبون محمد بن زكريا الرازي لمهارته
في الطب اليها ولقد كان احمد بن [illegible] مع تبحره في اصناف المعارف وابواب الادب متى نسب احد من [illegible] الى الحكمة
يشمئز من تسميته ويقول الهي من زمان ينسب فيه [illegible] الى شرف الحكمة كأنهم لم يسمعوا قوله ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب قوله جل اسمه قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم
بحذفها والهاء مكسورة فيهما امر اظهار آدم ع بان يخبرهم على اسماء الاشياء وهي صورها في علم الله الموجودة بانحاء
متفاوتة بعضها فوق بعض فان حقائق الاشياء لها وجود في مراتب فوقها في عالم الاسماء الالهية كما ذهب اليه قوم من العرفاء
وثانيها في عالم علم الله التفصيلي المسمى بالصور الالهية والمثل العقلية وهي ذوات مجردة هي ملائكة الله المدبرة
للانواع الطبيعية فان لكل نوع طبيعي مثالا عقليا هو تمام حقيقة ذلك النوع وما له عند الله وكل منها متعوق
عن التكثر العددي كما رآه بعض الاقدمين من اكابر الحكماء ونحن بفضل الله قد احكمنا بنيانهم واوضحنا سبيلهم في اثبات
هذه المثل النورية وثالثها في عالم المثل المقدارية المتوسطة بين العالمين عالم المفارقات وعالم الماديات
ورابعها في عالم الاجسام المادية وهي الصور النوعية المقومة للمواد الطبيعية وفي هذين الوجودين يمكن التكثر
الاشخاص لنوع واحد الا ان في الاول بحسب الجهات الفاعلية وفي الاخير بحسب الجهات القابلية من المواد
والاستعدادات وغيرها وهو عليه السلام لجامعيته نشأتين اخبرهم بما فيه وبما في غيره من الحقائق والمعاني كما هي
اسمائهم راجع الى الملائكة لما اقتضت [illegible] باجمعهم حقائق الاشياء الطبيعية ومسميات الاسماء الالهية وان كلا
منهم صورة اسم واحد وحقيقة نوع واحد وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الهمزة للانكار دخلت
على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير وهو تاكيد لقوله اني اعلم ما لا تعلمون على وجه ابسط لكونه كالبرهان عليه
بعلمهم فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من الامور الغائبة والشاهدة وما علن منهم من احوالهم وما بطن فيهم من اسرارهم الخفية [illegible]

بعمايتهم

بعمايتهم على تركهم الاولى وهو توقفهم على امر آدم عليه السلام مترصدين لان يبين لهم من احواله وقيل ما تبدون
اشارة الى قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما تكتمون اشارة الى استبطانهم في انفسهم انهم احق
بالخلافة الالهية وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما تبدون وقيل ما تبدونه هو قولهم لابليس [illegible]
ان امرتم بطاعة آدم فعلتم امر ربنا وما كنتم تكتمون ما اسر الخبيث من قوله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن
سلط علي لاعصينه وقيل روي انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء
فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه فهذا هو الذي كتموا ويجوز ان يكون هذا القول سرا اسروه
بينهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غيرهم فكان في هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان وحكمة آدمية تحتمل ان
يكون قوله اعلم غيب السموات والارض اشارة الى حقيقة الانسان الذي هو غاية وجود الاكوان وثمرة شجرة
الافلاك والاركان بل صفوة عالم الامكان فان سلسلة الموجودات كما هي مترتبة من المبدأ الاول وما
يتلوه من الانوار العقلية القاهرة ثم النفسية المدبرة ثم الطبايع العلوية الفلكية الكوكبية والصور النوعية
العنصرية على مراتبها في النزول من الاشرف فالاشرف الى الاخس فالاخس حتى انتهت الى ما لا اخس منه وهي الهيولى
والهاوية القصوى فكذلك هي مترتبة في الترقي والصعود في الوجود من انزل المراتب الى اعلاها ومن الاخس فالاخس
الى الاشرف فالاشرف على التكافؤ والتحاكي حتى ينتهي الى ما هبط منه وهو غاية الغايات ونهاية النهايات
اعني البارئ فالوجود بمنزلة دائرة ينعطف الى حيث فارقت منه فاقرب الموجودات الصادرة من الحق الاعلى
في سلسلة الايجاد هو العقول المقدسة والملائكة المهيمنة سيما الاول منهم واقرب الموجودات الينا في سلسلة
العود والرجوع هم العقلاء الكاملون في الولاية والنبوة سيما النبي الخاتم اشرف البرية صلوات الله عليه وآله
وهم انما يتقدمون علما والا فمتأخرون وجودا كما في العلة الغائية فالانسان الكامل حيث ابتدأ وجوده من
ادنى الاشياء من تراب ثم من ماء مهين وقد انشأه الله لان ينتهي الى اعلى المقامات فلا بد من ان يتخطى
الدرجات عند ادراك الانتهاءات وغاية كل شيء لا ينظر الا عند رجوع ذلك الشيء الى تلك الغاية فغاية كل غيب
ذلك الشيء وقد ثبت ان الانسان الكامل غاية ما في الارض والسماء بحسب الاجناس والدرجات فهو اذن
غيب السموات والارض والله عالم به قبل خلقه وبلوغه الى مقام قرب او ادنى واما قوله واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون فيحتمل ان يكون اشارة الى حقيقة الانسان فانه صورة علم الله وهو كتاب جامع ونسخة مجموعة لظاهر
الملك وباطن الملكوت والملائكة الذين هم ارواح العالم ومكوناته وظواهرهم اجرام العالم وشهاداته
كما لبعض الفضلاء العارفين ان الحق تعالى يتجلى بحكم كل يوم هو في شأن في كل لحظة لعباده فينزل الامر
من الحضرة الاحدية ثم الواحدية الى المراتب العقلية ثم الروحية الطبيعية الكلية ثم الهيولى الجسمية
ثم العرش ثم الكرسي والسموات تنحدر الى المراتب الكلية الى الجزئية الى ان ينتهي الى [illegible] الانسان منصبغا
بالاحكام جميع ما مر عليه في آن واحد من غير تخلل زمان كذلك وانتهى اليه وانصبغ بالاحكام الغالبة عليه [illegible]

اقبلا خاضعين تائبين ورجع الى الحضرة الالهية فان كان المنتهي اليه من الكمل فالمناسب ان يكون قد اتم دائرته
وصارت اخرته عين اوليته لا من ظهر للمرتبة الجامعة الالهية وان كان من الناس الذين قطعوا بعض المنازل
والمقامات او البا فبقي في اسفل السافلين في الظلمات فيكون قطع نصف الدائرة او اكثر ثم انسلخ ورجع الى الحضرة
بالحكم كالمعنويين فهو المبدأ والغاية انتهى كلامه وههنا سر آخر وهو ان الانسان لما كان غاية سلسلة الاكوان
وخليفة الله تكوينا ابدع ما في عالم الامكان فيكون عليه لمعة من نور علم الله كما ان وجوده مرآة لشمس وجود الله
ففي قوله اني اعلم غيب السموات تصديق قوله فلما انبأهم باسمائهم ايماء لطيف بان آدم من شانه ان يعلم غيب السموات و
الارض ومن شانه ان يقول اني اعلم ذلك لاعطاء نشاته علم ذلك وكذا الكلام في قوله واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون فانه لما انبأ الملائكة بمعاني اسماء الموجودات العلوية والسفلية والظاهرة والباطنة لاحتواء نشاته
الجمعية عليها امكن الحق سبحانه ان ينسب الى الانسان هذا الكلام نظير ما ورد في الخبر ان الله سبحانه يقول بلسان عبده
سمع الله لمن حمده قال بعض اهل المكاشفة والتحقيق لما شاء الحق سبحانه من حيث اسمائه الحسنى التي لا يبلغها الاحصاء
ان يرى اعيانها وان شئت قلت ان يرى عينه في كون جامع يحصر الامر لكونه متصفا بالوجود ويظهر به سره اليه وقد
كان الحق اوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه فكان كمرآة غير مجلوة ومن شان الحكم الالهي انه ما سوى محلا الا
ولابد ان يقبل روحا الهيا عبر عنه بالنفخ فيه وما هو الا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسواة لقبول الفيض
التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال وما بقي الا قابل والقابل لا يكون الا من فيضه الاقدس فالامر كله منه
ابتداؤه وانتهاؤه واليه يرجع الامر كله كما ابتدأ منه فاقتضى الامر جلاء مرآة العالم فكان آدم
عين جلاء تلك المرآة وروح تلك الصورة وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة المسواة التي هي صورة العالم
المعبر عنه في اصطلاح القوم بالانسان الكبير وكانت الملائكة له كالقوى الروحانية والحسية التي في النشاة
الانسانية وكل قوة منها محجوبة بنفسها لا ترى افضل من ذاتها وان فيها فيما تزعم الاهلية لكل منصب عال ومنزلة
رفيعة عند الله لما عندها من الجمعية الالهية بين ما يرجع من ذلك الى الجناب الالهي والى جانب
حقيقة الحقائق وفي النشاة الحاملة لهذه الاوصاف الى ما تقتضيه الطبيعة الكلية التي حصرت قوابل العالم كله
اعلاه واسفله قال فاما انسانيته فلعموم نشاته وحصره الحقائق كلها وهو للحق بمنزلة انسان العين من العين الذي
به يكون النظر وهو المعبر عنه بالبصر فلهذا سمي انسانا فانه به ينظر الحق الى خلقه فيرحمهم فهو الانسان الحادث الازلي و
النشء الدائم الابدي والكلمة الفاصلة الجامعة فتم العالم بوجوده فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم الذي
هو محل النقش والعلامة التي بها يختم الملك على خزائنه وسماه خليفة من اجل هذا لانه الحافظ خلقه
كما يحفظ الختم الخزائن فما دام ختم الملك عليها لا يجسر احد على فتحها الا باذنه فاستخلفه في حفظ العالم
فلا يزال العالم محفوظا ما دام فيه هذا الانسان الكامل الا تراه اذا زال وفك من خزانة الدنيا
لم يبق فيها ما اختزنه الحق فيها وخرج ما كان فيها والتحق بعضه ببعض فانتقل الامر الى الآخرة فكان

ختما

ختما على خزانة الآخرة ختما ابديا فظهر جميع ما في الصورة الالهية من الاسماء في هذه النشاة الانسانية
فحازت رتبة الاحاطة والجمع بهذا الوجود وبه قامت الحجة لله على الملائكة فانها لم يقع منها ما يعطيه يعطيه
نشاة هذا الخليفة ولا وقفت بمقتضى حضرة من حضرات العبادة الذاتية فانه ما يعرف احد من الحق الا ما
ذاته وليس للملائكة جمعية آدم ولا وقفت مع الاسماء الالهية التي تخصها وبها سبحت الحق بها وقدسته وما علمت
ان لله اسماء ما وصل علمها اليها فما سبحته بها ولا قدسته وحكم عليها هذا الحال فقالت من حيث النشاة اتجعل
فيها من يفسد فيها وليس الا النزاع وهو عين ما وقع منهم فما قالوه في آدم في الاسماء الالهية ما لم يكن للملائكة
عليها فما سبحته بها ولا قدسته عنها تقديس آدم وتسبيحه فوصف الحق لنا ما جرى لنقف عنده ونتعلم
الادب مع الله انتهى كلامه واعلم ان ههنا اشكالا وهو ان الملائكة لما لم يكن نشاتهم مقتضية للعلم بمعاني
سائر الاسماء فمن اين علموا صحة ما انبأهم آدم حتى اعترفوا بنقصهم وفضله عليهم وقصورهم عن بلوغ شاوه
والجواب ان العلم بالشيء على ضربين لانه اما ان يكون بعين وجود ذلك الشيء في الخارج واما ان يكون بصورة وجودها
ذهنية مطابقة له فكل ما هو من اجزاء ذات العالم وقواه وادواته له فعلمه بها عبارة عن اشتماله عليها في
ذاته ووجودها بين يديه وكل ما خرج عن هذه الامور فيكون العلم بها بحصول اشباحها وصورها الذي العالم
فاذا تقرر ذلك فنقول لكل واحد من الملائكة علم شهودي بما تقتضيه نشاته واما علمه بغير ما تقتضيه نشاته
من معاني سائر الاسماء فيجوز ان استفادة ذلك من غيره على سبيل التمثيل والملائكة استفادوا علم سائر الاسماء
من اطلاعهم على نشاة آدم لكون نشاته جامعة لجميع الحقائق وانما فضيلته عليهم بان سائر العلوم له حضورية
حالية ولهم حصولية انبائية قال السيد الاجل المرتضى رضي الله عنه وفي هذه الآية سؤال لم اجد احدا من المفسرين
تعرض له وذلك انه يقال من اين علمت الملائكة صحة قول آدم ومطابقة الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة
بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انبأهم آدم بالاسماء علموا صحتها والجواب انه غير ممتنع ان يكون الله
فعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء في مطابقتها المسميات اما عن طريقة او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك
تمييزه واختصاصه وليس في علمهم ذلك وجه اعجاز وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة
فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس بلغته فلما اراد الله التنبيه على نبوة آدم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم
بها علم كل فريق مطابقة ما اخبر به من الاسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لما في اللغات بخبر كل قبيل ايانا
[illegible] اعلم ان في هذه الآية اشارة لطيفة الى امور منها ان فيها تنبيها على ان الانسان الكامل فضله
على الملائكة الذين هم سكان طبقات السماوات والارضين دون الاعالي المهيمين الذين هم اجل قدرا
واعلى منزلة من ان يكون لهم التفات الى غير الله وشهود جلاله وجماله فان فيها تشريف نوع الانسان عليهم
غير معلوم من هذه الآية ومنها تحقيق التفاضل بين افراد الانسان وبينهم كلام سيأتي في فصل انشاء الله
ومنها الدلالة على مزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة [illegible] ومنها [illegible] الباب

والثالث ان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم
بالاوامر وعليه حملوا قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والتحقيق ان هؤلاء الملائكة المدبرة وان جاز
لهم قبول الازدياد في العلوم والاشراف لكنهم لا يستفيدون بها الا من الاعلى دون الاسباب الاتفاقية
كالعلم الخارجي والقوى والآلات الفكرية والخيالية واعلم ان النفس اقسام اربعة لان الشيء اما ان يكون كل
بحسب الفطرة الاولى وما ناقصا والكامل اما تام او فوق التمام والناقص اما مستكفي او غيره فالتام الذي هو فوق التمام
هو الباري جل اسمه لانه كامل الذات ويفضل من كمالاته كمالات سائر الاشياء والتام هو الملأ الاعلى من الملائكة
المقربين واما المستكفي فهم الملائكة المدبرون لكونه في طبقات السموات واما الناقص فما سوى هذه الاقسام
الثلاثة سواء جاز كماله بعد النقصان ام لا واما حقيقة الانسان فقد وجد فيه بحسب اشخاصها جميع هذه
الاقسام ما سوى فوق التمام فالكامل منهم هو الذي كملت العلم الى حد صار رصدا ومستعدا في العالم الى
عن علائق البدن وعوائق النفس ثم ما يقرب الى الله واما المستكفي منهم فهم الكاملون الذين هم بعد في هذا
العالم ولم يتحولوا الى الدار الاخرة واما الناقصون فما سواهم وهم اكثر الناس والرابع ان في الآية تنبيها
عظيما كأنهم لا يخفى عليه شيء من احوال الرابع ومكنونات الضماير فيجب ان يجتهد المرء في عمارة باطنه وتصفيته سره
عن الخباثات والرذائل وتنوير قلبه بانوار العلوم والطاعات ثم تطهير البيت عن دخول ما سوى صاحبه تعالى كما حكى
على الجنيد فقال ان كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك فقد اجترأت على امر عظيم وان كنت ظننت
انه لا يراك فقد كفرت وقد انظر ثلاث احوال اذا كنت عاملا بالجوارح فاذكر نظر الله اليك
واذا كنت قائلا فاذكر سمع الله اليك واذا كنت ساكنا عاملا بالضمير فاذكر علم الله بك اذ هو يقول انني معكما
اسمع وارى الخامس ان في الآية مدحا عظيما فان الله قد علم من جنايته من اول الامر في حق الانسان مع كونه
انزل خلق الله حيث خلق من طين لازب ومن ماء مهين وهما ادون الاجسام واسفلها واكرمها لانه
فضله على الملائكة الذين هم من سكان السموات واعلى الكائنات نقصانا وجعله مسجودا لهم تعظيما وتكريما ويبعد
كرمه وجوده ان يكرم وشرف ابينا ادم في اول الامر ثم يعذب ابناءه ويخرجهم اخرا السادس ان في
الآية دلالة على ان العبد يجب عليه ان لا يأمن مكر الله كما يجب عليه ان لا ييأس من روح الله لانه لا الملائكة ولا احد
على عواقب الامور واسرار حكمة الله في خلقه فالملائكة وقع نظرهم على الفساد والقتال لكنهم سيأتون بعدها
بالامانة والرجوع ويقولهم ربنا ظلمنا انفسنا وان ابليس وهو الذي بالطاعات لكنه سيأتي بعدها بالاباء
والاستكبار وبقوله انا خير منه فمن شأن العاقل ان لا يعتمد على عمله وان يكون ابدا متوكلا على الله خائفا
وجاء بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وما كنتم تكتمون معناه اني انا الذي اعرف الظاهر والباطن والعلن والسر
والبداية والنهاية ومن جوهر عابدا مطيعا ساكرا ويجعل عجزه ... ومن يجعله فاسقا
بعيدا ليقرب ... ويغفر ... دار كرامتي حيث شاء فالخلق لا يمكنهم ان

عن مجاري

عن حجاب الغفلة والجهل ولا ينبغي لهم ان يخوضوا في اسرار الحكمة فانهم لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
حتى من سكان العالم عجز الملائكة عن تحقيق الامر بان اظهر من البشر كل العبودية ومن ابليس ما كان
عباده كمال الكفر ويجب ولئلا يغتر احد بعلمه وعبادته ويفوضوا امورهم الاشياء الى حكمة الخالق و
الاعتراض بالقلب واللسان عن مجعولاته وسائر ... السابع التنبيه على اخلاص العمل عن شوب الرياء
والسمعة لكونه مطلعا على الغيوب وكاشفا اسرار القلوب روي عن عدي بن حاتم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
بناس يوم القيامة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله
لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان تريناها ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فيقول
ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس
بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم
للناس ولم تتركوها لي كنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم واجل
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين هذه
نعمة رابعة من نعم الله تعالى على الانسان المعدودة في هذه الآيات التي اولها قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
الآية وثانيها وثالثها في قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا والنعمة الثالثة ما في قوله واذ قال ربك
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة والظرف معطوف على الظرف السابق او نصب بمضمر والا فهو معطوف
بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بامرها على القصة الاخرى لما انبأ آدم عليه السلام الملائكة بالاسماء
بحسب معاينة الجمعي وعلمهم ما لم يعلموها اذ لم تستطعه تبعهم ذوقا ووجدانا امرهم الله بالسجود له عند
ما سواه الله ونفخ فيه من روحه وكان الامر به اياهم قبل التسوية ونفخ الروح فيه لقوله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وسبب ذلك انه كان امتحانا لهم واظهارا لفضله عليهم
استجماعه الكمال الجمعي ... فظاهره لاسماء والسجود في الاصل تذلل وانقياد مع تطأطؤ الرأس
يقال سجد البعير واسجد اذا طأطأ راسه لراكبه قال الشاعر وقلن له اسجد لليلى فاسجدا وقال ترى الاكم
فيها سجدا للحوافر اي تلك الجبال الصغار كانت مذللة للحوافر ومنه قوله والنجم والشجر يسجدان وفي الشرع
وضع الجبهة على الارض قصدا للعبادة والمراد منه ههنا اما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما
كسجود اخوة يوسف وابويه له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به امور معاشهم ويتم
كمالهم بحسب معادهم لانهم وسائط تدبيرات هذا العالم وتحريكات الاجرام واستحالاتها وانقلاباتها
لان يكون منها الكائنات التي غايتها خلقة الانسان لان من اغراضه عرفاء الرحمان واما المعنى الشرعي فهنا محمل
السجود وجوها ثلاثة اما ان يكون المسجود له هو الله تعالى واما ان جعل آدم قبلة مسجودهم كالكعبة تفخيما لشانه

لشانه واما انه كان آدم سببا لوجوب السجدة فكانه لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها جامعا لـ
للموجودات باسرها وجعله نسخة مختصرة لما في العالم الروحاني والعالم الجسماني وذريعة للملائكة الى
استيفاء ما قدر لهم من الكمالات الفضلية وفاض عليهم من الاشراقات النورية [illegible] مكانتهم الكلية ووسيلة
الى ظهور ما صدر عنهم من الخوارق وترتب عليهم من وجود الاكوان الصورية والحوادث الارضية بواسطة حركات
السماوية امروا بالسجود تذللا لما رأوا من عظيم قدرته وباهر آياته وتنظم العالم من الاعلى الى الاسفل ثم
من الاسفل الى الاعلى بواسطة الانسان الذي به يرتقي سلسلة الوجود الهابطة الى اسفل سافلين الى اعلى عليين وشكرا
لما انعم الله عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان في مدح امير المؤمنين عم ما كنت اعرف ان الامر
منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة
لدلوك الشمس واما ان يكون المسجود له هو الانسان لكونه من حيث هويته الامكانية ليلازم الاشراق بل من حيث
بلوغه الى مقام القرب الالهي وعروجه وحشره الى الحضرة الالهية وفنائه عن ذاته وبقائه ببقاء الله لا ببقاء
غيره ففي هذا المقام يصير الروح الانساني كمرآة مصقولة لا لون فيه انعكس عليه وجه الله الباقي [illegible] التجلي
لا على وجه الحلول والاتحاد تعالى عن ذلك علوا كبيرا فسجودهم لآدم عم من هذه الجهة سجود لله لا له
ذلك ان كل من عبد الله سبحانه لابد ان يتصوره في ضميره بوجه من الوجوه ويشاهده في الحضرة العبادية
والسجدة الجمال المطلوب ولهذا قد ورد في الحديث عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ثم ان كل ما تصوره
او تخيله من الله فهو سبحانه وراء ذلك فان نظرت اليه بما هو صورة معينة لها صفات معينة امكانية
او مكانية فقد عبدت غير الله وسجدت لسواه وان نظرت الى الحق وجعلتها مرآة لملاحظة المعبود الحقيقي ولم
تجعل النظر اليها نظرا الى المرآة ونظرا الى المرئي فقد عبدت الله مخلصا حنيفا فاذا جاز ان يكون الصور المعقولة
او المتخيلة مجالي ومظاهر لوجه الحق المسجود له فلم لا يجوز ان يكون الصورة الآدمية التي هي مظهر اسماء الله الحسنى
ومجالي صفاته كلها مسجودا لها لا على وجه لم يكن المنظور اليه والمعبود غير الذات الاحدية فصل في شرح حكم الملوك
على ان السجود بمعنى العبادة لغير الله كفر والكفر لا يكون مأمورا به ثم اختلفوا بعد ذلك على اقوال الاول ان
ذلك السجود كان لله تعالى وآدم عم كان كالقبلة واعترض عليه بوجهين احدهما ان السجدة اذا نسبت الى ما هو كالقبلة
على تقدير اللام فلا يقال صليت للقبلة او المسجد بل الى القبلة وفي المسجد فلو كان آدم قبلة لهذا السجود
لوجب ان يقال اسجدوا الى آدم واذ ليس فليس وثانيهما قول ابليس أرأيتك هذا الذي كرمت علي وغير ذلك
مما صدر منه من الاباء والاستكبار والتعلل بالافضلية والعداوة والبغضاء الى يوم الدين يدل على انه عظم
حال المسجود ولو كان قبلة لما حصلت لهذه الدرجة التي انبسطت [illegible] من الحدس ومعالم الجبروت
وقرعت اصواتها المسامع في صوامع الملكوت وايضا كان حاله يصل الى الكعبة ولم يلزم ان يكون افضل منه و
اجيب عن الاول بجواز ان يقال صليت للقبلة كما يقال صليت الى القبلة والاستشهاد عليه بالقرآن والشعر [illegible]

بان

بان ابليس شكر نعمه وذلك الشكر بهذا الامر انما حصل بالسجدة لكونه مسجودا بل انما حصل بالسمع والطاعة للامر الذي
وكلا الجوابين لا يخلو عن ضعف اما الاول فلا شبهة في ندرة وقوع اللام في مثلها والظاهر انها بمعنى الى او في واما الثاني
فان الظاهر الواضح ان منشأ عصيان ابليس وتمرده وسبب كفره وجحوده هو سجوده لآدم كما دل عليه قوله أأسجد لمن
خلقت طينا وقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من طين القول الثاني ان السجدة كانت لآدم تعظيما له وتحية كالسلام منهم عليه
وكانت الامم السالفة تحيون ملوكهم وانبياءهم بالسجدة وتحية المسلمين بعضهم بعضا [illegible] الله
كانت تحية الناس يومئذ يسجد بعضهم لبعض وعن صهيب ان معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله فقال يا معاذ
ما هذا قال ان اليهود تسجد لعظمائها ورأيت النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها قلت ما هذا قالوا تحية الانبياء
الانبياء فقال صلوات الله عليه وآله كذبوا على انبيائهم وعن الثوري عن سماك بن هاني قال دخل الجاثليق على علي
فاراد ان يسجد له فقال له علي عم اسجد لله ولا تسجد لي فقد قال ص لو امرت احدا ان يسجد لغير الله لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها لعظم حقه عليها القول الثالث ان السجود في الاية كان على المعنى اللغوي وهو اصل التذلل
الانقياد والخضوع وقد علمت ضعف القول الاول واما القول الثالث فضعيف ايضا لان السجود لما ثبت في
عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فيجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير فان قلت
السجود عبادة والعبادة لغير الله غير جائز قلنا لا نسلم ان السجدة عبادة لم لا يجوز ان يكون في بعض الاوقات
او بحسب بعض العادات سقوط الانسان على الارض ووضع الجبين عليها مفيدا لضرب من التواضع والتعظيم ولم
يكن ذلك عبادة وان كان ذلك الفعل يجب ان يأمر الله به الملائكة بل ان التعظيم ارادته واشعارا باكرامه وتعظيمه
السلطان قد يأمر بعض مقربيه من عبيده ان يخدم ويطيع رجلا فقيرا او ضعيفا وهم يفعلون ذلك بخدمته
ويرجع ما فعلوه في الحقيقة الى خدمة السلطان وطاعته فسجود الملائكة لآدم كان في الحقيقة سجودا لله وطاعة له
وقد علمت وجها الطف من كل ما قيل او يقال في دفع هذا الاشكال فصل اختلفوا في ان ابليس لعنه الله هل كان من
الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان منهم وروي عن ابن عباس ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس
وهو المروي عن ابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه وهو المروي عن ابي عبد الله
ثم اختلف من قال انه كان من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا من خزان الجنة ومنهم من قال كان له سلطان السماء الدنيا
وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن النعمان
قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو مذهب
الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول البلخي وغيره واحتجوا على صحة هذا القول باشياء احدها قوله تعالى
الا ابليس كان من الجن وثانيها قوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما وثالثها
ان ابليس له نسل وذرية قال الله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو [illegible] ابو الجن كما ان
آدم ابو الانس والبشر مخلوق من النار والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم ومن النور في قول

ولا يطعمون ولا يشربون ومن ابيهما جاعل الملائكة رسلا ولا يجوز على رسل الله الكفر ولا الفسق ولو جاز عليهم الفسق لجاز
عليهم الكذب وقد ذكروا في توجيه الاستثناء وجوها احدها ما ذكره صاحب الكشاف ان هذا الاستثناء متصل لانه
كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بينهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد
منهم وثانيها انه كان مامورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء منهم وثالثها ان هذا الاستثناء
منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب
النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن ابليس اكان من الملائكة او كان يلي
شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئا من امر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه
منها وكان الله سبحانه يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان وكذا رواه العياشي في تفسيره
واما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بانه لو كان من غيرهم لما كان ملوما بترك السجود ولما استثني من جملة الملائكة
بالسجود وانه لم يكن من جملة الملائكة ودل على كونه مامورا قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وهؤلاء الذين يقولون
انه كان من الملائكة اجابوا عن الاحتجاج الاول وهو قوله كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم
عن العيون وقد قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اراد بها الملائكة لانهم قالوا الملائكة بنات الله واجابوا عن الثاني
وهو قوله لا يعصون الله ما امرهم بوجهين احدهما ان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالفهم بالطبع والصفات كما لم تنته الفسقة من الانس والجن
يشملهما وكان ابليس من هذا كما قال ابن عباس ان ذلك الصنف صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه تعالى بقوله كان من
الجن ففسق عن امر ربه والثاني بانه صنف من خزنة الجنان او الجان الملائكة فلا وجه لعصمة لعزهم من الملائكة واجابوا عن الثالث
بانه يجوز ان يكون الله تعالى ركب في ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز ان يكون
الله لما اهبطه الى الارض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور وخلق الجن من مارج
من نار فليجيب بانه كالتمثيل لما ذكر فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان
محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت
الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى يطفى نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب وادفق للجمع بين النصوص
وقدم كلام ابن الفرض معلوم في الفلاتج مستقصى واعلم ان لا شبهة لاحد في ان الملك والشيطان متخالفان في اللوازم
والاثار الذاتية كيف واحدهما بطباعه ملهم الخير والطاعات والثاني بطباعه موسوس الشرور والمعاصي واختلاف
اللوازم والاثار الذاتية دليل اختلاف الملزومات والمؤثرات بالذات ثم كلا الجنسين متفقان في انهما روحانيان
غائبان عن الابصار والحواس لا نراهما وقبولهما الاشكال بجسمهما بتمثلهما بمعنى [illegible] بل وجودهما كوجود
الموجودات الاخروية لا ينكشف على ابصارنا الا عند غيبوبتنا عن هذا العالم كما يقع للمكاشفين ولفساد مزاج البدن
بواسطة غلبة اليبوسة على الدماغ فتعطلها الحواس عن الاشتغال فيستولي قوة تخيلها على المحاكاة الخيالية كما للمبرسمين

او بواسطة

او بواسطة تمثلهما في العين او تصورهما بصورة محسوسة جسمانية والظاهر من الاخبار والاثار ان موطن الملائكة
عالم السموات ومدبراتها على سبيل التعلق والمباشرة وانما تعلقها بعالم الارضيات فعلى سبيل الامداد والاعانة خدام
للقوى الارضية وان موطن الشياطين والجن عالم الارضيات على سبيل التعلق والمباشرة واما عالم السماء
فلهما احيانا زيارات على نهج العبور والاستراق للسمع دون الولوج في سمواتها لان عالم السماء كعالم قلب المؤمن بيت
مطهر معمور بطهارة القدس والتسبيح ودوام الذكر ومما لا يمكن ان يستقر فيه الا جوهر مقدس ولا سبيل للخبيث
اللعين اليه الا اختلاسا واحيانا في بعض الساعات كاوقات الكسوفات والخسوفات وغيرها استراقا للسمع وبالجملة
موطن الشياطين والجن هذا العالم الطبيعي وليس لواحد منهم درجة العلم والمعرفة بالمقاصد الكلية والامور الالهية سواء
كانوا كفارا كالشياطين او مؤمنين بل الاسلام كطائفة من الجن ذكرت في القرآن واما قول المنكرين لهم انهم يطعمون فقد
جاء عن العرب ما يدل على انهم لا يطعمون ولا يشربون انشد ابن دريد ونار قد حضات بعيد وهن بدار
بمعنا ما سوى رحل راحلة وعين الكليهما تخاف ان نتاما اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت
عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم يحسد الانس الطعاما لقد فضلتم بالاكل فينا ولكن ذاك يعقبكم
سقاما فهذا يدل على انهم لا ياكلون ولا يشربون لانهم روحانيون وقد جاء في الاخبار النهي عن التمسح بالعظم
والروث لان ذلك طعامهم وطعام دوابهم وقد قيل انهم يتشممون ذلك واجابوا عن الرابع وهو قوله جاعل
الملائكة رسلا بان هذه الآية معارضة بقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس لان من للتبعيض
وكلا القولين مروي عن ابن عباس وروي عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي ابليس [illegible] الا ابليس
كان من الجن وروى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل
وكان من سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله
وابى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطانا مريدا وسماه ابليس قال الشيخ محيي الدين الاعرابي في الباب الحادي والخمسين
من الفتوحات المكية اعلم ان الجان هم اهل العالم الطبيعي ويخيل جليسهم بما يخبر به من حوادث الاكوان وما يجري
في هذا العالم مما يحصل لهم من استراق السمع من الملأ الاعلى فيظن جليسهم ان ذلك من كرامة الله به وهيهات لما
ولهذا ما ترى قط احدا جالسهم تحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة وغاية الرجل الذي يعتني به ارواح الجن ان
يمنحوه من علم خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وهو علم السيميا فلم يكتسب منهم الا العلم الذي ذمته السنة
الشرائع الالهية ومن ادعى صحبتهم وهو صادق في دعواه فاسأله عن مسألة في العلم الالهي ما تجد عنده من ذلك
ذوقا اصلا ورجال الله يفرون من صحبتهم اشد فرارا منهم من الناس فانه لا بد ان يحصل صحبتهم في نفوسهم
تكبرا على الغير وازدراء بمن ليس له في صحبتهم قدم وقد رأينا جماعة ممن صحبوهم حقيقة وظهرت لهم براهين على صحة
ما ادعوه من صحبتهم وكانوا اهل جد واجتهاد ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ورأينا فيهم عزا ما
وتكبرا فما زلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لما نصحناهم وطلبنا لهم الا [illegible] ابغض ذلك منهم فما افلح ولا يفلح من كان

هذه صفته اذا كان صادقا واما الكاذب فلا يشتغل به وقد قال في موضع آخر من هذا الباب ومنهم من جالس الروحانيين
من الجان ولكن دون مجالسة اهل الرتبة اذا لم يكن لهم حال سوى هذا لانهم قريبون من الاتصال بنوع الفضول والكثير من الناس
نال مجالستهم ثم تحرجوا وقيل ان ينتج خيرا لان اصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركته فان الفضول يسرع اليه
في كل شيء فهم ابدا مشتغلون بما لا يعنيهم من الناس فانهم قد اجتمعوا في كشف عورات التي ينبغي للعاقل ان يطلع عليها غيرا لا
ان يمرض مجالسة الانسان اياهم تكبرا ومجالسة الجن ليس كذلك فانهم بالطبع يورثون في جليسهم التكبر على الناس من على
كل عبد الله ومن تكبر على غيره فانه يمقته الله في نفسه من حيث لا يشعر هذا هو المكر الخفي ومن الناس من يعنيهم من
الرجال من مجالسة الملائكة ونعم الجلساء هم انوار خالصة لا فضول عندهم وعندهم العلم الالهي الذي لا مرية
فيه فمن جالسهم في مزيد علم بالله دائما مع الانفاس ومن ادعى مجالسة الملأ الاعلى ولم يستفد في نفسه علما بربه
فليس بصحيح الدعوى وانما هو صاحب خيال انتهى كلامه فصل كلام في تحقيق مقام في المفاضلة بين الملائكة
والبشر اعلم ان الناس اختلفوا في التفاضل بين الملائكة والانبياء والبشر على طائفتين وهذا الاختلاف كان
مستمرا قبل ورود الاسلام وبعده الى يومنا وتحقيق هذا الامر لا يمكن الا بنور المكاشفة واكثر ما يورد به
في هذا الباب كلام اهل الحجاب وهم الذين فضلوا الانسان على الملائكة اكثرهم محجوبون عن علم ذلك يرجع الى امور
عادية ومعتقدات جمهورية لا الى التعويل عليها لصاحب البصيرة ونحن نذكر اولا احتجاج كل طائفة من الذين فضلوا
الملائكة والذين فضلوا اخيار البشر سواء كانوا قبل الاسلام او بعده وتقدم في الذكر كلمات الاوائل واقوالهم
قبل ظهور نور الاسلام ثم نذكر اقوال المتكلمين الاسلاميين وما ذكروه من الجانبين نقضا وابراما ثم ما يرد
على كل كلام اعتراضا وجوابا ثم نشير الى سر الكلام واصله وروح المقام وفصله وذلك في فصول الفصل الاول
في ذكر اقوال معظمها اقوال الصابئة في تفضيل جانب الملائكة واقوال الحنفاء في تفضيل جانب البشر في مقابلة اقوالهم
ونسبتهم الى الحنفاء كنسبة فلاسفة الاسلام الى الصوفية ووجه ذلك انهم زادوا على التفضيل الملائكة على اهل النبوة ثم
الى الحث في كون طاعتهم وانقيادهم وجعلوا الملائكة قبلة طاعتهم ومنشأ حاجاتهم وهو اسمهم والصابئون هم الذين
قالوا بنبوة اغاثاذيمون وهرمس وهما شيث وادريس ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء وصلوات الله عليهم اجمعين وربما
يسمون باصحاب الروحانيات ومذهبهم ان للعالم صانعا حكيما مقدسا عن جهات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز
عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطين المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا
وفعلا وحالة اما الجوهر فهم المطهرون عن المواد الجسمانية المبرؤون عن القوى الجسمانية المنزهون عن الحركات
والتغيرات الزمانية قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح تحت حرم القيوم ونتوكل عليهم وهم اربابنا
وشفعاؤنا عند رب الارباب فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا
عن علائق القوى الشهوية والغضبية حتى يحصل بيننا وبينهم مناسبة فيفيض علينا بعض انوارهم ومعارفهم
وعلومهم قالوا والانبياء امثالنا في النوع واشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة ياكلون مما ناكل ويشربون

ما نزر

ثم افترق بيننا وبينهم من الصورة اما بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم وبأية مزية لهم لزم متابعتهم واما الفعل فالروحانيون هم الاسباب
المتوسطون في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الى حال وتوجيه المخلوقات من مبدأ الى كمال يستمدون
القوة من الحضرة القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة
في افلاكها وهي هياكلها فلكل فلك روحاني هيكل جسماني ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح
الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره ويفعل الروحانيات تحريك الاجرام على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات
في الطبائع السفلية والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات فيتبعها قوى جسمانية وتركب عليها نفوس روحانية ثم قد يكون
التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد يكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة
منه ملك ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو مما يصعد من الارض فينزل مثل الامطار والثلوج والبرد
والرياح ومما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب وما يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح
وذوات الاذناب والهالة والمجرة وما يحدث في الارض من الزلازل والمياه والابخرة الى غير ذلك ومنها
متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات حتى لا يخلو موجود ما من حالة خاصة
عن قوة وهداية اذا كان قابلا لهما واما الاحوال فاحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة واللذة الدائمة
والراحة والبهجة والسرور في جوار رب العالمين كيف يخفى شغلهم ونسبتهم التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد
وانهم يذكرون الله وطاعتهم قائم لا يركع وراكع لا يسجد وساجد لا يرفع ... مقاماتهم في القرب والمنزلة
يتبدل الحال لما هم فيه من البهجة والسرور فمن خاشع بصره لا يرفع ومن ناظر لا يغمض ومن ساكن لا يتحرك ومتحرك لا
يسكن لا فتور فيها ولا اعياء ولا نصب فمن كروبي في عالم القبض ومن روحاني في عالم البسط لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون فهذا مذهب الصابئة وقد جرت بينهم وبين الحنفاء مناظرات ومحاورات في المفاضلة بين الروحاني
المحض والبشرية النبوية ذكرها صاحب كتاب الملل والنحل على شكل سؤال وجواب وفيها فوائد لا تحصى فنورد ها
ملخصة عن الزوائد ليحيط الناظر بما فيها وعليها فصل فيما ذكره الصابئون في تفضيل الملائكة على الانبياء
وما اجاب به عنها الحنفاء وهي وجوه الاول ان الروحانيات ابدعت ابداعا لا من شيء لا مادة ولا هيولى وهي كلها
جوهر واحد على سنخ واحد وجواهرها انوار محضة لا ظلام فيها وهي من شدة ضيائها لا يدركها الحس ولا ينالها البصر ومن
غاية لطافتها لا يجاوزها العقل ولا يجول فيها الخيال ونوع الانسان مركب من العناصر الاربعة مؤلف من مادة وصورة وما
والعناصر متضادة ومزدوجة بطبايعها ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج
هو مبدع لا من شيء لا يكون كالمخترع من شيء والمادة والهيولى سنخ الشر ومنبع الفساد فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كالمحض
الصورة وانظار بهم كيف يساوي الظلمة والنور والمحتاج الى الازدواج المضطر في هذا الاختلاف كيف يرقى الى درجة المستغني عنها
اجابت الحنفاء بعد ما عرفتم وجود هذه الروحانيات بالحس او دلكم عليه الدليل او ارشدكم اليه فان قالوا وجودها وتعرفنا
احوالها من اغاثاذيمون وهرمس شيث وادريس عليهما السلام قالت الحنفاء فقد اقمتم مذهبكم في نفي المتوسط البشري فما

فقبلكم اثباتنا وانكاركم اقرارنا ثم من الذي يسلم ان المبدع من لا شي اشرف من المخترع من شي بل جانب الروحاني اثر واحد
وجانب الجسماني اثران احدهما نفسه من روحه والاخر جسمه من جسده فهو من حيث الروح مبدع بامر الباري تعالى ومن حيث
الجسد مخترع بخلقه ففيه اثران امره وخلقه قولي وفعلي فهذه المرتبة في الخلقة افضل وان فاضلتم بين الروحاني
المجرد والجسماني المجرد فالصدق معكم ولكن المفاضلة بين الروحاني المجرد والمجتمع من الجهتين فلا وبحكم ما قلنا ان الفضل
هاهنا للمجرد الثاني نوع الانسان لا يخلو من قوتي الشهوة والغضب وهما ينزعان الى البهيمية والسبعية وتنازعان
النفس الى طباعهما من الحرص والامل لاحدهما والكبر والحسد للآخر وغير ذلك من الاخلاق الذميمة فكيف يماثل
من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما ولواحقهما من النوازع الحيوانية والطوالع البشرية
باسرها لم يحملهم الغضب على حب الجاه والشهرة ولا حملهم الشهوة على حب المال والثروة بل طباعهم مجبولة على المحبة
والموافقة وجوهرهم مفطورة على الاتحاد والالفة اجابت [illegible] هذه المغالطة مثل الاولى حذو النعل بالنعل فان
طرف البشرية نفسيان نفس حيوانية لها قوتان شهوية وغضبية واخرى انسانية لها قوتان علمية وعملية وبتينك
القوتين لها ان تجمع وتمنع وبهاتين القوتين لها ان تقسم الامور وتفصل الاحوال ثم يعرض على العقل فيختار بقوته
التي هي له كالبصر النافذ من العقائد الحق دون الباطل ومن الاقوال الصدق دون الكذب ومن الافعال الخير دون الشر
ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشجاعة والحمية دون الجبن والتهور ومن لوازم القوة الشهوية التودد
والتالف دون الشره والخساسة فيكون من اشد الناس حمية على خصمه واعدائه ومن ارحم الناس بالاولاد
والضعفاء لوليه وصديقه واذا بلغ هذا الكلام فقد استخدم القوتين واستعملهما في جانب الخير وليس الكمال
في فقدان القوتين واستعمالهما في جانب الخير وليس الكمال والشرف في حكم العاجز وانما الكمال في استخدامهما
اولا في جانب الخير ثم الترقي الى ارشاد الخلائق وتزكية النفوس عن العلائق والاخلاق فاما عن قبيل الشهوة والغضب
ففقدان الشخص كنفوس الروحانيين فطرة ووضعا وبذلك الوجه [illegible] وفضلها وتقدمها باستخدام القوى
والتفوق واستعمالها في جانب الخير والنظام وهو الكمال الثالث ان الروحانيات صور مجردة عن المواد عالية
القوة والاستعداد [illegible] اشخاص [illegible] وبين الامزجة مخالطة والمتوسط لا بد ان يكون
كما [illegible] وانما الموجودات البشرية فهي اما صور في مواد او نفوس متصلة بها حاصلة من المزاج والامزجة
والعرض انها موجودات بالقوة لا بالفعل يجب ان يكون ما بالفعل غير محتاج الى المخرج وما بالقوة لا يخرج
من القوة الى الفعل بنفسه والروحانيات هي المحتاج اليهم في ان يخرج الجسمانيات الى الفعل فالمحتاج اليه كيف
يساوي المحتاج في درجة الوجود اجابوا ان هذا الحكم وهو كون الروحانيات بالفعل غير مسلم على الاطلاق
اذ منها ما هو موجود بالقوة او ما فيه وجود بالقوة ويحتاج الى المخرج يخرجه الى الفعل فان النفس لها استعداد
القبول عندكم والعقل له [illegible] وفرض على احدهما بالقوة والآخر بالفعل وهذا لضرورة الترتيب في
الموجودات العلوية فان من لم يثبت الترتيب فيها لم يستقم له قاعدة عقلية اصلا فاذا ثبت الترتيب فقد ثبت

الكمال

الكمال في جانب والنقصان في جانب فليس كل روحاني كاملا بكل وجه ولا كل جسماني في الجسمانية ايضا موجود كامل
محتاجة اليه وذلك ايضا لضرورة الترتيب في الموجودات السفلية قالوا واذا سلمتم لنا ان هذا العالم الجسماني
في مقابلة ذلك العالم الروحاني وانما يختلفان من حيث ان ما في هذا العالم من الاعيان فهو آثار ذلك العالم الروحاني
العالم من الصور فهو مثل هذا العالم والعالمان متقابلان كالشخص والظل فاذا الحكم في ذلك موجود لنا بالفعل كاملا و
وفي هذا عندنا [illegible] والموجودات وجودا ووصولا الى الكمال فيجب ان يثبت في هذا العالم ايضا موجود اما بالفعل كاملا و
تاما حتى يصير هو عندنا من الموجودات فعلا ووصولا الى الكمال [illegible] الصابئة اكثر الروحانيات قابلة منفعلة وتمامه
الفاعل الكامل واحد [illegible]
السفلية النفوس البشرية كلها قابلة الوصول الى الكمال بالعلم والعمل محتاج الى مخرج ما فيها بالقوة الى الفعل و
هو النبي صلعم ثم يكون [illegible] الرسول [illegible] فيكون الرسول [illegible]
والبشر [illegible] لفظ القوة يطلق بالاشتراك اللفظي على ما هو بمعنى الامكان الاستعدادي والقوة الانفعالية المحلية
وعلى ما يكون بمعنى الامكان الذاتي [illegible] في الفطرة والاول لا يجامع الفعلية بخلاف الثانية فالروحانيات كلها
فطرية والجسمانيات [illegible] تركيبية وانما النفوس فلها امكان ذاتي في ذاتها ولها ايضا امكان استعدادي [illegible]
من حالها الى اخرى [illegible] تعلقها الى المادة الجسمانية فالاولى [illegible] جواب عن سؤال الصابئة من هذا النمط على ان
اشرف الروحانيات اشرف من الانبياء بان النفوس البشرية يجوز ان يتدرج في الكمال [illegible]
على الكمال [illegible] والنقصان بحيث ينتهي درجتهم درجة الروحانيين او اعلى منهم بحسب الفطرة الثانية وان لم يكن
كذلك في الفطرة الاولى هذا اذا كان المراد من الفطرة الاولى هو النفوس [illegible]
ما عرضتها بفطرة [illegible] الناس عليها فهي [illegible] درجة فطرة الروحانيين [illegible]
الرابع ان الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية [illegible] كثيفة [illegible] والاعتبار في الرتبة والفضيلة
بذوات الاشياء وصفاتها ومراكزها [illegible] عالم الروحانيات العلوية لغاية النور واللطافة وعالم الجسمانيات السفلية
لغاية الكثافة والظلمة والعالمان متقابلان والكمال العلوي والصفتان متضادتان [illegible]
[illegible] ان الروحانيات كلها نورية ولا نسلم [illegible] ان الشرف للعلوي ولا نسلم [illegible] الاعتبار في الشرف
بذوات الاشياء اما بيان الاول [illegible] على الروحانيات حكم التساوي [illegible] النقص والترتيب فاذا كان
الموجودات كلها على قضية الترتيب والتضاد [illegible] ههنا فان من قال الروحاني ما ليس بجسماني [illegible]
جواهر [illegible] والابالسة [illegible] جملة الروحانيات [illegible] الروحاني هو المخلوق
من الارواح ما هو خير [illegible] ما هو شرير [illegible] الخبيثة اضداد الارواح الطيبة [illegible]
[illegible] انها كلها نورانية [illegible] الروح هو الحاصل [illegible]
الطبع [illegible] كانت الروحانية [illegible] والروح [illegible] كانت الشيطنة

علم اعلى هذه قاعدتنا في الروحانيات فلا ورد خاتمة الحج في الروحانيات من ذوات الانبياء عليهم السلام واما قولكم ان الشرف
ان عينتم من جهة العلو فلا شرف فيه وكم من غالب جهته سافل جهة وعال ذاتا وطبيعة وبالعكس واما قولكم ان
الشرف بذوات الاشياء وصفاتها وافعالها فليس كذلك وهو مذهب اللعين الاول حيث نظر الى ذاته وذات آدم
ففضل ذاته اذ هي مخلوقة من النار وهي علوية نورانية على ذات آدم وهو مخلوق من طين وهو سفلي ظلماني بل انما
الاعتبار في الشرف بالامر وقبوله ومن كان اقبل لامره والطوع له واقرب من قبوله فهو اشرف ومن كان على خلاف ذلك
فهو ابعد واخس واخبث فامر الباري تعالى هو الذي يعطي الروح قل الروح من امر ربي والروح يحيى الانسان الحيوة الحقيقية
وبالحيوة يستعد العقل الغريزي وبالعقل يكتسب الفضائل ويجتنب عن الرذائل ومن لم يقبل الامر الالهي فلا روح
له ولا حيوة ولا فضيلة ولا شرف فهو اذن فرجع هذا الكلام الى الاعتراف بان الشرف والفضيلة انما هو بامر روحاني
فان حقيقة الامر الالهي الذي بقبوله يصير الانسان ذا روح وعقل وحيوة دائمة هو الذي به يحيى الانسان
روحانيا ... ذاتا عقلية دائمة واما خطاء اللعين فليس يرجع حكمه بان النار اشرف من الطين بل الى
زعمه ان حقيقة الانسان هي البدن المخلوق من التراب او الاصل وتوهمه ان شرف الذات في العنصر تابع لشرف الجسمية
والمادة فهذا مغالطة باخذ ما بالعرض مكان ما بالذات الوجه الخامس ان الروحانيات اشرف بقوتي العلم
والعمل ... اما العلم فلان ... علومهم غيبية ... مستقبل الاحوال ...
ولان علومهم كلية وعلوم الجسمانيات جزئية وعلومهم فعلية وعلومنا انفعالية وعلومهم فطرية وعلومنا كسبية
فمن هذه الوجوه تحقق لهم الشرف عليها واما العمل فلانهم ... على العبادة ودوامهم على الطاعة يسبحون الليل والنهار
لا يفترون ولا يلحقهم كلال ولا سامة ولا يرهقهم ملال ولا فترة فتحقق لهم الشرف من هذه الجهة على الجسمانيات
بالخلاف من ذلك اجاب الحنفاء بجواب احدهما التسوية بين الطرفين واثبات زيادة في جانب الانبياء والثاني اثبات
نوع الشرف في غير العلم والعمل اما الاول فقالوا علوم الانبياء كلية وجزئية وفعلية وانفعالية وفطرية وكسبية
من حيث عالم الغيب ومن حيث عالم الشهادة يحصل لهم العلوم الكلية فطرة ... ثم اذا
لاحظوا عالم الشهادة حصل لهم العلوم الجزئية اكتسابا بالحواس على ترتيب وتدريج كما ان للانسان علوما
فطرية هي المعقولات وعلوما حاصلة بالحواس هي المحسوسات والتجربيات فعالم المعقولات بالنسبة الى الانبياء كعالم
المحسوسات بالنسبة الى سائر الناس وفطرياتنا فطرياتهم ونظرياتهم لا يصل الينا قط بل ... مكتسبة لهم ولنا
كالمحسوسات الانبياء ... تقتضي نفوسهم ... عقولهم ... في بعض الاوقات فلذلك
لموافقتنا ومشاركتنا ... العقول ... الاذهان والنفوس ... ورائها ...
انهم قالوا ... بهذا ... على البصيرة والحجة القوية ... الحول والقوة
لا انفعالا ... على الاكتساب ... يعملون ان الملائكة
الروحانيات ... نظرها وادراكها ... من نظر ... فكرو مجال

وبنى

وبنى امله ومطاره وهم وخيال وانتهى الى الحد الذي انتهى نظرهم اليه مستبصرون وما وراء ذلك من الحد الاعلى
ما ابقيناه مسلمون مصدقون وانما كلامهم في التسليم للاسلميون والتصديق لما يحملون ونحن نسبح بحمد ربنا ونقدس له
ليس كل احاطتهم بل سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا هو كمال المخاطب لكن ان الكمال في العلم والعمل في التسليم والتوكل واذا كانت
غاية العلوم هذه الدرجة فمحل نهاية اقدام الملائكة والروحانيين بداية اقدام الكمل من الانبياء والمرسلين
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله فالروحانيات بالنسبة اليهم شهادة والنسبة الينا غيب والجسمانيات
بالنسبة الينا شهادة وبالنسبة اليهم غيب والله هو الذي يعلم السر واخفى قالوا ثم الجهل بانه لا يعلم فعل احاطة كمال العلم ومعرفة
العجز عن اداء الشكر فعل اداء كمال الشكر الوجه السادس ان الروحانيات لهم اختيار متضاد الى الخير
مقصور على نظام العالم وقوام الكل لا يشوبها البتة شائبة الشر وشائبة الفساد بخلاف اختيار البشر فانه متردد
بين طرفي الخير والشر ولولا رحمة الله في حق البعض والا وضع اختيارهم كان يميل الى جانب الشر والفساد اذ كانت
قوتا الشهوة والغضب المركبتان فيهم تجذبهم الى جانبها واما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا التوجه الى وجه الله
وطلب رضاه وامتثال امره واجرهم كل اختيار هذا حاله لا يتغير ولا يتعذر عليه ما يختاره وكلما اراده وفعله وحصل
حسب اراده كل اختيار في تلك حالة يتعذر عليه ما يختاره فلا يوجد المراد ولا يحصل المراد المختار اجاب عنها الحنفاء
احدها بان من حيث الخير هو وحده اختيار الروحانيات اذ كان مقصورا على احد الطرفين مجبورا على كان فيه
مجبورا ولا شرف في الجبر واختيار البشر متردد بين طرفي الخير والشر فهو جانب يرى آيات الرحمن ومن طرف يسمع وساوس
الشيطان فيميل تارة دعوة الحق الى امتثال الامر ويميل طورا داعية الشهوة الى اتباع الهوى فاذا اقر طوعا
وتبع وحدانية القديم واختار من غير جبر واكراه طاعته وصير اختياره المتردد بين الطرفين مجبورا تحت
امر الله باختياره من جهته من غير اجبار صار هذا الاختيار اشرف وافضل من الاختيار المجبور فطرة كالمكره ضرورة
الممنوع عما لا يحب جبرا ومن لا شهوة له فلا يميل الى المنهي كيف يمدح عليه وانما المدح كل المدح لمن نهى النفس
عن الهوى فتبين ان اختيار البشر افضل من اختيار الروحانيات والثاني بان من الانبياء من هو الذي ان
الانبياء مع ما لهم من اختيار البشر من وجه فهو متوجه الى الخير مقصور على الصلاح والذي به نظام العالم وقوام
الكل صادر من الامر صادر الية لا يتطرق الى اختيارهم ميل الى الفساد ولا من جهتهم ما يميل الى الاوهام فان الكمال
لا يوجد الا حل اما من حيث هو ساق على المختار بالنظام كل وامر على الجزئيات ثم يتضمن ذلك
نظام في الجزئيات تبعا لا مقصودا وهذا الاختيار والارادة على حقيقة سنة الله في اختياره ومشيئته الكائنات كلها
مشيئة كلية متعلقة بنظام الكل غير معللة بعلة واختيار الرسول المبعوث من جهته منوب عن اختياره كلية
منوب عن امره فيطلب به ذلك ثم يخرج من قضية اختياره نظام حال وقوام امر يختلف الوانه فيه شفاء للناس
ومن اين للروحانيات هذه المنزلة وكيف يصلون الى هذه الدرجة كيف وكلما ذكروه وموهوه وكل ما يذكرونه
محقق بمشاهدة وعيان الوجه السابع ان الروحانيين مختصون بالهياكل العلوية مثل زحل ومشتري وسائر الكواكب

كلها

من البعثة وهذه الهياكل كالأبدان والأشخاص المنسوبة اليها وكل ما يحدث من الموجودات ويعرض من الحوادث
سببا متعلقة بهذه الأسباب وآثارها هذه الهياكل فيفيض على هذه الهياكل من الروحانيات تعريفات وتحريكات الى جهات
الخير والنظام ويحصل من حركاتها واتصالاتها تركيبات وتأليفات في هذا العالم ويحدث في تركيبات احوال ومناسبات فهم الأرباب
الأول والكل اسبابها والمسبب لا يساوي السبب ومحال ان يكون شخص بالاشخاص السفلية والمتشخص كيف يماثل الهيكل المتشخص وانما
يجب على الأشخاص في افعالهم وحركاتهم اقتفاء آثار الروحانيات في افعالها وحركاتها حتى يراعي احوال الهياكل وحركاتها واتصالاتها
زمانا ومكانا ويختبروا ويقربوا ويتخيروا دعاء وحاجة خاصة بكل هيكل فيكون تقربا الى هيكل من الهياكل تقربا الى
الخاص من الكواكب ومنه تقربا الى رب الأرباب ومسبب الأسباب حتى يقضي حاجته ويتم مسألته اجاب الحنفاء بأن قالوا إذا لزم
عن نيابة الروحانيات لهم الى نيابة هياكلها وتركيبكم مذهب الصبوة الهيكلية فإن الهياكل أشخاص الروحانيين والأشخاص
هياكل الربانيين عند كم فإن مثبتكم لكل روحاني هيكلا وخاصا له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره ونحن نثبت أشخاصا
وهياكل انما هم في ادعائهم واحكامهم في مقابلة كل الكون الروحاني على الهياكل وحركاتهم في مقابلة حركات جميع الكواكب
الأفلاك ومن اعجبهم من اعمالهم كالتصديق الحق بايد الحق روحاني سماوي وتوفيق من العدل بفضله على مقادير الكتاب
الأول اليقوم الناس بالقسط ليست مخترعة بالآراء المظلمة ولا مستنبطة بالظنون الكاذبة اطابقتها على المعقولات
تطابقها واتفاقها الحيوانات تؤامها كيف ونحن نثبت ان الذي هو الموجود الأول والكائنات
تقدرت عليه وان المناهج المقدرات هي الأقدام ثم الملائكة الخلقية والسنن الطبيعية نسبتها اليها ولله تعالى
سنتان في خلقه وأمره والسنة الأمرية اقدم وأسبق من السنة الخلقية وقد اطلع خواص عباده على السنتين فالتوحيد
سنة القضاء والقدر لاهدا من جهة الخالق والتحول لسنة الهيئة لا هذا من جهة الأمر والأنبياء عليهم السلام متوسطون في تقرير
سنة الأمر والملائكة متوسطون في تقرير سنة الخلق والأمر اشرف من الخلق فمتوسط الأمر اشرف من متوسط
الخلق فالأنبياء افضل من الملائكة وهذا العجب حيث صارت الروحانيات الأمرية متوسطة في الخلق وصارت الأشخاص
الخلقية متوسطين في الأمر ليعلم ان الشرف والكمال في التركيب لا في البساطة وان الجسماني لا الروحاني في الترقي
الى التراب افضل من التوجه الى السماء والسجود لآدم من الملائكة افضل من التسبيح والتقديس وليعلم ان الكمال في اثبات الرجال
لا في نفي الهياكل والظلال وانهم هم الآخرون وجودا وهم السابقون فضلا وعلما وان آخر العمل اول الفكرة
ان الفطرة لمن له الخلق وان المخلوق بيديه لا يكون كالملكوت بحرفيه كما ان البعض وجزئه جلال لاجل خلقته
مبدئه لكن تملكه كن فكان الوجه الثامن ان التمامية الحقيقة في حقيقة الإنسانية والبشرية وتشتمل على واحد
من حيوان الناطق لما ان النفس والعقل امتيازا وشرف الجوهر يتعلق النفس المعنى الذي يشترك فيه الإنسانية
والبنات انه كان الأول الجسم الطبيعي لكل ذي حياة بالقوة والمعنى الذي يشترك الإنسان والملائكة انه جوهر غير جسم
هو كمال أول الجسم له يتحرك بالاختيار عن مبدأ نطق عقلي بالفعل او بالقوة فالذي هو بالفعل خاصية النفس الملكية
والذي هو بالفعل فصل النفس الإنسانية وانما العقل قوة او هيئة لهذه النفس مستعدة لتقبل ماهيات الأشياء بجهة

كن

عن المواد والناس في ذلك على استواء من الفطرة وانما الاختلاف يرجع الى احد امرين احدهما اضطراري
وذلك من جهة المزاج والاستعداد والثاني اختياري من حيث الاجتهاد والكسب فرفع الحجب المادية وتحصيل
النفس عن الصدأ المانع لانطباع الصور العقلية حتى تبلغ الاجتهاد الى غاية الكمال استوت الأقدام فيه
الأحكام فلا يتفضل بشر على بشر بالنبوة ولا يحكم احد على احد بالاستتباع اجابوا بالتماثل والتشابه في الصورة البشرية
لا مرية وانما التنازع بيننا في النفوس والعقول ثم انها عندنا على التضاد والترتيب وذلك ان النفس كما علم
ايضا نفس مطلق تارة بمعنى نوع الإنسان والحيوان وتارة بمعنى نوع الإنسان والملك على ما وجد وذكر
هذا ثم قسمناها الى اعلى النفس النبوية حتى تميزت عن الملكية كما تميز الملكي عن الإنساني فإن عند كم المبدأ الطبيعي
للإنسان بالقوة فالمبدأ العقلي للملك بالقوة فقد تغاير من هذا الوجه من حيث ان المبدأ الطبيعي نظرا على
الإنسان ولا نظر على الملك وذلك غير آخر فما يكون في النفس النبوية مثل هذا الترتيب واما الكمال الذي
انما يكون كلا لجهة المختار اذا كان لاختيار الحركة محمودا واما اذا كانت مذمومة من كل وجه صار كمالا نقصا
ومنه يقع التضاد بين النفس الخيرة والشريرة حتى يكون احدهما في جانب الملكية والأخرى في جانب الشيطنة فيحصل
التضاد المذكور كما حصل الترتيب المذكور واما ما ذكره الصابئة من حد العقل انه قوة او هيئة للنفس مستعدة لقبول ماهيات
الأشياء مجردة عن المواد فهو شامل لجميع العقول عند ولا عند الحنيف بل تعرض للعقل الهيولاني دون سائر العقول
من العقل النظري والعملي وبالملكة والذي هو بالفعل والذي هو المستفاد والذي هو الفعال والعلوم التفصيلية
التي وجودها نفس معقوليتها ولا خلاف بيننا في ان هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فصولها فالحد
ايها الحكيم من اي حد تحد عقلك اولا هل ترضى ان يقال ان متساوت الأقدام في العقول حتى يكون عقلك بالفعل
والاستفادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد واستعداد عقلك لقبول المعقولات كاستعداد عقل صبي غوي
لا يرد عليه برد ولا ينقلب الخيال عن عقله كما ينقلب الحس عن خياله واذا كانت الأقدام متفاوتة في هذه الترتيب
في الأقسام واذا ثبت ترتبا في العقول فيلحقه ان يرتقي الصعود الى درجة الاستقلال والإفادة ويترتب
الهبوط الى درجة الاستعداد والاستفادة الوجه التاسع كان الصابئة اذا بطلتم تساوي العقول والنفوس
باثبات الترتيب والتضاد فقد لزم الانتهاء فإن خير وتمام مرتبة الأنبياء بالنسبة الى نوع الإنسان وما تنبههم الى الشيء
الى الملك والجن وسائر الموجودات ثم مرتبة النبي بالنسبة الى الروحانيات فإن عندنا الروحانيات اعلى مرتبة من جميع
الموجودات وهم المقربون في الحضرة الإلهية والمكرمون لديه وتراكم تارة تقولون ان النبي يتعلم من الروحاني
ويتعلم من النبي ص اجابت الحنفاء بان الكلام في المراتب صعب ومن لم يصل الى مرتبة كيف يمكنه ان يتكلم في الكلام
اقساما لكنا نعرف ان رتبة النبي بالنسبة الينا كرتبتنا بالنسبة الى من هو دوننا في الجنس كالحيوانات وكما انا نعرف
اساس الموجودات ولا يعرفها الحيوانات كذلك هم يعرفون حقائق الأشياء ووجوه المصالح في الحركات وحدودها
واقسامها ونحوها ونعرفها وكما ان النوع الإنساني تسخر الحيوانات فيملكها بالتسخير فالأنبياء عليهم السلام ملوك الناس

بالتدبير وكانت حركات الناس معجزات نحو ان تكون حركات الانبياء عن معجزات الناس والجواب انه لا يمكنهم ان يبلغ
الفكرية حتى تميز الحق من الباطل ولا الحركات القولية حتى تميز الصدق من الكذب ولا الحركات الفعلية حتى تميز
الخير من الباطل ولا حركات القوة الشهوية الخير من الشر فكذلك فان حركات الانبياء عم لا ينتهي فكرهم لا غاية له وحركاتهم
في محال القدس [illegible] حتى يسلم لهم من الله وقت لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وكذلك حركاتهم
القولية والفعلية لا يبلغ الى غاية انطاقها وجرى بها على سنن الفطرة حركة كل البشر وهم في الرتبة العليا
والدرجة الاولى من درجات الموجودات كلها فقد احاطوا علما بما اطلعهم الرب تعالى عليه دون غيرهم من الملائكة
والروحانيين ففي الاول كان حالهم حال المتعلم علمه شديد القوى وفي الاخر حالهم حال المعلم وذلك حين قال يا آدم
انبئهم باسمائهم حين كان الوحي على يد الطاهرين واما اضافتهم الى جناب القدس فالعبودية الخالصة قال ان كان
ولد فانا اول العابدين قال لو العباد مربوبون وقوله في فضل ما شئتم احوال اشباههم واخص اشباه الاخص
هم عباد ورسول الله كان اخص التعريفات بجلاله [illegible] خاصها له ابراهيم والى اسماعيل والى اسحق والى موسى
والى عيسى والى محمد صلوات الله عليهم وكان من المتحققين ما هو عام الاضافة ومنها ما هو خاص الاضافة [illegible]
الى الخالق بالالهية والربوبية والى المخلوق العباد بالخصوصية ما له عموم [illegible] ومنها الخصوص [illegible]
موسى وهرون [illegible] نهاية مذهب الصابئين والحنفاء في باب المفاضلة بين الملائكة والبشر [illegible]
وهذا وقع في الدلائل هذا التطويل [illegible] اهل الدراية والتحصيل فصل في اقوال العلماء الاسلام
القائلين بان الملك افضل من البشر اعلم ان جمهور اهل الشريعة كالاشاعرة [illegible] مذهب اصحابنا الامامية
كالشيخ المفيد والشريف المرتضى وابي جعفر الطوسي رضوان الله عليهم احتجوا بامر الله الملائكة بالسجود لآدم
على انه افضل منهم فذهبوا الى ان الانبياء عم افضل من الملائكة وقالت المعتزلة واكثر [illegible] من الاشاعرة
وابي عبد الله الحليمي [illegible] ان الملائكة العلوية افضل من الكل من الطائفتين [illegible] الاحتجاج والاستدلال
نذكرها تلخيصا وتهذيبا للحجة القائلين ان الملائكة افضل من وجوه ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
الى قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا سيما [illegible] احدها ان هذه العندية [illegible]
مكانية لتعاليه سبحانه عن المكان والجهة فلكون عندية [illegible] ومعنى ان افضل الملائكة هذا القرب والزلفة
حاصل دون غيرهم [illegible]
الانبياء فقال رسول الله ص حكاية عن الله [illegible] انا عند المنكسرة قلوبهم [illegible]
الله عند [illegible]
وهذا الاستدلال انما يتم اذا كانوا افضل البشر [illegible]
وقدرة من البشر [illegible] صحة الاحتجاج هذا القدر [illegible] النزاع في الافضلية بمعنى الزلفة
والقرب او كثرة المثوبات [illegible] عبادات الملائكة اشق من عبادات البشر فيكونون اكثر ثوابا من البشر اما

فلوجوه

فلوجوه احدها ان ميلهم الى التمرد اشد لان الجسد السليم عن الآفات المستغني عن طلب الحاجات يكون اميل الى التمرد
والالتذاذ من المنغمس في الحاجات فيكون كالمضطر الى عبادة مولاه والالتجاء اليه ولهذا قال تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون [illegible] الملائكة سكان السموات
وهي جنات وبساتين [illegible] وهم آمنون من الفقر [illegible] ثم انهم من اول ما خلقوا مشتغلون بالعبادة
خاشعون وجلون كانهم مسجونون لا يتنقلون الى نعيم الجنان وبالعبادات اللذات بل يقبلون على الطاعات الشاقة
وموصوفون بالخوف الشديد والفزع العظيم وكانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا [illegible]
آدم [illegible] الكبرى فلما ورد في الحديث افضل الاعمال احمزها اي اشقها وثانيها ان انتقال المكلف
من نوع عبادة الى نوع اخر [illegible] ولهذا السبب جعل التصانيف مقسومة بالابواب والفصول
وجعل كتاب الله مقسوما بالسور والاعشار والاخماس ثم ان الملائكة كل واحد منهم مواظب على عمل واحد لا يعدل الى غيره
[illegible] فيكون ثوابهم افضل [illegible]
فيكون ثوابهم اكثر وذلك لانا نرى بعض المتصوفة [illegible] انقطع [illegible]
لم يتحمل [illegible] فعلم ان كثرة المشقة في العبادة لا يقتضي زيادة
[illegible] على [illegible] والثواب [illegible] اعظم [illegible]
لان الاخلاص [illegible] عبادات الملائكة اشق [illegible] السموات [illegible]
والمواضع الطيبة [illegible] اسباب [illegible] بالعبادة [illegible]
على البشر ومع ذلك [illegible] على العبادة [illegible]
واما قولهم المواظبة على نوع واحد [illegible] في نهاية السهولة [illegible]
[illegible] العبادة [illegible] افضل الصوم صوم داود [illegible]
[illegible] العبادة والتسبيح [illegible] الذا [illegible]
للملائكة ادوم فكانت افضل [illegible] يسبحون الليل والنهار لا يفترون واما [illegible]
افضل [illegible] فضل العبادة [illegible]
وهذا يقتضي ان يكون [illegible] في البشر [illegible] وذلك يوجب فضلهم على البشر [illegible]
[illegible] الانبياء [illegible] ان يكونوا افضل منهم [illegible]
[illegible] في الايمان والاخلاص [illegible] العبودية [illegible] ادوم عبادة [illegible]
[illegible] في رتبة العلم والعمل [illegible]
اسبق السابقين في كل العبادات [illegible]
[illegible] والعبادة [illegible] والسابقون السابقون اولئك المقربون [illegible]

التفضيل لها لقوله صم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة فهذا يقتضي ان يكون حصل
للملائكة من الثواب كلما حصل للانبياء مع زيادة اقول هذا الوجه قوي جدا ولهذا لم يذكر احتجوا باعتبر والجواب
كما يعرفه المحققون ويحققه المكاشفون ان ذوات الانبياء عليهم السلام ... عند الله هي نتايج عبادات الملائكة
دخل اعمالهم غايات ساعيهم الغاية اليهم والغاية افضل من ذي الغاية كما ثبت في الحكمة الالهية الخامس ان الملائكة
رسل الله الى الانبياء عم والرسول افضل من الامة اما الاول فلقوله علمه شديد القوى وقوله نزل به الروح الامين على قلبك
اما الثاني فقياسا على الانبياء من البشر فانهم افضل من اممهم فكذا هاهنا ولقايل ان يقول تفضيل الانبياء على اممهم لا
انها من جهة الرسالة وتبليغ الاحكام الى جاهلهم ودعوتهم بما ابدوه من المعجزات والكرامات بل بما قبل ان السايس للدواب
خادم لها من هذا الوجه والخادم بما هو خادم انقص من المخدوم لا ان الخادم للدابة من جهة انسانيته انقص فضيلة
على الدابة فكذا حال النبي مع الامة قال صم انا سيد ولد آدم يوم القيمة السابع الملائكة اتقى من البشر فوجب ان يكونوا
افضل منهم اما انهم اتقى فلانهم مبرؤون عن الزلات من الميل الى الاثام ... الانبياء فانهم وان كانوا معصومين عن الكباير وعن الصغاير
ايضا على مذهب الامامية لكنهم لم يخلوا عن الميل اليها بحسب الطبيعة البشرية فكانت تقوى الملائكة اشد واما كونهم انقى
افضل فلقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم والجواب انا نسلم ان تقويهم اشد ودوام الا ان التقوى من الوقاية عن الاثام
الدواعي والشهوات اكثر كان التقوى هنا اشد ولما كان المقتضي للمعصية في البشر اكثر وكان تقوى المتقين منهم اكثر فان
الاثم علم الداعية فيهم ... لا شهوة لهم الى الاكل والشرب ... ولهم شهوة التقدم والرياسة ... فهذا لا ...
هذه الشهوة مشتركة بين الفريقين وفي حصة البشر انواع اخر من الشهوات الصارفة عن الطاعات كشهوة
البطن والفرج وغيرهما فيكون فضيلة التقوى في البشر اشد واقوى الثامن قوله لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون وجه الاستدلال به ان قوله ولا الملائكة المقربون خرج مخرج التاكيد للاول
ومثل هذا التاكيد انما يكون بذكر الافضل كما في قولهم هذه الخشبة لا يقدر على حملها العشرة ولا المائة وكذا
في كثير من الامثلة ولقايل ان يقول هذه الاية ان دلت فانما تدل على الملائكة المقربين على المسيح لا على من هو
افضل منه وهو نبينا صم وموسى وابرهيم عم وبالجملة فلو ثبت ان المسيح افضل من كل الانبياء عم كان مقصودهم حاصلا
والا فلم يحصل ثم نقول قوله ولا الملائكة ليس في الواو العطف الذي لمطلق الجمعية والامثلة الجزئية غير مفيدة
في الدعوى الكلية على انها معارضة بامثلة اخرى كقولك ما اعانني على هذا الامر زيد ولا عمرو فهذا لا يفيد افضلية
عمرو من زيد سلمنا انه يفيد التفاوت اما انه من جميع الوجوه او من جهة كثرة الثواب فغير مسلم والسبب انما ...
لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اخرجوه عن العبودية الى المعبودية بسبب هذا القدرة
من القدرة فقال الله ان عيسى لا يستنكف بسبب هذه القدرة عن عبوديتي بل ولا الذين هم فوقه في القوة
والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين فعلى هذا الوجه دلت الاية على انهم افضل من البشر في القوة
والشدة لا في كثرة الثواب كما هو المقصود وهاهنا وجهان اخران في تحقيق الاستدلال ان الاية دلت على ان مجموع الملائكة

افضل من المسيح عم لا كل واحد ثانيهما لعل خطاب الله كان مع قوم اعتقدوا فضل الملائكة على البشر فاورد الكلام على
معتقدهم كما في قوله وهو اهون عليه الثاني في قوله حكاية عن ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
وهذا انما يكون لو كان قول ابليس وهو ليس بحجة الا ان آدم وحوا عليهما السلم لو لم يكونا معتقدين ان الملائكة افضل
من البشر لم يكن ابليس يغرهما بذلك ولو كانا اغترا بذلك والجواب ان آدم لم يكن نبيا فلم يثبت فضل الملائكة على الانبياء
من كونهم انبياء وثانيا ان ما ذكر لا يدل على كون الملك افضل بل اقدر واعظم قوة عند الله ان لهم ضروبا من الفضيلة
غير ذلك ولا شبهة لاحد ان لهم جهات فضل بالفعل على نوع البشر كالقوة والقدرة والحسن والجمال والصفاء
والنقاء من الكدورات المزاجية والامراض والعاهات وغيرها فلعل ادم وحوا عم ... ان يكونا مثلهم في العاجل
وان كان افضل منهم في الاجل التاسع قوله صم ولا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ...
برفع الصوت لا يفيد الغرض وانما يفيد ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الكمالية والجواب ان الصدق حاصل بنفي المماثلة
في الصفات من كل الوجوه ولا دلالة فيه على وقوع التفاوت بينهما في كل الصفات العاشر قوله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم والجواب ان المراد المشابهة في الصورة الظاهرة او في المجموع من الصورة الحسنة والسيرة الكريمة ولا يلزم
منه ان يكون المشبه به اقوى في الاخرة بما يكون بحسب كثرة الثواب الحادي عشر قوله ثم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا وظاهره ان ما عدا هذا الكثير المفضل عليه لا يمكن ان يكون الا الملائكة لسقوط غير المكلفين من درجة
الاعتبار وانحصارهم في المكلفين في اربعة انواع والثلاثة الاخر افضل من الجن والشياطين فلو كان افضل من الملائكة
ايضا لزم ان يكون افضل من جميع المخلوقات ومع لزوم التقييد بالكثرة فايدة فعلم ان الملائكة افضل من البشر والجواب من وجهين احدهما
ان في الكلام تمسكا بدليل الخطاب وهو ضعيف لا يعول عليه في المسايل الكلامية وثانيهما انه لا يلزم منه الا تفضيل
الجنس على الجنس لا تفضيل الكل على الكل والثاني عشر ان الانبياء عم ما استغفروا الا بدءوا بالاستغفار لانفسهم
ثم للمؤمنين قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب
اغفر لي ولوالدي وقال موسى رب اغفر لي ولاخي وقال الله لمحمد صم عليهم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اما الملائكة
فلم يستغفروا الا لغيرهم من المؤمنين كما حكى الله عنهم بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ويستغفرون للذين
ولو كانوا محتاجين الى الاستغفار لبدأوا اولا بانفسهم ثم بغيرهم لان دفع الضرر عن النفس مقدم على دفعه عن الغير لقوله صم
ابدأ بنفسك فهذا يدل على انهم افضل من البشر والجواب بعد تسليم دلالة على عدم الاستغفار على عدم الزلة لا على
التفاوت في ذلك مناط الافضلية كما تقدم ومنهم من قال ان استغفارهم للبشر كالعذر بالطعن فيهم الثالث عشر قوله وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين وهذا عام للجميع فيدخل فيه الانبياء عم وغيرهم وجه دلالته على افضليتهم من جهتين احدهما
ان الحافظ للشيء يجب ان يكون ابعد من الخطا والزلة والمعصية من المحفوظ فيكون افضل وثانيهما انهم جعلوا كالرقيب
حجة على البشر وعليهم في الطاعات والمعاصي فيكون قولهم اقوى بالقبول من قول البشر فهذا يدل على انهم اعظم قدرا واعلى
بحسب كلام الرحمن سند اذ ان الملك قد يكون بعض عبيده على حفظ ولده ماله ولا يلزم ان يكون الحافظ اشرف من المحفوظ وبان

الشاهد فلكون احدث من المشهود له وعليه اقول لعل الله المصيبين كما في قوله ان الافاعيل الذاتية الطبيعية فيما شا

الصانع الكبير الرابع عشر قوله يوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون و المقصود من ذكرهم الهيبة

عظمته ص يوم الاخرة ولو كانت في غاية ظاهر قيامهم ونفي عنهم اوى في ذلك من قيامهم لكان اولى واجيب بان

مامر من ان المراد من بعض الوجوه لا ينافي المفضولية من جهة الشرف والمثوبة الخامس عشر قوله تع والمؤمنون كل

آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله بين ان الايمان من صحة الايمان الاذعان بوجود هذه الاشياء ثم بدا

وثنى بالملائكة وثلث بالكتب وربع بالرسل وكذا في قوله شهد الله الاية والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الرتبة

واجيب بان هذه الحجة ضعيفة لانها منقوضة بكثير من المواضع منها تقديم سورة تبت على سورة التوحيد السادس عشر

قوله تع ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلواتهم كالتشريف للنبي ص فيكونون اشرف واجيب بانه منقوض

بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه السابع عشر حكاية المفاضلة بين جبرئيل ومحمد ص قيل انه تفضيل جبرئيل فانه تع

انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون فوصف جبرئيل بست صفات ومحمد

من اوصاف الكمال ووصف محمدا ص بصفة واحدة هي عدم الجنون ولو كانا متساويين في الكمال لكان جميع

هذه الصفة الواحدة جهل ووصف جبرئيل بهذه الصفات خطاء شانه وتحقير المنصب وابطال الحق وهو غير جائز

فدلت الاية على كون جبرئيل افضل منه ص قلنا ان قيل لم لا يجوز ان يكون تلك الصفات لمحمد ص قلنا لان قوله ولقد

رآه بالافق المبين يمنع هذا الاحتمال والجواب انكم تواضعتم في ان لمحمد ص فضائل اخرى لم يذكر في هذا الموضع

فلم الموضع فلم لا يجوز ان يكون هو تلك الفضائل من جبرئيل فانه كما وصف جبرئيل هنا بهذه الصفات الست وصف

محمدا ص في موضع اخر بصفات ست في قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا

منيرا وبالجملة كما واحد التخصيص بالوصف في مقام لا يدل على انتفاء ذلك الا وصاف عن الثاني الثامن عشر المعلم

اعلم من المتعلم والاعلم افضل ثم في العلوم المتعلقة بذات الله تعو صفاته وآياته كالعلم باحوال العرش والكرسي

والسموات واللوح والقلم والجنة والنار واصناف الملائكة وجميع انواع الحيوانات وغيرها من العلوم فلان محمد ص

الا بالوحي فهو لم يحصل لمحمد ص الا من جهة الملك سيما جبرئيل فيستحيل ان يكون النبي افضل من جبرئيل بل هو الواسطة

بين الله وبين محمد ص وكونه عالما بجميع الشرائع الماضية والحاضرة وعالما بما ليس من شرايع الملائكة ادابهم وسننهم فيكون

اكثر علما فكون افضل لقوله تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يمكن تخصيصها بالفعل

بلا مثل انا نقر ان جبرئيل عم اعرف بحقائقها الحاصلة ولكن لا يمتنع ان ياتي هو اكثر ثوابا فافضل منه والجواب

ان كون المعلم من جهة كونه معلما افضل من المتعلم وقت التعليم وان كان هو المعلم ممكن بحيث يصير المتعلم

في مقام او وقت اخر اعلى وافضل من المعلم ولا نم ان الملائكة اعلم من البشر في معرفة الاشياء ويحتملها

بدليل استفادتهم علوم الاسماء من آدم ع كما في قوله يا آدم انبئهم باسمائهم ثم لو سلمنا زيادة علمهم ولكن ذلك لا يقتضي

كثرة الثواب لا فضيلة على الاختلاف في الجملة ولا نم ان اخلاص الملائكة اكثر في اكثر الاحوال حتى يكون زيادة العلم المتعلق

باحوال

باحوال المبدأ والمعاد مقتضية زيادة الشرف والثواب بحيث صرف فان هذا النحو من العلم انما يحصل فهو علة للشرف

والثواب وكان الاخلاص من لوازمه الغير مرة فلا حاجة الى التقييد بها والاولى في الجواب الاكتفاء بمنع كون

الملائكة اكثر علما فيما يتعلق باحوال المبدأ والمعاد من الانبياء ع التاسع عشر قوله تع ومن يقل منهم اني

اله من دونه فذلك نجزيه جهنم دلت الاية على انهم مع علو الرتبة الى انهم لو خالفوا امر الله لما خافوا لان

بادعاء الالهية لا يشتري اذ هو ميل متابعة الشهوات وذلك يدل على انها بدرجاتهم واجيب بان علو درجتهم في القوة

والجلالة والبرية عن آفات الشهوة مسلم لكن الخلاف في كثرة الثواب والشرف ولا يقول النبي ص رواية

عن الله تع واذا ذكرني عبد في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه وهذا يدل على ان الملائكة العلوية اشرف وانسب

بوجهين احدهما انه خبر واحد لا يعول عليه في الاصول وثانيهما ان هذا يدل على ان ملاء الملائكة افضل

من ملاء البشر وملاء البشر وعندهم عبارة عن جميع العوام لا الانبياء فلا يلزم من كون الملائكة افضل

من عوام البشر كونهم افضل من الانبياء ع اولى هذا الخبر وان كان آحادا الا انه يعم انضمام سائر الاخبار

والآيات يؤثر تاثيرا عظيما في كون الملائكة افضل من البشر وايضا مؤيد بما ذكره الشيخ محيي الدين الاعرابي في الفتوحات

وهو عند نا من اهل المكاشفة انه سال رسول الله صم عن ذلك في الواقعة فقال له ان الملائكة افضل فقلت

يا رسول الله فان سئلت ما الدليل على ذلك فما اقول فقال اعلم اني افضل الناس وقد صح وثبت عندكم

وهو صحيح اني قلت عن الله انه قال من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وكم

ذاكر الله تع في ملاء انا فيهم فذكره الله تعالى في ملاء خير من ذلك الملاء الذي انا فيهم فما سررت بشيء مثل سروري بعلم

المسألة انتهى ويعلم من كلامه تفضيل آحاد الملائكة على آحاد الانبياء لا المجموع على المجموع فقط فهذا اخر الكلام

في الدليل النقلية في ترجيح الملك وما فيها وسنشير الى بيان التحقيق في هذه المسألة من جانب الانبياء

على معنى لانا في امثال هذه الاخبار والآيات المذكورة فصل في حجة القائلين بفضل الانبياء ع وهي

من وجوه الاول هو الظاهر ان الله امر الملائكة بالسجدة لادم ع ونبينا لم يكن كالقبلة بل كانت السجدة في الحقيقة

له وهي غاية التواضع وتكليف الاشرف بغاية التواضع للادنى مستقبح في العقول فدل ذلك على ان آدم افضل

منهم واجيب تارة بما قال بعض الناس كما سبق ان المراد من السجود هو التواضع لا وضع الجبهة على الارض وتارة

كما سبق وتارة كما سبق ايضا بان السجود منهم وان كان بوجه المعنى لكنه كان لله لا لادم وكان آدم كالقبلة للسجود

وتارة بان السجود وان كان لادم لكن مع ذلك لا يدل على كونه افضل واشرف منهم وذلك لان الحكمة قد تقتضي

ذلك لكن امر بحمد الاشرف واظهار الانقياد وطاعته فان السلطان ان يعظم اقل عبيده ويامر الاكابر بخدمته

اظهارا لكونهم مطيعين له في كل الامور منقادين له في جميع الاحوال فلم لا يجوز ان يكون الامر ههنا كذلك وتارة

بما ذهب اليه اكثر المتكلمين من نفي الداعي وسلب التعليل فعل الله وعدم الاعتراض عليه في خلق الكفر والضلالة

في الانسان وتعذيبه ابد الآباد فيجوز عليه تقديم المفضول وترجيح المرجوح وعلى هذا الاصل مبنى كثير من قواعدهم

فليكن هذا حجة لنا اولى لغيره من مرارا وثانيها ان ادم عم كان اعلم والاعلم افضل وقد مر بيانه واجيب بعدم تسليم كونه اعلم
منهم غاية الامر انه كان عالما باسماء اللغات وهم ما علموها وتعلمهم كانوا عالمين بسائر الاشياء مع انه لم يكن عالما
بها سلمنا انه كان اعلم منهم ولكن لم لا يجوز ان يقال ان طاعتهم اكثر اخلاصا من طاعة ادم عم فلا يجوز كان ثوابهم اكثر
اول القدر انه القول امتثالا لحملة الثواب والمنزلة عند الله تعالى جميع الخيرات والعبادات اذ الوثوق في نوع
العقل واعداده لنور المعرفة بالله وآياته وانما هي من قبيل البعث وشعب الوقت وثالثها ان الله تعالى
جعل آدم عم خليفة في الارض والمراد منه الولاية لقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس
بالحق ومعلوم ان اعلى الناس منصبا عند الملك من كان قائما مقامه في الولاية والتصرف وخليفة له فوجب ان
يكون آدم اشرف الخلائق وهو انما اكد بقوله وسخر لكم في البر والبحر ثم اكد هذا التعميم بقوله خلق لكم ما في الارض
جميعا فبلغ آدم في منصب الخلافة في اعلى الدرجات خلقت منه لبقائه والاخر مملكة الجزائر وطاعة الناس
بسبب التكبر عليه والخروج عنه والملائكة في طاعته وسجوده والقوا انفسهم له ثم رضا بعضهم حافظين له ولذريته وبعضهم
منزلين لذكره وبعضهم مستغفرين لهم لانه لا ترى منزلة اعلى من هذه المناصب الرفيعة ولو شاء زيد فاذا لا غاية لهذا
الكمال والجلال واجيب عنه بان ادم انما جعل خليفة في الارض فهذا يقتضي ان يكون اشرف ما في الارض من الحيوانات
والنباتات والجمادات فلم لم يحصل لواحد من الملائكة خليفة فيها قلنا لوجوه منها ان البشر لا يطيقون رؤية
الملائكة ومنها ان الجنس اميل ومنها ان الملائكة في غاية الطهارة والعصمة والبراءة عن النقائص وهذا هو المراد
من قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ورابعها قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
والعالم عبارة عن كل ما سواه كما تقدم من انه مشتق من العلم او العلامة فمقتضى الآية ان الله اصطفاهم على
المخلوقات والملائكة من المخلوقات فكانوا افضل من الملائكة واعترض بانه منقوض بقوله يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين فانه يلزم ان يكونوا افضل من محمد صلعم واجيب عنه بان
هذا الخطاب كان قبل وجود محمد صلعم ولم يكن موجودا حينئذ فلا يلزم ان يكونوا افضل منه بل اصطفاهم الله على الملائكة دون محمد صلعم
وانه مخصوص من تلك الآية وقد دخلها التخصيص بقيام الدلالة واما هنا فلا دليل يوجب ترك الظاهر فوجب
اجراؤها على ظاهرها في العموم وخامسها قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين فكان محمد صلعم
رحمة لهم فوجب ان يكون افضل منهم واجيب بان كون محمد صلعم رحمة لهم لا يلزم منه ان يكون افضل منهم كما في قوله فانظر
الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ولا يمتنع ان يكون رحمة لهم من وجه وهم يكونون رحمة له من وجه
وسادسها ان عبادة البشر اشق فوجب ان يكون افضل بيان كون عبادتهم اشق لوجوه منها كثرة الموانع
لهم الى الطاعات وكثرة الدواعي والاشواق فيهم الى المعاصي والقبائح الحاصلة عن القوى الشهوية والغضبية والمعاصي
والمبالغة بكثرة الدواعي والشهوات يكون الطاعة عليها اشق ومنها ان شبهاتهم اكثر فالحجب عنهم ويلحقهم
اكثر فاحتاجوا الى الاستدلال والاجتهاد ومنها ان الشيطان مسلط على البشر بالوسوسة جار فيهم مجرى الدم

ولا سبيل

ولا سبيل الى وسوسة الملائكة وذلك تفاوت عظيم في المشقة فاذا ثبت ذلك كانوا اكثر ثوابا من الملائكة
لقوله عم افضل العبادات احمزها واجيب بما مر من ان ملاك الامر في باب العبادة ومعظمه الاخلاص دون المشقة
لما نرى من كثرة المشقة في عبادات جهال المتصوفة وتمرّن رياضات كفرة الهند وبعض الملاحدة مع ما تقلهم عنها
ان من تلبسهم خبيثة دنية وسابعها ان الله خلق الملائكة عقولا وخلق البهائم شهوات بلا عقول وخلق آدم
وجمع فيه الامرين فصار الآدمي بسبب العقل فوق البهيمة بدرجة لا حد لها فوجب ان يصير بسبب الشهوة دون الملائكة
ثم وجدنا الآدمي اذا غلب هواه عقله حتى صار يعمل بهواه دون عقله فانه يصير دون البهائم فوجب ان يقال انه اذا
غلب عقله هواه حتى صار لا يعمل شيئا الا بمقتضى عقله ويجتهد لا بمقتضى نفسه وهواه ان يكون فوق الملائكة
اعتبارا لاحد الطرفين بالآخر واجيب بان هذا جمع بين الطرفين من غير جامع وثامنها ان الملائكة حفظة وبنو آدم
محفوظون والمحفوظ اعز واشرف من الحافظ فيجب ان يكون بنو آدم اشرف من الملائكة والجواب المنع من كلية هذه
الدعوى فان الامير الكبير قد يكون موكلا على المتهمين من الجند وتاسعها ما روي ان جبرئيل اخذ بركاب محمد صلعم
حتى اركبه البراق ليلة المعراج ولما وصل الى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال لو دنوت انملة لاحترقت واجيب
بان ذلك خبر واحد وعاشرها روي انه عم قال ان لي وزيرين في السماء واشار الى جبرئيل وميكائيل واجيب بالمنع من ثبوته
وصحته فصل في وجوه عقلية ذكرها واعتمد عليها الفلاسفة القائلون بان المتقدمين من الارواح
السماوية المسماة بالملائكة افضل من الارواح الناطقة البشرية واكثر تلك الوجوه مما مر ذكرها في وجوه القائلة
ونحن نذكرها مع غيرها والجوابات المذكورة عنها زيادة في الاستيضاح وتتميما للاستقصاء بها وبما فيها فالاول ان الملائكة
بسائط الذوات مبرأة عن التركيب والآفات والبشر مركب من النفس والبدن والنفس مركبة من القوى الكثيرة والبدن مركب
من الاجزاء والاعضاء والمركب معلول البسيط وانما العدد لا اكثر ولذلك كانت الفردانية من صفات الربوبية
وعورض بان المجمع للروحاني والجسماني والثاني ان الجواهر الروحانية مبرأة عن الشهوة والغضب اللذين هما منبع السفاد
وسفك الدماء والخالي من الشر مطلقا او البعيد عنه افضل من المبتلى به الثالث انها برية من الطبيعة القوية
الاستعدادية كل ما كان ممكنا لها حاصل لها بالفعل في شخصها فتخرج الى الفعل والانبياء عليهم كذلك وهذا
ثم اصلي لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام الذي خرج كله الى الفعل افضل
الفعل ارفع بالقوة الرابع ان الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس البشرية ليست كذلك
الخامس ان الروحانية علوية لطيفة والنفوس البشرية العنصرية ظلمانية سفلية كثيفة فاين احداهما من الاخرى السادس
ان الارواح تفضل بقوة العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على ان الارواح السماوية محيطون بالمغيبات ولا
علومهم فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار
لا يفترون السابع ان الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وقوام ليس من القوى المزاجية حتى يعرضها
الكلال واللغوب وتلك ترى الحاملة اللطيفة من النبات في بدو نموها تفتق الحجر وتشق الصخرة الصماء وما ذاك

وما ذلك الا لقوة بنائية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر انفسها والارواح السفلية
ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر منهم
يصرفون قويها الى النظام العالم السفلي الا بما هو خير لهم الثامن ان الملائكة لهم اختيارات فايضة عن انوار
جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه
باعانة الملك على ما ورد في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه التاسع ان الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح كنسبة الابدان الى الابدان ولما كانت اختلافات احوال الافلاك
مبادي لحصول الاختلافات في هذا العالم فيجب ان يكون ارواح العالم العلوي مستولية على ارواح العالم السفلي
بل يكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاثار ومن هنالك المتابع والمعادن فكيف يليق بالعقل دعاء المساواة فضلا
عن الزيادة العاشر الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعاد لها منها نزلت فتوسخت باوساخ
الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق والتزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشي ومصعده اشرف منه المبدا
واليه المنتهى الحادي عشر ان الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي البالغ الملائكة يعينونهم في المضايق ويهدونهم
الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة نوح من نجر السفينة فمن اين يكون تفضيل الانبياء
مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامر الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خير محض وهم
الملائكة او شر محض وهم الشياطين او خير من وجه شرير من وجه وهم البشر يحكم بافضلية الملك
وكذا التقسيم بالناطق المايت وهو الانسان والناطق غير المايت وهو الملك والمايت غير الناطق وهي البهائم
يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل خلاف القسمة العقلية ونزاع في ترتيب
الوجود واما الجواب عن هذه الوجوه من جانب القائلين بتفضيل الانبياء صلى الله عليهم وعلى الملائكة فعن
الاول ان المنتج للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل من الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر
مسجود الملائكة وعن الثاني بان تطهرهم مع كثرة العوايق وموانع الاخلاص وانهم من الجن ان درجتهم حين
قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما ذلك الا
بسبب التكميل الحاصل من آدم وهو ان البشر اكثر ولهذا قال صاحب كتاب عن ربه انين المذنبين احب الي من
زجل المسبحين وعن الثالث بان بعض الامور فيها افعالها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل
استخراج التعقلات من القوة الى الفعل كالتحريكات التعليمية لارواحنا الحاصلة لقوى الفكر والتخيل
اقول هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية
والرابع بانه لا يلزم سبق الوجود الا القدر ولئن سلم انها وان كانت متكثرة الوجود فهي ولجهة الوجود بمبادئها
عوض عما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية ايضا الشبيهة بمبادئها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحون
بجملتهم الا ان الميل الاولي امرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد فلما تعلقت بها استحكم العلائق

فبعث

فبعث من تلك الظلال اشرفها واكملها الى هذا العالم ليحتال في تخليص تلك الارواح عن حبائل الكثافة وهذا اكثر المراد
من باب الحمامة المطوقة من كتاب كليلة ودمنة والخامس بان الشرف ليس بالمادة وانما هو بالقرب من رب العالمين
والانقياد له والسادس بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كالتذاذ المبتلى بالجوع فلذة يكون
لذة الملائكة بالعلم والعمل كلذة البشر لعروض الغفلة لهم في اكثر الاوقات بسبب العلايق الجسمانية والحجب الظلمانية
فهذه المزية مما يختص به البشر ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكون الحرارة
في الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور بها فهذه اللذة تعادلها ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغيرها من الانسان
لعدم الاستعداد ومكان الانسان لها بالمرصاد واجيب عن السابع بان الايمان لا نعم من ان يتفق نفس ناطقة مستولية على
العنصرية بالتقليب والتصريف وصلة الذم بمجاهدات يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون اجرهم وجزاؤهم اعظم وعن التاسع
بان لا مؤثر في الوجود الا الله عندنا اقول القائلون بانه لا مؤثر الا الله انما هم الاشاعرة والقائلون بالعلة والمعلول لا معنى
لهم ومعهم للخوض في المعقولات اصلا واما جماعة من المحققين القائلين بترتيب الوجود فهذا الجواب لا يضر اذ المتقدم في باب
الوجود خير من المتاخر فهو وعن العاشر بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد وبعثها في الجاود المعاد ودون ذلك خرط
القتاد وعن الحادي عشر بان اهل الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون الشي واسطة افضليته وعن الثاني عشر بانه كلام خطابي
وبما اعتمدوا عليه اعراض كلامه في كثرة الثواب فهذا تمام ما وجدناه من كلام الفريقين في هذا المقام ولنشر الى ما هو الحق
تم هدانا الله بفضله بهيا الفصل المستام فصل في تحقيق الحق وكيفية المفاضلة بين الملك والبشر وبيانه موقوف
على ذكر اصول الاول ان اصول الموجودات هي الجواهر دون الاعراض واصول الجواهر هي المجردات التي هي من عالم الامر دون
الماديات والجسمانيات التي هي من عالم الخلق واصول المجردات هي العقول المسماة بالارواح الكلية دون النفوس سواء كانت
سماوية او ارضية واصول الارواح الروح الكلي الذي لا واسطة بينه وبين الحق فهذه اصول الموجودات ولا موجود خارج
عن هذه الاجناس فما يتفرع عليها الاصل الثاني ان كل ما هو اقرب في سلسلة العلة والمعلول الى واجب الوجود فهو اشرف
واكرم لان فيض الوجود الفايض منه تعالى على كل موجود يصل اليه اولا ثم يمر منه الى ما هو ابعد منه فلا يصل الى الاقرب من العقول
ان الخسيس اكثر تأثرا بامر الشريف الى قوله من العقول الخسيس لا يمكن ان ينتقل جوهره من الخسة الى ان يصير اشرف من الشريف
الاصل الثالث ان الانسان وان كان بحسب صورته البشرية نوعا واحدا من جملة انواع الحيوانات متفق الاشخاص في تمام حقيقتها
الموجبة لا تحت قوة النفسانية للصورة بالصورة الباطنية الاخروية فالانسان يصير انواعا كثيرة مختلفة الحقايق تحت الغرض جملة
من جنس الملك وبعضها من جنس الشيطان وبعضها من جنس السبع وبعضها من جنس البهيمة وبعضها ما هو اسفل من البهيمة وبالجملة
ما من نوع من انواع الموجودات من اعلاها الى ادناها الا ويمكن ان ينقلب اليه بعض الاشخاص الانسانية كما قال تعالى ان
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية
الاصل الرابع ان الموجودات كما هي مترتبة في سلسلة النزول الايجادي الصدوري من الاعلى فالاعلى الى الادنى فالادنى فهي
المادية الجسمانية كذلك مترتبة في سلسلة الصعود الاعدادي من الادنى فالادنى الى الاعلى فالاعلى في سلسلة الابداع والافاضة

كلما كانت اقدم في الوجود فهي اشرف وافضل وفي سلسلة التكوين والاعداد والغايات كلما هو اخر فهو اشرف ولان الكائنات
الابداعية بكمال وجودها منفصلة راشحة بالخير الدائم على ما دونها والاكوان الحادثة متوجهة في الاستفاضة بحسب اقتضاء جوهرها
سالكة في طلب التمام والكمال الغايات بها وقد ثبت ان للاشياء الطبيعية غايات ولا يخرج موجود ناقص الا وفيه وديعة الله
الطبيعية تحركه او شوقا جبليا يسوقه الى طلب الكمال وتوصله الى الغاية والتمام ولهذا جزم الحكماء الالهيون بسريان نور
العشق والشوق الغريزي في جميع الموجودات فما موجود الا وهو عاشق له او مشتاق متحرك اليه او ساكن واقف لديه
وكل شيء هالك الا وجهه واعلم ان هذه القشور الكثيفة وان كانت خسيسة في الغاية شبيهة بالعدم لكن اعادة ترتيب الحدوث
من جهة الخسيسات الزائلة الى العقليات الدائمة ليس الا صعود من اسفل الخلق والاثر الى ابدا اثر بابا في عروج العقليات الدائمة
الى الخسيسات الدنيئة وليس القشر الكثيف مع ان شانه في الاظلام والبرد والكثافة يمتنع عن قبول الاثر من الجوهر اللطيف بل
الارضي منه مكنت للاشتغال والاستحالة واشتدت قوتها بمبالغة الاثر الفاعلها بما ثم قوة الشمس فيها واثرها
عليها يستجلب اللطائف ويصير مادة للغذاآت والاقوات منشأ لتوليد النبات ولو كان القشر الكثيف ممتنعا عن ذلك
الى اللطائف او مصيره مادة لتوليد اللباب فيها او منشأ لما كان في جوهره وطبيعته قوة قابلة منفعلة بل لم يكن القشر
من حبوب المخزونة عن ليصير قوتا للحيوانات فلم يكن القشر الاكثر من الاشياء الماكولة ليصير مادة النبات الاصل الخامس
ان الانسان يختص من بين الموجودات بان له ان يتحرك وينقلب من ادنى الموجودات الى اعلاها ويسلك من بعضها
الى بعض ويتبدل من طور الى طور وهو في الحركة الى الكمال الابعد مسافر وفي السلوك الى المعاد والمرجع اعظم قوسها المرجع
ذات ابتداء وحركته ادنى ولشرح ابتداء حركة غيره وانتهاء رجوعه اعلى وارفع من انتهاء رجوع الكمال فالانسان يتقوى
اولا بصورة خسيسة ادنى من كل خسيس شبيه باخذ الاستحالة والانابة والرجوع ويتقوى بصورة شريفة متعاقبة
حتى يصير اشرف الشرائف واحسن الحسنات من افضل الممكنات وسبب ذلك ما يذكره الان وهو هذا الاصل السادس اعلم
ان منشأ انتقال الموجود من وجود ادنى الى وجود اعلى استعداد لانحطاط والغريزة انما هو ضعف الصورة ونقص
وغاية الفاعل وقد مر ان جميع الموجودات كلها طالبة للكمال والذي يسكنها عن طلب الكمال الطبيعي ويوقفها عندما كمل
ما لها من الكمال بالفعل وغلبة ما بالفعل مما يبطل الاستعداد لاجل الذي هو بالقوة الا ترى ان اجرام الكواكب السماوية
لتمامية صورتها لا يصير مادة لصورة اصلا ولا عنصر المركب سماوي او ارضي ولا اجساد الشمس مستعدة تقبل
والانفطار ولا الانشقاق ولا الاحتراق ولا الانهدام بفضله الدنيا وبدل العالم الادنى وخراب الجاسوس واستحالتها الى النشأة الاخرى
يوم طي السماوات وانشقاق القمر وانطماس نور الشمس وتكويرها وتبهم الكواكب وانطلاقها في ذلك اليوم او ليس من ايام
الدنيا ولا ايم يصير واحد منها موضوعا لاعراض مختلفة متضادة ولا لصفات متبدلة مستحيلة الا انما هو ضعف
الاعراض من بلب الوضع الذي فيها قوة قبول الضعف لاعراض المادة تكون صورتها اقوى الصور الجسمية وان اجرام
العناصر فصورتها الطبيعية تصير مادة لصور هي اكمل من صورتها وموضوعا لاعراض قارة وكيفيات تشتد
وتضعف فيحصل من موادها صور معدنية ونباتية وحيوانية ونوع الانسان من جملة انواع الحيوانات ولكن

متميزا

متميزا عن الكائنات بصورة حيوانية شريفة الا انها اضعف صور الحيوانية وافراد البشر يكون ضعيف الجوانية
في باب جودة الحس والحركة لا يمكنها الاكتفاء في الملابس اهابا طبيعيا يحفظه عن الحر والبرد ولا في باب اصلاح الطعام
وانضاجها بمطبخ طبيعي كالمعدة والكبد بل يحتاج في كل ذلك الى معاون خارجي وهذا الضعف قوى الحيوانية
وخلق الانسان ضعيفا وهذا الضعف هو منشأ الانتقال والارتحال من حالة الادنى الى الحال الاعلى وبهذا يستعد
ينتقل من مقام الحيوانية الحسية الى مقام الملكية العقلية وان تأملت ما مر في احوال الموجودات لوجدتها
اما واقفة في مقاماتها التي لها او بطيئة في توجهها الى نحو الغاية المطلوبة والسالك السريع الحركة نحوها منحصر في بعض
افراد الناس اما الملائكة المقربون فلا حاجة لها الى الاستكمال والحركة نحو الكمال لانهم دائمة القرب والوصول الى معبودهم
الاعلى جل ذكره واما الملائكة السماوية فلكل منهم مقام في العبودية الدائمة لا باعث لهم في الخروج عما هم عليه لدوام اشراقاتهم المتوالية
دون احوالهم ووفور ابتهاجاتهم ولذاتهم كاحوال اهل الجنة في طبقاتهم ومنازلهم ومقاماتهم واما الشياطين فلمقوم
نارهم ورسوخ انانيتهم وحب رياستهم لم ينقادوا للعبودية والانكسار ولم يتغيروا عما فطروا عليه من الاستكبار
ويقرب من حالهم احوال الجن وان كان بعض منهم اخيارا مسلمين الا انهم كلهم مخلوقون من مارج من النار اقوى العناصر
عن قبول التأثير واما الجمادات التي هي واقفة في حدود المادة الانسانية فهي اما قريبة الجمادية كالاحجار والياقوت
فلصلابتها لا ينقلب الى غيرها واما ان يكون ملازم الجوهر لصورة اخرى لكنها ما قبلت صورة صلبة توقفت عندها
فهي صعب الانقلاب الى غيرها وكذا الحكم في سائر النباتات والحيوانات واما الانسان الذي خلق لبلوغ النهاية فهي ابدا في الحركة
والرجوع والانابة والسلوك لكونه بين صرامة القوة ومحوضة الفعلية والمجازفة الذي فضلوا الملائكة على
كالقابلية وغيرهم جعلوا اشتمال الانسان على القوة والنقصان منشأ انحطاط درجته عن درجة الملائكة وهذه
الصفة بعينها يصير منشأ لان يتفضل عليهم ويتجاوز عن مراتبهم الاصل السابع ان كل ما يتعلق بالبدن سواء كان
صورة او نفسا حيوانية او فلكية فهي مصحوبة بالقوة والاستعداد محتاجة الى جوهر ما قبل يكملها ويخرجها
من القوة الى الفعل وكما انها عبارة عن صورتها عقلا وعاقلا بالفعل ومعقولا بالفعل وكلما هو عاقل
بالفعل فيصير كل الموجودات لان كل موجود من شانه ان يعقل فهي اما بتغيير من جانب المعقول كالصور المادية المعقولة
بالقوة المحتاجة في ان يصير معقولة بالفعل الى مغير يغيرها او مجرد يجردها ويخرجها من المادة واما بتغيير من جانب العاقل
اذا كان عاقلا بالقوة فيحتاج الى حركات فكرية يتأدى من بعض الصور الخيالية الى بعض حتى ينتهي الى المعقولات الحقة
كالعقول القادسة وما فوقها فكل ما هو كامل بالفعل فلازمه ان لا يخلو عنه شيء من المعقولات بل يجب ان يكون شيئا واحدا
بسيطا هو صورة الكل ووحدة ومثل هذا الموجود يجب ان يكون مكمل النفوس ويجب ايضا ان لا يكون المتعلق بالبدن
سببا لتكميل النفس لا على سبيل الاعداد والتعليم البشري دون الافاضة والتكميل العقلي
من البشر اذا حاول التعليم بعد نفس المتعلم لان يقبل ما يلهمه المعلم العقلي الروحاني الذي هو عقل بالفعل ويفيض عليه
الغيب كالمعلم الحقيقي ولو كان المتعلق بالبدن ما دام كذلك سببا مفيضا على النفوس صورا عقلية لكان متساوي

الى الكمال وكيف يكون من تعلق ببدن خاص وتحول متوسط الاثر وفواء متساوي النسبة الى جميع خلايق اجمعين خاصهم
وعامهم اولهم وآخرهم ثم انتهاء النفوس الانسانية بكونه اصالة الى نفس شريفة هي كمالها واقبلها للفيض العالي
العقلي ثم الالهي بحيث يكون وهو بعد في عالم البدن صارت متجاوزة بحيث فيكا انفصاله عن المبادي بل اصل المبادي
عن حدود النفوس الى حدود العقول بل الى الطبقة العالية منهم لا بما هي نفس ولا من حيث ما هي في هذا لا من حيث الوجود الدنيا بل من حيث
المقام العقلي الذي تنقلب اليه بعد الخروج عن زمان هذه المقابر الحسية وبالجملة قد يكون من النفوس الانسانية
ما قد انقلبت باطنها الى رتبة العقول صارت عقولا بالفعل بمعنى انها متى خرجت من قالب هذا الادنى وصلت
الى مقامها الاعلى وهي هذه العقول الانسانية ما هو افضل الا فاضل ومقامه اعلى المقامات العقلية وقوته
القدسية اشرف القوى القدسية يكاد زيت قوته القدسية يضيء ولو لم تمسسه نار العقل الفعال
فلما استنارت صار نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء كما قال جل اسمه يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الاصل الثامن ان الموجودات الممكنة الصادرة عن الحق لابد وان يقع
منها سلسلتان سلسلة البدو والصدور وسلسلة العود والرجوع ولابد ان يكونا متكافئتين عكسا اما سلسلة
البدو فهي لا شبهة في تحققها وحصولها عن المبدا على شبهة الامر الابداعي لعدم ابداء عطل الامساك والتعطيل
واستحالة تحقق المتضادات الدافع للجود المانع عن الخير ولا فاضة فيصدر منه الاشرف فالاشرف في الترتيب العددي
فيها يقتضي ان يكون كلما هو اقرب الى عالم الصور والقشور والاجسام فهو ابعد من الحقيقة الاحدية والهوية
الصمدية لان تلك الحقيقة حقيقة الحقائق ومعنى المعاني كلها كما قال بعض ... واطهر فيها على اختلاف
الاعتبارات والاضطلاحات هي العين الواحدة المسمى عند بعضهم بالعقل الاول المعبر عنه بالحقيقة المحمدية
والاسم الاعظم والعقل الكلي وعالم العقول ثم النفس الكلية وعالم النفوس المجردة المدركة للحقايق الكلية بالذات
اي سور العقل الكلي والجزئيات بالالات اي بوابا للحواس ثم النفس الخيالية المجردة عن الاجسام لا عن الاجرام
ثم النفس المنطبعة المدركة للجزئيات بذاتها المثالية ثم قواها المنطبعة ثم النفوس النباتية من حيث حقايقها
ونوعيتها الطبيعية ثم الجواهر المعدنية من تلك الحيثية ثم الصور العنصرية ثم الهيولى التي هي اخس الجواهر
وادونها ومنها يتباعد الوجود بعد تنزلها الاقصى واما سلسلة العود والرجوع الى الكمال بعد الهبوط
الى انزل المنازل والاحوال فوجودها ايضا محقق لا شبهة فيه بناء على ما ذكرنا من ان التوجه الى الغايات في
جبلة كل ناقص وان كل حادث من الحوادث كما لابد فيه من فاعل وهيولى وصورة كذا لابد له من غاية والكلام
في غايته كالكلام في نفسه قطعا متغايرة اخرى ولا يتسلسل الغايات القاسرة الى غير النهاية بل ينتهي الى غاية لا غاية لها
ويجوز في الغايات العرضية التعاقب الغير المنقطع الى غاية اخرة عند جمهور الفلاسفة كما يجوز ذلك عندهم في الروابط
الوضعية المسماة بالمعدات ولكن كلامنا في الغاية الذاتية التي وجد الشيء لاجلها وهي التي تقدمت على المعلول
في التصور العلمي وتاخرت عنه في الوجود العيني عند ما يقع المعلول تحت الحركة والكون اولم يكن التصور العلمي او عين ...

العيني

العيني واما ثانيا ما ارتفع وجوده عن عالم الحركات والانفعالات فالغاية له سابقة عليه علما وعينا فللموجودات الصورية
ما يجب ان يترتب بعد بابا ذاتيا رجوعيا غائيا على عكس الترتيب الذاتي الابتدائي الفاعلي من الادون الى الاعلى فالوجود مقتضا عنه
في الترتيب ظهر اولا في المعدن ثم في النبات ثم في الحيوان ثم في الانسان والصورة الانسانية اخر المعاني الجسمانية شبه
واول المعاني الروحانية كالبرزخ الجامع بين العالمين وهي باب الله المؤدي الى عالم القدس والرحمة وهي آخر باب
السور حاجز بين النار والجنة وبعد مرتبة الانسان البشري مراتب كثيرة في الصعود حتى يبلغ الرجوع الى النهاية
واعلم ان النفوس الانسانية كما انها تكون متفاوتة في النهاية كذلك كانت متفاوتة في البداية واختلافها من اختلاف
معادنها الاصلية الناس معادن كمعادن الذهب والفضة كما اخبر عنه سيد الانبياء عليه وآله الصلاة والسلام وقد
خلق الله كل نفس معنى مخصوصا وقوة محركة مخصوصة تحركها الى محلها الاصلي ولا يقف بها دونه قال الله كما
بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال الله قد علم كل اناس مشربهم وحركات الجوارح آثار
تلك المعاني الحركة التي اودعها القدرة في النفوس انما هي الحكاية والاظهار الكمال المرجح فالنفوس التي لا يكون بينها
وبين الاول الحجاب والوسائط تنجذب الحجاب طبعا كانجذاب الحديد الى المقناطيس من غير تنافر ولا تحتجبهم
ويحبهم كناية عن هذا الجذب فلا ينجذب الا تلك الا تلك قوله تعالى الله يحبهم كناية عن الطرد والدفع عن جناب القدس
الى جناب البعد وبالجملة نهاية كل واحد رجوعه الى البداية والى هذا المعنى اشار العارف الرباني صاحب منازل
السائرين عبد الله الانصاري الهي تلطفت لاوليائك فعرفوك ولو تلطفت لاعدائك لما جحدوك فحكم النفوس
التي لم يكن بين معدنها وبين الاول الا حجاب واسطة ان يعرفها ويصلها اليها راجعين راضين مرضيين واما
النفوس التي بينها وبين الاول حجب الحق ووسايط القدرة فيحترزون الى الطبقات بحسب المراتب في الصعود
والهبوط ولكل درجات مما عملوا وربما صارت بعض النفوس اخس مما كانت في اول الامر فيكون مرجعها الى المهاوي
النازلة وليس هذا الموضع محل بيانه فاذا تمهدت هذه الاصول فنقول قد تبين وانكشفت ان الانسان يمكن ان
يبلغ في رجوعها ما يرتفع من الملائكة اذ كما ان للملائكة طبقات متفاوتة في الوجود النزولي واشرفها الطبقة الاولى
المهيمنة التي هي باصطلاح الحكماء المسمى بالعقول الفعالة فكذلك للانسان درجات متفاوتة في الصعود الى الله تعالى
واكملها درجة الارواح النبوية التي هي عقول بالفعل وعند القيام الى الله لها كون في عالم العلوم العقلية ومكانه المشهور
شفعاء الخلايق الى الله وكما ان اول الارواح العقلية بلا واسطة في الترقي بينه وبين الله كذلك آخر الارواح البشرية
من لا واسطة بينه وبين الله كما قال لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا الا يتاتى كون جبرئيل او غيره
من الملائكة معلما له في بعض الاحوال كما علمت ان الانسان ذو نشات متفاوتة وفي جميع ما ذكرنا من الدلائل الدالة على تفضيل
الملائكة على البشر حق وصدق ولا ينافي كونه اشرف منهم في آخر الامر وخرق المقامات بين المقامات بين الملك وبين آخر مقام
الانسان وان يعتبر مع كل صنف من الملك صنف من الناس الذين يكونون بازائهم ويقعون في عالمهم وكما ان الملائكة
انواع كثيرة بعضهم ملائكة العلوم وبعضهم ملائكة الانهار وبعضهم ملائكة الجنة والرحمة وبعضهم ملائكة النار والعذاب

كان بانيه وكمال بيتهم منازلهم [illegible] فكذلك اصناف البشر بعضهم من اهل العلم والمعرفة والقرب وبعضهم من اهل العمل
فمنهم مطيعون وهم اصحاب الجنة ومنهم عاصون وهم اهل النار والكفرة بازاء اهل العلم مخلدون في الجحيم فاذا
عرفت التفاضل بين الملائكة والاعمال واصحاب الاعمال من البشر فالفضل للملائكة لانهم اقدر على الطاعات واذا سئل
عن ملائكة العلوم واهل الولاية والنبوة من البشر فالفضل للانبياء والاولياء لكونهم جمعوا بين العلم والعمل وكانوا
متصفين بصفات الخلائق كلها متخلقين باخلاق الله عارفين بجميع الاسماء لانهم كانوا اولا في عالم المحسوسات
والجسمانيات ثم في عالم المتخيلات والمثاليات ثم في عالم الحقائق والمعقولات فلهم الجامعية الكبرى فاستحقوا الخلافة
الالهية [illegible] في عالم الارض لقوله اني جاعل في الارض خليفة [illegible] ولولا انما خالفت [illegible] ثم في عالم
الاسماء لولا انما خالفت [illegible] ثم في عالم الاسماء كلها [illegible] الاعظم الجامع لجميع [illegible] الرسول فقد اطاع الله
وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وبالجملة الانسان الكامل الواصل الى مقام الملك [illegible] ومعه في الشرف
والقرب لكنه اتم [illegible] من الملك باعتبار جمعيته واحتوائه على سائر المقامات ومروره واما ما ذكره العلامة
القاشاني [illegible] من ان الملائكة المقربين باعتبار ارتفاع الوسائط بينهم وبين الله يكونون
اقرب من الانسان الكامل وهو كمال منهم باعتبار الجامعية فليس بجيد [illegible] ويحقق عند جمهور
من الحكماء المتألهين وكشف لذوي [illegible] المكاشفين ان النفس الانسانية [illegible] عن حد
العقل الهيولاني [illegible] بالملكة ثم بالفعل يتحد بالعقل الفعال ويصير هو بعينه في المقام الجمعي المسمى
عندهم بالعقل البسيط الفعال للعقول التفصيلية النفسانية وهذا الاتحاد بين العقل الانساني والعقل
الفعال في المقام الجمعي العقلاني لا ينافي امتيازه عنه بالعادات النفسانية والاخلاق والملكات الحسنة
البشرية المكتسبة بواسطة تهذيب القوى وتكميل الذوات وتبديل الصفات ثم [illegible] العقل الفعال
مكونه [illegible] النفوس [illegible] باذن الله بالحيوة [illegible] غاية اخرة مترتبة على [illegible]
وثمرة حاصلة من شجرة وجودها وهذا امر عجيب غريب [illegible] وهو ما ساقنا اليه البرهان لكنا
بفضل الله العظيم المنان [illegible] في هذه المسئلة ولها زيادة تفصيل ذكرناها في تفسير اية النور
يطلع عليه من اراد ذلك بالمراجعة اليه والله اعلم فصل استدل القاضي بهذه الاية على بطلان قول المجبرة من حيث ان
الله [illegible] ولم يسجد [illegible] قال [illegible] من لم يقدر على شيء لا يقال
له ابى واستكبر [illegible] لم يقدر على الفعل [illegible] لم يفعل والثالث قوله وكان من الكافرين [illegible]
اسناد الكفر الى [illegible] والرابع ان [illegible]
[illegible]
بالمعارضة [illegible] ان كان [illegible] ذلك الفعل عن قصد وداعية [illegible]
[illegible] وهكذا [illegible] الى الالهية [illegible] اثبات الصانع [illegible]

علينا

علينا وان قلت وقع ذلك الفعل عنه لا عن قصد وداعية فقد ترجح الممكن من غير مرجح وهو يسد باب اثبات الصانع
وايضا فان كان ذلك كذلك كان وقوع ذلك الفعل اتفاقا والاتفاق لا يكون في وسعه واختياره فكيف [illegible] وينهى عنه
ثم قال [illegible] القاضي [illegible] الفائدة بالتمسك بالامر والنهي وكذا الوجوه التي [illegible] حاصلها الى حرف واحد وهو وقوع الامر
والنهي [illegible] على [illegible] ان هذا البرهان القاطع القالع [illegible] اصل [illegible] ولم يجتمع الاولون والاخرون على
هذا البرهان لم يتخلصوا الا بالتزام وقوع الممكن لا عن مرجح وهو ينسد باب اثبات الصانع او بالتزام انه يفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد وهو جوابنا اقول [illegible] تحقيق هذا المقام [illegible] على وجه لا يلزم عنه شيء من المفاسد ولا ينافي [illegible]
والمقاصد ولا [illegible] الكلام [illegible] المستقيم السلوك لمن يهتدي بالنور [illegible] المطبع [illegible]
لا [illegible] بالاكثر منه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فصل واما قوله وكان من الكافرين فمعناه كان كافرا
[illegible] مظاهر الصورة الاعمال الحسنة متزينا بالطاعات الظاهرة في مجامع اهل الملكوت حتى اظهر الله ما كان في باطنه
من [illegible] الشهادة من [illegible] والعصيان والجحود والانكار لاهل الله والطغيان والحسد [illegible] والتكبر في العباد
كما هو دأب [illegible] من اهل النفاق والمغترين [illegible] الاعمال الظاهرة في ظلمات الهوى وتيه الجهالة والردى
واختلف الفقهاء في قوله [illegible] كان من الكافرين على قولين احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا
كافرا واستدلوا [illegible] هذا القول [illegible] احدهما [illegible] الاربعين من الشبهات
السبعة على [illegible] بين الملائكة بعد الامر بالسجود والثاني التمسك بقول اصحاب الموافاة وعلى [illegible] اصحابنا
الامامية من ان الجمع بين الكفر والايمان في شخص واحد مستحيل [illegible] لان احدهما يوجب استحقاق الثواب
الدائم والعقاب [illegible] فكذا الجمع [illegible] ان يكون [illegible] للاخر [illegible]
والاول باطل [illegible] فبقي الثالث وهو المطلوب فاذا فرض كونه [illegible] الكفر
علم ان المفروض [illegible] الحال [illegible] الأيمان
المتكلم ان [illegible] الايمان [illegible] استحقاق الثواب الدائم [illegible] الخاتمة
وكذا [illegible] الكفر [illegible]
اصحاب الموافاة [illegible] والايمان الحقيقي ليس مجرد القول باللسان [illegible] بل عبارة عن اعتقاد
مخصوص [illegible] يقينية [illegible] برهانية او كشفية [illegible] العلم الحاصل للنفس بالبرهان [illegible] الزوال
عنها [illegible] بالايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والكتب والرسل [illegible]
التحقيق وكذا الكفر الحقيقي عند التحقيق ليس عبارة عن عدم النطق بالايمان او عدم الاعتقاد فقط او جحود
باطلة [illegible] بل عبارة عن اعتقاد [illegible] الرسوخ [illegible] وقول الرسول
[illegible] الجهل البسيط [illegible] الايمان لا يوجب استحقاق العذاب الدائم بل يوجبه الجهل المركب المشفوع بهيئة نفسانية
وملكة ظلمانية [illegible] فاذا [illegible] ذكرنا [illegible] اصحاب الموافاة

صحيح بصورة على ما يستحسنها ذوق ارباب التحقيق الثالثة ان ابليس كان مؤمنا ثم طرأ عليه الكفر واعلم ان هذا القول استكرهه العارفون
بآيات رحمة الله وكمال لطفه وعنايته وما ينبغي الظن برب العباد وحكمته واحكام صنعه واتقان فعله فان تجويز ان
كان مؤمنا مخلصا لله في عبادته سنين متطاولة واحقابا كثيرة متمادية ثم تغير حاله وانقلب قلبه عما كان مستمرا عليه
من المخافة في تلك السنين والاحقاب المتطاولة بادنى شيء يستلزم ان لا يبقى لاحد اعتماد على اليقينيات والاعتقاد في شيء
من الاصول المثمرة للسعادات فيكون كل اصل من الاصول اليقينية ممكن الزوال جائز الاضمحلال فيكون مدار الاعتقاد
على الظنون والتخمين وبناء الامور على البخت والاتفاق وحاشا الله لا يضيع اجر المحسنين ويثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا والآخرة ولن تجد لسنة الله تبديلا واعلم ان الايمان الحقيقي صورة في نفس المؤمن احكم
واتقن من صورة الشمس والقمر وصورة سائر الاجرام الفلكية الثابتة في الاحكام بين صورة المؤمن وصورة تلك
الاجرام العظيمة الراسخة الشامخة لان تلك صور تمازجها منكشفة التي يوم القيمة واهية يومئذ وصورة
المؤمن قائمة [illegible] ضاحكة مستبشرة ابد الآبدين ودهر الداهرين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في
تفسير قوله وكان من الكافرين فمنهم من قال وكان في علم الله من الكافرين اى كان الله عالما في الازل انه سيكفر فصيغة كان باعتبار
العلم لا باعتبار المعلوم ومنهم من قال انه بعد مضي كفره صدق عليه انه من الكافرين في ذلك الوقت ومتى صدق
المقيد صدق المطلق لان [illegible] المقيد فصدق عليه انه كان من الكافرين ومنهم من قال [illegible]
ابا نزعه عن الاتيان بالسجدة لادم من الكافرين فضلا عن كلمة من في قوله من الكافرين للتبعيض فظاهر الكلام يدل على وجود
قوم آخرين من الكافرين قال البعض في ذلك الوقت ولهذا وقع الاختلاف في ذلك [illegible] ما روى عن [illegible] انه قال
ان الله تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فقالوا لا نفعل ذلك فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك الذين ابوا ومنهم من قال [illegible]
انه صار من الجن [illegible] الكفر بصدور ذلك [illegible] ومنهم من قال ان هذا من باب اطلاق لفرد من افراد المهية
الى تلك المهية وصحة هذا الاطلاق لا يقتضي وجود تلك المهية كما ان الحيوان الذي خلقه الله اولا يصدق
عليه انه فرد من افراد الحيوان لا بمعنى انه واحد من الحيوانات الموجودة في خارج الذهن بل بمعنى انه واحد من افراد هذه الحقيقة
اعم من ان يكون الافراد محققة او مقدرة والحق عندنا ان ابليس اول من كفر بالله واول من سن كل كفر وبدعة ومعصية
وقعت في العالم او سيقع الى يوم القيمة وهذا راى الاكثرين انه هل هو كفر الكفرة واعتقد [illegible] فيه تامل
ثم على تقدير انه كفر الكفرة هل هو اشد الكفار عذابا يوم الجزاء ام لا فيه ايضا خوض تامل من ذي بصيرة ثم اعلم
ان المعصية عند اصحابنا الامامية وعند المعتزلة والاشاعرة لا توجب الكفر واما عند الخوارج فكل معصية كفر وهم
تمسكوا بهذه الآية قالوا ان الله كفر ابليس بتلك المعصية الواحدة فوجب ان كل معصية كفر وهذا الاستدلال في غاية
الضعف اذ على تقدير ان يكون منشأ كفره تلك المعصية لا يثبت به مطلوبهم لانه ربما كان لبعض المعاصي خصوصية
لا يوجد في غيرها على انا نقول ان الكفر لاستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم ولاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد

لانه

خلقت

لانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يكون مأمورا بالخضوع للمفضول والتوسل واستدلالا بوا بان [illegible]
بيدي استكبرت ام كنت من العالين وعلمه تعالى بما [illegible] الطين [illegible] الاصل والفرع في مقابلة النص ثم على القول بانه
كان كافرا من اول الامر مؤمنا فقيل حين اشتغاله بالعبادة هذا الاستدلال ساقط راسا واعلم ان من فوائد هذه
الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر وكونه علامة [illegible] كامنة في النفس باعثة على [illegible]
والانابة والحث على الطاعة والايمان وان لم يعلم سر الامر وترك الخوض في الحكمة وان الامر يكون للوجوب وان الذي
علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة لان علم الله بالاشياء هو عين حقايقها لان العبرة
بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى اصحابنا رضوان الله عليهم فصل اختلفوا في ان المأمورين
بسجدة آدم هل كانوا جميع الملائكة ام بعضهم فالاكثرون على الاول واستدلوا بحجتين الاول صيغة الجمع المحلى
باللام للتعريف يفيد العموم سيما وقد قرنت بابلغ تأكيد في قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون الثانية وجود الا
من جميع دال على ان ما عدا المستثنى كان داخلا في الحكم فقوله الا ابليس دال على ان الملائكة كلهم عدا [illegible]
على انهم كانوا مأمورين بالسجود ومن الناس من انكر ذلك وقال المأمورون بالسجدة هم ملائكة الارض واستعظم
ان يكون اكابر الملائكة مأمورين بسجدة آدم والمنهون من اوائل الباحثين من الحكماء مثل هذا لان الملائكة السماوية
وهي الجواهر الروحانية المحركة للاجرام العالية عندهم يستحيل على اصولهم ان يكون منقادة للنفوس الناطقة [illegible]
فلهذا ذهب اكثرهم على ان المراد من الملائكة المأمورين بسجدة آدم هي القوى البشرية المطيعة للنفس الناطقة
الخادمة اياها طبعا او يكون المراد منها النفوس الحيوانية والنباتية المنقادة للانسان حيث سخرها الله له
بما اعطاه من قوة التسخير اياها والتصرف فيها لمصالح معاشه ومعاده واليه ذهب صاحب اخوان الصفا والحق
ان المأمورين بالسجود والانقياد لادم جميع الملائكة السماوية والارضية كما دل عليه قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ان الملائكة الارضية في وقت ومقام والملائكة السماوية في وقت ومقام آخر فان للانسان درجات
ومقامات بحسب سيره الى الله ما دام كونه في مقام النفس وعدم عروجه الى عالم القدس العقلي فلا ينبغي ان يكون
اكابر الملائكة وهم المحركون للاجرام السماوية مطيعة له لانهم انما يطيعون امر الله وعالم الامر وليس من الافق
العقلية ويشتق قوته الى الاتصال بالملأ الاعلى وهم القاعدون في صوامع الجبروت ومصانع الربوبية ومجامع
الالهية واما اذا خرج عن مقام النفس الى مقام العقلية الصرفة وخلص عن التلوينات والتغيرات الى المرجع والمآب
واستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فحينئذ [illegible] المهيمن [illegible] يطيع له ملائكة السما وطاعتهم [illegible] الاعلى
لانه [illegible] معهم في مقام الوحدة الجمعية والسعادة الكبرى والبهجة العظمى التي يكل اللسان عن وصفها ويضيق [illegible]
والاذهان عن سمعها وفهمها واما الملائكة المهيمون وهم الذين لا تعلق لهم بعالم الاجسام لاستغراقهم بمشاهدة
جمال الاحدية فظاهر انهم خارجون عن الامر بالسجدة لغير الله والانقياد لما سواه ولا يشكل هذا بعموم قوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون لان اطلاق الملائكة على [illegible] الالوكة بمعنى الرسالة [illegible] رسالة من الله

والارواح المهيمنة مقامهم فوق ذلك والدليل على ذلك قوله تعالى استكبرت ام كنت من العالين اى الملائكة المهيمين
بهذا العالم لم يطلعوا على اسرار خلقه وآثار امره قوله جل اسمه وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اعلم ان للانسان الكامل درجات ومقامات في بدايات احواله ومبادي
وجوده كما ان له درجات ومقامات في نهايات احواله وعواقب ماله فاول مقاماته في البداية كونه معلقا في علم الله وقضيته
الازلي بان يكون خليفة لله في الارض وهو مقام عينه الثابت الذي قيل انه غير مجعول وهو مقام مسجوديته للملائكة
وذلك في جنة الارواح وعالم القدس وفيه صور الاسماء الالهية كلها والمقام الثالث هو اول تعلق روحه بالبدن
في عالم السماء بعد عالم الاسماء بواسطة لطيفة حيوانية متوسطة بين الروح العقلاني وهذا البدن الكثيف الظلماني
والانسان بواسطة تلك اللطيفة الحيوانية التي تكون على صورته في عالم الاشباح له ان يدخل دار الحيوان وجنة
الابدان فقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اشارة الى هذا المقام والمقام الرابع هو هبوطه الى عالم الارض
وتعلقه بهذا البدن الكثيف الظلماني المركب من الاضداد المنشا للعداوة والفساد والتحسر والعناد المحجوب عن عالم
المعاد وهذا غاية النزول عن الفطرة الاصلية ثم يقع بعد ذلك الرجوع الى الفطرة والعود الى المبدا بالسير الرجوعي
على عكس السير النزولي وبالخلاص من هذه الهبوط والتبري عن هذا الوجود ورد الامانات الى اهلها والخروج عن كل حول
الله وقوته ففي هذا الرجوع ايضا مقامات ودرجات كما هو مذكور في احوال الآخرة واختلفوا في ان الجنة التي خرج منها
آدم مع زوجته هي بعينها الجنة الموعودة ودار الثواب وجنة الخلد ام هي جنة اخرى غيرها قال بعض العرفاء الجنة التي
يكون الارواح فيه بعد المفارقة من النشاة الدنيا وهي غير التي بين الارواح المجردة لان تنزلات الوجود ومعارجه
دورية والمرتبة التي قبل النشاة الدنيا هي من مراتب التنزلات ولها الاولية والتي بعدها من مراتب المعارج
ولها الآخرية وايضا الصور التي تلحق الارواح في البرزخ الاخير انما هي صور الاعمال ونتيجة الافعال السابقة
في النشاة الدنيا بخلاف صور البرزخ الاولى فلا يكون كل منهما عين الآخر لكنهما يشتركان في كونهما عالما جسمانيا
وجوهرا نورانيا غير متعلق الوجود بالمادة الظلمانية مشتملا على امثلة ما في العالم وقد صرح صاحب الفتوحات المكية
في الباب الحادي والعشرين وثلثمائة من كتابه بان هذا البرزخ غير الاول ويسمى الاول بالغيب الامكاني والثاني بالغيب المحالي لامكان ظهور
ما في الاول في الشهادة وامتناع رجوع ما في الثاني اليها الا في الآخرة وقليل من يكاشفه بخلاف الاول ولذلك نشاهد
كثيرا ما يكاشف البرزخ الاول فيعلم ما يريد ان يقع في العالم الدنياوي من الحوادث ولا يقدرون على مكاشفة احوال
الموتى انتهى واحتجوا على المغايرة بينهما ايضا بوجوه احدها ان هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنة الخلد
وكان من دخلها لم يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وقد خرج آدم وزوجته منها فليست هي جنة الخلد اقول
هذا ضعيف لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للجزاء والثواب والوصول الى الغاية والنهاية واما
قبل ذلك فان كل شيء هالك الا وجهه والثاني ان آدم لو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولما صح قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين اقول انه سبحانه

ذلك

ذلك في بداية الامر وقبل خروج النفس من القوة الى الفعل ممنوع فان الانسان ما لم يقع في دار التكليف والابتلاء
فهو بمعزل عن قبول الوقايع المذكورة الثالث ان ابليس لما امتنع من السجود لعن فما كان يقدر مع غضب الله عليه على ان
يصل الى جنة الخلد اقول كما استحال عقلا ان يدخل ابليس بعد طرده ولعنه الجنة الاخروية كذلك استحال
دخوله في الجنة السابقة الا ان العلماء ذكروا كيفية دخوله انه على سبيل الاختلاس والاجتياز في اوقات قليلة
نادرة كما ان السارق يريد ان يدخل دار السلاطين ويختطف منها شيئا ولذا قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس
من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه الرابع ان الجنة التي هي دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى اكلها دائم
وقوله عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع فلم يخرج منها آدم وزوجته لكنهما قد خرجا منها اقول هذا كالوجه الاول
ويرد عليه شبه ما مر والتحقيق الذي علم الفحول ان الدرجات واحدة بالذات متغايرة بالاعتبار وكذا
جميع بدايات المقامات بالقياس الى نظايرها من النهايات فعليك بحمل اقوال اهل المعرفة واختلافهم واما اهل
الفكر والحجاب فمنهم من قال ان هذه الجنة التي خرج منها آدم كانت في الارض لا في السماء وهو قول ابي القاسم البلخي
وابي مسلم الاصفهاني ومن قال بعض اصحابنا وحملوا الاهباط على الانتقال من بقعة كما في قوله اهبطوا مصرا
ثم اختلفوا وقيل انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه امتحانا لآدم وحمل الاهباط
على الانتقال منه الى ارض الهند واستدل على ذلك بانه لا نزاع في ان الله خلق آدم في الارض ولم يذكر في هذه
القصة انه نقله الى السماء ولو كان تعالى قد نقله الى السماء لكان اولى لان نقله من الارض الى السماء من اعظم النعم
فدل على ان ذلك لم يحصل وذلك يوجب ان المراد من الجنة التي قال الله اسكن انت وزوجك الجنة جنة
في غير الدنيا ومنهم من قال ان تلك الجنة كانت في السماء السابعة والدليل عليه قوله اهبطوا وهو قول الجبائي قالوا ثم
ان الاهباط الاول كان من السماء السابعة الى السماء الاولى والاهباط الثاني كان من السماء الى الارض ومنهم من قال
ان هذه الجنة هي دار الثواب بدليل ان الالف واللام في لفظ الجنة لا يفيدان العموم لان سكون جميع الجنان
محال فلا بد من صرفها الى المعهود السابق الى الفهم والجنة التي هي المعهود المعلوم بين المسلمين هي دار الثواب
فوجب صرف اللفظ اليها وهو قول المفسرين والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا وكثير من المعتزلة واصحاب
ابي الحسن الاشعري وهو المختار عند امام الرازي في تفسيره الكبير ومنهم من قال ان الكل ممكن والادلة
النقلية ضعيفة ومع ضعفها متعارضة فوجب التوقف وترك القطع فصل في تعيين الوقت الذي خلقت
زوجة آدم عليه السلام لا شبهة لاحد في ان ذلك كان بعد ان كرمه الله بكرامة تعليم الاسماء وامر الكل بالسجود له تعظيما
فسجدت الملائكة له انقيادا وتسليما وابى ابليس عنه عنادا واستكبارا وعتوا وافتخارا فصير رجيما ملعونا طريدا
مبعدا وقبل هبوطه الى الارض لقوله اسكن انت وزوجك الجنة فاثبات الحق هو ان خلقها كان في مقام
الجنة وهو مبدا النفوس عند نزوله عن عالم القدس العقلي الى النشاة النفسانية ويؤيد ما ذكرناه ما روي السدي
عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده ما كان معه

من بيننا من يرغب فخلقت حوا ليسكن اليها وروي ان الله تعالى القى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر
ووضع مكانه لحما وخلق حوا منه فلما استيقظ وجد عند راسه امراة قاعدة فسالها من انت قالت امراة
قال لم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملايكة ما اسمها قال حوا قالوا ولم سميت قال لانها خلقت من شي
حي فعندها قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وعن ابن عباس انه قال بعث الله جندا من الملايكة فحملوا
آدم وحوا على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور وعلى كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت
واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلا الجنة فهذا الخبر يدل على ان حوا خلقت قبل
ادخال الجنة والخبر الاول يدل على انها خلقت في الجنة ثم من الاخبار ما يدل على انهما جميعا خلقا في الارض ففي كتاب
النبوة ان الله تعالى خلق آدم من الطين وحوا من آدم فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال ووجه
التوفيق بين الكل معلوم عند اهل الهداية والمعرفة واعلم ان الاتفاق حاصل على ان المراد من الزوجة حوا وانه
لم يتقدم ذكرها في هذه السورة وفي سائر القرآن ما يدل على ذلك وانها مخلوقة منه ففي سورة النساء خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وفي الاعراف وجعل منها زوجها ليسكن اليها وروي الحسن عن رسول الله صلعم ان المراة
خلقت من ضلع الرجل فان اردت تقويمها كسرتها وان تركتها انتفعت بها واستقامت وذكر الشيخ الجليل ابو جعفر ابن بابويه
القمي رحمه الله في الفقيه رواية عن زرارة بن اعين انه قال سئل ابو عبد الله عم عن خلق حوا وقيل له ان اناسا عندنا
يقولون ان الله عز وجل خلق حوا من ضلع آدم الايسر الاقصى فقال سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا من يقول هذا
ان الله تبارك وتعالى لم يكن له القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه ويجعل للمتكلم من اهل التشنيع سبيلا
الى الكلام ان يقول ان آدم كان ينكح بعضه بعضا اذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم ثم قال ان الله
لما خلق آدم من طين وامر الملايكة فسجدوا له القى عليه السبات ثم ابتدع له حوا فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه
وذلك لكي تكون المراة تبعا للرجل فاقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فنوديت ان تنحي عنه فلما نظر اليها
نظر الى خلق حسن يشبه صورته فكلمته بلغته فحديث طويل آخره والخبر الذي روي ان حوا خلقت من ضلع
آدم الايسر صحيح ومعناه من الطينة التي خلقت من ضلعه الايسر فلذلك صارت اضلاع الرجال انقص من اضلاع
النساء بضلع فصل وقلنا كل بعض المفسرين هذه نون الكبرياء والعظمة لا نون الجمع واقول كانه اشارة الى الجمعية الالهية
المحجوبة بحجب الاسماء والصفات على جميع العقول والذوات والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه وزوجك معطوف عليه من ضمير انت ولو عطف على الضمير المستكن لكان بمنزلة
عطف الاسم على الفعل فان المنفصل يعطف عليه ورغدا منصوب لانه صفة لمصدر محذوف كانه قال كلا اكلا رغدا اي واسعا
كثيرا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا ويقال قوم رغد ونساء رغد وعيش رغد ورغيد
هذا يكون تقديره وكلا منها متسعين في العيش وحيث مبني على الضم كما يبني الغايات لانه منع عن الاضافة الى مفرد
كما منعت قبل وبعد عن الاضافة فاضيف الى جملة اسمية او فعلية تقديره للمضاف اليه وهو المكان المبهم اي مكان شئتما من الجنة

على وجه التوسعة البالغة من جهة انه لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة
واحدة من اشجارها الكثيرة الغاية للحصر والنكتة في عطف قوله كلا على قوله اسكن بالواو وههنا وبالفاء في الاعراف
هي ان الفاء للسببية والواو للجمعية فكلما كان المعطوف عليه شرطا للمعطوف عطف بالفاء وان لم يكن شرطا عطف بالواو
ثم قول القائل اسكن قد يكون بمعنى ادخل وقد يكون بمعنى الزم فكانه قال الذي دخلته والاكل مشروط بالاول دون الثاني
فاذا اريد منه المعنى الاول ينبغي العطف للاكل عليه بالفاء كما في قوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا
اذ الاكل في موضع مشروط بالدخول فيه واذا اريد منه المعنى الثاني ينبغي العطف عليه بالواو المفيدة للجمعية فقط دون
الترتيب اذ الاكل في موضع غير مشروط بالدوام فيه فصح اختلاف الاعتبارين اختلفت كلمة العاطف في السورتين والعلم عند الله
واعلم ان كلا منهما دال مطابق لغيبه فكما ان المراة ههنا مخلوقة من الضلع الايسر للرجل او من بقية مادته منوية
فضيلة حصلت هناك منه فكذا للشيء في عالم الارواح حصلت النفس وهي جوهرة انفعالية من الجنبة السافلة للعقل
وهو جوهر فعال بالفعل مخرج للنفس من القوة الى الفعل وكما ان الرجل اذا تفرد ههنا بذاته عن زوج يسكن اليها من زوجته
يتوحش ويضطرب حاله في الخلوة والوحدة فعنايته تعالى لتكثير النوع بحصول الافراد كذلك العقل اذا لم يتوجه
الى تربية النفس والسكون اليها واراد التفرد بذاته عن فضله يلزم عليه التعطيل ويلحقه الاضطراب فربما دل الاحتجاب
الالهية قبل اوانه كما يحكى ان الخفافيش من نور الشمس عند خروج الليل ويبصر بها الذوبان بحيث طلوع النور الالهي
كوجه الحق عند طلوع الشمس عليه من غير حجاب فهذا نكاح معنوي وقع بين العقل والنفس والقاد بينهما هو الله
جرى الازدواج بين كل قوة فاعلة ومادة منفعلة كما بين الطبايع والصور الجسمانية وبين موادها القابلة كما
النكاح الاول السارية في جميع الذراري ومن هذا ايضا تمكن زوج تركيبي نسل الخلق المفروض هنا الامر تفصيل
وقيل هل احتر بالاتفاق وكذا ولا تقربا تقييد بالاتفاق فهو مجزوم بالنهي والالف ضمير الفاعلين وقوله فتكونا يحتمل
امرين احدهما ان يكون جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار ان وان مع الفعل في تاويل المفرد فيكون عطفا على المصدر والنكتة
لا يكون منكم قرب هذه الشجرة فكون من الظالمين فالكلام مع جملة واحدة لكون المعطوف من جملة المعطوف عليه وثانيهما
سمي جوابا بالمشابهة للجزاء بحسب المعنى اي ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين والثالث ان يكون معطوفا على النهي فيكون
مجزوما فالفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا تكونا من الظالمين ومعنى ولا تقربا هذه الشجرة لا تاكلا منها وهو المروي
عن الباقر عم وحاصله لا تقرباها بالاكل ~~هذه الشجرة لا تاكلا منها وهو المروي عن الباقر عم وحاصله~~ لا تقرباها ولهذا
انما وقعت المخالفة بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولهذا قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف في هذا النهي فقيل
انه نهي التحريم وقيل نهي التنزيه دون التحريم بمنزلة قول القائل لا تجلس على الطريق وهو مذهب اصحابنا وموافق لما فسادا
العقلية كما يجيء بيانه فعندهم ان آدم عم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة فكان بالتناول منها تاركا فضلا
لم يكن آتيا بقبيح وفاعلا لمحرم لان الانبياء لا يجوز عليهم القبايح صغيرها وكبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من آدم عم
على اختلاف بينهم في انه وقع منه على سبيل العمد او السهو والتاويل واستدل اصحاب الحديث بهذه الايات على امتناع عصمة الانبياء عن المعصية

بان الفعل القبيح ما يستحق فاعله الذم والعقاب والمعاصي كلها كبيرة كبايرة عندنا وانما يسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اعظم منها
لا الاحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب واذا كان
الذم والعقاب منفيين عن الانبياء ع وجب ان ينفي عنهم ساير الذنوب ولانه لو جاز عليهم لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول
قول من لا يجوز عليه شيء من المعاصي اسكن منها الى من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهنات المستكرهة
واذا صح ما ذكر علمنا ان ارتكاب آدم عليه السلم لظاهر النهي كان على الوجه الذي يقتضيه هذا الاصل وهو المذكور في الكتب الكلامية من قبل
اصحابنا القائلين بعصمة الانبياء ع مطلقا والتحقيق في بعض مقدماته محال وانما قلنا انه موافق لاصولنا العقلية من جهة
انه قد صح عندنا ان للانسان نشآت ثلث بحسب البداية والنهاية نشاة الروح ونشاة النفس ونشاة الطبيعة وهذه دار
التكليف والاختيار ودار الابتلاء والاختبار ومورد الامر والنهي التشريعيين ومحلها محل الطاعة والعصيان والعصمة
والخذلان والشكر والكفران واما قبل هذه النشاة فالامر فيها امر قضاء وتكوين والنهي فيها نهي ارشاد وتعريف وليس فيها
مجال القدرة للعبد والاختيار ولا يسع له التدبير والتحرز والاجتهاد ولهذا قال بعض اصحاب القلوب ان سبب النهي هناك هو
الذي يقتضيه غاية كمال ولم يكن عنها طغيان ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات النفسانية فذكرها كان كالتحريض على ساير
الانسان حريص على ما منع واعلم ان كل ما في هذا العالم فهو في العالم الاعلى على وجه الطف واصفى فالمعصية هناك هي غفلة
الرحيق المناظرة للعصمة الثابتة عليهم السلم واما في عالم الغيب فهي عبارة عن النقيصة الامكانية المتفاوتة كثرة وقلة في الممكنات
بحسب مراتب درجاتها عند الله قربا وبعدا فكلما كان اقرب منه اكثر كانت جهات الامكان اقل وكلما كان ابعد منه اكثر كان
تضاعف جهات النقايص والامكانات وفوقه العكس وبعض تراكم الامكان على العقل يوجب نزوله في عالم النفس كالجنة ومباينها
وغاية تضاعف الامكان في النفس يوجب تعلقها بعالم الابدان العنصرية كما ان غاية المعصية وهي الكفر يوجب خلود النفس
في دار العذاب وايم التخاصم والتباغض هنا من صفات الحيوانات يجب تنزيه الملائكة العلوية عنه لكن ورد في القرآن
ان الملا الاعلى يختصمون فيجب حمل الخصومة فيهم على معنى الطف واشرف تناسب حالهم وهو كالاختلاف لذواتهم
العقلية وتباين تعيناتهم الوجودية ومن هذا القبيل صفة التنازع المذكور لاهل الجنان في قوله تعالى يتنازعون
فيها كاسا ثم اختلف في الشجرة المنهي عنها فعن ابن عباس هي السنبلة وعن ابن مسعود والسدي هي الكرمة وعن ابن
جريج التينة وقيل هي شجرة الكافور وهو المروي عن علي ع وقيل هي شجرة العلم علم الخير والشر وعن ابن جدعان هي شجرة
الخلد التي كانت تاكل منها الملائكة وقال الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث وكل
منها وجه تاويل والموافق للحكمة ان يكون فيها اشارة الى الشجرة الطبيعة المتشعبة اغصانها المتفننة قواها واوراقها
وهي شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين والحكمة يقتضي ان يخرج الانسان اولا من الجنان بالاكل من هذه الشجرة
ويسقط من عالم الفطرة الى عالم التركيب والجسم ثم ياخذ منها زاد الآخرة فطام الصغير عن ضرع امه للحوق
بدار الكرامة التي خرج منها ومن لم يزهد في الدنيا ولم يفطم نفسه عن تناول الطبيعة وشهواتها فله نصيب في الآخرة
ولا طعام له الا من الحميم والزقوم والغسلين ويكون غذاء اهل الجحيم في الدار الاخرى من ضلالات الطبايع واكدارها وافرازها

كان غذاء اهل الجنة من الصفايا واللطايف وغذاء اهل القرب منهم من المعارف الالهية والعلوم الربانية
تاييد استبصاري اعلم ان للانسان همة عالية وحرص شديد بحسب الجبلة فلا يزال تقول نار طبيعته وجهنم حرصه
هل من مزيد ولا تسكن حتى يضع الجبار قدمه فيها ثم انه لم يزل يتزود شهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وقيل لها اقتصا لها ولا توقدا نار الفتنة وهي نار الطبيعة التي شانها تحليل المواد والقرف
وقد كانت كامنة في النفس ولم يخرج من الكمون الى البروز ولا ترى ان الانسان اذا اخذ تناول الطعوم انبعثت
من طبيعته حرارة طالبة فيحتاج الى الغذاء فاصل التناول من النفس شر من الطبيعة ولا تقربا هذه شجرة الطبيعة السفلية
ان كنتما طالبين للسلامة عن الحميم والمحنة فارغبوا عن حرق المحبة والا فتكونا من الظالمين على النفس
بتوريطها في ورطات الهلاك التي تلك النجاة عنها واحراقها بنار المحبة والمحنة والم البعد والفرقة وتعب السفر
في الدنيا لربح الآخرة وقد عرفت في تجارها طوايف كثيرة انكسرت فيها سفاينهم ومراكبهم وحمل الظلم على هذا
المعنى اوفق بالمحافظة على قاعدة عصمة الانبياء عليهم السلم وكل مذهب افضى الى انخفاض عصمتهم كان ابطل وذلك
كما في قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وسيأتي بيانه انشاء الله ثم قال بعض اولى البصاير انه تعالى قد وضع على آدم
اسباب الانبساط ولا يتم ضيق عليه الامر اخرا ليشتد واذ نهيه حتى اذا ما قتلتني بقولي حل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه
الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه وانبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه وكان في ذلك
المنع تحريص وتهييج كما قيل ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكن موسى بافلاح الجهاد ودوا ذا ارادته تراب الطباع
دواء به تحيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله فقال ارني انظر اليك قال رب ارني عاقبة بسطوة لن تراني وذلك الابتلاء
والبلاء توءمان والمحبة والمحنة رضيعا لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع وجمال الابتلاء من الولاء يمنع بتمييز
العاشق الصادق من المدعي المحتال فلما ذاقا شجرة الفضل خرجا من دار السلام فلا اهل السلام وداد الغرام وابن الفراغ
لحرا الساعي من الحجب الهائل والجملة فلما جاء القضا ضاق الفضا فلم يحصل ما كان بجود الملك ومحمود السالك
الى السلك مشتمل لرعاية موفور اعتنائه حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باستيناسه الاستيحاش بدفع
الملائكة بعنف ان اخرج من عز لدنك ولا تحسبن انهما بدا الشقاوة بحسب العناية والتقدير وكان الشيطان من جملة
اسباب التعذيب فصار هدف سهام الطعن والطرد فلما وقعا من القرب في الغربة ومن الالفة في الكلفة استوحشا من كل
شيء وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب كما ان ذاته لا يقبل الشركة في المحبة كذلك لا يقبل الشريك في المحبة
انتهى كلامه ويمكن تطبيقه على القوانين البرهانية وان كان ظاهره كلمات خطابية فصل ان الذين جوزوا الذنوب
على الانبياء حملوا النهي في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة على نهي التحريم استدلوا على ذلك بوجوه الاول ان قوله ولا تقربا هذه الشجرة
كقوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فكما ان هذين للتحريم فكذا ها هنا والثاني
ان قوله فتكونا من الظالمين اي كلما ظلمتما انفسكما ولذلك لما اكلا قالا ربنا ظلمنا انفسنا الثالث ان هذا النهي لو كان نهي تنزيه

لما امتحن آدم بفضيلة الاخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه والجواب عن الآية ان النهي وان كان في الاصل للتنزيه او للتحريم
المشترك لكنه قد يحمل على التحريم لدلالة منفصلة وهي ان الله تعالى قال فتكونا من الظالمين فظلمنا انفسنا بفعل ما اوجب
بكما تركه لانكما اذا فعلتما ذلك اخرجتما من الجنة التي لا تظمآن فيها ولا تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان الى موضع ليس لكما ذلك
من هذه الوجوه الثالث ان الاخراج من الجنة كان بهذا السبب لحكمة سابقة وقعت الاشارة اليها وبيانها
قوله جل اسمه فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين هذا هو ان درجات النزول لآدم عليه السلام من عالم القدس ودار الكرامة وذلك ان آدم عليه السلام لما كان مستعدا
لعمارة الدارين واراد الله بحكمته الكاملة منه عمارة الدنيا كما اراد منه عمارة الاخرى والجنة كونه من التراب تكوينا
وركبه تركيبا مناسبا على الحكمة والشهادة وهي هذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا ينال منه وهو غير مخلوق من اجزاء
ارضية سفلية بحسب قانون الحكمة من التراب كونه واربعين صباحا خمر طينته كما ورد في الحديث القدسي بيدي اربعين صباحا
اربعين صباحا اربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو منزل موضع فيه يصلح لعمارة الدنيا ويبعد به عن الحضرة الالهية
ومن الجنة والقرب اذ لو لم يخرج عنها ولم ينزل الى الدنيا لم يصلح لعمارة الدارين جميعا والخلافة في الارض ثم لان يكون
للعالم الاعلى ومكانا في الآخرة ملكا كبيرا فاستطال الى طاعة الله والرجوع اليه بالعلم والعمل والاقبال عليه والاعراض
عن التوجه الى السفليات يخرج كل وقت عن حجاب من موضع نزل عنده التركيب وعلى قدر زوال كل حجاب يجذب عالم
نزل منها ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هي مجمع الانس ومنبع العلوم ومعدن الحقايق فاذا تم السلوك و
التبتل زالت الحجب انصبت على القلب ينابيع العلوم والمعارف كما قال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه فينابيع الحكمة بهذه الاربعين صباحا في التمحيص والتطهير في مقابلة تلك الاربعين صباحا في التخمير والتركيب
ثم اعلم ان العلوم الحقيقية والمعارف هي بعينها اعيان صور في عالم الحس والشهادة انفلقت بالكسر نور النطفة الالهية
لها كما ان هذه الصور اصولها ايضا اعيان عقلية وصور معارف قد عبدناها متمثلة في هذا العالم سعد الله
فلكل غيب شهادة ولكل ظاهر باطن فنزولها وصعودها على نحو هبوط آدم عليه السلام ونحو عروجه تكميلا للحكمة واظهارا للقدرة
فصل لبعض الحكماء في كيفية اخراج النفوس من جنة الازل الجامعة وهبوط النفوس الجزئية لما هبطت من العالم
الذي كانت وسقطت من مراتبها العالية الجنانية ودفعت من ابيها وامها غرقت في بحر الهيولى وغاصت في قعر
امواج الاجسام وقيل لها انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فتفرقت في هياكل الاجسام وتفرقت بعد جمعها
تجمعها وشتت شملها ووقعت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كما قال اهبطوا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وعرفها عند ذلك من الاهوال والدهش والمصائب مثل ما عرض
لقوم من ركاب البحر لما اشتدت بهم الريح واضطرب بهم البحر وهاجت بهم الامواج وانكسرت بهم السفينة فتفرقوا في
الطبيعة وغاصوا في ظلمات الماء وتفرقوا في كل فج عميق من الجزاير والسواحل فكان اولئك القوم من
الذي انكسرت بهم السفينة تراهم بين غايص وطاف ومتعلق بخشبة او بحبل وراكب بعضهم كتف بعض كل واحد يقول

نفسي

نفسي نفسي من شدة الاهوال لا يفكر بغيره فلم يرد الى حالة المنفرد ولا همة سواه ولا افكر فيما كانت فيه هكذا حال النفوس في هذا
العالم وكونها مع هذه الاجساد وغرق هذه الاشياء النفوس على الهنا ودارها الحقيقة ولا تذكر شيئا مما كانت فيه
امر عالمها ومبدءها ومعادها الا نفر قليل واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا آية يستسخرون ثم ان الذي انتبهت من النفوس اذا
من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستبصرت الحقائق وعرفت جوهرها وتحققت غربتها في عالم الاجسام وغرقها
في بحر الهيولى وامرها بالشهوات الطبيعية وعاينت عالمها واستبان لها فضل اهلها ونعيمها على هذه اللذات
الكدرة الظلمانية وتنسمت بروح عالمها وريحانها اشتاقت الى هناك ورأت الكون مع هذه الاجسام ورغبت
في نعيم الدنيا وتمنت الموت لهذا الجسد والخروج من ظلمته فيكون مثلها مثل جماعة خرجوا من الحبوس والمطامير في ضوء الصبح
فشاهدوا اهل هذا العالم وفرحوا فاما النفس الغير المستبصرة فمثلها كمثل العميان يستوي عندهم ضوء النهار وظلمة الليل
وسئل بعض الحكماء والعباد فقيل له اتدري اي موضع جئنا الى هذا العالم فقال لا يخفى انا جئنا من ذلك العالم في
هذا العالم من فوق فلك البروج وسدرة المنتهى تحت الفلك المستقيم الى هذه الارض ومن ذلك العالم من فوق الفلك
المستقيم الى تحت مرتبة العلم الالهي وهو العقل الكلي وجئنا من ذلك العالم انما هو الجنة جنة الله التي هي حظيرة القدس
التي بها قوس المقدسون عن قال هي فقد ذلك العالم وهذا العالم فاما هذا العالم فهو دار عمل وذلك العالم دار جنات
وبحنه هو دار جزاء المحسنين واعلم انا جئنا من جنة الفلك الى ذلك العالم ومن ذلك العالم الى هذا العالم فمن ذهب فلك
البروج ومن البروج يذهب الى ذلك العالم الذي هو موضع الحساب من موضع الحساب يرجع من احسن عمله الى جنة الله
وبقاء سرمديا ويبقى من اساء عمله تحت فلك الطبيعة وفي الجحيم فهم فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء الله
ان ربك فعال لما يريد واحسن الاقسام من غير ارادة منهم ليصلوا الى الصور الموافقة لارواحهم من الجنة زيادة على
من تلك الصور التي في الطعام والشراب لذة ويجدون سكونا الى الدنيا تحت الطبع والطبيعة وكذلك يكونون تبعا فيه
الطبيعة مخلدون كارهين من غير ارادة تحت قيد العقل الذي يدركه العقل العملي الذي جاء به الرسل عليهم السلام ايضا
ترغيبهم حتى يستانس النفس وتطمئن بتلك الصور الجملية والعاقلية ويحبها فاذا زال الاكدار اصلها ايضا من جنة الله
وتلك الاستعداد ويمضي طريق الصراط وقت ذهابها الى معادها ويخف حسابها وتثقل موازينها فقد تبين
ان البشر ينقل من الابتداء ومقام الآباء فوق العقل والطبع لكونهم اليوم محبوسون تحت الطبيعة مقيدون بالعقل
العملي وخلاصهم يكون عند اطلاقهم عن وثاقهم وخروجهم عن قيد العقل ولين تخلصون عن قيد العقل الاخير يخرجون
من سجن الطبع والطبيعة وهذه معان متعلقة ببينها الشرع للمستحقين واخفاها من الجاهلين ثم سئل له
ثانية هل انا لاي شيء جئنا الى هذا العالم بعد ان كنا مغبوطين فاجاب اعلم ان مجيئنا الى هذا العالم لم يكن باختيارنا
وارادتنا لكن بالقهر جئنا وبالقهر نمكث وبالقهر نخرج وانا جئنا للتمحيص والتطهير ليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين
وطهارة النفس انما يكون بالعمل الشرعي والعلم الالهي وبهذين يتم الطهارة والتوجه الى المعاد وكما ان طهارة البدن تكون
بالماء او بالتراب عند عدم الماء كذلك طهارة النفس بالعلم الذي هو بمنزلة الماء والعمل الذي هو بمنزلة التراب فكل من

من اعمال الشرع حتى يصل الى العلم الالهي فيعلم حقيقته ويعرف نفسه فان تخلص عنه بمفارقته هذه الدنيا التي هي كالمنون
وجنته الكافر اشارة مرقية واعلم ان حكاية هبوط العقل الانساني النفس الادمية من عالم القدس الى موطن
الطبيعة الجسمانية مما كثرت فيه رموزات الانبياء ع واشارات الاولياء والحكماء ففي القران المجيد قد ذكر هبوط
النفس وصعودها في ايات على الالا كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وكقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وكقوله قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون وكقوله الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الى قوله ثم لتسالن يومئذ عن النعيم وكقوله ان منكم الا واردها كان
على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وكقوله كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وكقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفي كلام امير المؤمنين عم ايها الناس اعلموا انفسكم
واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين وفي كلامه عم ايضا لمن يحضر عقله ويكن من ابناء الاخرة فانهما قوم والنها
ينقلب وفي كلامه عم ايضا في بيان مهبط النفس وسبيلها ومعادها اعلم ان الصورة الانسانية هي اكبر حجة الله على خلقه
وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من اللوح المحفوظ وهي الشاهد
على كل غائب والحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار وفي كلمات
الحكماء الراسخين اشارات لطيفة ورموز شريفة الى هبوط النفس وصعودها وحكايات مرشدة الى ذلك منها
قصة سلامان وابسال التي ذكرت في مقامات العارفين ومنها قصة حمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة ودمنة
ومنها حكاية الطير المذكورة في رسالة الطير لابي علي سينا ومنها حكاية حي بن يقظان ليفهم من كل منها ان للنفس قبل وجودها
في هذا العالم وجودا سابقا وفطرة اولية اصلية في المراتب المتقدمة وان لها بعد هذا الوجود رجوعا وعودا
الى ما هبطت منه ان لم يعقها عائق عن الرجوع الى اصلها كما قال بعض الحكماء مشيرا الى ذلك اني كنت فيما مضى وقلبا
مع الخلان وارفقا والاخوان والاماكن في فضاء فسيح شديد البهاء كثيرة الضياء ابدع الله بعلمه القديم صور الكائنات
في احسن تقويم فيها رياض خضر كان فيها نسج ديباج من الزهر والنور والزعفران في اواسطها انهار تجري على حصاة
كانها الدر والياقوت والمرجان فيها بيوت عالية وقصور شاهقة فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة تطوف عليها ولدان وغلمان جوهر حسان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقد استمال
الى الفاخر في الاصغاء وتزيين البقاع بالمراة فبعثني يوما النفير فصرنا الى ان اذا انا بجسم كدر وغار مظلم منقوش
بصورة العالمين استوطنه ابناء الجن والشياطين الهائمين بعلم السيمياء القادرين على اراءة الاشياء لا على
ما هي عليها فشاهدت عجايب عديدة وغرايب كثيرة منها ان رجالا في مزبلة عليها اسماء [illegible] وجيف منتنة
ويشتملون [illegible] على هذه الحالة ابدا ومنها ان رجلا ضعيفا عاجزا ابرا وجاع وجراحات لا يحصى
كثيرة في جسمه [illegible] الغارة المنقوشة [illegible] تلك الجراحات [illegible] النقوش [illegible]

وحشيه

وحشه وهو ملك عظيم مقرب يعاقب من يشاء ويرحم على من يشاء فابتليت بصحبتهم طويلا وغربت عن الفطرة كثيرا فنسيت
ما كنت عليه فحسبت النار نورا والظلمة بهرا والقبيح حسنا والحسن قبيحا والموت حيوة والحيوة موتا والراحة غراما
والبلاء لذة والراحة جراحة حتى نبهني بعض ابائي الكرام الذين نهوا خلاقات تلك الظلام من انوارهم عصابة جعلوها
حرزا لاولئك الشياطين ومن اتى اليهم من الحرزة الملاعين ووصولها سلما ليسهل بها العروج الى الرجوع
ومفاتيح يفتح بها ابواب الخروج فارسلوا من حبل شعاعهم خيوطا ليعرج بها من سماء عالم الزور والغرور الى معارج
عالم النور والسرور وذكروا امورا بها اتذكر مشاهد القدس فيها انس الانس فتذكرت وعلمت ان اولئك الشياطين
عارفين بالسيمياء قادرين على اظهار الاشياء في المرائي الموضوعة فيخيلون النور ظلاما والصحة سقاما فيفسدون
امر النفس وعهدها القديم ويحولون بين المرء ومطلوبه فاعرضت عن هؤلاء وتبعت لانوارهم واقتفيت اثارهم
ونجوت من تلك الظلمات والخيالات وكان البعض كان قطرة انفصلت من البحر او شعلة انقطعت من النار فهبطت
واتصلت بما كان [illegible] منها ما ذكره ابناذقلس الحكيم وهو ان النفس انما كانت في المكان العالي الشريف
فلما اخطات سقطت الى هذا العالم وانما صارت الى هذا العالم فرارا من سخط الله لانها لما انحدرت الى هذا العالم
صارت غياثا للانفس التي قد اختلطت عقولها فصارت كالانسان المجنون فنادى الناس باعلى صوته وامرهم
ان يرفضوا هذا العالم وما فيه ويصيروا الى عالمهم الاول الشريف وامرهم ان يستغفروا الله عز وجل لينالوا
بذلك الراحة والنعمة التي كانوا فيها ومنها ما ذكره افلاطون الالهي [illegible] ان علة هبوط النفس
الى هذا العالم سقوط ريشها فاذا ارتاشت ارتفعت الى عالمها الاول ومنها ما ذكره ايضا في بعض كتبه [illegible] طيماوس
ان علة هبوط النفس الى هذا العالم امور شتى وذلك ان منها ما هبطت لخطيئة اخطاها وانما هبطت الى هذا العالم
لتعاقب وتجازى على خطاياها ومنها ما هبطت لعلة اخرى غير انه اختصر في قوله وذم هبوط النفس وسكناها في هذه
الاجسام وقال انه موضع [illegible] وان النفس جوهر شريف سعيد [illegible] هذا العالم من فعل الباري الخير
فان الباري لما خلق هذا العالم ارسل الله النفس وصيرها فيه ليكون العالم [illegible] ارسل الله النفس وصيرها فيه ليكون العالم
حيا ذا عقل لانه لم يكن من الواجب اذ كان هذا العالم متقنا في غاية الاتقان ان يكون غير ذي عقل ولم يكن ممكنا ان يكون
للعالم ذا عقل وليست له نفس فلهذه العلة ارسل الباري النفس الى هذا العالم واسكنها فيه ثم ارسل انفسنا واسكنها في
ابداننا ليكون هذا العالم تاما كاملا ولئلا يكون دون ذلك العالم في التمام والكمال فينبغي ان يكون في العالم الحسي من
اجناس الحيوان ما في هذا العالم العقلي ثم قال ان هذا العالم مركب من هيولى وصورة وانما صور الهيولي طبيعة هي ارذل
من الصور وهي النفس العقلية وانما صارت النفس تصور في الهيولي بما فيها من قوة العقل الزكي وانما صار العقل
معطيا للنفس على تصوير الهيولي من قبل الانية الاولى التي هي علة الانيات العقلية والنفسانية والهيولانية وسائر
الاشياء الطبيعية وانما صارت الاشياء الطبيعية حسنة بهية من اجل الفاعل الاول غير ان ذلك الفعل انما هو بتوسط
العقل والنفس ثم قال ان الانية الاولى التي هي الخير المحض هو الذي يفيض على العقل الحسن اولا ثم على النفس ثم على الاشياء

الطبيعة ومنها ما قاله ارسطاطاليس وهو المحمود اسمه ونعته في شريعتنا حتى انه نقل عن النبي صلعم انه قال في حقه
هو نبي من الانبياء جهله قومه وقال العلامة ان ارسطاطاليس رحمه الله الاسم وفي رواية ... ان ارسطاطاليس
ودفنوهما وبعد ايام لم يوجد فيهما وقد روي انه ذكر في مجلس النبي صلعم ارسطاطاليس فقال لو عاش حتى عرف ما جئت به
على ديني فلقد تكلم في اثولوجيا في النفس الكلية وهبوطها كلاما ما يشبه الرمز وهو هذا اني ربما خلوت بنفسي وخلعت بدني جانبا
وصرت كأني جوهر مجرد بلا بدن فاكون داخلا في ذاتي خارجا من سائر الاشياء فارى في ذاتي من الحسن والبهاء ما ابقى له متعجبا بهتا فلما ايقنت بذلك
رقيت بذهني من ذلك العالم الى العالم الالهية فصرت كاني موضوع فيها متعلق بها فاكون فوق العالم العقلي كله
فارى كاني واقف في ذلك الموقف الشريف الالهي فارى هناك من النور والبهاء ما لا تقدر الالسن على صفته ولا
الاسماع فاذا استغرقني ذلك النور والبهاء ولم اقو على احتماله هبطت من العقل الى الفكر والروية فحجبت الفكرة
عني ذلك النور فابقى متعجبا اني كيف انحدرت من ذلك الموضع الشامخ الالهي الذي هو علة كل نور وبهاء ومن العجب
اني رايت ذاتي ممتلئة نورا وهي في البدن كهيئتها وهي غير خارجة منه وقال الان من حرص على ذلك وارتقى الى العالم
الاعلى جوزي هناك احسن الجزاء اضطرارا فلا ينبغي لاحد ان يفتر عن الطلب والحرص في الارتقاء الى ذلك العالم
فان هناك ... فانه امامه الراحة التي لا تعب بعدها ولا نصب فانما اراد بقوله هذا تحريضا على طلب الاشياء
العقلية لتجدها كما وجدها ... كما ان لارسطاطاليس في كتاب المعروف باثولوجيا معناه معرفة الربوبية
تصريحات واشارات على ان صورة الانسان قبل هذه النشاة الحسية كانت في العالم موجودة على وجه
اشرف من هذا الوجود المادي ... فقال في موضع منه ان الانسان الحسي صنم للانسان العقلي والانسان العقلي
روحاني وجميع اعضائه روحانية ليس موضع العين بغير موضع اليد ولا مواضع الاعضاء كلها مختلفة لكنها كلها في موضع
واحد وقال في موضع آخر منه ان في الانسان الجسماني الانسان النفساني والانسان العقلي ولست اعني انه هو هما لكني اعني انه
يتصل بهما انه صنم لهما وذلك لانه يفعل بعض افاعيل الانسان العقلي وبعض افاعيل الانسان النفساني فقد في الانسان
كلمات الانسان العقلي وكلمات الانسان النفساني فلذلك الانسان الجسماني ... الكلمتين لانها في غاية ضعيفة
نزرة لانها صنم للصنم فقد بان ان الانسان الاول حساس الا انه بنوع اعلى واشرف من الحس الكائن في الانسان السفلي
وهو انما نال الحس من الانسان الكائن في العالم الاعلى العقلي كما بيناه انتهى كلامه وكلامه في النشاة الثانية للانسان
يطابق القرآن كما وقعت الاشارة اليه فان الانسان العقلي هو الانسان التام الكامل الذي كانت الملائكة كلهم مامورين
بسجوده وطاعته والانسان النفسي هو الذي كان في الجنة ثم اهبطه الى هذا العالم الجسماني ...
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين والانسان السفلي هو المخلوق ... والفساد والشر والعداوة
والخصومة كما قال تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فصل قوله فازلهما الشيطان عنها
الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد بحسب العرف وفي الخطيئة الاصابة يقال زلت قدمه ...
فزلة ... زلة والمزلة المكان الدحض وفي المثل الزلة زوال عن الحق قال صاحب الكشاف ...

الشيطان

بعض

الشيطان ... عنها ولفظة عن في هذه الاية كهي في قوله وما فعلته عن امري ... الجنة ...
العلماء ازلهما الشيطان اي استزلهما وحملهما على الزلة ... دينه او دنياه ... الشيطان لما ...
ووسوسته واغوائه عنها اي عن الجنة وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس فاخرجهما
مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون المراد اخرجهما من الجنة حتى اهبطا او من الطاعة الى المعصية واضاف
الاخراج اليه لانه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الامر واختلفوا في كيفية وصول ابليس الى آدم وحوا
حتى وسوس اليهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة فقيل ان آدم كان يخرج الى باب
الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه ... على الجبائي وقيل كان ابليس يدنو من السماء فيكلمهما
وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت وهم لا يشعرون وهذا
يشبه قول القصاص ويحتمل ان يكون صحيحا اشارة الى بعض قوى النفس الانسانية التي بوسيلتها توقع الشيطان الوسوسة
في قلب الانسان فكانه دخل بوسيلتها في روضة قلبه وروي ايضا ما يقرب هذا وهو ان ابليس دخل الجنة في صورة
دابة واختلفوا ايضا ان ابليس هل باشر خطابهما او يقال انه وصل الوسوسة اليهما على لسان بعض اتباعه ...
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذا قوله فدلاهما بغرور يقتضي المشافهة ودليل الثاني ان آدم وحوا كانا يعرفانه
ويعرفان ما عنده من العداوة والحسد فيبعد في العادة ان يقبلا قوله وان يلتفتا اليه فينبغي ان يكون وسوسة
بالواسطة فصل قوله اهبطوا خطاب للجميع وهو ... احدها انه خطاب آدم وحوا وابليس وهو اختيار الزجاج
وجماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك ... قوله اخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر
للنبي صلعم لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني
ان المراد آدم وحوا والحية وفيه بعد والثالث ان المراد ادم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان على
ذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ... جعلا كانهما الانس كلهم والذي يدل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض
عدو وهو من قبيل قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والرابع ان المراد هو آدم وحوا فقط وخاطب الاثنين
على الجميع كما هو عادة العرب وعليه ... وذلك لان الاثنين اول الجمع قال الله اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا
لحكمهم شاهدين والمراد حكم داود وسليمان ع وقوله فان كان له اخوة فلامه السدس فانه كان له اخوان فالسادس
آدم وحوا والوسوسة ... وهذا ضعيف واعلم ان اخراج ادم وحوا من الجنة واهباطهما الى الارض لم يكن على وجه
العقوبة لان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز عليهم ما يوجب الذم والعقاب ... فقد
عليهم الادب واعظم الفرية على الله وذلك لان مقامهم بحسب باطنهم عالم القدس العقلي ومحل العصمة عن الرجس والطهارة
عن الخبائث الطبيعية والارجاس البدنية وانما اخرج الله آدم من الجنة لان المصلحة قد اقتضت تناوله من الشجرة
الالهية فلما تغيرت المصلحة ... اهباطه الى الارض وابتلاه بالتكليف والمشقة ...
من ظهره ... للخيرات وانفتاحا لابواب البركات فان الحكمة الالهية ... عنده حتى ...

الحوادث

الغير المتناهي لان قوة غير متناهية بجود الا غير مخصوص عن وجود فيكون الفايض من رحمة وجود قدر متناهيًا ثم ان نوع الفعل البدنية هي الارواح الانسانية المتعلقة بالقوالب البشرية ولا يمكن خروج جميع النفوس الناطقة من القوة الى الفعل دفعة واحدة على سنة الابداع الاتي لا ابدان فلا بد من تكثير هذا النوع الانساني بتعلقات العناية الاولية بتدبير افرادها وتكثر افرادها من التوالد والتناسل قرنا بعد قرن الى يوم القيمة ففي كل مدة يفيض من عالم القدس الالهي نفوسًا انسانية يحصل منها بالعلم والتقوى الى الوطن الاصلي والمكان العالي ومالم يحصل يكث في بعض البرازخ السفلية زمانًا طويلة او قصيرة واحقابًا كثيرة او قليلة بحسب كثرة العلايق وقلتها واذا كان الاعتقاد فاسدًا والجهل لحاكان العقاب ابدًا والخلاص مستحالة فصل في بيان عصمة الانبياء وما ذكر فيها على طريقة المتكلم لا شبهة في ان النبي لا بد في اثبات نبوته من معجزة تقتضي صدق دعواه النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وتبليغ الاحكام فما يتوهم صدوره عن الانبياء من القبائح اما ان يكون منافيًا لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ او لا والثاني اما ان يكون كفرًا او معصية غيره والثاني اما ان يكون كبيرة كالقتل والزنا او صغيرة والثانية اما يكون منفردًا كسرقة لقمة او التطفيف بحبة او غير منفردة ككذبة او هم بمعصية وكل من الثلثة اما عمدًا او سهوًا بعد البعثة او قبلها والجمهور من الاسلاميين اتفقوا على وجوب عصمتهم عما ينافي مقتضى المعجزة وما يتعلق بالتبليغ والا لارتفع الوثوق بالاداء واتفقوا على ان ذلك لا يجوز عمدًا والجمهور سهوًا وقد جوز القاضي سهوًا زعمًا منه ان لا دخل في التصديق المعجزة واتفقوا ايضًا على وجوب عصمتهم عن الكفر وقد جوز الازارقة من الخوارج بناء على تجويزهم الذنب مع قولهم بان كل ذنب كفر وجوز بعض فرق الشيعة اظهاره تقية واحترازًا عن القاء النفس في التهلكة ورد بان اولى الاوقات بالتقية ابتداء الدعوة لضعف الداعي وشوكة المخالف وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعند الاشاعرة سمعًا وعند غيرهم عقلًا وجوزه الحشوية اما العدم دليل الامتناع لهم واما لما يحكى من قصة الوقوع وكذا عن الصغائر المنفرة لاخلالها بالدعوة الى الاتباع وكذا ذهب كثير من المعتزلة الى نفي الكبائر قبل البعثة ايضًا وذهبت الامامية الى نفي الصغائر قبل البعثة وبعدها مطلقًا عمدًا وسهوًا وذهب الاشاعرة الى تجويز الكبائر بعد البعثة مطلقًا والصغائر عمدًا لا سهوًا لكن لا يصرون ولا يقرون بل ينبهون فينتبهون وذهب امام الحرمين منهم وابو هاشم من المعتزلة الى تجويز الصغائر عمدًا الذي لو صدر عنهم الذنب لزم امور كلها فاسدة بالدلائل العقلية والسمعية احدها حرمة اتباعهم لكون التبعية واجب الاتباع بالاجماع وبقوله تعم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الثاني رد شهادتهم لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الاية لكن التالي منتف للقطع بان من يرد شهادته في القليل من متاع الدنيا لا يستحق القبول في امر الدين القائم الى يوم الدين الثالث وجوب منعهم وزجرهم لعموم ادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه منتف لاستلزامه ايذاؤهم وهو محرم بالاجماع وبقوله تعم الذين يؤذون الله ورسوله الاية الرابع استحقاقهم العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وقوله الا لعنة الله على الظالمين وقوله لم تقولون ما لا تفعلون وقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم لكن كل ذلك منتف عنهم بالاجماع ولكونه من اعظم

من اعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعم لا ينال عهدي الظالمين فان المراد به النبوة والامامة دونها السادس كونهم غير مخلصين لان المذنب مغوي الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعم حكاية عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين لكن اللازم منتف بالاجماع وبقوله تعم في ابرهيم واسحق ويعقوب انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وفي يوسف انه من عبادنا المخلصين السابع كونهم حزب الشيطان ومتبعيه واللازم قطعي البطلان وذلك لان من قسم الخلق صنفين بقوله تعالى احدهما اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وقال في الاخر اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ولا خفاء في ان حزب الشيطان من يفعل ما يرتضيه وهو المعصية الثامن عدم كونهم مسارعين في الخيرات معدودين عند الله من المصطفين الاخيار اذ لا خيرة في الذنب لكن اللازم منتف لقوله تعم في حق بعضهم انهم كانوا يسارعون في الخيرات وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل والثاني ايضًا يتناول جميع الافعال والتروك بدليل جواز الاستثناء فيقال فلان من المصطفين الاخيار الا في فعله الفلاني والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل تحته فيثبت انهم اخيار في كل الامور وذلك ينافي الذنب عنهم وقوله تعم الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقوله ان الله اصطفى آدم ونوحًا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين وقوله في ابرهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وفي موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقوله تعم واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين فكل هذه الايات دالة على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرية وذلك ينافي صدور الذنب عنهم التاسع ان النبي افضل من الملائكة والملائكة معصومون عن المعصية لقوله تعم لا يعصون الله ما امرهم واذا كان الملك معصومًا وجب كون المساوي له في الفضيلة معصومًا فضلا عن الافضل وذلك القول ام نجعل المتقين كالفجار العاشر قوله تعم لابرهيم اني جاعلك للناس امامًا والامام من يؤتم به ولو صدر عنهم الذنب لوجب الائتمام بهم في ذلك الذنب وذلك متناقض لانه مخالف في كل ما ذكرنا من محل البحث وهو ان وجوب الاتباع والائتمام انما هو فيما يتعلق بالشريعة وتبليغ الاحكام وبالجملة فيما ليس بزلة ولا طبع ورد الشهادة انما يكون بكبيرة او اصرار على صغيرة من غير انابة ورجوع ولزوم الزجر والاستحقاق والعذاب واللوم انما هو على تقدير التعمد وعدم الانابة ومع ذلك فلا يتاذى من النبي بزجره كبيرة سهوًا او صغيرة ولو عمدًا لا يصل المؤمن من الطاعة على الاطلاق ولا من الذين اغواهم الشيطان ولا من حزب الشيطان سيما مع الانابة وعلى تقدير كون المسارعة في الخيرات للعموم وكل فضل وترك مبارع عن البعض الينا لا ينافي صدور ذنب عن اخر سيما سهوًا ومع التوبة وبالجملة فلا دلالة الوجوه على نفي الكبيرة سهوًا والصغيرة المنفرة عملًا على ما هو المتنازع فيه محل نظر واحتج المخالف بما نقل من اقاصيص الانبياء وما شهد به ظاهر كتاب الله من نسبة المعصية والذنب اليهم ومن توبتهم واستغفارهم وامثال ذلك والجواب عنه اما اجمالا فهو ان ما نقل احادا فمردود وما نقل متواترًا او منصوصًا في الكتاب فمحمول على ترك الاولى كما عندنا او على السهو والنسيان كما عند من جوزهما عليهم او كونه من قبل البعثة كما عند من جوز المعصية عليهم قبل البعثة او غير ذلك من المحامل والتاويلات واما تفصيلا فهو مذكور في التفاسير وفي الكتب المصنفة وسياتي ذكرها في تفسير تلك الايات على الاستقصاء ونشير الى مخالفها ههنا اما في قصة آدم فالمراد بعصيانه ما ورد في السنة والزعصى وخالف النهي من اكل الشجرة واعترف بتقصيره وعوتب قولا وفعلا اما قولا فبقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وما

فبنزع اللباس والاخراج من الجنة ثم تاب الله عليه واجتباه وبالجملة ففي قصته سبع دلالات على عدم عصمته الاول كونه
عاصيا لقوله فعصى والثاني الغي لقوله تعالى فغوى وهو ضد الرشد والثالث التوبة لقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه وهي لا تكون الا من الذنب والرابع ارتكاب المنهي في قوله الم انهكما عن تلكما الشجرة والخامس تسميته ظالما في قوله فتكونا من الظالمين
وهو سمى نفسه ظالما في قوله ربنا ظلمنا انفسنا والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين [illegible]
فلا كان صاحب كبيرة والسادس كونه خاسرا لولا مغفرة الله لقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وذلك يقتضي
ذا كبيرة والسابع اخراجه من الجنة جزاء على ما اقدم عليه من طاعة الشيطان وكل من هذه الوجوه جواب تفصيلي [illegible] والجواب
اجمالا من وجوه احدها انه هو المختار ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك ما هو الاولى
واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي واما امره بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى لا عقوبة ومن شأنهم عظم حسنات الابرار سيئات المقربين ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه وثانيها انه فعله
عن نسيان لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان وترك اليقظة والتيقظ لاصابة
المراد ولعل النسيان وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل وثالثها انه ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم
على الجاهل لشأنه [illegible] وفيه مصلحة [illegible] الآيتين [illegible]
على ان [illegible] ما قال لهما ابليس [illegible] الحكم اللطائف [illegible]
[illegible] فانظر الى ان النهي [illegible]
او الاشارة الى عين تلك الشجرة وتناولا من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع [illegible]
[illegible] الخطيئة [illegible]
اولادهما وثانيها قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فلما تغشاها الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما
قالوا هذه الكنايات كلها عائدة اليهما فيقتضي صدور الشرك منهما والجواب انه لم يقل احد في حق الانبياء بالشرك
في الالوهية مطلقا فالوجه ان يقال ان النفس الواحدة هو آدم وليس في الآية ما يدل عليه بل قيل الخطاب لقريش
وهم آل قصي والنفس الواحدة قصي ومعنى وجعل منها زوجها جعلها من جنسها عربية قرشية واشركاهما فيما آتاهما
تسمية اولادهما بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي او يقال انه على حذف المضاف اي جعل اولادهما
له [illegible] فتعالى الله عما يشركون [illegible] الشيطان [illegible] واما الشبهة
في حق نوح عم [illegible] التكذيب [illegible]
في الوعد هو الاهل الصالح [illegible] اهل دينك [illegible] القرابة [illegible]
وقيل انه كان ابن امرأته [illegible]
عمل صالح وهو عمل غير صالح واما الشبهة في حق ابراهيم صلوات الله عليه فهو انه كذب في قوله هذا ربي وبل فعله كبيرهم واني سقيم

والجواب

والجواب ان الاول على سبيل الفرض والتقدير [illegible] على الاستفهام او على انه كان في مقام النظر والاستدلال
والثاني على سبيل التعريض والاستهزاء والثالث على [illegible] واما الشبهة
في حق يوسف عم فمن جهة يعقوب لافراطه في المحبة والحزن الشديد والبكاء والجواب انه لا معصية في ميل النفس [illegible]
يلوح آثار الخير والصلاح وانواع الكمال ولا في بث الشكوى والحزن الى الله [illegible]
انه كان من خوف ان يموت يوسف على غير دين الاسلام ومن جهة الاخوة انهم فعلوا بيوسف ما فعلوا [illegible] والجواب انهم
لم يكونوا انبياء ومن جهة يوسف لهمه المشار اليه بقوله ولقد همت به وهم بها وجعل السقاية في رحل اخيه والرضا بالسجود
لابويه والجواب ان المراد وهم بها لولا ان رأى برهان ربه والبرهان [illegible] الزاجر للنفس
عن فعل القبيح او المراد من الهم الميل الشهوي الجبلي الموجود في الطبائع البشرية ولولا الزاجر الشرعي لما انتهى عن كل ما يمكنه
من القبائح ولولا المعرفة الكاملة للقوة العقلية المنورة بحقيقة التقوى لوقع منه فعل ما لا ينبغي احيانا وليس المراد الهم بالمعصية
والقصد اليها وقيل هو من باب المشاكلة [illegible] وبالجملة فلا دلالة هاهنا على العزم والقصد الى المعصية فضلا
عما يذكره الحشوية من الحشويات في هذا المورد وهذا المقام من الثناء على يوسف عم [illegible]
[illegible] واما جعل السقاية في رحل اخيه فقد كان باذنه ورضاه بل باذن الله ونسبة السرقة الى الاخوة [illegible]
عما كانوا فعلوا بيوسف ما يجري مجرى السرقة او هو قول المؤذن والسجدة كانت عندهم تحية وتكرمة كالقيام [illegible]
او كانت سجدة [illegible] واما الشبهة في قصة موسى عم بقتل القبطي [illegible]
من عمل الشيطان محمول عندنا على انه ترك ما هو الاولى وقيل انه كان خطأ قبل البعثة [illegible]
بل القوا ما انتم ملقون [illegible]
الالواح كان عن دهشة وتحير لشدة غضبه والاخذ براس هرون وجره اليه لم يكن على سبيل الايذاء بل [illegible]
الى نفسه ليتفحص منه حقيقة الحال [illegible] هرون [illegible] على سبيل الايذاء [illegible]
فلم يثبت بذلك ذنب له ولا لهرون فانه كان نهاهم عن عبادة العجل وقوله للخضر لقد جئت شيئا نكرا [illegible]
الخضر كان باذن الله ثم لم يثبت لهما ذنب اصلا واما الشبهة في قصة داود عم فلم يثبت سوى انه خطب امرأة كان خطبها
اوريا [illegible] داود [illegible]
[illegible] والخصمان كانا ملكين ارسلهما الله اليه [illegible] فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
[illegible] والحزن والبكاء والاستغفار [illegible]
للزلة بالنظر الى ما له من رفيع المنزلة وتقرير الملكين تمثيل وتصوير للقصة لا اخبار بمضمون الكلام ليلزم الكذب [illegible]
يحتاج الى ما قيل ان المتخاصمين [illegible]
الآخر والكلام على حقيقته واما الشبهة في قصة سليمان عم [illegible]
بالعشي الصافنات الجياد الى الحرم وذلك انه اشتغل باستعراض [illegible] حتى غربت الشمس وغفل عن العصر [illegible]

وقت العشي فاغتم لذلك واسترد الافراس فعقرها او الجواب ان ذلك كان لاجل الاستغراق في الالتفات الى اسباب الجهاد
الفيان كما قيل لحبهم الجياد وقرب اتقانها كان لاحياء الدين وفضل التقرب الى الله والتصدق على الفقراء من احب الخير عن ذكر ربي
من كمال المحبة للجهاد ولاعلاء كلمة الله حتى توارت الجياد لا الشمس وانما طفق مسحا بالسوق والاعناق تشريفا لها [illegible]
والمراد بالاصلاح آلة الجهاد وقالوا انما اشير الى هذا بقوله ولقد فتنا سليمان الآية فان كان ذلك ما روى انه ولد له [illegible]
يغدو ويروح [illegible] الشياطين [illegible] على كرسيه [illegible]
فانه [illegible] ترك الاولى [illegible] في التحفظ ومباشرة الاسباب ترك الامتثال الامر المتوكل [illegible]
الله اعقلها وتوكل وكذا ما روى انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله
ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل [illegible] فالقته القابلة
على كرسيه واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيته وجلوس الشيطان على كرسيه فمما لا يعول عليه [illegible]
ان يكون اتخاذ التماثيل [illegible] عبادة التماثيل [illegible] غير معلوم الوقوع [illegible]
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي [illegible]
[illegible] الملك والجاه [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الملك العظيم [illegible] سليمان [illegible]
[illegible] لا ينبغي للناس [illegible]
فيه [illegible] واما [illegible] وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه [illegible]
[illegible] فظن اي استيقن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق [illegible]
اي ضيق [illegible] الظالمين [illegible] الافضل [illegible]
[illegible] في هذا الموضع [illegible] فسل استغفر لذنبك [illegible]
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر [illegible] ترك الافضل [illegible]
من ذنبك [illegible] رسول الله [illegible]
فلما جاءهم [illegible] الى كلمة الاخلاص [illegible] قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ
منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق [illegible]
[illegible] انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر [illegible] الى توحيد الله
[illegible]
[illegible] يا رسول الله [illegible]
[illegible]
[illegible]

وردا

دنوا [illegible] النبوة [illegible] على اسلام اهل [illegible] واما قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم [illegible] الخطاب [illegible] على ترك الافضل [illegible] واما قوله ما كان لنبي ان يكون
له اسرى [illegible] لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم [illegible] على ترك الافضل [illegible] الصحابة
الفداء [illegible] الكلام في قوله لم تحرم ما احل الله لك [illegible] واما ما روي انه [illegible]
قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى [illegible]
[illegible] وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible] وقيل الغرانيق هي الملائكة [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible] واما قوله
[illegible] ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه [illegible] تزويج زينب
[illegible] المنافقين [illegible] اعداء الدين [illegible]
[illegible] يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
[illegible] لئن اشركت ليحبطن عملك [illegible]
[illegible] الذين يقرؤون الكتاب [illegible]
[illegible] الصغيرة على الانبياء [illegible] الكبيرة [illegible]
عصمتهم [illegible] الانبياء [illegible]
[illegible] الانبياء
[illegible] الانبياء [illegible]
ان الانبياء [illegible]
قوله اهبطوا [illegible] هذا الامر [illegible]
لان [illegible] الجنة [illegible] المشقة [illegible] التكاليف [illegible] هذا
[illegible] التكاليف [illegible]
عليه [illegible] العظيم والثواب الجليل [illegible]
الى الدنيا او الارض [illegible] الاختيار [illegible] التكليف [illegible]
[illegible]
[illegible] الخطاب [illegible]
[illegible] الخطاب [illegible]
[illegible]

آخر منازل الهبوط واول منازل الصعود وهي دار التضاد والتفاسد وعالم التغالب والتعادي لضيق حيزها الوجودية
لذاتها الكونية وقصور خيراتها عن ان تسع الجميع فلذلك ينبعث فيها حب التغالب المؤدي الى العداوة فقوله بعضكم لبعض عدو
اشارة الى ما هو من خواص هذه النشأة التي هي مهبط آدم واولاده وطن اجتماع كل من في هذا العالم الى يوم [illegible] فضيلته [illegible]
عن نفسه الآخرة والشر والى هوية تهويه بجبلتها الى النقص الآخرة والشر والى فوق [illegible] النفع والخير [illegible] في وجوه [illegible]
القوى من حيوان عموما وفي الانسان خصوصا هي ما سبق ذكره وفيه ايضا اشارة الى وجوب وجود خليفة من الله في الارض
في حفظ هذا النوع الانساني وعدم جواز ان يترك الناس وآراءهم اذ لا بد لهم من [illegible] في الماء والطين [illegible] لا يخفى ولا
المشاركة الا بالمعاملة وهي منشأ الخصومات وسبب العداوات الانسية وعليه فان لم يكن سنة سائرة وعدل حاكم
منصوب من قبل الله مخصوص بمعجزات وكرامات تدل على صدقه حتى يسمع دعوته وينفذ حكمه ويتبع قوله والا لادت العداوات
والخصومات الى الفساد وسفك الدماء والهرج والمرج وقيل يعني بقوله بعضكم لبعض آدم وذريته وابليس وذريته
ولم يكن من آدم الى ابليس ما يوجب عداوة [illegible] ولكن حسده الملعون [illegible] فنشأت بينهما العداوة ثم [illegible] عداوة آدم له
ايمان وحكمة [illegible] وعداوة ابليس كفر وحيلة وقال الحسن بين بني آدم وبين ابليس [illegible] بل هو تحذير
لان الله لا يأمر بالعداوة فالامر يختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال لان النظام يقتضي ان امرهما بالهبوط في حال عداوة
بعضهم بعضا فصل قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع المستقر اما بمعنى المصدر كقوله الى ربك يومئذ المستقر او بمعنى المكان كقوله
فيكون الى ربك يومئذ المستقر كقوله فمستقر ومستودع [illegible] ولعل المراد ههنا هو المعنى الثاني اي لكم استقرار في حالتي الحياة
الدنيا والموت [illegible] المستقر هو القرار [illegible] قبوركم فيها وقيل [illegible] والاولى [illegible] المتاع [illegible]
حين [illegible] يكون المستقر [illegible] والمتاع للاحياء وفيه اشارة الى حال الانسان [illegible] والانقضاء في هذا الهبوط وقوله
الى حين اي الى يوم القيمة [illegible] او الى ساعة الموت [illegible] يوم القيمة اي الكبرى الى اجل
حالة الموت وهي القيمة الصغرى [illegible] فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم التلقي
والاخذ والتناول [illegible] آدم [illegible] كلمات [illegible] وانما التلقي
[illegible] فتاب عليه بالفاء الدالة
على الترتيب [illegible] تلك الكلمات [illegible] وجوب التوبة [illegible]
الى التوسل بتلك الكلمات وقرأ ابن كثير آدم بالنصب وكلمات بالرفع [illegible]
ان يقال ان التلقي [illegible] من الجانبين [illegible]
في الوصف بذلك [illegible] ان يقال تلقى آدم كلمات اي اخذها واستقبلها [illegible]
من الله [illegible] كلمات على مثل قوله لا ينال عهدي الظالمين وقرأ ابن مسعود [illegible] الكلمات هي كلمات الله التي لا تنفد
[illegible] هي الجواهر العالية الموجودة بامر الله [illegible]
بعدها التي لا انفصام لها [illegible] والآخرة وفي الادعية النبوية اعوذ بكلمات الله التامات [illegible] ما ذرأ

في الارض

في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء واختلف في تلك الكلمات ما هي فقيل ربنا ظلمنا انفسنا الآية وهو المروي عن الحسن وقتادة
وعكرمة وسعيد بن جبير [illegible] في ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موضع الندم وحقيقة الانابة وقيل هو قوله
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي
فارحمني انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم عن
مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر الباقر ع وقيل [illegible] سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن ابن مسعود ان احب الكلام
الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي
فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وروي عن اهل البيت ع ان آدم رأى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسأل عنها
فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم الى ربه
في قبول توبته وعن ابن عباس ان آدم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وفي كل من هذه الاقوال اشارة الى ما قلناه اولا فان التسبيح
والتحميد انما يحصل للانسان اذا توجه بقلبه الى عالم التقديس والتحميد بالبراءة عن [illegible] عالم الطبيعة وذمائمها [illegible]
[illegible] والانابة انما يحصل عند رجوعه الى الحضرة الالهية بالتجرد عن ما سواها [illegible] والتشفع بذلك
الادعية والاوراد [illegible] ما لم يكن معها حركة باطنية ورجوع معنوي الى الجنة العالية التي كانت [illegible]
المقدس [illegible] فهذا ان آدم ترك الخلق وامر الحق والتجأ اليه باطنا وظاهرا [illegible] والرجوع [illegible]
وجه وفي ما روي عن اهل البيت ع اشارة الى انها [illegible] الاخيار [illegible] هذه الذوات المكرمة والنفوس المطهرة
في عالم عرش الله قبل بداية هذا الكون [illegible] رجوعهم عن هذه الدار واتصالهم بتلك الكلمات التي لا تبيد
وفيما روي عن ابن عباس اشارة الى ان المراتب اللاحقة هي اعيان المراتب السابقة وان كل احد يمكن وصوله الى المقام
الذي كان فيه بحسب الفطرة الاصلية ان ساعده التوفيق فقوله الم تخلقني بيدك اشارة الى المقام السابق [illegible] عالم
العقل المحض وقوله الم تسكني جنتك اشارة الى المقام السابق [illegible] في عالم [illegible] النفسانية الجنانية وهو عالم الجنة
وفي [illegible] عن ابن عباس [illegible] الكلمات التي تلقى آدم من ربه [illegible] علم الله آدم [illegible] الحج [illegible] وهي الكلمات التي يقال
[illegible] وروي لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة
حمراء فلما صلى ركعتين [illegible] اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي فاوحى الله الى آدم
يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه [illegible]
ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها فصل قوله فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة [illegible]
كلما توجه بوجهه الى الله توجه تعالى بوجهه اليه [illegible] من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
[illegible] باعا ومن تقرب الي ذراعا [illegible] الى [illegible] الكلمات [illegible] التوبة وهو الرجوع الى الله [illegible] القلب بالتلقي والعلم [illegible]

وقد علمت ان توبة الرب موقوفة على توبة العبد والاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه وانما التي
آدم لانه تعالى كانت تبعاً له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب اي الرجاع على
عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة في اصل التوبة كما تر الرجوع قال القفال التوبة كالاوبة يقال تاب يتوب
تائب وتواب كقولهم آب يؤوب اوباً واوبة فهو آئب واواب والتوبة لفظ يشترك فيها الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع
الى ربه لان كل عاص فهو في معنى الهارب من ربه فاذا تاب فقد رجع من هربه فقيل تاب الى ربه وقيل تاب
خوفاً من ان ينقطع الرجوع ... ثم يرجع فقال الفلان عاد الامير ... عليه احسانه ... كلام
جمع العبد الى الحق عبارة عن الخروج من قيد النفس من المعاصي والمتعلقات وتصفية القلب عن درن الشهوات ليستعد للقاء الله
ورجوع الحق الى العبد عبارة عن كشف الحجب عنه فاضت الخيرات عليه وانزال البركات اليه ... ان يقبل العبد عن الحق وهو
عن احتجابه عنه بالصفات الظلمانية والملكات الردية وهو ... الحق ... انه مع كل شيء وهو اقرب من كل قريب
فيحجب العبد عن الحق ... الحجب الظلمانية ... نور الحق ... لا ... يحصل ... والنقاب الظلماني ...
وهذا كما يقول الفلاسفة ... الجوهر المفارق العقلي ... علوم النفس ... ذات
... من حيث كونها ... الاجل ... النفس ... الله تعالى ... الاستغاضة منها
هو المبالغة في ... التوبة من العبد والكثرة ... والذنب ... من هذين الوصفين
للتائب ... مع العفو ... بصيغة المبالغة ... العبد ... ثم عصى ثم تاب ... الله ...
كما ورد من الآيات والاخبار ... الدليل العقلي ... الآيات ... توبة نصوحاً ومعنى النصوح
الخالص عن الذنوب ... التوابين ويحب المتطهرين ... التخصيص ... الاحاديث فكثيرة منها
التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ومنها ما روي ... عن ... في الكافي ... عن
قال يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب عنها مغفورة له فليعمل المؤمن ... بعد التوبة والمغفرة اما والله ... الا لاهل
قلت ... بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله
منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فان فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار
والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله
وروى ايضاً في كتاب الكافي ... عن ابي ... قال سمعت ... يقول ان الله اشد فرحاً بتوبة عبده من رجل
اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ... هذا الحديث ... عن رسول الله ... الطعام
... ومات ... من رجل ... اذا اشتد عليه الحر والعطش ...
... فقام ... حتى اموت ... فاذا راحلته عنده عليها طعامه
وشرابه فالله اشد فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه اللهم انت عبدي وانا ربك
وروي ايضاً باسناده عن ابي جعفر ... اوحى الى داود ان ائت عبدي دانيال فقل له انك عصيتني فغفرت
لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر لك فاتاه داود فقال يا دانيال اني

وهو يقول يا دانيال انك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر
دانيال قد بلغت يا نبي الله فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه فقال يا رب ان داود نبيك اخبرني عنك انني قد
عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي واخبرني عنك ان عصيتك الرابعة لم تغفر لي وعزتك وجلالك لئن لم تعصمني لاعصينك
ثم لاعصينك ثم ... وروي ان رجلاً سأل امير المؤمنين عن الرجل يذنب ثم يستغفر ثم يذنب ثم يستغفر ثم يذنب ثم يستغفر
فقال عليه السلام يستغفر ابداً حتى يكون الشيطان هو الخاسر فيقول لا طاقة لي معه ... وقال عليه السلام ... في ... وقيل
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي رواية بدل الغين سبعين مرة بدل
مائة مرة واعلم ان الغين شيء يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يحجب عين الشمس
ولكن يمنع ضوءها وقال القاضي البيضاوي في شرح المصابيح الغين لغة في الغيم وغان كذا اي غطاه عليه وقال ابو عبيد في
معنى الحديث اي يتغشى قلبي ما يلبسه وقد بلغنا عن الاصمعي انه سئل عن هذا الحديث فقال للسائل عن قلب من تروي هذا فقال
قلب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو كان غير قلب النبي لكنت افسره لك والعلماء ذكروا في تأويل هذا الحديث وجوهاً الاول ان اطلع
على ما يكون في امته ... وما يصيبهم فكان اذا ذكر ذلك وجد غيناً في قلبه فاستغفر لامته الثاني ان رسول الله
كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فكان الاستغفار لذلك الثالث وهو تأويل ارباب الحقيقة ان الغين عبارة
عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة الالهية حتى يصير فانياً عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو بعد المحو كان
الاستغفار من ذلك الصحو الرابع وهو تأويل اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والخواطر والشهوات وانواع الميل
والارادات فكان يستعين بالرب في دفع تلك الخواطر قال القاضي في الشرح والله درّ الاصمعي في انتهاجه منهج الادب
واجلال القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله فانه شرب من اهل اللسان ... لاهل السلوك ... الله
من يعول ... عند مشايخ الصوفية الذين بان لهم الحق ... الذكر عنهم ... بالنور والمعتقد ... ثم
... ونقول لما كان قلب النبي صلى الله عليه وسلم اتم القلوب صفاء واكثرها ضياء واعرفها عرفاناً ... في ذلك ... الملة
... اعز ... ولم يكن له بد من النزول الى الرخص والالتفات الى حظوظ النفس ... كان ... ممتحناً ... كان
... اذا تعاطى شيئاً من ذلك ... الى العتاب ... رقة ... نور ... فان الشيء كلما كان ارق
واصفى كان ورود الكدورات عليه ابين واهدى ... اذا احس بشيء من ذلك على صفاء النفس ... فاستغفر ... ثم
ولا يخفى ان التأويل الثالث والثاني ... ان يكون ... اهل الحقيقة ... ذكره ... النبي من ... الخاصة
وكمال الرتبة كان بحيث يسع قلبه الحق والخلق جميعاً ... الجانبين ... ذلك ... شيئاً من
الناس ... الى ... ذلك ... العقول ... الدليل العقلي على ان ... متى ... تاب
عن ذنبه ... قبل ... ما يتوقف ... على تحقيق معنى التوبة ... على ... وقد ذكرها ... ما ذكره
المحققون من علماء الاسلام ... هذه الشريعة التي اتانا بها سيد الانام ... والائمة ...
وهو ان التوبة لا يحصل الا بامور ثلاثة ... من ترك الذنوب ... مجتنبون ... تاب

ذات م

فاذا عرف ذلك وتيقنه حصل من ذلك حالة ثانية وهي التألم لخوف فوات المحبوب والتأسف من فعل الذنوب وهذا التألم
هو المعبر عنه بالندم واذا غلب هذا التألم حصل منه حالة ثالثة هي القصد الى امور ثلثة لها تعلق بالحال والاستقبال
والمضي فالمتعلق بالحال هو ترك ما هو مقيم عليه من الذنوب والمتعلق بالاستقبال هو العزم على عدم العود اليها
الى آخر العمر والمتعلق بالماضي تلافي ما يمكن تلافيه من قضاء الفوائت والخروج من المظالم فهذه الثلثة اعني المعرفة والندم والقصد
الى المذكورات امور مترتبة في الحصول وقد يطلق على مجموعها اسم التوبة وكثيرا ما يطلق على الثاني اعني الندم وحده ويطلق
على مجموع الاخيرين الندم والعزم قال صاحب احياء العلوم اعلم ان التوبة معنى ينتظم من ثلثة امور مرتبة علم وحال
وفعل اما العلم فهو مطالع هذه الخيرات واعني به الايمان واليقين بان الذنوب سموم مهلكة فيفيض نور هذا الايمان
على القلب ثار منه نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه الشمس
وقد كان في ظلمة فسطع النور بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فيشتعل نيران
الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال
والتلافي للماضي ثلثة معان مترتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق على معنى الندم وحده ويجعل
العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع فيكون الندم محفوفا بطرفين ثمرة ومثمر هذا معنى التوبة واما بيان
وجوبها على الفور فاعلم ان وجوب التوبة كما انه ظاهر بالآيات والاخبار فهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته
وشرح صدره بنور الايمان حتى اقتدر ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قائد يقوده في كل
خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القائد في خطوه واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس
في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم
نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه
قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وعقبات
متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو لشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذه
حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع
بينهما فلا يشك في ثبوتها له وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في طريق الوصول الى سعادة الابد والنجاة
من هلاك الابد ومعنى قول القائل انه صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا واجلا في فعله وتركه
فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم ان لا سعادة
في دار البقاء الا في لقاء الله عز وجل وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار
جهنم وعلم انه لا مبعد عن لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد
من فراقه وعلم ان لا مقرب منها الا قطع علاقة القلب عن زخرف الدنيا والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس بدوام ذكره والمحبة له بمعرفة

جلاله

جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته
سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف
بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسببه وما لم يتوجع فلا يرجع
ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلثة ضرورية في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور
البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل
به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف والائمة من بعده وقد سبق بعض من الاحاديث
وهي كثيرة لا تحصى قال رسول الله صلعم حاكيا عن الله يقول الله للملائكة اذا هم عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها
عشر امثالها واذا هم بالسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واحدة فان تركها فاكتبوها له حسنة وروي ان ابليس لما
خلق آدم قال وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال الله جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد
ولد لآدم الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد فشكى آدم ابليس الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا
لا اطيقه الا بك فقال لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها
قال رب زدني قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر وبالجملة الاخبار كثيرة في هذا الباب والاجماع منعقد من الامة
على وجوبها لكن قد يدهش العقل تعرضه على هذا العلم ان الذنوب الفعلية ولا تخلو في وجوبها من حاجة الى ترك المعاصي
في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يستريب في وجوبه اما الندم
والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب
حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب
فاعلم ان سببه تحقق العلم بفوات المحبوب وللعبد سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى
ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر كلها من خلق الله
وقضائه والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال ووبال وقدم من التحقيق
لا افعال الا لله وان الكل بقضائه وقدره لا بالمعنى الذي ذهب اليه الاشاعرة ولا بالمعنى الذي زعم المعتزلة ولا الذي اشتهر
بل المعنى الذي هو محجوب عن الاكثر الا على قوم شرح الله صدورهم وباشر قلوبهم نور الحق فاذا تقررت هذه المقدمات فنقول كل توبة اذا
استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة فاعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر
المستمدون من نور القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الدار الآخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية
الى وجه الله وعلموا ان القلب الانساني خلق في اصل الفطرة سليما فكل مولود يولد على الفطرة وانما يفوته السلامة بكدورة
ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة
وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار

بل كالاناء المكدورة الوسخ من بياض بالصابون كما ان الثوب الوسخ لا يصلح للملك الا ان يكون نظيفا فكذلك القلب المظلم لا
لا يكون ... وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فكذلك
استعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان
كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو
المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح من زكاها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اجلى واقوى من المشاهدة
بالبصر ان القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا ... لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور
كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا اسماء ... وقلبه في غطاء
كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات قلبه بغير الجهل ... اعني به قليلا ... وتقليبه ... قلب ... غيره
لا يعرف قلبه ... فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ
لا يزول الا ان يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلاله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا
ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك
لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به فهذا حال امتناع التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب
على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد
جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات وقال غافر الذنب وقابل التوب وقال النبي صلى الله عليه وآله لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم
وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة وكيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا منه حتى يدخل الجنة وقال
لله افرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته ... وقال ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء
الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها فبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل ورب قابل ليس بطالب
وقال ايضا الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ ويروى ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك
لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله قال
كان في من كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا
فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول
بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء
تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال
قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يحكي عن ربه عز وجل قال اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به

فقال

فقال الرب قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء اخرجاه في صحيحيهما ابو ايوب قال لكنت كتمتكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لولا انكم
تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون ثم يغفر لهم رواه مسلم قال عبد الله بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ اقبل رجل عليه كساء
وفي يده شيء قد التف عليه فقال يا رسول الله اني مررت بغيضة شجر فسمعت فيها اصوات فراخ طائر فاخذتهن فوضعتهن
في كسائي فجاءت امهن فاستدارت على راسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن معهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ضعهن عنك
فابت امهن الا لزومهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اتعجبون لرحم ام الفراخ فراخها قالوا نعم يا رسول الله قال فوالذي بعثني بالحق لله عز وجل
ارحم بعباده من ام الفراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهن من حيث اخذتهن وامهن معهن فرجع بهن وعن ابي مسلم الخولاني عن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل يا عبادي اني حرمت على نفسي الظلم وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب ولا ابالي فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار
الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب اتقى رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي
شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب افجر رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم
وآخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان منكم ما سأل لم ينقص من ذلك من ملكي شيئا الا كما
ينقص البحر ان يغمس فيه المخيط غمسة واحدة يا عبادي انما هي اعمالكم احفظها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك
فلا يلومن الا نفسه قال وكان ابو ادريس اذا حدث بهذا الحديث جثى على ركبتيه اعظاما له وعن النبي صلى الله عليه وآله انه استفتح اول النهار
بالخير وختمه بالخير قال الله تعالى لملائكته لا تكتبوا عليه ما بين ذلك من الذنوب وروي ان جبرئيل عليه السلام سمع ابراهيم عليه السلام يقول يا كريم
العفو فقال جبرئيل وتدري ما كريم العفو فقال لا يا جبرئيل قال ان يعفو عن السيئة ويكتبها حسنة وفي الكافي مسندا
عن ابن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان المؤمن ليذنب الذنب العظيم فيستحب عقوبته في الدنيا
وعن الآخرة فانظر الى ما فيه صلاحه في آخرته فاعجل له العقوبة عليه في الدنيا لاجازيه بذلك الذنب واقدر عقوبة ذلك الذنب
اقضيه واتركه عليه موقوفا غير ممضي ولي في امضائه المشيئة وما يعلم عبدي به فاتردد في ذلك مرارا على امضائه ثم امسك عليه
فلا امضيه كراهة لمساءته وتجنبا لادخال المكروه عليه فاتطول عليه بالعفو عنه والصفح محبة لمكافاته لكثير نوافله التي
يتقرب بها الي في ليله ونهاره فاصرف ذلك البلاء عنه وقد قدرته وقضيته وتركته موقوفا ولي في امضائه المشيئة ثم اكتب له عظم
اجر نزول ذلك البلاء واذخره واوفر له اجره ولم يشعر به ولم يصل اليه اذاه وانا الله الكريم الرؤوف الرحيم وفي الكافي ايضا
عن ابي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثم قال ان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر قبل
الله توبته ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ثم قال ان الجمعة لكثيرة من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته
ثم قال ان يوما لكثير من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته فصل اعلم ان المراد بقبول التوبة هو ما اشار اليه والمراد عند كل من
اسقاط العقاب المترتب على الذنب وهو في حقيقته من لوازمها وقد تقدمت اليه الاشارة وسقوط العقاب بالتوبة الصحيحة مما اجمع
عليه اهل الاسلام وانما الخلاف في انه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلما او هو تفضل يفعله الله سبحانه كرما منه
بعباده فالمعتزلة على الاول والاشاعرة على الثاني واليه ذهب الشيخ ابو جعفر الطوسي في كتاب الاقتصاد والعلامة الحلي في بعض كتبه الكلامية

وتوقف المحقق الطوسي طاب ثراه في التجريد وقال شيخنا البهائي رحمه الله ان مختار النجيب هو الظاهر ودليل الوجوب على القول [illegible]
بالمعنى الذي ذكرناه قطعي لا ريب فان قلت ما معنى وجوب التوبة عقلا كما قاله المعتزلة بان يكون واجبا على الله قلنا اما لا نعني به الا
ما يريد القائل بقوله الثوب اذا غسل بالصابون يجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا [illegible]
الماء متى وجد العطش واذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريد ما المعتزلة له ولا ما يريده الاشاعرة اذ لا علاقة [illegible]
بين الاشياء عندهم بل يقول لخلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة [illegible]
لجاز في ذلك ولكن ما سبقت المشية الازلية بذلك فلو واجب على الله ممكن كلما سبقت به ارادته لا [illegible]
ما [illegible] وهو شأن [illegible] قبول التوبة والشارب لا يشك في زوال العطش قلنا شكه في القبول [illegible] في وجوب [illegible] التوبة فان التوبة
اركانا وشروطا دقيقة وليس تحقيقه جميع شروطها كالزمن [illegible] دواء شرب الدواء [illegible] يسهل [illegible] شك في
شروط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء [illegible] وجود [illegible] واشال [illegible]
التوبة والشابية قوله هذا ما قال [illegible] كابن الكشف والتحقيق واما ما قال الداعي على الطريقة [illegible] تفسير [illegible] عند قوله
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك [illegible] هذه الآية دلالة على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله اذ لو كان واجبا
لكان لا يحتاج فيه الى مسالتهم بل كان يفعله سبحانه لا محالة [illegible] في ذلك القول مع انه كان [illegible]
لعدم احاطتنا بما يراد [illegible] لا يأتي في ذلك [illegible] العقلي وهو تجويز العقل [illegible]
للامر الواقعي [illegible] وبسط الكلام مع المجوز [illegible] كما قال [illegible]
ان نسينا او اخطأنا على بعض الوجوه فصل في شروط التوبة [illegible] عن التوبة فقال انها جامع لستة [illegible]
ستة اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود في المستقبل [illegible] ان تؤدي [illegible] المخلوقين
الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم [illegible] ودم [illegible] اللحم [illegible] حلاوة المعصية
وهذا الذي ذكره [illegible] من الامور [illegible] الشيخ ابو علي الطبرسي في تفسيره عن امير المؤمنين [illegible] التوبة يجمعها ستة
اشياء الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما اذقتها حلاوة المعاصي [illegible]
ان قائلا قال بحضرته استغفر الله فقال [illegible] ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم [illegible]
معان [illegible] الى آخر كلامه [illegible] في جلاء المرآة قطع لا نفاس [illegible] لذلك لا يكفي في جلاء القلب [illegible]
ذكره [illegible] علوم [illegible] آثار تلك الظلمات [illegible] كل معصية
ظلمة وكدورة [illegible] كل طاعة نور وضياء والاولى [illegible] كل معصية [illegible]
مفصلة [illegible] على قدر [illegible] السيئة [illegible] الملاهي [illegible]
القرآن [illegible] المصحف [illegible] وكثرة [illegible] والمكث في المسجد جنبا [illegible]
وكذا في حقوق الناس [illegible] الطبيب الامراض باضدادها [illegible] بعض الذنوب [illegible]

عن جميع

عن جميع [illegible] ان هذا انما اختلف فيه العلماء [illegible] فيها اكثر من العلماء منهم المحقق الطوسي في التجريد ان هذه التوبة [illegible]
انها صحيحة [illegible] لا يجتمع [illegible] تفصيل [illegible] الملامة [illegible] بل نقول الحق [illegible]
ان [illegible] ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فهذا خطأ بلا شبهة فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب
وان [illegible] ونقول [illegible] لتوبة عن بعض الذنوب [illegible] يوصل الى النجاة [illegible] فهذا ايضا خطأ [illegible]
النجاة والفوز [illegible] هذا الحكم الظاهر [illegible] انما [illegible] ان التوبة [illegible]
ان التوبة عن الندم عن المعصية لقبحها لا لشيء آخر ولا لما كانت توبة والقبح [illegible]
معصية لا لخصوص كونها [illegible] لا يندم [illegible] لان [illegible] تاسف [illegible] على قتله ولده [illegible] السيف [illegible]
على قتله بالسكين لان [illegible] به [illegible] السيف او السكين [illegible] فوات [illegible]
فلما يوجب فوات [illegible] قبيح [illegible] على بعض [illegible] اكثرها [illegible] الجسد [illegible]
ما ذكرناه وهو بظاهره [illegible] في تفصيله ينكشف [illegible] ان الاشياء [illegible]
فيها على [illegible] والنقص [illegible] القوة والضعف فيكون في بعضها اعظم واشد وفي بعضها اصغر والضعف [illegible] القبيل
المعاصي والذنوب [illegible] في بعضها [illegible] اكبر [illegible] في بعضها اصغر [illegible]
هل تتعلق التوبة عن بعض الذنوب [illegible] الكبائر دون الصغائر او الصغائر دون الكبائر ما هو [illegible]
اما الاول [illegible] لانا نعلم ان الكبائر اعظم عند الله [illegible] والصغائر اقرب الى العفو [illegible]
ويتألم [illegible] وهذا ايضا [illegible] الشرع [illegible] ولم يكن [illegible]
فلا [illegible] على الحمية والطبيب [illegible] المريض [illegible]
لا يظهر [illegible] المريض [illegible] فهذا ايضا محال [illegible] الثالث ان يتوب عن بعض الكبائر دون
بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم [illegible]
الناس لعلمه بان حقوق الناس لا يترك [illegible] بين الله [illegible] العفو [illegible] يتوب عن بعض الكبائر [illegible]
بالعباد دون بعض [illegible] الثالث ان يتوب عن صغيرة [illegible] كبيرة
يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة وعن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهذا ايضا ممكن [illegible]
[illegible] التوبة [illegible] على انه [illegible] قويا او ضعيفا [illegible] المعصية [illegible]
الخوف منه [illegible] ضعف الخوف [illegible] الغفلة واسباب قوة الشهوة [illegible]
غلبها [illegible] المعصية [illegible] الفاسق الخمر [illegible] على الصبر عنه [illegible]
فقوة [illegible] بالغيبة واستماع الملاهي والنظر الى غير المحرم [illegible]
[illegible] الشيطان [illegible]
هذه [illegible]

لبعض من نوعه ولم يتصور هذا المانع من الفاسق ان يصلي ويصوم ويقبل الا ان كانت صلوته بغير ارادة وصومه ولو كان لله تعالى ترك الفسق لله تعالى
امر الله تعالى واحد فلا يتصور ان يقصد بصلوته التقرب الى الله ما لم يتقرب بترك الفسق وهذا ابطل لان لله تعالى على امرين وله على المخالفة
عقوبتان واما اذا احدهما بمنع الشيطان على بعض الاخر فالقربة فيما اطاعه [illegible] فيرى ان يكون محبا ما عجز عنه بعوض شهوته
فكيف لا يتصور هذا وهو ان الحكم ان الاسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب لها الا هذا واذا فهم هذا فهم ان تغلبه الشهوة
على الشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده [illegible] وان كان من فعل ماض [illegible] الندم والندم يورث العزم وقد قال ص الندم توبة
ولم يشترط الندم عن كل ذنب وقال ص التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب كلها [illegible] تنافي بين افراد
الذنوب اذا كانت متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى نعم يجوز ان يتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا
في كثرة العقوبة فصل ان [illegible] على التوبة [illegible] على ان العبد لا [illegible] ان يكون دائم الرجوع والانابة الى الله تعالى متعرضا
لدوام المغفرة والرحمة وانزال درجة في الخير والسعادة تحصل للعبد [illegible] وينبغي له ان يتوب [illegible] ليحصل درجة فوقها
فان الانسان جوهر متجدد الذات [illegible] وقد قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فيحصل له في كل وقت
توبة عن ذنب وجوده واستغفار [illegible]
بحجاب [illegible]
القرب الى الله [illegible] البليات الامانية والعقبات والشهوات [illegible]
شاهق وفوق [illegible] العلو والرفعة [illegible] تواب رحيم [illegible]
ويقضي حاجاته ويقول الا من سائل فاعطيه [illegible] في الثلث الاخير منها الى سماء
الدنيا فيقول هل من داع هل من مستغفر ويروى ان فتى من بني اسرائيل عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى
الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول
ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري
ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا
من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت
قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم
الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة
وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلا حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق
الجزع حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى
رياض الراحة ومعدن العز والكرامة [illegible] الحضرة الجبروت كلمات
[illegible] ثم عناية الفضل [illegible] الوصول [illegible]
على جليل السعادات [illegible]

الرياضة

الرياضة وضمروها والجموها بلجام منع الالتفات الى غير مولاها وزجروها وضربوها بسوط الخوف وحركوها باعمال السير
وركضوها الى غاية المنى في ميدان الشوق وذبحوا نفوس الهوى بسيوف المخالفة وطعنوا فرسان الطبع برماح ترك
العادات المالوفة وطهروها بماء الدموع الطهور من نجاسات الذنوب والعيوب وسائر الشرور حتى صحت لهم العبادة
المستمرة الى الاخرة كالصلوة وداووا قلوبهم من امراض حب الدنيا والجاه [illegible]
واحيوا ميتها بذكر الله [illegible] كيف نعرف تلك المواهب والاحوال [illegible]
لقد عجزنا وملنا الى الهوى والنفس الامارة لم نخرج عن الرعونات والطباع التي [illegible] عنها السادة ولم نتعظ بمواعظ
لسوء حظ لم تساعدنا السعادة انتهى كلامه [illegible] في هذا الزمان [illegible] حقائق العلم
اليقين الفاظا وعبارات [illegible] روح العلوم والاحوال [illegible]
ما يبكي العاقل [illegible] الطريق [illegible]
[illegible] هذا الامر ولا اراه [illegible] الحكمة [illegible] الرخصة [illegible]
[illegible] العاصين ثم جعل يقول [illegible]
[illegible] قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible]
الهبوط من الجنة [illegible] وهو ان الهبوط الاول غير الثاني فالاول كان من الجنة الى
الدنيا والثاني من سماء الدنيا الى الارض [illegible] اعترض الامام الرازي على [illegible]
احدهما انه [illegible] الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فلو كان [illegible] الاستقرار في الارض لم يحصل الا بالهبوط الثاني لكان ذكره عقيب
الثاني اولى وثانيهما ان ضمير اهبطوا منها عائد الى الجنة وذلك يقتضي كون الهبوط الثاني من الجنة اقول للمناقشة
[illegible]
[illegible]
ان يكون في [illegible] حكاية آدم وخروجه من الجنة [illegible]
ليخرج منها فلما اراد ان يضع قدمه خارجا [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع جبرئيل [illegible]
[illegible] فاعاد الله الامر بالهبوط [illegible]
الا رحمة اجلة اعظم واوسع من هذه الرحمة العاجلة [illegible]
بينها وبين الدنيا [illegible]
بالهبوط الثالث [illegible] بالامر الاول [illegible]
واما الثاني [illegible] الجنة [illegible]
وجه ثالث [illegible] آدم وحوا [illegible] بالزلة امرا بالهبوط [illegible]
مرة ثانية ليعلم ان الامر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها [illegible] التوبة [illegible] الهبوط

ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها او هو او تبعد التوبة لان الامر بالهبوط كان تحقيقا للوعد المتقدم بقوله اني جاعل
في الارض خليفة وقيل يجب التكرير لاختلاف المقصود في الامرين فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى بالهدى نجا ومن ضله هلك كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحبا وان كان الذهاب واحدا
لاختلاف الحال وقيل يجب التنبيه على ان مخافة الاهباط المقرون باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يعوقه عن مخالفة حكم
الله تعالى فكيف بالمقرون بهما ولكن لم يجد له عزما وقيل ان كل واحد منهما [illegible] الاول الى [illegible]
الهبوط الاول الى السماء والهبوط الثاني [illegible] الحاجة النفس لتكميلها الى مواد [illegible] كالشهوة والغضب في البدن
ومنشأ الثاني احتياجها بواسطة تكميل البدن ومنافعه ومضاره الى الامور الخارجة عنه وعلى ما روي في الاخبار والحكايات ان آدم
اهبط بالهند وحواء بجدة والحية باصبهان [illegible] اشارة الى [illegible] اللطيفة المحتاج الحال
الانسان فان من عجيب احوال الانسان [illegible] عالم القدس [illegible] درجة للقرب وهبوطه الى دار الدنيا كان [illegible]
بمقتضى صفاء الذات وفطرته الاولى ولم يرض بالكون في هذا العالم [illegible] هبوطه مرة بعد اولى
ثم اذا وقع في هذه الدار [illegible] ومضت عليه دهور الى ان نسي موطنه الاصلي وداره واحبابه واخدانه الذين كانوا
صحبهم فيها [illegible] واستأنس باهل الدنيا واستعذب [illegible]
يوم الى هذا المحل [illegible] الانفس [illegible] هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات
تعزز وتمنع محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع
انفت وما سكنت فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع [illegible] والمحل الارفع
هو العالم الاعلى الذي [illegible] وهو ارفع درجة ومكانة من عالم [illegible] الجنة [illegible]
[illegible] النفس الادمية [illegible] العالم الالهي والفضاء [illegible]
في علمه تعالى انه جاعل في الارض خليفة والعلم بالشيء [illegible] عالم الارواح [illegible]
[illegible] في الجنة [illegible]
[illegible] النفس الانسانية [illegible]
[illegible] الى المحل المعتاد الذي [illegible]
[illegible] الطير [illegible] عالم [illegible] الارواح [illegible]
[illegible] تحت العرش [illegible] الارواح [illegible]
وهي العقل [illegible] عالم البرزخ [illegible] المعلقة تحت العرش [illegible]
وهي المثل المعلقة [illegible] الاشباح المثالية [illegible]
العقلي [illegible] النفس والمحل الارفع هو عالم الجنة [illegible]
والبرزخ [illegible] عالم [illegible]

جميعا

فجميعا مكشوف على البصائر وهي ذات تفجع اي ذات جزع وفزع والبلقع اي الخالي والمراد به عالم الاجسام الخلو هاني
من الصور [illegible] لانها [illegible] عالم العقل والنفس الى البدن [illegible] عن القوى الروحانية
النفسانية وحاصل [illegible] الالهية [illegible] النفس الانسانية عن عالم الارفع
الى الهيكل [illegible] الذي هو [illegible] حقيقة [illegible] عالم
العقلي والمنصة [illegible] البدن [illegible] الوطن الاصلي
[illegible] والقضاء الالهي [illegible]
[illegible] العالم الاعلى [illegible] والتقدسات [illegible]
[illegible] الطبيعة [illegible] الظلماني [illegible]
النفس [illegible] الاوهام [illegible]
بنيران الشهوات [illegible] البدن [illegible] القوى [illegible]
ما ذكرنا [illegible] ولم نجد له عزما [illegible] الذكر [illegible]
الله فنسيهم [illegible] الدنيا [illegible] الاخرة [illegible]
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون [illegible] الكفار [illegible]
فلما جهلت ابناء الدنيا عن احوال الاخرة [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible]
[illegible] ذكر الله وذكر الاخرة [illegible]
العهد القديم [illegible] الاخرة [illegible]
[illegible] الفطرة [illegible]
[illegible] يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم [illegible]
[illegible]
[illegible] الاخرة [illegible]
بالجنة والنعيم ومن كفروا وكذبوا [illegible] اهل النار والعذاب الاليم [illegible]
[illegible]
[illegible]
العقليين [illegible]
العلل الاتفاقية [illegible]
وكل ما [illegible]

اذا نور هذا فنقول ان الانزال والارسال والترغيب والترهيب والوعد والوعيد كلها امور عرضية طارية على افراد الانسان ان اتشيه
من عللها الذاتية المقتضية لوصل اثارها ووجودها ولا لما انفك منها واحد من افراد الناس نعم هي تتفاوت واحيانا تبين قبل الله
الينا بعد وجود المبادي والاسباب الغائية وان كان الكل من فضله وجوده وهي نافلة لوجوده لكن الكلام في تحقق العلل الضرورية وان كانت
لا اتفاقيات ايضا منجرة الى امور ضرورية لكونها مستندة الى ما في علم الله وما لم يقتضه الرحمة ويكون السبب الواحد لشيء قد يكون غرضها الشيء اخر
وكذا الشيء قد يكون بالنسبة الى الاسباب القريبة اتفاقية القريبة اتفاقيا وبالقياس الى البعيدة لزوميا كما في مسئلة اختيار العبد واذا
كان الامر غير ضروري حسن الايمان بربط دال على الامكان والشك فان الشك في التصور بازاء الامكان في الوجود ومن هذا يعلم ان
لا يقين في الحوادث والمتغيرات الا من جهة العلم باسبابها الذاتية الضرورية ولهذا قال الحكماء العلم بذي السبب لا يحصل الا من جهة العلم
بسببه وقال صاحب الكشاف وجيء بكلمة الشك ايذانا بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب
وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر
والاستدلال اقول ما ذكره من تخصيص الهدى بالارسال والانزال وهو تخصيص بغير دليل لان المراد منه كما ذكره بعضهم الادلة وبيان
فيدخل فيه غرائز العقول وقيام الادلة العقلية على النظر والاستدلال وكل كلام نزل على كل نبي فصل اعلم ان الاية تدل على امور
الاول التنبيه على جليل انعام الله وعظم رحمته في حق آدم وذريته لانه وان اهبطكم الى الارض واخرجكم الى الدنيا من
منازل العالية فقد عظمت عليكم الكربة ولكن انعمت عليكم بما يوصلكم مرة اخرى الى الجنة على وجه اتم وادوم زمانا واكثر عددا لان آدم وحوا
لو لم يهبطا الى الارض وبقيا في الجنة ابدا من غير تناسل لكان كثير غير محصور من الكمالات والخيرات فيهما في حد القوة ولم يخرج الى الفعل
امكان الخروج ولم يدخل منها في الجنة اعداد نفوس غير محصورة من اولادهما فعلم ان خروجهما من الجنة متضمن لخيرات كثيرة ونعم جليلة لهما
ولذريتهما الثاني انه ربما يتوهم ان من اتبع هداه لا يحصر علما وعملا بالاقتدار على ما يلزم من الاحتجاج عن ما يحرم فانه يلتبط الغير انه لا يعتريه فيها
خوف عن المآل ولا حزن في الحال وهذا متضمن لحسن ما اعد الله لاوليائه لان زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات وزوال الحزن
يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات لا يقال هذا يستلزم ان يتساوى جميع اهل الهدايات في السعادات ولا تفاوت فيها بين
الانبياء والامم لانا نقول كل واحد من اهل السعادة ينال جميع ما يشتهي ويسلم من جميع ما يستكرهه وهم مع ذلك متفاوتون في السعادات
لتفاوتهم في الشهوات وتفاوت ادراكاتهم الخيرات وكل ينال بقدر قوة وجوده في تحصيل سعادة تليق بحاله كماله الثالث ان الاية تدل على ان
المؤمن المتبع للهدى المعرض عما قرا الهوى لا يلحقه خوف اصلا لا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند تطاير الكتب ولا عند
نصب الموازين ولا عند الصراط كما قال سبحانه لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ومنهم من استثنى بعموم
قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ونحوها والعمومات الواقعة في اهوال القيمة وشدايدها على ان اهوالها لا تصل الى الكفار والفجار ولا
يصل الى المؤمنين والاخيار وجوابه ان قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر خاص وقوله يوم ترونها وامثاله عام والخاص مقدم على العام عند التعارض
والرابع ان الهدى قد ثبت لا الاهتداء لان الاول فعل الله وسنده ولا يتبدل والثاني فعل العبد وهو في معرض التحول والانعكاس
فلذلك كان من تبع هداي والخامس بطلان القول بان المعارف ضرورية السادس بطلان التقليد فان الاية دالة على ان الاية دلت
على ان الخلاص من الخوف والحزن انما يترتب على اتباع الهدى والمقلد لا يصدق عليه انه اتبع الهدى لان ذلك يتوقف على البصر ولا يقرم

في الهدى السابع ان مجرد اتباع الهدى يحصل استحقاق الجنة لان قبل الانسان في نفسه بطهارته الاصلية صالح
للجنان وانما عاقه عن ذلك كدورات الظلمات والجهالات وثقل الاوزار والتعلقات وباتباع الهدى عاد الى فطرته
نور العلم والعبادة فيستحق الجنة ان استحقاق ورد هدى على اعتدال يقبل الاهتداء وقرا يعقوب فلا خوف بنصب الفاء
والدليل قوله بالرفع والتنوين فصل والذين كفروا وكذبوا الاية تقتضي جعل الكفر والتكذيب بالايات في مقابلة اتباع الهدى علم
الهدى الايات وجعل الكفار والمقابل والمكذبين قسيما للمؤمنين المتبعين للايات فاوعدهم بانواع العذاب الاليم والخلود في النار
بالامن من العذاب والحزن وفي الاية اللطيفة العلمية وهو ان مقابلة تم عنها لا ولئك واتم من الايات علامة دالة بانك
من حيث الايات على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل بعض من كتاب الله المبين تفصل عن غيره بالاتساع معرفته معارف
لانها تبين ان ما مولى ذي القوى او كل البيد واصلها آية او اية كثيرة فابدلت عنها على غير قياس او انها اية الجماعة كونها فاعلة
فخر منها الجرم كذا في البيضاوي والمراد بالايات المنزلة كالكتب والرسل وما يعمهما والمعقولة وعند التحقيق حججها وحولا
عين البراهين العقلية وذوات الرسل عين مبادئها التي هي عقول بالفعل والكمل شواهد الحال العيانيات النطقية
عرضتموها والاهتداء بها يوجب العذاب والهلاك والسقوط عن درجة الكمال والانحطاط الى مهوى الارذال
الكلام في ان العاقل هل يحسن من الله ام لا وتفصيل حسنه هل يحصل على الدوام ام لا فقد ذكر في تفسير
ان الله سبحانه بين حال طائفتين من طوائف الناس بحسب العاقبة تكل كل منهما في طرفي التضاد من الاخر احدهما الكاملون في
الكاملون في الشقاوة ولم يبين حال الاوساط اما لان احوالهم يستفاد من احوال هاتين الطائفتين بوجه واما لان الا
تفصيل مراتب الناس بحسب العاقبة لان الكلام سوق ههنا في احوال ساوي نشاتي الانسان بدوا والقطر سواء بالبحر الذكر
النهاية ترتيبا واجمالا والتفصيل فيها موكول الى مواضع اخرى من القرآن مثل قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وآخرون مرجون لامر الله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان
والله عليم حكيم واعلم ان الموجب للعذاب الدائم ضرب من الكفر وهو الذي يكون مع اهل النفاق والمكذبين المعاندين
فيهم الجهل مع الاستكبار والرسوخ فيه واما الكفر بمعنى الصفة العدمية هي عدم الايمان بالله ورسوله لنا سطة قد
هذا الكمال وانحطاطها عن اكتساب هذا النور فلا يوجب في تلك الادوام الكون في النار وعذاب احدى من عذاب
والظلم نعوذ بالله وههنا اخر الايات الدالة على احوال مبادي نعم الله على الانسان وكيفية تكونه اولا في عالم
ونزوله ثانيا من اعلى المراتب الى ادنى المنازل ليستعد بذلك لنزول البلوغ الى السعادة القصوى والملك العظيم
ويستفاد منه الدلالة على التوحيد والنبوة والمعاد اما التوحيد فمن حيث ان المبدع المنشئ لهذا الكمال النشاة
والمتردد لعدو مجال الجبروت ومنازل الملكوت والمتقلب في اطوار الخلقة لحوال الفطرة قادر حكيم عالم محيط
الخلق والامر واما الدلالة على النبوة فمن حيث ان محمدا صلى الله عليه اخبر عن هذه العلوم الغيبية التي عجز عن كنه ادراكها عقول
وقصص اخبار مهم عن تعلمها من جهة الروح الانسانية وترددها في مكامن الغيب قبل ظهورها الشهادة من غير تعلم
بل بوحي الهي وعلم لدني وهؤلاء بعد تفكرهم لم يعلموا من الروح الانساني الا ما حكيت عن مراتب البلاد في الشهادة الرابع.

في الروح ولم يجعلها امرا بقاء هذا الا استمرار وجودها على نعت واحد وجوهرية واحدة [illegible] الكون [illegible]
ولا على انشائها الا الاخيرة بعد الموت تفاصيلها كالقبر والبعث والحشر والصراط والحساب والميزان والجنة والنار والرؤية [illegible]
واما الكلام الدال على المعاد فمن حيث ان القادر الذي يطلع على بدايات خلق الانسان لابد وان يطلع على نهايات خلقه وغايات [illegible]
بدايته فلا نهاية والانسان بجامعية ذاته وشموله على الطبع [illegible] والنفس والروح والسر [illegible]
ونهايات [illegible] وهذا بيان برهاني لمن شرح وتفصيل [illegible] وانما قيل في اثبات المعاد في مواضع عديدة [illegible]
من قدر على خلق هذه الاشياء ابتداء قدر على خلقها اعادة [illegible] المعاد [illegible]
قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون [illegible]
الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد وذكرهم ما انعم عليهم في ابيهم آدم [illegible]
[illegible] المنكرين [illegible]
للنبوة كما ان كفار قريش كانوا اكثر الناس انكارا للتوحيد [illegible]

[illegible]

[illegible]

بالذات فيرجع حاصلها مع انشعاب اقسامها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهي العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله
واوليائه وعالم المعاد واليوم الآخر والى علوم المعاملة وهي تحصيل حسن الخلق والاولى من علوم المعاملة جملة المنافع
لانها وسيلة الى حسن الخلق الذي هو عبارة عن سلامة القلب وطهارة النفس وصفاء الضمير فيحصل منها الخيرات الذاتية لانها علمية والعلم
لا يكون خيرا بالذات وانما هو وسيلة الى قبول الخير وهو صورة المعلم الى الحضرة الالهية وافعاله واثاره فعلوم المعاملة من المنافع المؤدية
الى الخير الحقيقي والسعادة الاخروية اذ لا سبيل الى سعادة الآخرة الا بالعمل والسعي وطريقهما [illegible] الانسان [illegible]
العفة [illegible] الدنيا هي منقسم الى عفة وهي سياسة قوة الشهوة حتى لا تكون متولية ولا مطيعة والى شجاعة وهي تعديل قوة الغضب
حتى لا تكون الانسان [illegible] متهورا ولا جبانا [illegible] ان يكون اقدامه واحجامه بمقتضى العقل المنور بنور الايمان والى حكمة وهي اصلاح
القوة الادراكية حتى لا تكون جربزة [illegible] الدنيا والمعرفيات الجزئية من العلوم التي [illegible]
من نقصها [illegible] بليد [illegible] الناقصة وهذه الحكمة [illegible] التي اثنى عليها كتاب الله بقوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا فانها كلما كانت اكثر [illegible] من تعديل هذه الثلاثة اعني الحكمة العفة والشجاعة [illegible] تحصيل النفس [illegible]
يسمى بالعدالة وهي ميزان [illegible] على لسان [illegible] ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
[illegible] الشهوة الجماع وترك النكاح [illegible]
ومن انهماك في الشهوات [illegible] الطغيان والخسران [illegible]
وفي ذلك يحصل النجاة عن عالم الاضداد [illegible]
عنها فهذه هي الفضائل والخيرات المختصة وهي سعادة الآخرة [illegible]
وغنى لا فقر معه وهي النعم الحقيقية [illegible]
للنفس [illegible]
[illegible]
الى ما هو خير حقيقي فلينقسم الى الامور الاخص الخير كفضائل النفس وهي اربع عفة وشجاعة وحكمة وعدالة والى ما يليها في القرب كفضائل
البدن [illegible] والى ما يليها في القرب كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجية
عن النفس وبين الحاصلة لها كالتوفيق والهداية [illegible] الخير الحقيقي [illegible] وهو المعرفة بالله وافعاله
من [illegible] وملائكته وكتبه ورسله [illegible] باليوم الآخر [illegible]
تناهيها وعدم امكان العد والاحصاء [illegible] نعمة الله لا تحصوها [illegible]
النفسانية التي ترجع الى سلامة القلب وطهارته وهي الاربعة المذكورة العفة والشجاعة والحكمة والعدالة وهذه الفضائل لا تتم الا
بالنوع الثاني منها هي الفضائل البدنية وهي ايضا اربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع
الثالث وهي النعم الخارجية المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجية
البدنية الا بالنوع الرابع وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسانية الداخلة وهي ايضا اربعة هداية ورشد [illegible]

وتسديده

وتسديده وتاييده وقد تم شرح هذه المعاني في تفسير الفاتحة فجميع هذه النعم ستة عشر اقساما وهذه الجملة يحتاج بعضها الى بعض
اما حاجة [illegible] كحاجة سعادة الآخرة الى حسن الخلق وسلامة القلب وكذلك حاجة الفضائل النفسانية ككسب العلوم وتهذيب
الاخلاق الى صحة البدن ضرورية واما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجية مثل المال
والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلية اولا ترى ان الفقير في طلب العلم والكمال الذي ليس له كفاية
كساع الى الهيجا بغير سلاح او كباز يروم الصيد بغير جناح ولذلك [illegible] نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله
المال وكيف لا ومن عدم المال استغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع
الاذى [illegible] يشغله عن الفكر والذكر ويحرم عن فضيلة الحج والصدقات وافاضة الخيرات سئل بعض الحكماء وقيل ما النعم فقال الغنى
فاني رايت الفقير لا عيش له قال زدنا قال الامن فاني رايت الخائف لا عيش له قال زدنا قال الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له وكانه ذكر
اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال من اصبح معافا في بدنه آمنا في سربه وله قوت يومه
فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال نعم العون على الدنيا المراة
الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو له الحديث واما الاقارب فمهما كثروا [illegible]
كانوا له مثل الاعين والايدي واما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو
يؤذيه [illegible] يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه راس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك
قيل الدين والسلطان توامان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى للغنى
الا ملك الدراهم ومن هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم [illegible] وكذلك
كان ائمتنا سلام الله عليهم يتوجهون الى الامراء [illegible] في الدنيا [illegible]
ومعاشرتهم ولا تظنن ان نعمة الله على رسوله حين نصره واكمل دينه واظهره في الارض واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب
حتى اتسع عزه وجاهه كان اقل من نعمته عليه حين كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة واما كرم العشيرة فهو ايضا
من النعم الجليلة ولذلك من الله به على بني اسرائيل في هذه الآية وفي قوله [illegible] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الائمة
من قريش ولذلك كان رسول الله من اكرم ارومة في نسب آدم ولهذا المعنى قال [illegible] اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم [illegible] والى العلماء وارباب [illegible]
الى [illegible] رسول الله [illegible] والائمة عليهم السلام والعلماء والشهداء الصالحين فان قلت فما معنى الفضائل البدنية ونعنى بها
فنقول لا خفاء في شدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر ولذلك اكمل السعادة طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر
من جملتها امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه ايضا
من الخيرات اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة
وحاجة الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة
اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على حاجات الدنيا فهو معين على الآخرة بواسطتها [illegible]

اصحاب

ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن والمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول
الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك
قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه من الديوان
وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة واذا اشرقت على الباطن ففصاحة وهذا ليس بظاهر ولا باطن وقال اطلبوا الخير عند
حسان الوجوه وقالت الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال سبحانه ممتنا به وزاده
بسطة في العلم والجسم وليس المراد بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة مذمومة وانما نعني به ارتفاع القامة مع الاستقامة مع الاعتدال
في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت كيف يكون المال والجاه
والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله وكذا اهل بيته قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال الناس
الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فمعنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من اخذ
العلوم من الالفاظ المنقولة والتأويلات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ما هي
عليها ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان
فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثل الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عنها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر
عليه هلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص وطريق
الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهل بذلك فقد هلك ولذلك مدح الله المال وسماه خيرا ومدحه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم العون على تقوى الله المال الطيب وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله على رسوله اذ اظهره على الدين كله وحبب في قلوب
الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذمهما كثير حتى ذم الرياء وهو ذم الجاه اذ الرياء المقصود فيه
القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذلك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر
الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا
في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليه الغنى كما
كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم في النعم الدنيوية
كلها مشوبة وقل ما يتسع دواؤها بدوائها ورجوعها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يعرف منها ما شاء
ويستخرج دواءها الا فالفرار الفرار والبعد البعد عن مظان الاخطار فلا يعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم الا
من عصمه الله وهدى لا فهذه مجامع نعم الله واسبابها الكلية وكل منها يعد ولا يحصى الى ما لا يتناهى بل كل ما يوجد من الموجود في الدنيا
فهي نعمة يصدق عليها بوجه من الوجوه انها نعمة لانه اما خير واما وسيلة الى الخير والشر اما لذاته لانه اما عدم ذات او عدم كمال ذات
كالموت والكفر والجهل والفقر وامثالها التي هي شرور بالذات من حيث هي عدمية وانما الظلم والجحود والقتل والجور والفسق والمنكر والفساد
وسائر الكبائر وامثالها فهي شرور بالعرض لانها مؤدية الى ما هو شر بالذات اعني عدم الحيوة الابدية وما هو عدم كمال الحيوة ولهذا

شرح

شرح وتفصيل للموضع ولهذا اغمضنا الموضع هذا اعلم ان كل ما يصل الينا في كل وقت ولحظة من اناء الليل والنهار
من النفع او دفع الضرر فهو من الله تعالى على ما قال وما بكم من نعمة فمن الله واما الشرور والآفات فهي من انفسنا ومن قصورها قابليات
وسوء استعداداتنا التي هي ايضا منتهية بوجه الخير الى الله وبوجه الشر الى الامكانات ولوازم المهيات الناقصة من قصور
الوجودات فان وجود المحال لا ينفك عن نقص لا بد من فرق بين المفيض والمفاض عليه فجميع ما في العالم على التحقيق
نعمة اما منتفع بنفعه او منتفع بضره او مؤد الى الخير لكن لا يمكن ان يقال ان جميع ما في العالم نعمة لا حد له ولا احصاء فهو نعمة من الله
في حق الانسان اذ ما من شيء الا وله انتفاع بها اما التي اوجدها فينا من المنافع واللذائذ والجوارح والآلات فظاهر انتفاعنا
بها لانا نستعملها في جر المنافع ودفع المضار الدنيوية والاخروية واما التي خلقها الله تعالى خارجة عنا فهي ايضا نستلذ
او ننتفع فيها والاستدلال على وجود الصانع وحكمته وجوده ولطفه فهي كلها منافع ينتفع بها اما حالا او مآلا
وسائل الى المعرفة والحكمة وهي اما نفس السعادة واللذة الدائمة او وسيلة اليها فظهر ان جميع مخلوقات الله تعالى نعم للعبد
متناهية لا يمكن عدها ولذلك قال الله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت اذا كانت النعمة غير متناهية فليف يمكن شكرها
وايضا اذا كانت غير متناهية لم يمكن علم العبد بها فكيف امر الله تعالى بتذكرها في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والجواب عن الاول
ان المراد بالنعمة ما يمكن الانتفاع به سواء انتفع به احد ام لا فكل واحد من الامور المخلوقة مما يمكن
ان ينتفع به العبد فيكون نعمة في حقه واما عن الثاني فان الاشخاص غير متناهية والطبايع النوعية متناهية ويمكن لنا العلم بالطبايع
والعنوانات والحكم بها على وجه يسري في اشخاصها الغير المتناهية كما في القضايا الكلية مثل قولنا كل انسان قابل لنوع
الكتابة ففي هذا الحكم تصور الجنس والعنوان اي مهية الانسان بالكنه وتصورنا افرادها كلها بالوجه وحكمنا عليها بقبول نوع
الكتابة وهذا اقرب من العلم وهو يكفي للتذكر الذي يفيد العلم بوجود الصانع وحكمته من آثار صنعه وانواع حكمته وقد ثبت
ان جميع ما في العالم من المخلوقات نعمة في حق الانسان وقد بينا انها كلها خيرات بالقصد الاول والشر بالتبع هذا ما هو مذهب
واما على مذهب اهل السنة فيجوز ان الله خلق الشرور والمؤلم البري من غير ان يكون القصد فيه الا صلاحهم وحالهم او مالهم ثم اختلفوا
في ان هل لله تعالى نعمة على الكافر في الدنيا ام لا فمنهم من قال هذه النعم في الدنيا لما كانت مؤدية الى الضرر والالم في الآخرة لم يكن تلك
نعمة فان من جعل السم في الحلواء لم يعد النفع الحاصل من اكل الحلواء نعمة لما كان وسيلة الى الضرر العظيم ولهذا قال نعم ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومنهم من قال ان لله تعالى نعما على الكافر منها الدينية والدنيا
وهو قول الباقلاني وهذا اقرب الى الصواب لكن الاشكال المذكور في مثال الحلواء المسموم باق ولا يمكن حله بنوع فكر المتكلم
وصنعة المتفقه وكلامهم وانما يحل وينكشف بنوع نور البصيرة الكاشفة لاسرار حكمة الله تعالى في خلق الكفار وتنعيمهم مدة لعمارة
هذه الدار وتعذيبهم في دار القرار بحصة التسنيم بسبب اعمالهم ذلك العذاب لعجز البشر والذين كفروا قطعت لهم ثياب
من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي الذين انقطعوا عن الله وعالم ملكوته واعرضوا عن اصحاب الهدى والتجريد واهل الروح والعقل
واتبعوا الهوى والشهوة والطبيعة قطعت لهم بمقتضى خياط القضاء ثياب من نار القدر على قدر نفوسهم المحترقة بنار الهوى

الشهوة وحب الطبيعة وهي ثابت الخلاق وذميمة لينبعث من سوء مخالفات الشرع لاجل موافقات الطبيعة ويتسبب من فوقهم
اي من قبل الائمة المضلة عليهم جحيم الشهوات النفسانية لسرعة قابليتهم لها والائمة المضلة فيجيبهم الى حتفهم على ما قيل ومن تحت ارجلهم
من بعض ... من ابدان المآكل الحلال فيذيب به ما في بطونهم وقلوبهم ويخرج ما في نفوسهم من الملكات والاخلاق والافعال يوم
تبلى السرائر فيصير صورة بصورة متولدة معذبة لهم ... قلوبهم وهي الملكات الذميمة التي ... كلما ارادوا
ان يخرجوا من دار الجحيم جحيم الهوى ونار الهاوية ... سوء العاقبة اعيدوا فيها ... الاخلاق والعلمية الجبلية
واستيلاء الحرص عليهم وقيل لهم ذوقوا عذاب ما اسرفتم في الشهوات ... واتبعتم من الاخلاق ...
كما ... الحسنات كما ياكل النار الحطب ... اشارات كثيرة في هذا الباب كقوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم الاية وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا
والسماء بناء وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وهذا ... وان الله تعالى انعم على ... اهل الكتاب
وقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الى قوله ثم انتم تشركون وقوله ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا
ما تشكرون وقوله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها ... وقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار
الى غير ذلك من دلائل النعمة العامة وشواهد الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء من غير اختصاص باهل الايمان واما حديث العذاب
الدائم والخلود في النار للكفار وقد مضى ... في ... فصل ... الاية استغفارا
لطيفا بالخطاب ... المخاطبين من اهل الكتاب ... حيث خاطبهم الله بذكر النعمة ...
بهذه الملاذ الدنيوية والمقاصد النفسانية كانزال المن والسلوى وتظليل الغمام عليهم وتفجير العيون الاثنتي عشرة
واعطائهم الحجر الذي ... يسقيهم ... الماء ...
فيهم البلاء من فرعون وقومه ... وجعلهم ملوكا ... فرعون والقبط واراثهم
ارضهم وديارهم كما قال واورثنا بني اسرائيل ...
من النعم الدنيوية ولو كانوا من اهل القلوب المنورة بانوار ...
الى تذكر احوال النعم بل كان ... وكيفية ...
النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فانظر الى التفاوت بينهم وبين هذه الامة المرحومة حيث قال لهم اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ...
الامة بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ... فاذكروا نعمتي واشكروا ...
ذكر ... هذه الامة ... المتقدم
على ذكر الله ...
رضي الله عنهم ورضوا عنه ...
ونتيجة ... ذكر اللسان وذكر الاركان وذكر النفس وذكر القلب وذكر الروح
وذكر السر فذكر اللسان بالاوراد فاذكروني بالاوراد اذكركم بالامان وذكر الاركان باستعمال الطاعات فاذكروني بالطاعات اذكركم بالثبات

اذكركم

اذكركم بالكرامات وذكر النفس بالاستسلام للاوامر والنواهي فاذكروني بالاستسلام اذكركم بنور الاسلام وذكر القلب بتبديل الاخلاق
الذميمة وتحصيل الملكات الكريمة فاذكروني بالاحوال والمقامات اذكركم بالاستغراق في المشاهدات وذكر الروح بالتفريد والتجريد
فاذكروني بالتفريد والتجريد اذكركم بالتوحيد والقربة وذكر السر بفناء الوجود والفناء فاذكروني بفناء الوجود والفناء اذكركم ببقاء
الشهود والبقاء وهذا حقيقة قوله تعالى في الحديث الرباني وان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهذا اهل الذكر الحقيقي ان يصل الذاكر
والمذكور ذاكرا بل يكون الذكر والذاكر والمذكور واحدا ... لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما قال ...
فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وهذا الدعوى اي فناء العبد عن نفسه ...
مشهور للعارفين بالعيان ... البرهان ... من علم النفس وكيفية ... في المعارج ...
بالعقل الفعال كما هو مذهب كثير من الحكماء الاقدمين منهم فرفوريوس ... الفراش مع الشمع واشتعاله بشعلة الشمع فلما ... الفراش
بالشمع وجوده نال من وجود الشمع مقصوده كما قيل انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا الى آخره ومثال آخر الحديدة
المحماة بالنار حيث ... بالنار حتى ...
من الاحراق والاضاءة ... النفس اذا استغرقت بنور الله واتصلت بعالم الربوبية وتخلقت باخلاق الله ...
لا ... وبي يسمع وبي يبصر ... وهذا تحقيق قوله تخلقوا باخلاق الله وقوله لا يزال
يتقرب العبد الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ... فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وبي يمشي
فصل في ... هذه النعمة ... الايمان بالله ...
من دين محمد ... فان الايمان بالله واليوم الاخر ... كان من لدن آدم
ابتداء الخلق الى ... محمد ... اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي اي دين الاسلام ونعمة الايمان ...
يتذكرها ...
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر كانت متفاوتة في كل زمان بحسب الكمال والنقص والقوة والضعف فكلما قرب من ...
كانت اكمل واقوى ... الامم السابقة على هذه الامة الذين هم خير الامم ...
والوهم والعقل فكانت العقائد ... من آدم ...
واكثرهم كانوا يعبدون الاصنام ...
في قوالب الاصنام واشكال الاجسام واما امة موسى عليه السلام فكانت عقائدهم ...
كتابهم الالواح ...
واما امة عيسى روح الله ... نور العقل ... والتوحيد ...
منزها عن ...
والمزايلة ... كما في قول امير المؤمنين عليه السلام مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة ...

الخيال ونور العقل وطور وراء هذه الاطوار الثلاثة من الانوار وانواعها الغير متناهية كل منها على قوم وهي كلها الحجب الجسمية نورية
اليها في قوله ان لله سبعين حجابا من نور وتلك الحجب كانت كلها مرجحة في الامم السابقة غير مرتفعة عنهم وهي هذه الامة مترفعة
ونجا امرها الى ثلث وسبعين كما اخبر عنه بقوله ستفترق امتي الحديث ولم يصل السالك الى التجلي من تلك الحجب الا وظن انه
قد وصل اليها الا انا عرفنا بقول ابرهيم الخليل وهو فاتح باب التوحيد وشيخ الموحدين وابو العارفين على نبينا وعليه الصلوة والسلام
فعبر عن نور الحس بالكوكب وعن نور الخيال بالقمر وعن نور العقل بالشمس ثم عبر عنها وجاوزها جميعا قائلا وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا مسلما وما انا من المشركين واشار الى الخواص من هذه الامة دعاء بقوله ومن ذريتي امة مسلمة لك ثم بالجملة كان هذا النور
في اصلاب عالم العقول المتقدمة وارحام استعدادات النفوس الطاهرة متنقلا من طور الى طور ومن حال الى حال الى ان ظهر وصار الى
استقر الى غايته وبلغ نهايته ووصل الى المبدأ الذي فارقه واتصل من آخر القوس الصعودية الى اول الوجود لاجل القرب الذي
فكان قاب قوسين او ادنى فهذا هو معنى العهد الذي اخذ الله ميثاقه على الانبياء وقد انبت على حقيقته في الكتب المتقدمة من وصف نبينا
وانه سيبعثه الله في آخر الزمان على ما صرح به في سورة المائدة ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله
اني معكم لئن اقمتم الصلوة الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة
والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل وقال ابن عباس ان الله
كان جعل الى بني اسرائيل في التورية اني اعث من بني اسمعيل نبيا اميا من يتبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته
وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي من ولد اسمعيل وتصديق
هذا في القرآن في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا واعلم ان
تدل وجهت في كتب الانبياء المتقدمين المنقولة الى العربية المشهورة بين امهم بشارات وانذارات اصرحها واصدقها نبينا
فمنها ما جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا مثلي من بينكم ومن اخوتكم وفي هذا الفصل ان الرب
قال اني اقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما امرته به والرجل الذي لا يسمع كلامي الذي يؤديه عني ذلك الرجل باسمي فانا انتقم منه والمراد ببني اخوة
اسرائيل هو اسمعيل على ما هو المتعارف فلا يصرف الحمل على نبي من انبياء بني اسرائيل الا الى عيسى لانهم لم يكونوا من اخوتهم
ولا مثل موسى في كونه صاحب شريعة مستانفة فيها بيان مصالح الدارين فتعين محمد صلى الله عليه وسلم ومنها ما جاء في الفصل العشرين من هذا
السفر ان الرب تعالى جاء من طور سيناء واشرق لنا من ساعير وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الملائكة القديسين تحريم الى العزة
وحببهم الى الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة وبين الاحبار ان مجيء الله نزول التورية على موسى بطور سيناء وانزال الانجيل على عيسى
بساعير فانه كان يسكن من ساعير قرية تسمى ناصرة وانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة فان فاران في طريق مكة بميلين ونصف وهو الان جبل
وقد بقي اليوم على يسار الطريق من العراق الى مكة قال اليهود ان الانبياء قد ظهرت من طور سيناء وظهرت من ساعير فاين ظهرت من جبل
فاران ايضا فانه لم ينزل في هذه المواضع وما ذكروا باطل لان الله خلق نارا في موضع فانه لا يقال جاء الله من ذلك الموضع الا اذا تبع ذلك
الواقعة وحي نزل في ذلك الموضع او ما شابه ذلك وعندكم انه لم يتبع ظهور النار وحي الى ادم الا من طور سيناء فما كان ينبغي الا ان يقال
جاء الله من طور سيناء فقط فاما ان يقال طلوعه من ساعير ومن جبل فاران فلا يجوز وكما لا يقال جاء الغضب والغمام اذا ظهر في التهام

اخراق

اخراق ونيران لا يتفق في الربيع وتصديق ذلك ما في كتاب حبقوق وهو جاء الله من طور سيناء والقدس من جبال فاران لقد انكشفت السماء
من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده يكون شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعزته تسير المنايا امامه وتصحب سباع الطير اجناده قام
فمسح الارض وتامل الامم وبحث عنها فتضعضعت الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وتزعزعت ستور اهل مدين وكتب حيقوق
ويعلو مراكب الانقاذ والغوث وستنزع في قسيك اغراقا ونزعا وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتواء وتخرق الارض بالانهار ولقد راتك
الجبال فارتاعت وانحرف عنك شؤبوب السيل ونعرت المهاوي نعيرا ورفعت ايديها وجلا وخوفا وتوقفت الشمس والقمر
عن مجراهما وسارت العساكر في برق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الارض غضبا وتدوس الامم زجرا لانك ظهرت بخلاص امتك
وانقاذ تراث آبائك هكذا نقل علي بن زين الطبري امام النصارى كلام حبقوق في كتابه المعروف ثم ان النصارى في نقولهم وظهر من جبال
فاران لقد تقطعت السماء من بهاء احمد المحمود وتروى السهام بامرك المحمود لانك ظهرت بخلاص امتك وانقاذ مسيحك فظهر ان المراد
بقولهم ظهر الرب من جبل فاران ليس ظهور النار بل ظهور شخص موصوف بهذه الصفات وليس الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال ابو المراد مخي الله تعالى عنه
قال في آخر الكلام وانقاذ مسيحك فقلنا لا يجوز وصف هذا بانه ركب الخيول عبارة عن جاء المسيح القديمة وانما قوله وانقاذ مسيحك
انقاذ المسيح من كون اليهود والنصارى ومنها ما جاء في السفر الاول ان الله تعالى قال لابرهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يكون يده فوق الجميع
وبد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ومنها ما جاء في كتاب شعيا في الفصل الثاني والعشرين منه قومي فازهري مصباحك يريد مكة فقد دنى
وقتك وكرامة الله طالعة عليك فقد تجلل الارض الظلام وغطى على الامم الضباب والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر كرامته عليك يسير
الامم الى نورك والملوك الى ضوء طلوعك ارفعي بصرك الى ما حولك وتاملي فانهم مجتمعون عندك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد
بعيد ويتزين بناتك على الارائك والسرر وحين ترين ذلك تسرين وتبتهجين من اجل ان يميل اليك ذخائر البحر ويحج اليك عساكر الامم
ويساق اليك كباش مدين ويأتيك اهل سبا ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه وتسير اليك اغنام فاران ويرفع الى مذبحي ما يرضيني واحدث
حينئذ لبيت محمدي حمدا وتفسير ذلك ان العرب كانت في الجاهلية قبل الاسلام يقولون لبيك لا شريك لك لبيك فهذا هو تحميد الذي جدد الله لبيت محمد
ومنها ما روي السمان في تفسيره ان في السفر الاول من التورية ان الله اوحى الى ابرهيم عم فقال قد اجبت دعاءك في اسمعيل وباركت عليه فاكثرته
وعظمته جدا وسيلد اثني عشر عظيما واجعله لامة عظيمة ودلالة هذا الكلام انه لم يكن في اسمعيل من كان لامة عظيمة غير نبينا عم
ومنها دعاء ابرهيم واسمعيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغا من بناء الكعبة وهو قولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا دعوة ابرهيم وبشارة عيسى وهو قوله عم ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد ومنها ما ورد في الانجيل انه ورد في الاصحاح الرابع عشر منه انا اطلب لكم الى ابي حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطا
ليكون معكم الى الابد وفي هذه العبارة انا اذهب وسياتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له
ذلك ان ابعث الامام يوحي الى ويقول قبل ما يكون لكي اذا كان ذلك تؤمنوا به ان ابعث الامام يوحي الى يقول في تفسير فارقليط وجوه احدها
روح الحق واليقين وثانيها الشافع المشفع وثالثها ان بعض النصارى ذهب الى ان الفارق بين الحق والباطل وكان في الاصل فاروق كما يقال
راووق للذي يروق واما الطاء فهو التحقيق في الامر وهو كاسم في لغة العجم ورابعها انه مشتق من الحمد وهذا الاسم ليس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم
واحمد ومحمود ويقال ان مفسري التورية اتحدوا في ان بمكة وسكنه طيبة وملكه بالشام واسمه احمد دولة ومنها ما في الاصحاح الخامس عشر فاما فارقليط

ذلك

روح القدس الذي يرسله الاب باسمي هو يعلمكم ويذكركم جميع الاشياء وهو يذكركم ما قلته لكم ثم قال واني قد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان ذلك
تؤمنوا بي وقوله باسمي يعني بالنبوة ومنه ما في السادس عشر اقول لكم الآن حقا يقينا ان انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق لم يأتكم
الفارقليط وان انطلقت ارسلته اليكم فاذا جاء هو يفند اهل العالم ويدينهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والاثم اذا جاء روح
اليقين يرشدكم ويعلمكم جميع الحق لانه ليس يتكلم من عنده بل [illegible] ومنها ما في الزبور [illegible] اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس
انه بشر يعني ابعث محمدا حتى يعلم الناس انه بشر [illegible] وامثال هذا كثير في كتب الانبياء المتقدمين [illegible] المتعنتون
الواقفون على كتبهم [illegible] على دفنها او صرفها [illegible] ولا [illegible] ان يكتبها [illegible] والجحد [illegible] كما غيروا ما اراد الله
ما تفرق من نصوص [illegible] فصل قوله اوف بعهدكم المراد من هذا العهد عند المعتزلة هو ما دل عليه العقل من ان
الله يجب عليه ايصال الثواب الى المطيع [illegible] الوجوب بالعهد [illegible] الوفاء به واما عند الاشاعرة فحيث لا وجوب [illegible]
عندهم على الله [illegible] ان يكون [illegible] كما قال ومكروا ومكر الله وذلك
لان معنى الامر [illegible] والموصوف به هو العبد دون الله [illegible] بالثواب الذي [illegible]
ان لا [illegible] الصدق [illegible] ذلك العهد [illegible] الوقوع كما
[illegible] هذا [illegible] الامام الرازي [illegible] على سبيل [illegible]
عند الاول مذهب المعتزلة والثاني مذهب [illegible] الاشاعرة [illegible] الثواب [illegible]
ان كان [illegible] المذكورين [illegible]
[illegible] المراد من هذا العهد هو النور [illegible]
بالامر [illegible] على السموات والارض [illegible] الانسان [illegible]
شيئا فشيئا [illegible] والنور [illegible] الانسان [illegible] القوة الى حد [illegible] الفعل
[illegible] سائر الانبياء [illegible] خاتم الانبياء عليه وآله السلام [illegible]
هذا النور الذي [illegible] رسول الله [illegible] قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالنور هو [illegible]
نور من انوار الله [illegible] الكتاب [illegible] والعقلية والنفسية [illegible]
[illegible] وكيفية [illegible] الموجودات وكيفية [illegible] في خلق السموات والارض [illegible]
على صفحات [illegible] الممكنات [illegible] جميع الاشياء [illegible] الى اللوح [illegible]
[illegible] فقد سعد [illegible]
[illegible] المطلق [illegible]
في سلوك [illegible] واما ايفاء الله عهد العبد [illegible] من مراتب عبوديته [illegible] من مقامات سلوكه
الى الله [illegible] المراحل [illegible] والعقلية [illegible]
من الحجب [illegible] الى [illegible] فصل

قوله واياي فارهبون معنى الرهبة هو الخوف والخشية وهي حالة تحصل في القلب [illegible] وكذا الرجاء [illegible]
على [illegible] والخشية [illegible] الخشية [illegible] الاستعظام والمهابة [illegible] لكن [illegible]
خائف [illegible] الجرأة على الله [illegible] المتكلمين [illegible] الخوف [illegible] واما اهل [illegible]
فالخوف عندهم [illegible] العقاب [illegible] انما يخشى الله من عباده العلماء [illegible] عذاب الآخرة انما يصل الى [illegible]
واهل [illegible] الدنيا [illegible] الدنيا [illegible] العطاء [illegible]
وجاء [illegible] الحساب والميزان [illegible] القيامة [illegible] على رؤوسهم [illegible] بنار الجحيم [illegible]
ابدانهم وجلودهم [illegible] كل عذاب [illegible] سواء كان في الدنيا او في الآخرة انما هو [illegible] الى عذاب [illegible]
من جملة [illegible] والمهلكات [illegible] وحكمته [illegible]
[illegible] الالهية [illegible]
[illegible]
[illegible] اولا ترى ان كثيرا من الهيئات والكيفيات المتضادة والقوى [illegible] في حقيقة الانسانية بواسطة [illegible]
على الانسان [illegible] النار والماء والارض والهواء [illegible] الا انها [illegible]
التابعة للصورة الحيوانية الحافظة للمزاج وكلما كانت الصورة اقوى جوهرا [illegible] الى عالم الامر [illegible]
الى ان ينتهي الى العقل البسيط [illegible] للاشياء [illegible] وهذا
ما قاله بعض الحكماء ان العقل كل الموجودات [illegible] الانسان [illegible] الى مقام العقل [illegible]
وسطوات الالهية ومن لم يعرف [illegible] عذاب القبر [illegible] العلماء الراسخون
فانهم يخشون الله دون عقابه ولا يخشون شيئا آخر [illegible] واياي فارهبون [illegible] لا اخاف احدا
الا الله [illegible] الخوف [illegible] الرهبة والخوف [illegible] الرغبة والرجاء [illegible] لا يرجو احدا الا الله
لان كل محبة [illegible] رجاء [illegible] الحق [illegible] المنظور [illegible]
بعض العرفاء الخوف [illegible] خوف العقاب وخوف الجلال [illegible] نصيب اهل الظاهر والثاني نصيب اهل القلب [illegible]
[illegible] الرجاء [illegible] الثواب ورجاء الله [illegible] اهل [illegible] والثاني نصيب اهل اليقين [illegible] اهل القلب [illegible]
انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله ذلك لمن خشي ربه وقوله ويحذركم الله نفسه وقوله واياي فاتقون [illegible] اهل الظاهر
فقوله ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد [illegible] اهل اليقين [illegible] اليوم الآخر [illegible] اهل الظاهر فقوله [illegible]
[illegible] وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible] خوف العقاب وخوف الجلال [illegible] في دعائه [illegible]
يقول اللهم اني اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك [illegible] الخلق [illegible]
والرهبة واعلم ان الخوف والرجاء يجب ان يكونا مجتمعين في القلب [illegible] هذه الآية
وقوله واياي فاتقون وقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى

وقوله فحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وقوله
انهم يحسنون صنعا وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومن آيات الرجاء قوله
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء وسأكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرءوف رحيم وكذا
يقول الله عز وجل اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ثم يقول الله وعزتي وجلالي لا اجعل من آمن بي ساعة من ليل
او نهار كمن لا يؤمن بي ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم لئلا يستولي عليك الرجاء بمرة وقوله شديد العقاب عقيبه بقوله ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف بمرة واعجب من ذلك
قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقيبه والله رءوف بالعباد واعجب منه والطف قوله من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية بالرحمن
دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه ليكون الخشية مع ذكر الرحمة لئلا يكون الخشية بطرا وطيشا بمرة فيكون تخويفا وتحريكا
في تسكين [illegible] ايضا اشارة الى ما سبق من [illegible] رحمة المحسنين وعذاب العاصين كما قيل [illegible]
[illegible] وقال سهل التستري الخوف ذكر والرجاء انثى اي منهما يتولد حقائق الايمان وقال الله تعالى
للخائفين ما ادخر على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما
يخشى الله من عباده العلماء وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال رسول الله صلعم راس الحكمة مخافة الله وروي عن
داود النبي عم يعوده الناس يظنون ان به مرضا وما به مرض الا خوف الله والحياء منه وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال
ابو علي الروذباري الخوف والرجاء كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم في طيرانه فصل ان النظر في افعال الله ومعاملاته
مع الخلق كما يؤدي الى الرجاء العظيم كذلك النظر فيها يؤدي الى الخوف [illegible] اما جانب الرجاء فمن تامل لطائف نعم الله بعباده وعجائب
حكمته التي راعاها في فطرة الانسان حتى علل كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء والنمو وغيرها وما هو محتاج اليه
الفضيلة وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتقعير الاخمص من القدمين وغير ذلك مما لا يشتمل بفقده غرض
مقصود وانما يفوت به [illegible] اذا لم يقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايا
في الزينة والحاجة فكيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان امر الآخرة على هذا القياس
يكون فهذا اذا تامل احد قوى اسباب رجائه وكذا التامل في انه يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة وقوله قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي انه كيف عاتب ابرهيم عم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى عم في امر قارون
فقال له استغاث بك مرارا فلم تغثه وعزتي لو استغاث بي مرة لاغثته وعفوت وكيف عاتب نوحا [illegible]
[illegible] وكيف قبل عذرهم ورفع عذابهم
الاليم عنهم بعدما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال
فقال لا اراكم تضحكون حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى وقال جاءني جبرئيل عم فقال ان الله تعالى يقول لم تقنط عبادي
من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلعم يقول الله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور

ان الله

ان الله مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الانس والجن والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين
يرحم بها عباده يوم القيمة واذ قد اعطى [illegible] كل هذه العطايا الكريمة الوفيرة [illegible] من هذه الآية
المرتجاة ثم غمر ذلك من النعم الحسنة الظاهرة نرجو من فضله العميم ان يتم ذلك [illegible] الاحسان [illegible]
ويجعل لنا من تسعة وتسعين حظا وافرا ونسأل ان لا يخيب آمالنا بفضله وكرمه واما من جانب الخوف [illegible]
ثمانين الف سنة فلم يبق شبر في موضع قدم الا وسجد لله تعالى فيه ثم ترك له امرا واحدا فطرده من باب [illegible]
عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا اليما ابد الآبدين حتى روي ان الصادق الامين صلعم
راى جبرئيل متعلقا باستار الكعبة وهو يتضرع الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم آدم صفي الله خلقه بيده واسجد له ملائكته
على اعناقهم الى جواره فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي لا يجاورني من عصاني فامر الملائكة الذين حملوه
الى السماء حتى اوقعوه بالارض فلم يقبل توبته [illegible] حتى بكى على ذلك ثلثمائة سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه في
ذريته في تبعات ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين احتمل في امر [illegible]
كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض [illegible]
انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله سبحانه اربعين سنة ثم ابرهيم الخليل صلوات الله عليه لم يكن منه الا هفوة [illegible]
فكم خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف [illegible]
جبرئيل فيقول يا ابرهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي ثم موسى
لم يكن منه الا لطمة واحدة [illegible] فكم خاف واستغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا
[illegible] اذ نظر الى العرش وهو المعني بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها [illegible] واحدة مال الى الدنيا [illegible]
واحدة وترك لولي من اوليائه حرمة واحدة سلب معرفته وجعل بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب [illegible]
والخذلان الى الابد حتى كان بعض العلماء يقول كان امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين يكتبون عنه
بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وخذلانه فانظر الى الدنيا وشؤمها ما يحدث للعلماء
فتنة ثم داود عم خليفة في الارض وقع منه شيء فبكى على ذلك حتى نبت العشب من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب
يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ونقل عنه انه بكى داود عم اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه
حتى غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم انزل الله عليه التوبة
والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته مكتوبة في كفه وكان لا يبسط كفه لطعام ولا شراب ولا غيره
الا رآها فابكته وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه وروي
انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من ربه وكان يقول الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت
الي روحي ثم يونس غضب غضبة واحدة في غير موضعها فحبسه في بطن الحوت في قعر البحر اربعين يوما وهو ينادي لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا نسمع صوتا معروفا في مكان مجهول فقال الله تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت الملائكة

ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فسبه الى بحثه ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون ثم ذكر منته ونعمته فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه [illegible]
ايها المسكين وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين واكرم خلقه [illegible] فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير كان يقول
شيبتني سورة هود واخواتها قيل [illegible] الآية واشكالها في القرآن [illegible] واستغفر لذنبك [illegible] فقال
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك [illegible] ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكان بعد ذلك يصلي الليل حتى تورمت قدماه
فيقول له [illegible] افعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان [illegible]
ويبكي ويقول في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
كان بعض العلماء يقول لا تأمن [illegible] [illegible] فاسأل الله الكريم [illegible]
اذ لا طاقة لنا [illegible] في الادعية [illegible] الكاملة على قائلها [illegible] السلام والتحية اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك
وان تشأ تعذبنا فبعدلك [illegible] ولا طاقة لنا [illegible]
دون عفوك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
دون الاستعداد [illegible] الدنيا [illegible]
طلب [illegible] العلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الآية [illegible]
العلماء [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وهو [illegible]
ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون [illegible]
[illegible] الايمان بما انزل الله على رسوله [illegible]

يهود

بدا الهلوع [illegible] الآخرة [illegible] الحضرة الالهية [illegible]
ولا آخرة [illegible] معاني القرآن [illegible]
الى قلب النبي [illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] الاحكام [illegible]
من حيث ان كل واحد منها [illegible]
منها [illegible]
ولا بحبل [illegible] الله [illegible]
وبالقرآن [illegible]
[illegible] القرآن [illegible] الايمان [illegible]
بحقيقة القرآن [illegible]
ان الآية انما نزلت [illegible] الايمان [illegible]
شهادة كتب الانبياء عليهم السلام [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تكونوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تكونوا اول كافر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اليهود [illegible]
اليهود على ذلك الكفر [illegible]

واعلم انه انما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا المقدم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم اعظم وكفرهم اشد اذ كان السابقين الى الايمان كان قد اوفى الثواب واشد قربا من الله لقوله والسابقون السابقون اولئك المقربون لكن هؤلاء السابقون الى الكفر كانوا اعظم ذنبا بعدهم واشد ضلالا واكثر بعدا عن الحق ولما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقيل ان الاولية موجبة لزيادة القبح والاثم وذلك لانهم اذا سبقوا الى الكفر يقتدي بهم غيرهم فيدل اولا فالاول يوجب ان يكون لهم وزر ذلك الكفر ووزر من يكون الى يوم القيمة وانه اذا وجب التحرز من ان يكون اول الكفر والتعرض لم ولا شك فيه ان منقصة عظيمة فضل التحرز فيه ... الى ان يكون ثانيا واولا كافرا ولا الدخول فيجوز ان يكونا او اولى المقصود النهي عن الكفر على كل حال وخص اول الكفر بالذكر لما ذكر من عظيم موقعه وكان ان قوله تعالى بغير السموات بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد لا ترونها وقتلهم الانبياء بغير حق ... ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا يدل على اباحة ذلك بالكثير وكما قال الشاعر ... على ... فهم فحشا ... اليا قد ... على استعظام الكفر من ... ان كونهم ... لان تحقق وجود النبي موقوف على ارتفاع ... فكل التحقق الايمان بما انزل كان موقوفا على ارتفاع جميع انحاء الايمان ... اذ احصل في القلب لا يمكن ... اولا ايمانا بالحقيقة وهو آخر الايمان فصل ... ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا اي ولا تستبدلوا الايمان بالرسول بغيره ... على آيات الله قليل من الدنيا وجاههم الحقير عند ابنائها ... الثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم ... بآيات الرسول ... فاستبدلوها وهي الثمن القليل ومتاع يسير بآيات الله ... كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير ... القليل الحقير ... كانت ... يعطون اخبارهم ... ما صعب عليهم من آثار ... وكان ... الامور ... من اهل الحق واولياء الله ... بالشريعة ... فتقتلهم ... على ... ونقصان جاههم وسقوطهم عن اعين ... وجميع ذلك ... العلوم والديانة ... الى ان محافظتهم على هذه الامور الدنيا ... تحصيل مقامات العلم واليقين فان كمال النفس الانسانية بتحصيل ... العقل ... القدسية ... فاذا ... ذلك التحصيل واشتغل بتحصيل اللذات الدنيا ... فكأنه باع الملك واشترى ... والسعادة الابدية باللذة الحيوانية الفانية ... جليلا بثمن قليل لان لذة الدنيا ... والمد ... الفقيه ... في البيع ... وقد يكون بعضا وقد يكون ... ولا نقصان ... الآيات ...

وفيه

في سورة يوسف ... في قوله وشروه بثمن بخس لان ... بها انه ... قالت اشتريت الثوب ... الدراهم والدنانير ... بثمن بخس لان الدراهم ... لا تستبدلوا بآياتي ... في التورية ... يسير من الدنيا وروي عن ابي جعفر في هذه الآية انه كان ... حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وآخرون من اليهود ... على اليهود ... فكرهوا ابطالها بامر النبي صلى الله عليه وآله ... فحرفوا لذلك آيات من التورية فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي اريد في الآية وروي عن ابن عباس ... ان رؤساء اليهود مثل كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وامثالهما كانوا ياخذون من فقراء اليهود الهدايا وانهم لو اتبعوا محمدا صلى الله عليه وآله ... الهدايا ... على الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك ... واعلم ان خطاب الله في القرآن ينبغي ان يحمل على العام ... كمال ... حتى يكون علوما كلية باقية ابد الدهر ... يجب ان يكون ... والعلوم ... شهرة ... وكساد ... قولوا ياي فاتقون اي ... الاولى ... العالم والمتعلم ... العلم ... ان لزوم ... تمام ... وان اهل النار ... فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي الى النار ... وطول الامل ... ايها الناس ... بل رايت ان ... ايم ... مقعده من النار ... ذنب واحد ... عيسى بن مريم ...

قال سمعت أبا عبد الله يقول إني لأبلغ [illegible] هاهنا وأنا [illegible] إلى الحلقة لم يكن للعلماء توبة [illegible] إنما التوبة على الذين يعملون السوء

بجهالة [illegible] عليهم [illegible] طلبة العلم [illegible] فهم بأعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه

بالجهل والمرأ وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمرأ [illegible]

في أندية الرجال [illegible] العلم وصفة الحلم [illegible] الخشوع [illegible] فدق الله [illegible]

[illegible] وصاحب الاستطالة والختل ذو خب [illegible] على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه [illegible]

هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله [illegible] وقطع من آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن [illegible]

في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه [illegible]

[illegible]

[illegible]

بعد حين وقال بعض العلماء انما الرجل على عباد الله ... لطلب السلطان فاذا فعل ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال ... لا تغش ابواب السلاطين
فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة
وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول
عليهم من الدين ومن علامات علماء الآخرة ان لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان
سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او بنص حديث او اجماع او دليل قاطع افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما
يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم
ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف
بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة قال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منهم من احد يسئل عن حديث او فتيا الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر حتى تعود الى الاول وكان ابن مسعود
اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وكان يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابن مسعود
ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا ادري وقال ابراهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول
انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ... مسعود رجل
يتكلم على الناس قال هذا ... وقال بعضهم ... ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة
القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة
والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب وصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم
طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله عليه من
لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب يا بني اسرائيل
لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي
بآداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ... فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر
على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين
استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار
علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب ... فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب
بقدر ما رزق وبقدر ما وفق بحسن العمل ... الآيات ... الحكماء ... في صحف ... وصف
بالحكيم فاوحى الله الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني من ذلك شيئا واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل
وبكى وترك ذلك وخالط العامة في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله الى نبيهم قل له الآن وافقت رضائي ومنها
ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت

الشر

الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الدينية لا تتم الا بالقصود والنيات ولعل الباعث
في موقعه ما يفسدها ويشوشها وهذا مما اكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك امر تغلب الحاجة اليه ويعم البلوى به في سلوك طريق
الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا يقع واحدة منها
ذلك فانما يقع لغيرهم لا لهم واذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم آناء الليل والنهار من خواطرهم ووساوسهم واعمالهم
... من باع مهم نفسه للآخرة بمهم غيره ... ايثارا للقبول والقرب عند الخلق على القرب من الله ورضاه
البطالون من ابناء الدنيا فاضلا وعالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب
الزمان ثم يرد القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين فهذه جملة علامات
جلية يمكن تعريفها ... ذكرها ... كتاب احياء ... علامات اخرى باطنية لا يعرفها الا ذو بصيرة كشفية ... وهو ...
ايضا ما ذكره صاحب اخوان الصفا بقوله نحن احوى على امارات اولياء الله المتبعين من ... من اهل الفضيلة المستبصرين
بعين اليقين ... العارفين بحقائق الدنيا انهم قد يستوي عندهم الاماكن والازمان وتغاير الامور وتعاقب
الاكوان ... الايام كلها عيد واحد وجمعة واحدة ... الاماكن كلها مسجد واحد والجهات كلها قبلة
واحدة وحركاتهم كلها عبادة لله وسكناتهم كلها طاعة واستوى عندهم ... لا يأخذهم في الله
لومة لائم قائمين لله بالقسط شهداء وهم على صلواتهم دائمون ويحققون قوله ... فاينما تولوا فثم وجه الله وانما استوت
الاماكن كلها لانها مسجد وقبلة واحدة لتصديقهم قول الله عز وجل فاينما تولوا فثم وجه الله وصاروا يشهدون
لديه وتصديقهم قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما
كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد وانما استوت عندهم الايام كلها فصارت كلها جمعة وعيد ...
يوم القيمة الذي هو ... البعث ... قوله بعثت انا والساعة كهاتين وانما استوت عندهم تصاريف
الاحوال وتغاير الامور لتصديقهم قول الله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
في كتاب ... على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ... بالانهم لا يبالون ... الا بما يكون
ولا يكون ... العلم ... راحة من التعلق بالاسباب وابدانهم فارغة من التكلف فيما لا يعنيهم ... نفوسهم
ساكنة عن الوسواس وابدانهم في راحة من انفسهم والناس منهم في راحة وانهم لا يريدون لاحد سوءا ولا يضمرون
لاحد شرا ... قوله ... ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون عطف على ما قبله وقوله ... وآمنوا بما انزلت امر بترك الكفر والضلال وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل اشارة الى
الاول لانه تشويش الدلائل على الحق وقوله وتكتموا الحق اشارة الى الثاني لانه منع الوصول الى الدلائل واللبس الخلط والباء
في الباطل ان كانت للاستعانة كهي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تلبسوا الحق بسبب القاء الشبهات على السامعين او لا تجعلوا
الحق ملتبسا عليهم بسبب الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله وان كانت للصلة كقولك لبست كذا بكذا كان المعنى
لا تخلطوا الحق بالباطل او ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها حتى لا يتميز فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه
ويكتبونه وقوله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس

مع يسمع بحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان
لا تأكل السمك وتشرب اللبن ويؤيده انه في قراءة ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين فان قلت اذا كان استقباح
لما يجمع تركيبهما لا يستلزم ان كلا منهما قبيح [illegible] وان الجمع بينهما ابلغ في القبح ايضا وذلك
لان النصوص الواردة في التورية والانجيل في شأن محمد عليه السلام بعضها بحيث يمكن اخفاؤه لانها اذ فيها نوع خفاء فكانوا
وبعضها في الجلاء والظهور بحيث لا يخفى على العقول السليمة وجه دلالتها اذ لم يشوبها شبهة وتلبيس فكانوا
يشوشون وجه الدلالة على المسلمين [illegible] بسبب ايراد الشبهات والجدال لا منفصل وهو المراد بقوله ولا تلبسوا
بالباطل وهو المذكور ايضا في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقوله وتكتموا الحق اشارة الى القسم الاول وقوله وانتم تعلمون
حال اى عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل ربما يعذر [illegible] الاقدام
على الفعل القبيح مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه مع الجهل بكونه ضارا فلما كانوا عالمين بما في التلبيس من المفاسد كان اقدامهم
عليه [illegible] والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب فانهم يجادلون [illegible] اعظم من جهل الجاهل وقيل معناه انتم
تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل او [illegible] على النبي وقيل معناه وانتم تعلمون [illegible]
من المنع [illegible] والاية دالة على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه فان قيل كيف يجوز ان يكون هؤلاء عارفين
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك مبني على معرفة النبي وعندكم ان من عرف الله لا يجوز ان يكون هؤلاء [illegible]
مراتب الظن واليقين والمشاهدة والعلم الاول وهو منشأ السعادة الاخروية [illegible] اليقين [illegible]
الضروري [illegible] وهو من المشاهدة الباطنية الواضحة واما الظن فلا يغني من الحق شيئا ولكن يكفي [illegible]
ان يكونوا عارفين بالله وبالنبوة وبصفات النبي على وجه لا يستحق به الثواب لان الثواب مترتب على العلم اذا عمل بمقتضاه
وعند بعض اصحابنا بالموافاة [illegible] الثواب انما هو مشروط بالموافاة فاذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا الثواب
فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين وان يكونوا مستحقين للثواب [illegible] الامام الرازي
في التفسير الكبير هذا الخطاب وان ورد فيهم فهو تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار الخطاب وان كان خاصا في الصورة فانه عام
في المعنى انتهى قوله واعلم ان اكثر من يجوز تلبيس الحق بالباطل وكتمانه من العلماء هم الفقهاء الذين غلب على انفسهم [illegible]
والقرب من الملوك والسلاطين وطلب المال فانهم لما غلب عليهم الاهواء وطلبوا المراتب عند الملوك تركوا المحجة البيضاء وجنحوا
الى التأويلات البعيدة ليمشوا بها اغراض الملوك واعراضهم فهو يعترف [illegible] في ذلك الى امر شرعي مع كون الفقيه ربما
لا يعتقد ذلك ويفتي به وذكر الشيخ العارف المحقق محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انا رأينا جماعة من الفقهاء والقضاة على هذا
الشأن وقد اخبرني الملك الظاهر ابن الملك صلاح الدين وقد وقع بيني وبينه كلام في مثل هذا فادى بمملوك [illegible]
فقال ما شأن الجرذان فقال انت تنكر على ما يجري في بلدي ومملكتي من المنكرات والظلم وانا والله اعتقد مثل ما تعتقد
فيه من ذلك [illegible] لعنه الله ولقد افتاني فقيه وهو فلان وعين لي افضل فقيه عندي في بلدي في الدين والتقشف بانه لا يجب
على صوم شهر رمضان هذا بعينه بل الواجب على شهر في السنة والاختيار لي فيه اى شهر شئت من الشهور [illegible] السلطان فلعنته في
بالحق ولم اظهر له ذلك وهو فلان وسماه لي رحم الله جميعهم وليعلم ان الشيطان قد مكنه الله حضرة الخيال وجعل له سلطانا

فيها

فيها فاذا رأيت الفقيه يميل الى هوى يعرف انه يردى عند الله من الله له سوء عمله بتأويل غريب يمهد له فيه وجها
فان دام على هذا السبيل جنح الى ايثار هواه وشهوته ويجعله في زعمه فلا يزال هكذا انتهى كلامه واعلم ان علماء الظاهر
حقيقة امتازوا سالكين من هذه الارض والفتن فان علومهم وحالاتهم مختفية عن العوام والحكام وانما يعرض [illegible]
والفتن اكثر ما يعرض العلماء والفقهاء الذين اقتصروا على علم الفتاوى والحكومات والمعاملات الدنيوية [illegible]
المعايش وخصصوا اسم الفقه وسموه علم المذهب وعلم الدين ربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا
الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم
عن الكبر والحسد والرياء وسائر الملكات المهلكات قال الغزالي في كتاب الاحياء سر اللهم هؤلاء مغرورون [illegible]
من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما من حيث العمل فمثالهم مثل المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره
وتعليمه لا بل مثالهم مثل من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ويحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء
ويتكرر ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة في امرأة فهذا غاية
الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما
يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي ويلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان
والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك الا نادرا لنفسه واذا احتاج غيره كان المفتون كثيرة
فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرئاسة وقد دعاه الشيطان ولا يشعر المغرور وظن انه مشغول بفرض دينه وليس يدري
ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد قصد بالفقه وجه الله
واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما اشتغل
وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا
مغترا بربه متكلا على انه لا بد ان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي
اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته
المرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى اذ قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال
ودفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي
هي الصفات المذمومة وهي الحجاب بين الله وبين العبد فاذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار
على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن
ليس من الحج في شيء ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا طريق المجادلة والالزام والحاق الخصم
لاجل الغلبة والمباهاة وطول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع
الشبهات المؤذية للعلوم وهو لا يزال يباهي الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا للمباهاة فكل علم لا يحتاج
اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه

الصلوة واقيموا

التزويق وكلام الى غلاظ واما المحقق فهو عندهم معرفة تفاصيل الوعيد التي تجري بين المتضادين في الجدل [illegible]

وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين لما امرهم اولا بما يتعلق بالعلوم الدينية كالايمان بالنبي وبالالهية المنزل عليه

في القرآن ثم نهاهم ثانيا عن الكفر بها طلبا للعاجل وعن المغالطة وتلبيس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة فكلفهم بعد

ذلك في التزام الاعمال الشرعية وذكر جملتها ما هو كالعنوان والاصل فيها وهو الصلوة التي هي اعظم العبادات البدنية

والزكوة التي هي اعظم العبادات المالية [illegible] على صلوة المسلمين وزكوتهم وان غيرهما لا صلوة ولا زكوة وبالجملة امرهم بفروع

العملية كما امرهم باصول العلمية وفيه دليل على ان الكفار مأمورون بالفروع وان لم يصح منهم الا بعد الايمان واعلم ان لفظ

الصلوة من الاسماء الشرعية ولا شبهة في انها شرعية فلا يجوز ان يكون الشرع اوجبها ابتداء من غير نقل والا لم يصح قوله

انا انزلناه قرآنا عربيا فلا بد ان يكون لها في اللغة معنى آخر فاختلفوا في اصله فقيل الدعاء قال الاعشى عليك مثل الذي

صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا اي دعوت وقيل [illegible]

اي يلازم [illegible] فكان معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذي امر الله به وقيل اصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع

والسجود [illegible]

[illegible]

[illegible] اشتقاق الصلوة [illegible]

[illegible]

[illegible]

كالمصلي [illegible]

[illegible] بالصلوة في الصلوة [illegible] والذين هم في صلوتهم خاشعون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

جعلوا

ايكذا

جعلوا وجوههم حيث يسجدون [illegible] الى الارض [illegible]

وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون اسرع الى الاجابة وهي تعليم الله عباده كيفية الدعاء [illegible]

والقرآن العظيم وقيل حيث [illegible]

[illegible] اهل التحقيق من المصلين [illegible]

[illegible] رسول الله [illegible]

[illegible] خشوع النفاق [illegible]

خشوع النفاق [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله

[illegible] لا يقبل الله صلوة امرء

[illegible]

[illegible] الصلوة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] النوافل [illegible]

قام الى الصلوة [illegible]

[illegible] المصلي [illegible]

[illegible] الكليني [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] القيام والقعود [illegible]

[illegible] الصلوة [illegible]

[illegible] والركوع والسجود [illegible]

[illegible]

[illegible] في فضل الصلوة [illegible]

منها ان فرق الشخص مثل الصلوة مثل الفسطاط اذا ثبت العمود ثبتت الاطناب والاوتاد والغشاء واذا انكسر العمود لم ينتفع
بالاطناب ولا الاوتاد ولا الغشاء ومنها انما مثل الصلوة فيكم كمثل السري هو النهر على باب احدكم يخرج اليه في اليوم والليلة يغتسل منه خمس مرات
وقال الصم من قبل الله من صلوته ولحقه لم يصل [illegible] ذلك لان الصلوة [illegible] الله [illegible] تروح [illegible] الاخرة
من اداها بشروطها [illegible] فهو من اهل القرب والولاية [illegible] التوحيد [illegible]
العبد الى الله عز وجل وهو [illegible] الجحود [illegible] الصلوة [illegible]
ملائكة يعلمون ويخلفون [illegible] الله عز وجل [illegible] فصل واما الزكوة فهي في اللغة [illegible]
ومعنى التطهير [illegible] نفسا زكية اي طاهرة [illegible] من زكاها اي طهرها [illegible]
بطاعة الله [illegible] نصف دينار من عشرين دينارا [illegible] وسمي في الشرع زكوة [illegible]
[illegible] الزكوة [illegible] في المال [illegible] في النفس [illegible] وان كان نقصا [illegible]
البلاء عن المال [illegible] قوة النفس [illegible] في المال ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] الدنيا [illegible] الاخرة فاما [illegible] في الاخرة [illegible]
فليعلم ان هذه [illegible] الزكوة [illegible]
[illegible] يوم الاخرة [illegible] الابل والبقر والغنم [illegible]
[illegible] خارجة عن ذات الميت [illegible] الروح [illegible]
متمكنة من صميم [illegible]
[illegible] عالم المعاني والحقائق المتمثلة [illegible] الاصلية [illegible]
[illegible] بالحقيقة [illegible] تلك الصورة الاصلية [illegible] الاخروية [illegible]
[illegible] الاجسام [illegible]
[illegible] الكتب [illegible]
[illegible] الاخرة [illegible]
اهل البصيرة [illegible] الشك والامتراء فهم يشاهدون كيف تمثل هذه الهيئات النفسانية
[illegible] يوم القيمة [illegible]
[illegible] الزكوة [illegible]
ما كنتم تكنزون [illegible] الدنيا [illegible] الاخرة [illegible] في حيوتكم الدنيا [illegible]
[illegible] الاية [illegible]
[illegible]
[illegible] فصل في الكمال

فصل

فصل قوله واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين [illegible] فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة
[illegible] اصحابنا الصلوة [illegible] جماعة تفضل صلوة الفرد باربع وعشرين صلوة فيكون خمسا وعشرين صلوة [illegible]
[illegible] عن الصلوة بالركوع [illegible] الركوع [illegible]
[illegible] الجماعة وقيل [illegible] الصلوة [illegible]
[illegible] صلوة اليهود [illegible]
وقيل المراد من الركوع الخضوع والانقياد [illegible]
[illegible] بالصلوة والزكوة [illegible] الخضوع [illegible]
وقلعه [illegible] الذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون قوله اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقيل البر التوسع في الخير [illegible]
[illegible] في عبادة الله [illegible]
[illegible]
وانتم تتلون الكتاب [illegible]
اهل [illegible] الكتب العلمية [illegible] افلا تعقلون [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقيل العقل هو العلم الذي يزجر عن قبح الفعل [illegible]
[illegible]
[illegible] عقلا نظريا ومنها قوة [illegible] عقلا عمليا [illegible]
[illegible] العقل [illegible] الجوهر [illegible] الاجسام [illegible]
[illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible]
[illegible] الزكوة [illegible]

الزجاج كانوا يامرون الناس ببذل الصدقة وكانوا يشحون بها [illegible] وصفهم بقساوة القلوب واكل الربا والسحت [illegible]
من اليهود يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه واله [illegible]
حسدوه وكفروا به وفيه وجوه اخرى مذكورة في التفسير الكبير وغيره واقتصرنا منها بما هو اولى واوفق [illegible] افلا تعقلون توبيخ
اي كانكم في عدم تفطنكم لقبح ما اقدمتم عليه وهو غير خاف على اوائل العقول [illegible] سلبوا العقول [illegible]
مثله عمن يعقل ويميز بين الحسن والقبيح ونحوه قوله تعالى اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون [illegible]
اشعري والتحقيق خارج عما يذكره كل من الفريقين [illegible] وقيل معناه افلا تعلمون ان الله [illegible] على ذلك
وقيل افلا [illegible] في التورية [illegible] فصل [illegible] فعل البر واجبا والامر به واجبا
فلما [illegible] على الامر بالبر [illegible] على البر وانما [illegible] على ترك فعل البر [illegible] الامر [illegible]
[illegible] يامرهم [illegible] عاد عليك اذا فعلت عظيم ومعلوم انه لم يرد به [illegible] النهي عن خلق [illegible]
وانما [illegible] فالمراد [illegible] على [illegible] الكمال [illegible]
عن الوعظ [illegible] فان [illegible] المامور بها لا يوجب الاخلال بالاخر وقال بعضهم ليس للعاصي ان يامر بالمعروف [illegible]
عن المنكر [illegible] الامر والناهي [illegible] العدل [illegible] النقل [illegible] الاية وقوله تعالى
لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله [illegible]
[illegible] نار [illegible] لو كنا نامر بالخير ولا ناتيه [illegible] المعقول [illegible]
[illegible] ومعلوم ان ذلك [illegible]
[illegible] الاستقامة ولهذا قيل [illegible] بفعل المعروف
بالامر [illegible] المعصية [illegible] مطلقا [illegible] فعل المعصية [illegible]
او امرهم [illegible]
[illegible] بالاخر [illegible] المنع متعلقا بفعل [illegible]
فبقي احتمالان اخران احدهما ان يكون المنع متوجها الى فعل المعصية [illegible]
الى الامر بالمعروف [illegible] فعل المعصية [illegible]
عند [illegible] بالايتين [illegible]
ان [illegible] الاستقباح [illegible] الزنا [illegible]
فعل الزنا [illegible]
[illegible] ان ينهى عن المنكر [illegible]
لا يقتضي عدم وجوب الامر والنهي الا على المعصوم [illegible]
او نهي عن [illegible]
فصل العلماء [illegible] المعصوم [illegible] الوعظ والترغيب [illegible] عن المعصية [illegible]

السعادة

السعادة [illegible] ان الاحسان الى النفس [illegible] الاحسان الى الغير [illegible]
ومن امر بالاحسان ولم يحسن الى نفسه [illegible] العقل ولهذا قال افلا تعقلون [illegible]
يقع مثل ذلك عن العقلاء [illegible] الاقدام على المعصية [illegible]
[illegible] لا يقبل [illegible] الجمع بين الوعظ والمعصية [illegible]
[illegible] العقلاء ولهذا [illegible] عالم متهتك [illegible] جاهل متنسك [illegible]
[illegible] ثم نسي نفسه ولم يتعظ وفعل المعصية [illegible] وعظه [illegible] الناس في المعصية [illegible]
ان هذا الرجل [illegible] على [illegible] المعصية لما اقدم عليها [illegible]
المعصية [illegible] الناس [illegible] على المعاصي [illegible] والنفوس مجبولة على الحرص [illegible]
والشهوات اذا لم يكن [illegible] فاذا كان غرض الواعظ الردع والزجر [illegible] والترغيب [illegible]
[illegible] العاقل [illegible] احوال [illegible] العلوم
الظاهرة [illegible] الاخبار والروايات [illegible] الناس والشهرة وطلب [illegible]
[illegible] في وعظه [illegible] قلوب الناس [illegible] على نفسه [illegible]
الى كل كلام [illegible] العوام وان كان باطلا [illegible] العوام وان كان [illegible]
[illegible] عندهم [illegible]
ان يقبل [illegible] الناس [illegible] في الوعظ [illegible]
[illegible] الاخرة [illegible] قليلا من عاجل دنياه ولو كان له حظ
من العلم لعلم ان لذة الدنيا بالقياس الى لذة المعرفة بالله [illegible] والنهي يجب عليه ان يكون [illegible]
بحفظ العلوم [illegible] طريق النجاة وطلب السعادة وطريق سلوك [illegible]
[illegible] نفسه [illegible] الله على [illegible] النعمة [illegible]
[illegible] الجاه والثروة [illegible] ويقوي دينه ويقينه [illegible]
عن فتنة نفسه [illegible] وعظ [illegible]
الاقوال وحفظ الروايات [illegible] على [illegible] نفسه بتهذيب الاخلاق [illegible] العلوم الحقيقية
التي [illegible] الناس [illegible] الدين [illegible]
واليقين [illegible] النفس عن شواغل الهوى وشهوات الدنيا [illegible]
في كلام له [illegible] علمتم فاعملوا بما علمتم [illegible]
[illegible] واشتغالهم [illegible]
[illegible] الله [illegible]

[illegible]

برضا الله من هدى من كان قبله مثل من اهتدى بغير قاضيا سبقه لم يا من ان ينقض حكمه من كان قبله وان نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيا لها حشوا من راية ثم قطع فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اصاب او اخطا لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان وراء ما بلغ مذهبا ان قاس شيئا بشيء لم يكذب نظره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال انه لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال ... عن رسول الله انه قال ان في النار رجلا يتأذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله فقال عالم لا ينتفع بعلمه ... مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل كالسراج يضيء ويحرق نفسه ... يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون ادخلنا النار وانما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل يا معشر الوعاظ يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد وقال الثوري ان فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وكتب رجل الى اخ له في الله انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم طالوتية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية ومذاهبكم شيطانية وما تمكم جاهلية فاين المحمدية والشريعة ... اذا الرعاة تكن ذئاب وقال سفيان بن عيينة اجهل الناس من ترك العمل بما علم واعلم الناس من عمل بما علم وافضل الناس اخشعهم واخشاهم لله وهذا قول صحيح يحكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرنك تشدقه واسطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة كما ترى اهل القلب علم اللسان ... فصل ان العالم في الحقيقة هو العارف الصوفي المخلص دينه عن شوائب اغراض الدنيا وشهواتها فان اردت تحقيق هذا فان الصورة لا يكشفها الا معنى ... فضل العالم العارف بصفات نفسه على العالم الظاهري المغرور بكثرة رواياته اذا دخل عالم مجلسا وهذه ... نفسه فكان في نفسه من اعتقاد لا يجالسه ... الدنيا ولو امكنه لطرد ... ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم منشأه لاشتغل ... العلوم الحقيقية على معرفة النفس واحوالها ... بجهلها وتقرعت ... العالم الصوفي الزاهد ... ان يبتلى بمثل هذه الآفة ... الى الله ...

ويحبس

بجهلها

ويحبس لا ابرح تنقطع دابر ظهور النفس ويرتفع القلب الى الله مستغيثا من النفس ويشتد في طلب دوائها وربما اقبل عليه ... التواضع والانكسار ويكفر العجب الموجود ويتداوى بالدواء الحاصل فينكشف ويتبين بهذا الفرق بين الرجلين هذا من اوائل علوم الصوفية ومبادئ احوالهم فما ظنك بنفائس علومهم وغرائب احوالهم وهو ما يهتم لاشباه ما يهتم لابتغاء العمل باليقين ولا يعمل الا بعلم يقينه ولا يقصرها حتى يقصر يقينه فكان اليقين لفضل العلم لا ... كان ادعى الى العبودية وما كان ادعى الى العبودية كان ادعى الى القيام بحق الربوبية ... ان العلم هو الاول والآخر والقائل والفاعل وذلك لان العمل يترشح من العلم والعلم هو ثمرة العمل فالعلماء الآخرة ... الدين وسرج ظلمات الجهالات بتجليته ونقباء ديوان الاسلام ومعادن احكام الكتاب والسنة وامناء الله في خلقه ... انهم عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما واما غيرهم من علماء الدنيا الراغبين الى الرئاسات والرياسات فهم عبدة طاغوت الهوى واولياء الشيطان روي عن رسول الله انه قال ما اتخوف على امتي ... فانكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله ... اياكم ومواقف الفتن ... ومن هم قوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم وكانوا اذا سئلوا عن فتوى احالوها الى غيرهم من الصحابة وكانوا يودون ... والاحكام ... المجمل والمفصل ... سعيد بن المسيب ... جابر بن عبد الله ... ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم ... والعمل ... واصحاب المنقولات وطلاب الفتاوى ... مستقبح الآداب والاعمال لانهم تأدبوا بين يدي الله باداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق ... منكشفا عليهم ... روحه ... الى ... عن وجود ... بمناسبة انفعال العلوم ... الارواح ... الرباني ...

ودرايتهم اصحاب الصوامع وايضا علوم الوراثة مستخرجة من علوم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين
ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الزبدة المطلوب من اللبن والمائية في اللبن
من روح الزبدة فالمائية من القوام كالروح وجعلنا من الماء كل شيء حي والشيء اسم الموجودات كلها فعلوم اللسان علوم
الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلب ومراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وقال ايضا بعد ما ذكر جملة
علوم من وراء العلم وراءها علوم عملها وظفر بمقتضاها علماء الاخرة وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبين فيها وهي علوم ذوقية
لا يكاد النظر يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف [illegible]
علم الصوفية [illegible] العلماء ان العلوم كلها لا يستقيم تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلاد الى حقايق التقوى وربما كان محبة الدنيا
عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى اذا استشعر حصول ذلك
العلم اجابت الى تحمل الكلفة وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة
الدنيا ولا ينكشف الا بمجانبة الهوى ولا يدرس الا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فجعل العلم ميراث التقوى
هؤلاء القوم [illegible] لا مشتغل فضل علماء الاخرة حيث لم يكشف الغطاء الا لاولي الالباب واولوا الالباب حقيقة
هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا اوصى رجل بماله لاعقل الناس يصرف الى الزهاد لانهم اعقل الخلق وقال
عبد الله القرشي العقل العقل القاسم واول كل [illegible] ترك الدنيا ثم ذكر السند الى ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم
قال دخلت مع ابي [illegible] الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا [illegible] وعليهم لباس الصوف ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
الري [illegible] على رجل [illegible] المتقشفين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا ابا عبد الرحمن لك
حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه
عبادة وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سر بنا يا ابا عبد الرحمن فجاءوا الى الباب فاذا باب [illegible] حسن فبقي حاتم متفكرا
يقول باب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وستور وغلمان وبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي
هو فيه فاذا هو بفرش وطيئة واذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي فساءله وحاتم قائم فاومأ اليه ابن مقاتل
لعل لك حاجة قال نعم قال وما هي قال مسألة اسألك عنها قال سلني قال فقم واستو جالسا حتى اسألك عنها فامر غلمانه فاسندوه
فقال له حاتم علمك هذا من اين جئت به قال الثقات حدثوني به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله من اين جاء به
قال من جبريل قال حاتم فيما اداه جبريل عن الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله الى اصحابه واداه الاصحاب الى الثقات واداه الثقات
اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا ومنعه اكثر كانت له المنزلة عند الله اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد في الدنيا
ورغب في الاخرة كانت له عند الله المنزلة اكبر قال حاتم فانت بمن اقتديت بالنبي واصحابه ام بفرعون
ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم اذا كان على هذه
الحال فلا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا يا حاتم
لو رحت الى [illegible] شيء من هذا واشار وابل السلطان فقال [illegible] فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل اعجمي احب ان تعلمني اول

معنا

مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا
ثلاثا حتى اذا بلغ غسل الذراعين غسل اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت فقال له حاتم فيماذا اسرفت قال غسلت ذراعك
اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف ماء اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه اراده بذلك ولم
يتعلم منه شيئا فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ما جرى بينهما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد
فقالوا له يا ابا عبد الرحمن انت رجل اعجمي ليس يكلمك احد الا قطعته ثم اي شيء خصال ثلاث اظهر بهن على خصمي قالوا
اي شيء هي قال افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجاء اليه فقال سبحان
الله ما اعقله فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك
اربع خصال ان تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار
الى المدينة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر كلمة انما نفى العلم عمن لا يخشى الله فلا يكون علماء الاخرة الا من طريق
الانصبة للمعارف ومقامات القرب الا بالزهد والتقوى فصفاء التقوى وكمال الزهد يصير العبد راسخا في العلم
الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب الغيب وسر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة
فانكشف لهم من مدخور الخزائن فنطقوا بالحكم وقال الحسن رحمه الله الذين كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلايق
اجمعين وهذا القول من الحسن لا يعني به ان الراسخ في العلم ينبغي ان يقف على جزويات العلوم ويكمل فيها بل المراد ان
حق التقوى والخشية من الله تعالى صفاء الباطن والتجلي ام تعلمه وعلمه مجاز الاشياء من اللوح المحفوظ فادرك بصفات
امهات العلوم واصولها فبعلم منتهى همم الخلايق العالية في علومهم وغاية اقدامهم فيها من العلوم الجزوية من تجربة النفوس والتعلم
والممارسة فلا يعيب عليه الكامل ان يلحق في الجزئي اهله الذين هم وحشته فقصور هؤلاء امثال في الجزئي واشتغلت
بالجزوي عن الكلي والعالم الرباني بخلاف ذلك كما سنذكره وقيل ميسر الخلق فضل الشبلي رحمه الله عند النزع لا اله الا الله
انت ساكنة مختار الى المرج قولوا عز اسمه واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الصبر اللغوي
محابها وكفها عن هواها ولابد للصبر من قوة في الانسان بها يصبر عن الملذات ويصبر على المشاق لان كل فعل وامر سبيل
لا محالة وسبيل الافعال والانفعال لا يسمى عند الحكماء قوة في الانسان فيها تسمى البصر تسمية للشيء باسم سببه لان القوة
يسمى بالشهوة وهاتان متقابلتان تقابل التضاد وسيأتي تحقيق التقابل بينهما ثم اسند الى عبد الله البصري انتظار الفرج من الله
افضل الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان تصبر على الصبر لا تطالع فيه الفرج ومن تمام الصبر على المصيبة ان يكتم صاحبه من
الجزع وقال الفلاني قتل رجل وهو في سبيل القتل حتى يصبر عليه حتى قتل في الحرب فقتلوا القاتل واصبروا القاتل برودا
امسكه حتى قتله آخر فام بقتل القاتل وحبس الممسك الخشوع والخضوع والاخبات متقاربة والخشوع لا يكبر في الخشوع
الرجل اذا رمى ببصره الى الارض واختشع اذا طأطأ رأسه كالمتواضع وهو قريب المعنى بالخضوع الا ان الخضوع في البدن
والخشوع في الصوت والبصر قال الله سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت واختلف في من نزلت الآية
فقوم قالوا الخاشعون هم المؤمنون اذ الصلوة تعتزهم ولا الصبر يشق عليهم على امور دين امور لم يعرفوا احكامها في دين محمد وهذا

ضعيف لنشغل غيرهم بصلوة وصبر فيهما [illegible] متعبد بهما على هذه الكيفية لان كل احد يعلم بعقله الذي هو حجة الله عليه ان الصبر على ما يجب الصبر عليه
حسن وان الصلوة التي هي التواضع والتذلل للمعبود الاول والاشتغال بذكره وحده مما يزيح القلب عن محل الدنيا وآفاتها وقوم قالوا
هم اليهود ويعنى والمسلمين على تجارة [illegible] لان يكون خطابات القرآن غير مختص بقوم دون قوم ليكون قوانين كلية عقلية
كما [illegible] مختص الخطاب باليهود ثم ان التحب للرياسة والرتب التي تكون لعلماء الدنيا الراغبين في المناصب كالقضاء والحكومة
والشيخوخة والوعظ والحسبة وغيرها كانت يمنعهم عن اتباع النبي ص لانهم خافوا زوال الرياسة اذا اتبعوه فامرهم الله
فقال واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه في طاعتي واتباع امري وترك ما تهويه انفسكم [illegible]
رسول محمد بالصبر على ما انتم من ضيق المعاش وفوت الجاه الذي تاخذون الاموال من عوامكم [illegible] وروى عن ائمتنا ع ان المراد
بالصوم الصبر وجاء في الحديث وهو شهر الصبر شهر رمضان لان الصائم يصبر عن نفسه ويكفها عن [illegible] الصيام فيكون [illegible]
مراد [illegible] بالتزام وهوى النفس فان سد ابواب الشهوات بالجوع يوجب [illegible] كالغضب والتكبر وحب الجاه وغيرها
اذ الجميع مما يتقوى بقوة البدن من الطعام والشراب ولذلك ورد في الحديث عن النبي ص انه قال الصوم وجاء وقال سدوا مجاري
الشيطان بالجوع اذ الشيطان مركبه الدم كما ورد في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا شك ان تقليل الطعام
يوجب تقليل الكيموس الصالح للدم وبقلة الدم يضعف جنود الشيطان كالشهوة والغضب والتكبر والرياسة وسائر المهلكات
وفائدة الاستعانة بالصلوة ان هذه الآفات كلها منشأها الاحتجاب عن عالم النور وما عند الله من الخير والسعادة والانكباب الى
عالم الظلمة والزور وعند الاشتغال بالصلوة يتلى فيها ما يذكر العهد القديم ويرغب فيما عند الله ويزهد في الدنيا وحب
الرياسة قال سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولانها تتضمن التواضع والتذلل لله بوضع الجبهة التي هي ارفع الاعضاء
فيدفع حب الجاه والرياسة عن القلب كما [illegible] رسول الله ص اذا حزبه امر من امور الدنيا يستعين بالصوم والصلوة ويقول ارحنا
يا بلال ومن قال ان الخطاب للمسلمين قال المراد استعينوا على تحصيل الآخرة وما [illegible] وعد المؤمنين من الدرجات العالية
والمقامات الرفيعة او على تشغل التكاليف الدينية بالصبر بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات و
بالصلوة لما فيها من مجامع العبادات القلبية والبدنية من الطهارة البدنية عن الاحداث والاخباث والطهارة النفسانية
عن نجاسة العقايد الفاسدة كالكفر وقصد الرياء وستر البدن بالثوب الساتر للسوءتين وكف النفس عن [illegible] وصرف المال
في الطهور والساتر والتوجه بالبدن الى البيت الحرام وبالقلب الى وجه الله والعكوف للعبادة باخلاص النية وخشوع الجوارح
واتعابها وتسخير القوى واستعمالها في سبيل الطاعة ومجاهدة جنود الشياطين واتعابها وايتاء الطاعة الى التقرب
الى نور الانوار ومناجاة الحق بخطابه وقراءة كتابه والتدبر في آياته وذكر مصير الخلق اليه ورجوعهم للجزاء الى دار ثوابه
او دار عقابه والاقرار بتوحيده وتقديس رسوله بالشهادتين والصلوة عليه وآله فليس في العبادات شيء افضل من الصلوة
لكونها اجمع الحسنات والقربات وقيل [illegible] في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلوة فامر
بالاستعانة بهما وروي عن جعفر الصادق ع انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضأ ثم يدخل المسجد
فيركع ركعتين يدعو الله فيهما اما سمعتم قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله وانها لكبيرة قيل في اعادة هذا الضمير وجوه

احدها

احدها وهو قول الاكثرين انه عائد الى الصلوة لانها الاقرب ولعموم [illegible] وشمول غرضها واستجماعها ضروبا من الصبر
وتفخيم شأنها وثانيها انه عائد اليهما ظاهرا والمراد بها الاثنان وان كان الضمير واحدا ويشهد له قوله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وكقول القائل [illegible] وثالثها انه عائد الى الاستعانة التي يدل عليها قوله واستعينوا ورابعها
انه عائد الى جميع الامور التي سبق ذكرها مما امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي الى قوله واستعينوا وخامسها
ان يكون عائدا الى محذوف وهو اجابة النبي عليه وآله السلام [illegible] او مواخذة النفس بها او تاديبها [illegible] تقدم او تاديب الصلوة
او ضروب الصبر عن المعاصي وهذه الوجوه الاخيرة ضعيفة لانه لم يسبق لها ذكر وربما قيل ان العرب قد تضمر الشيء اختصارا او
على الايماء اذا وثق بعلم المخاطب بمكانه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة ولا ذكر للارض
القائل ما عليها افضل من فلان يعني الارض او كقولهم ما بين لابتيها اعلم من فلان يعني المدينة [illegible] الكشف عن ماهية الصبر
لما ذكره بعض المحققين ان الصبر احد منازل السالكين ومقام من مقامات الدين وجميع مقامات الصالحين انما
ينتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فان القلب الانساني بمنزلة [illegible] والاعمال بمنزلة تصقيلها وتنقيتها عن الرين
والاخباث والطبايع والكدورات والاحوال بمنزلة صفائها ونقائها ومواجهتها المطلوب والمعارف عبارة عن حصول صورة
الحق المطلوب فيها فالاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للمعارف هذا نظر المحققين واما المحجوبون فهم على عكس ما ذكرناه
وهو ان تحصيل العلوم للاحوال وثمرة الاحوال الاعمال [illegible] العلم [illegible] العمل [illegible] نعوذ بالله
من علم لا ينفع [illegible] ان المراد منه علوم الاعمال لا علوم المكاشفات الحاصلة من الاعمال ولم يتدبروا في
قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وقوله رب زدني علما [illegible] العلم [illegible]
بغير يقين [illegible] عالم متهتك وجاهل متنسك [illegible] المعارف هي الاصول وهي تورث الاحوال والاحوال
توجب الاعمال فالمعارف كالاشجار [illegible] والاحوال كالاغصان والالوان [illegible] والاعمال كا
لنتايج والاثمار وهكذا النظر في جميع مقامات الدين ومنازل السالكين واسم الايمان تارة يختص بالمعارف
وتارة يطلق على الكل لاستلزامها الاحوال والاعمال فكذلك الصبر فانه لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة وعمل
لاحق والصبر على التحقيق عبارة عن [illegible] والعمل كالنتيجة الحاصلة [illegible] من الامور الثلثة جار في
كل مقام من المقامات الحيوانية كالشهوة والغضب والتكبر والرياسة والعجب وغيرها فان في الشهوة مثلا وعلم بانه
[illegible] هذا بمنزلة المعارف وفيها [illegible] هذا من باب الاحوال وفيها [illegible] كالاكل والجماع [illegible]
الاعمال [illegible] الشهوة هي الاولاد والحركة من النتايج [illegible] لاشارة الى [illegible] الشاكرين ان العلم بالمنعم
وانعامه هو اصل الشكر وان من علم انه يعجز عن الاتيان بشكر نعم الله فقد ادى غاية الشكر لله فاصل الصبر معرفة [illegible]
الصبر على الشدايد ثم توطين النفس على ذلك ثم حبسها على الالام [illegible] واصبر وما صبرك
الا بالله وروي عن ابي عبد الله ع ان الله تبارك وتعالى بعث انبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى لرسول الله ص حيث جعل

بالله لا بنفسه فقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وما ذكرناه من الترتيب في باب معاني الصبر [illegible]
والانس والبهائم فان الصبر من خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة اما في الملائكة فلكمالها [illegible]
مخلوقون من عقل بلا شهوة والبهائم مخلوقة من شهوة بلا عقل والانسان من شهوة وعقل وقد خلق الله [illegible]
وقد خلقكم اطوارا [illegible] دليل على ان انتقال الانسان في اطواره [illegible] وانتقال جوهره [illegible]
معنوية بنفسه من نفسه وبيانه يفتقر الى كلام طويل وخوض عميق في التحقيق لا يناسب هذا المقام وبالجملة فقد اعطاه
الله قوة له ان ينتقل بها من حق البهيمة الى حق الملك ويسمى باعثا دينيا وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات
وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة الداعية لها الى المشتهيات وليس لها قوة اخرى تصادم
قوة الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة صبرا واما الملائكة فجردوا
للمعرفة والشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليها شهوة صارفة عنها حتى تحتاج الى مصادمة
ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف واما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة
لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه في حيوته الدنيا ثم يحدث فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة
النكاح على الترتيب ثم شهوة التفاخر والتكاثر كما قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد وليس له في الابتداء قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد
مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم ابن ادم وفضله على كثير
من خلقه ورفع درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة
الملكين عن البهائم واختص بصفتين احديهما معرفة الله واليوم الاخر ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب [illegible]
العواجل الى الاواخر وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية لها الى معرفة
العواقب بل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ واما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال
فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان يعرف بنور الهداية ان اتباع الشهوات لها مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن
هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة على ترك ما هو مضر [illegible] النفس فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل
به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى القدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها
عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا
الجند وتارة يقوى ذلك بحسب امداد الله عبده كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا يحصر فلنسم هذه الصفة
التي بها فارق الانسان البهائم باعثا دينيا ومطالبة الشهوات بمقتضاها باعث الهوى ولنفهم ان القتال قائم بين باعث الدين
وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث
الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على
مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالملائكة وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين

فاذا

فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وذلك الثبات حال تثمرها المعرفة
بالله واليوم الآخر وعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة
التي تسمى ايمانا وعلم بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه
الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء
عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وبهما الاستعانة
في العلم والعمل والصوم والصلوة احدهما اساس الصوم لانه بقوته يكف النفس عن الشهوات المحظورات والاخر اساس الصلوة لان
بها [illegible] الصلوة ولذلك قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون [illegible] الاصل في الصبر والصلوة خشوع القلب بيقينه بالاخرة والخشوع لله والرغبة اليه والى لقاء
كرامته وجنته والخوف منه ومن عذابه في دار نقمته [illegible] الانسان عن الشهوات [illegible] عليها [illegible]
[illegible] في سلك المقربين فاذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك
المقوي [illegible] الصلوة [illegible] الصوم [illegible] في الصلوة انها معراج المؤمن وفي الصوم انه جنة من النار [illegible]
[illegible] لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبتي الدابة ينبغي ان يكون مسلما
له فهو اذن صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال [illegible] وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب
سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك
للاستمداد منه فهو مسيء اليه فيكتب له سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات
باثباتهما ولهذا سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة واما الكاتبين
فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية ايضا عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم
لانهما وكتبتهما والخط والصحائف وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شيء
من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى
ومرة في القيامة الكبرى واعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها
يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اما في القيامة الكبرى الجامعة
لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا
لا آحادا وهولها اعظم [illegible] فصل في تسمية الصبر واقسامه اعلم ان الصبر ضربان [illegible]
[illegible] فاذا كان هذا [illegible] فالانسان العاقل [illegible]
[illegible]
[illegible]

كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من يفرغ له بان يقمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس [illegible]
والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له الا قطع العلائق بالكلية بالفراغ عن [illegible]
والرفقاء والاهل كافة ولا يكفي ذلك ايضا ما لم يجعل الهموم هما واحدا وهو الله ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ما لم
مجال الفكر وسير الباطن في ملكوت السماوات والارض وعجايب صنع الله وسائر ابواب معرفة الله حتى اذا استولى ذلك
على قلبه دفع اشتغاله به مجاذبة الشيطان ووسوسته وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة
والاذكار الظاهرة المترتبة في كل لحظة ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان التفكر بالباطن ومناجاة السر
مع الله هو الذي يستغرق القلب في الشهود دون الاوراد الظاهرة ولذلك قال واستعينوا بالصبر والصلوة اي استعينوا
في طلب السعادة الحقيقية اي الانقطاع عن الخلق عن الدواعي الدنيوية والعلائق كلها وبالمناجاة بالسر مع الله التي هي ربيع
القلوب كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المصلي مناج ربه فالانقطاع عن العلائق كلها يسلم له الوقت ويتم له الفرصة في
الفكر ويحصل له المناجاة بالمكالمة الحقيقية مع الله فح ينكشف له من اسرار الله وخفايا ربوبيته وحكمته
في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على شيء منه في زمان طويل لو كان يشتغل القلب بالعلائق والا انتهاء الى
المقامات غاية ما يمكن تحصيله بالاكتساب وان ينال بالجهد واما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال
والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق والتوكل فيه على [illegible] بان [illegible] عمال الثقلين
ولا مدخل للجهد والاختيار فيه الا بالاختيار [illegible] في ان يتعرض العبد لنفحات الحق بان ينقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق
الجاذبة عن القلب هو المراد بقوله ص ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وهو التهيئة لها وتنقية ارض القلب
عن حشايش التعلقات وبث بذر المعرفة والايمان فيها وانتظار الرحمة الله وتوقع المطر [illegible] الجود والكرم في الاوقات
المرجوة ومظان الاجابة واستنزال الامطار المكاشفات ولطايفها [illegible] خزاين الملكوت عند اجتماع الهموم وتساعد
القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان كالمنتظر الزارع الذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها
اذ كل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري بعقله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله ورحمته [illegible] اسباب السموات [illegible]
على من يشاء اذ قال وفي السماء رزقكم وما توعدون فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات الصبر [illegible]
الصبر عن العلائق كلها مقدمة على الصبر عن الخواطر واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة
والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اغلب اللذات وهو مطلوبها صفة
من صفات الله والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور الربوبية وعنه العبارة بقوله قل الروح من امر
ربي وليس القلب مذموما على حب ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر [illegible]
على كونه من عالم الامر فانه اضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الاخرة وليس يطلب الا بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل
فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وليس العبد مذموما على
ذلك ولكن الاجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة تجاذبه الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه

بالعاجلة

بالعاجلة وزين له العاجلة وتوصل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور في الاخرة ومناه مع ذلك الدنيا ملك الاخرة [illegible]
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فانخدع المخذول بهذا الغرور واشتغل بطلب عز الدنيا [illegible]
الاخرة فالمؤمن باليوم الاخر يصبر على اللذة العاجلة قال الجنيد السير من الدنيا الى الاخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد
والسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب [illegible]
كما اشار اليه الجنيد [illegible] الصبر عن شواغل الدنيا ثم شدة هجران الخلق ثم [illegible] الصبر مع الله [illegible]
القلب كما تفعل نور الشمس بالابصار الضعيفة [illegible] وقف رجل على الشبلي فقال اي الصبر اشد على الصابرين فقال
الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال فايش هو فقال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة
كادت تتلف روحه كذا في اصطلاحات العوارف ومعنى الصبر عن الله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقد يمكن [illegible] واما الصابر [illegible] الذي صبر في الله ولله وبالله [illegible]
[illegible] فصل [illegible]
[illegible] بالصلوة والمناجاة [illegible] خشوع القلب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الى الله [illegible]
خشع قلبه وخضع لله بالمحبة والانقياد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible] الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه

اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده ويتيقنون انهم يحشرون الى الله فالظن ههنا بمعنى العلم [illegible]
ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وان الظن هو الاعتقاد الراجح الذي يقارنه تجويز النقيض وذلك يقتضي ان [illegible]
يوم القيامة وذلك كفر فكيف يمدح الله تعالى عليه وعلى هذا التقدير [illegible] الرجحان [illegible] ومن حمل اللقاء على [illegible]
وجعل الملاقاة [illegible] مجازا عن الموت [illegible] الذين يظنون الموت في كل لحظة فانهم لا يفارق قلوبهم الخشوع [illegible]
الى التوبة لان خوف الموت من دواعي التوبة واما ان يفسر ملاقاة الرب بملاقاة ثوابه وذلك مظنون غير معلوم [illegible]
ان المخلص يظنون انهم ملاقوا ربهم [illegible] بذنوبهم فان الانسان الخاشع لا يقطع بطاعاته [illegible]
فضلا عن ذلك يتسارع الى التوبة والانابة والصبر والصلوة وههنا وجه آخر وهو ان العلم [illegible]
وغيرهم ملاقوا ربهم وراجعون اليه بالحقيقة [illegible] على وجه اليقين [illegible]
اهل الايمان [illegible] على سبيل التخييل والتسليم [illegible] ذكره في القرآن [illegible]
المنكرون له في كل زمان حتى انك ترى كثيرا من العقلاء القائلين بوجود الصانع العالم [illegible] منكرين للمعاد [illegible]
اليقين [illegible] من خاشع لله وذلك الخوف [illegible] على الصبر والصلوة وسائر العبادات [illegible]
اليقين بلقاء الله والرجوع اليه [illegible] العبادات وغايتها الصبر والصلوة فصل [illegible] الامام الرازي في تفسيره [illegible]
بقوله [illegible] قالت المعتزلة لفظ اللقاء لا يفيد الرؤية والدليل عليه الآية [illegible]
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه [illegible]
واعلموا انكم ملاقوه [illegible] المؤمن والكافر والرؤية لا تثبت للكافر [illegible] اللقاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
بينهما ولذلك يقول [illegible] وان كان [illegible]
ضربا [illegible] فلان [illegible] اللقاء [illegible]
[illegible] اللقاء [illegible]
[illegible] الملاقاة بين الجسمين المذكورين [illegible]
[illegible] اللفظ على [illegible]
يجعل اللقاء على الادراك [illegible]
وعلى هذا التقدير [illegible] المسئلة [illegible]
[illegible] اهل الفكر والنظر [illegible]
عالم الآخرة بوسيلة الالفاظ الوضعية [illegible]
التسليم والقبول [illegible]
الآخرة [illegible] الموت [illegible]

الادراك

الادراك التي [illegible] العنكبوت واعتماد عليها في حجوبه [illegible] جهلا [illegible]
المكاشفة الذي يشرق في عالم النبوة والولاية والقرب [illegible] على قلب من توجه بمرآة باطنه الى باطن النبوة [illegible]
[illegible] وصحيح [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ولا لاله [illegible] الاشياء [illegible]
[illegible] على اليقين [illegible] احوال الملكوت واسرار القيامة ولقاء الله [illegible]
[illegible] الآخرة [illegible] عالم الحس والمحسوسات [illegible]
التعلقات [illegible] العوام [illegible] المقتصرون على السمعيات والرسوم [illegible]
[illegible] هذه المسئلة بين اعتقاد [illegible] في اليوم الآخر [illegible] حمل اللقاء على [illegible]
[illegible] علوم اولي الالباب [illegible] الكلام الالهي [illegible]
[illegible] على الامور المقربة للقدس من الرياضة والخضوع والخشوع والصبر والصلوة وتجريد الذهن [illegible]
[illegible] الالهيات [illegible] في طلب امر [illegible]
[illegible] غاية الاجتهاد [illegible] الامور [illegible]
بجهده في السعي الى ذكر الله [illegible]
[illegible] العلم [illegible] جميع الاشياء [illegible]
[illegible] في القرآن [illegible]
قبل ان يحصل لك [illegible] هذا المقام يجب ان تعتقد ان جميع الموجودات [illegible]
او طبيعية [illegible] في تحصيل ذلك الكمال [illegible]
[illegible] ذلك الكمال [illegible]
[illegible] الحيوان [illegible]
[illegible] كل موجود غاية في وجوده [illegible]
غاية [illegible] غاية [illegible]
بالكلية [illegible] لجميع الموجودات غاية اخيرة ينتهي اليها الغايات [illegible]
[illegible] الغاية الذاتية للشيء يجب ان يكون [illegible] الفاعل بالحقيقة
[illegible] نفس الفاعل [illegible]
في بعضها [illegible] الحركات التي تصدر عن فكر او طبيعة [illegible]
[illegible] الفاعل والقابل والتحقيق [illegible]
فيما هو غاية بالعرض وانما الغاية بالذات [illegible] ذات الفاعل [illegible]
حصول [illegible] يعود الى نفسه [illegible] فالغاية الذاتية بالحقيقة [illegible] بالفاعل او وصل اليه الفاعل [illegible]
[illegible] الكرسي [illegible] الى نفسه [illegible]

لا يبقيه الا الحصول لغاية اخرى وهي الاولى انها ابدت الى نفسه ومما يجب ان تعلم ان في الغاية اشياء ثلثة احدها الغاية
بمعنى ما يجعل الفاعل فاعلا ويسمى علة غائية وهي علة فاعلية لفاعلية الفاعل ولا شبهة في تقدمه على الفعل بل على الفاعل
من حيث هو فاعل وهذا في الفاعل الاول اي صانع العالم فانه بعينه فاعل الاشياء وعلة غائية لاجل علمه بوجوه الخير الذي
هو الداعي لايجاد الخير في العالم وذلك الداعي هو عين ذاته وثانيها الغاية بمعنى ما يترتب على الفعل وينتهي اليه الفعل ترتبا
وانتهاء ذاتيا كسورة الخشب والسيف التي انتهت اليه حركة النجار والنار وثالثها الغاية بمعنى الغرض ... ثم لما هو الغاية
الاخيرة من غير ان يتوجه اليه الفعل والحركة كالذكية الحاصلة في السيف ... الموت من هذا القبيل فان الحرارة
مستولية على البدن لا لاجل النباتية والحيوانية لاجل الغايات المطلوبة منها فاذا استولت على البدن لا لاجل ... الارض
الغريزية شيئا فشيئا لاجل تلك الغايات فيحصل المادة الذبول المرض وكذا يطرء على البدن الموت فهذا السبب الى اجل الغاية
النفس في تصرفها وتوجهها الى النشأة الثانية وتلك الغاية الشبيهة غاية اتفاقية وقد يكون الغاية الاتفاقية لشيء غاية ذاتية
لشيء آخر فلها سبب اتفاقي والسبب الاتفاقي يجوز ان يتأدى مثل الحجر الهابط من الجبل اذا شج فهو ما هبط الى الهبوط وبهما ان يهبط
كان وصل الى غايته الطبيعية فيكون بالقياس اليها سببا ذاتيا وبالقياس الى الغاية العرضية سببا اتفاقيا واما اذا ...
اليها كان بالقياس الى الغاية الذاتية باطلا ولا اتفاق من حيث هو اتفاق لا يكون دائما ولا اكثريا بل يقع على سبيل
الندرة لما علمت ان ما هو اتفاق فالغاية من الحسب فيه اي بالقياس الى السبب آخر فالاسباب الطبيعية او الارادية متقدمة
السبب الاتفاقي لتقدم ما بالذات على ما بالعرض فجميع الامور الطبيعية والاتفاقية متوجهة نحو غايات بالذات الا العرض وان
الاتفاق طار عليها ولعل الغايات الاتفاقية غايات بالعرض لما وجدها الشيء بالذات وله غاية ايضا بالذات فبطل قول من
ان وجود العالم بامره ابن على سبيل الاتفاق وذلك لان الاتفاق فيه مستحيل وذلك لانه يستند الى بعض افراد العنصريات ...
الاسباب المقتضية المكتنفة ولا يقال الى الاسباب القصوى كالعقل والى السبب الاول والغاية العظمى وغاية الغايات وكذا وجود
العالم الخير كله ومن فاعل هو خير محض والشر واقع بالعرض بمراتب عرضية منتهية الى عدم او نقص وذات ناقصة كابليس ونحوه فبطل
ما حكاه قوم عن انبادقلس اوذيمقراطس من القول بالاتفاق وكذا ما قال الثنوية القائلة بوجود مبدأين للخير والشر بالذات
وكذا ما زعمته اقوام من ان الباري يفعل الاشياء ويتركها من غير نظام وغاية بها داع فان ذلك مما زعموه يجري مجرى القول بالاتفاق
او العلة الذي قالته الثنوية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد ذكر الحكماء في كتبهم لابطال هذه المذاهب الخبيثة بيانات ودلائل
من جملتها ان الدلائل المعقبة الواحدة اذا استطاعها احد يرضع حبة شعير انبتت البر او الشعير شعرا نابتة ومنها ان
الغايات النادرة عن الطبايع الهالية في حال ما يكون بغير معين وكليها ... الاتفاق اذا ... الى امور ... وذلك في ... الكل
فلهذا انما يقال له الاتفاق الشعير ... ولا ينوى ... فهو ... على سبيل الانواع محفوظ على الاكثر وبها اذا
بعضو من الطبيعة ... بالصناعة واذا ... او اخرى ... الطبيعة عن فعلها ... الطبيب
ان اذا زال العارض فصلح الفاعل واشتد القوى توجهت الطبيعة الى افعالها من الصحة ولكن الروية الفكر مدخل في حصول
الغاية فليس في عدم الروية وجدان لكون الطبيعة لفعلها غاية فان الروية لا يجعل الفعل ذا غاية بل لها المدخل في تعيين
الفعل الذي يختاره من بين افعال ممكن صدورها عنا كما منها غاية تخصه فان كل فعل له غاية بالقوى ولا يفعل فاعل

الفاعل

الفاعل يجعل الفعل ذا غاية بل الغاية مما يجعل الفاعل فاعلا اذ فعله لاجل تلك الغاية ولو كانت النفس ... الحيوانية
لكانت يصدر عنها افعال متشابهة على نهج واحد طلبا لما هو كمالها كحال السماويات ومالكوها اهلكة ... الحيوانية
لتطريق ... فهي مؤدية الى غاياتها وقد علمت ان الغاية غير خارجة عن ذات الفاعل فيكون الفعل الفاعل ... على ما هو
اليه منقلبا اليه منقلبا اياه وقد علمت اولها على واشرفها كان ... الكلام في الغاية حيث ان لها غاية ايضا والكلام
الغاية ايضا والكلام في غاية الغاية كالكلام في الغاية بل غاية الغاية اذا كان وجودها وجود امكاني اولى ان يكون
لها غاية كالها اولى بان يكون لها فاعل لان وجودها اقوى واشرف ... فكيف يكون ... غاية او فعلها او غيرها
فسلسلة الغايات ينتهي الى واجب الوجود هذا في غير الانسان واما الانسان فقد ينتهي بعض من افراده من ادنى المراتب الى اعلى
الغايات يكون مختصا من بين افراد سائر الانواع بالاستحالة الى الحالات والتطور في الاطوار والنشآت من جوهر الى جوهر
نحو آخر وجميع المسالك الانسانية المجذوبة نحوه ... سائر الاشياء ما سوى الحكم الاشرف والعقل الاول فانهما
وجميعها الى الاربعة اما غايات وتمهيدات ... مبادئها ... واشياءها الذي فهي راجعة الى الوسايط المتأدية الى الممكن
المتوسطة بينها وبين سائر الممكنات وهو منتهى راجع اليه ... لا الا هو غاية ولا غاية له سواه واما عارف عن معنى الحق
الاول لكل موجود معينة فوقية ... وجود الاشياء واما معنى رجوع العبد وعوده الى المبدء تعالى فهو عبارة عن وصوله الى الحضرة
الالهية متصلين منازلهم ومقاماتهم البعيدة والقريبة ثم ... الى وصول الى الغاية الذي قطع جميع ...
وهي تصف ... الوجود من المادة الارضية الى الحضرة المقدسة وهو ما ... النصف الرجوع منها وهو ... الحضرة المقدسة
الى الهاوية السفلى والعجب من بعض الحكماء كابي علي واتباعه كيف انكروا على بعض المتقدمين فيما ذهب اليه من القول بان النفس الانسانية
متحدة بالعقل الفعال عند الاستكمال ... الشيخ ابو علي ... على مقدم المشائين بعد ارسطو المسمى فرفوريوس
اعظم ... ذلك الحكيم الموحد الرباني ... وحسن ... علم القوم ...
ما لم يسمع غيره ... سواه ... والصناعة كالحكماء ... وغيرهما من ...
... ووجه التعجب كيف خفي الحال على مثل ابي علي
حل ... على القول باتحاد العاقل المتعقل بالعقل الفعال وقد شاهد ... الانسان ... الصور
فكان ... عليه شيء من الدهر لم يكن شيئا الا القوة والاستعداد ... التي هي اخس المواد ثم ...
بل الارضية التي هي اظلم الاجسام ... الا بالقوة ... او هي من الاشياء
تدرج في الاستكمال حتى صار ... ثم استكمل وصار ... الى طريق ... واما ... او
كما اشار اليه تعالى بقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ... صيرورة الاشياء كلها
الا ... ان الصورة ... بناء على ما هو التحقيق من الاتحاد بين المادة والصورة المقومة لها وانها اتحاد في الوجود وان كانا
مختلفين في المعنى والمفهوم كالاتحاد بين الجنس والفصل لان الجنس والفصل هما عين المادة والصورة بالذات وغيرهما
بالاعتبار عين المادة والصورة بالذات وغيرهما بالاعتبار ... صيرورة ... كالنطفة حيوانا ... جوهر ...
بالقوة كيف ... صيرورة العاقل بالقوة عاقلا بالفعل او صيرورة العقل المنفعل عقلا فعالا كان ... هناك ... قال

من المباينة ههنا فان قال قائل ان الذات [illegible] مقصودة قبلها وان الانسان من مبدأ تكونه في الرحم عند استقرار النطفة
فيه الى آخر حاله في العلم والولاية شيء واحد بعينه في الوجود والجوهرية بالذات وقد طرأ عليه صفات واعراض لم يكن [illegible]
اجهل الناس كالجاهل اعتقادهم لجهلهم فكأنه [illegible] عقله وفطرته بل الانسان [illegible] الى [illegible] آدم [illegible]
الى الدار الآخرة وهذا تمام [illegible] في النفوس [illegible] حتى اذا [illegible] منها [illegible] وبلغ الى [illegible]
بلقاء مولاه او قصر فيه [illegible] من الطريق وهوى في هاوية الهوى [illegible] الى اسفل السافلين [illegible]
وخان في الامانة التي اودعها الله فيه والنعم التي انعم بها عليه [illegible] لانها [illegible] بالموت [illegible]
عند ما [illegible] وكانت تلك الامانة في مبدأ الفطرة [illegible] الى [illegible] كالشمس اذا [illegible]
فيه [illegible] مظلم من مغربها [illegible] الى مبدأها [illegible] اما [illegible] منكسفة واما [illegible]
الالهية والمطالب [illegible] الى [illegible] الانسان [illegible] الجهة [illegible]
[illegible] النفوس [illegible] الشقية [illegible] الهوى والهاوية [illegible]
[illegible] وجوههم الى [illegible] اسفل سافلين [illegible]
الهوى نعوذ بالله من [illegible] الاستبصار في تحقيق [illegible] لقاء الله في دار القرار [illegible]
وعلى اثباته [illegible] على اثبات [illegible] فاعلا [illegible] الفاعل [illegible]
فاعلا [illegible] واما الفاعل التام الذي هو [illegible] الكل [illegible] الاشياء [illegible]
تماما كاملا [illegible] كل شيء [illegible] الكل [illegible] الاول [illegible] الآخر [illegible]
[illegible] اصل الوجود [illegible] الامر [illegible] الوجود [illegible] العلة الفاعلية للوجود والعلة الغائية له [illegible]
ما هو العلة الفاعلية [illegible] والعلة الفاعلية [illegible] الشيء والعلة الغائية [illegible] الوجود
عن [illegible] الشيء [illegible] العلة الغائية [illegible] العلة الفاعلية [illegible]
فان الجائع اذا اكل [illegible] وجود الشبع [illegible] العلة [illegible]
[illegible] هو الذي [illegible] وجود [illegible] العلة الفاعلية والشبعان [illegible]
[illegible] الشبع [illegible] علة فاعلية [illegible] باعتبار [illegible] فهو باعتبار [illegible]
العلم فاعل وباعتبار الوجود العيني غاية [illegible] وجود العالم [illegible]
كنز مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف [illegible] وجود العالم [illegible] فاعلية
للعالم وهو [illegible] غائية [illegible] الكلام [illegible] الوجود [illegible]
[illegible] العالم [illegible] الوجود [illegible] الى [illegible] المنتهى [illegible] غايات [illegible]
[illegible] الناس [illegible] كل الناس [illegible]
واعلم ان هؤلاء [illegible] الوجه [illegible] الوجه في شقاق بعيد [illegible]
الى [illegible] وجه الله [illegible] الوجه [illegible] المقام فهم في شق والوجه في شق [illegible]

ما تولوا الذين [illegible] الهوى والشهوات [illegible] فسوف يكون لزاما [illegible] عليهم [illegible] الهوى
وهي [illegible] لانها [illegible] وهو شيطان من الطواغيت فان [illegible] عبدة الهوى [illegible] عبدة الطاغوت
[illegible] القرآن من [illegible] الله [illegible] وهي [illegible] الصالحين [illegible] ذلك
الطواغيت واتبع الهوى [illegible] من الهوى طاغوت [illegible] الا الله [illegible] وجه الله [illegible] الطاغوت
والغايات الجزئية [illegible] الدار [illegible] الى الواحد القهار [illegible] الطاغوت والطاغوت
من وجوه هذه النشأة الدنيوية [illegible] هذه النشأة في العلم والعمل [illegible] الطاغوت [illegible]
[illegible] الانسان [illegible] في العلم [illegible] الله [illegible] وهذا [illegible] الطاغوت
في [illegible] العلم [illegible] دار البوار [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الجحيم [illegible] وجوههم [illegible]
والطاغوت [illegible] الوجود [illegible] الآية [illegible] الوجه [illegible] عباد الله الذين [illegible]
[illegible] وجوههم [illegible] دار البوار [illegible] الذين [illegible] جهنم [illegible] دار البوار [illegible]
التي [illegible] والعذاب [illegible]
[illegible] الجسمية [illegible] الرجوع [illegible] الجسم [illegible]
[illegible] الرجوع الى [illegible] الروحانيات [illegible] هذا الرجوع [illegible]
[illegible] الطبيعية [illegible] والوهمية [illegible] العقلية وان هذا [illegible]
رجوع [illegible] السابقة [illegible] الحقيقة [illegible]
والعلمية [illegible] هؤلاء التناسخ [illegible] الارض والسماء والظلمة [illegible]
الجسمية والتناسخية [illegible] الاشياء [illegible] الخير الحقيقي [illegible]
بالبخت والاتفاق [illegible] الطبيعة والدهرية [illegible] الطبائع [illegible]
فيها [illegible] الفاعل [illegible]
[illegible] الاشاعرة [illegible] المعتزلة [illegible]
او الاصلح [illegible] اهل [illegible]
بالممكن [illegible] المذهب [illegible] اهل البيت [illegible]
والعصمة سلام الله عليهم اجمعين قوله جل اسمه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
[illegible] الخطاب معهم [illegible] الكلام [illegible] تأكيد [illegible] تفصيل [illegible]
وتذكير النعمة التفصيل [illegible] على الخصوص [illegible] النعمة [illegible]
[illegible] النعمة [illegible] العيش [illegible]
ونعمه [illegible] قوله واني فضلتكم منصوب المحل عطفا على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي [illegible]

على العالمين ولا يلزم ان يكون افضل من محمد صلعم لوجوه احدها ما ذكر في الكشاف ان المراد به التفضيل على الجم الغفير
من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين وكما تقول رأيت عالما من الناس والمراد منه الكثرة لا الكل واعترض
عليه في التفسير الكبير بان هذا ضعيف لان لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل فكل ما كان دليلا على الله كان
عالما فكان من العالم وهذا تحقيق قول المتكلمين ان العالم كل موجود سوى الله وعلى هذا لا يمكن تخصيص لفظ
بعض المحدثات اقول هذا غير وارد اذ ليس مراد الزمخشري ان مدلول لفظ العالم حقيقة مختص ببعض المحدثات
بل انه يعبر به عن الكثير من العالم مجازا بحسب العرف [illegible] وثانيها ما قال ابن عباس ان المراد به عالمي زمانهم لان
امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا افضل الانبياء وبدليل قوله كنتم خير امة اخرجت للناس وثالثها ان المراد
تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهو انزال المن والسلوى عليهم وما ارسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب وغير ذلك
من النعم العظيمة كتفريق البحر لهم والايات الكثيرة التي يسهل معها الاستدلال ويهون بها المشاق وتفضيل [illegible]
في اشياء مخصوصة لا يوجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق وههنا بحث وهو انه [illegible] وهو ان هذا
هذا التفضيل من جملة النعم العامة عليهم وعلى غيرهم من افراد نوعهم والوجه ان يعد من النعم الخاصة فيكون اشارة الى فضيلة
البشرية كما في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا غاية الامر
ان كان المراد من العالمين غير الملائكة والاختصاص [illegible] ليكون على وفاق قوله كثير ممن خلقنا واعلم انه
قال في التفسير الكبير ان قوله واني فضلتكم على العالمين يدل على ان رعاية الاصلح لا يجب على الله تعالى لا في الدنيا ولا في الدين
لان قوله واني فضلتكم على العالمين يتناول جميع نعم الدنيا والدين فذلك التفضيل ان كان واجبا لم يجز جعله
منة عليهم لان من ادى واجبا فلا منة له على احد وان لم يكن واجبا مع انه خصص البعض به دون البعض
فهذا يدل على ان رعاية الاصلح غير واجبة لا في الدنيا ولا في الدين اقول فيه نظر لان الوجوب من وجه لا ينافي
عدمه من وجه آخر ثم انا لا نسلم ان المودي للواجب لا يجوز له المنة على المودى اليه فان الاب يجب عليه
تاديب الولد ونفقته وكسوته ورعاية احواله ومع ذلك لو من عليه بها لم يكن هذا قبيحا منه وكذا المعلم لاحد
في المعارف الالهية لو من على من خرج بهدايته من ظلمة الضلالة الى [illegible] وجهنم الجهالة الى نور الهدى و
اليقين وجنة العرفان كانت المنة عليه عظيمة على ان الحق في هذه المسألة ما ذهب اليه المحققون من ان الاشياء
انما يجب بايجاب الله لا لان الاشياء اوجبت عليه او اوجبت شيئا آخر عليه قوله جل اسمه واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها بالتاء والياء قرئ بالياء لمجاز تانيث [illegible] العظام عليهم انذرهم في
كفرانهم بيوم القيمة وبعقابه [illegible] لا تقتل اليوم لا تخفى
ولا بد [illegible] اهل الحشر والناجي [illegible] وليس انتصابه انتصاب الظروف بل انتصاب المفعول به لان معناه
اتقوا هذا اليوم واحذروه ليس معناه اتقوا في هذا اليوم لان يوم القيمة لا يوم فيه [illegible] شيء بل انما يوم
في غيره [illegible] ما يقع فيه والجزاء عند اهل اللغة المكافاة والمقابلة جزى يجزي جزاء وجازاه
مجازاة ومنه الحديث ان رسول الله صلعم [illegible] في الجذعة التي امر ان يضحي بها وتجزي عن احد بعدك

وقال

وقال [illegible] لا تجزي عن صاحبه اي تقضي ويكون قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق فيكون مفعولا به او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى
فعلى هذا لا يكون الا مصدرا يعني شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وتنكير
الجزاء والجازي والمجزي عنه للتعميم [illegible] والجملة منصوبة المحل صفة ليوما والعائد محذوف
تقديره لا تجزي فيه نفس ومنهم من لم يجوز حذف الضمير المجرور لانك لا تقول هذا رجل قصدت او هذه دار سكنت
وانت تريد اليه او فيها فقال اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف عنه الجار ثم حذف الضمير كما حذف في قوله
فما ادري اغيرهم تناء وطول الدهر ام مال اصابوا والشفاعة ان يستوهب احد شيئا او يطلب له حاجة وهي
الوسيلة والوصلة والقربة واصلها من الشفع الذي هو ضد الوتر كان المشفوع كان فردا فجعله الشفيع شفعا
بضم نفسه اليه والضمير في ولا يقبل منها راجع الى النفس الثانية العاصية اي لو جاءت بشفاعة شفيع لا يقبل منها ويجوز
عوده الى الاولى اي لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا والعدل ههنا الفدية وقيل البدل والفرق
بين العدل والبدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والبدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال [illegible]
او عدل ذلك صياما واصله التسوية سميت بها الفدية لانها سويت بالمفدي ونظير هذه الآية قوله تعالى ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وقوله ان الذين كفروا
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها والنصرة هي
المعونة وقيل النصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر [illegible] يراد به المعونة وغيرها من الاغاثة
يقول العرب ارض منصورة اي ممطورة والغيث ينصر البلاد اذا انبتها فكانه اغاث اهلها ويسمى الانتقام نصرة
وانتصارا لانه [illegible] ونصرا لامر القوم [illegible] فقوله لا ينصرون يحتمل هذه الوجوه كانهم يوم القيمة
لا يغاثون واذا عذبوا لم يجدوا من ينتقم لهم من الله وبالجملة النصرة تتضمن دفع الشدائد فاخبر تعالى انه لا دافع هناك
عن عذابه والضمير في لا ينصرون لما دلت عليه النفس الثانية لكونها نكرة واقعة في سياق النفي يعني النفوس الكثيرة
وتذكيره لانها بمعنى العباد والاناسي فصل اعلم انه تعالى وصف يوم القيمة باشد الشدائد واعظم الاهوال [illegible]
اذا وقعت على احد واقعة [illegible] الى كراهته [illegible] واحد [illegible] ذلك عنه [illegible]
الآية من مقتضى الحمية وذبت عنه كما [illegible] لا طاقة له ما نفعته
بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة [illegible] ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن عنه الحالتان من الخشونة
والمعونة [illegible] بالافداء الذي يبذله من جنسه او بديله من غير جنسه فان لم تغن هذه الثلاثة تعلل بما يرجى
من نصر الناصرين او انتقام المنتقمين فاخبر تعالى انه لا يغني في الآخرة شيء من هذه الامور عن المجرمين ففي
الآية اعظم تخويف للانسان من المعاصي واقوى ترغيب له في التوبة والتلافي لانه اذا [illegible] الموت
استدراكه ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية [illegible] الا الطاعة والانابة وان كانت في بني اسرائيل فحكمها عام

واعلم ان البارى

يعم المكلفين كلهم لان الاوصاف المذكورة هي التي تميها وصف بها اليوم فيعم كل من يحضر في ذلك اليوم فصل مشرع
الكشف للب اللبي والسر العقلي في اثبات هذه الاوصاف والاحكام ليوم الاخرة ان المؤثر على قسمين الاول ان يكون
تاثيره بمشاركة الوضع ومقاومة المادة بعضها بعضا والثاني ان لا يكون تاثيره كذلك بل بمجرد الذات والذي يوثر في الشيء بالذات
لا بمشاركة المواد والاوضاع اما السبب الفاعل والغائي او الصوري لانه لا تاثير للسبب المادي بالاقتضاء والايجاب في
شانها الا القبول والانفعال اذا تقرر هذا فجميع هذه الامور المعدودة في الاية من الكافات والشفاعة والفدية
والنصرة هي من التاثيرات التي وقعت بين الاشخاص المشاركين في الاوضاع والامكنة فهو ثم من هذه الاسباب
المعدة وهي ايضا جهة القبول والانفعال من جهة المادة المنفعلة التي يؤثر فيها كل شيء واما الاخرة فيها هذه الاو
والانساب منقطعة والذي يكون هنا لامعد لمهمات ويطلب فيه الاحتياجات اعني اما ربحل ذكره لا يؤثر فيه شيء ولا
ينفعل عن شيء لانه القاهر على كل شيء فالمؤثر هناك في شيء منحصر في سبب صوري للشيء او فاعل له او غائي له فالصورة
كالايمان والكفر والخلق الحسن والخلق الردي واما الفاعل فهو الله بلا واسطة او بواسطة بعض عباده المقربين الذين هم
بامره يعملون لانهم من عالم الامر ويفعلون ما يؤمرون واما الغاية فهو الله في الحقيقة او ما ينعكس من نور جلاله
لمن يعجز عن دراكه وجلاله والعلة الصورية معلولة للفاعل والغاية لانها العلة المباشرة وهما علتان مفارقتان فجميع
اللذات الروحانية كلقاء الله ومجاورة مقربيه والجسمانية كالجنة والحور والقصور والانهار والاشجار
وغيرها منبعثة عن الله بواسطة صورة الايمان والاحسان وجميع الالم الروحانية والجسمانية كالاحتجاب
عن الرب تعالى وملكوته والتعذيب بالجحيم والزقوم والعقارب والحيات وغيرها منبعثة عنها بواسطة صورة الكفر والمعاصي
فلا سبب ولا نسب هناك الا ما ذكرناه ولا وسيلة هناك لاحد عنده ولا شفيع ولا ظهير ولا معاون ولا نصير يعاونه في افعاله
ولا مؤثر عن القهر ولا معادل له ولا مانع ولا مزاحم منتقم منه اذ لا مساوي له في القوة اذ لا واجب الوجود غيره والوجود
ويترشح على غيره فكيف فيضا وسق القوم او ينفيه عليه حتى يدافعه او ينتقم منه بل هو الغالب على امره والقاهر فوق عباده
وبالجملة لا وسيلة لاحد من احد في امره ولا رابطة بين احد واحد الا بالروابط الذاتية في يوم لا تملك نفس
لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقال واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ثم هنا سوالان
احدهما ان الباري جل شانه كما انه موجد الاخرة ومالكها كذلك موجد الدنيا ومالكها فكما ان الوسائط والاسباب
هاهنا موجودة مؤثرة والانسان منتفع بها في جلب الملاذ ودفع المضار في الاخرة لا ماثر لها ولا وجود للوسائط
ثانيهما ان النصوص دالة على ان الشفاعة ثابتة للملائكة والانبياء والكاملين من اهل الايمان وقال الله الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وبالجملة الامة مجمعة على ان لمحمد ص شفاعة مقبولة في الاخرة وان اختلفوا في كيفيتها
فعند المحققين هي مختصة بدفع العذاب واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبي المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة
المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي ص ولاصحابه المنتجبين وللائمة من اهل بيته الطاهرين
ولصالحي المؤمنين والملائكة وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقاه الامة بالقبول وهو قوله

ادخر

ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي ص انه قال اني اشفع يوم القيمة
فاشفع ويشفع علي فيشفع ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في اربعين من اخوانه
كل قد استوجب النار وفي الحديث عنه ص انه قال يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم وقال ص ان من امتي من يشفع للقبائل
ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعشيرة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة وعن ابي جعفر ع في باب فضيلة النكاح
رسول الله ص قال تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم غدا في القيمة حتى ان السقط يجيء محبنطئا على باب الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول
لا حتى يدخل ابواي ... الى غير ذلك من النصوص فما في الايات الدالة على نفي الشفاعة والنصرة وما يجري مجراها كما في مثل قوله ولا يقبل منها
شفاعة فانه نكرة في سياق النفي فيعم جميع اقسام الشفاعة وقوله ولا هم ينصرون يدل على نفي النصرة وكقوله تعالى من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة يقتضي نفي الشفاعة بالكلية والجواب عن الاول ان دار الدنيا واقعة في افق
الوجود فان الوجود نزل الى جوهر مادي منفعل عن كل مؤثر فيه لكونه محض القوة والاستعداد ومنبع الحركات
والاستحالات وهي حالة بين صرافة القوة ومحوضة قبول الحوادث في هذا العالم هي الهيولي والحركة فان الهيولي
المستفادة من الحركة يحدث فيها من قبل المواد والوسايط الوجود في موجودات حادثة في ازمنة ...
سلسلة عرضية من المتجددات الزمانية والكائنة واما الدار الاخرة فهي اقرب الى المبدأ ... فيها من
وان كانت جسمانية الحقيقة لكنها اشبه بالنفس ... منها بالمادة واليه الاشارة بقوله وكلهم اتيه يوم القيمة فردا
وقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ...
ولهذا الارواح في النشاة ... الارواح ذلك
يؤثر في اشباحها ...
الحسنة النورية والقبيحة الظلمانية ... الى كل احد فهو انما يعمل ... نفسه ووسيلة
ذاته من جهة الهالك الذاتية لا من جهة الاسباب العرضية والعلائق الاتفاقية الكونية لانها منقطعة مسلوبة يوم القيمة
ثم ايضا ان القوة لله جميعا اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقوله فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقد تكرر في القران ذكر هذا المعنى والتنبيه عليه كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله انما تجزون ما كنتم تعملون وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى وقوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وقوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون الى غير ذلك من الايات وفي الحديث عن النبي ص انما هي اعمالكم ترد عليكم كل ذلك علامة واشعار بان الثواب و
العقاب في القيمة بنفس الاخلاق والصفات التي ترسخت اصولها في القلب بواسطة تكرر الاعمال والافعال الواقعة
في الدنيا من افراد الناس وينكشف ... في كيفية تجسم الاعمال في الاخرة عند تفسير بعض الايات المشيرة الى احوال البعث و
اما الجواب عن الثاني ان جميع ما ورد في باب الشفاعة يوم القيمة يرجع الى اسباب ذاتية وامور داخلية فان ...
شفيعا ان الايمان بحقيقته والاعتراف ... الرحمة والنجاة من عذاب النار ...

برجال

في الشفاعة صورة الا البني الحاصلة في النفس العارفة من صلوات الله عليه وآله والركبتا له استنصاله عن ذات المؤمنين وكذا
في سائر الشفعاء والاخلاء يوم الدين في المنفي في هذه الآية وفي غيرها كقوله تعالى ولا خلة ولا شفاعة وقوله ولا شفيع ولا
وقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين بل المراد
الاخرة من الشفاعة وما يشبهها غير الثابت منها في الآيات والاخبار بالمعنى والحقيقة لان المنفي منها امور خارجية
والثابت منها امور داخلية من باب الصور المشهودة للانسان في عالم الباطن فان الغيبة حضورها في داخل حجب السموات
والارض باطنها لا ظاهرها وخارجها ومن هذه الاشياء هنا كرؤية الصور ولا الوان في الجلد المرآة من جهة عالم
وجهها ومن هذه الاشياء هنا كرؤية الصور والالوان على ظهر المرآة وبالجملة الاسباب الخارجية والاتفاقية المسلوبة
القيمة والاسباب الذاتية الداخلية ثابتة فالآيات والاخبار الدالة على نفي الشفاعة والوسيلة والقرابة
وغيرها انما يحمل على نفي ما هو منها من قبيل القسم الاول والتي يدل على اثباتها يحمل على اثبات ما هو منها من قبيل قسم الثاني
من قبيل الاول ما في قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وقوله ما للظالمين من انصار وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
ومن قبيل الثاني المستثنى الواقع في قوله [illegible] الا باذنه فالنفي متعلق بما هو من قبيل الاول والاستثناء
بما هو من قبيل الثاني وكذا قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فان لفظ الاذن ايضا
ورد في القرآن كالاشارة الى الفاعل الذاتي والمرضي الجبلي فافهم واستقم فصل استدلت المعتزلة القائلون بخلود
مرتكب الكبيرة [illegible] واحدة في النار بهذه الآية على انكار الشفاعة بوجوه منها احدها بقوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ولو ثبت الشفاعة في اسقاط العقاب لكانت قد جزت نفس عن نفس شيئا والثانية قوله ولا يقبل منها شفاعة لكونها نكرة في
سياق النفي فيعم كما مر والثالث قوله ولا هم ينصرون اذ الشفاعة ضرب من النصرة ونفي الاعم يستلزم نفي الاخص واجيب عنه بوجهين
احدهما ان اليهود كانوا يزعمون ان آباءهم يشفعون لهم فالآية نزلت لتقنيطهم لان العبرة بعموم الحكم لا بخصوص السبب
لانا نقول خصوص السبب وان لم [illegible] احتمال التخصيص وذلك كاف في سند المنع والثاني ان الآية وان كانت بظاهرها العموم
لا قابلة للتخصيص واعلم ان مسألة اثبات الوعيد لاهل الكبائر اذا لم يتوبوا لموضع خلاف فلاهل القبلة فالمعتزلة
والخوارج قاطعون بوعيدهم مؤبدا وطائفة قاطعون بوعيدهم منقطعا لا مؤبدا وهو قول بشر المريسي [illegible]
وذهب بعضهم بانه لا وعيد لهم [illegible] مقاتل بن سليمان المفسر واليه ذهب بعض المرجئة والذي عليه اصحابنا الامامية المنقول
عن ابن عباس وعليه اكثر الصحابة والتابعين والصوفية واكثر الاشاعرة اثبات العفو عن بعض العصاة والقطع بان
الله يعفو عن بعض السيئات وان لم يتب عنها [illegible] الكبائر فلا نعلم [illegible] نتوقف في حق
عند البعض المعذب على التعيين [illegible] الارواح وان لم يكن [illegible] بقبائح اعمال الاشباح
لا انها بعد المفارقة ترجع [illegible] الى اصلها [illegible] القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الاعمال [illegible]
معهود لا يقال [illegible] التبعات [illegible] من العذاب ويرجع الى [illegible] ومنهم من [illegible]
ان استيفاء اللذات الحسية [illegible] الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوي وطائفة من المتصوفة
يزعمون ان السالك اذا بلغ حد المعرفة التامة لم يضره المعاصي وكل هذه الثلاثة خيالات فاسدة [illegible]

لم يجرب

يتصفى
يتطهر

لم يجرب نفسه ولم يعرف كل امر فانه منه ولم يجد من نفسه انها كيف تتنزل الاخلاق الذميمة البهيمية والسبعية وكيف تتطهر
بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فضلا عن ان يصير [illegible] القلب بحيث لا يبقى فيه شيء من الصفات الفطرية كما قيل [illegible] قلوبهم
ما كانوا يكسبون فلو [illegible] الامر الدهور وكر الاعصار فقد [illegible] الكفر الى [illegible] الاخلاق [illegible] رسوخ الصفات
الظلمانية الى حيث يزول عن القلب قابلية نور الايمان والمعرفة فيبقى خالدا مخلدا في النار [illegible] نعوذ
بالله من الحور بعد الكور واعلم انه يمكن ان يحمل القول الاول من هذه الثلاثة وجه يندفع به فساده وهو ان المراد بالارواح
غير النفوس التي هي مورد المقت والعذاب وموضع الآلام والاسقام فان الروح اذا اريد به جوهر قدسي من عالم الامر لا يتعلق بالنفوس
البشرية فهو سعيد في الدنيا والآخرة وقد وقعت الاشارة الى هذا المعنى فيما سبق من ان نسبة الروح الحيواني الى الروح النطقي كنسبة
الدابة الى راكبها وان التي قامت الحدود بها ويحصل بها العمل والضرب هي النفس الحيوانية واما النفس الناطقة على نزاهتها
مع عالمها في سماء [illegible] دائمة وقد يستفاد من بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله انه قام لجنازة يهودي فقيل انها جنازة يهودي فقال
اليست نفسا اراد صلى الله عليه وآله بها النفس الناطقة فقام تعظيما لشرفها ومكانتها منفوخة من روح الله ومن عالم القدس والطهارة
لا يلحقها شيء من الارجاس لكن النفس الحيوانية محل الشقاء في الدنيا وهي في الانسان باقية بعد البدن محشورة في الآخرة كما اقيم
عليه البرهان وهو من العرشيات المختصة بهذا العبد بما يسر الله واما ما ذهب اليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من ان
عصاة المؤمنين لا يعذبون وانما النار للكفار تمسكا بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل قوله قد اوحي
الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقوله ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وجوابه ان المراد من العذاب
ما هو على وجه الخلود وكذا المراد من الخزي والسوء واما تمسكهم بمثل قوله صلى الله عليه وآله من قال لا اله الا الله دخل الجنة فهو ضعيف لانه
انما ينفي خلود النار لا الدخول فيها واعلم ان الايمان اذا كان حقيقيا بالغا الى حد علم اليقين يمكن القول بعدم دخوله
في النار ولكن قلما يحصل هذا المقام لاحد الا مع اجتنابه من الكبيرة وذلك لكونه متوقفا على صفاء كامل في القلب وتجرد
بالغ عن اعراض النفس ولذاتها الحيوانية والذي يدل على ان الايمان القوي يمنع صاحبه من دخول النار ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله
انه قال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة دل بتنبيه على
تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير لا يمنع دخول النار [illegible] ان ايمانا يزيد على مثقال فانه لا يدخل
النار وان من في قلبه ذرة من الايمان لا يستحق الخلود في النار وان دخلها ولا خفاء في ان درجات الايمان مختلفة
في القوة والضعف كالتفاوت بين الانوار المحسوسة في الاضاءة والاشراق [illegible] الايمان واحد الناس
كالنبي والولي [illegible] مع ايمان سائر الخلائق [illegible] الشمس [illegible] السراج [illegible] فايمان آحاد
العوام نوره كنور السراج وايمان الاولياء والصديقين كنور القمر ونور النجوم وايمان الانبياء كنور الشمس والبدر
وفي قوله صلى الله عليه وآله ليس شيء خير من الف مثله الا الانسان اشارة الى تفضيل قلب المؤمن العارف على غيره من العوام فصل واما المعتزلة
فاستدلوا بالعمومات الواردة في وعيد الفساق وبالآيات الدالة على الخلود [illegible] الكافر وغيره كقوله ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وليس المراد تعدي الحدود بارتكاب المعاصي كلها [illegible] واما
[illegible] كاليهودية والنصرانية والمجوسية [illegible] من حدود المواريث [illegible] ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وقوله فاما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ومثله

هذا اسوق للتأبيد ونفي الخروج ومثل قوله ان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وعدم الغيبة عن النار
خلود فيها وقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وبالعمومات الدالة على نفي الشفاعة كقوله تعالى ما
للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع والظالم هو الآتي بالظلم وذلك يعم الكافر وغيره وقوله تعالى من قبل ان يأتي يوم لا بيع
فيه ولا شفاعة وقوله وما للظالمين من انصار ولو كان الرسول شفيعا لهم لكان ناصرا لهم وقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى والفاسق ليس بمرتضى عند الله واذا لم يشفع الملائكة فكذا الانبياء اذ لا قائل بالفرق
وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك ولو كانت الشفاعة حاصلة للفاسق لم يكن لتقييدها بالتوبة ومتابعة السبيل
معنى وبالاخبار الدالة على الوعيد كقوله عليه السلام من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب عنها لم يشربها في الآخرة وقوله عليه السلام من قتل
نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وقوله الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وقوله
لا يبغضنا اهل البيت رجل الا دخل النار وقوله يا كعب بن عجرة اعيذك بالله من امارة السفهاء انه سيكون امراء
من دخل عليهم فاعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد علي الحوض يا كعب انه لا يدخل الجنة
لحم نبت من حرام وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول
الله فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك وعنه عليه السلام ثلاثة انا خصمهم يوم القيمة ومن كنت خصمه خصمته
رجل اعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استأجر اجيرا فاستوفى منه ولم يوفه اجره فهذه وجوه
متمسكهم في القطع بالوعيد ونفي الشفاعة والجواب عنها بالمنع من ان هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل
او البعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا او بعض من دخل داري فله كذا ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض
ولان الاكثر قد يورد بلفظ الكل وبعد تسليم كون الصيغ للعموم فاحتمال المخصصات قائم فان العموم غير مراد
في الآية الاولى للقطع بخروج التائب واصحاب الصغائر وصاحب الكبيرة الغير المنصوص عند الخصم اذا اتى بطاعات
يزيد ثوابها على عقوبتها فيجوز ان يكون مرتكب الكبيرة من المؤمنين ايضا خارجا بما سيجيء من الآيات والادلة
فالعام المخرج منه البعض لا يفيد القطع وفاقا ولو سلم فغايته الدلالة على استحقاق العذاب المؤبد لا على الوقوع
كما هو المتنازع فيجوز الخروج بالعفو ويجاب عن الآية الثانية بان معنى [illegible] على ما ذكره
ابن عباس [illegible] على الحقيقة انما يكون من [illegible] او بان [illegible] التعليلية مختص بمن قال
المؤمن لايمانه او بان الخلود وان كان ظاهرا في الدوام فالمراد ههنا المكث الطويل جمعا بين الادلة لا يقال
الخلود حقيقة في التأبيد لتبادر الفهم اليه ولقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ولانه يؤكد بلفظ التأبيد
مثل خالدين فيها ابدا وتأكيد الشيء تقوية لمدلوله ولان العمومات المقرونة بالخلود في حق الكفار والمراد في
حقهم التأبيد بالاتفاق فكذا في حق الفساق لئلا يلزم ارادة المعنى المشترك والمعنى الحقيقي والمجازي معا لانا نقول
لا كلام في ان المتبادر الى الفهم عند الاطلاق والشايع في الاستعمال هو الدوام لكن قد يستعمل في المكث الطويل
غير [illegible] فيكون محتملا على ان في جعله لمطلق المكث الطويل سواء جعل حقيقيا او مجازيا اعم

من ان

من ان يكون مع دوام كما في حق الكفار او انقطاع كما في حق الفساق فلو [illegible] اريد بهما جميعا فلا [illegible]
تأكيد بل تقييد ولو سلم فالمراد تأكيد طول المكث اذ قد يقال حبس مؤبد ووقف مؤبد ويجاب عن الآية [illegible]
بانها في حق الكافرين المكذبين للحشر بقرينة قوله ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون مع ما في دلالتها على الخلود
من المناقشة لجواز ان يخرجوا عند عدم ارادتهم الخروج بان يأتي الذهول او نحو ذلك وعن الرابعة بتسليم افادة
النفي عن كل فرد ودلالتها على دوام عدم الغيبة انها تختص بالكفار جمعا بين الادلة وكذا الخامسة والسادسة
المحدود على حدود الاسلام والاحاطة الخطيئة على غلبتها بحيث لا يبقى معها الايمان هذا مع ما في الخلود من الاحتمال
وعلى هذا القياس الجواب عن سائر ادلتهم النقلية على وجه التفصيل للمعتزلة ايضا ادلة عقلية على ثبوت عذابهم
منها ان الفاسق لو دخل الجنة لكان باستحقاق له لامتناع دخول غير المستحق كالكافر واللازم منتف لبطلان
الاستحقاق بالاحباط او الموازنة والجواب منع المقدمتين وبطلان الاحباط والموازنة ومنها ان [illegible]
عذاب الفاسق لا ينقطع عذاب الكافر قياسا عليه بجامع تناهي المعصية والجواب [illegible] السامي
الكفر [illegible] اعتبار القياس في مقابلة النص في الاعتقادات ومنها ان الوعيد بالعقاب الدائم لطف بالعباد
لكونه ازجر عن المعاصي فان منهم من لا يكترث بالعذاب المنقطع عند الميل الى المستلذات [illegible] الوعيد
تصديقا للخبر وصونا للقول عن التبديل والجواب منع انحصار اللطف في وعيد الدوام فان من يكترث بالشيء
بجحيم فلا يكترث بالخلود فيها اعقابا [illegible] لو كان كل وعيد لطفا ولا شيء من الوعيد لطفا للكل فليكن لطف
في النار مختصا بالكفار وكفى بوعيد النيران بل وصل الجنان لطفا وزجرا لاهل الايمان فصل واما القائلون
بنفي العقاب عن اهل الكبائر فاحتجوا بقوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك الآية بحكم بالفلاح
على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد فصل واما القاطعون بثبوت العفو في حق البعض والوقف في حق
البعض وهم اصحابنا رضوان الله عليهم واهل السنة فقد تمسكوا بنحو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وبقوله عز من قائل حكاية عن عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وظاهر ان هذه الشفاعة ليست في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة اذ لو كان كذا لا يليق الشفاعة في حق الذي [illegible]
صاحب صغيرة او تائب عن الكبيرة لم يحسن تعذيبه عقلا واذا صحت الشفاعة صح القول بها في حق [illegible]
بالطريق وبقوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم بمثل البيان المذكور [illegible]
ولا [illegible] الآيتين على هذا المطلوب روي ان النبي عليه السلام تلا قول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله
ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله بما قال فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في
امتك ولا نسوءك رواه مسلم في صحيحه وتمايل على ذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي المجرمون لا يستحقون ان يشفع

هم الا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهدا لكان من اتخذ عهدا اعتبارا وجب دخوله في الآية وصاحب الكبيرة عنده
عهد التوحيد والاسلام فوجب ان يكون داخلا واما اليهود فيريد العمل بهما في حقه لضرورة الاجماع وحمل ذلك
قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى بيان ان صاحب الكبيرة مرتضى عند الله من حيث ايمانه وتوحيده
وكل من هو مرتضى عنده بحسب هذا الوصف صدق عليه انه مرتضى عنده لان مفهوم المطلق جزء مفهوم المقيد وصدق
المقيد صدق المطلق فثبت ان المؤمن الفاسق مرتضى عند الله فهو داخل في شفاعة الملائكة ومن دخل في شفاعتهم
دخل في شفاعة النبي صلعم اذ لا قائل بالفرق لا يقال ان الفاسق ليس بمرتضى من حيث فسقه واذا لم يكن مرتضى من جهة
لم يكن مرتضى فوجب ان لا يكون اهلا للشفاعة بالبيان المذكور لانا نقول قد تقرر في العلوم العقلية ان المهملتين
لا يتناقضان فقولنا الفاسق مرتضى لا يناقض قولنا انه ليس بمرتضى لجواز ان يكون مرتضى من وجه غير مرتضى من وجه
آخر فثبت انه مرتضى بحسب اسلامه غير مرتضى بحسب فسقه واذا كان المستثنى مجرد كونه مرتضى وجب دخوله تحت المستثنى
وهو وجه من المستثنى فثبت انه من اهل الشفاعة وهو المطلوب ومن ذلك قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وروي ان النبي صلعم لم يزل يسال في امته حتى نودي اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم وفي تفسير مجاهد ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وكان ابو جعفر محمد بن علي
يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية في كتاب الله قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية
ونحن اهل البيت نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى واما الاخبار فقد روي عنه صلعم انه قال
امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن واذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل
من امتي رجل من اهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار وفي الخبر يؤتى يوم القيامة بناس من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها لهم
ويضعها على اليهود والنصارى وفي الخبر يقول الله تعالى يا بني آدم ما ظنكم بي فيقولون نظن انك تغفر لنا فيقول قد غفرت لكم
من الذنوب من قبل ما هو كان العجب وقال صلعم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها
وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول رجاء ان يصيبه
وفي الحديث الطويل ان اعرابيا قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال تبارك وتعالى هو بنفسه ثم انهم
نبسم الاعرابي فقال صلعم ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال صدقت الا
كريم اكرم من الله هو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفي الخبر المشهور ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق
رحمتي تغلب غضبي وفي الحديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار
وفي خبر كم من عالم كافر يوم القيامة رحمة الله ما ليس في حسبانه احد حتى ان ابليس يتطاول لعظم الآية فقال ابن
اي يوم هذا يوم يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول من كم كم فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين
الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم ويعطلون عن الاشغال والاعمال فخرج عليهم رسول الله
وقال ما لكم لا تعملون قالوا ومن يشتغل بالعمل بعدما حدثتنا بهذا قال كم انتم في الامم اين
ياجوج وماجوج امم لا يحصيها الا الله انما انتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكالرقمة
في ذراع الدابة وفي رواية ابي سعيد عن النبي صلعم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم فيمر

المؤمنون

فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل
في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة في الحق
لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون
فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا
به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله شفعت الملائكة
وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا
قط خيرا قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر الحيوة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم
فيقول اهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ومنها ما روي انس
بروايات مختلفة اخصرها لفظا انه قال صلعم اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون آدم فيقولون
اشفع لنا الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فياتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم
بموسى فانه كليم الله فياتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد فياتوني فاقول انا لها فاستاذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد احمده بها لا تحضرني الآن
فاحمده بتلك المحامد واخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي
امتي فيقال انطلق فاخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فانطلق فافعل ثم اعود فاحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق واخرج من كان في قلبه مثقال ذرة او خردلة من ايمان فانطلق فافعل ثم اعود فاحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق واخرج من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق
فافعل ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل
تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي
وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله الى غير ذلك من الاخبار الدالة على ثبوت الشفاعة من النبي صلعم
وثبوت العفو منه تعالى اكثر منها وهي اكثر من ان تحصى فصل ان المعتزلة القاطعين بنفي العفو والشفاعة
ذكروا في آيات الرجاء واحاديث الشفاعة تحاويل شاهدة وتعسفات ضعيفة وقيدوا الحكم في كثير من الآيات باشتراط
التوبة وقالوا في هذا الحديث ونظائره من احاديث يوم القيامة وجوها من الايراد منها ان هذه الاخبار اخبار
طويلة جدا فلا يمكن ضبطها بلفظ الرسول صلعم فالظاهر ان الراوي انما رواها بلفظ نفسه وعلى هذا التقدير لا يكون
شيء منها حجة ومنها انها اشتملت على التشبيه وذلك باطل فيتطرق بسببه التهمة اليها ومنها انها وردت على
ظاهر القران وذلك يفيد ما يطرق التهمة اليها ومنها انها خبر واحد وقعت في مسألة قطعية يتوقف الدواعي على نقلها فلو

الا الظن لا يفيد

صحيحاً لوجب بلوغه حد التواتر وحيث لم يكن كذلك تطرقت التهمة إليها ومنها أن الاعتماد على خبر الواحد في
المسائل العلمية غير جائز وهذه المسألة علمية لا يعول فيها على الظن والجواب عن هذه المطاعن بأن كل واحد
من هذه الأخبار وإن كان مروياً بالآحاد لكن القدر المشترك بين مجموعها لكثرتها كثرة فهو متواتر المعنى فيكون حجة
عليه وذكروا أيضاً في استدلال القاطعين بثبوت الشفاعة بقوله صلى الله عليه وآله ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وجوهاً
من الإشكال أحدها أنه خبر واحد على مضادة القرآن فإنا بينا أن كثيراً من الآيات تدل على نفي هذه الشفاعة وخبر
الواحد إذا ورد على خلاف القرآن وجب رده وثانيها أنه يدل على أن شفاعته ليست إلا لأهل الكبائر وهذا غير جائز
لأنه يقتضي حرمان أهل الثواب عن هذا النصيب وثالثها أن المراد الاستفهام الإنكاري كقوله تعالى حكاية عن الخليل
هذا ربي فالمراد أأدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ورابعها أن لفظ الكبيرة غير مختص بالمعصية بل يتناول
الطاعة كما قال وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فلعل المراد منه أهل الطاعات الكبيرة وخامسها أنه يصدق عليهم
بعد التوبة أنهم من أصحاب الكبائر لأن صدق المشتق لا يقتضي دوام الاتصاف فيبطل الاستحقاق فيحمل الخبر على أهل
المعاصي الكبيرة بعد التوبة ويكون تأثير الشفاعة في أنه يتفضل الله عليهم بما انحبط من ثواب طاعاتهم المتقدمة
على فسقهم هذا وجوابها جميعاً [illegible] واعلم أن ههنا وجوهاً أخرى نقلية وعقلية يمكن التمسك
بها لهذا المطلب الأول أن الآيات والأخبار الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة كثيرة وليس ذلك
قبل دخول النار وإن كان فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب بعينه وهو المسألة المشهورة الثاني
كقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة وكقوله ص
كل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق إذا دلت الآيات والأخبار على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق
بينهما فإما أن يصل العبد إلى دار الثواب ثم إلى دار العقاب وهو باطل بالإجماع أو يصل إلى العقاب ثم ينتقل
إلى دار الثواب ويبقى مخلداً وهو المطلوب ههنا الثالث النصوص المشعرة بالخروج من النار كقوله تعالى النار
مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وكقول النبي يخرج من النار
قوم بعدما امتحشوا وصاروا فحماً فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل الثالث أن من واظب على الإيمان
والعمل الصالح مائة سنة وصدر عنه في أثناء ذلك أو بعده جريمة واحدة كشرب جرعة من الخمر فلا يحسن من الحكيم
أن يعذبه أبد الآباد ولو لم يكن هذا ظلماً فلا ظلم ولو لم يستحق هذا ذماً فلا ذم الرابع أن المعصية متناهية
زماناً وهو ظاهر وقدراً لأنه يوجد من معصية أشد منها فجزاؤها يجب أن يكون متناهياً بخلاف الكفر فإنه لا
يتناهى قدراً وإن تناهى زماناً الخامس أن صاحب الكبيرة أتى بما هو أفضل الخيرات وهو الإيمان ولم يأت بما هو أقبح
القبائح وهو الكفر بل أتى بشر ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي إلهي إذا كان التوحيد ساعة
يهدم كفر سبعين سنة فتوحيد سبعين سنة لا يهدم معصية ساعة إلهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات
كان مقتضى العدالة أن الإيمان لا يضر معه شيء من المعاصي وأما التمسك بأن الخلود في النار أشد العذاب فيجب
جعله جزاء أشد الجنايات وهو الكفر فلا يصح جعله جزاء لما هو دونه كالمعاصي فهو ضعيف إذ بها يرتفع تفاوت
مراتب العذاب في الشدة وإن لم يتفاوت في عدم الانقطاع فصل واعلم أن تكرر المعاصي إذا أدى إلى رسوخ ملكات

أمكن القول

سيئة أو بهيمية أظلمت مرآة القلب بها ومنعه عن قبول نور الرحمة الإلهية أو نور الشفاعة النبوية
بأن صاحب هذه الكبيرة مخلد في النار وهذا هو المشار إليه في قوله تعالى بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
أي صارت ملكة راسخة تصورت نفسه في القيامة بصورة تحول بغلبت عليه تلك الصفة فحشرت نفسه بصورة
القردة والخنازير وكذا صدور بعض المعاصي ولو مرة كقتل المؤمن متعمداً كاشف عن كون مرتكبه غير معتقد لشأن
الدين فلا يعتقد بأمر الآخرة فصل في سر معنى الشفاعة أن نسبة إفاضة نور الوجود والرحمة إلى نور الأنوار جل
عظمته كنسبة إفاضة النور المحسوس على وجه الأرض إلى الشمس والكواكب كالقوابل الجود أتم الفيض عام
بحيث لا يحصل إلا مما لا يحصل لعدم القابلية كما أن النور الحسي الوارد من الشمس على سطوح الأجسام قد يكون
استقامياً وقد يكون انعكاسياً الأول كوجه ظاهر الأرض في النهار والثاني كداخل البيوت إذا انعكس شعاع
الشمس إليه من سطح الماء والحائط الصقيل أو كوجه الأرض في الليل إذا كان البدر موجوداً فإن نور القمر من نور
الشمس وقع فيه وانعكس منه على وجه الأرض فكذلك فيض الرحمة الإلهية يقع على قوابل المهيأة استقامياً
وانعكاسياً فإن من الجائز أن لا يكون الشيء مستعد القبول فيض الوجود عن واجب الوجود لبعد ما بينه وبين ذاته
إلا أن يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شيء كان قابلاً من الواجب جل ذكره فيكون ذلك الشيء كالمتوسط
بين الواجب وبين ذلك الشيء الأول فأرواح الأنبياء كالوسائط بين نور الأنوار وبين أرواح العوام من الخلق
في وصول نور الرحمة إلى الأرواح القاصرة وهذا معنى الشفاعة فالإيمان بشفاعة الأنبياء لأنهم واجب إنها كاملة نور
يشرق من الحضرة الإلهية على جواهر النبوة وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت علاقته بينها مع جوهر النبوة لشدة المحبة
والمتابعة وكثرة المواظبة على السنن وكثرة الذكر له بالصلوة عليه وجوهر النبوة هو بعينه جوهر الروح القدسي
الإلهي المسمى عند الفلاسفة بالعقل الفعال فكما أن المناسبات الوضعية بين المنير والذات والوسط توجب
يقتضي الاختصاص بانعكاس الضوء الحسي كما إذا وقع نور الشمس على الطست من الماء وينعكس منه إلى موضع مخصوص من حائط
لا على غيره لمناسبة بينه وبين الماء في الوضع وتلك المناسبة مسلوبة عن سائر أجزاء الحائط وذلك الموضع هو الذي
إذا خرج منه خط إلى ظاهر سطح الماء وحصلت بينه وبين السطح زاوية هي بعينها مساوية لزاوية حصلت من الخط الخارج
من موقع ذلك الخط إلى قرص الشمس وذلك السطح فكذلك المناسبة المعنوية إذا حصلت بين روح من الأرواح البشرية
وبين جوهر النبوة تقتضي فيض الرحمة بواسطة ذلك الجوهر فمن استولى عليه التوحيد والعرفان فقد تأكدت مناسبته
مع الحضرة الإلهية وأشرق عليه النور من غير واسطة ومن استولى عليه السنن والاقتداء بالرسول وأهل بيت النبوة
والولاية ومحبتهم ولم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم يستحكم مناسبته إلا مع الواسطة فافتقر إلى واسطة
في اقتباس النور ولم يستحكم مناسبته إلا مع الواسطة فافتقر إلى واسطة في اقتباس النور كما يفتقر الحائط الذي
ليس مكشوفاً للشمس إلى واسطة الماء المكشوف للشمس إلى مثل هذا أسرار الشفاعة والكلام وإن كان في صورة
التمثيل لكنه مما أقيم عليه البرهان ولا شبهة فيه لأهل البيت واليقين والعرفان قوله جل اسمه وإذ نجيناكم من
آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم لما قدم
تعداداً ذكر نعمته على بني إسرائيل إجمالاً في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم بين بعد ذلك تفصيل تلك النعم لكون

اوقع في التذكر وابلغ في نجحة عطفا عليه كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ انجيناكم واذ فرقنا بكم البحر كعطف جبرئيل
وميكائيل على الملائكة في قوله وملائكته وجبريل وميكال والانجاء والتنجية بمعنى واحد وهو التخليص وقد قرئ
وانجيناكم ويقال للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه ينجو من كثير من المضار ولان المكان العالي
باين من المنحط عنه فكانه متخلص منه وبهذا يفرق بينهما بان الانجاء يستعمل في الخلاص بعد وقوع في المهلكة
وفي الكشاف واصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل ابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باهل الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالت هيهات وايهات
وقيل الآل هو اهل بنفسه وقال علي بن عيسى الاهل اعم من الآل يقال اهل الكوفة واهل البلد واهل العلم ولا
يقال آل الكوفة وآل البلد وآل العلم قال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا
ما تعني بذلك قال المسلمون سكانه والمسلمون آل الله وقال ابن دريد آل كل شيء شخصه وآل الرجل اهله
وقرابته والظاهر ان الآل ماخوذ من الاول وهو الرجوع فكان من يؤول الى احد بسبب او قرابة جسمانية او معنوية
فهو آله واهله وكل من يصحبه يقتدي ولو بعضا فالمال آل النبي كل من يؤول اليه وهم قسمان الاول من يؤول اليه
بالاصورة الجسمانية كالاولاد ومن يحذو حذوهم من اقارب الصورية الذين يحرم عليهم الصدقة
والثاني من يؤول اليه بالمعنوية روحانيا وهم اولاد الروحانيون من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين
سواء سبقوا بالزمان او لحقوا ولا شك ان النسبة الثانية اكد من الاولى واذا اجتمعت النسبتان كان
نورا على نور كما في الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين وكما حرم على الاولاد
الصوريين الصدقة الصورية حرم على الاولاد المعنويين الصدقة المعنوية اعني تقليد الغير في العلوم
والمعارف انتهى كلامه ملخصا وآل الخيمة عمدها وآل السفينة الواحه وآل الجبل اطرافه ونواحيه وفرعون
اسم لملك العمالقة كما يقال للملك الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع
ولملك الحبشة النجاشي ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر ويقال لهم الفراعنة وقيل ان اسم فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل هو ابنه واسمه وليد بن مصعب عمر اربعمائة سنة وفرعون يوسف ريان وهو
كان بينهما اكثر من اربعمائة سنة وقال وهب انهما واحد وهو غير صحيح وذكر ابن منبه ان اهل الكتاب قالوا
اسمه قابوس وكان من القبط وتمادى اهل العلم ويسمى ابو الوليد القبطي وقال ابن اسحق وهو من اشد
الفراعنة يسومونكم اي يبغونكم من سام السلعة اذا طلبها واصله من السوم وهو الذهاب في الطلب
سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالقياس الى سائره وهو من سام يسوم ونصبه على المفعول والجملة
حال من الضمير في انجيناكم او من آل فرعون لان فيها ضمير كل منهما واختلف اهل التفسير في العذاب الذي
نجاهم الله منه فقال بعضهم ما ذكره في الاية وهو قوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيانا
ليسومونكم ولهذا لم يعطف وقال بعضهم انه جعلهم خولا وخدما له وجعلهم في اعماله اصنافا فصنف
كانوا يخدمونه وصنف يحرثون له وصنف يبنون له ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا
مع ذلك يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون

ابناءكم

ويستبقون بناتكم اي يتركونهن احياء يستعبدون وينكحوهن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح والقتل
بناتكم لانه سماهن بالاسم الذي يؤول حالهن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يبقون الصغار
والكبار منهن وقرئ يذبحون بالتخفيف وقيل المراد بقوله يذبحون ابناءكم الرجال الابالغين دون الاطفال ليكون
في مقابلة النساء لانهن البالغات وذلك لانهم الذين يخاف منهم الخروج والتجمع دون الاطفال واكثر المفسرين على ان المراد
بالاية الاطفال دون الرجال وهو الصحيح لان الاصل حمل اللفظ على ظاهره وللشهرة ولتعذر قتل جميع الرجال
على كثرتهم وحاجة فرعون وقومه اليهم في ضياعهم الشاقة والعصبة في التسوية كان قد جعلهم في الاعمال القذرة
ككنس الحمام وعمل الطين ونحت الجبال ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في التابوت حال صغره معنى واما
مقابلة الابناء مع النساء فقد عرفت الاشارة اليه وهي ان النساء ما لم يقتلن ووصلن الحد النساء صح عليهن اطلاق
حقيقة ومجازا باعتبار ما يؤلن اليه واما البنين فلما قتلوا حال الطفولية ولم يبلغوا الى حد يصح اطلاق الرجال
الحال ولا يجب الماك فصل لابد في قتل الابناء من سبب ومنه انه وقع لفرعون علمه او ذكر الموت القطع والقتل لا يختار شيئا
لا لمرجح باعتقاده ومن حيث حكي كان القادر لا يقتضي بقتل ما لغير الحكمة اما الاول فذكروا فيه وجوها الاول انه
في المنام كان نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك
ودعا السحرة والكهنة فسالهم عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يديه هلاك وزوال الملك وتبديل
دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل عن السدي الثاني قول ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله
وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل
فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا ان كبارهم يموتون وصغارهم يذبحون خافوا الفناء فلا يجدون من
يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي
يذبحون فيها الثالث ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم في تلك السنة وخرجه
لا قول الاوسطها لان الذي يستفاد من علم التعبير وعلم النجوم لا يكون علما مفصلا ولا اقل من ان يكون في كون الاخبار عن
الغيب معجزا انما يكون له اجمالا تخمينا وانظر من حال الرجل العاقل ان لا يقدم على مثل هذا الامر العظيم بسببه فان قيل اذا
فرعون مع كونه كيف اقدم على هذا الامر بسبب اخبار ذلك فهم قال العلماء كان عارفا بالله وبصدق رسله الا انه كان
كثير الجحود والعناد وكان شاكا في دينه مجوزا لصدق ذلك ففعل ما فعل احتياطا واما الثاني فقد اشار بعض المحققين
الكشف والمعرفة الى هذه اللمية بقوله في الفص الموسوي من كتاب الفصوص حكمة قتل الابناء من اجل موسى
ليعود اليه بالامداد حيوة كل من قتل من اجله لانه قتل على انه موسى وما ثم جهل فلا بد ان يعود حيوته الى موسى اعني حيوة
المقتول من اجله وهي حيوة طاهرة على الفطرة لم تدنسها الاغراض النفسية بل هي على فطرة بلى فكان موسى مجموع حيوة
من قتل على انه هو فكل ما كان مهيا لذلك المقتول مما كان استعداد روحه له كان في موسى وهذا اختصاص الهي
بموسى لم يكن لاحد قبله انتهى كلامه واعلم ان احوال الكمل من الانبياء والاولياء كلية لا بمعنى انها مفهوم كلي
بل بمعنى ان كلا منها مع شخصيته ووحدته له مقام جمعي يجمع شؤونات الافراد لقوة وجوده وكماله وتمامه فالوجود
كلما قرب الى الوحدة الجمعية الالهية صار اكثر حيطة واجمع اعداد كان الانسان الواحد له نفس واحدة جامعة لجميع القوى

وليتخذ منها
يستحفظها

النباتية والحيوانية وذلك لان وجودها اعلى رتبة من وجود النفوس النباتية والحيوانية فيحيط بها و
وكذلك حال ارواح الانبياء بالقياس الى ارواح اممهم فاذا وقع في العالم وباء او موتان او قتل عام يحدث في ذلك
شخص عظيم من عظماء النبوة والملك والحكمة لرجوع قوى نفوسهم الى قوة نفس واحدة كما اذا وقع فساد في بعض
القوى الحساسة والمحركة في الانسان رجع قوته الى ما سواه من القوى بالامداد والجمعية بل الوجود كله من عين واحدة
يجمع تارة وينتشر اخرى فهذه هي الحكمة ذكرها في هذا المقام تمام الشيخ العطار صد هزاران طفل سر ببريده
شد تا كليم الله صاحب ديده شد قال بعض المحققين اعلم ان التعينات الاولية اللاحقة للوجود بحسب الفطرة
الاولى وهي التي تتعين بها اسماء الله الحسنى اولا سواء كانت جنسية او نوعية وبعضها شخصية كتعينات
الطبايع النوعية الواقعة بحسب الفطرة الثانية في عالم الحركات وهي التي منشاؤها اختلاف القوابل والاستعدادات
اللاحقة للاعداد من جهة استعداد المواد والتعينات الاولية تقتضي في عالم الارواح حقايق روحانية مجردة
وطبايع كلية واقدمها التعين الاول المسمى بالعقل الاول وام الكتاب والقلم الاعلى والنور المحمدي لقوله اول
ما خلق الله العقل وقوله اول ما خلق الله نوري ثم هو يتفصل بحسب التعينات والتنزلات الاولية الى
الى العقول السماوية والارواح العلوية والكروبيين وارواح الكمل من الانبياء والاولياء عليهم السلام فالعقل الاول
كلي يشمل جميع هذه التعينات التي كل منها ايضا كلي بالاضافة الى ما دونها ويفيض عليها النور والحيوة وقياس
الوجود بتلك العقول الى الارواح الكلية كقياس الاخلاط العنصرية الى الاجناس بالنسبة الى ما تحتها والاجناس
التي تحته وقد علمت ان الكلية في هذا المقام بمعنى الاحاطة فلا تخلط ولا تخبط فاذا الارواح المتعينة بالتعينات
الكلية الاسمائية من المجردات العقلية والنفوس الملكية والفلكية والارواح النبوية مهيمنات ومفيضات على
من الارواح الجزئية المتعينات بالتعينات البشرية وحاكمة عليها وسايسة لها سياسة الانبياء لاممها فنفوس الامم بالنسبة
كالقوى الجسمانية والنفسانية بالنسبة الى ارواحنا المدبرة لابداننا واذا تقرر هذا فنقول ارواح الانبياء هي المتعينة
بالتعينات الكلية في الصف الاول وارواح اممهم من كثير من الملائكة والارواح والنفوس الفلكية كالقوى والاعوان
والخدم بالنسبة اليهم وبهذا يعرف سجود الملائكة لادم الى البشر وتسخير الجن والانس لسليمان ع وترادف امداد الملائكة
لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة ومثل هذا كانت الانبياء الذين قتلوا في زمان ولادة موسى ع هي
الارواح التي كانت تحت حيطة روح موسى ع وفي حكم امته واعوانه وخدمه فلما اراد الله تعالى اظهار الكمالات الموسوية
ومعجزاته حكمها واحكامها من الاسباب العلوية والسفلية من الاوضاع الفلكية والحركات العلوية المعدة للمواد
السفلية والامتزاجات العنصرية وكان علماء القبط وحكماؤهم اخبروا فرعون وقومه ان يولد في هذا الزمان مولود
من بني اسرائيل يكون هلاك فرعون وذهاب ملكه على يده فامر فرعون بقتل كل من يولد في هذا الزمان من الابناء
حذرا الزمان من الانبياء حتى قضى الله تعالى امرا كان مفعولا ولا معقب لحكمه فكان ذلك سببا
لاجتماع تلك الارواح في عالمها وانضمامها الى روح موسى ع وعدم تفرقها وانتشارها عنه لتعلق البدنية فتقوى
بهم ويجتمع فيه خواصهم وكل ذلك اختصاص من الله لموسى فهو اولوا الموسى الاخو بمجموع ارواح كثيرة باتصال تلك الارواح
متوجهة اليه بجنبتها وقويتها خادمة له ولهذا كان محبوبا الى كل من رآه لتوجه تستشع انوار تلك الارواح منه انتهى

كلامه

كلامه اقول ولا يتوهم فيه احد ان المراد من هذا الكلام ان ارواح المواليد المقتولين انتقل بعد القتل وصارت
بعينها مجتمعة في عالم الارواح وحصل من اجتماعها روح موسى ع كما يوهمه ظاهر الكلام فان في ذلك تعسف
اذا الارواح ليست كالاجسام يقبل الافتراق والاجتماع وايضا انتقالها من ابدانهم الى بدن موسى ع يقتضي التناسخ
وهو مستحيل عندنا بل الغرض ان القوة النورية الفايضة من الله تعالى بواسطة الاسباب العلوية المنبسطة
على المواد العنصرية في كل زمان كانها مبلغ واحد نوع وشكل لا كمية ومقدار وهو القوة اذا افاد فيضه الى
كثيرة واستعدادات مختلفة متفننة انصرف ما دون اليها وتفرقت تفرقا معنويا بحسب تفرق المواد القابلة
لها واذا ابطلت المواد الكثيرة ورجعت قواها وارواحها الجزئية الى عالمها ورجعها ثم حصل في الوجود قابل صالح
فيضان تلك القوة النورية الوجودية انصرفت بكليتها اليه فصارت القوة الفايضة كانها مجموع تلك القوى والارواح
لا انها هي بعينها من حيث هويتها المتعينة الشخصية والا لزم التناسخ المستحيل كما علمت فصل قوله وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم بلاء اي محنة ان اشير بذلك الى صنيعهم من قتل الابناء واستحياء النساء ولما في كل منها من المحنة العظيمة
او نعمة ان اشير الى الانجاء من امر واصل البلاء الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة
اطلق على كليهما فالمراد بلاء من ربكم ان ابتسليط فرعون وقومه عليكم وان بعث موسى وتوفيقه لتخليصكم بانجاء الله
للانجاء وعظيم صفة بلاء وقال في هذه الاية تنبيه بليغ للعبد المؤمن على ان ما يصيبه من خير او شر فهو اختبار من
الله تعالى فعليه القيام بالشكر على ساره والصبر على ضاره ليكون من خير المختبرين وحاله احسن الحسنيين واليه
الغرور بالمسار والشكاية من المضار ليكون من شر المختبرين وحاله اقبح القبيحين قوله جل اسمه واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا
آل فرعون وانتم تنظرون هذا هو النعمة الثانية من الله على بني اسرائيل المذكورة في هذا الموضع قوله فرقنا فلقنا
وفصلنا بين ابعاضه حتى حصلت فيه مسالك لكم اذ الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما رحمة و الفرق
الطايفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طايفة من ذلك فرق ومنه قوله تعالى فكان كل فرق كالطود
العظيم وقرئ اذ فرقنا بالتشديد قال ابن جني فرقنا اشد تفريقا من فرقنا ومعناه شققنا لكم البحر طرقا كما
اثنى عشر على عدد الاسباط وقوله بكم الباء اما للسببية الفاعلية اي جعلت فيه فرقا يسلككم فيه كانوا فرقا يسلكون
الشيئين بما يتوسطهما او الغائية اي بسبب انجائكم ولاجله او للملابسة ويكون في موضع الحال اي فرقناه متلبسا
بكم كقول الشاعر تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها والنجاة ضد الغرق كما ان الهلاك ضد الغرق
في الامر اذا جاوز الحد فيه والمراد من آل فرعون نفسه وقومه فاختصر لدلالة الكلام لان الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه
كقولك دخل جيش الامير ويكون الظاهر انه معهم ويجوز ان يراد بآل فرعون شخصه كقوله تم آل موسى وآل هرون يعني
موسى وهرون قوله وانتم تنظرون اي تشاهدون غرقهم واطباق البحر عليهم وهذا المعنى في الشماتة واظهار المعجزة
او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة وقيل جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وقيل معناه ينظر بعضكم
بعضا بحدوث الكوى والروازن في فرق البحر وقيل معناه وانتم بمشهد ومنظر حتى لو نظرتم اليهم لامكنكم ذلك وهو
قول الزجاج ولا يخفى ضعفه اذ لم يكن لاصحاب موسى ع ما اشتغلهم عن الرؤية فانهم قد جاوزوا البحر واقبل الفرعون وهي
متظاهرة على انهم رأوا انفراق البحر والتطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر في قصة

كما روي عن ابن عباس في القصة كما روي عن ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اسر ببني اسرائيل من مصر فسرى بهم ليلا فاتبعهم فرعون
في الف الف وخمسمائة الف سوى الاتباع وكان موسى في ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة
قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج
دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا
بمن معه فقال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت
قال امرت ههنا ان اضرب بعصاي البحر اضرب وكان الله تعالى اوحى الى البحر ان اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر
له افكل اي رعدة لا يدري من اي جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق فظهر اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم
طريقا فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فارسل الله ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا
في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا
فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه
ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فاشار بعصاه يمينا وشمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم الى بعض فلما
انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبريل على فرس انثى وديق فتقحم
البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج
آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعا ونجى موسى ومن معه

فصل اعلم ان هذه القصة قد تضمنت نعما كثيرة دنيوية ودينية والدينية في حق قوم موسى وقوم محمد صلى الله
عليهما واما الدنيوية فمنها نجاتهم من الغرق وهلاك عدوهم وقومه ومنها اخفاقهم بهذه المعجزة الباهرة
والكرامة الظاهرة ومنها استيصال عدوهم من جهتهم واصل الخلاص من هذا البلاء نعمة عظيمة فكيف اذا
قورن بالاكرام العظيم واهلاك العدو ومنها ان اورثهم ارضهم وديارهم ونعمهم واموالهم ومنها انه كما غرق العدو
وهلك غرق الكل جميعا وهلكوا ولولا ذلك لكان الخوف يحصل باقيا من حيث انهم ربما اجتمعوا واحتالوا بحيلة فوقع
منها الضرر بهؤلاء ولكن لما اهلكهم الله جميعا فقد حسم مادة الخوف بالكلية ومنها انه وقع ذلك بمحضر من الاولياء
والاعداء جميعا حتى لا يخفى على احد منهم وهذا يوجب نعما عظيما واليه الاشارة بقوله وانتم تنظرون الى غرق ذلك
من النعم الدنيوية واما النعم الدينية في حق قوم موسى فمنها انهم لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة حصل لهم العلم
الضروري على وجود الصانع الحكيم وعلى صدق موسى وزالت عنهم الشكوك كما ارتفع عنهم كلفة النظر الدقيق
والاستدلال الشاق ومنها انهم لما عاينوا ذلك لزمهم الانقياد والطاعة لموسى بعد ذلك ولم يخالفوه
... ومنها انهم عرفوا ان الامور كلها جارية على قضاء الله وقدره فانه لا عزة في الدنيا اكمل من عزة فرعون ولا شدة
اشد مما كانت لبني اسرائيل ثم الله تعالى قلب الامر في ساعة واحدة فجعل العزيز ذليلا والذليل عزيزا وذلك
يوجب انقطاع القلب عما سوى الله والاقبال بالكلية الى خدمته وطاعته والتوكل عليه واما النعم الحاصلة لامة محمد
المرحومة منها فكثيرة احدها انها جارية مجرى الحجة لنا على اهل الكتاب لانه كان معلوما من حال نبينا انه كان اميا
لم يقرأ ولم يكتب فاذا اخبرهم بما لم يعلم الا من الكتب علم انه اخبر عن الوحي فصار دليله حقا وثانيها

انا اذا تصورنا ما جرى لهم وعلمنا من هذه الامور العظيمة علمنا ان من اطاع الله فقد سعد في الدنيا والآخرة
ومن خالفه فقد استحق غضب الله عليه في الدنيا والآخرة فصار ذلك مغريا بالدوام على الطاعة ومبعدا عن المعصية وثالثها
ان امة موسى مع هذه المعجزات الباهرة والكرامات المحسوسة الظاهرة خالفوا في امور حتى قالوا لما عبدوا العجل اجعل لنا الها
كما لهم آلهة واما هذه الامة مع كون معجزتهم هي القرآن التي تخفى ايجازه ولا يظهر الا بالنظر الدقيق انقادوا
للنبي صلى الله عليه وسلم في كل الاحكام وما خالفوه في شيء البتة وهذا يدل على انهم افضل من امة موسى وبهذا يخرج الجواب عن سؤال
ربما خطر بالبال وهو ان يقال كيف لم يعط الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطى موسى من الآيات الباهرات ليكون المعجز اظهر والحجة
اسطع والجواب ان الله اعطى كل نبي معجزة مناسبة لقومه وعلى حسب صلاح حالهم ففصل الاعلام الباهرة والمعجزات
القاهرة لاستصلاح امة موسى وقد كان في قومه من فظاظة القلب وبلادة الفهم وكان من الحكمة ما لم يمكنهم ...
بالآيات الخفية والبراهين العقلية الا ترى انهم لما جاوزوا البحر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى
من هذه الآيات اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب والعجم من امة نبينا من جودة القريحة
وحدة الفطنة وذكاء الذهن ما كان يمكنهم معه الاستدلال بالفكر واقتناص الحقائق بالنظر الدقيق والتفطن
لسبل التأويل والتدبر والاستضاءة بنور العقل الفعال في ملاحظة الآيات فجاءت آياتهم مشاكلة لقرائحهم المتوقدة
ومجانسة لاذهانهم من الرقة واللطافة على ان في جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينفي خالج الشك
عن قلب الناظر المستبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين ويوضح له مناهج الصدق ويطلعه على مواقع الحق وما يستوي
الاعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير فصل وههنا سؤال آخر وهو ان فرعون كما هو المشهور كان من اهل الفكر والبحث
وقد لقب بافلاطون القبطي فلما شاهد فلق البحر وكان من العقلاء فلا بد وان يعلم ان ذلك من فعل الله ومن فعل قادر عالم
قادر لما انه معجز خارق لما هو العادة فكيف بقي على الكفر مع ذلك واجيب بانه كان عارفا بربه الا انه كان كافرا على
سبيل الجحود والعناد ورد بانه اذا عرف ذلك بعقله فكيف جاز ان يورط نفسه في الهلاك واقتحم البحر واجيب بان
حب الشيء يعمي ويصم فحبه للجاه والتلبيس حمله على اقتحام تلك المهلكة وهذا الجواب ليس بشيء والاولى ان يقال ان اقتحامه
البحر لم يكن باختياره بل وقع ذلك باقتحام حصانه الذي ركبه كما مر في القصة او يقال انه لم يجزم بهلاك نفسه عند دخوله
في البحر حتى اذا ادركه الغرق ولهذا قال عند الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل واعلم ان للعلماء خلافا في
ان ايمان فرعون حين موته مقبول ام لا فذهب بعض المحققين على الاول والاكثرون على الثاني كما هو المشهور وقال الشيخ العربي في
الثامن والستين ومائتين من الفتوحات لما حال الغرق بينه وبين اطماعه لجأ الى ما كان مستترا في باطنه من الذلة
والافتقار فقال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل كما قالت السحرة آمنا بالله رب العالمين رب موسى وهرون
وقوله وانا من المسلمين خطاب منه للحق لعلمه انه تعالى يسمعه ويراه فخاطبه الحق بلسان العتب واسمعه الآن وقد
ما كنت عليه وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في اتباعك وما قال له وانت من المفسدين فهي كلمة بشرى له عرفنا
بها انه نجاه مع اسرافه وامرنا ان نقول فاليوم ننجيك ببدنك فبشره قبل قبض روحه لتكون لمن خلفك آية
يعني لتكون لمن خلفك آية يعني ليكون النجاة لمن يأتي بعدك علامة وليس في الآية ان باس الآخرة
ان ايمانه لم يقبل وانما في الآية ان باس الدنيا لا يرتفع عن نزل به اذا آمن في حال رؤية الا قوم يونس

نجيك ببدنك اذ الاهتدا لا يتعلق بظاهرك وقد اريت الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا
فصار الموت فيه شهادة خالصة بريئة لم يتخللها معصية فقبضت على افضل عمل وهو التلفظ بالايمان كل
ذلك حتى لا يقنط احد من رحمة الله و الاعمال بالخواتيم فلم يزل الايمان بالله يجول في باطنه وقد حال الطبائع
الالهي الاولي في الخلق بين الكبرياء واللطائف الانسانية فلم يدخلها قط كبرياء واما قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله فما نفعهم الا الله وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده
يعني الايمان عند رؤية البأس الغير المعتاد وقد قال تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فغاية
هذا الايمان ان يكون كرها وقد جاء فطلق اليه والكراهة محلها القلب والايمان محله القلب والله لا ياخذ
العباد بالاعمال الشاقة من حيث ما يجده من المشقة فيها بل يضاعف لهم فيها الاجر واما في هذا الموطن فالمشقة فيه
بعيدة بل جاء طوعا في ايمانه وما عاش بعد ذلك كما قال في راكب البحر عند نجاته ضل من تدعون الا اياه فلما نجاهم
فلو قبضهم عند نجاتهم لماتوا موحدين وقد حصل لهم النجاة فقبض فرعون ولم يؤخر في اجله في حال ايمانه لئلا يرجع
الى ما كان عليه من الدعوى واما قوله تعالى فاوردهم النار فما فيه نص انه يدخلها معهم بل قال ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب ولم يقل ادخلوا فرعون والله يرحم اسراء وسعة فضله ايمان المضطر اذا دعاه واي اضطرار اعظم من اضطرار
فرعون في حال الغرق والله يقول امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وهذا آمن بالله مخلصا وما دعاه في البقاء
في الحيوة الدنيا خوفا من العوارض او يحال بينه وبين هذا الاخلاص فرجح جانب لقاء الله على البقاء بالتلفظ بالايمان وجعل ذلك
الغرق نكال الاخرة والاولى فلم يكن عذابه اكثر من غم الماء الاجاج وقبضه على احسن صفة هذا ما يعطيه ظاهر اللفظ وهذا
معنى قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى يعني في اخذه نكال الاخرة والاولى وقدم ذكر الاخرة ليعلم ان ذلك العذاب
اي الغرق نكال الاخرة وهذا هو الفضل العظيم انتهى كلامه ويفوح من هذا الكلام رائحة الصدق وقد صدر من
مشكوة التحقيق وموضع القرب والولاية تنبيه وقد ذكر هنا اشكال اورد على ان الخروج بعض من موسى
والدلالة على وجود الصانع وقد قرر كلام الغزوين فكيف يجوز فعله في زمان التكليف وهل جوابها على طريقة
فظاهر واما على طريقة المعتزلة فقد اجاب الكعبي بان عامة بني اسرائيل كانت بعيدة عن الفطنة والذكاء ممنوة
بالبلادة والغطاظة وقصور الفهم فلا جرم احتاجوا في التنبيه على حقيقة الايمان بالله ورسله الى معاينة الايات
العظام كفلق ورفع الطور فوقهم واحياء الموتى الا ترى انهم مع ذلك لم يقنعوا بهذه الدلائل الباهرة فتارة
قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة وتارة قالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة واخرى اتخذوا العجل الها واخرى كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق كل ذلك لغلبة الكثافة على طبائعهم والغشاوة على ابصارهم والطبع
الرين على قلوبهم واما هذه الامة فلذكاء عقولهم وصفاء قلوبهم كانوا على خلاف ذلك فلا جرم وقع الاقتصار معهم
على الايات الدقيقة والمعجزات العقلية واما على طريقتنا فنقول اليد في فلق البحر وقلب العصا حية وما يجري
مجراهما زيادة على الدلالة على صدق موسى في جميع ما يدعيه من اثبات الاله الحق وادعاء النبوة وغير ذلك بالدليل
العقلي واما كون ذلك من الضروريات التي لا حاجة معها الى البرهان الغير العقلي فغير مسلم كيف وقد ثبت في علم الميزان
ان المحسوس بما هو محسوس لا يكون كاسبا لشيء ولا مؤديا الى مطلوب فليس في المحسوس حد لشيء ولا برهان كما ليس

ولا علم

المتقن
الموقن

ولا علم برهان وهذا امر محقق عند ائمة الحكمة والتحقيق وكذا ان بعض الدين الحاصل بالمعجزة دون اليقين
ان يكون بناء ايمانه ويقينه على رؤية المعجزة الفعلية من الرسول الحسية ذلك مثل البرهان او الشهود الباطني الذي لا يعتريه
وصمة شك وشوب ريب واما انفلاق البحر وغيره فمما يشبه فيجاب كما لا يخفى على اهل البحث بان العلم الضروري والكشف
محا صل للانسان يوم القيمة نحو اخر من العلم لم يحصل مثله من انفلاق البحر وغيره لان ذلك انما يحصل برفع الاسباب والعلل
مشاهدها وظهور الاسباب بلا عينها ليس مثل العلم بها من جهة آثارها قوله جل اسمه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل
من بعده وانتم ظالمون الوعد والموعود والعدة والموعد مصادر والفعل يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما والمفعول
الثاني فيه اتمام اربعين ليلة او المعد وهو ان يعطيه الله التورية وبحوذلك الامر انما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون
ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليهم التورية وقرئ واعدنا وهي قراءة اهل البصرة وابي جعفر وقرأ الباقون واعدنا
بالالف وكذا في الاعراف وطه اما حجة من قرأ بغير الف فهو ان المواعدة انما تكون من الجانبين واما
الباقون فوجوه احدها ان الوعد وان كان من الله فقبوله كان من موسى وقبول الوعد يشبه فعل الوعد وهذا كما يطلق اهل
الميزان على النقيضين اللذين احدهما سلب الاخر انهما متناقضان فيكون كلا منهما نقيضا للاخر وهكذا كما يطلق
الا انه المطلق عليهما المتناقضان باعتبار ان احدهما رفع والاخرى تقضي برفعها وهذا الفلاح
المتناقضين عليهما وان لم يصح اطلاق النقيض على كل منهما بانفراده وكذا الحكم في الموجبتين والمتمميين حيث ان كل منهما
من جانب الموجبة والتتميم وثانيها انه لا يبعد ان يكون الادمي يعد الله فكانه بمعنى انزل اهل الله وثالثها ان الله وعد الوحي وهو
وعد الله المجئ للميقات الى الطور وهذا اقوى والقراءتان جميعا قويتان وموسى اسم مركب من اسمين بالعبرانية فمو هو الماء
وسى الشجر سمي بذلك لان التابوت الذي كان فيه موسى وجد بين الماء والشجر حين خافت عليه من فرعون والقته في البحر
بين اشجار عند بيت فرعون فخرجت جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت عند الماء والشجر فسمي باسم المكان
الذي وجد فيه وهو الماء والشجر وهذا اصح الاقوال وفيه وجهان اخران احدهما ان وزنه فعل والميم فيه اصلية من ماس
يميس موسا اذا تبختر في مشيه وكان موسى كذلك وثانيهما ان وزنه مفعل من اوسيت الشجرة اذا اخذت ما عليها من الورق فكانه سمي
بذلك لصلعه ووجه انقداحهما ان بني اسرائيل والقبط ما كانوا يتكلمون بلغة العرب وايضا انه هذا الاسم علم والعلم لا يفيد معنى
غير الذات المشخصة وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم صلوات الله على نبينا وعليهم
اجمعين وانقضاء اربعين اما بالظرفية او على انه مفعول ثان والثلاثة اولها ان الوعد ليس فيها كلها كما في جواب كم ولا بعضها
كما في جواب متى بل انقضاء الاربعين فيكون انقضاء بمعنى موقع المفعول الثاني فالتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة
او تمام اربعين ليلة على حذف المضاف كقولهم اربعين يوما منخرج ثلاثين اي تمام الاربعين وليلة منصوب على التمييز للعدد
وهو شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة ويحتمل ان يكون المراد انه وعد موسى قبل هذه الاربعين ان يجيء الى الموعد اي الطور بعد انقضاء
هذه الاربعين حتى ينزل عليه التورية ويحتمل ان يكون المراد ان امره بان يجيء اليه في هذه الاربعين وعد بانه ينزل عليه بعد ذلك التورية
وهذه الثلاثة هو المروي بالاخبار وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور فان اول كل شهر انما يبين بالليلة التي يظهر فيها الهلال وقيل
لان الظلمة سابقة على النور وفيه تامل فضل وتمام قوله تعالى ههنا بل اطلاق المواعدة كانت من اول الامر على الاربعين
الا انه حيث قال وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر يفيد ان المواعدة كانت اولا على الثلثين ليلة ثم بعد ذلك وقعت
بعشر فلا بد من التوفيق بينهما من نكتة فالحمل الى المراد ان وعده كان ثلثين ليلة ثم بعد ذلك وعد بعشر لكن هو بمجموعه
اربعين ليلة جميعا وهو كقولهم ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة هذا اما في التعبير وذكر بعض العلماء انه روى

ان موسى عم وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم فرعون وقومه واستنقذهم من ايديهم ياتيهم بكتاب من عند الله فيه
بيان الحلال والحرام والحدود والاحكام فلما فعل ذلك واهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره الله تعالى ان يصوم ثلثين
يوما وهو ذو القعدة ولم يكن صومه صوما بترك الطعام في النهار واكله في الليل بل طوى الثلثين من غير اكل فلما تمت ثلثون ليلة
انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان
يصوم عشرة ايام من ذي الحجة وقال اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك واعلم ان تحصيل موسى عم
في هذه المدة المضروبة له من الله استعداد المكالمة لموسى الله بواسطة انقطاعه عن الطعام والشراب واجتنابه عن الاشغال
والشواغل الحسية وكذلك استفاضة العلوم اللدنية والمعارف الالهية وهي ضرب من المكالمة لا حقيقة الكلام
اظهارا وتمايزا على المعاني الغائبة عن الحواس سواء كان بخلق الالفاظ او بافاضة صور الحقائق على النفس لا يحصل الا
بتخلية المدارك والحواس عن الاشتغال بشواغل الدنيا واعراضها وتخلية الجوف عن الطعام ومنع اللسان عن الكلام الا
بذكر الله وعدم اشتغال القلب بما سوى الحق وان جميع ذلك مما يعد النفس الشريفة الذكية الزكية للمكالمة الحقيقية
وافاضة صور الحقائق عليها ولا يختص ذلك العدد دون اخرى غير ان تعيين الاربعين والحكمة في ذلك لا يطلع عليه الا
والكمل من الاولياء عليهم السلام وذكر بعض الوفاة نكتة لطيفة في بيان ذلك وهي ان الله سبحانه لما اراد تكوين ادم عم من التراب قدر
التخمير لهذا العدد من العدد كما ورد خمرت طينة ادم بيدي اربعين صباحا فكان ادم عم لما كان مستعدا لعمارة الدارين
لكونه مركبا من جوهرين احدهما الملكوتي العلوي وهو روحه والاخر الملكي السفلي وهو قالبه كما اراد الله منه عمارة الدنيا وعمارة
الجنة فلو تنزل من التراب لكونه مناسبا لعالم الخلق والشهادة اولا ولم يناسب عالم الغيب والروح ثانيا لما كانت عمارة النشاة الاخرى
تناسب منه الا ولكون خلقته من اجزاء ارضية وقوى سفلية يحجب فانون الحكمة نقل التراب لكونه والاربعين صباحا تخمير طينته
واودع فيه بحسب كل تخمير مرتبة من القوى والالات الجسمية من الجسم والاعضاء والادوات وبحسب كل مرتبة وطبقة منها نوعا
من البعد عن الحضرة الالهية في القوس النزولية فاحتجب عن عالم القدس والوحدة والتوجه الى عمارة الدنيا وزينتها
بعد التخمير اربعين صباحا باربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب معنى مودع فيه يصلح لعمارة الدنيا وزينتها
من القوى النفسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية وتحقق به عن مواطن القرب ولم يتوقع الادمي حتى يحجب
الكثائف عن عالم القدس ومواطن القرب ما عمرت الدنيا فنشا بعد لا عن مقام القرب لعمارة الدنيا وفي ذلك من لطائف
صنع الله والحكمة ما لا يخفى فالسبيل الى طاعة الله والاقبال اليه والرجوع عن امر المعاش وما يتعلق بالدنيا كل يوم يخرج عن
حجاب من هذه الحجب ومتخذ منزلا في القرب في القوس العروجية من الحضرة الالهية التي هي منبع العلوم ومنبع المكاشفات
ومصدر الحقائق فاذا اتمت الاربعين زالت الحجب بالكلية وانصبت الى قلبه انوار العلوم والمعارف ايضا بافق كل يوم
باخلاص في العمل بقدر يكشف طبقة من طبقات الحجب الجسمية والاغشية الظلمانية والنشاة الترابية الطبيعية ويزول
عنه طور من الاطوار الكونية الخليقية المبعدة له عن الله ويظهر عليه سلطات النشاة الالهية الى ان يكشف باستكمال
الاربعين اربعين طبقة من الظلمات والحجب والحواجز عن الله بما اشتغل به من عمارة الدنيا ولذلك ورد في الحديث من اخلص لله
اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فهذا اصل استفادة سر تعيين الاربعين في الخلوة والرياضة والعلم
عند الله عز وجل ولهذا يقول اهل الحكمة في تعلق الروح الانساني بهذا القالب الكثيف كانت بمنزلة هبوطه الى
الكائنات الارضية فكان يلزم منها استحالة الحال المناسب لهذا ايضا في نسبة الروح الملكوتي من عالم القدس والقرب وعالم الظلمة
والكدورة والعالم ضرب من التعذيب له والتمحيص عما فطر به من الروح والراحة فاي فائدة في تعذيب اشرف الجواهر الروحانية

العجل

لاجل صلاح المركبات الحيوانية والنباتية والمعدنية وهذا الاشكال لم يخل الجواب عنه عن صعوبة لتوقفه على تحقيق
مهية الانسان وسعة اطواره ونشاته وذلك يتعلق بعلوم كثيرة من علوم المكاشفات وقد مرت اشارة الى سبب
نزول الروح الانساني الى هذا العالم فيما سبق عند قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع
الى حين والذي نذكره هنا في دفع هذا الاشكال هو ان المراد بتكوين الانسان عامرا لهذه النشاة وزينة للكائنات هو
تعميرها على وجه يعود فايدة الى الشرفات الانسان الكامل ذوا انواع كثيرة والطول متعددة ولم يحصل طوق منها كماليته
وتماميته لا يحصل الا بها وليس الغرض من خلافته في الارض وتعمير الدنيا الا تعمير شخصيته ونوعه وتكميل ذاته
على وجه يصير مظهرا للاسماء الالهية وجامعا للحقائق الكونية والاسرار الربوبية خليفة الله في الارض والسماء
وزينة للنشاة الباقية بعد الاولى واما تكوين سائر الاكوان من النبات والحيوان بسببه فهو انما لاجل انتفاعه
بها واستخدامها كما دل عليه قوله في حق الجميع وخلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى في باب الانعام والمواشي اولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون وقوله في باب النباتات
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وقوله في باب الجمادات
والجمادات وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وغير ذلك من الايات الكثيرة في هذا
المطلب واما الاجل الى ان يكون نفعا بعامها الا مما يبقى من فضالة مادة الانسان وكما فضل طينته التي من فضل طائفة
في تخمير قالبه فكما ان البناء يستعمل الخشب في غرضه من فضل لا يضيعه بل يتخذه قنا او خوانا او غير ذلك فكذلك الغاية
القصوى في ايجاد هذا العالم وتمام خلقة الانسان الذي من شانه ان يعرج بالعلم والتقوى الى جوار الله وملكوته
واما تكون سائر المكونات قيل انه يفوت تحت كل عنصر ومادة ويحصل لكل مخلوق من الخير والسعادة قدر اللائق
به وشرح هذا المقام مما يطول فصل قوله ثم اتخذتم العجل اي اتخذتم العجل الها ومعبودا الا ان بمجرد فعلهم المصورين
لا يكونون ظالمين لان فعل التصوير ليس بمحظور وانما هو مكروه عند اكثر الفقهاء واما الخبر الذي روي انه عليه وآله
الصلوة والسلام لعن المصورين فالمراد من شبه الله بخلقه او اعتقد انه صورة جسمانية وقوله من بعده اي من بعد
خروج موسى وغيبته او من بعد وعد الله اياكم بالتورية او من بعد غرق فرعون وهلاك قومه او من بعد ما رايتم من
الايات الباهرات وانتم ظالمون في اتخاذكم العجل معبودا او امرائكم على انفسكم بالباطل ومتابعة الهوى والظلمات
عن ابن عباس رض كان السامري رجلا اسمه موسى بن ظفر وقيل اسمه ميخا وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة
البقر في نفسه وقد كان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون في بني اسرائيل قال لهم هرون
انكم قد حملتم اوزارا من زينة القوم اي ال فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا
بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجس واوقد لهم نارا فقال اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا ياتون بما كان
معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون فيها وكان السامري راى اثر فرس جبرئيل فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى
فقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي قال نعم وهو لا يرى الا انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والامتعة فقذفه
فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا
لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء والفتنة لم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره
لا يجوز ذلك لانه من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان القبضة من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت
على اي صورة كانت حييت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره ومن لم يجز احياءه يحتاج ان قال الخوار على ان

السامري صاغ عجلا وجعل في جوفه ثقبا يدخله الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه وعبدوه
كذا عن الجبائي. تذكرة: ذكر بعض العلماء ان هذه الواقعة على الوجه المنقول مما يأبى العقل عن اذعانها او قبولها لان
كل عاقل يعلم ببديهة عقله ان العجل المتخذ من الذهب الذي لا يتحرك ولا يحس ولا يعقل يستحيل ان يكون الها
للسموات والارض وهب انه ظهر منه خوار ولكن هذا القدر لا يصلح ان يكون شبهة في قلب احد من العقلاء في كونه
الها ولا يمكن تصحيح هذه الواقعة الا على وجه وهو ان السامري القى الى القوم ان موسى انما قدر على ما اتى به لانه
كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فانا اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروج عليهم ذلك بان جعله بحيث يخرج عنه صوت
عجيب فاطمعهم في ان يصيروا مثل موسى في اتيان الخوارق ولعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا حلول
الاله في بعض الاجسام وذكر العارف المحقق محيي الدين الاعرابي في فصوص الحكم ان من خصائص الارواح انها لا تطأ
شيئا الا حيي ذلك الشيء وسرت فيه الحيوة فلهذا قبض السامري قبضة من اثر الرسول الذي هو جبرئيل وهو الروح وكان
السامري عالما بهذا الامر فلما عرف انه جبرئيل عرف ان الحيوة قد سرت فيما وطئ عليه فقبض قبضة من اثر الرسول بالصاد او بالضاد
والقبضة ملء اليد او باطراف الاصابع فنبذها في العجل فخار اذ صوت البقر انما هو خوار ولو اقامه صورة اخرى
لنسب اليها اسم الصوت الذي لتلك الصورة كالرغاء للابل والثواج للكباش واليعار للشاة والكلام او النطق
للانسان فذلك القدر من الحيوة يسمى لاهوتا والناسوت هو المحل القائم بذلك الروح انتهى. تبصرة: اعلم ان طريق
الايمان بالله ورسله واياته عند العرفاء وارباب اليقين ليس ما يحصل بطريق المعجزة وخرق العادة من
الرسل فاني قد امنت بصدق نبينا محمد صلعم في جميع ما اتى به وبصدق موسى عم لا بشق القمر وقلب العصا حية بل باعلامات
الهية والهامات ربانية في القلب التي لا يتطرق اليها شائبة شك وريب ولا يعتريه وصمة شبهة وعيب فهي
موزونة مع ذلك بميزان صحيح الهي وهو ميزان القسط ليوم الحساب الذي وضعه الله في سماء العقل بازاء القلب الانساني
الموضوع تحت سماء العقل الرفيع دائما كما دل عليه قوله والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام وقد امتحنت بهذا الميزان الصحيح كل امر غيبي ووزنت به جميع المعارف
الالهية واحوال المعاد وحشر الاجساد ووعيد اهل الجحود وثواب اهل الطاعة فوجدت جميعها مطابقة لما في هذا القرآن
الذي هو تنزيل من الله العزيز المنان ولما في الاحاديث الواردة من النبي وآله عليهم صلوات الله وتيقنت ان جميع ما جاء به رسول
الله صلعم حق وصدق واما طريق النظر في المعجزة فقد التبس ما يتطرق اليه الالتباس كثيرا فلا يوثق به كل الوثوق بل عسى ان يتخيل ان ما اتى به
عم من قلب العصا ثعبانا مما يمكن تحصيله بالسحر ... فان المعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا والعالم الذي هو عالم
العصمة والطهارة عن الخبط والغلط هو عالم القلب واما عالم العقل واما عالم البدن فالخطأ والالتباس فيه
كثير واكثر الناس اعتمادهم على ما يدركه الحواس وعكوفهم على ما ينتهي الى الاوضاع الحسية ولهذا يغلطون كثيرا ولو لم يكن
لهم قائد يهتدون به بسبيل يهم لكن يعود الاعمى في الليل المظلم ولا يهتدون في الجميع ويسلكون طريق الجحيم وهؤلاء لا
يعرفون الحق الا بالرجال واما العرفاء فانهم يعرفون اهل الحق بالحق كما قال امير المؤمنين وامام العارفين
عم اعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف اهله وكانت معرفة العارفين المحققين بصدق النبي صلعم ضرورية فيكم فانك اذا رايت
رجلا عربيا يحكي الفقه ويناظر في مسئلة من مسائل الفقه ويحسن في البحث فيه وياتي بالفقه الصحيح الصريح كان لا
تمادي في انه فقيه ويقينك الحاصل بفقهه من مناظرته اوضح من اليقين الحاصل به لو قلب الف عصا ثعبانا لان
ذلك يتطرق فيه احتمال السحر والطلسم والتلبيس بغيره ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فاما ايمان الناس

مرتكزة

هذا

من شكوك الملكوت فلا يتطرق اليه تلك الاحتمالات والنحو من العلم والايمان انما يحصل بتعليم من الله ومن جبرئيل
بواسطة الرسول صلعم وهذا اوضح من الاعتقاد الذي يحصل من النظر في المعجزة فان ثلثة انفس لو ادعوا عندك
انهم يحفظون فقلت ما برهانكم فقال احدهم ان نص علي الكسائي استاد المقربين او نص علي استادي فلان واستادي
نص علي فكان الكسائي نص علي وقال الثاني برهاني اني اقلب العصا حية وقلب العصا حية وقال الثالث برهاني ان اقرأ
القران بين يديك من غير مصحف وقرأ فليت شعري اي هذه البراهين اوضح وقلبك بايها اشد تصديقا الا شك انك
والقران فهو غاية البرهان من تحصيل غاية الايمان اذ لا يختلج فيه ريب اما نص استاده عليه ونص الكسائي على استاده فيتصور
ان يقع فيه اغاليط سيما عند طول الازمنة وبعد الاسناد واما قلب العصا حية فلعل ذلك بالحيلة والشعبذة وان لم
يكن كذلك فغايته انه فعل امرا عجيبا ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظا للقران تنبيه
اعلم ايها العاقل الفهم ان في هذه الاية تحذيرا بليغا من التقليد والجهل بالدلايل والبراهين فان اولئك القوم
لو عرفوا الله بالحجج الواضحة والشواهد الباطنة معرفة تامة لما وقعوا في شبهة السامري وفيها ايضا دلالة على ان
معجزة خير الامم لان اولئك اليهود مع انهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة اغتروا بهذه الشبهة الركيكة واما اهله
فانهم مع حاجتهم في معرفة اعجاز القران الى الادلة الدقيقة لم يغتروا بالشبهات العظيمة وذلك يدل على ان هذه الامة اكمل
عقلا وازكى خاطرا واشد تحقيقا من غيرهم وفيها ايضا تسلية لرسول الله صلعم فانه كان يشاهد من مشركي مكة والمنافقين
وامر له بالصبر على مخالفتهم كما صبر موسى عم في هذه الواقعة المنكرة من قومه وقد خلصهم من فرعون واراهم المعجزات القوية
فاغتروا بهذه الشبهة الركيكة وفيها ايضا دلالة على مذمة الاقتداء بالاسلاف والاباء من غير بصيرة فان اشد
الناس مجادلة مع رسول الله صلعم وعداوة للذين امنوا هم اليهود وكانوا يتفاخرون باسلافهم ويلتزمون اتباع اخبارهم
واباءهم وكان من حق الذين هؤلاء انما يفتخرون باسلافهم ويقتدون على آثارهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة و
بعداوة العقل والغباوة الى هذا الحد فكيف من يقتدي بهم ويقتص آثارهم وفيها ايضا تنبيه يستفاد من قوله
وانتم ظالمون على ان الكفر والمعاصي لا يعود ضررها الا الى صاحبها استفادوا بذلك اظلموا انفسهم وحرموها عن جوار الله ودار كرامته
الى الفناء ودار الهوان والعذاب وفي ذلك دليل على ان جناب الله منزه عن الانتفاع بطاعة العباد والانتقاص بمعصيتهم
قوله جل اسمه ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون العفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظاير الا ان العفو اعم
معناه محا الله عنك ما اخطأت من قولهم عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته فعفو الله محو الذنوب عن العبد والظاهر ان
المراد من قوله عفونا عنكم تركنا معاجلتكم بالعقاب في الدنيا من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون اي تعرفون
فان مقام الشكر من افضل ابواب وهو الموهبة لما ذهبت اليه الاشارة ... كل مقام من مقامات الدين ينتظم بامور ثلثة
العلم وهو اعلاها والحال وهو اوسطها والعمل وهو ادناها فالشكر يتصور اذا صح اعتقاده كون خالقه ورازقه للعباد
منعما عليه في الدنيا والآخرة بواسطة الملائكة والانبياء ويلزم ذلك الاعتقاد الفرح بذكر المنعم وبمحبة لقائه وخلوص
القلب من الالتفاتات لغير الله وتصفيته عن كل خاطر ردي ويلزم ايضا العمل بالاركان والجوارح بقدر طاقته
واسم الشكر تارة يقع على المعرفة وتارة يختص ... بالنظر الى ... تارة يختص بالعمل الظاهر
المكشوف للحس كما ان اسم الايمان تارة يقع على الاعتقاد بالله واليوم الاخر والملائكة والكتب والرسل والانقياد مع الا

باللسان والعمل بالاركان وتارة يقع على نفس الاعتقاد الصحيح وهو النور الذي للمؤمن يوم القيمة يسعى بين يديه وعن يمينه
وقالت المعتزلة منهم صاحب الكشاف في معنى قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك اي عفونا لكم بسبب اتيانكم بالتوبة التي هي قتلكم
انفسكم وفيه بحث من وجهين الاول ان قبول التوبة واجب عقلا واداء الواجب لا يكون انعاما فلو كان المراد ذلك فلم يحسن ذكره
في معرض الانعام والاية مسوقة في تعديد نعم الله على بني اسرائيل والثاني ان العفو اسم لاسقاط العقاب المستحق فاما اسقاط ما يجب
اسقاطه فلا يسمى عفوا فعلم ان ذلك المعنى الذي حملوا الاية عليه ضعيف عقلا ولغة تنبيه اعلم ان هذه الاية دالة على بطلان
قول المعتزلة ان لا عفو عن الكبائر اذ لا كبيرة اكبر من اتخاذ العجل الها واذا ثبت انه سبحانه عفى عن كفر قوم موسى ولم يواخذ
على كفرهم فبان يعفو عن فسق امة محمد صلوات الله عليه واله كان احق واحرى تنبيه اخر قد دلت الاية ايضا على ان الله
تعالى لم يرد من العباد الا الخير والطاعة ولا يريد منهم الشر والعصيان فانه صرح بانه انما عفى عنهم ولم يواخذهم لكي يشكروا
فلم يرد منهم في هذا العفو الا الشكر لا ارادة ذلك انما بشرط ان يحصل للشاكر داعية الشكر ولا يعد الشرط والاول باطل
لان تلك الداعية ان كانت من فعل العبد لافتقرت هذه الداعية الى داعية اخرى والكلام فيها كما مر وان كانت من الله فحيث
خلق الله الداعي حصل الشكر لا محالة وحيث لم يخلق لم يحصل الشكر منه من غير هذه الداعية والثاني ايضا باطل والا
فقد اراده منه المحال لان حصول الفعل بدون الداعي محال وطلب المحال على اصولهم ممتنع لانا نختار ان حصول الشكر من العبد
بالاختيار مشروط بحصول الداعية فان كانت بالاختيار فيتسلسل داعيته اخرى او بالاضطرار فيكون من فعل الحق
اي الوجهين ينتهي بالاخرة الى حصول داعية ليست هي من فعل العبد بل فعل الله الحاصل في العبد اضطرارا وقد مر انه اذا
العبد ينتهي اخر الامر الى ما هو حاصل فيه بالاضطرار فان تعلم ان الانسان وداعيته مخلوقان لله بالاتفاق والنزاع ليس الا في ترتيب
هذه الامور وافتقار بعضها الى بعض او في عدم الترتيب فان الاشاعرة ومن يحذو حذوهم انكروا الحكمة لله في هذا
ونفوا القول بالعلة والمعلول ولهذا اسندوا الطبايع والاثر كلها الى الله اولا وبالذات تعالى عن ذلك علوا كبيرا
حكمة قرانية ان في لفظ لعل وهي من كلمات الترجي والامكان اشارة لطيفة الى ان فعل الشكر انما يحصل من العبد باختياره
فان افعال العباد من جهة نسبتها الى مباديها القريبة واقعة باختياره وعلى سبيل الاحتمال والامكان ومن جهة نسبتها الى السبب
الاول ومباديها البعيدة من قضاء الله وقدره وعلمه وقدرته واقعة من العبد على سبيل البت والوجوب ففعل العبد
من جهة وقوعه باختياره لا يحكم عليه بالقدر والتفويض اي لكونه واقعا بعد بينهما مفوضا الينا ومن جهة وقوعه بمشية الله
وقضائه وقدره والوسايط المترتبة المستندة على ترتيبها في سلسلة العلل والمعلولات الى الله يحكم عليه بالجبر كما سبق فلفظة
لعل كلما جاءت في القران فهي بحسب الاعتبار الاول دون وقوع الامور باسبابها القريبة فصل اعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد
والحمد والشكر ومعناهما وحكمهما فلنلخص الفرق المستفاد من اقوالهم ان الحمد اسم ثناء الاذكار كالتسبيح والتهليل فيكون
من المساعي الظاهرة والشكر من اسماء النيات والاخلاق كالصبر والتفويض والرضا فيكون من المساعي الباطنة ولان الشكر
يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل كما قال وقليل من عبادي الشكور فيثبت
انهما معنيان متميزان ثم الحمد كما هو المشهور من كلام الجمهور هو الثناء على احد بالفعل الجميل واما الشكر فقد تكلموا
في معناه واكثروا القول فيه فعن ابن عباس انه هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلايق في السر والعلانية وهذا كما اشتهر على
الجمهور انه عبارة عن صرف العبد جميع ما انعمه الله فيما خلق لاجله ولا يخرج ذهب بعض المشايخ فقال الرازي الطاعة

والباطن

الباطن وقال بعضهم اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال اخرهم الاحتراس عن اختيار معاصي اي يجري على قلبك ولسانك
واركانك حتى لا يعصي الله بشي من هذه الثلثة وقال اخر الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه من
جفاء المنعم وكفرانه ولو قيل تعظيم المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون من امر الشكر للعبد المحسن فافهم
الشكر فاعلم ان موضعه النعم الدينية والدنيوية مطلقا واما الشدايد والمصايب الدنيوية في النفس والاهل والمال
فقال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها وانما يجب عليها الصبر واما الشكر فهو على النعمة خاصة وقال بعضهم لا شدة الا وفي جنبها
نعم الله فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وقال بعضهم وهو الاولى ان شدايد الدنيا مما يلزم العبد الشكر
عليها لان تلك الشدايد هي النعم بالحقيقة لانها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة
ينال وشي في جنبها مشقة هذه الشدايد ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها مر المذاق الشديد فيقوى ذلك
النفس وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء منه بالنعمة الحقيقة وان كان في صورة مكروهة
فالحاصل من هذا الكلام يرجع الى ان البلية والشدة يجب الشكر عليها من حيث انها نعمة لانها توجبها الا من حيث انها
بلية واقعة فلا يشكر على الشرور والالام من حيث انها شرور والام هذا هو التحقيق وعلى هذا يحمل قول من يقول على كل حال
ثم ان النعمة قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نفع ودفع فنعمة النفع وهي المصالح والمنافع ضربان الخلقة السوية
في سلامتها وعافيتها وما سلامة البدن متوقفة عليها من الطعام والشراب والملابس والمناكح وغيرها من اسبابها
واما نعمة الدفع فهي ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان سلمك من زمانتها وعاهاتها
وافاتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك من ضرر من انواع الصواعق ويقصدك بسوء من انس او جن او سباع او هوام
ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك الله اولا الى الاسلام
ثم للطاعة ونعمة العصمة ان يعصمك اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن ساير المعاصي وتفصيل
ذلك لا يحيط به الا السميع الحكيم الذي انعم عليك كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فصل عرشي
اعلم ان تحقيق الشكر والعلم بكيفية حصوله من الانسان يتوقف على معرفة اصول عظيمة عقلية ومسائل شريفة علمية منها
معرفة النفس الانسانية وهي ام الفضائل ومفتاح العلوم بحقيقتها ولنذكر ههنا ما يستفاد منها من كتب العرفاء
لما فيه من عظيم الجدوى فنقول اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين ومنزل من منازل اهل الدين وكل مقام منها
ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم ههنا فهو معرفة النعم وانعامه واما الحال فهو
الابتهاج الحاصل بانعامه واما العمل فيه فهو القيام بما هو مقصود المنعم وغاية انعامه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح
واللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموع الاحاطة بحقيقة الشكر فالاصل الاول العلم وهو متعلق بثلثة امور
النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد
من منعم ومنعم عليه يصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم الا بان
يعرف ان النعم كلها منه وهو المنعم بالحقيقة والوسايط مسخرون من جهته وهذه المعرفة هي معرفة كاملة من توفي الوجود الا
وهو توحيد الافعال وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد في الذات والصفات اذ دخل هذا التوحيد والتقديس فيها
بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة عن النقايص والامكانية فضلا عن المنازل العالية

فيعرف ان لا مقصد الا واحد وما عداه غير مقصود وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط والكل نعمة منه فيقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اي بعد المعرفتين الاوليين فينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلعم حيث قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله وقال ليس شي من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشي فان راى المنعم عليه لوزيره او وكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص من توحيده في حق الملك وكمال شكره النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغذ ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليهما ولم يكن من جهة الملك امر حتم وقضاء جزم لما سلما فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن والوكيل كنظره الى القلم والكاغذ فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة فكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها شاءت او ابت اي حصول الداعي كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك لو خلي ونفسه لما اعطى ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وبعد خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذن انما يعطيك لغرض ولو لم يكن غرضه في العطاء لما اعطاك فالمنعم عليك بالحقيقة هو الذي سخره لك والقى في قلبه الاعتقادات والارادات فصار به مضطرا الى الايصال فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى في مناجاته الهي خلقت ادم بيدك وسويته ونفخت فيه من روحك وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا الا بالنعمة لا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك وابتهاجك بالمنعم ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الثاني الحال المستمد من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهذا ايضا شكر في نفسه كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا لشروط احدها ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام مثاله ان الملك اذا انعم بفرس على انسان يتصور فرحه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بها من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس ولو وجده في صحراء واخذه لكان فرحه مثل هذا

الفرح الثاني ان يفرح به من حيث انه يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه حتى انه لو وجده في صحراء او اعطاه غيره لم يفرح به لاستغنائه عنه او لاستحقاره بالاضافة الى ما هو مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الثالث ان يفرح به ليركبه ويخرج به في خدمة الملك فينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه لم يقنع ان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه فرسا ولا يكتفي بهذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك على احد الا بواسطته ثم انه لا يريد من الوزارة الا الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى انه لو خير بين الوزارة دون القرب وبين القرب دون الوزارة لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبه مقصور على الفرس لا المعطي فهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة موافقة لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث انه يقدر بها على التوسل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة ولذلك قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما تلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله الاصل الثالث وهو العمل وهو في الجوارح وسائر النعم والمعارف التي خلقها الله تعالى لاجلها وذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتتحول فان كل نعمة بل كل عين او عرض او فوق فهي مخلوقة لاجل غاية وفائدة هي مصرفها فاذا صرفت فيها دامت والا زالت كما قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وفي المثل ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما الزيادة فلان الشكر لما كان قيد النعمة فهو يثمر الزيادة ويحرك الشي في الطبيعي بوجاء مثل الاداد والازدياد كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى الاية ان قال القائل الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق نعمته يمن عليه باخرى ويراه اهلا لها والا فيقطع عنه ذلك عنه
تنبيه فان قلت هل ان نشكر الخلق على احسانهم الينا النعم الواصلة الينا من الله بايديهم وقد ذكرت ان الوسائط مسخرون ولا تاثير لهم قلت لا فائدة الا اذا قلنا نعم نادى يا داود الله داود وسوله فان شكر المحسن على الاحسان والدعاء له من شعار الصالحين واخلاق العارفين وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر عن الاغيار في التاثير والايجاد وعلمهم ان النعم كلها من المنعم الجواد فانهم يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلعم كما ورد في كثير من الاحاديث والاخبار وبيان ذلك ان الناس على ثلاثة اقسام فالعامة محجوبون عن الله بالخلق المنعم

والعطا والصوفيون الساكنون في الامتلا بحجبوا بالله عن الخلق وراوا الاشيا من الله حيث طالعوا باصيرة الحق وحيد
وخرقوا الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد فلم يثبتوا للخلق منعا ولا عطا واما الكمل من اهل الله الالهيين فحيث
ارتقوا الى ذروة التوحيد شكروا الخالق بعد شكر الحق واثبتوا لهم وجودا وقتا ثبوا في المنع والعطا بعد ان راوا
السبب الاول اولا وذلك لسعة علمهم وقوة معرفتهم بحيث يسع علمهم الجانبين ولا يحجب نظرهم باحد من الخالق والحق عن الآخر
فلا يحجبهم الخلق عن الحق كعامة المسلمين الساكنين في مقام التسليم ولا يحجبهم الحق عن الخلق كارباب الارادة و
المبتدئين من السالكين بل شاهدوا الحكمة والترتيب ونفوذ نور الحقيقة في مطاوي الممكنات ومكامن الجهات
فيشكرون الخالق لانهم الوسايط والاسباب وروي عن رسول الله صلعم انه قال اول ما يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون
الله في السراء والضراء وكان صلعم عطس امير شخص فقال الحمد لله على كل حال فقال له النبي صلعم عشر سعينا ... هو بها الكلام
وكم اسم من جليل عليه نعمة تحمل الله الا كان الحمد افضل منها فقيل صلى الله عليه والكافر الحمد افضل منها لحمل البرضي بحق خلقه
ويحمل الله الحمد افضل منها لفعمه فيكون نعمة تحمد افضل من النعمة التي حمد عليها فاذا شكروا المنعم الاول يشكرون الواسطة
المنعم من الناس وعن صلعم انه اذا افطر عند قوم قال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار ونزلت عليكم السكينة
والوقار وعنه صلعم من لم يشكر الناس لم يشكر الله انتهى الى الثاني في اجل اسمه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون
هذا هو النعمة الرابعة عليهم من الله والفرقان في اللغة مصدر فرق بين الشيئين فرقا وفرقانا ويطلق على ما يحصل
الفرقان والمراد ههنا اما نفس التورية باعتبار كونه فارقا بين الحق والباطل او شيئا داخلا فيه او خارجا عنه فالاول
قول ابن عباس وانما صح العطف لتغاير اللفظين بل لتغاير المفهومين فان مفهوم الكتاب مغاير لمفهوم الفارق فهو كقولك
رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والشجاعة ونظيره قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا يعني الجامع بين هذه الاوصاف وانما يكون اشارة الى بعض ما في التورية من بيان اصول الدين وفروعه واما الثالث
فقيل ان المراد به انفراق البحر الذي اتاه موسى عم وقيل الفرق الحاصل بين اهل الحق وهم موسى واصحابه المؤمنون وبين
اهل الباطل وهم فرعون واصحابه الكافرون وذلك باشياء كثيرة منها انجاء هؤلاء واغراق هؤلاء وهذا بحسب الظاهر واما بحسب
الباطن فهؤلاء نجوا من غرق بحر الطبيعة التي هي بحر مسجور فتخلصوا من لهيب نيرانها في القيمة وهؤلاء غرقوا فيها واحرقوا
بنار جحيمها في القيمة وقد قال سبحانه هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي وهذا الفرق المعنوي يبينه حاصل
الآن بين المحققين والمبطلين مشهود لارباب الشهود الباطني وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل النصر الذي
فرق بينهم وبين عدوهم كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر وقيل ان المراد بالفرقان القرآن ويكون تقديره ولقد آتينا
موسى التورية وآتينا محمدا الفرقان لكي تهتدوا بهما اهل الكتاب وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وهذا تعسف شديد لان
فيه حمل القرآن على مثل هذا المجاز من غير ضرورة مع انه تم اخبار الله عن موسى بالفرقان اشارة وههنا دقيقة اخرى وهي ان الله
في معنى الفرقان والتمييز بينه ومعنى القرآن وهو ان للنفس الناطقة ضربين من العلوم الالهية احدهما ما يقال له العلم
الاجمالي والعقل والعقلاني ويسمى عند قوم من الحكماء بالعقل البسيط ويتصف به العقل الفعال وهو من صفات المقربين
من الملائكة المقدسين والانبياء والاولياء الكاملين وثانيهما ما يقال له العلم التفصيلي والفكري والنفساني ويتصف
به العقل المنفعل وهو من صفات المتفكرين في الآفاق والانفس فاذا تقرر ان القرآن عند اهل الله خاصة وهم اهل القرآن عبارة

عن الحمل

عن العقل البسيط والعلم الاجمالي والفرقان عندهم عبارة عن العلوم الانفعالية التفصيلية الحاصلة من ذلك
العقل البسيط فذلك العقل القرآني قبل الحصول الصور العلمية الفكرية للنفس اذا علمت هذا فاعلم ان الله خص نبينا
حبيب الله صلعم من بين ساير الانبياء عم بانزال القرآن والفرقان جميعا ولهذا وصف ما انزل الله عليه بهما جميعا كما انه ضرب
بينهم عم بانزال الكلام وتنزيل الكتاب جميعا والمنزل على ساير الانبياء فرقان فقط وليس بقرآن كما ان المنزل عليهم عليهم السلام
كتاب فقط وليس بكلام ومن هذا الوجه يعلم فضيلة هذه الامة على ساير الامم لان فايدة الانزال والتنزيل يرجع الى
الامم فبقدر فضيلة الكتاب يعلم فضيلة المنزل عليهم فيستفاد من هذا البيان انه يوجد في هذه الامة جماعة يكون
درجتهم درجة ادراك العقل البسيط القرآني وانه لم يوجد هذه الدرجة في ساير الامم بل في انبيائهم خاصة
ولا جل ان كتابهم المنزل عليهم من هذا القرآن مثل ما يتلى عليهم وليس كذلك وقد مر الفرق بين كلام الله وكتابه من ان الكلام
من عالم الامر والكتاب من عالم الخلق ومن ان الكلام منزل على قلب حبيب الله صلعم بالحق وكتب ساير الانبياء عم نازل
عليهم في الالواح والصحف وبين الانزالين بون بعيد وفرق عظيم وقد ذكرنا ايضا فرقا آخر بين الكلام والكتاب بان احدهما
يكون صفة وخلقا والآخر يكون فعلا واثرا مباينا وكذلك العقل البسيط الاجمالي القرآني صفة ذاتية للعالم به
بل ربما يكون عين العالم واما الصور والعلوم التفصيلية فهي من قبيل الآثار والافعال اللاحقة من العقل الكامل الفعال
فلهذا كان القرآن خلق نبينا صلعم كما هو المروي قوله تعم لعلكم تهتدون اي لتدبر الكتاب والتفكر في آياته قوله جل اسمه
واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم
فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم هذا هو الانعام الخامسة من الله لهم وذلك لانه نبههم على عظيم ذنبهم ثم نبههم
على طريق تخلصهم عن عذاب يوم القيمة وذلك من النعمة الدينية ثم انه تاب عليهم قبل فنائهم بالكلية فكان ذلك النعمة
في حق الباقين بعضهم اذكروا يا اهل الكتاب اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل بعد رجوعه من الوعد الذي وعد ربه
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اي نقصتم انفسكم الثواب الواجب لاقامتكم على عهد موسى عم او اضررتم بها حيث وضعتم العبادة
في غير موضعها باتخاذكم العجل الها والمعبود لنا ثم تحقق وقيل دلالة التوبة عليه فان الظلم اما بمعنى النقص او الاضرار
او وضع الشيء في غير موضعه الا الذي ليس يستحق ولا غير نفع ولا دفع ضرر لاعلى ولا ادنى فلما عبدوا العجل فقد نقصوا انفسهم عن تمام الانسانية
اذ كفروا بالله وانسلخوا عن الفطرة ولحقوا بسلك البهايم والحشرات او كانوا اضروا بانفسهم لان الاضرار اعظم ما يؤدي الى
الابد ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا وانيبوا الى خالقكم بالطاعة والتوحيد فان البارئ
هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر المنتقل من صورة الى صورة ومن حال الى حال واصل التركيب في اللغة لخلوص الشيء
عن غيره اما على سبيل النقص كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه وعلى سبيل الانشاء كقوله برأ الله آدم
من الطين سؤال لم اختص هذا المقام بذكر هذا الاسم دون غيره من الاسماء الحسنى جوابه لان البارئ خلق الخلق بريا من التفاوت
لقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه عن بعض بصور متباينة واشكال مختلفة فكان فيه تقريعهم
بما وقع منهم من ترك عبادة العالم الخبير الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال والصور المختلفة وابريا من التفاوت الى عبادة
البقرة التي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب لابدين حتى عرضوا انفسهم لسخط الله وقوله فاقتلوا انفسكم تتميما
لتوبتكم اما بترك الشهوات واللذات واماتة القوى الحيوانية بمنعها عن دواعيها كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها

لوجهين او في كلام بعض اهل العلم الحكما موتوا بالارادة تحيوا بالطبيعة وفي الحديث النبوي على قائله وآله افضل صلوات الله
موتوا قبل ان تموتوا وروي انه قال ايضا من اراد ان ينظر الى ميت يمشي فلينظر الى او بالتنجيع او يقتل بعضكم بعضا فانه
لا اقل او فيه مخالفة وقال قوم من المفسرين كالقاضي عبد الجبار وغيره لا يجوز ان يراد به كل من القائلين لنفسه واحتجوا
عليه بوجهين احدهما انهم ما قتلوا انفسهم بايديهم ولكنهم امورين بان يقتل بعضهم بعضا وثانيهما ان القتل هو نقض البنية
وزهوق الروح في الحال واما ما يؤدي الى الزهوق في ثاني الوقت فانما يسمى قتلا على سبيل المجاز واذا كان كذلك فلا يجوز ان الله الامر
بقتل الانسان نفسه لان الاوامر الالهية والتكاليف الشرعية انما هي لمصلحة المكلف في المستقبل ولا يتصور وجودها
بعد عدمه وفي هذه المقدمات مواضع نظر لان المصلحة لا يجب ان يعود اليه بل ربما تعود مصلحة قتله لنفسه الى غيره او
ينتفع به في ذلك الخير ثم الله يوصل العوض العظيم اليه ثم على تقدير عودها اليه لا يلزم ان يكون في الدنيا بل يكون في العقبى سلمنا
انه يلزم عودها اليه في الدنيا لكن لم لا يجوز ان يكون علمه بكونه مامورا بالقتل وامتثاله للامر مصلحة له في هذا الآن
او الزمان القليل كما انه لو امر بان يقتل نفسه بعد اوقات عليه بوقت يصير داعيا له الى ترك المعاصي في ذلك الزمان
الى حدود القتل فالوجه الاول اقوى ولهذا عول عليه المفسرون فعلى هذا يجب صرف الاية عن ظاهرها الى ما ذكرنا اولا
او الى غيره وهو اشياء احدها ان يقال امر سبحانه التائبين ان يقتل بعضهم بعضا وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد
وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وكقوله ولا تقتلوا انفسكم ومعناه لا
يقتل انفسكم ومعناه لا يقتل بعضكم بعضا وتحقيق ذلك ان المؤمنين كنفس واحدة بخلاف غيرهم من الكفار
والمنافقين فانهم ذوو آراء متناقضة ومذاهب متخالفة واخلاق متشتتة بعضها بهيمية وبعضها سبعية وبعضها
شيطانية ولذلك يحشرون الى صور مختلفة بحسب ما غلب واستولى على نفوسهم من الاخلاق كما هو معلوم من مباحث
علم المعاد واما نفوس اهل الايمان والتوحيد فقد تحققت من حيث انها تستفيض بعالم القدس وقد ذهب بعض الائمة المحققة
والموحدين من الاقدمين ان النفس الناطقة من الانسان العاقلة عند خروجها من القوة الى الفعل باب العاقلة والمتحقق له
تتحد بروح القدس المسمى عندهم بالعقل الفعال فعلى هذا صح القول بانها كنفس واحدة وكذا على مذهب افلاطون
واتباعه من عظماء الحكماء من ان لكل نوع صورة تحفظه في عالم الارواح العالية هي حقيقة ذلك النوع وتمامه
وهي جوهر واحد قائم عند الله مثال له بل بريء وحدته هو تمام كل واحد من افراد ذلك النوع وكذلك لنوع الانسان وان لها
صورة واحدة في عالم الربوبية هي تمام جوهر الانسانية وان افراد الناس اذا لم ينسلخوا عن الفطرة الانسانية الى الكفر والجحود
متحدون في تمام حقيقتهم وكمال وجودهم العقل الباطني بجوهر قدسي واحد هو نفس حقيقة الجميع فكان هؤلاء النفوس
البشرية اجزاء لذلك الجوهر لانه الاصل وهذه هي الفروع الصادرة منه العائدة اليه عند تمامها وكمالها واليه الاشارة
بقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ولذا قال في قوله
ولا تلمزوا انفسكم اي اخوانكم من المؤمنين وفي قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا اي بامثالهم من المؤمنين
ثم قال المفسرون القائلون بهذا القول ان اولئك التائبين برزوا صفين فضرب بعضهم بعضا الى الليل وثانيها ان الله
امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وامر التائبين ان يسلموا انفسهم للقتل وهذا اقرب من الوجهين عن ابي اسحاق
والجبائي اذ معنى فاقتلوا انفسكم استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع قال ان

الروايات

الروايات مختلفة في باب المامورين بالقتل ففي بعضها ان موسى عليه السلام امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا
اكفانهم وجاء هرون باثني عشر الفا ممن لم يعبد العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين
الفا تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وفي بعضها ان السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم
الذين قتلوا من عبد العجل سبعين الفا من اخوتهم حتى قتلوا ثلاثة ايام ذكره محمد بن اسحق وفي بعضها وهو رواية الكلبي
انه امرهم موسى عليه السلام اجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة فاتاهم هرون بالاثني عشر
الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف فقال التائبون ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاتقوا الله واصبروا
فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم بيد او رجل يقولون آمين فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام
موسى وهرون يدعوان الله ويقولان البقية البقية يا الهنا فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من بقي قالوا
وكان القتلى سبعين الفا وفي بعضها ان بني اسرائيل كانوا فرقتين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبده ولكن لم ينكر على من عبده
فامر من لم يشتغل بالانكار ان يقتل من اشتغل بالعبادة وفي الكشاف وغيره انه روي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده واخاه
وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم
فقتلوا الى المساء حتى دعا موسى وهرون فقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت
التوبة وسقطت الشفار من ايديهم وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم اي فعل التوبة او القتل من حيث كونه طهارة عن الشرك
او وصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية خير لكم عند خالقكم فان حالتكم كانت دائرة بين ضرر الدنيا ونعيم الآخرة
ابدا وبين التمتع في الدنيا اياما قليلة والعذاب في الآخرة ابدا وضرر الدنيا اولى بالتحمل لانه متناه وضرر الآخرة لانه
غير متناه ونعيم الآخرة اطيب [illegible] لانه دائم وهذا منقطع ولان الموت واقع لا محالة فليس في تحمل القتل
الا تعجيل امر ضروري الوقوع لا محالة وقد علم تحمله تاخيره واما من جهة العقاب الاليم والفوز بالثواب العظيم فهو سعادة
لا اعظم منها وقوله فتاب عليكم اي قبل توبتكم واعلم انه قد تقرر عند اهل المعرفة والشهود وثبت بالاخبار المتكاثرة المتظاهرة
ان الانسان كلما قرب من الحق قرب هو تعالى منه وكلما رجع الى الله رجع اليه وفي الحديث الالهي من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا انه هو التواب الرحيم اي قابل التوبة مرة بعد اخرى كثير العطوفة عليهم بمحو سيئاتهم
ونفي الخطيئات قوله جل اسمه واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم
من بعد موتكم لعلكم تشكرون هذا هو الانعام السادس عليهم من حيث انهم على ما قالوا اخذوا في الدنيا بالصاعقة ثم احياهم من بعد
الموت ليتوبوا ولاهل التفسير في هذه القصة قولان الاول ان هذه القضية كانت واقعة بعد ان كلف الله
عبدة العجل بالقتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل واحرق السامري
وحرق العجل والقاه في البحر اختار من قومه سبعين رجلا فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى يسمعنا كلامه
فسأل موسى ذلك فاجابه الله اليه فلما دنا الى الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله ذلك ودنا موسى حتى كلمه
ربه ووقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد منهم النظر اليه وسمعوا كلام الله مع موسى يقول له افعل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام
مع موسى يقول له افعل كذا ولا تفعل كذا فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى رافعا يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني
اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع اليهم رجالهم فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل قال لا

ان يقتلوا انفسهم القتل الذاتي اتفق هذه الواقعة كان اجل القتل في [illegible] ولما تاب بنوا اسرائيل من عبادة
العجل بان قتلوا انفسهم امر الله تعالى ان ياتيه موسى عم في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار
موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى عم
يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني اخترتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء فلما رجعت اليهم وليس معي منهم احد
ماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال ان هي الا فتنتك الى قوله انا
هدنا اليك ثم ان الله احياهم فقاموا ونظر كل واحد منهم الى الآخر كيف يحييه الله ثم قالوا يا موسى انك لا تسال الله شيئا الا
اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا موسى عم بذلك فاجاب الله بذلك واعلم ان كل واحد من القولين محتمل ولا ترجيح
لاحدهما على الآخر قال صاحب الكبير ليس في الآية ما يدل على ان الذين سالوا الرؤية هم المتخذون للعجل الها او غيرهم اقول وجدنا
في التفسير المنسوب [illegible] ولا [illegible] على العسكري [illegible] ما يدل على الثاني على [illegible] لانه [illegible] فاقتلوا انفسكم اي فليقتل
بعضكم بعضا يقتل من لم يعبد العجل من عبده فظهر ان المقتولين هم العابدون للعجل والسائلين للرؤية غيرهم وفي التفسير
المذكور ايضا ان القوم كانوا [illegible] الف كلهم قتلوا الا [illegible] الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل [illegible] اي عيانا [illegible]
[illegible] بالقراءة [illegible] كان الذي يرى بالعين جاهرا بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافتا بها وانتصابها
على المصدرية لانها نوع من الرؤية فينتصب بفعلها [illegible] بنصب القرفصاء [illegible] او على الحال [illegible] ذوي جهرة [illegible]
بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وقال القفال اصل الجهرة من الظهور يقال جهرت الشيء اذا كشفته و[illegible]
البئر اذا كان ماؤها مغطى بالطين فنقيته حتى ظهر الماء ويقال صوت جهير ورجل جهوري الصوت اذا كان صوته عاليا
وانما قالوا جهرة لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم او التخيل [illegible] موضع ايجاب عقلية الاولى [illegible]
بعض المتكلمين كاصحابنا الامامية رضوان الله عليهم وسائر المعتزلة استدلوا بقوله فاخذتكم الصاعقة على امتناع الرؤية
عليه تعالى لانها لو كانت جائزة فكانوا التمسوا امرا مجوزا فوجب ان لا ينزل عليهم العذاب كما لم ينزل بهم العقوبة لما التمسوا
[illegible] الى [illegible] ما ذكر الله سؤال الرؤية في كتابه الا وقد استعظمه منها هذه الآية ومنها قوله يسالك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة الآية ومنها قوله وقال الذين لا يرجون
لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا فالرؤية لو كانت جائزة لما كان سائله
مستحقا للصاعقة ظالما ومستكبرا في نفسه وعاتيا عتوا كبيرا فلما دلت الآيات على ان رؤية الله ممتنعة على عباده ولقائل
ان يقول لا نم دلالتها على امتناع الرؤية وليس كل عقوبة وجب ان يكون [illegible] على طلب امر محال [illegible] وربما كانت العقوبة
كونهم ادعوا لانفسهم منصبا عاليا [illegible] حصول [illegible] الاعطاء درجتهم عن [illegible] لذلك غاية [illegible]
نفسه ممكنا [illegible] لما تمت [illegible] الايات الباهرة والمعجزات الجلية على صدق المدعي كما [illegible] دليل [illegible] بني اسرائيل تعنتا ولجاجا عن
المتعنت اللجوج [illegible] العقاب [illegible] لا انه مجوز [illegible] الله [illegible] بمصلحة [illegible] انزال
الكتاب من السماء وانزال الملائكة [illegible] عليهم [illegible] ذلك واستكبروا [illegible] الرؤية [illegible] واستدل بعض
المجوزين للرؤية بان الله [illegible] انزال الكتاب [illegible] وكون كل منهما [illegible] ان انزال الكتاب امر ممكن في نفسه
فكذا الرؤية [illegible] استدلال بعضهم على امكانها بان الله [illegible] فان [illegible] مكانه
[illegible] المعاني [illegible] المتكلم [illegible] فيكون [illegible] جائزة
ويجوز ان [illegible] انزال الكتاب على وجه [illegible] العلوم [illegible] كيفية نزول [illegible] والكتاب [illegible]

في المقا[illegible]

في المفاتيح مما يوضح ذلك لاهل البصيرة وكذا نقول الاستقرار [illegible] حين التجلي امر محال واما الذي اجاب به بعضهم من ان [illegible]
يقتضي كون كل واحد من [illegible] الكتاب والرؤية ممتنعا لكن ترك العمل به في انزال الكتاب فيبقى معمولا به في الرؤية [illegible]
[illegible] لا يخفى لانه ما اقام دليلا على ان الاستعظام لا يتحقق الا اذا كان المطلوب ممتنعا وانما وقع السؤال [illegible]
الاسئلة ولذا لا يقنع به في هذا الباب [illegible] انما يصح [illegible] في الاحكام الفرعية دون العقائد الاصلية [illegible]
الرؤية على اي وجه كانت هل هي ممكنة للعباد ام ممتنعة اعلم ان اكثر الناس [illegible] هذه المسالة لا يعرفون بعد موضوعها
[illegible] تقبل [illegible] محل النزاع [illegible] بعضهم بعضا وهذه المسالة من هذا القبيل فان الواجب اولا على كل مسلم ان يعرف [illegible]
ويعرف نفسه ثم يتكلم في هذا المقام وهذان العلمان من العلوم الغامضة التي لا يتيسر تحصيلها الا بجهد جهيد وخوض شديد
[illegible] ذهن [illegible] وصدر منشرح [illegible] مشتعل في الصدر كالمصباح في القنديل [illegible] الطبايع [illegible]
فاذا من حصل له علم بهوية نفسه وعرف به صفات الالهية من العلم والقدرة والارادة [illegible] وغير ذلك [illegible]
على وجه [illegible] الى الذات الالهية وعلم تنزيه الله عن النقايص والعيوب والتشبيهات ثم علم معنى الرؤية اذا [illegible]
الرؤية اذا [illegible] الخلق [illegible] لم يبق [illegible]
[illegible] وليس البرهان [illegible] والقوم [illegible]
على مثل هذا المطلب الشريف الثاني [illegible] الظاهر من [illegible] والامثال المشهورة وهذا [illegible]
[illegible] عند اهل المعرفة [illegible]
فاذا [illegible] هذه المقدمات [illegible] المختص [illegible] وبعين القلب [illegible]
يتعلق [illegible] من حيث [illegible] الظاهر [illegible] اقسام [illegible] العقل [illegible] البرهان [illegible]
الاول [illegible] ان ذلك [illegible]
لان [illegible] المحسوس الوضعي [illegible]
[illegible] فيكون [illegible] واما الثاني
[illegible] الثالث [illegible] المظهر [illegible]
[illegible] العالم [illegible]
[illegible] الحواس والقوى والاعضاء [illegible]
واما القسم الرابع [illegible] الباطنة [illegible] العلماء [illegible] الانبياء والاولياء [illegible]
سواء كان في الدنيا او [illegible] الى الآخرة [illegible] الابدان والدليل على هذا [illegible]

محمد بن يعقوب الكليني في الكافي ومحمد بن علي بن بابويه القمي في كتاب التوحيد بطرق اهل البيت عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال جاء حبر
الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته فقال ويلك ما كنت اعبد ربا لم اره قال وكيف رأيته قال ويلك
لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان والذي يدل ايضا على تحقق رؤية الله بالمعنى الذي ذكرنا
ما رواه محمد بن علي بن بابويه عليه الرحمة في كتاب التوحيد مسندا عن ابي بصير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون
يوم القيمة قال نعم وقد رأوه قبل يوم القيمة فقلت متى قال حين قال الست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال وان المؤمنين ليرونه
في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا قال ابو بصير جعلت فداك فاحدث بهذا عنك فقال لا فانك اذا حدثت
به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدر ان ذلك تشبيه وكفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه
المشبهون والملحدون البحث الثالث في ذكره اي مثالا ومظهرا للامر لعلمك ان الفرد لا مثل له ولا مهية والمماثلة الشيء هو ما يشاركه
له في النوع ولان كل ما سوى الله ممكن الوجود فان مستفيد الوجود بحسب ذاته والبرهان قائم على ان افراد مهية واحدة لا يكون بعضها
علة وبعضها معلولا ولكن لا ينفى المثال وهو عبارة عن امر اذا عرف عرف الممثل واذا شوهد شوهد ذلك لاجل رابطة وجودية
بينهما كما ان من رأى صورة رسول الله صلى الله عليه وآله فقد رأى حقيقته المقدسة فان الشيطان لا يتمثل به كما ورد في الحديث عنه وليس المعنى ان
من رآه رأى شخصه الذي مات ودفن في روضة المدينة لاستحالة وقوع شخصه الجسماني من القبر وحضوره في مواضع كثيرة
محصورة في لحظة واحدة اذ ربما راه القائمون في امكنة مختلفة بصور مختلفة في العظم والصغر والشيب والشباب وغير ذلك
في وقت واحد ووجود جسم واحد في مكانين فضلا عن الامكنة الكثيرة مستحيل من جهة ذلك فقد خرج عن حد العقل الانساني
في حدود البهيمية فقد علم ان المراد من رؤيته في المنام رؤية حقيقته المقدسة التي هي جوهر النبوة وحامل الرسالة في صورة
مثالية يصدق عليها انها هو فيصدق كل من رأى انه رأى حقيقته الانسانية التي هي مهية كلية عقلية يوجد
عالم العقل وفي كل شخص انساني فيوجد تلك الحقيقة الواحدة اما كثيرة متعددة وان مستتبعا لغيره وتحصل باشخاص غير متناهية
فيكون عين تلك الاشخاص بوجه وغيرها بوجه لانها ليست من حيث هي هي كلية ولا جزئية ولا كلية ولا شخصية ولا في
زمان ومع ذلك فهي موجودة بعين وجود هذه الاشخاص كلها متحدة بها مع اتفاق الاشخاص بحسب الصفات الكونية
والتضاد الواقع بينها كالسواد والبياض والحرارة والبرودة والعلم والجهل وغير ذلك في السبب في هذا ان نحو وجود الحقيقة
الكلية غير نحو وجود كل واحد منها فهي اكمل من الوجود فلهذا يسعه وجود سائر هذه الوجودات الشخصية العددية مع عدم
حاجتها في ذاتها الى شيء منها فاذا كان هذا القياس في الحقيقة النبوية لان حقيقة النبي صلى الله عليه وآله حقيقة مقدسة مقدسة ولا مقام كلي مع الله
ويسعه احكام ملك مقرب ولا نبي مرسل كما ورد عنه صلى الله عليه وآله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والذكر كان له مقامات الى
مقام ما اذ الفرق بين الوقت والمقام في عرف اهل الله كالفرق بين الحال والملكة النفسانيتين في عرف اهل النظر فان
النبي صلى الله عليه وآله دائمة ويكون يوم جامع فانه ذو مظاهر وعيانه بحسب مراي مثال حقيقته فيها الا بالحقيقة الا بالمجاز وكذلك
ذات الله تعالى منزه عن الشكل والصورة ولكن ينتهي تجرد العبد بواسطة مثال محسوس للحق بصيانة ان يكون مثالا الجلالة
الحقيقي الذي لا شكل ولا صورة ولا لون له ويكون ذلك المثال صادقا وواسطة في المعرفة فيقول الرائي رايت
الله في المنام لا بمعنى انه رأى ذاته الحق بمجردة عن الاشباح والامثلة بل بمعنى انه رأى مثاله والمثال غير المثل كما مر
وهم وازالة ولعلك تقول اذا امكنت رؤية الله بضرب مثال فلما ذا لما طلب موسى الرؤية لقومه اخذتهم الصاعقة

ومنا

الصاعقة ولما طلب النظر في الجبل اراد تعالى ان يظهر له مثال الامر الذي يرى به شاهدين فهو المثال فرأى مثاله تعالى على
متفاصلة ودفعوا عن مثاد ترى فالقرب والبعد منه لطائف مثال الحقيقة الى المثال الآخر كالحقيقة بالنسبة الى المثال الاول كحقيقة
جبرائيل حقيقة كلية عقلية وكان جبرائيل قد يتمثل احيانا في هذا العالم بصورة شخص بشري وكثيرا ما كان متمثلا بصورة دحية
وكان رجلا حسن الوجه وقد تمثل له صلى الله عليه وآله في عالم الوحي بصورة هي الحقيقة صورته وقد طمع المحكي فقيل ومن ذلك انه سأل رسول الله ان يريه
نفسه على صورته فوعده ذلك بحراء فطلع جبرائيل فسد الافق الى المغرب والمشهور انه رآه بصورته الحقيقية مرتين مرة
ومرة اخرى عند سدرة المنتهى كما دل عليه قوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وكان يراه بانها
في صورة الآدمي فاذا تقرر هذا فنقول ان الذي طلبه موسى من رؤية الله فهو رؤية لا يمكن تحققها بالصعق ولا ندرك الا بالموت
وما يجري مجراه ولذلك وقع النهي والصاعقة من ذلك لانعكاس هذه الهيئة البالية الدائرة فصل قد اختلفوا في معنى الصاعقة
هل هي بمعنى الموت او الشيء الذي هو سبب الموت فالقول الاول وهو انها هي الموت قال به الحسن وقتادة ومجاهد بن قوله
من في السموات ومن في الارض وحجة القائل بالثاني قوله تعالى وقع في سورة الاعراف فلما اخذتهم الرجفة وهذا اولى لقوله
قوله تعالى وانتم تنظرون لاستحالة كونهم ناظرين حين تحقق الموت وثانيها قوله تعالى في حق موسى وخر موسى صعقا ولا شك
حاصل على انه لم يمت ولانه قال فلما افاق والافاقة يكون عن الغشي لا عن الموت وثالثها ان الصاعقة هي التي توجب
كون معنى الصعق هو الموت ولا يبعد القول بانهم لما طلبوا الرؤية اخذتهم شبه الغشي والسقوط وكانوا يتطرون
الى الله في عالم المثال ثم بعثهم الله بدعاء موسى عليه السلام عن هذا الصعق الشديد بالموت ولفظ الموت مراد فقد يطلق على
هذه الحالة من النوم وغيره كما في قوله هو الذي يتوفاكم بالليل وكقوله تعالى حكاية عن عيسى اني متوفيك ورافعك الي وكذا البعث
يطلق على معنا هذا الحي كقوله تعالى ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى وكقوله في حق اصحاب الكهف ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين
امهل ثم القائلون بان الصاعقة المراد بها ما هي سبب الموت اختلفوا في انها اي شيء كانت فمنهم من قال انها نار وقعت من السماء
فاحرقتهم ومنهم من قال انها صيحة جاءت من السماء ومن قال ان الله ارسل جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما
وليلة ولقائل ان يقول الانسان اذا مات تقطع تعلق النفس عن بدنه وفسد البدن ثم رجعت تعلقها به فاذا فرض احياء
كان ذلك تعلق النفس ثانية ببدن في هذا العالم كما في ذلك تناسخا والتناسخ محال بالاجماع فانه في عالم آخر وليس ابدانه
التناسخ انما يلزم لو تعلقت النفس من بعد آخر بدن في هذا العالم كما ذكرت لكن البدن اذا كان واحدا كان التعلق مستمرا
فلا يلزم ذلك ولعل الابدان في الحي فيهم لم تفسد بالكلية ولم يخرج عن صلوحه تعلق النفس بها فصل قوله ثم بعثناكم ايضا
فان قلت هل دخل موسى عليه السلام في هذا الكلام قلت لا لانه خطاب مشافهة فلا يلزم تناوله لموسى ولانه لو تناوله ايضا لوجب تخصيصه
فلما افاق لان لفظ الافاقة لا يستعمل في الموت وكذلك قصة صعق موسى في هذه القصة ولو وجب هذا التخصيص لا
يلزم بطلان قول من قال ان قتيبة ان موسى قد مات وقوله تعالى لعلكم تشكرون لفظ الشكر يتناول جميع الطاعات والتكاليف
وهذا نص وقليل من عبادي الشكور فالمراد بعثكم بعد الموت لتمكنوا من فعل الطاعات والتدارك لما صدر عنكم من السيئات
وفي الكفر فان قيل كيف يجوز ان يكلفهم الله وقد اماتهم ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يكلف اهل الآخرة اذا بعثهم بعد الموت
قلنا الذي يمنع من تكليفهم في الآخرة ليس هو الاماتة ثم الاحياء وانما يمنع من ذلك لانه قد اضطرهم يوم القيمة الى معرفته [illegible]

ومن هو في التيه من القوات وهاتان انما ذكر الآيات وبعد العلم الضروري [illegible] فاذا كان المانع هو ذلك لم يمتنع
ويكون موتهم ثم الاحياء بمنزلة النوم او الاغماء قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون هذا هو الانعام السابع لبني اسرائيل وقد ذكره الله هنا وفي سورة الاعراف بحذف الالفاظ
والاظلال من الظلة وهي الغمامة والمرة [illegible] نظاير والغمام السحاب والقطعة منها غمامة وانما سمي غماما لانه يغم السماء اي يسترها وكل
ما ستر شيئا فقد غمه والنهار الغطاء على القلب من الغم وفلان في غمة من امره اذا لم يهتد له والمن اصله الاحسان الى من لا
والاسم المنة والسلوى طائر كالسماني قال الاخفش هو بلا واحد وجمع كالوجل وقيل واحده سلواة والمعنى جعلنا لكم الغمام
ظلة وسترة يقيكم حر الشمس في التيه وانزلنا عليكم المن وهو الترنجبين وبعثنا اليكم السلوى وروي انه سخر الله لهم السحاب
يسير بسيرهم تظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نور يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن وهو التر[illegible]
كان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح
الرجل منها ما يكفيه قال الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان المن فيه وجوه احدها ان المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر عن
ابن عباس وثانيها انه شيء كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقوق عن وهب ورابعها انه جميع
النعم التي اتتهم من الله تعالى مما من عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب والسلوى قيل هو السماني وقيل هو طائر ابيض يشبه السماني عن ابن
عباس قوله كلوا على ارادة وما ظلمونا بان كفروا هذه النعم [illegible] وما ظلمونا فحذف للاختصار لدلالة الكلام
على هذا المحذوف وهذا يدل على ان الله لا ينتفع بطاعة من اطاع ولا تضره معصية من عصى وانما يعود منفعة الطاعة الى المطيع
ومضرة المعصية الى العاصي وكيفية قصتهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة فوقعوا في التيه فصاروا كلما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ
او ستة وكلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين
سنة وفي التيه توفي موسى وهرون عليهما السلام ثم خرج يوشع بن نون ولما حصلوا في التيه من الشدة لما فعلوا فلطف الله بهم بالغمام
حر الشمس وما روى اصحابنا الامامية في هذه القصة عن الصادق عليه السلام انه كان ينزل عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت [illegible] وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى
زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانه لم يفسد اذا اخذوا منها يوم الجمعة للسبت لانه لا يأتيهم السبت وكان
مثل [illegible] فيوجد طعمه كالشهد المعجون بالسمن وكان لا يولد فيهم مولود الا عليه ثوب يطول له كالجلد [illegible] في هذه القصة
وما اشبه حال قوم موسى عليه السلام في التيه بحال الشيعة والعترة والله اعلم قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم
وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين هذا هو الانعام الثامن وفي الآية [illegible]
المتقدم المذكورة فيها النعم المتقدمة التي اولها تظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى [illegible]
والوضع والاعجام نظاير الا ان الاعجام [illegible] والقرية والبلدة والمدينة نظاير والسجود والانحناء
وحطة مصدر كردة وجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة الذنوب واصله النصب [illegible] حط عنا ذنوبنا حطة
وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل وقيل معناه امرنا حطة اي [illegible] في هذه القرية ونستقر فيها قاله صاحب الكشاف

والاجود

والاجود ان يكون منصوبا بفعل [illegible] ذلك المضمر حطوا او اغفر [illegible] والصفح والعفو نظاير والعفو في كل
غفر الله له غفرانا اي ستر الله على ذنوبه والخطيئة والزلة والمعصية نظاير والمحسن الفاعل للاحسان
احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينهما ان الاول لا يقال الا مع التعدي [illegible] من طريق الحكمة هو
الذي يحسن اليه الفعل [illegible] وهو الفعل الذي يرجحه العقل [illegible] المفسرون ان المراد من هذه القرية
اي قرية [illegible] على انها البيت المقدس ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا شك ان المراد
منهما واحد وعن ابن عباس وعن ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة ورأسهم عوج بن
عنق وقيل انها مصر واعترض على الاول بان الفاء في قوله فبدل الذين ظلموا تقتضي التعقيب فوجب ان يكون هذا
وقع منهم عقيب هذا الامر في حياة موسى والجواب بانه ليس في الآية ما يدل على ان هذا القول من الله وقع على لسان موسى
يوشع زال الاشكال وقوله كلوا امر اباحة اي كلوا منها اي شئتم رغدا اي موسعا عليكم متمتعين بما شئتم من طعام القرية
بعد المن والسلوى واما قوله وادخلوا الباب فهو امر تكليف وحتم ومن هاهنا يعلم ان قوله ادخلوا هذه القرية
تكليف لان دخول الباب مشروط به [illegible] الواجب لا يكون الا واجبا وايضا قوله تعالى في المائدة يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب
لكم يدل على الوجوب ولا شك ان المراد من الخطابين واحد [illegible] وادخلوا الباب [illegible]
نقل عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة انه باب يدعى باب حطة من بيت المقدس وحكى الاصم عن بعضهم انه [illegible]
القرية وما يجاورها واختلفوا في المراد بالسجود فقال الحسن اراد به نفس السجود الذي هو وضع الجبهة على الارض [illegible]
فيه فيمتنع الدخول حين السجود وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان المراد هو الركوع لان الباب كان صغيرا [illegible]
الموضوع وهذا ايضا بعيد لعدم الحاجة فيه الى الامر [illegible] ان المراد الخضوع لانه لما امتنع حمله على حقيقة السجود وجب حمله على
لانهم اذا اخذوا في التوبة فالتائب من الذنب لا بد ان يكون خاشعا [illegible] واما قوله تعالى وقولوا حطة [illegible]
صفة قلبية فلا يطلع عليها الغير وهي وان كانت [illegible] فيها الى [illegible] لاجل ان يوفق
الفسق الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه يحتاج فيها الى القول الا ترى ان من كان موسوما بمذهب باطل ثم تبين
فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه [illegible] عنه ازالة للتهمة [illegible]
في اظهار شعائر الدين [illegible] ثم ذكرت بلسانهم حتى يكونوا جامعين بين عمل الجنان
بالندم وعمل الاركان بالخضوع والانحناء وعمل اللسان بالاستغفار وهذا هو الوجه وعن الاصم ان هذه اللفظة من
الفاظ اهل الكتاب لا يعرف معناها في العربية وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها
وزيفه القاضي بان قوله نغفر لكم خطاياكم يدل على ان الغفران متعلق به ولو كان الوجه ما ذكره لم يكن الغفران يتعلق
بقولهم حطة وفيه ما لا يخفى فصل هل كان التكليف متعلقا بذكر هذه اللفظة بعينها ام مطلق قول دال على التوبة و
الخضوع فالمروي عن ابن عباس انهم كانوا مأمورين بهذه اللفظة بعينها وهو محتمل لكنه بعيد من وجوه اما اولا فلان هذه
اللفظة عربية واما ثانيا فلانهم كانوا مأمورين بالتوبة والخضوع والمقصود حاصل بغير هذه اللفظة واما ثالثا فلان
حط الذنب سواء قيل هذا اللفظ ام لا [illegible] فيه روي عن ابن عباس انهم امروا ان يقولوا هذا الامر

حتى قال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وقيل هي كل ما يحط الذنوب فيصح ان يترجم عنه بحطة
انه قال نغفر لكم خطاياكم قوله وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة الاستغفار له زيادة في ثوابه ومن كان مسيئا
كانت له مغفرة لذنوبه وقيل سنزيدهم على ما يستحقون من الثواب تفضلا كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وكقوله للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وقيل المراد به ان يزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك
فان الزيادة الموعودة يمكن ان يكون من منافع الدنيا كما يمكن ان يكون من منافع الآخرة فصل القراءة في نغفر لكم
مختلفة فقرأ ابن المبارك بالنون وكسر الفاء ونافع بالياء وفتحها والباقون من اهل المدينة بالتاء وضمها وفتح الفاء والحسن وقتادة
وابو حياة بالياء وضمها وفتح الفاء قال القفال والمعنى في القراءات كلها واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله فقد غفرت واذا
غفرت فقد غفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث كقوله واخذ الذين
ظلموا الصيحة واخذت الذين فصل لاهل الاشارة ان يأولوا الآية ادخلوا ايها السالكون الى المنازل والمقامات
تطورات النفوس وتقلبات القلوب هذه الارض المقدسة التي هي عالم القدس والملكوت بقدم الصدق واليقين والعلم
والعمل وكلوا من طيبات الاغذية العلمية والارزاق المعنوية وادخلوها من بابها الذي هو حقيقة الانسانية والارواح
المعنوي فانه لا يمكن الدخول الى ذلك العالم القدسي الا من الابواب [illegible] وهذا الباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب [illegible] ساجدين لله محبين لجماله [illegible] وقولوا حط يا الهي عنا اوزارنا وضيقتنا
وشأننا [illegible] واغفر لنا ذنوب وجودنا [illegible] قولوا اللهم [illegible] وتطهر
[illegible] هذا التأويل [illegible] اهل البيت عليهم السلام انهم قالوا نحن باب حطتكم [illegible] انا مدينة العلم وعلي بابها
عن الحسن بن محمد العسكري [illegible] مثل اهل بيتي مثل باب حطة [illegible] وامرهم ان يسجدوا [illegible]
ويجلوا [illegible] على انفسهم [illegible] فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون قيل الرجز بكسر الراء العذاب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجس لان الرجس النتن [illegible]
ان الرجز والرجس معناهما واحد [illegible] فالرجز يجيء بمعنى العذاب كما في قوله ولما وقع عليهم الرجز بمعنى العقوبة
[illegible] كشفت عنا الرجز وقد يجيء بمعنى الرجس كما في قوله ليذهب عنكم رجز الشيطان وهو نجاسة معنوية [illegible]
[illegible] والرجز في الآية [illegible] الامر [illegible] والاستغفار فلم يقولوا قولا دالا
على التوبة [illegible] من اغراض الدنيا ودواعي النفس والهوى [illegible] فاستحقوا العذاب فانزلنا عليهم العقوبة من
السماء بظلمهم وفسقهم [illegible] بلفظ بعينه وهو لفظ آخر وذلك [illegible] باللفظ آخر يفيد
هذا المعنى [illegible] والعذاب [illegible] لو قالوا مكان لفظ
حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اغفر لنا ذنوبنا او اعف عنا سيئاتنا وما يجري مجراه واختلف في ذلك [illegible]
[illegible] قالوا بالسريانية هطا سمقاثا [illegible] محمد العسكري [illegible] وقالوا هطا سمقاثا
اي حنطة حمراء [illegible] هذا القول وهذا الامر [illegible] وقيل كانوا قد امروا
ان يدخلوا [illegible] الباب [illegible] وهم من التابعين

من يحتج بهذه الآية على وجوب التوقيف في الادعية الواردة وعدم تبديلها بلفظ آخر والجواب انهم انما استحقوا العذاب
لتبديلهم القول الى قول آخر مضاد [illegible] انما استحقوا العذاب [illegible] بلفظ آخر مع بقاء المعنى لم يكن
الآية استحقاقا للذم فصل واعلم ان ههنا سؤالات الاول لم قال في سورة البقرة واذ قلنا وقال في الاعراف
واذ قيل لهم الثاني لم قال ههنا واذ قلنا ادخلوا وفي الاعراف اسكنوا الثالث لم قال ههنا فكلوا بالفاء وفي الاعراف وكلوا
الرابع لم قال ههنا نغفر لكم خطاياكم وفي الاعراف نغفر لكم خطيئاتكم والخامس لم ذكر قوله رغدا ههنا وحذفه هناك
السادس لم ذكر ههنا ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف قدم المؤخر لم قال ههنا وسنزيد المحسنين مع
الواو وفي الاعراف بلا واو الثامن لم قال ههنا فبدل الذين ظلموا منهم قولا وفي الاعراف بدون لفظ منهم التاسع
لم قال ههنا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء وفي الاعراف فارسلنا عليهم العاشر لم قال ههنا
بما كانوا يفسقون وفي الاعراف بما كانوا يظلمون والجواب عن الاول ان الله تعالى صرح في اول القرآن بان قائل هذا القول
هو الله ازالة للابهام ولانه ذكر في اول الكلام اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فالمناسب بهذا المقام ان يقول
واذ قلنا واما في الاعراف فلا يبقى ابهام هناك بعد التصريح المتقدم وعن الثاني ان الدخول مقدم على السكنى
ولا بد منه فذكر الدخول في السورة المتقدمة والسكون في المتأخرة وعن الثالث ان كل فعل عطف على شيء وكان
الفعل بمنزلة الجزاء وذلك الشيء بمنزلة الشرط عطف بالفاء دون الواو واما اذا لم يكن مشروطا به فعطف بالواو
ولما كان الاكل منها قبل الدخول فيها مشروطا بالدخول وبعده لا غير مشروط به وتركنا ان يكون فيها الا جرم اشتغاد
بالمنصبين تارة عطف بالفاء وتارة بالواو كما في قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها كما عطف في البقرة
بالواو وفي الاعراف بالفاء قال اسكن [illegible] دخل دار اقراره [illegible]
وعن الرابع ان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع القلة [illegible] في البقرة الى نفسه [illegible]
[illegible] وعن الخامس [illegible] الواو والجمع المطلق والمخاطبون يحتمل ان يكون بعضهم مذنبين وبعضهم غير مذنبين
والمذنب [illegible] ان يكون [illegible] الذنب [illegible] على اشتغاله بالعبادة لان التخلية مقدمة على التحلية فلا
كلف المذنبين بان يقولوا اولا حطة ثم يدخلوا الباب سجدا واما غير المذنب فالاولى به ان يشتغل بالعبادة
[illegible] ولا ويقول حطة ثانيا فلما احتمل كون اولئك المخاطبين على هذين النوعين لا جرم ذكر حكم كل منهما
[illegible] ههنا امران التوبة والعبادة اعني مفادي لفظي السجدة والحطة وذكر بازائهما جزائين المغفرة
والزيادة فقوله نغفر لكم خطاياكم بازاء التوبة وقوله وسنزيد المحسنين بازاء العبادة التي هي الحطة السجدة فترك الواو
يفيد كون كل واحد من الجزائين متوزعا على واحد من الشرطين كما في الاعراف وايرادها يفيد كون المجموع جزاء واحد
[illegible] في الاعراف [illegible] من قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون فعلم ان منهم من هو على هذه الصفة فلا عن وصف بعامر عليهم [illegible] القصة بدل الذين ظلموا
منهم فذكر لفظ من التبعيض كما ذكره في اول القصة ليكون الآخر مطابقا للاول فيكون [illegible] غير الظالمين
منهم وههنا لم يذكره في الآيات السابقة ما يدل على التخصيص ولم يذكر الا منهم [illegible] فلا حاجة الى هذا التبعيض وعن السابع
ان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر دفعة والارسال يفيد الدوام والاستمرار ويشير الى الاستيلاء عليهم والسلطنة

الموجبة لاستيفائهم بالاجزاء قوله جل اسمه واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي استسقانا لما اصابهم العطش في التيه وقيل استسقى
وقيل سقيه والفته على الماء وعلى عصى وعصوات وثلاثة اعص جمع عصى بكسر العين والصاد وتشديد الياء والانفجار
الانشقاق والانبجاس انبعث منه والعين من الاسماء المشتركة وبعضها يكون استعماله في بعض المعاني بسبيل المجاز في التشبيه
فالعين في الحيوان مشبهة بالعين في الماء في خروج الدمع منها كخروج الماء وبالعين في الشمس في خروج الشعاع منها والاثنا
جمع لا واحد له من لفظه ولا تعثوا اي لا تفسدوا ولا تطغوا وقرئ اثنتا عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان او الاولى لغة
اهل الحجاز تكلت القراء السبعة باجمعهم على اسكان الشين لان الخفة والمعنى اذكروا نعمة اخرى انعمها الله عليكم مضافة
الى النعم السابقة وهي النعمة التاسعة منتجة على بني اسرائيل جامعة للنشأتين اما الدنيا فلشدة
حاجتهم الى الماء عند العطش في التيه واما الاخرة فلكونها من اظهر الدلائل على وجود صانع عليم حكيم رؤف وعلى صدق
نبيهم موسى ع اذ استسقى موسى اي سال الله ان يسقي قومه ماء وذلك في الحال التي هم في التيه فشكوا اليه الظما فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك الحجر وهو عصاه المعروف وكان من آس الجنة دفعه اليه شعيب وكان آدم ع حمله من الجنة معه
الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة نورا وضرب الحجر فانفلق وهو الذي
شعبتانا واللام في الحجر اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم اذ روي انه حجر طوري
حمله معه وكان مربعا له اربعة اوجه ينبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى ذلك السبط وكانوا
لا يحملون ثقلا له الا وجدوا ذلك الحجر منهم في المنزل الاول وقيل اهبطه آدم ع من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب
فدفعه الى موسى ع مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال جبرئيل يقول
الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما الجنس اي اضرب الشيء الذي
يقال له الحجر وعن الحسن لم يؤمر ان يضرب حجرا بعينه اي وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته وحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك واختلفوا في صفته
فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقوله فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما في قوله فتاب عليكم وهي على هذا التقدير فاء فصيحة ولا منافاة بين قوله فانفجرت منه
وبين قوله فانبجست في سورة الاعراف لان الانبجاس هو خروج الماء قليلا والانفجار خروجه كثيرا وقيل لا يمنع ان يكون اول
ما تضرب عليه العصا كان ينبجس الماء ثم يكثر حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان
ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع وقوله قد علم كل اناس مشربهم اي علم كل سبط وكل فرقة منهم موضع شربهم وانما علموا
ذلك لانه كان بازاء كل عين جدول لسبط من الاسباط ولا يبعد كون كل جدول منقسما الى جداول صغار بحسب تعدد
البطون والفرق الداخلة تحت كل سبط وكون كل انسان مأمورا بان لا يشرب الا من جدول معين لئلا
يقع بينهم التشاح والتنازع واما اضافة المشرب اليهم فانما كان مباح الاصل وقد عين لكل سبط وطائفة
ما ظهر من الشق الذي يليه والجدول الذي يخصه صار ذلك كالملك فصحت الاضافة اليهم وقوله تعم كلوا واشربوا

على

على ارادة القول اي قلنا لهم او قال موسى لهم وفي الكلام حذف اي كلوا من المن والسلوى واشربوا من ماء العيون او المراد
كلوا مما يتكون من الماء من الاغذية وما ينبت من الارض من جهة سقي الماء فانه لما انعم الله عليهم باخراج العيون
فقد انعم عليهم بالماكل الحاصلة منها وهذه الاية حجة للمعتزلة على ان الرزق هو الحلال لان الله امر بالاكل من الرزق
من الله وهذا الامر ان لم يكن للوجوب فلا اقل للاباحة فلو تحقق رزق حرام لزم كونه مباحا وحراما وهذا محال وقوله
لا تعثوا اي لا تمادوا ولا تعتدوا حال افسادكم لان العثي يشمل الافساد فصل في البحث العقلي القائل الذي يقول كيف يخرج
ذلك الماء الكثير من ذلك الحجر الصغير والجواب ان الله قادر على جميع الممكنات وذلك من آيات الله والاعاجيب الظاهرة الدالة
على صدق انبيائه ورسله ع لكونها معجزة لهم لوقوعها عند سؤالهم فيظهر منها انه قادر وانه هو المنشئ للاشياء الفاعل
لما يشاء الذي يسند اليه الاشياء ويسبب له الاسباب فلا عجب من ظهور امور غريبة في بعض الازمنة دالة على بدائع صنعه
وغرائب حكمته وصدق انبيائه ومثل هذا الامر الغريب بل اغرب واعجب منه قد وقع من نبينا ص في بعض الغزوات وقد عاف
بهم الماء فوضع في ميضاة فنبع الماء بين اصابعه حتى استقوا وانما قلنا هذه المعجزة اعظم غرابة من معجزة موسى ع
لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة بخلاف نبوعه من الاصابع فمن انكر امثال ذلك من الملاحدة والدهرية الذين ما عرفوا
الصانع العالم بالكليات والجزئيات وما قدروه حق قدره فالكلام معهم انما يكون في اصل اثبات الصانع وعلمه وقدرته
وشمول علمه لجميع المعلومات وسعة قدرته لجميع المقدورات ولا معنى للتشاغل معهم في الفروع بعد ما خالفوا في الاصول فلنتكلم
في امكان هذا الامر اذ المحال لا يكون مقدورا لانه لا شيئية ولا ذات له حتى يكون مقدورا فنقول هيهنا اربعة شقوق
احدها وجود ذلك الماء العظيم مع عظمه في باطن الحجر والثاني وجوده فيه مع تداخل اجزاء بعضها في بعض والثالث تكونه
فيه شيئا فشيئا وخروجه منه على التدريج والرابع تكونه لا من اسباب طبيعية وعلل جسمانية بل من اسباب نفسانية
وتصورات وهمية والشقان الاوليان باطلان والاخيران جائزان اما بطلان الشق الاول فلكون ذلك الماء
عظيما متمكنا في ذلك الحجر لان الظرف الصغير لا يحوي الجسم العظيم لاستلزامه ان يكون
الكل اعظم من جزئه وهو محال واما بطلان كونه موجودا فيه على نحو التداخل فللدلائل الدالة على استحالة التداخل
على وجه التضاعف واما امكان الشق الثالث فلان مادة العناصر قابلة لان يتكون منها الصور المتنافية
على التعاقب فيجوز ان يستحيل بعض اجزاء الحجر ماء وينقلب الهواء المجاور له الى الماء بعد نفوذه اليه من المسامات
الضيقة كما يجتمع قطرات الماء على الطاس المكبوب على الجمد بسبب انقلاب الهواء الى الماء
بدله لاجل برودة الاناء واما امكان الشق الرابع فلما بين في موضعه من تأثيرات النفوس القوية في مادة الكائنات بتصويرها
ايه صورة ارادوا لا من اسباب طبيعية واستعداد مادي بل بمجرد انشاء اختراعي
وحقق في مسائل النبوات ومن اعتبر احوال نفسه وبرهان عليه دفع هذا الاستبعاد فان من شأن مادة بدنها
وتكون فيها الحوادث الكونية من وجهين احدهما على مجرى الامور الطبيعية فيكون فيه امر من اسباب قبل اسباب
في مادة قبل مادة وثانيهما على سياق آخر غير مجرى الطبيعة بل من جهة فاعلية وتصور نفساني يؤثر في مادة البدن كالغضب
الشديد وهو تصور نفساني يؤثر في تسخين البدن وتحليل الرطوبات الى الاخلاط وكالخوف فانه يحدث برودة
في الاعضاء وربما يبطل بسبب الحرارة الغريزية وكالشهوة فانها تحدث ريحا

قياس نفس العالم الكبير عند بعض فان قلت كيف يكون الشيء الواحد وهو وجود الجسم العظيم في المكان الصغير مستحيلا مع ما روى
محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله في كتاب التوحيد باسناده المتصل انه جاء رجل الى الرضا عليه السلام فقال هل يقدر ربك ان يجعل السموات والارض
وما بينهما في بيضة قال نعم وفي اصغر من البيضة قد جعلها كلها في عينك وهي اقل من البيضة لانك اذا فتحتها عاينت السماء والارض
ولو شاء لاعماك عنها وروى ايضا محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله حديثا في ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام عن سؤال عبد الله الديصاني مثله قلت لا
بين ما ذكرنا وبين المروي عنهم عليهم السلام فان كون الاجسام في المشاعر والمرائي نحو آخر من الوجود والذي حكمنا بامتناعه هو وجود
العظيم في الصغير في نشأة واحدة فان وجود العظيم في الصغير في نشأة واحدة فان وجود الاجسام في المشاعر الادراكية
وجود ادراكي يختص ظهورها بالمدرك لها دون غيره بخلاف وجود الاجسام في موادها الكونية وتحقيق هذا المقام
يفتقر الى تحقيق حضور النفس واحوالها وكيفية علم النفس بالاشياء الخارجة عن ذاتها ومن جملتها كيفية الابصار سيما على الوجه
الذي حققناه موافقا للشواهد السمعية من الكتاب والسنة وتحقيقنا لمسألة المعاد وحشر الاجساد فهو من اعجب من ظهور قدرة
الله وعجائب صنعه علينا وسيأتي ذكره عند كلامنا في تفسير آيات المعاد والذي يدل على صحة ما حملنا الروايتين المذكورتين عليه ما رواه
ابن بابويه ايضا في الكتاب المذكور وسئل ابو عبد الله عليه السلام قال قيل لامير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان
يصغر الدنيا او يكبر البيضة فقال ان الله تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز والذي سألتني لا يكون
ذلك القائل ممتنع بالمحال غير مقدور وبين الروايتين تدافع وحملت الاحاديث المتنافية يكون بعضها ناقض بعض العصمة
وروى ايضا خبرا مسندا عن ابي عبد الله عليه السلام انه جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال ايقدر الله ان يدخل الارض في بيضة ولا يصغر الارض ولا
يكبر البيضة فقال له ويلك ان الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر ممن يلطف الارض ويعظم البيضة فدلت هذه الرواية على ان حصول العظيم
في الصغير في نشأة الدنيا لا يمكن الا بان يصغر العظيم بالتكاثف ويعظم الصغير بالتخلخل او ان يصير الارض الى حد يكون مقدارها
اقل من البيضة او تعظم البيضة الى حد يكون مقدارها اكبر من الارض عناية القدرة ليس كتفلسف ان يمنع تكون الماء العظيم
من ذلك الحجر في مقدار من الزمان ... ما يرى ان الارض ... معين ممزوج ... بالارتفاعات
يتكون من الارض على النعاقب من انواع الانسان وغيره من الحيوانات والنباتات فلا يمكن حصرها وعدها سيما على مذهب من قدم العالم
وتسرمد الانواع المتوالدة وعدم تناهي افرادها في الجانبين ... نسبة ما يتكون من الحجر الى الحجر في جنب ما يتكون من الارض
الى الارض فان قلت قال الله تعالى ما يتكون من الارض من المواليد ... فان خروج جنسها وانجذابها اليها ادعى ...
فلا ينقص مقدارها قلنا وههنا ايضا مثل ما ذكرت على ان الاول ... ذكره النفسر الكبير وجوه ... الله تعالى ... على الاعجاز
احدها انفجار الماء من الحجر وثانيها خروج الماء العظيم من الحجر الصغير وثالثها خروجه بقدر حاجتهم ورابعها خروجه عند ضرب العصي
وخامسها انقطاعه عند الاستغناء فكان من اعظم الدلائل على قدرة الله وحكمته وصدق موسى في رسالته قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير
الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قرأ اهل المدينة بالهمزة والباقون بغير الهمزة والطعام ما يتغذى به والطعم ضد الطلاوة
من الكيفيات المحسوسة بحاسة الذوق والمراد من تلك الكيفيات الملائمة بالمحسوسات هي الموجودة في الخارج واما التي وجدت
منها في المشاعر وصورها المطابقة لها فهي بحسب ذلك الوجود الصوري ليست عندنا داخلة في هذا الجنس من الكيفيات النفسانية

كالشهوة والغضب والارادة والكراهة والعلم والجهل وفي ذلك سر المعاد وحشر الاجساد فان لهذه الموجودات واشكالها
ومقاديرها والوانها وطعومها وروائحها واضواءها وجودا في عالم النفس غير هذا الوجود المادي الدنيوي الدائر الفاني
والدعاء اصله النداء ويستعمل في قول القائل لمن فوقه افعل كذا والانبات اخراج النبات لكن القدر لا يأمر بهذا الفعل الكلي
بعض الملائكة الارضية بعد استخدام الملائكة السماوية والبقل ما ينبت في الربيع من الخضروات التي ليس لها ساق
بقلت الارض وابقلت وهما لغتان فصيحتان والقثاء فيها لغتان ضم القاف وكسرها والثاني اجود لانه لغة القرآن وقرئ
في الشواذ بالضم والفوم الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقال الفراء والازهري
هي الحنطة والخبز في لغة العرب فوموا لنا اي اخبزوا لنا وقال قوم هو الحبوب التي تخبز وقال الكسائي هو الثوم ابدلت الفاء
ثاء قال الفراء هذا اشبه بما ذكره بعده من البصل وقال الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم وقال الطبرسي
وهو ضعيف لانه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن مسعود وابن عباس وثومها وفي تبادل الاثنين روي عن قراءة
ثومها لوجهها الا انه يعطي كونهما مترادفين قطعا وقوله ادنى اي اقرب واردون فيكون من الدنو ويجوز ان يكون من الدناءة
بمعنى الخسة والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقد يراد به العلم وتثنيته مصران وجمعه امصار
وقيل اصله مصر اسم باليابس فوقه وضربت عليهم الذلة اي فرضت ووضعت والزموها كما في قولهم ضرب الامام الجزية على اهل الذمة
الزمهم وضرب الامير على الرعية الخراج والمسكنة مصدر المسكين وهي الفاقة والحاجة وباؤا بغضب من الله اي انصرفوا ورجعوا
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل لمثله وانما تركوا مكانا كانوا فيه وانصرفوا احقاء بغضب وبه يستعمل الا بالشر
ومعنى يخرج من يب الخفض ارتفع ومنقول عن النقب بمعنى الطريق والكل مناسب لمعنى العرق وهو انسان مبعوث من الله لعباده
كالنبي مخبر عن الله تعالى عباده وهو طريق الى وصول الحق من حيث اللفظ والمعنى واذ قال السلام لكم يا بني اسرائيل بعدما انعمت عليهم
والاحسان التي منها المن والسلوى وهما من الاطعمة اللذيذة قال الامر بيوه لاختبار وكفران النعمة يا موسى لن نصبر على طعام واحد
في التيه وهما وان كانا اثنين لكن وجدانهما ابدا على دوام سد رمقهما واختلافهما كقولهم ما الا امر واحد اي لا يختلف الوانها
وان كانت الوانها كثيرة ولذلك سموا والمراد انهما من قبيل واحد فانهما معا من طعام اهل التلذذ والمترفين ونحن قوم فلاحون
اهل زراعة لا نريد الا ما الفنا فادع اي فاسأل ربك لاجلنا يخرج اي يوجد ويظهر ما تنبت من الخضروات فقال لهم وقال الحق
اتستبدلون الذي هو اقرب منزلة وادون قدرا وادنى وجودا بالذي هو خير منزلة واعلى قدرا واعز وجودا وارادوا انستبدلون الادون
بلا من الافضل اهبطوا مصرا من الامصار وقرئ بضم الباء اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزله وهبط منه اذا خرج
التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يراد به العلم وانما صرفه لاجتماع السببين
وانما صرف مع سكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان يراد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر واختلفوا في قوله اهبطوا مصرا فروي عن ابن مسعود وابي بن كعب
التنوين وقال الحسن الالف في مصر زيادة من الكاتب فيكون معرفة فيجب ان يحمل على ما هو المختص بهذا الاسم وهو البلد الذي
الذي كان فيه فرعون واما الذين قرأوا بالتنوين فقد اختلفوا فمنهم من قال البلد الذي كان فيه فرعون وانكره ابو مسلم
وقال الآخرون اي بلد كان فان لكم الذي سألتم من هذه الامور وجملة الامصار اشارة قد تقرر بان العقل استبدال المحتدى
ومن ههنا ايضا يعلم ان القرآن الا ما ذكرنا د ... العجل وكونهم اربعين سنة في التيه وكون ابدانهم قابلة لان يفرض

منها اجزاؤها بالمقاريض من غير ان يخرج لضخامة ابدانهم وكون اقواتهم كالحلو وكانت تعرض بزيادة تقدمهم غير ذلك
كان خارجة في المزاج عن ضد المزاج الانساني التي نشأ عليها ابدانهم فكانت طباعهم غريبة الشبه من طبايع الانسان [illegible]
كالغذي منها ما ينبت من الارض من قثوها الاغذية وكثافتها ونخالتها كالعدس والثوم لا من لينها ولطافتها كالحبوب والفواكه
والموزونات والحلاوات التي تختص بالتغذية بها الانسان دون غيره من الحيوانات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى في تشبيههم بالجماد
مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فصل واختلف في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية
لان الاول كان مباحا فسألوا تبديله بمباح آخر وقيل بل كان معصية لانهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم وهذا
اوجه من ترجيح الاول بانه لو كان سؤال معصية لما كان الاجابة الى المعصية وهي غير جائزة على الانبياء عليهم السلام والجواب انه
ان موسى دعا بهم اجابة سؤالهم عند ما ابوا ثباتا اختاره الله لهم لطعام عاجل ما املوا [illegible]
ثم اختلفوا في ان الامر في قوله اهبطوا للوجوب او للندب او للتخيير والظاهر انه للتعجيز ولا باحة يعني ان
على ما هو خير لكم اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم يوجد في الامصار وانما قوله وضربت عليهم الذلة اي صارت محيطة بهم مشتملة
كالقبة المضروبة على من ضربت عليه او [illegible] ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ولاجل هذا لا يكون اليهود الا اذلاء اهل مسكنة
وخسة اما في الحقيقة واما في الظاهر [illegible] ان يضاعف عليهم الجزية [illegible] وهذا من معجزات نبينا
لانه اخبر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم ووقع الامر على طبق ما اخبر وكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا وفي الاية
دلالة على فضيلة الاغنياء على الفقراء لانه [illegible] على الفقر [illegible] لان المراد منه [illegible] الذل وفقر القلب وهوان
النفس لان كثيرا ما يوجد في اليهود مياسير ومتمولين ولكن لا يوجد يهودي غني القلب [illegible] الغنى غنى النفس
وباؤا بغضب من الله اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله [illegible] ووجب عليهم الغضب وحل بهم السخط لكونهم [illegible]
فبكل الله اليهود بالعزة لا بالنعمة بؤسا وبلاء [illegible] غضبا عليهم جزاء بما كفروا بآيات الله وقتلوا الانبياء وكفرهم بآيات الله
عن جحودهم حجج الله [illegible] انكارهم ما راوا من الدلائل الباهرة والشواهد الظاهرة وقيل اراد بآيات الله ما في التوراة
والقرآن وقيل آيات الله صفته [illegible] وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما فصل في هذه الاية اسئلة
احدها وهو تقييد القتل بكونه بغير الحق وقتل النبي لا يكون الا بغير الحق والجواب من وجهين الاول ان هذا خرج مخرج الصفة اللازمة
اشعارا باللزوم كما في قوله ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه برهان وامثاله كثيرة في كلام
العرب والثاني ان الاتيان بالباطل قد يكون الحق [illegible] اعتقاد الاتي [illegible]
بكونه باطلا ولا شك ان هذا القسم قبيح وثانيها قوله يكفرون [illegible] قتل الانبياء فلم اعاد ذكره مرة اخرى والجواب ان الكفر بآيات الله
معناه هو الجهل بها والجحود [illegible] قتل الانبياء وثالثها كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء
والجواب انه جاز ذلك لينال الانبياء [illegible] رفيع الدرجات وسني المقامات [illegible] وليس في ذلك [illegible]
التخلية بين المؤمنين والاولياء وبين قاتليهم ليست بخذلان لهم [illegible] في هذه الاية [illegible]
وهو قوله ويقتلون النبيين بغير حق [illegible]
[illegible]
[illegible]

الذلة والمسكنة لاجل عصيانهم واعتدائهم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قيل المراد اعتداؤهم في قتل الانبياء فهو تاكيد لتكرير الشيء بغير لفظه الاول
وهو كقول الرجل لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سابقة فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري وهذا يحمل
على هذا كذا فيعد عليه ذنوبه المختلفة او يعد عليه ذنوبه بالفاظ مختلفة تبكيتا ومعنى الاعتداء ههنا الظلم والتجاوز
الى الباطل نكتة واعلم ان درجات المعصية متفاوتة اقواها الكفر بالله ويليه الكفر برسله وانبيائه ويليه الظلم
احد على نفسه ويليه الظلم على غيره فاعلم انه لما ذكر سبحانه انزال العقوبة بهم بين سببه فقال اولا بما فعلوه في حق الله
وهو جهلهم بآياته وكفرهم بنعمه ثم ثنى بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلث بما كان يصدر منهم من المعاصي التي تخصهم ثم
ربع ذلك بما يصدر منهم من المعاصي المتعدية الى الغير مثل الاعتداء في السبت وغيره وذلك في غاية حسن الترتيب قوله جل اسمه ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون هادوا
بضم الدال وقرئ بالفتح والقراءة المشهورة في الصابئين وكذا الصابئون باثبات الهمزة في كل القرآن وعن نافع والزهري بترك الهمزة
جمع صابئ [illegible] فيهما وترك الهمزة يحتمل وجهين احدهما ان يكون من صبا يصبو اي مال الى الشيء والاخر قلب الهمزة ياء او
الهمزة اولى لانها قراءة الاكثر [illegible] لان اهل العلم قالوا الصابئ هو الخارج من دين الى دين لم يشرع له [illegible]
بغير الهمزة فيحمل على قلب الهمزة واختلف في اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من الهود اي التوبة لتوبتهم عن عبادة العجل وقيل انما
سموا بذلك لانتسابهم الى يهوذا اكبر اولاد يعقوب وقيل لانهم هادوا اي مالوا عن دين الاسلام وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة
التوراة ويقولون ان السماوات والارض تحركت حين آتى الله موسى التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنج والزنجي والنصارى
جمع نصران كسكران وسكارى [illegible] نصرانة والياء للمبالغة واختلفوا في اشتقاقه فعن ابن عباس وهو من ناصرة قرية كان ينزلها
عيسى وقيل انما سموا بذلك لقوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع الصابئ وهو من انتقل من دين الى دين
اخر [illegible] صبا ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع وصبأت عليهم اذا طلعت عليهم وطرأت
مثله ومعنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابئ على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها لانهم تركوا دين التوحيد
الى عبادة روحانيات النجوم وملائكة السماوات او تعظيمها وجعلها وسائل وشفعاء لهم الى الله قال قتادة وهم قوم [illegible]
مذهب [illegible] دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع والمعاد وببعض الانبياء وقال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس
لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقرؤون الزبور [illegible] الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب
[illegible] انهم على دين نوح [illegible] الفقهاء يجيزون اخذ الجزية [illegible] اصحابنا الامامية لا يجوز ذلك لانهم ليسوا اهل كتاب
المعنى واعلم ان من عادة الله الرحيم [illegible] اذا ذكر وعيدا اعقبه بوعد [illegible] عباده من رحمته واذا ذكر آية رحمة اعقبها باية
الخوف [illegible] عباده من مكر الله فههنا لما ذكر احوال الكفرة اهل الكتاب وما نزل بهم من العقوبة اخبر بما وعد المؤمنين [illegible] الثواب
الجزيل والاجر العظيم دالا على انه تعالى [illegible] يجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى فقال ان الذين آمنوا واختلفوا في المراد منهم فقال قوم هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وا
انتظروا خروج محمد ص وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل والبراء [illegible] وابو ذر الغفاري وسلمان
الفارسي وبحيرا الراهب ووفد النجاشي آمنوا بالنبي ص قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم
المؤمنون من هذه الامة وقال السدي هم سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كانوا قد تنصروا على ايديهم قبل مبعث الرسول وكانوا قد

بان سيبعث وانهم يؤمنون به اذا ادركوه وبعد هذا الاحتمال في قوله تعالى في اول الآية من آمن بالله واليوم الاخر
فان ذلك يقتضي ان المراد من الايمان في اول الآية غير المراد به في اخرها ونظير هذه قوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا والاجود ان يكون المراد
في الاول الايمان الظاهري الموقوف بين الامة ومعناه في الثاني هو الايمان الحقيقي الذي هو عبارة عن معرفة الله بجميع صفاته
وافعاله الحكمية ومعرفة اليوم الاخر وحقيقة رجوع الاشياء اليه وحشر الانسان الى الدار الاخرة كل ذلك على وجه اليقين التحقيقي
امر فوق طور [illegible] من قبل الحس [illegible] بالايمان من يتصور هذه الاشياء تصورا حقيقيا [illegible] وجه خاص [illegible] القرآن [illegible] الايمان
بما ذكرنا كقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فالمراد
الحقيقي غير الايمان الظاهري المجازي فعلى هذا الاحتمال [illegible] قوله الذين آمنوا على [illegible] اهل ملة الاسلام [illegible]
ولو ذكر في قوله من آمن بالله واليوم الاخر كان [illegible]
الصابئين ومن المؤمن بالله واليوم الاخر [illegible] الاسلام [illegible]
بهذا [illegible] الحقيقي [illegible] الموصوف [illegible]
الكبير [illegible]
دون [illegible] اليهود والنصارى والصابئين [illegible]
صار [illegible] عند الله بالاجر العظيم ومن هنا يعلم ان [illegible] الانبياء وانزال الكتب هو الايمان بالمبدأ والمعاد
والعمل الصالح حتى لو فرض احد [illegible] الآخر
بالعمل الصالح لكان من [illegible] ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
لان النسخ لا يجوز ان يرد على الخبر الذي هو متضمن للوعد وانما يجوز دخوله في الاحكام الشرعية التي يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة
فالاولى ان يمنع صحة هذا النقل عن ابن عباس وذهب بعضهم الى ان حكم الآية ثابت والمراد بها ان الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا آمنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن آمن في اول
استدعائه الى الايمان من غير نفاق [illegible]
هذه الآية انهم سواء في الاجر والثواب [illegible] قوله بالله تعالى [illegible]
الكمالية وصفاته النعتية وافعاله وحكمته وقوله باليوم الآخر اي بيوم القيامة والبعث والنشور والحساب والكتاب والجنة والنار
وقوله وعمل صالحا اي عملا [illegible] الجنة [illegible] الطاعات والعبادات [illegible]
الصالحة فلهم اجرهم اي جزاؤهم [illegible] وهذا يدل على ان الاجر والثواب من التوابع اللازمة والغايات [illegible]
والعمل الصالح كما ان الآلام والعقاب من لوازم الكفر والمعاصي وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [illegible] لا خوف عليهم فيما قدموا
ولا هم يحزنون على ما خلفوا [illegible]
والاعتقاد [illegible] آمن بالله واليوم الآخر [illegible]
على التأكيد [illegible]
[illegible]
[illegible] الايمان الظاهري [illegible]

وترك

وترك الصلاة والزكوة والحج وغيرها فاذا فعل ذلك صار من جملة المؤمنين لكن الايمان الحقيقي [illegible]
[illegible] واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون الميثاق [illegible]
[illegible] في اللغة [illegible]
[illegible] لام التعريف [illegible] الجبل الذي [illegible]
[illegible]
الكلام في تحقيق هذا المرام [illegible] فلسطين [illegible]
[illegible] والقوة هاهنا بمعنى القدرة وهي في الاصل يقال لمبدأ التغير في شيء آخر من حيث هو شيء آخر سواء كان فعلا او انفعالا
يمكن ان يصدر عن الشيء فعل او انفعال او ان لا يصدر [illegible] الفعل بمعنى الحصول والتحقق [illegible]
[illegible] الضعف [illegible] القوة الفعلية [illegible]
ان اكثر المتكلمين [illegible] الطرفين الفعل والترك [illegible]
[illegible]
[illegible] القوة الفعلية قد يكون مبدأ الوجود وقد يكون مبدأ التغير [illegible]
انما يعنون بالفاعل مبدأ الوجود والطبيعيون يعنون به مبدأ التحريك [illegible]
عن الشيء بالكلية وما هو الا الواحد الذي [illegible] الاشياء [illegible]
الذي جعله الله واسطة [illegible] الاستعدادات [illegible]
المعنى ثم عاد الى خطاب بني اسرائيل بذكر انعامه عليهم وهذا هو الانعام العاشر من الانعامات الواصلة عليهم فقال واذ اخذنا
ميثاقكم اي عهدكم [illegible]
من الدلائل على وجود الصانع وقدرته وحكمته وما نصبه لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على ذلك وعلى صدق الانبياء
والرسل عليهم السلام وهذا النوع من الميثاق اقوى المواثيق والعهود لانها لا تحتمل الخلف والنقض والتبديل بوجه البتة [illegible]
ما الذي اخذه الله على النبيين في قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه [illegible] بالالواح [illegible]
[illegible] حتى نرى الله جهرة [illegible] فاخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احياهم ثم [illegible]
خذوا كتاب الله [illegible] الطور [illegible] وهو الميثاق
وهذه آية باهرة عجيبة توجب الانقياد [illegible]
[illegible]
[illegible]
وهذا [illegible] الجبل [illegible]
[illegible]

عن قول الله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة اي بقوة من الابدان او بقوة القلوب فقال بهما جميعا وقيل الاخذ بالقوة هو العمل بما فيه
وجه الرابع ان الله ميثاق على عباده الاولين حين اخرجهم من ظهر آدم واشهدهم على انفسهم [illegible]
الانبياء والمراد هاهنا هو هذا العهد وهو قول ابن عباس وعلى هذا يكون التلاوة قوله ورفعنا فوقكم الطور للعطف على [illegible]
المحال قال القفال انما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم لانه اراد به الدلالة على ان ميثاق كل واحد [illegible]
جرم كان كله ميثاقا واحدا ولو قيل مواثيقكم لاشتبه ان يكون هناك مواثيق مختلفة [illegible] على احد وقوله واذكروا
ما فيه يعود الى الموصول يعني التوراة اي احفظوا ما في التوراة [illegible] من احكام الحلال والحرام ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه [illegible]
هلا حملتموه على معنى اصل الذكر قلنا لان الذكر الذي هو ضد النسيان [illegible] ليس بارادة العبد فكيف يجوز الامر به [illegible]
على المذاكرة والمدارسة والمحافظة عليه فصل [illegible] المتعلقة [illegible] وقوع مثل الجبل ونحوه من الاثقال [illegible]
دعامة ولا عماد واما مثل الحيات والصواعق [illegible] فظاهر [illegible]
تقاوم [illegible] فيمكن وقوفها [illegible] في الهواء وكذا الارض معلقة في الهواء [illegible]
ثقل [illegible] الجبل في الهواء [illegible] احدها ان [illegible]
الثقيل في الهواء [illegible] اما ذكرتم من [illegible]
[illegible] النفوس [illegible]
الوقوف [illegible] نفسانية [illegible]
النفوس [illegible] العالية [illegible] هذا العالم [illegible] النفوس الضعيفة [illegible]
بقوة [illegible] الجبل [illegible] احدهما [illegible]
واستعداد [illegible]
بحسب الظاهر [illegible] وجهين [illegible]
ان تحدث [illegible] وهذا على سبيل الندرة [illegible] الكهنة [illegible]
[illegible] الاجسام [illegible] على النفوس [illegible]
[illegible] هذا الباب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وهؤلاء [illegible]
المتعلقة والحكايات في هذا الباب كثيرة [illegible]
[illegible]
[illegible]

الث

للاخفى تغير [illegible] قوله عز اسمه ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين
هذه الاية من ارجى الايات [illegible] دلالة على [illegible] وتجاوزه عن سيئات عباده العاصين لان وقوع قوله فلولا
عقيب ذكر هذه القبائح الشنيعة والاثام [illegible] كعبادة العجل [illegible] وجحود النبوة وانكار المعجزات الجليلة [illegible]
الميثاق المؤكد من قبل الله [illegible] بل [illegible] وقال القفال [illegible] في الجملة انهم [illegible]
وتركوا العمل بها [illegible] كثيرة [illegible] التوراة وقتل الانبياء [illegible]
[illegible]
في عسكرهم ذلك حتى انخسفت الارض ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التوراة [illegible]
[illegible]
[illegible]
وقد ذكرها [illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته [illegible] الآيات [illegible]
في الدنيا والآخرة [illegible] فضله ورحمته امهلكم [illegible] الى التوبة [illegible] لعلكم [illegible] معناه ولولا
[illegible] الميثاق الذي [illegible] العهد الذي [illegible] الطور [illegible]
بالاسلام ورحمته التي [illegible] وقال ابو العالية فضل الله الاسلام
القرآن فيكون معناه لولا [illegible] على الايمان [illegible] لكنتم من الخاسرين [illegible]
الجبل فوقكم [illegible] وسقوط الجبل عليكم لكنتم من الخاسرين [illegible]
[illegible] ثم توليتم من بعد ذلك [illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته
[illegible] اي لولا لطف الله بكم [illegible] رفع الجبل [illegible]
[illegible] الاصول العقلية [illegible] الرحمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
ان [illegible]
[illegible] اللطف والرحمة [illegible]
[illegible]
[illegible]
على انه لا يفيد [illegible]
والذي [illegible]
اجمعين لا تبديل لسنة الله [illegible]
[illegible]
[illegible] التوراة واحد [illegible]

وقد يراد بها

فى المؤمن ابيض من الحجر وقلب الكافر اسود واكدر ولفظ الجود واللطف والكرم وما يجرى مجراها قد يراد بها ما عند الفاعل
ما عند القابل والذى عند الفاعل واحد لا يختلف والذى عند القوابل مختلفة فمن قال ان لطف الله شامل للمؤمن والكافر
اراد به انه لا يمسك من جوده وتودد لطفه على احد ولم يرد ان لطفه واصل حاصل عندهما فى ذلك لا يمتنع به لان ذلك
كما انه يقال ان ضوء الشمس موجود فى سطح من الارض ولكن لم يستضئ به وان حرارة النار موجودة فى جسم كذا ولكن لم يسخن
ولا يتاثر لبطلانه من فكذا ما نحن فيه ان فعل الخير يبذل واكرمه فاء فيه واللطف شامل لا ترى الى قوله انك لا تهدى من
احببت مع ان شانه الهداية انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء انك لا تسمع من فى القبور ومع ان شانه الاسماع
قوله جل اسمه ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اعتدوا اى ظلموا وجاوزوا ما حد لهم
والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر يسمى به ذلك اليوم وقال ابو عبيدة سمى بذلك لانه سبت
به خلق كل شئ اى قطع وفرغ وقال قوم انما سمى بذلك لان اليهود يسبتون فيه اى يقطعون فيه الاعمال وقال آخرون
سمى بذلك لما لهم فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للنائم مسبوت
لاستراحته وسكون جسده والخاسئ البعيد المطرود ويقال للكلب اذا دنا اخسأ اى تباعد وانظر وصاغرا وفى الكلام
فيه حذف ومضاف كائنة اى لقد علمتم اعتداء من اعتدوا فى السبت لم يكون المذكور من العقوبة جزاء الاعتداء لان الجزاء
لا يكون الفعل الا للذات وحقيقة الاعتداء غير مذكورة ههنا والذى يدل عليه اللفظ ههنا انه كان امر من تاصله
فى السبت وتفصيله مذكور فى قوله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية وروى عن ابن عباس ان هؤلاء القوم
كانوا فى زمن داود عليه السلام باحل من سواحل البحرين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض فى شهر من السنة
حتى لا يرى الماء لكثرتها وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان
تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم فى السبت ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم
خائفون من العقوبة فلما طال العهد عليهم ونشأت الابناء فقالت جماعة الاباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل
المدينة الذين كرهوا الصيد فى السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله الا خيرا فقيل
لهم لا تغتروا فربما نزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا كذلك ثلثة ايام ثم هلكوا وفى الخوض
من ذكر هذه القصة والله اعلم اعلام ان تحدثهم انها معجزة رسول الله صلعم لانه لم يخالط القوم ولم يقرأ الكتب فدل ذلك
على انه عرف من الوحى والثانى الانذار والتخويف لسائر ليصيرهم احد الاهمال والتاخير فانه ان العقوبة وقوله قردة
خاسئين كما لصاحب الكشاف وهما خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد وعن ابن عباس
ايضا وكانوا اسبعا ودون ثلثة ايام لم ياكلوا ولم يشربوا فاهلكهم الله فجاءت ريح وهبت بهم والقتهم فى الماء وعن ابن عباس
وما مسخ الله امة الا اهلكها فهذه القردة ليست من نسل اولئك الممسوخين واجماع المسلمين على انه ليس فى القردة
والخنازير من هو من اولاد آدم ولو كانت من اولاد الممسوخين لكانت من بنى آدم خلافا لاهل التناسخ فانهم جعلوا ان جميع الحيوانات
كالكلب والخنزير والقردة انما هو من اولاد الانسان الممسوخين ومنهم من زعم ان جميع الحيوانات نشأت من الانسان قالوا انه
لا بد لكل نفس تعلقت بالبدن انسان فان استكملت بالعلم والعمل تجردت الى عالم الملكوت والا انتقلت
الى بدن حيوان يناسبه فى الخلق وترددت فى الابدان الى ان يزول عنها الهيئات فيخلص الى ذلك العالم فصل اعلم ان

المعنى الثانى

ان الامر من الله على ضربين تشريعى وهو المعروف كقوله كونوا مع الصادقين وتكوينى كقوله كن فيكون المراد ههنا هو التكوين
لانهم ما كانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم على صورة القردة فيكون امرا تكوينيا ومن هذا القبيل كلمة الله
القاها وقد يكون ذا الجوهر كقوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقد مر فى المفاتيح تحقيق الكلمة وكلامه
بما لا مزيد عليه فتصل وههنا بحث عقلى وهو ان التناسخ ممتنع بالبراهين القطعية كما قرر فى الكتب الحكمية فههنا
ان كانت النفس باقية والصورة متبدلة فهو بعينه التناسخ وهو ممتنع كما عرفت وان كان الشخص الذى كان انسانا
قد عدم ووجد شخص من القردة فكان اهلاكا للبعض من الناس واحداثا للبعض من القردة وقد يدفع الاشكال
بما روى عن مجاهد انه قال مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
ان يقول للاستاذ للمتعلم البليد الذى لا ينجح فيه تعليمه كن حمارا واحتج على امتناعه بامرين الاول ان الانسان هو هذا
المشاهد والبنية المخصوصة المحسوسة فاذا ابطلها الله وخلق فى تلك الاجسام تركيب القرد وشكله كان ذلك اعداما
للانسان وايجادا للقرد وكان حاصل المسخ على هذا اعدام الاعراض التى باعتبارها كانت تلك الاجسام انسانا وبالجملة يكون
اعداما وايجادا ولا يكون مسخا والثانى لو جاز ذلك لما امنا فى كل ما نراه قردا او كلبا او حمارا انه كان انسانا
عاقلا وذلك يفضى الى الشك فى المشاهدات وكلا الوجهين فى غاية السخافة ولا يوضح بهما امكان التناسخ اما الاول
فلان الانسان ليس عبارة عن الهيكل المحسوس اذ كثيرا ما يتبدل الهيكل والشكل المحسوس اذ كثيرا ما يتبدل الهيكل بالنمو
والذبول والسمن والهزال والشخص هو بعينه باق لا يتبدل والباقى غير الزائل فالانسان وراء هذا الهيكل سواء
كان امرا جسمانيا ساريا فى البدن او مختصا ببعضه كقلب او دماغ او امرا غير جسمانى كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير
فلا امتناع فى بقائه مع تبدل الشكل الى شكل آخر واما الثانى فلان الجزم فى اليقينيات والشك فى المشاهدات
انما يلزم لو جوزنا ان هذا الكلب او القرد بالفعل انسان عاقل واما كونه انسانا فى وقت انسلخ عن الانسانية
وصار كلبا او حيوانا آخر فهذا لا يوجب الشك فى المشاهدات كيف وهذا اى القول بالمسخ مذهب جمع كثير من الفضلاء
وينسب الى افلاطون وسقراط والاقدمين وان وجهنا بعض كلامهم الى غير ما فهمه الجمهور ومنهم من انه فى البعث والنشأة
الاخرة ودار القيمة والنشأة الدنيا فان انسلاخ النفس عن بدن طبيعى الى بدن طبيعى آخر منفصل عن الاول
ممتنع وانما تقلب القلوب وتحول البواطن بحسب رسوخ الاخلاق والملكات من نشأة بشرية الى نشأة ملكية او
شيطانية او سبعية او بهيمية جائزة عند العرفاء والمحققين بالحكماء الكاملين وعليه براهين كثيرة
ليس ههنا موضع بيانها ومن لم يعرف حكمة الاقدمين من الحكماء الذين انوار حكمتهم مقتبسة من مشكوة النبوة
حمل كلامهم فى تناسخ الارواح وتصويرها فى الآخرة بصور الابدان المناسبة لاخلاقها المكتسبة فى هذا العالم
على مذهب التناسخية المعروف وشانهم ارفع من هذا بل مذهبهم يوافق الانبياء ع فى ان النفوس الانسانية تحشر فى الآخرة
على صور مختلفة وعلى هذا يحمل آيات المسخ والاحاديث الدالة على ثبوته ولهذا قيل ما من مذهب الا وللتناسخ
فيه قدم راسخ فاذا تقرر ما ذكرناه فنقول ان ما ذكر مجاهد وان كان غير مستبعد جدا وله وجه حسن لما ذكره
بعض المفسرين كالامام الرازى وغيره بان مجاهدا خالف شايع فان الانسان اذا اصر على جهالته بعد ظهور الآيات وضوح
البينة فقد يقال انه الحمار او القرد واذا كان هذا المجاز من المجازات المشهورة لم يكن فى المصير اليه محذور الخ

حاجة

بل لما اشرنا اليه من حقيقة المسخ بحسب الباطن والقلب كما وجهنا اليه كلام الاقدمين من الحكماء وتكرر من ذلك لا
بنا الى العدول الى ما ذكره عن الظاهر المتعارف وذلك لمعنى لطيف نذكره وهو ان مسخ الصورة وتبدلها على وجهين
احدهما ان ينتقل النفس من بدن انسان مثلا عند موته الى بدن حيوان اخر حين ولادته وهو المسخ المعروف
عند التناسخية وهذا باطل عند المحققين والثاني ان يتحول الشخص واحدة بعينه الى صورة حيوان اخر كما
وقع في بني اسرائيل وهذا جائز لا دليل على استحالته والسبب فيه ان الابدان تابعة للنفوس والاشكال فائضة عليها
من المبدأ بواسطة النفوس ولهذا انما نرى تغيرات الابدان عند تغيرات النفس مع الشهوة والغضب والخوف والفرح وغيرها
فاذن لا استبعاد من كون بعض النفوس في شدة خلقها الردية وتأكدها بحيث تؤثر في البدن تأثيرا شديدا لاستحالة البدن بالكلية
بناسب ذلك الخلق فيكون مسخ الظاهر تبعا للمسخ الباطن على وجه الانفعال وهذا ما كان في امة موسى ع وسبب هلاك
ذلك الممسوخ زوال عقله فلا يمكن تدبير بدنه بغذاء يناسبه فيموت بعد ثلثة ايام ونحوها ودليل استحالة التناسخ كما يجيء
في هذا النحو من المسخ المتصل لم يجر في المسخ المنفصل وانما لم يكن هذا المسخ في امة محمد صلعم لعدم رسوخ صفاتهم
الردية النفسانية على تلك الشدة او لعدم قبول ابدانهم واحتجابهم تلك الخصوصية لشمول الاعتدال امزجتهم
واعلم ان مسخ البواطن في هذه الامة فرت الصور وصور الاناسي والبواطن تنقلب الى غرائب الصور من صورة
او شيطان او صورة بهيمة او سبع وبالجملة صور تحيل بينها بما يليق بما غلب عليه من كلب او خنزير او قرد او اسد وكل
ذلك بحسب ما افرط عليه الانسان في مقام تربيته الطبيعية اما عالم الدنيا فلم يمسخ البواطن وقد كثر في هذا الزمان كما
ظهر المسخ في الصورة الظاهرة في بني اسرائيل حين جعلهم الله قردة وخنازير كما دلت عليه هذه الاية وغيرها ولا يجوز
حملها على المجاز ومما ذكرنا من مسخ البواطن باطن هذه الامة ما يشاهده العارف بعينه فيرى الصورة الاخروية
بعين قلبه لذلك الممسوخ في البواطن منهم وانما لم يعاين شاهدة لمثل هذه الصورة المحجوبة عن عين الناس كما
نقله بعض الفضلاء من ارباب الذوق انه كان في غلبة الحال اذ دخل عليه شخص من عظماء البلاد فقال للخادم له اخرج
هذا الحمار من البيت فتعجب التلميذ وانفعل من ذلك الرجل ثم سأل عن الاستاد لم قلت كذا وهو فلان فقال اني
ما قلت الا كما رأيت ويدل على هذا المسخ ايضا ما ورد في الحديث من قول النبي صلعم يحشر من بعض صفة قوم من
امته انهم اخوان العلانية اعداء السريرة السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر

م م

حرره اقل الخليقة بل لا شيء في الحقيقة
محمد علي ابن علي اكبر
١١١٧